٢٦٠

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وأنا الفقير رحمه الله تعالى بما لديه
والحسنى حرره العبد الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي خلق الاشياء فقدرها تقديرا ووصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا وانطق لسانه فادمن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا منيرا واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفاظه تلاوته وتحبيرا وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وتحييرا وجعله برهانا واضحا وصوابا لايحا ووفر فضله توفيرا في الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي الصحف مسطورا يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وجعل كل بليغ على الاتيان بمثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده على تواتر انعامه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفوضا امري اليه ومستخيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائلها مطمئنا مستنيرا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبعد فان الله جل ذكره ونفذ امره ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين اكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الآفاق وانزل عليه نورا هدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن اعرض عنه بعد ما سمعه عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المؤمنين مع اعجاز تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد

ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته ولا بدرسه دون تعلم حقائقه وفهم دقائقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبقها فرعا وفضلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى رجالا موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات وجمعوا سائر فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة الامة وامام الائمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن التشبيه والتصحيف والتبديل محلا بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة منقلبه ومآبه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التاويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب متجنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي والنساى فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرجه بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني حذفت الاسناد وعوضت بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة في هذا الكتاب واهون على الطلاب وسقته بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوائد استنباط شيء ان كان معضلا او جمعه ان كان مفرقا او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته لباب التاويل في معاني التنزيل والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله

موشيا مشوبا

والاسهاب

واسهل

خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين د عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة الآدمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان آداه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء اي لا يميل عن الحق ت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامره ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم هذا الكلام قوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني اجر بسبب القراءة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن

الذي

الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد ت عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند الله آخر آية تقرأها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيمة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به البس والداه يوم القيمة تاجا ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله تعالى لا يختلف فوجب تاويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برايه بغير علم ووعيد من اوتي القرآن فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوأ معناه فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطأ اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني او اي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان

مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل فهو صرف الاية على طريق الاستنباط الى معنى
يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم
قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر
ما فهموا من القران تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين
وعلمه التاويل وكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القران فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل
في عقلها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القران كمثل صاحب
الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة ان تعاهد التي حبست
بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القران ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت
بل هو نسي استذكروا القران فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل احدكم
نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لاحدهم اي بئست الحالة حالة من حفظ القران ثم غفل عنه حتى نسيه
قوله لا يقل نسيت اية كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء
كلها وهو الذي انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القران او قصدت الى نسيانه
وقوله نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح اليا اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او لسوء
تعهده القران وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل من عقلها
اي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من امرء يقرا القران ثم ينساه الا لقي الله يوم القيمة اجذم اخرجه ابو داود الاجذم هو
مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عرضت على اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب
امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
تسافروا بالقران الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو اراد بالقران المصحف ولا يجوز حمله الى بلاد العدو
وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه اية من القران فلا باس بذلك لان النبي صلى الله
عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن
حصين انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا
القران فليسال الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤن القران يسالون به الناس اخرجه الترمذي عن صهيب
قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ما امن بالقران من استحل محارمه اخرجه الترمذي
وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر
بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر بالقران كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب

الفصل الثالث في جمع القران وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف

خ عن زيد
بن ثابت قال بعث الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل
قد استحر يوم اليمامة بقراء القران واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القران

خ لا تقل

لا احدكم

كثير

كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر وكيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر
هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى
عمر قال زيد فقال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فتتبع القران فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القران فقلت
كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي
شرح له صدر ابي بكر وعمر ورايت في ذلك الذي رايا قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب
واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها
مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى خاتمة سورة براءة فالحقتها في سورتها فكانت الصحف
عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض
الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام
في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان
يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان
الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر
زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها
في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران
فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف
الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القران في كل صحيفة او مصحف
ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب
حين نسخت المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها
مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها
في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته
بشهادة رجلين زاد في رواية اخرى قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت
وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت
فانه بلسان قريش شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قوله بعث الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة
اي اوان قتلهم واراد بها الوقعة التي كانت باليمامة في زمان ابي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع
اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القران واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطايف وعلى اربعة
ايام من مكة ولها عمائر وهي تعد من اهل نجد قوله استحر القتل اي كثر ويشتد المكروه الى الحر والمحبوب
الى البرد وشرح الصدر سعته وقوله الخير قوله فتتبعت القران اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب
فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض
رقاق واحدتها لخفة قوله يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف
اليا الاخير سميت بارمين بن لنطى بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزلها سميت به واذربيجان
بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس موانع من الصرف التعريف

خ ابن الحارث

خ الصحف

خ علاء

والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهي موضع من بلاد العجم مشتمل على بلاد كثيرة **قوله** حتى وجدت
آخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة
بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول
غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم
بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت
عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن
الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل
يوم صفين مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان
يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع
خزيمة وليس فيها اثبات القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فقد كنت اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القران العزيز كان
محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد
قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين واخرج الترمذي من حديث ابن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة قال الحديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القران فتبين
بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا التاليف والجمع من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ
بعض احكامه فلو جمع في مصحف واحد ثم رفع بعض تلاوته لادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين
فحفظ الله تعالى كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت
بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا
في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه
كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران
على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية
ان هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه
فان القران مكتوب في اللوح المحفوظ على النمط الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه
في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر

على النحو

زيد

زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي
توفي فيه مرتين وكان جمع القران سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده
في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى انزل القران المجيد في اللوح
المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشاء
الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاول ما نزل من القران بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل
ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم
والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم ارايت
ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم البروج ثم والتين
ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيمة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق
ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة
ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات
ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المؤمن ثم حم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف
ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم تنزيل السجدة
ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم
اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت **وقال**
الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك
ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات **واما ما نزل** بالمدينة فاحدى وثلاثون
سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء
ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الانسان
ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة
ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة
فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وستذكر في مواضعها
ان شاء الله تعالى **فصل** في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك **ق** عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت
لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره فتربصت حتى سلم
فلببته بردائه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقراني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه **قوله** فكدت اساوره في الصلاة

في الصلوة صح

اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت **قوله** فلببته بردائه هو بتشديد الباء الاولى ومعناه اخذت
بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقران والذب عنه
والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية واما امر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله
فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفته في القراة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم
من جواز القراة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرا وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقق القراة تمكن
المطلق **قوله** ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه قال العلما انزاله على سبعة احرف التحقيق
والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر
العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص
والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام واظهار وتفخيم
وترقيق ومد وقصر واماله لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل
انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه **وقال** ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح
لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي
متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت
ونرتع ونلعب وباعد بين اسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قرات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه
السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان والجماعة
في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها
اخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف سبعة معان مختلفة كالاحكام و
الامثال والقصص فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى جواز القراة بكل واحد من الحروف وابدال
حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم
الاي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القران
والله اعلم **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل
على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث
لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسال جبريل
ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة **م** عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل
رجل يصلي فقرا قراة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى قراة صاحبه فلما قضينا
الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه
فدخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي
صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله تعالى
فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية
ان اقراه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان اقراه على سبعة احرف ولك بكل
ردة رددتكها مسئلة تسئلنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب
الي الناس كلهم حتى ابراهيم **قوله** فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه

وسوس

وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة اشد ما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس
له الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يواخذ بها **قوله** ضرب في صدري
ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين راه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله**
وكانما انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه
ما ازال عنه ذلك الخاطر **قوله** ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسئلنيها معناه مسئلة مجابة قطعا واما باقي الدعوات
فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم **وروى** البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر
لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل
الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والتلقين
والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض **قوله** ولكل حد مطلع
معناه مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القران العزيز
من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم **فصل** في معنى التفسير والتاويل **فاما** التفسير
فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير
وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب
فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصتها **واما** التاويل فاشتقاقه من
الاول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته قال اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية المرادة منه وبيان غايته
المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل
ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم

القول في الاستعاذة

ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ من الشيطان اصله من شطن اي تباعد من
الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان
الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم كفعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل
بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم يعني مطرود عن الرحمة وعن
الخيرات وعن منازل الملاء الاعلى **واما** حكم الاستعاذة ففيه مسائل المسئلة الاولى اتفق الجمهور على ان الاستعاذة
في الصلاة سنة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القران خارج الصلاة ان
يتعوذ ايضا وحكي عن عطا وجوبها سواء كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره
مرة واحدة كفى في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي صلى الله
عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا دليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة
اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقته غير جائز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلما اذا اردت
القراءة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة
النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات
الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها **المسئلة الثانية** وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور
سواء كان في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن

سبيرين حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي توسوسه واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في غير المكتوبة قيام رمضان بعد القراءة لما تقدم من الادلة **المسئلة الثالثة** المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي رضي الله عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وبحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شيء يشغل عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله القادر في دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله سبحانه وتعالى والله اعلم

تفسير سورة الفاتحة

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة وتقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فادخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما تقسم غيرها من السور السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها **فصل** في فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان نخرج فقلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم وهي سورة ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن

وهي

وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فسلم علي وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرا بحرف منها الا اعطيته **قوله** سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرا بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال **قوله** فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده **قوله** قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعا وقسم الثنا انتهى عند قوله اياك نعبد واياك نستعين من قسم الدعا ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال قوله تعالى حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثنا بجميل الفعال والتمجيد هو الثنا بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا القول لقوله مالك يوم الدين يقال فوض فلان امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستاتي هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

البا في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله او بسم الله ابدا او اقرا وانما طولت البا في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طولها على البا ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا البا لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل البا حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا البا من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات الشيء وذلك لان الاسم الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشيء المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا قد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحدا كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعا الله باسمائه فالاسم آلة الدعا والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم

واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى
واضافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم
غير التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به
وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكانه علامة لمسماه
وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره
سمي وجمعه اسما واسامي الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه
فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله عز وجل هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من اله ياله
الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والهتك اي وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة دون
غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم ولهت اليكم
في بلايا تنوبني فالفيتكم فيها كرائم محتدا وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق
يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه
اما بالتسخير او بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصائص
هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف
بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم
الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسما تدل على الصفات **الرحمن الرحيم**
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة
وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم
والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو
الكافي للمؤمنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان
لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق
العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن
يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل** في حكم البسملة
وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلما
في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلما الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة
براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه
واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك
وابو حنيفة الى ان البسملة ليست باية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض اية
في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها
ليست من اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
حديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان اول ما نزل به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة
في اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القران لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة

اجمعوا

اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون اية وسورة الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات
فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام
سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية وعن ابن عباس في قوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم
اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية
انقضا السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه
انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد
فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احد اياتها
قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها قطعها اية اية وعدها عد الاعراب وعد
بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم اية من القران
وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا
فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاث
عشرة اية ليست من القران قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم
اية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران وللسور
التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لم كتبت في المصحف ان لم تقرا وروى الشافعي عن ابن عباس انه
كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد
الرحيم **وايضا** فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه
فاجماع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين
وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اوائل السور لما كتبوها وكان
حكمها حكم امين **المسئلة الثانية** في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذ ثبت بما تقدم من الادلة
ان البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة
فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر
بالبسملة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير
وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب
القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن
دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي واحد قولي ابن وهب صاحب مالك **وحكي ايضا** عن ابن المبارك
وابي ثور وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر
وابن مغفل وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس

وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم
من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة
وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج بها وروى
نعيم عن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران وذكر الحديث
وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه
وقال اما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا وهو يؤم الناس فتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر
الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات ۰ وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال ليس في رواته مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال
اسناده صحيح وليس له علة ۰ وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده
بذاك قال الشيخ ابو شامة اي لا يماثل اسناد ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة رجح
على ما في الصحيح وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه
الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان
ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل الفاتحة وبعدها وسمعت المعتمر
يقول ما الو ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس ما الو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم ثقات
قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق
والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى
ومعناه الامر اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو
ان المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا عنه
واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الافعال تقول حمدت
الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على
علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد
الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على
كافة الخلق على الاطلاق رب العالمين الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه
ويكون بمعنى التربية والصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين
ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له
من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم
المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم
لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون
الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما
العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء والفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة

وانما

وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور
صدور تلك النعم من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعم من العباد فلا يقال لغير الله
رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه
وانت غيث الورى ما زلت رحمانا قلت هو باب من تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت
الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية
بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه
هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى مالك يوم الدين يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك
هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اخراج الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى
وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا لشيء
الا وهو يملكه وقد يكون ملكا لشيء ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل
هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع
على الخير والشر يقال كما تدين تدان ۰ وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته
فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائلة فلا
ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد
يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله عز وجل اياك نعبد رجع من الخبر
الى الخطاب وفائدة ذلك ان من اول السورة الى هاهنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب
في الدعاء اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض
لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم
للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولي اعظم النعم وهي
ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له واياك نستعين
اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم
اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل
الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير
الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث
كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على تمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع الرابع ان العبد
اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك
نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة اهدنا الصراط المستقيم اي ارشدنا وقيل ثبتنا
وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية
بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة و
الصراط الطريق قال جرير امير المؤمنين على صراط ۰ اذا اعوج الموارد مستقيم ۰ اي على طريقة حسنة قال ابن عباس
هو دين الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين
للجنة صراط الذين انعمت عليهم هذا بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء

والمؤمنون الذين ذكرهم الله في قوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين **ولا الضالين** اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى **عن** عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم

فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان **الاولى** السنة للقاري بعد فراغه من الفاتحة ان يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امينا وقال في القصر امين فزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى امين اللهم اسمع واستجب **وقال** ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه **قوله** فمن وافق تامينه تامين الملائكة معناه وافقهم في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه يعني غفر له الذنوب الصغاير دون الكباير وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان هذه صيغة تامينه صلى الله عليه وسلم

المسئلة الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة اية من القرآن طويلة او ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسيء صلاته ثم اقرا بما تيسر معك من القرآن اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة **قلنا** هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه احمد وابو داود واجيب عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة او على العاجز عن قراءة الفاتحة والله اعلم

تفسير سورة البقرة

قال ابن عباس هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان وست وقيل وسبع وثمانون اية وستة آلاف ومائة وواحد

وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف

فصل في فضلها **م** عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرآن فانه ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيابتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرءوا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة **قوله** اقرءوا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما يقال لكل مستنير زاهر **قوله** كانهما غمامتان او غيابتان قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه من سحابة وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي كغمامتين **قوله فرقان** من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة والمجادلة والمخاصمة اظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور ولا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة **وعنه** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة وفيها اية هي سيدة آي القرآن اية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم** قيل ان حروف الهجا في اوائل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن اوائل السور وقال علي بن ابي طالب ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما لا يعلمون واجيب عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاؤه واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف قولها قاف اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم انا الله اعلم وقيل هي اسماء الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيا تاليفها جميعا وقيل اسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه انزل الله هذه الاحرف ومعناه ان هذا القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان يجب ان تاتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله تعالى لا من عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان سببا لايمانهم

وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع الاحرف المنزلة في اوائل السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والرا والكاف والها واليا والعين والطا والسين والحا والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسياتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شاء الله تعالى قوله تعالى **ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل ان الله وعد بني اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله هذه الاية الم ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت على لسان موسى ان انزله على النبي الذي من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القران **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين** الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وادا ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وخصص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون **قلت** هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله اهدنا الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب** اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان

بهم

ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في ذلك وبهذا يكون ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لانه من شرايعه والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر البا ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشي واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيايه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر وغير مصدق في الباطن **ق** عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقايه ورسله وتؤمن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لا تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعا البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على الايمان والاسلام وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله ولقايه وتؤمن بالبعث الاخر بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالاخر وجه اخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة بعث اخر **قوله** ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبل قيامها **قوله** اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها وسيدها ورعا البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهم وهي الصغار من اولاد الضان والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم حتى يتباهون في البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله تعالى اعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم

واثبت صح

لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم صح

ردوا على الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقيل للغايب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما من احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله واولئك هم المفلحون **ويقيمون الصلاة** اي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وادابها والمراد به الصلوة الخمس والصلوة في اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعا وثنا **ومما رزقناهم** اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب **ينفقون** اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها وادخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** اي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبل كالتورية والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها فيجب الايمان بذلك كله **وبالاخرة** يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها **هم يوقنون** من الايقان وهو العلم والمعنى يتيقنون ويعلمون انها كائنة **اولئك** اي الذين هذه صفتهم **على هدى من ربهم** اي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة **واولئك هم المفلحون** اي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تنغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر • لو كان حي مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح • يريد البقا فيكون المعنى اولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقا والغنى واصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها في المؤمنين وبايتين انزلها في الكافرين وبثلاث عشرة اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى **ان الذين كفروا** اي جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر • في ليلة كفر النجوم غمامها • اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه فلا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعر له

• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •
• لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله او انكر وحدانيته او انكر شيئا مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود **سواء عليهم** اي متساو لديهم **ءانذرتهم** اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر **ام لم تنذرهم لا يؤمنون** اي لا يصدقون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة

في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم** اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشي لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغا اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطا التعامي عن ايات الله ودلائل توحيده **ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الما العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله** نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر • وسميت انسانا لانك ناسي • وقيل سمي انسانا لانه يتانس بمثله **وباليوم الاخر** اي وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيمة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر له قال الله تعالى ردا على المنافقين **وما هم بمؤمنين** نفى عنهم الايمان بالكلية **يخادعون الله والذين امنوا** اي يخالفون والخديعة الحيلة والمكر واصله في الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خداعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الاخرة **فان قلت** المخادعة مفاعلة وانما يجي في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة **قلت** المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله يتعالى ان يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت انه تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المنافقين اذا خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا احوالهم وليجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهم على خلافه في الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشي وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن **وما يشعرون** اي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق والمرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم الله مرضا** يعني ان الايات كانت تنزل تترا اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا **ولهم عذاب اليم** اي مولم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مؤمنين **واذا قيل لهم** يعني المنافقين

وقيل لليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون لا تفسدوا في الارض اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قالوا انما نحن مصلحون يعنى يقولونه كذبا الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب
انهم هم المفسدون يعنى في الارض بالكفر وهو اشد الفساد ولكن لا يشعرون وذلك لانهم يظنون
ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب
واذا قيل لهم يعنى للمنافقين وقيل لليهود امنوا كما امن الناس يعنى المهاجرين والانصار وقيل
عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمنى اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في ايمانهم لان
المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انؤمن كما امن السفهاء اى الجهال فان قلت كيف يصح النفاق
مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما امن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين
فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله الا انهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار قالوا امنا
كايمانكم واذا خلوا اى رجعوا وقيل خلوا من الخلوة الى قيل بمعنى الباء بشياطينهم وقيل بمعنى مع
شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف
من اليهود بالمدينة وابو بردة في بنى اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بنى اسد وعبد الله
بن السود في الشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين
في تمردهم قالوا انا معكم اى على دينكم انما نحن مستهزؤن اى بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من
الاسلام ليأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابى لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد
ابى بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تميم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى
في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على
اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن اى لا تقل هذا والله
ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا
عليه خيرا الله يستهزئ بهم اى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في
مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويمدهم اى يتركهم
ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما يأتى المد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم
اى في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اى يترددون في الضلالة متحيرين اولئك يعنى
المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ
الشرى والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرى فيه اعطاء بدل واخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا
الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا اتركوه الى الضلالة فقد
عطلوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء فما ربحت تجارتهم اى ما ربحوا في
تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين

اى مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى
وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل مثلهم كمثل الذى استوقد نارا المثل عبارة عن قول في شئ يشبه ذلك القول قولا
آخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن
السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر
في القلوب ما لا يؤثره وصف الشئ في نفسه ولان المثل تشبيه الشئ الخفى بالجلى فيتأكد الوقوف على ما
هيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذى استوقد
نارا اى لينتفع بها فلما اضاءت يعنى النار ما حوله يعنى حول المستوقد ذهب الله بنورهم
فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذى موضع الذين كقوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا
وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل كل واحد منهم كمثل الذى استوقد نارا وتركهم
في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد
نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى
في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم
وناكحوا المؤمنين وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط
فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء
في الهداية الى الجهة المقصودة والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الا
حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين ثلاث حكم احدها ان المستضئ بالنار مستضئ بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقى هو
في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج
في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة
الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى
فقال صم اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لا يسمعوه بكم اى خرس عن النطق
بالحق فهم لا يقولونه عمى اى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا
بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدت عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم
وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر صم اذا سمعوا خيرا
ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا فهم لا يرجعون اى عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى
او كصيب اى كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب من السماء اى من
السحاب لان كلما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى
السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من ابخرة الارض وابطل مذهب الحكماء
بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء فيه اى في الصيب ظلمات جمع
ظلمة ورعد وهو الصوت الذى يسمع من السحاب وبرق يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس الرعد
اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب
اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهى البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح
الملك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهى الصيحة

التي يموت من يسمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشا عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حذر الموت اى مخافة الهلاك
والله محيط بالكافرين اى عالم بهم وقيل يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق اى يقرب يقال
كاد يفعل ولم يفعل يخطف ابصارهم اى يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة كلما اى متى ما
اضاء لهم يعني البرق مشوا فيه اى في اضاءته ونوره واذا اظلم عليهم قاموا اى وقفوا متحيرين
وهذا مثل اخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا
في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة
تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم سامعوه اصابعهم الى اذانهم
من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله للقران وصنيع الكافرين
والمنافقين معه فالمطر هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران
من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان
والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القران وسماعه مخافة ان تميل
قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر هو الاسلام
والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق ما فيه من الوعد
يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط
بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الاسلام تزعجهم
الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم مشوا يعني المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا
امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا
معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلاء تاخروا عنها ولو شاء الله لذهب بسمعهم اى بصوت الرعد
وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة
ان الله على كل شيء قدير اى هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال
ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لكل
المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد
واصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والاعظام وهو الله
تعالى الذي خلقكم اى ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم اى وخلق الذين من قبلكم
لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب تتقون اى لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء
التقوى بان تكونوا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي
جعل لكم الارض فراشا اى خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها
والحزن ما غلظ من الارض والسماء بناء اى سقفا مرفوعا قيل اذا تامل الانسان المتفكر في هذا العالم وجده
كالبيت المعمور فيه كلما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح
والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المتهيأة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب
على الانسان المسخر له هذه الاشيا شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء يعني السحاب ماء يعني المطر

فاخرج به اى بذلك الماء من الثمرات اى من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم اى وعلفا لدوابكم
فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادة الله والند المثل وانتم تعلمون يعني انكم بعقولكم
تعلمون ان هذه الاشيا والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشيا وانه لا مثل له ولا ضد
له وقوله تعالى وان كنتم في ريب اى وان كنتم في شك لان الله تعالى علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله تعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه
باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة وانه من عند الله
لا من عند نفسه كما تدعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه
من عند الله تعالى فاتوا امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القران معلومة الاول والاخر وقيل السورة
اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل
المنازل باستكمال سور القران من مثله اى من مثل القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من
مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القران
اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الا ترى
ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير
مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا مثل محمد صلى الله عليه
وسلم ويدل على كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الايجاز والاطالة فتارة
ياتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وان فارقت اساليبه
اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحديت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه
واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل
حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القران والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمغدق وان اعلاه
لمثمر وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا بالهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى
ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فيجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم
والا فاعلموا انكم مبطلون في دعواكم بانها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا يشهدون لكم ان كنتم
صادقين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه فان لم تفعلوا اى فيما مضى ولن تفعلوا
فيما بقي وهذه الاية دالة على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شيء منه وذلك لان النفوس الابية اذا
قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القران او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك
لاتوا به فحيث لم ياتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة
والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة
من احدهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله فاتقوا النار اى فامنوا واتقوا
بالايمان النار التي وقودها اى حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها
اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم
كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها
الله عذابهم في نار جهنم اعدت اى هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين امنوا اى اخبر المؤمنين

وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة
وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وعملوا
الصالحات اى الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان عليه اربع اشياء العلم والنية
والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعني من الريا ان لهم جنات
جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل
الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها ومساكنها
اى تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري في
غير اخدود اى في غير شق والخد الشق كلما رزقوا اى طعموا منها اى من الجنة من ثمرة رزقا اى
طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اى في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون
مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به اى بالرزق متشابها قال ابن عباس
مختلفا في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون
الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون
التسبيح اى يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما ان النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم
جشاء يعني ان فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها
اى في الجنان ازواج يعني من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار
وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرت من قذارات الدنيا وقيل طهرت من مساوى الاخلاق وقيل في الجنة جماع
ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع
له ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون
امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل
واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء
اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا ق
عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة
طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال
قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها
المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت
ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي
عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ومنها تفجر انهار الجنة
الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذي م عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم
فيزدادوا حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد
ازددتم بعدنا حسنا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين

وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا

يرفعن

يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات اى الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات
فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد تم البحث في هذا والله اعلم ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه الآية ان الله
تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما ذا اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة
وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به و
يذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله
فاذا هو وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق
الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحياء في حق الله
تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء في حق الله تعالى فليس المراد
و نهايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة اى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود وما قيل ما
صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بل هي بصلة للابهام والنكرة والبعوض صغار البق
وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل
والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما
هو اعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى
لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها
وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة
فاما الذين آمنوا يعني بمحمد والقول في هذا والقرآن فيعلمون انه يعني ضرب المثل الحق يعني الصدق
من ربهم الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب وغيرهم
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اى بهذا المثل يضل به كثيرا اى من الكفار
وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدي به كثيرا يعني من المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق
وما يضل به الا الفاسقين يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله
تعالى وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اى يخالفون ويتركون واصل النقض الفسخ
وفك المركب عهد الله اى امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه
اى من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله
الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا الزمه الله تعالى
واحكمه بما انزل له في كتابه من الآيات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع
الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن اولئك هم الخاسرون اى المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى
لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل
ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب

ابائكم فاحياكم يعني في الارحام وفي الدنيا ثم يميتكم اي عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم يعني بعد الموت
للبعث ثم اليه ترجعون اي ترجعون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا
لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة
على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها ثم استوى الى السماء اي قصد واقبل على
خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب
المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط
جرم الارض بعد ذلك انتهى فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي
ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره
ما انعم الله عليه الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم كقول الرجل لمن يذكر ما انعم الله
عليه متقدم على بعض والله اعلم فسواهن سبع سموات خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها
ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة
حم السجدة ان شا الله تعالى وهو بكل شيء عليم يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى
واذ قال ربك اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القران من نحو هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة
والاول اوجه للملائكة جمع ملك واصله مالك وهي الرسالة واراد بالملائكة الذين كانوا في الارض
وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسما وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السما واسكن الجن الارض
فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال
لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال
وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزانة الجنة
وكان ابليس رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السما وتارة
في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه فقال
له ولجنده والله اعلم اني جاعل في الارض خليفة اي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا
ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم عليه الصلوة والسلام لانه خلف
الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة
حدوده وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اي بالمعاصي ويسفك الدماء يعني بغير حق
كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا بذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون ذلك باخبار الله
اياهم او قاسوا الشاهد على الغائب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون
فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى
النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة
قالوا هو ذلك فان قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم
الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب
الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض

فانهم

فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل
ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز
وجل ونحن نسبح بحمدك اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون م عن ابي ذر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن
عباس كلما جا في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله
عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك او متلبسين
بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس لك اصل التقديس
التطهير اي نطهرك عن كل النقايص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام
صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب لقول
الملائكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني
ويطيعني وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون
فاغفر لهم

فصل

في ماهية الملائكة وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملائكة اجسام
لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في السموات عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب
واما صفة خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق ادم اوحى الى الارض اني خالق
منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني من اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار
قالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيمة فبعث الله
اليها جبريل ليأتيه بقبضة من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ
بعزة الله الذي ارسلك الي ان لا تاخذ مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت
ان اقدم عليها فقال الله لميكائيل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت
لجبريل فرجع الى ربه فقال لما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض
اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزته ان لا اعصي له امرا وقبض منها قبضة
من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فسئله ربه عز و
جل وهو اعلم بما صنع فاخبر بما قالت الارض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به
خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم
تركها ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا و
القاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه
ويقول لامر ما خلق هذا وينظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل
هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لئن فضل علي لاعصينه ولئن
فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات
مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت
الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب

العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح إلى الركبتين همّ ليقوم
فلم يقدر قال الله تعالى خلق الإنسان من عجل فلما بلغت إلى الساقين والقدمين استوى قائماً بشراً سوياً لحماً ودماً وعظاماً
وعروقاً وعصباً وأحشاء وكسي لباساً من ظفر يزداد جدة وحسناً كل يوم وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه
وهي الأذنان ليسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والأسنان يطحن بها
ما يأكله ويجد لذة المطعومات وبابان في أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل
عقله في دماغه وفكره ومرامه في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته وضحكه في طحاله وفرحه
وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه
بالحياء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم
على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا
السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص
حتى الآن م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل
إبليس يطيف ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض
والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود قوله عز وجل وعلم آدم الأسماء كلها
سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر ولما خلق الله آدم وقد تم
خلقه علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه
لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الأنبياء أفضل
من الملائكة وإن كانوا رسلاً قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان
والجماد وغير ذلك وعلم آدم أسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل
علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها ثم عرضهم يعني تلك الأشخاص وإنما قال
عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت فيها من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء
عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزاً لهم أنبئوني أي أخبروني
بأسماء هؤلاء يعني تلك الأشخاص إن كنتم صادقين أي إني لم أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منهم وأعلم قالوا
يعني الملائكة سبحانك تنزيهاً لك وذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا إلا ما علمتنا أي إنك أجل من أن
نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا إنك أنت العليم أي بخلقك وهو من أسماء الصفات الثابتة وهو
المحيط بكل المعلومات الحكيم أي في أمرك وله معنيان أحدهما أنه القاضي العدل والثاني المحكم للأمور كي لا
يتطرق إليه الفساد قال يعني الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى
كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها فلما أنبأهم بأسمائهم قال يعني الله تعالى ألم أقل
لكم يعني يا ملائكتي إني أعلم غيب السموات والأرض يعني ما كان وما يكون وذلك أنه سبحانه
وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون وأعلم ما تبدون يعني قول الملائكة
أتجعل فيها وما كنتم تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبدون
من الطاعات وما كنتم تكتمون يعني إبليس من المعصية قوله عز وجل وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
قيل هذا خطاب مع الملائكة الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد

الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس فسجدوا يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة
ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض وإنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف
له في قوله وخروا له سجداً فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله
تعالى وامتثال أمره والقول الثاني أن آدم كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة
والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة إلا إبليس
سمي به لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى
غير اسمه فسمي إبليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل
إنه من الجن لأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولأنه أصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس
والأول أصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم أبى أي امتنع من السجود فلم يسجد
واستكبر أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم وكان من الكافرين أي في علم الله تعالى وأنه وجبت له النار
السابق في علم الله تعالى بشقاوته م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله
الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة أي اتخذها
مأوى ومنزلاً وليس معناه الاستقرار لأنه لم يقل اسكنك في الجنة لأنه خلق لعمارة الأرض ولما أسكن الله آدم
في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه ألقى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من أضلاع جنبه
الأيسر وهو الأقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحماً من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد
ألماً ولو وجد الألم لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لأنها خلقت من حي فلما استيقظ من نومه رآها
جالسة كأحسن ما خلق الله فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولماذا خلقت قالت لتسكن إلي و
أسكن إليك واختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل إنها جنة في الأرض بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي
دار الجزاء والثواب لما خرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى قال اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول و
الانتقال فهو كقوله اهبطوا مصراً والقول الصحيح أنها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لأن الألف واللام للعهد
والجنة بين المسلمين وفي عرفهم أنها التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع وكلا
منها رغداً أي واسعاً كثيراً حيث شئتما أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الإطلاق
في الأكل من الجنة بلا منع إلا ما نهى عنه وهو قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة يعني للأكل قيل إنما
وقع هذا النهي على جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين
وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذ لا حاجة إليه لأنه ليس المقصود
تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصوداً لا يجب بيانه فتكونا من الظالمين يعني إن أكلتما من هذه
الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الأنبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء
في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الأنبياء حمل الظلم على أنه فعل ما كان الأولى أن لا يفعله وقيل إنه يحمل على أنه
فعل هذا قبل النبوة فإن قلت هل يجوز وصف الأنبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم قلت لا يجوز أن يطلق عليهم
ذلك لما فيه من الذم قوله تعالى فأزلهما الشيطان أي استزل آدم وحواء ودعاهما إلى الزلة وهي
الخطيئة وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على عصمة الأنبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله تعالى عز وجل وعصى
آدم ربه فغوى في سورة طه عنها أي الجنة فأخرجهما مما كانا فيه يعني من النعيم وذلك

إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوا فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن
الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة
وهم لا يعلمون وقيل إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وكان إبليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم
لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل
الجنة وقف على آدم وحوا وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا له ما يبكيك
قال أبكي عليكما لأنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس ثم أتاهما
بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فاغترا
وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال إبراهيم بن أدهم
أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة
عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض
ثم لا تنال العيش فيها إلا كدا فأهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى إذا بلغ
واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي
رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت
قال يا رب زينته لي حوا قال فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حوا
عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت
سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى **وقلنا اهبطوا** أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحوا
وإبليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حوا بجدة وإبليس بالأبلة
من أعمال البصرة والحية بأصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية
آدم وبين إبليس وإليه الإشارة بقوله عز وجل إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي
بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن
فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثأرهن فليس منا وفي رواية اقتلوا الكبار كلها إلا الجان الأبيض
الذي كأنه قضيب فضة م عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة جنا
قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان
وفي رواية إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثة أيام فإن ذهبت وإلا فاقتلوه
فإنه كافر **ولكم في الأرض مستقر** أي موضع قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **إلى حين** أي إلى
وقت انقضاء آجالكم قوله عز وجل **فتلقى آدم** أي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو
التعليم **من ربه كلمات** أي كانت سبب توبته وقيل إن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية
وقيل قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم
لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم
يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته
عليك قبل أن أخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل إن الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه

فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سري و
علانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فأوحى الله يا آدم قد
غفرت لك ذنوبك وقيل إن آدم لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله
تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحوا على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي
سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث
أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة
فتاب عليه أي فتجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب إذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك
الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة منه إلا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد
ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فإذا حصل هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك
العبد الذنب ويعزم في المستقبل على أن لا يعود إليه وهو العمل فإذا تحققت هذه الثلاثة أمور حصلت التوبة
وسيأتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا إلى الله توبة نصوحا في سورة التحريم إن شاء الله تعالى **إنه هو التواب**
أي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله تعالى للمبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم** أي الرحيم
بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هؤلاء الأربعة
وقيل إن الهبوط الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا إلى الأرض وفيه ضعف لأنه قال
في الهبوط الأول ولكم في الأرض مستقر فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض والأصح أنه للتأكيد **فإما يأتينكم
مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوا كأن قال وإذ أهبطتكم من الجنة إلى الأرض فقد أنعمت
عليكم بهدايتي التي تؤديكم إلى الجنة مرة أخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب بهم ذرية آدم يعني يا
ذرية آدم إما يأتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما
يستقبلهم **ولا هم يحزنون** أي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة **والذين كفروا**
أي جحدوا **وكذبوا بآياتنا** أي بالقرآن **أولئك أصحاب النار** أي يوم القيامة **هم فيها خالدون**
أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى **يا بني إسرائيل** اتفق المفسرون أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق
بن إبراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى إسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب
اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي اشكروا نعمتي وإنما عبر عنه بالذكر لأن من ذكر النعمة فقد شكرها
ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة أنها المنفعة المفعولة على جهة
الإحسان إلى الغير ومعناه أن المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الإنسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى
نعمة إذا لم يقصد بها الغير ثم إن النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي إيجاد الإنسان ورزقه ونعمة وصلت
إلى الإنسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت
للإنسان بسبب الطاعة وهي أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لأن أصول النعم كلها
منه وأما النعم المختصة ببني إسرائيل فكثيرة لأن قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناه الجمع فمن النعم
أن الله أنقذهم من فرعون وفلق البحر لهم وأغرق فرعون وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى في التيه عليهم
وإنزال التوراة في نعم غير هذا كثيرة **فإن قلت** إذا فسرت النعمة بهذا فهما كانت على المخاطبين بها بل كانت
على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها **قلت** إنما ذكر المخاطبين بها لأن فخر الآباء فخر الأبناء
ولأن الأبناء إذا تيقنوا أن الله قد أنعم على آبائهم هذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل إن هذه النعمة

هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا بعهدي** اي امتثال امري
اوف بعهدكم اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي
تلزم مراعاته عهدا قيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل اراد
به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
لاكفرن عنكم سيئاتكم فلهذا قال اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التورية وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبيا عليهم السلام المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني
اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين
اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
واياي فارهبون اي فخافون في نقضكم العهد **وامنوا بما انزلت** يعني بالقران **مصدقا لما معكم**
يعني ان القران موافق لما في التورية من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران تصديق للتورية لان التورية فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وانه نبي مبعوث فمن امن به فقد امن بما في التورية ومن كذبه وكفر به فقد كذب التورية وكفر بها **ولا تكونوا اول كافر به**
الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به **فان قلت** كيف
جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم **قلت** هذا تعريض بهم والمعنى
كان يجب ان تكونوا اول من امن لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار
فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوءوا
باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا** اي ولا تستبدلوا **باياتي** اي ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي في التورية **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى
الاخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذين كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها
فهو قليل القليل فلهذا قال تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود
وعلماءهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من
زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا ان هم بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه
ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا على الكفر **واياي فاتقون**
اي فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن
واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي لا تكتبوا
في التورية ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في التورية بالباطل الذي تكتبوه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة **محمد**
صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي بصفة الدجال وذلك لانه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسده اليهود وقالوا ليس هو هذا الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا
الحق** يعني نعت **محمد** صلى الله عليه وسلم **وانتم تعلمون** يعني ان **محمدا** صلى الله عليه وسلم نبي مرسل
وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى

نعلى

فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق
يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه **واقيموا الصلوة** يعني الصلوات الخمس لمواقيتها وحدودها وجميع اركانها
واتوا الزكاة اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم **واركعوا مع الراكعين** اي صلوا مع المصلين
يعني **محمدا** صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلوة بالركوع لانه ركن من اركانها هذا خطاب لليهود لان
صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلوة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلوة
لان الاول خطاب للكافة والثاني خطاب لقوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلوة في الجماعة
فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله تعالى **اتامرون الناس بالبر** الاستفهام فيه للتقرير
مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علماء اليهود
وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت
على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم
ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به
فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه و
قيل كانوا يامرون الناس بالطاعة والصلوة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه **وتنسون انفسكم** اي وتعدلون
عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم فلا تتبعون محمدا
صلى الله عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرؤن التورية وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والاثم **افلا تعقلون**
يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة متهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه
قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء
العين ممنوع واصل العقل الامساك لانه ماخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود
فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى
من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله
العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان موعظته تنفذ الى القلوب فاذا خالف قوله
فعله فكان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته **ق** عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها
كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن
المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه **قوله** فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي
امعاء بطنه واحدها قتب **روى** البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري
بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه
وقال بعضهم ابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويقتدى
بالفعل منك وينفع التعليم قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلوة** قيل ان المخاطبين بذلك

هم المؤمنون لان من ينكر الصلوة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلوة فلا جرم
وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف
الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة
المؤمنين فعلى هذا القول ان الله لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة
وحب الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلوة هان عليكم
ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى هذا القول يكون معنى الاية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل
على ما يشغلكم من انواع البلاء وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر
على اداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس
والصلوة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من
تصحيح النية واحضار القلب ومراعات الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة
ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر التجأ
الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين
اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة **وانها** يعني الصلاة وقيل
الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين** يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين
المتواضعين لله تعالى واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل
في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة
عليه **الذين يظنون** اي يستيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الاخرة وفيه
دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم
قوله تعالى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى
توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني فضلتكم على العالمين** يعني
على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الاباء ولكن يحصل به الشرف للابناء **واتقوا يوما** اي واخشوا
عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيئا** يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن
نفس يوم القيمة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه **ولا تقبل منها شفاعة**
اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباؤنا
فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان
واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها **ولا يؤخذ منها عدل** اي فدية
وهو مماثلة الشيء بالشيء **ولا هم ينصرون** اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذ نجيناكم**
اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من ال فرعون**
اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب
بن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد
العذاب واسوءه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم
في الاعمال اصنافا فصنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا
اصنافا في اعمال فرعون فذووا القوة يسلخون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من

قطعها

من بني

قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الاجر وطائفة
نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس
قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم سوء
العذاب ما بعده وهو قوله تعالى **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** اي يتركوهن احياء وذلك ان فرعون
راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لغيرهم فهاله
ذلك وسال الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل
كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفا وقيل سبعين
الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل
فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون
في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اي اختبار
وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة
بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وان حمل على الانجاء
كان من النعمة قوله تعالى **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم** اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا
فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه **ذكر** سياق القصة وذلك انه لما دنا هلاك فرعون
امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان
يستعيروا من القبط لتبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني
اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط
فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك
الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا
ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما ارادوا السير
ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره
الموت اخذ على اخوته عهدا الا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره
فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي
فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز معهم فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني
كل ما اسالك فابى عليها وقال حتى اسال ربي فامره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع فاحملني معك
واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت
انه في النيل في جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر
حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام
فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف
الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم
وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف
ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة
ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف نصنع

قصة هلاك فرعون

لبني اسرائيل

المثنى

وفرعون في سبعة الاف الف وكان

هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطع
فاوحى الله اليه ان كنه فكناه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا
لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا
وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال
كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم يعني من فرعون
واغرقنا آل فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف
انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربا
فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام
على فرس انثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من
امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا
باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم
وغرقهم اجمعين وكان بين طرفي البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله **وانتم تنظرون** يعني الى
هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام
موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل **واذ واعدنا** من المواعدة وهو من الله الامر ومن
موسى القبول وذلك ان الله وعده لمجيء الميقات **موسى** اسم عبري فهو بالعربية الماء وشي هو الشجر سمي
موشى لانه اخذ من بين الشجر والماء ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى **اربعين ليلة** اي انقضاء
اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان اشهر العربية
وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء **ذكر** القصة في ذلك قال العلماء لما انجى الله
بني اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى عليه السلام
ان ينزل عليه التورية فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما
تذرون وواعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما جاء الوعد اتاه جبريل عليه السلام
على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فرآه السامري وكان صايغا اسمه
ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل باجرمى وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامره وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس وراى
موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا شانا وقيل راى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض
قبضة من تراب فرسه والقي في روعه انه اذا القى في شيء حيي ولما ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور
اربعين ليلة وانزل الله عليه التورية في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام
قيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا
من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فلما
فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة
وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري

وصاغها

وصاغها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التي اخذها من تراب فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر
وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي وقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه هاهنا وخرج
يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع
موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشرة
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية
آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله تعالى
ثم اتخذتم العجل يعني الها **من بعده** اي من بعد موسى **وانتم ظالمون** اي وانتم ضارون
لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها **ثم عفونا عنكم** اي محونا ذنوبكم
وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** اي من بعد عبادتكم العجل **لعلكم تشكرون** اي لكي تشكروا عفوي
عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة
وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر ساير
الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة
الشكر العجز عن الشكر **وحكي** ان موسى عليه السلام قال الهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر
وانما شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
ان يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا
كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصي الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر
النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا تراها البتة وترى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل **واذ آتينا موسى الكتاب**
يعني التورية **والفرقان** قيل هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام
والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو على اصلها **لعلكم تهتدون**
يعني بالتورية **واذ قال موسى لقومه** يعني الذين عبدوا العجل **يا قوم انكم ظلمتم**
انفسكم باتخاذكم العجل يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا ايش نصنع قال
فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال **فاقتلوا انفسكم**
يعني ليقتل البريء منكم المجرم **فان قلت** التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على ان لا يعود و
هذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل **قلت** ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم
لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا
بالقتل **فان قلت** التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة **قلت** ذلك
مما تختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في
حق الذين عبدوا العجل **ذلكم خير لكم عند بارئكم** يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت
لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن
بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت
القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق
له فلم يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم سحابة سوداء لا يبصر

بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المسا فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت
بنوا اسرائيل البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فانكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن
ابي طالب كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة
فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه وذلك قوله فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم فتجاوز
عنكم انه هو التواب اي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل واذ قلتم
يا موسى لن نؤمن لك اي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز
وجل امره ان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين
رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا
لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل
كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع
على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه واسمعهم الله
تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى
وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة لئلا يتوهم متوهم ان المراد
بالرؤية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان
المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا
نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنود من الملائكة فسمعوا بحسيسهم فخروا صعقين
وانتم تنظرون اي ينظر بعضكم الى البعض كيف يأخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول
الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى البعض كيف يحيون
فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم اي لتستوفوا بقية آجالكم وارزاقكم
ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة لعلكم تشكرون قوله تعالى وظللنا
عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يسترهم ولا
يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور
يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى اي في التيه والاكثرون على
ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن
هو ما من الله به من غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها
شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكماة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة فهو بمنزلة المن الذي كان ينزل
على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر ماؤها بحتا
في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق لكل وجع في العين وكان هذا المن
ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى
قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانا
وقيل هو السمانا بعينه فكان الرجل منهم يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات اي من حلال ما رزقناكم

ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم
اي لم ينتن ولم يتغير وما ظلمونا اي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني باخذ
اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب
في العقبى قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس
هي اريحا قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل
يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس فعلى هذا فيكون
القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث
شئتم رغدا اي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا اي باب كان
من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا
خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار
وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة نغفر لكم
خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة ستر الذنوب وسنزيد المحسنين
يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا قولا غير ما
قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم هطاشا سمقاثا اي حنطة حمرا وذلك
استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا
على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول وبدلوه ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم
فقالوا حبة في شعرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء يعني عذابا من السماء قيل ارسل
الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي يعصون
ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم
عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال عز وجل فقلنا اضرب بعصاك
وكان العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها
عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر
قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا
وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل وكان
موسى يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة اعين
لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهو الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع موسى عليه
ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يأمرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه
في مخلاته فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه
عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت
وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع

شربهم لا يدخل سبط مع غيره كُلُوا وَاشْرَبُوا اى قلنا لهم كلوا واشربوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ يعنى المن والسلوى
والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ العيث اشد الفساد وفى هذه
الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما تروى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر
الماء من بين اصبعيه فروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى وَإِذْ قُلْتُمْ
يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ وذلك انهم سأموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة
على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فَإِنْ قُلْتَ هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قُلْتُ ارادوا
بالواحد ما لا يختلف ولا يستبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها فى كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد
فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ اى فسئل لنا ربك يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا قال ابن عباس
الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم
ملوا من البقاء فى التيه فسألوا هذه الاطعمة التى لا توجد الا فى البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قَالَ
يعنى موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى اى الذى هو اخس وارذى وهو الذى طلبوه بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ يعنى بالذى هو اشرف
وافضل وهو ما هم فيه اهْبِطُوا مِصْرًا يعنى فان ابيتم الا ذلك فأتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر اليل الذى
كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ يعنى من نبات الارض وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذل الجزية وزى اليهودية وفيه بعد
لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد وَالْمَسْكَنَةُ اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة
فترى اليهود وان كانوا اغنياء كانهم فقراء ولا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود وَبَاءُوا اى
رجعوا ولا يقال باء الا بشر بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ذَلِكَ اى الغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ اى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التى فى التورية ويكفرون بالانجيل والفرقان وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ النبى معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع بِغَيْرِ الْحَقِّ
اى بغير جرم فَإِنْ قُلْتَ قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره قُلْتُ ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف
تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه
ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت الى سوق بقلها فى اخره وقتلوا زكريا ويحيى
وشعيا وغيرهم من الانبياء ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا اى ذلك القتل والكفر بما عصوا امرى وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى يتجاوزون
امرى ويرتكبون محارمى قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا يعنى اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك
اى ملنا اليك وقيل هادوا اى تابوا من عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى وَالنَّصَارَى
سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها وَالصَّابِئِينَ
اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال
عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ومناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى
يحلقون اوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن بالزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا
من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب
مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها فانما هى التى تعبد الله تعالى ولما ذكر الله تعالى هذه الطوائف قال مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنْ قُلْتَ كيف قال فى اول الاية ان الذين امنوا وقال فى اخرها من امن بالله فما فائدة التعميم
اولا ثم التخصيص اخرا قُلْتُ اختلف العلماء فى حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق

ثم

والصابئين

ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين فى زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب
وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى فمنهم من ادرك النبى صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه تعالى قال ان الذين
امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى من امن منهم بالله واليوم الاخر
وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين
هادوا يعنى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعنى فى زمن استقامة
امرهم من امن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان
فى اول الاية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين
امنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه تعالى يقول هؤلاء المبطلون كل من امن منهم الايمان
الحقيقى صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله تعالى ان الذين امنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حين الماضى و
ثبتوا على ذلك فى المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله واليوم الاخر وَعَمِلَ صَالِحًا اى فى ايمانه فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ اى جزاء اعمالهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اى فى الاخرة قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
اى عهدكم يا معشر اليهود وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ يعنى الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين
فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التورية على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فابوا
ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعنى الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم
وكان قدره فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما فى التورية والا ارسلت هذا الجبل
عليكم خُذُوا اى فقلنا لهم خذوا مَا آتَيْنَاكُمْ اى ما اعطيناكم بِقُوَّةٍ اى بجد واجتهاد وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ
اى ادرسوا ما فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل
فلما راوا ان ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا
يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود دفع عنا العذاب ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اى اعرضتم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
اى من بعد ما قبلتم التورية فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ اى بالامهال لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب فى العقبى قوله عز وجل وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
اى جاوزوا الحد فِي السَّبْتِ يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر
الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك
يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا امضى السبت
تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
ثم ان الشيطان وسوس لهم وقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها فى غيره فعمد رجال
منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل
الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها
وقيل انهم كانوا ينصبون الشصوص والحبائل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم ينزل بهم عقوبة فتجرؤا
على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة
اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف
انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله
لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبر على ذلك سنتين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم

لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطأوا تسوروا
عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل
خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه
عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها
من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله تعالى وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة
البقر وهي الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى القصة في ذلك
قال علماء السير والاخبار انه كان رجل غني في بني اسرائيل وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا
واشتبه امر القتيل على موسى فسأل موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله
يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي نحن نسألك عن امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا
بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى
اعوذ بالله اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق
السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها
لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل
وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل
وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله
ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله
فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة
كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال
اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت
البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك
فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك
بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام
بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير
فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله تعالى ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال
له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر
امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له
ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال استأمرت امك فقال
الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر دينارا ولا

تتامرها

تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فاذا اتاك
فقل له اتأمرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران
يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى
على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك
الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها
قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض
المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين الشيئين فافعلوا
ما تؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول
اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي اسائمة هي ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي التبس و
اشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى آخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست
مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بسانية والسانية هي التي
تسقي الماء من البئر لسقي الارض مسلمة اي بريئة من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها
قالوا الآن جئت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة
ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا
ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل واذ قتلتم
نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجوب القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم
من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما
كتمتم من امر القتيل لا محالة فلا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها اي ببعض البقرة
قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها
اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزأ وحصل المقصود وانه ليس في
القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله واوداجه
تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب
البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي الله الموتى يعني يوم القيمة ويريكم آياته
لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم
ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل
وما وجد من جناياتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر
وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة
ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل
ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن

الحيلة أبعد لاحتمال أن يتوهم متوهم أن موسى إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة فإذا أحيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة
وبما فعلوه هم انتفت الشبهة وعلم أن ذلك من عند الله وبأمره كان ذلك **فإن قلت** هلا أمروا بذبح غير البقرة
قلت الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت
العادة جارية عندهم ومنها أن هذا القربان كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها
بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذه صاحبها في ثمنها **فصل** في حكم هذه المسئلة
في شريعة الإسلام إذا وقعت وذلك أنه إذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثمة لوث على إنسان ادعي به واللوث
أن يغلب على الظن صدق المدعي بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن أن القاتل فيهم
أو وجد قتيل في محلة أو قرية وكلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فإن ادعى الولي
على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم فإذا حلفوا أخذوا الدية
من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطإ وإن ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الأكثرين
وذهب عمر بن عبد العزيز إلى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد فإن لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لأن الأصل
براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى
والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لأمر القتيل وعند أبي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل إذا وجد
قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فإن حلفوا
وإلا أخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن أبي حثمة
قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة وحويصة بن مسعود إلى خيبر وهو يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة إلى عبد الله
بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو أحدث القوم
سنا فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو قال صاحبكم فقالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال
فتبريكم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بأيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية
يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل
دمه فوداه بمائة من إبل الصدقة أخرجاه في الصحيحين والدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان
المدعيين لتقوى جانبهم باللوث لأن اليمين أبدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه
من حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله بيمينه والله أعلم قوله تعالى **ثم قست قلوبكم** أي يبست
وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** أي من بعد
ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هو إشارة إلى إحياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب
في الغلظ والشدة **كالحجارة** أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه **أو** قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو أي
وأشد قسوة **فإن قلت** لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة
وأصلب **قلت** لأن الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين
فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار** قيل أراد به جميع
الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى لسقي الأسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وإن منها
لما يشقق فيخرج منه الماء** يعني العيون الصغار التي هي دون الأنهار **وإن منها لما
يهبط من خشية الله** أي ينزل من أعلى إلى أسفل وخشيتها عبارة عن انقيادها لأمر الله وأنها

لا تسمع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع **فإن قلت** الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى
قلت إن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بإلهامه لها ومذهب أهل السنة أن لله تعالى في الجمادات
والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده
وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله تعالى **م** عن جابر بن سمرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن عن علي
رضي الله تعالى عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **خ** عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل
أصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي
صلى الله عليه وسلم حتى أخذها وضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من
الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا **وما الله بغافل عما تعملون**
فيه وعيد وتهديد والمعنى أن الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة قوله عز وجل
أفتطمعون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الداعي إلى الإيمان وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون **أن يؤمنوا لكم**
أي تصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام وكان
هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل المراد بالفريق
هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يصح
أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله **ثم يحرفونه** أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله
بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس إنها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك أنهم لما رجعوا
إلى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه
إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله
بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم من التوراة
من بعد ما عقلوه أي علموا صحة كلام الله تعالى ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه **وهم يعلمون** أي فساد
مخالفته ويعلمون أيضا أنهم كاذبون قوله تعالى **وإذا لقوا الذين آمنوا** نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس إن منافقي اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قالوا** لهم
آمنا بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق وإنا نجد نعته وصفته في كتابنا **وإذا خلا بعضهم إلى بعض**
يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك **قالوا أتحدثونهم
بما فتح الله عليكم** يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وقوله صدق
ليحاجوكم به أي ليخاصموكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه
نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أي في
الدنيا والآخرة وقيل هم يهود بني قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوان القردة والخنازير

حزب

قالوا من اخبر محمداً بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض
بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند ربكم افلا تعقلون اى ان ذلك لا يليق بما
انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم ما يسرون اى ما يخفون وما يعلنون اى ما يبدون
وما يظهرون قوله عز وجل ومنهم اميون اى من اليهود لا يعلمون الكتاب اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة
جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل عليه من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة الا اماني جمع امنية وهي التلاوة
ومنه قول الشاعر ◦ تمنى كتاب الله اول ليلة ◦ تمني داود الزبور على رسل ◦ اى تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير
عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم
واضافوها الى الله وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم وان هم
الا يظنون اى ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه
الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم
تاكيدا للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود
وذلك ان رؤساء اليهود خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا
في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين
ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العين سبط الشعر فكان اذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا عليهم ما كتبوا
ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة
فيجدونه مخالفا فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به اى بما كتبوا ثمنا قليلا اى المآكل والرشا التي
كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون قوله تعالى
وقالوا اى اليهود لن تمسنا اى لن تصيبنا النار الا اياما معدودة اى قدرا مقدرا ثم يزول
عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب
بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم
في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اى يا محمد قل لليهود اتخذتم
عند الله عهدا يعني موثقا الا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اى وعده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار من كسب سيئة السيئة
اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اى
احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته
فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك لقوله فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت العمل
الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل
الصالح بعد الايمان تكريرا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن
لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا
يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال

الصالحة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التورية
والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اى امر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى
هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اى برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله
تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان
اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على
عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة
عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى
اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة
على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق
اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين
جمع مسكين وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه
وينفع غيره بالخدمة وقولوا للناس حسنا فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل عن الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن
سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين بها هم الذين كانوا في زمن
موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر
وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق واقيموا الصلوة واتوا الزكاة ولما امرهم الله بهذه التكاليف
لتكون المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اى اعرضتم
عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم
معرضون اى كاعراض ابائكم قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم لا تسفكون اى لا تهريقون دماءكم اى لا
يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا تخرجوا به انفسكم
من دياركم ثم اقررتم اى بهذا العهد انه حق وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك
ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء اليهود تقتلون انفسكم اى يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اى تتعاونون عليهم بالمعصية
والظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى
تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا
ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم
وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين
جمعوا له ما لا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف
تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي ان نستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم

وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم
وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم
وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفدا قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم
على مناقضة افعالهم لا على الفدا الانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحيوة الدنيا اى عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني
النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اى استبدلوا الحيوة الدنيا
بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب اى فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله
عز وجل ولقد اتينا اى اعطينا موسى الكتاب يعني التورية جملة واحدة وقفينا اى واتبعنا
من التقفية وهو ان يقفوا اثر الاخرة من بعده اى من بعد موسى بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل
من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى
يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون
بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التورية فذلك قوله تعالى
واتينا عيسى بن مريم البينات اى الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وايدناه اى وقويناه بروح القدس
قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول
عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي الموتى وقيل هو الانجيل
لانه به حياة القلوب سماه روحا كما سمي القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور
وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه
اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السما فلما سمعت
اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به عيسى
ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
اى تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وفريقا تقتلون
يعني مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم قتلوه
وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي
عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج
الى علمك وقيل اوعية من الوعي اى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته
ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله فقليلا ما يؤمنون اى لم يؤمن منهم الا قليل
لان من امن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم

يعني التورية وهذا التصديق حجة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التورية وكانوا
يعني اليهود من قبل اى من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اى يستنصرون على الذين كفروا
يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر او دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان
الذي نجد صفته في التورية فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج فيه بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اى الذي عرفوا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا
نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين
بئسما اشتروا به انفسهم اى بئس شيئا الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا
بمعنى باعوا والمعنى بئسما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا اى حسدا
ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
فباؤا اى فرجعوا بغضب على غضب اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التورية وتبديلها
والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اى يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله
يعني بالقران وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية وما انزل على انبيائهم و
يكفرون بما وراءه اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والفرقان وهو الحق يعني القران
مصدقا لما معهم يعني التورية قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين
من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها بري منها
ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مؤمنين اى بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتل الانبيا قوله عز وجل
ولقد جاءكم موسى بالبينات اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد
موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى استجيبوا واطيعوا فيما
امرتم به قالوا سمعنا اى قولك وعصينا يعني امرك قيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه
وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اى تداخل حبه في قلوبهم
والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم ان يشربوا منه
فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يامركم به ايمانكم ان
كنتم مؤمنين اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا
دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم
الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت
اى فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت
فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اى في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن
يتمنوه ابدا اى لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما

ای دخل حب العجل والهوى بسبب الكفر
كما يدخل الصبغ في الثوب

اضاف الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده **والله عليم بالظالمين** فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم
بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان اعم وكانوا اولى به **ولتجدنهم** اللام
للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود **احرص الناس على حيوة** اي حياة متطاولة
والحرص اشد الطلب **ومن الذين اشركوا** قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا
فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر **قلت** افردهم
بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا
لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ
العظيم وقيل ان الواو واو استيناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا بذلك
لانهم يقولون بالنور والظلمة **يود** اي يتمنى **احدهم لو يعمر الف سنة** اي تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها
نهاية العقود وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون بره هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز والف مهرجان فهذه
تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك **وما هو بمزحزحه** اي بمباعده **من العذاب** اي النار
ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب **والله بصير بما يعملون** اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم
قوله عز وجل **قل من كان عدوا لجبريل** قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله ابن صوريا حبر من احبار اليهود
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لامنا بك ان جبريل
ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على
يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل
وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا
وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه
عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم
فقالوا انه ما في اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في
ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتبكم فقالوا من صاحب محمد الذي
ياتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف
وشدة وان ميكائيل يجي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم
قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله
عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال لقد وافقك ربك يا عمر
والله لقد رايتني بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه
وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله **فانه نزله** يعني جبريل نزل بالقران كناية عن غير مذكور
على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ **باذن الله** اي بامره **مصدقا** اي موافقا
لما بين يديه اي لما قبله من الكتب **وهدى وبشرى للمؤمنين** اي في القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة
التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال**
لما بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوا
لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم فبين في هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه

عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله **فان الله عدو للكافرين** فاما عداوتهم لله تعالى فانها لا تضره ولا تؤثر
وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذي لا اضر ولا اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة اوليائه فهو كقوله
ان الذين يحادون الله ورسوله اي يحادون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى
واحدا من هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد من هؤلاء فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر
وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه
ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان
اعجميان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله **ولقد انزلنا اليك ايات
بينات** قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء
نعرفه وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الايات ومعنى بينات اي واضحات مفصلات بالحلال
والحرام والحدود والاحكام **وما يكفر بها** اي وما يجحد بهذه الايات **الا الفاسقون** اي الخارجون عن طاعتنا
وما امروا به **اوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود
في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهدا فانزل
الله هذه الاية اوكلما استفهام انكار عاهدوا عهدا اي هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم
عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها **نبذه** اي طرح العهد ونقضه **فريق منهم** يعني اليهود **بل اكثرهم
لا يؤمنون** يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم **مصدق لما معهم** يعني مصدق بصحة التورية ونبوة موسى وقيل ان التورية بشرت بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مبعثه مصدقا للتورية **نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم** قيل اراد بالكتاب القران وقيل التورية وهو الاقرب لان النبذ لا يكون
الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران اما نبذهم التورية فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير
وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها **كانهم لا يعلمون** يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة
وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا
امره وكان اولئك النفر قليل قوله تعالى **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**
يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب
على ملك سليمان وهو قولهم ان سليمان تملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه **وقصة**
ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه
ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك فلم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه
فمنعهم من ذلك سليمان واخذ كتبه ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم
سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان
واما السفلة منهم فقالوا هذا من علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان
فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان **وما كفر سليمان** يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه لسليمان عن السحر
وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل
ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله من ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون

من محمد بن عمر ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا ينافي كونه ساحرا
كافرا ثم بين تعالى ان الذي برأه منه لاحق بغيره **ولكن الشياطين كفروا** يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم
الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى **يعلمون الناس السحر** يعني ما كتبت لهم الشياطين من كتب السحر وقيل
يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولانه يفعل في خفية وقيل
معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما
اري الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه
عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب
هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان
السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول
ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر
هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام
تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما
حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السحر من الكبائر وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه
وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى السحر الى هذه
الغاية صار كافرا بالله ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف
اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخيل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه
فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه
معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي عن مالك بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل
على الملكين** اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما وعلما وقرئ في
الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة
المشهورة بفتح اللام **فان قلت** كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة
تعليم السحر **قلت** قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم
بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى
عباده من بني آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة
لعباده من بني آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين
نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتخلص المؤمن بتركه التعلم منهما ويخزى الكافر بتعلمه السحر والكفر
منهما ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كانا عن اذن من الله تعالى لهما بتعليم ذلك
وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا
ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك

نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك
الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما يشاء
كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل** قيل هي بابل العراق
بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول اصح واشهر
هاروت وماروت اسمان سريانيان **وقصة** الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما
راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم
في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما
ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما
لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك
والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا
الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم اليهما امراة يقال لها
الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما راياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط
في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله
تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها
عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر
فشربا فلما انتشيا وقعا بالمراة فزنيا بها فراهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا للصنم وقيل
جاءتهما امراة من احسن النساء تخاصم زوجها فقال احدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم
قال هل لك ان تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله
من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان
تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما تعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما
لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني
حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال احدهما
للآخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها
الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها الزهرة بعينها وانكر آخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة
التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة
لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما
بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما
وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رايناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل
الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب
الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان

يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة
جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك قال لا اله الا الله
فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم
قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما
قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

فصل في القول بعصمة الملائكة

اجمع المسلمون على ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سوا في العصمة في
باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الانبيا فكذلك الملائكة وانهم مع الانبيا في التبليغ اليهم
كالانبيا مع امهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة
جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير
المرسلين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت
عن علي وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة فنقل قصة
هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار والسدي
والربيع ومجاهد واجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون
واهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء وهذه الاخبار انما اخذت من اليهود
وقد علم افتراؤهم على الانبيا والملائكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افترا اليهود على سليمان عليه
السلام اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان بالسحر الذي
افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة
وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتكم بما ابتليت به بني آدم لعصيتموني
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين
قبل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فاسد لان الله تعالى
لا يخير من اشرك وان كانت قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث ان المراة لما فجرت كيف يعقل
انها صعدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
فبان بهذه الوجوه ركاكة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق
بمنصبهم وقوله تعالى **وما يعلمان من احد** يعني احدا **حتى** ينصحاه اولا و**يقولا انما نحن فتنة**
اي ابتلاء ومحنة **فلا تكفر** اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات
فان ابى قبول نصحهما وصمم على التعلم يقولان له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في
السما فذلك الايمان والمعرفة وينزل شيء اسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله **فيتعلمون
منهما** يعني من الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين
الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين
الزوجين ابتلاء من الله تعالى لان السحر ليس له تاثير في نفسه بدليل قوله **وما هم** يعني السحرة **بضارين به**
اي بالسحر **من احد** اي احدا **الا باذن الله** تعالى بعلمه وقضائه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر
ويكون وذلك بقضاء الله وقدره ومشيئته **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** يعني السحر
لانهم يقصدون به الشر **ولقد علموا** يعني اليهود **لمن اشتراه** اي اختاره **ما له في الآخرة من خلاق**

يعني ما له نصيب في الجنة **ولبئس ما شروا به انفسهم** اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر
على الدين والحق **لو كانوا يعلمون فان قلت** كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه
عنهم آخرا في قوله لو كانوا يعلمون **قلت** قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة من خلاق ثم مع هذا العلم
خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن
فعل ذلك من العقاب فجعلهم حيث لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخين منه **ولو انهم** يعني اليهود **آمنوا** يعني بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن **واتقوا** يعني اليهودية والسحر وما تو بهم **لمثوبة من عند الله** اي لكان ثواب الله اياهم **خير**
لهم يعني الثواب **لو كانوا يعلمون** يعني ذلك قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا** سبب نزول هذه الاية
ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا
قبيحا بلغة اليهود معناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق
فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن فكانوا ياتونه ويقولون
راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها
من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا اي لكي لا تجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقولوا انظرنا**
اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا **واسمعوا** اي ما تؤمرون به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين
ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه
صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان سالوه يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين ولا يخاطبوه
بما يسر اليهود **وللكافرين** يعني اليهود **عذاب اليم ما يود** اي ما يحب **الذين كفروا من اهل الكتاب** يعني اليهود
ولا المشركين يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل
وعبدة الاوثان وهم من عبد غير الله **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله
عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا او بغيا منهم على المؤمنين وذلك
ان المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا بخير مما نحن فيه
ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم **والله يختص برحمته من يشاء** يعني انه تعالى يختص بنبوته
ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من احب من خلقه رحمة منه لهم **والله ذو الفضل
العظيم** يعني كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم ذلك بل
له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل **ما ننسخ من آية او ننسها** الاية وسبب نزولها ان المشركين قالوا
ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقاء نفسه
كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من آية فبين
بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل
والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات
مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا
وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب وعلى هذا المعنى
يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا والمراد من حكم هذه الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه

فصل في حكم النسخ

النسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع

سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور
من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ
وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه
على من كان قبلهم ومنها انه جاء في التورية ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت لك كل دابة
ماكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها
ان آدم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ
وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتورية والانجيل
وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو
الصحيح الذي عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى
ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها لان الآية اذا اطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعروف عندنا
مسئلة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من آية
او ننسها نأت بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الآتي والمأتي به من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن
وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة
لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله
عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية
فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوه احدها
ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرأوا سورة فلم يذكروا منها الا
بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة
رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما
الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها
وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل ما نجد الرجم في
كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة
او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن
مثل آية الوصية للاقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية اربعة اشهر
وعشرا وآية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القرآن واما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها وقرئ
بضم النون وكسر السين ومعناه ننسها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا
يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخها من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون
والسين وبالهمزة ومعناه نؤخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع
التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب
آخر او ننسأها اي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها نأت بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر
لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد او مثلها اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر

كان اسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عنهم
وما نسخ الى الاشق كان اكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان
فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات وكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه
الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستوى الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى الم تعلم
ان الله على كل شيء قدير اي من النسخ والتبديل والمعنى يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من
فرائضي التي كنت افترضتها عليك ما اشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما
فيهما بما يشاء من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا
النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله انه له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم
عبيده وتحت تصرفه ويحكم فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة وما لكم يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب
من دون الله اي مما سوى الله من ولي اي من قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور ولا نصير
اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم ايها المؤمنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على
اعدائكم قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى موسى بالتورية وقيل انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة
قبيلا كما سأل قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اتريدون ان تسألوا رسولكم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم كما سئل موسى من قبل وذلك ان موسى سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الآية منعهم ونهيهم
عن السؤالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان خطاب للمؤمنين واعلام لهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى
ان يقبلوا من اليهود شيئا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطأ قصد السبيل قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد
وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد
فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير اي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود
لو يردونكم اي يا معشر المؤمنين من بعد ايمانكم كفارا اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا
اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روي
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب او قال العشب
اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى آخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر
والمعاصي فتمنى آخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل
بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يأمر الله بذلك من بعد ما تبين
لهم الحق يعني في التورية ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا
واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال حتى يأتي الله

بأمره أي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والإجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو أمر الله تعالى له بقتالهم
في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية إن الله على كل شيء قدير فيه وعيد وتهديد لهم وأقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من إقام
الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا لأنفسكم من خير
أي من طاعة وعمل صالح وقيل أراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لأن الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله
يعني ثوابه وأجره حتى التمرة واللقمة مثل أحد إن الله بما تعملون بصير أي لا يخفى عليه شيء من قليل الأعمال وكثيرها
ففيه ترغيب في الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصي قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
أو نصارى أي يهوديا هو جمع هائد وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ولا دين إلا دين اليهودية
وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ولا دين إلا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى
اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله تعالى تلك أمانيهم
أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم أي حجتكم على دعواكم
أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم إن كنتم صادقين يعني فيما تدعون ثم قال
تعالى ردا عليهم بلى أي ليس كما تزعمون ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فإنه الذي يدخل الجنة وينعم
فيها ومعنى أسلم وجهه لله أخلص دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لأن أصل الإسلام الاستسلام
وهو الخضوع وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء وإذا جاد الإنسان بوضع وجهه على الأرض في السجود فقد جاد
بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن
تحمل عذبا زلالا يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الأرض والمزن وهو محسن أي في عمله لله
فله أجره عند ربه أي ثواب عمله ولا خوف عليهم أي في الآخرة ولا هم يحزنون أي على ما فاتهم
من الدنيا قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود
وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت
النصارى لليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب
وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل إن الإنجيل
الذي يدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني إسرائيل من الفرائض وإن التوراة
الذي يدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الأحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم
بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان
ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنهم ليسوا
على شيء مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم
نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء فالله يحكم بينهم أي يقضي بينهم يعني بين المحق والمبطل
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من أمر الدين قوله تعالى ومن أظلم ممن منع
مساجد الله نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني إسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم
وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا إلى أن بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله ومن أظلم أي ومن

أكفر وأعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلى له فيها وسعى
في خرابها وقيل إن بختنصر المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى
من أجل أن قتلوا اليهود يحيى بن زكريا أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وذلك أن بيت المقدس
موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي أو نصراني إلا خائفا إن علم به قتل وقيل أخيفوا
بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية
لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني النار وقيل إن
الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من يعمره بذكر الله
تعالى والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى أفتحها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها
وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الموسم لما نزلت سورة براءة ألا لا
يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فإن
قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام
قلت يجوز أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى
الصالحين فإن قلت أي القولين أرجح قلت رجح الطبري القول الأول وقال النصارى هم الذين سعوا في خراب
بيت المقدس بدليل أن مشركي مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الأوقات من الصلاة فيه وأيضا فإن الآية التي قبل هذه وبعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر
ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل أن النصارى يعظمون
بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولا ثالثا
وهو أنه كل مسجد قال وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو بعض الأزمنة محال
قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله سبب نزول هذه الآية قال ابن
عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب و
حضرت الصلوة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت
في المسافر يصلي التطوع حيثما توجهت به راحلته ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح
على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيثما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت
في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا
وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل إنها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث
شاؤوا من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب
وما بينهما خلقا وملكا وإنما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لأن له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وأن على
جميعهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فما أمرهم باستقباله فهو القبلة فإن القبلة ليست قبلة لذاتها

بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه إليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهناك قبلة الله التي وجهكم إليها و
قيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله أي يريدون
بالتوجه إليه رضاه إن الله واسع من السعة وهي الغنا أي يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والتدبير وقيل هو واسع
المغفرة عليم أي بأعمالكم ونياتكم حيث ما تصلوا وتدعوا لا يعزب عنه شيء مسئلة تتعلق بحكم الآية وهي
أن المسافر إذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي إلى الجهة
التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف القبلة فإن جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر إذا
بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال لقوله تعالى
وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي
مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه أي تنزيها لله فنزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن
قولهم وافترائهم عليه خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له
ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد
فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا بل له ما في السموات والأرض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب إليه الولد وهو داخل
فيهما وقيل إن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن التشبيه والنظير وقيل إن الولد إنما يتخذ للحاجة
إليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فإضافة الولد إليه محال كل له قانتون
يعني أن أهل السموات والأرض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية وأصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله
القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة
مقرون له بالوحدانية وقيل قانتون أي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص
ثم سلكوا في تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس هو راجع إلى
أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام لأن لفظة كل تقتضي الشمول والإحاطة بدليل
قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك وقوله عز وجل بديع
السموات والأرض أي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الأشياء أي يحدثها مما لم تكن
وإذا قضى أمرا أي قدره وأراد خلقه وقيل إذا أحكم أمرا وحتمه وأتقنه وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء
في اللغة على وجوه كلها ترجع إلى انقضاء الشيء وتمامه والفراغ منه فإنما يقول له كن فيكون أي إذا أحكم
أمرا وحتمه فإنما يقول لذلك كن فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده فإن قلت المعدوم لا يخاطب
فكيف قال فإنما يقول له كن فيكون قلت إن الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه وإذا كان كذلك كانت
الأشياء التي لم تكن كأنها كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود
وقيل اللام في قوله له لام أجل فيكون المعنى وإذا قضى أمرا فإنما يقول لأجل تكوينه وإرادته كن فيكون فعلى هذا
يذهب معنى الخطاب وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب لولا أي هلا يكلمنا الله أي عيانا بأنك
رسوله أو تأتينا آية أي دلالة وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم أي كفار الأمم
الخالية مثل قولهم وذلك أن اليهود سألوا موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات
ما ليس لهم مسئلته فأخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ما قال من كان
قبلهم تشابهت قلوبهم يعني أن المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة

والتكذيب وطلب المحال قد بينا الآيات أي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون
يعني أن آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالب اليقين وإنما خص
أهل الإيقان بالذكر لأنهم هم أهل التثبت في الأمور ومعرفة الأشياء على يقين قوله عز وجل إنا أرسلناك بالحق
أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالإسلام وقيل معناه إنا لن نرسلك عبثا بل إنا أرسلناك بالحق بشيرا
أي مبشرا لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا أي منذرا ومخوفا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم
ولا تسئل قرئ بفتح التاء على النهي قال ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري
ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية والمعنى إنا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به لا لتسأل عن أصحاب الجحيم وقرئ ولا
تسئل بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى إنا أرسلناك بالحق لتبلغ ما أرسلت به فإنما عليك البلاغ
ولست مسئولا عمن كفر عن أصحاب الجحيم أي عن أهل الجحيم سميت النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم
معظم النار قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك أنهم كانوا يسألون
النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى إنك وإن هادنتهم
فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك
أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي إلى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة
إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني إلا باليهودية ولا النصارى
يعني إلا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور إذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم
يعني دينهم وطريقتهم قل أي يا محمد إن هدى الله يعني دين الله الذي هو الإسلام هو الهدى أي يصح أن يسمى هدى
ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم يعني أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التي هي
أهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم أي البيان بأن دين الله هو الإسلام وأن القبلة هي قبلة إبراهيم
عليه السلام وهي الكعبة ما لك من الله من ولي يعني يلي أمرك ويقوم به ولا نصير أي ينصرك ويمنعك
من عذابه وقيل في قوله ولئن اتبعت أهواءهم إنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى إياكم
أخاطب ولكم أؤدب وأنهى فقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا
تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبيان ما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي
طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم
مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم
المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته أي يقرءونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون
بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه إلى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه
وأسراره أولئك يعني الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به أي يصدقونه فإن قلنا إن الآية في أهل
الكتاب فيكون المعنى أن المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن في
التوراة نعته وصفته وإن قلنا إنها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر ومن يكفر به أي يجحد بما فيه من فرائض الله ونبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك هم الخاسرون أي خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان قوله تعالى
يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي أيادي لديكم وصنيعي بكم واستنقاذي آباءكم من

أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم **وأني فضلتكم على العالمين** أي واذكروا تفضيلي آباكم على عالمي زمانكم
وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد
وتذكير النعم **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا** وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين
كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تقي فيه نفس عن نفس شيئا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** أي ولا
تقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن
أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل إنه رد على اليهود في قولهم
إن آباءنا يشفعون لنا **ولا هم ينصرون** أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم قوله عز وجل
وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات إبراهيم اسم عجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن تارخ وهو
آزر بن ناحور بن شاروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد
إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى
أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار وإبراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى
فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فإنهم أيضا يعترفون
بفضله ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الإسلام زاده شرفا
وفضلا فحكى الله تعالى عن إبراهيم أمورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم
والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله على إبراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديقه
وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان وقيل ليختبر به
حال الإنسان فإذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني
ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لأنه عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا
يتنزل قوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام
فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرائع الإسلام لم يبتل بها أحدا فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة
فقال وإبراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد ابتلى الأنبياء بجميع ما أمروا
به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشر في سورة الأحزاب في قوله إن المسلمين
والمسلمات الآية وعشر في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وهي مذكورة أيضا
في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان
والاستنجاء بالماء (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من
الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل
البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة قال وكيع
انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الأشياء المذكورة في الحديث
وأنها من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا وعلينا سنة واتفق العلماء على أنها من الملة

وأما معانيها فقد قيل قص الشارب وإعفاء اللحية فيه مخالفة للأعاجم فإنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما
معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والأنف من الطعام والقلح
والوسخ وأما قص الأظفار فللجمال والزينة فإنها إذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد
التي في ظهور الأصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الإبط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ
في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الأذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف
العلماء في وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب غيره
إلى أنه سنة وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن إبراهيم بالقدوم ويروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدده
قال هو اسم موضع عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول
الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال رب زدني وقارا
أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات إنها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن
النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل إن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره
أن يعمل بهن **فأتمهن** أي أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص
منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية إني جاعلك
للناس إماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي
الإلهي وذلك بعد النبوة والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإنه إن فسر بما
وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى **قال إني جاعلك للناس إماما** أي يقتدى بك
في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والإمام هو الذي يؤتم به **قال ومن ذريتي** أي قال إبراهيم واجعل من ذريتي
وأولادي أئمة يقتدى بهم **قال الله لا ينال** أي لا يصيب **عهدي** أي نبوتي وقيل الإمامة **الظالمين** يعني من
ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى **وإذ جعلنا
البيت** يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإنه تعالى وصفه بكونه آمنا وهذا صفة جميع الحرم **مثابة
للناس** أي مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع والمعنى يثوبون إليه من كل جانب يحجونه **وأمنا** أي موضعا ذا أمن يأمنون
فيه من أذى المشركين فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس ومعاذا وملجأ (ق) عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله
إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة
لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر
فإنه لقينهم وبيوتهم فقال إلا الإذخر معنى الحديث أنه لا يحل لأحد أن ينصب القتال والحرب في الحرم وإنما أحل ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لأحد بعده وقوله لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد
به ما لا يؤذي فأما المؤذي منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج
قوله ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها أي نشدها والنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا
لمن يعرفها حولا فإن جاء صاحبها أخذها وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على
الدوام بخلاف غيرها من البلاد فإنه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور الرطب من النبات الذي يرعى
وقيل وهو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه قوله لقينهم القين الحداد قوله عز وجل **واتخذوا من مقام إبراهيم**

مُصَلّىً قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان اثر رجل ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلوة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ق عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال ما اتخذت النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال اذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه

فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال اين اسمعيل فقالت امرأته ذهب يصيد فقالت امرأته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ها هنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امرأة اسمعيل قالت لابراهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلوة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم قبلة امروا بالصلوة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلوة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلوة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الذي يصلي فيه **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ** اي امرناهما والزمناهما واوحينا عليهما قيل انما سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ** يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول الزور **لِلطَّائِفِينَ** يعني الدائرين حوله **وَالْعَاكِفِينَ** يعني المقيمين به المجاورين له **وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلوة لاهل مكة بمكة افضل قوله تعالى **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا** اشارة الى مكة وقيل الى الحرم **بَلَدًا آمِنًا** اي ذا امن يأمن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان **قلت** قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة **قلت**

لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك
فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة
قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة
واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم
ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى
يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها وعن اهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى
ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله دعوته
والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال
صيدها او شجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم **وارزق اهله من الثمرات** انما سأل ابراهيم
ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء **من آمن
منهم بالله واليوم الآخر** يعني ارزق المؤمنين من اهله خاصة **وسبب** هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام
لما سأل ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تاديبا له فلا
جرم خص هاهنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله **قال
ومن كفر فامتعه قليلا** اي سارزق الكافر ايضا **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الجئه واكرهه
وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه **وبئس المصير** اي وبئس المكان
الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله عز وجل **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل**
وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت
زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم عليه السلام الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى
فانزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع
البيت وقال يا آدم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر
الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله
على البيت فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان
فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل
حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله
تعالى امر ابراهيم بعدما ولد اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة
لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب
وقيل هي الملتوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت
فتطوقت عليه كتطوي الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها
الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست

لهما

له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل
البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد جمع قاعدة وهي اس
البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل
بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني
بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم
ان لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم واسمعيل
بسبعة املاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا **ربنا تقبل منا** وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا
تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك **انك انت السميع** اي لدعائنا **العليم** يعني بنياتنا
قوله تعالى **ربنا واجعلنا مسلمين لك** يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك **فان قلت**
الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد او الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما
فائدة هذا الطلب **قلت** فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين
لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال **ومن ذريتنا** اي ومن اولادنا **امة**
اي جماعة **مسلمة** اي خاضعة منقادة **لك** وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله
لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا اخص بعض الذرية بالدعاء **فان قلت** لم خص ذريتهما بالدعاء
قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا
صلحوا اصلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من
وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم **وارنا** اي علمنا
وبصرنا **مناسكنا** اي شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبدنا
واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ
عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات **وتب علينا** اي وتجاوز
عنا **انك انت التواب** المتجاوز عن عباده **الرحيم** بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء
ووجهه ان التوبة لا تطلب الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه بان
العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى
والافضل فكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل له
التوبة لاولئك الظلمة والمعنى تب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء
لانفسهما والمراد ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا
الله تعالى بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لان ذلك المكان هو موضع
التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**
يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم
يعني يدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان اقرب
لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمد صلى الله عليه وسلم
لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد

بمكة

محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناده عن عرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله
مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي
رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضاءت منه قصور الشام قوله لمنجدل في طينته معناه انه مطروح على وجه
الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء
ابراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة عيسى عليه السلام
قوله في سورة الصف ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد **يتلو عليهم** اي يقرأ عليهم **آياتك** يعني ما
توحيه اليه وهو القرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم لان الذي كان يتلو عليهم القرآن فوجب حمله عليه
ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة
والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف
والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره **والحكمة** اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى
الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من
الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف المفسرون في المراد
بالحكمة هاهنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة
هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيئا اخر
وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم
والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضا وقيل هي فهم القرآن
والمعنى ويعلمهم ما في القرآن من الاحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة و
عظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة **ويزكيهم** اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وساير
الارجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ
ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال **انك انت العزيز** قال ابن عباس لا يوجد مثله وقيل هو الذي
يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم ارض عزاز
اي صلبة قوية **الحكيم** اي العالم الذي لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا وايجادها على غاية الاحكام
قوله تعالى **ومن يرغب عن ملة ابراهيم** سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن سلام دعا ابني
اخيه الى الاسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا
اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله ومن يرغب
عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون
بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم
من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك فان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب
عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك
دينه وشريعته يقال رغب في الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه **الا من سفه نفسه** قال ابن عباس
خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف
الراي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه
فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والضعف والعجز والفنا ويعرف ربه بالعز والقدرة والبقا ويدل على

٧ والقوة مع

هذا

٢٧

هذا ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف
والعجز والفنا واعرفني بالقدرة والقوة والبقا **ولقد اصطفيناه** اي اخترناه **في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين** يعني الفائزين وقيل مع الانبيا في الجنة **اذ قال له ربه اسلم** اي استقم على الاسلام
واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشاؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين
خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها
الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم **قال اسلمت لرب العالمين** قال ابراهيم خضعت
بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله
واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا
بالله فامره ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري
لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار قوله عز وجل
ووصى بها ابراهيم بنيه يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله ويقال بالسنة الحنيفية وكان
لابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة ومدين ومداين ونفشان وزمران ونشق ونشوخ
وامهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة **فان قلت** لم قال وصى بها ابراهيم بنيه
ولم يقل امرهم **قلت** لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك
الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان
شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيره وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم
ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص
وقت الولادة في الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره اخذا بعقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون
ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم الدين دين الاسلام **فلا تموتن الا وانتم مسلمون**
اي مؤمنون مخلصون والمعنى دوموا على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت
على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى **ام كنتم شهداء** جمع شهيد وهو بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت**
اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى
بنيه باليهودية فانزل الله هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت
اي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي
ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه
فقال تعالى **اذ قال** يعني يعقوب **لبنيه** يعني لاولاده الاثني عشر **ما تعبدون من بعدي** اي اي شيء
تعبدون من بعدي قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحيوة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل
مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال
لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي **قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق**
انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الآبا وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم ابا

والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عم العباس ردوا على ابي **الها واحدا ونحن**
له مسلمون اي مخلصون العبودية **تلك امة** اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب وولدهم **قد خلت** اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل
واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم **لها ما كسبت** يعني من العمل **ولكم** يا معشر اليهود
والنصارى **ما كسبتم** اي من العمل **ولا تسئلون عما كانوا يعملون** يعني كل فريق يسأل عن عمله لا عن
عمل غيره قوله عز وجل **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا** قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب
واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل
الانبيا وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم و
القرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل
قل يعني يا محمد **بل ملة ابراهيم** يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله **حنيفا**
اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف هو المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام
قال الشاعر ، ولكنا خلقنا اذ خلقنا ، حنيفا ديننا عن كل دين ، والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها
على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعني الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم
عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم
وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى **قولوا آمنا بالله** يعني قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء
والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا آمنا بالله اي صدقنا بالله **وما انزل الينا** يعني القرآن
وما انزل الى ابراهيم اي وآمنا بما انزل الى ابراهيم وهي عشر صحايف **واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** وهم
اولاد يعقوب الاثني عشر واحدهم سبط وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين
سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبيا
وما اوتي موسى يعني التورية **وما اوتي عيسى** يعني الانجيل **وما اوتي النبيون من ربهم**
والمعنى آمنا ايضا بالتورية والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور
وان الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى حق **لا نفرق بين احد منهم**
اي لا نؤمن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم واقرت ببعض الانبيا
وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبيا بل نؤمن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا
على حق وهدى **ونحن له مسلمون** اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية قوله تعالى **فان آمنوا** يعني اليهود والنصارى
بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء وقيل فان اتوا بايمان
كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم **فقد اهتدوا** والمعنى ان حصلوا دينا آخر مثل دينكم في الصحة والسداد فقد اهتدوا
لكن لما استحال ان يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه
على التوحيد والاقرار بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا **وان**
تولوا اي اعرضوا **فانما هم في شقاق** اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله

اليهود صح

من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على
صاحبه ويؤذيه **فسيكفيكهم الله** اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى
لاظهار رسوله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد انجز الله ما وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى **وهو السميع**
لاقوالهم **العليم** باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم بجميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه قوله تعالى **صبغة الله** قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين
كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن
عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية
وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام
لا ما تفعله النصارى **ومن احسن من الله صبغة** اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من وسخ الكفر
ونحن له عابدون اي مطيعون **قل** يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم
وامروكم باتباعهم **اتحاجوننا في الله** اي اتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان ندين به و
المحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم والانبيا منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله
منكم فامر الله المؤمنين بان يقولوا لهم اتحاجوننا في الله **وهو ربنا وربكم** اي نحن وانتم في الله سواء فانه
ربنا وربكم **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** يعني ان لكل احد جزاء عمله **ونحن له مخلصون** اي مخلصوا
الطاعة والعبادة لله وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله
لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك
والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عز وجل **ام تقولون** يعني اليهود
والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ **ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا**
او نصارى يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت النصرانية واليهودية
بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه **قل** يا محمد **أأنتم اعلم** يعني بدينهم **ام الله** اي الله
اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفا **ومن اظلم ممن كتم**
يعني اخفى **شهادة عنده من الله** وهو علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنعته وصفته يجدون
ذلك في كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها **وما الله**
بغافل عما تعملون يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفا
وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى وما الله بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم
يعاقبكم عليه في الآخرة **تلك امة قد خلت** يعني ابراهيم وبنيه **لها ما كسبت** اي جزاء ما كسبت
ولكم ما كسبتم اي جزاء ما كسبتم **ولا تسئلون عما كانوا يعملون** يعني ان كل انسان انما يسئل
يوم القيمة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآبا وشرفهم
اي لا تتكلوا على فضل الآبا فكل يؤاخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلفت مواطن الحجاج والمجادلة
حسن تكريره وتاكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود لئلا يغتروا بشرف آبائهم قوله تعالى **سيقول السفهاء**
من الناس اي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك
ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح في امر دنياه يعد سفيها فمن كان ذلك في امر دينه كان اولى

ان صح

بغافل صح

بهذا الاسم ولا كان من الا وهو سفيه ولهذا امكن حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الاية
في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك
انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين
وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالوا
او مجالا لا جالوا **ما ولاهم** يعني اي شيء صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة
التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله **قل**
يا محمد **لله المشرق والمغرب** يعني ان له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة
لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله **يهدي من يشاء**
يعني من عباده **الى صراط مستقيم** يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل **وكذلك
جعلناكم امة وسطا** الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء المشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم
من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين
المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا اخيارا وخير الامور اوسطها قال زهير هم وسط يرضى الانام
بحكمهم اذا انزلت احدى الليالي بمعظم وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في
امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الاية
ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس
فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل قوله تعالى **لتكونوا شهداء على الناس** يعني يوم القيمة
ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد على من ترك الحق من الناس اجمعين **ويكون الرسول**
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **عليكم شهيدا** يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد
ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم
للبينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فتسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا
رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته
يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك
فيقول محمد وامته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا قوله تعالى **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**
اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه وقيل
معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة **الا لنعلم من يتبع الرسول** **فان قلت** ما معنى قوله
الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها **قلت** اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به
في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى

الرؤية

الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة **ممن ينقلب على عقبيه** وقيل معناه الا ليعلم رسلي وحزبي
واوليائي من المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير
كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه
على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه رفقا بعباده
المخاطبين وقيل معناه لنعلمنا لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين ومعنى من
يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث
انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابائه **وان كانت** اي وقد كانت
لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة
التي وجه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث التولية **الا على الذين
هدى الله** يعني الصادقين في اتباع الرسول **وما كان الله ليضيع ايمانكم** يعني صلاتكم الى بيت المقدس
وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى
فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال
المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا
وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا
من النقباء ورجال اخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة
ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
الى بيت المقدس **ان الله بالناس لرؤف رحيم** يعني لا يضيع اجورهم والرأفة اخص من الرحمة وارق وقيل الرأفة
اشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرحمة والرأفة ان الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع
المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام
فذكر الله الرأفة اولا بمعنى انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل **قد نرى
تقلب وجهك في السماء** سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة
فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتألف بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب
الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التورية فصلى الى بيت المقدس
بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب
ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم
على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك وتصرف نظرك في
السماء اي الى جهة السماء وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها رأس القصة
واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة **فلنولينك** اي فلنحولنك ولنصرفنك **قبلة** اي فلنصرفنك
عن بيت المقدس الى قبلة **ترضاها** اي تحبها وتميل اليها **فول وجهك شطر المسجد الحرام**
اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة (ق) عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه
كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر

في السماء اي ...

على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم ق عن البرا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر
شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان
صلى معه فمر على اهل مسجد قبا وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة
فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل
البيت انكروا ذلك قال البرا في حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله
وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلما في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال النصف
من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثا لثمانية عشر
شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة
وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا
مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا في صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس
بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر ان يستقبل
القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى **وحيث ما كنتم** يعني من بر
او بحر مشرق او مغرب **فولوا وجوهكم شطره** اي نحو البيت وتلقاه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح قيل اراد بالمشرق مشرق الشتا في اقصر يوم من السنة
وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتا عن يساره
كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق ولان المشرق الشتوي جنوبي متباعد عن خط الاستوا بمقدار الميل والمغرب
الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستوا والذي بينهما فوسطهما مكة والفرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة
ولمن بعد عن مكة اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة الى الكعبة
قالت اليهود يا محمد ما هو الا شي ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبتت
على قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى **وان الذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود **ليعلمون
انه الحق من ربهم** يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى **وما الله بغافل عما يعملون** يعني
وما انا بساه عما يفعل هولاء اليهود فانا اجازيهم عليه في الدنيا والاخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم
يا معشر المومنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب
واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى **ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود **بكل اية** اي بكل معجزة وقيل بكل
حجة وبرهان وذلك انهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الاية **ما تبعوا قبلتك** يعني الكعبة
وما انت بتابع قبلتهم يعني اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة
فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هولاء مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها **وما
بعضهم بتابع قبلة بعض** يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود
لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة **ولين اتبعت اهواهم** يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت
الى قبلتهم **من بعد ما جاك من العلم** اي من امر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان
اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق **انك اذا لمن الظالمين** يعني انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة
من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع

اهواهم ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل **الذين اتيناهم الكتاب**
يعني علما اليهود والنصارى وقيل اراد به مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه **يعرفونه** اي يعرفون محمدا
صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم **كما يعرفون ابناءهم** اي لا يشكون
فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم ابناوهم من ابناء غيرهم روي ان عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام ان الله
انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر
لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذاك فقال
اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما تصنع النسا فقبل عمر راس عبد الله وقال وفقك الله
يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علما اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة
التي صرفت اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون ابناءهم لا يشكون في ذلك **وان فريقا منهم**
اي من علما اهل الكتاب **ليكتمون الحق** يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة **وهم يعلمون**
ان كتمان الحق معصية وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التورية والانجيل وهم مع ذلك
يكتمونه **الحق** اي الذي يكتمونه هو الحق **من ربك فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين في ان الذين
تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك
فان قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي **قلت** هذا الخطاب وان كان
للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المومنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى
ولكل وجهة اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في المتوجه الى
القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد جميع المسلمين اي ولكل اهل جهة من الافاق وجهة من الكعبة يصلون
اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا
اختلف الشرايع بحسب اختلاف الازمان والاشخاص **هو موليها** اي مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة
هو مولي وجهه اليها وقيل متوليها اي مختارها وقيل ان هو عايد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله هو موليها اياه
وقرئ مولاها اي مصروف اليها **فاستبقوا الخيرات** اي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه
حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول الوقت
افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب **اينما تكونوا**
يعني انتم واهل الكتاب **يات بكم الله جميعا** يعني يوم القيمة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل
المعصية بالعقاب **ان الله على كل شي قدير** اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة
لمستحق العقوبة قوله عز وجل **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام** اي من اي موضع
خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه **وانه** يعني التوجه اليه **للحق من ربك**
اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه **وما الله بغافل عما تعملون** اي ليس هو بساه عن اعمالكم
ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيمة **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** فان قلت هل في هذا التكرار فايدة **قلت** فيه
فايدة عظيمة جليلة وهو ان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار
لاجل التاكيد والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لنقلهم من جهة الى جهة
لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود

فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا فى قوله **الا الذين ظلموا منهم** متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونكم بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجة اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اى لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل فى معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التورية ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبى الذى نجده فى كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اى الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق **فلا تخشوهم** اى فلا تخافوهم فى انصرافكم الى الكعبة فى تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فانى وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة **واخشونى** اى احذروا عقابى ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم **ولاتم نعمتى عليكم** اى ولكى اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم ليتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة **ولعلكم تهتدون** اى لكى تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى **كما ارسلنا فيكم** كاف التشبيه تحتاج الى شئ ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل فى ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتى عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكرونى اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة فى امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذلك قوله منكم وفى ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب **رسولا منكم** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **يتلو عليكم اياتنا** يعنى القران وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر **ويزكيكم** اى ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتم صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال **ويعلمكم الكتاب** يعنى احكام الكتاب وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار **والحكمة** يعنى السنة والفقه فى الدين **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** يعنى يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاذكرونى** قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر فى عظمة الله وفى الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال التى امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التى للجوارح فيها فعل **اذكركم** اى بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى وقيل اذكرونى فى النعمة والرخا اذكركم فى الشدة والبلاء وقال اهل المعانى اذكرونى بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكرونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكرونى بالدعا اذكركم بالعطا

ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدى بى قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه حين يذكرنى يعنى بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى النفس فى اللغة لها معان منها ذات الشئ والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرنى خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه احد قوله وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم الملاء اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رايهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبيا واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون فى جماعة لا نبى بينهم قوله وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشى والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بتقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتانى يمشى فى طاعتى اتيته هرولة اى صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها **ق** عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه **ق** عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره كمثل الحى والميت **م** عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذى كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى **واشكروا لى** يعنى بالطاعة **ولا تكفرون** اى بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة** انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق فى العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس فى مواقيتها على تمحيص الذنوب **ان الله مع الصابرين** اى بالعون والنصر **ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات** نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابى وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهرى اخو سعد بن ابى وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بنى غبشان وعاقل بن البكير من بنى سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا من بنى الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفرا وهى امهما كان الناس يقولون لمن قتل فى سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الاية واخبر ان من قتل فى سبيل الله فانه حى بقوله **بل احياء** وانما احياهم الله عز وجل فى الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه

دليل على ان المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم **فان قلت**
نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احيا وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات **قلت**
معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احيا تصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح الشهدا
في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احيا من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب
اخر وهو انهم احيا عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله
تعالى **ولكن لا تشعرون** اى لا ترونهم احيا فتعلموا ذلك حقيقة وانما تعلمون باخباري اياكم به **فان قلت**
اليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهدا بما ذكر **قلت**
انما خصهم لان الشهدا فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم
ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه رد القول من قال ان من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فاخبر الله بقوله بل احيا بانهم في نعيم دائم قوله تعالى **ولنبلونكم** اى ولنختبرنكم يا امة محمد
واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلا لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيا لم يكن عالما
به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها وحدوثها **بشيء** انما قال بشيء ولم يقل باشيا لئلا يوهم
ان اشيا تدل على ضروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء **من الخوف** وبشيء من
الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشيا من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه
يحصل منه الم في القلب والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت **ونقص من الاموال** يعني بالهلاك او
الخسران **والانفس** اى ونقص من الانفس بالموت والقتل **والثمرات** يعني الجوايح في الثمار وقيل قد تكون
بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله
تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض
والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده قالوا نعم قال
فما قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلا في قوله ولنبلونكم **قلت** فيه حكم منها ان العبد
اذا علم انه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا
المومنين مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك الى متابعته
والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنايم فلما
اخبر الله انه مبتلي عباده فعند ذلك تميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال
الابتلاء اشد اخلاصا لله من حال الرخا فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه مما
عسى ان ينزل به من البلا ثم قال تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلاء وبشر يا محمد الصابرين
على امتحاني بما امتحنتهم به من الشدايد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة**
اى نائبة وابتلية **قالوا انا لله** يعني عبيدا وملكا **وانا اليه راجعون** يعني في الاخرة
م عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا
لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا

منها

منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب الا تسمع الى قوله
عند فقد يوسف يا اسفي على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به
من المصايب **اولئك** يعني من هذه صفتهم **عليهم صلوات من ربهم** قال ابن عباس اى مغفرة من ربهم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى اى اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد
مغفرة ورحمة بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعام وافضال واحسان ومن الادميين رقة و
تعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك
العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتاكيد اى عليهم رحمة بعد رحمة **واولئك هم المهتدون**
يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب
نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية **فصل** في ذكر احاديث
وردت في ثواب اهل البلا واجر الصابرين **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك **ق** عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله
عنه بها خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض **ق** عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله عنه به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها **ق** عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا تزال الريح تفييه ولا يزال المومن يصيبه البلاء
ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد الارزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر
والصنوبر ثمرة الارز وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله
بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبد الشر امسك عنه حتى يوافي به يوم القيمة وبهذا الاسناد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن
سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم
القيمة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمومن والمومنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث
حسن صحيح **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي جزاء اذا
قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة **م** عن سعيد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد
بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه
رقة هون عليه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعائر الله** الصفا جمع صفاة وهي
الصخرة الصلبة الملسا وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما
في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك دخل فيهما الالف واللام وشعاير الله
اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكلما كان معلما لقربان يتقرب به
الى الله من صلاة ودعا وذبيحة فهو شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعاير
الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته
فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما **فمن حج البيت** اى قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع

عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك **او اعتمر** اى زار البيت والعمرة الزيارة ففى الحج والعمرة المشروعين
قصد وزيارة **فلا جناح عليه** اى فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف بهما**
اى يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة
فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين
فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية واذن فى
السعى بينهما واخبر انه من شعائر الله ق عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعى بين
الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفى رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين
الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله **فصل** اختلف العلماء فى حكم السعى
بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وبه
ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وابو حنيفة
الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا شئ عليه واختلف
الرواية عن احمد فى ذلك فروى عنه ان من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه انه لا شئ فى
تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى
فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحت الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية
لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة
لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب او غير واجب فحجة الشافعى
ومن وافقه فى ان السعى بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعى بسنده عن صفية
بنت شيبة قالت اخبرتنى بنت ابى تجراة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش
دار ال ابى حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان مئزره
ليدور من شدة السعى حتى لاقول انى ارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه
الدارقطنى ق عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى
ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيئا
ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت
هذه الاية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة
فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
الاية م عن جابر فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا
قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فاذا ثبت ان النبى صلى الله عليه
وسلم سعى وجب علينا السعى لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله عليه السلام خذوا عنى مناسككم والامر للوجوب
ومن القياس ان السعى اشواط شرعت فى بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به فى احرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة
واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعى بقوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال فى الواجبات
ثم انه تعالى اكد ذلك بقوله **ومن تطوع خيرا** فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله
تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه

فلا

فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا
لا يقتضى ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور وبل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا اخر يدل
على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع التطوعات فى الدين يعنى فعل فعلا زائدا على ما افترض
عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع
خيرا بالطواف بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف
بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم **فان الله شاكر** اى مجاز على الطاعة **عليم** اى بنيته وحقيقة
الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك
لانه لا تلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازى على الطاعة
بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم قوله تعالى **ان الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى** نزلت فى اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت فى التورية وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم شيئا من امر
الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال
ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع
الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته ق عن ابى هريرة قال ولولا
ايتان انزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى اخر الايتين
وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا اظهره البعض بحيث يتمكن كل
احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره
والا فلا **من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب** يعنى فى التورية من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه
من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة **اولئك** يعنى الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى
يلعنهم الله اى يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد **ويلعنهم اللاعنون**
قال ابن عباس جميع الخلائق الا الجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر المعاصى بنى ادم
وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين
الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال
الا الذين تابوا اى ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام **واصلحوا** يعنى
الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى **وبينوا** يعنى ما كتموا من العلم **فاولئك اتوب عليهم** اى
اتجاوز عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرفة عنى الى
الرحيم يعنى بهم بعد اقبالهم على قوله عز وجل **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين** قيل هذا اللعن يكون يوم القيمة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه
الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعون **فان قلت** الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل
دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين **قلت** فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه
وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيمة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر
من الظالمين فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما

علماء صح

اضمرت لعظم شانها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا تعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله تعالى فى هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه فى الصحيح قوله تعالى والهكم اله واحد سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل واحد فى الاهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد يعنى لا شريك له فى الالهية ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد فى افعاله لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبهه شئ من خلقه لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعنى انه المولى لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحى القيوم اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان من الصادقين فانزل الله هذه الآية ان فى خلق السموات والارض وعلمهم كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر فى اياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففى ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع فى افعالهما التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه من عجائب مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والآية فى السماء هو سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية فى الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثانى قوله تعالى واختلاف الليل والنهار اى تعاقبهما فى المجئ والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والآية فى الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله تعالى والفلك التى تجرى فى البحر اى السفن واحده وجمعه سواء وسمى البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والآية فى الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما ينفع الناس يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات

لطلب

لطلب الارباح والآية فى ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشئ معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار فى الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء يعنى المطر قيل اراد بالسماء السحاب سمى سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها خلق الله الماء فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض فاحيا به اى بالماء الارض بعد موتها اى بعد يبسها وجدوبها سماه موتا مجازا لانه اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهى كالميتة والآية فى انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى وبث اى فرق فيها اى فى الارض من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والآية فى ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد وهو آدم ثم ما فيهم من الاختلاف فى الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بنى آدم سائر الحيوان النوع السابع قوله تعالى وتصريف الرياح يعنى مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكباء وهى الريح التى تاتى من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها فى احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة فى ثلاث من الرياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هى الريح العقيم التى اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والآية فى الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهى مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود امسكت طرفة عين لمات كل ذى روح وكنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض اى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والآية فى ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله لآيات اى فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة على وحدانيته وقيل انما جمع آيات لان فى كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون اى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس يعنى المشركين من يتخذ من دون الله اندادا يعنى اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام اندادا بعضها لبعض وليست اندادا لله وتعالى الله ان يكون له ند او مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم رؤساهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله يحبونهم اى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اى جعلته معرضا بان احبه والمحبة الارادة كحب الله اى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحبهم الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله تعالى ومن قال بالقول الثانى اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب والذين آمنوا اشد حبا لله اى اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا

صنما ثم راوا آخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدائد
ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى
في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة
فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود
بالمحبة كانت محبته اتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا
قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب لرأيت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه
ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من
الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا
عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا
معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله شديد العذاب قوله تعالى
اذ تبرأ اي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب اي القادة من مشركي
الانس من الاتباع وذلك يوم القيمة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب
بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤون من الانس والقول هو الاول
وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال
التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت معهم اي بينهم يتوادون عليها واصل السبب
في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها
بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم
اي من المتبوعين كما تبرؤوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة والغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر
عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا
فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة
فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم
ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة
والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي
هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان
النجس تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به
ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي
النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى انه لكم عدو مبين
اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته باباية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم
بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول او
فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل معنى الفحشاء الزنا وقيل هي البخل وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المعاصي والمذاهب الفاسدة التي لم

يأذن فيها ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر
التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج
ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر
له على ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما
قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة
مستانفة والضمير في لهم يعود على غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه
الاية وقيل ان الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم
مشركو العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله
يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم قالوا بل نتبع
ما الفينا يعني وجدنا عليه اباءنا يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى او لو كان اباؤهم
يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص
وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي للغنم ولا يقال نعق الا للراعي
بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم
وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة
الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول
صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله
كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق
وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه
بشيء غير انه عنا من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق
بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم
لانهم اذا سمعوا الحق ودعا الرسول لم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال لمن لم يسمع ولا
يعقل كانه اصم بكم اي عن النطق بالحق عمي عن طريق الهدى فهم لا يعقلون وقيل المراد به العقل الكسبي
لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع
الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر
به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن
والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام

فاباح الله لهم ذلك **واشكروا لله** يعنى على نعمه **ان كنتم اياه تعبدون** اى اشكروا الله الذى رزقكم
هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه
عليها قوله تعالى **انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** لما امرنا الله تعالى فى الاية التى
تقدمت باكل الطيبات التى هى الحلالات بين فى هذه الاية انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما فارقه الروح
من غير ذكاة شرعية مما يذبح واما الدم فهو الجارى كانت العرب تجعل الدم فى المصادين ثم تشويه وتاكله فحرم
الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل **وما
اهل به لغير الله** يعنى وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا
يرفعون اصواتهم بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر
بالتسمية **فمن اضطر** يعنى الى اكل الميتة واحوج اليها **غير باغ** اصل البغى الفساد **ولا عاد** اصله من العدوان
وهو الظلم ومجاوزة الحد **فلا اثم عليه** اى فاكل فلا اثم عليه اى فلا حرج فى اكلها **ان الله غفور رحيم** اى لما
اكله فى حال الضرورة **رحيم** يعنى حيث رخص لعباده فى ذلك **فصل** فى حكم الاية وفيه مسائل
الاولى فى حكم الميتة اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد
اما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخارى ومسلم
قال الترمذى فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روى عن ابن ابى اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه اخرجاه فى الصحيحين واختلف فى السمك الميت
الطافى على وجه الماء فقال مالك والشافعى لا باس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن ابن صالح بن حى انه مكروه
وروى عن على ابن ابى طالب انه قال ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله
وروى عن ابى بكر الصديق وابى ايوب اباحته واختلف فى الجراد فقال الشافعى وابو حنيفة لا باس باكل الجراد كله
ما اخذته وما وجدته ميتا وروى مالك انه ما وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا يذكى ذكاة مثله بان يقطع راسه
ويشوى فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل **المسئلة الثانية** فى حكم الدم اتفق العلماء على ان الدم حرام
نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعى يحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة
دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس يبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال وروى الدارقطنى
عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من
الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفى لفظ اخر احلت لنا ميتتان
ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجه واحمد ابن حنبل
قال احمد وعلى ابن المدينى عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوى ثقة وقد اخرج الدارقطنى هذا الحديث
من رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر ابن العربى هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر
بما لا يصح سنده وقال البيهقى يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومعروفا ومرفوعا الصحيح الموقوف
واختلف فى تخصيص هذا العموم فى الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد
لذلك العيان الذى لا يفتقر الى برهان وقال الشافعى هما دمان ويشهد له الحديث فهو مخصص من العموم
المسئلة الثالثة فى الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان
معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا فى نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا
كل حيوان عنده لان علة الطهارة هى الحياة وللشافعى قولان فى ولوغ الخنزير الجديد انه كالكلب والقديم

يكفى

يكفى فى ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ فى الكلب تعبدى لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره **المسئلة
الرابعة** فى حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحونها
لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبى وسعيد
بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعى وابو حنيفة لا يحل ذلك وحجة
فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروى عن على بن ابى طالب انه قال اذا سمعتم
اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون
المسئلة الخامسة فى حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشئ الملجأ اليه المكروه عليه والمراد بالمضطر فى
قوله فمن اضطر اى خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل النار والمضطر
على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع فى مخمصة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام
بحكم الاستثناء فى قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة
فلا تخلو اما ان تكون دائمة فلا خلاف فى جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعى قولان
احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثانى ياكل قدر الشبع وبه قال مالك **المسئلة السادسة**
فى قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اى متعد يعنى العاصى بسفره
بان يخرج لقطع الطريق او ابق من مولاه فلا يجوز للعاصى بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص
برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعى لان اباحة الميتة له اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغى
والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل فى معنى قوله غير باغ
اى غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها والله اعلم
قوله عز وجل **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب** نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك
انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها
فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى فى الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت
نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازى وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التورية والانجيل قد بلغا من الشهرة
والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه قد كان منهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معانى ما انزل الله من الكتاب **ويشترون به**
اى بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب **ثمنا قليلا** اى عوضا يسيرا وهى الماكل التى كانوا
ياخذونها من سفلتهم **اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار** يعنى ما يؤديهم الى النار وهو الرشى
والحرام فلما كان يفضى ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوها **ولا يكلمهم الله يوم القيمة** اى كلام
رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسؤا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب
عليه **ولا يزكيهم** اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب **ولهم عذاب اليم** اى وجع يصل المه
الى قلوبهم **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة** معناه انهم
اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان
فى اظهاره الهدى والمغفرة وفى كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق وكتمانه كانوا بايعين الهدى

بالضلالة والمغفرة بالعذاب فما اصبرهم على النار اى ما الذى اصبرهم واى شئ جسرهم على النار حتى تركوا
الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار
من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه
تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق يعنى ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه
فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التورية وان الذين اختلفوا فى الكتاب يعنى اختلفوا فى معانيه وتاويله
فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفى شقاق بعيد اى خلاف ومنازعة بعيد
يعنى عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان
النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فاخبر الله تعالى
ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينته فى هذه الاية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى
ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى ليس
البر ان تولوا وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك ولكن البر يعنى ما بينته لكم والبر
اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر
فقال تعالى من امن بالله واليوم الاخر اى ولكن البر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله
والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد
الموت والملائكة اى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا والكتاب
قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعنى اجمع وانما
خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها
واتى المال على حبه يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا
واتى المال على حب المال ق عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة
اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر
وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كذا كناية عن الوارث وقيل الضمير فى
حبه راجع على الله اى واتى المال على حب الله وفى طلب مرضاته ذوى القربى يعنى اهل قرابة المعطى وانما
قدمهم لانهم احق بالاعطاء عن سليمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى ق ان ميمونة اعتقت وليدة ولم
تستاذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت
وليدتى قال او فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية واليتامى
اليتيم هو الذى لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقراء من اليتامى والمساكين
جمع المسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شئ له وابن السبيل يعنى المسافر المنقطع
عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل
وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر والسائلين يعنى الطالبين

المستطعمين

المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود
عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك فى الموطاء
عن ام بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فما اجد شيئا اعطيه اياه قال ان لم تجدى الا ظلفا
محرقا فادفعيه اليه فى يده اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد
الحرمان وانما اراد به ردوه بشئ تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة
ما يعطى وفى الرقاب يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفك الاسارى واقام
الصلوة يعنى المفروضة فى اوقاتها واتى الزكوة يعنى الواجبة والموفون بعهدهم يعنى
ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان
على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفى بالمواعيد واداء الامانات
اذا عاهدوا يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا وفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا
فى اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا والصابرين فى الباساء اى فى الشدة والفقر والفاقة والضراء
يعنى المرض والزمانة وحين الباس يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب باسا لما فيه من الشدة
ق عن البرا قال كنا والله اذا احمر الباس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم قوله احمر الباس اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو اولئك الذين صدقوا
اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم واولئك هم المتقون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى نزلت فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل
فكان بينهم قتل وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى
الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور
واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم
ضعفى جراحات اوليائك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامروا بالمساواة
فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الاية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف
قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب
رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب اى فرض عليكم القصاص
او اخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اراد ثم القصاص فقد فرض عليكم
والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل
به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصى او خنقه او شدخ راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذى
قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية
عن احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ومعناه انه اذا تكافا الدمان
من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل
بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى

بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن
ابي جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ
النسمة الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير
وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة
الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام
الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر
بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس
بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التورية وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم
وذهب اصحاب الرأي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه
عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن
ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة
برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير
ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ اي تعاونوا واجتمعوا عليه قوله تعالى **فمن عفي له من اخيه شيء** اي ترك
له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية والعفو هنا قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي
من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالب وقيل انما ذكره
بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل
على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف**
اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ اكثر من حقه ولا يعنفه **واداء اليه باحسان** اي على القاتل اداء
الدية الى ولي الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية واذا عفا ولي
الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية
الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن
بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما وجب عليه القصاص وانما وجب عليه
بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن ووجه ذلك
من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة
بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق
على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن
لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص
والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو والدية كانا حراما على
اليهود وكان القصاص حتما في التورية وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان
عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص او العفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا
وتفضيلا لهم على غيرهم **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو او
قبول الدية **فله عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب
الاليم عذاب الآخرة قوله تعالى **ولكم في القصاص حيوة** اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم

او العفو مع

انه

انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان في القصاص سبب للحياة وذلك
ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل
فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا علم انه اذا جرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح
والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة
فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة
يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره
لعلكم تتقون يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل **كتب عليكم** اي فرض
واوجب عليكم **اذا حضر احدكم الموت** اي قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والامراض
المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز عن الايصاء **ان ترك خيرا** يعني مالا وقيل
يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير
وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما
فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الالف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال
روي ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي فقالت له كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية** اي الايصاء والوصية التقدم
الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت **للوالدين والاقربين**
كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية
كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين
ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائي وللترمذي نحوه وذهب
ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن
ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين
ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية
للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول بعض احكام الآية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء
الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي
رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت
عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي
مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الواجب والندب والحث فيحمل هنا على
الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف**
اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير **ق** عن سعد بن ابي
وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله
اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله
فقال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة

يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسئلة من الناس كانه من الطلب بالاكف ق عن ابن
عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث
كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من اوصي بالثلث فمن اوصى
بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس او الخمس او الربع حقا اي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب على المتقين
اي المؤمنين الذين يتقون الشرك فمن بدله اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير اما في الكتابة
او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مؤنثة
لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى به بعد
ما سمعه اي من الموصي وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود
الا على المبدل والموصي والموصى له بريئان منه ان الله سميع يعني لما اوصى به الموصي عليم يعني بتبديل المبدل
فمن خاف اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين من موص جنفا اي جورا في الوصية وعدولا عن الحق
والجنف الميل او اثما اي ظلما فاصلح فاصلح بينهم وقيل الجنف الخطأ في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى
الاية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فراه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير
موضعها فلا حرج عليه ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل اراد انه اذا اخطأ الميت
في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين
الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه في الصلح ان الله غفور رحيم
اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة
من بعد وصية يوصي بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة
ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا تمضى او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها او يحيف في الوصية
ونحو ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام اي فرض عليكم الصيام والصوم في اللغة
الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا
لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص
وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية كما كتب على الذين من قبلكم يعني من الانبياء والامم
من لدن ادم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم
وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى
كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء
فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى
ملكهم فمه فجعل لله عليه ان هو برا من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك
الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال لما شان هذه الثلاثة ايام اتموا خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان
فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا
قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك
لعلكم تتقون يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك

الشهوات من الاكل والجماع وغيرها وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم
تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعائرهم اياما معدودات اي مقدرات وقيل قلائل
قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم
شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم ق عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء
تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل
ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا
يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها
بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الاية غير منسوخة
يقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة
بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة اي فافطر فعليه عدة من ايام اخر يعني غير ايام مرضه وسفره وعلى الذين
يطيقونه اي يطيقون الصوم واختلف العلماء في حكم هذه الاية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول
عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا
ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة
بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير ق عن سلمة بن الاكوع قال
لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت هذه
الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة
في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن
هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ
وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء
وفتح الطاء والواو المشددة المفتوحة عوضا من الياء ومعناه يكلفون الصوم خ عن عطاء انه سمع ابن
عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة وهو الشيخ الكبير والمراة
الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا طعام مسكين الفدية الجزاء وهو
القدر الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان
ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز
وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاعا
من غيره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد
على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب فاطعم صاعا وعليه مد
فهو خير له وان تصوموا خير لكم قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا
ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح
لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى ان كنتم تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا

صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا افطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اصحاب الرأي انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للشيء اذا اظهره شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضا وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم هذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي انزل فيه القرآن** لما خص الله تعالى شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في نحو ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابي اسحق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكوة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل **هدى للناس** يعني من الضلال **وبينات من الهدى والفرقان** فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى ثم قال هو البين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** اي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه فمنهم من قال تجزي فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى

الشهادة

الشهادة فلا يقبل في آخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة لدخولها وخروجها **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه

فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح المسئلة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري اي سفر كان ولو فرسخا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة المسئلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولى وافضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسئلة السادسة يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر ومعناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه ايضا ما روي عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضيه الا في شعبان وذلك عن الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين **يريد الله بكم اليسر** اي التسهيل في هذه العبادة وهو اباحة الفطر للمسافر والمريض **ولا يريد بكم العسر** اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى **ولتكملوا العدة**

أي عدة الأيام التي أفطر فيها بعذر المرض والسفر والحيض ليقضوا بعددها وقيل المراد إكمال عدة أيام الشهر ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فأكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله يعني ولأن تقولوا عند إكماله تكبيرة ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا وقال الشافعي وأحب إظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الأضحى وحجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم إلى هذه العبادة القول الثاني في معنى ولتكبروا الله أي ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة على ما هداكم أي أرشدكم إلى الطاعة وإلى ما رضي عنكم ولعلكم تشكرون يعني الله على نعمه فصل

في فضل شهر رمضان وفضل صيامه ق عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وفي رواية الصفد الغل أي شدت بالأغلال ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قوله إيمانا واحتسابا أي طلبا لوجه الله وثوابه وقيل إيمانا بأنه فرض عليه واحتسابا ثوابه عند الله وقيل معناه بنية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة ق عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك والصوم جنة وفي رواية والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه أن له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه إلا الصوم فإنه لا يطلع عليه أحد وإنما خص الصوم بقوله تعالى وإن كانت جميع الأعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لأن الصوم لا يظهر من ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وإنما هو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه إلا الله يقول الله تعالى أنا أتولى جزاءه على ما أحب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام لما بلغ منه الجوع لتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من إتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضى بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله في القبول من ريح المسك عندكم قوله الصيام جنة أي حصن من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الإنسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب والجلبة والصياح ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد وفي رواية إن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له وفي رواية أي العمل أفضل فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له أخرجه النسائي قوله عز وجل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقيل سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه

أم بعيد فنناديه وقيل إنهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت هذه الآية وهذا السؤال لا يخلو إما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله تعالى فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا دعاءنا إذا دعوناه فقوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله فإني قريب فمعناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شيء وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله ق عن أبي موسى الأشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا عن الجهر فإنه قريب يسمع دعاكم وقوله تعالى أجيب دعوة الداعي إذا دعان أي أسمع دعاء عبدي الداعي إذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله إلا أنت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قبوله إجابة لتجانس اللفظ وفيه إشارة إلى أن العبد إذا علم أن له ربا ومدبرا يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا ربه تعالى بإخلاص وتضرع أجاب الله دعوته فإن قلت إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداعي وقوله ادعوني أستجب لكم قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما فيكون المعنى أجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إذا لم يسأل إثما أو محالا ورابعها أن معناهما عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤاله وخامسها أن للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم وقوله تعالى فليستجيبوا لي يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم والإجابة في اللغة الطاعة فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإثابة والعطاء وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أي لكي يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم فصل

في فضل الدعاء وآدابه ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وبأنه حق على ما يليق بالله ونكل علمه إلى الله ورسوله وأن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف أنها تؤول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته وأنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا خائبتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب

الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم
يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم
اذن نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذي قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من
الدعا اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة وله عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيئا
احب اليه من ان يسئل العافية وان الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لم يسئل الله يغضب عليه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او
قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر اي يستنكف عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن
ليعزم على المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له
قوله ليعزم المسئلة اي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليدع بعد بما شاء اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح قوله تعالى **احل لكم ليلة الصيام**
الرفث الى نسائكم سبب نزول هذه الاية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب
والجماع الى ان يصلي العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم
ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه نفسي الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء
فوجدت ريحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر
فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالي
الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع
وقال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع **هن**
لباس لكم اي سكن لكم **وانتم لباس لهن** اي سكن لهن قيل لا يسكن شيء لشيء كسكون احد الزوجين
الى الاخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري
فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه **علم الله انكم**
كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي
الصيام والمعنى تظلمونها بالمجامعة بعد العشا وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي
فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه **فتاب عليكم** اي قبلتم فتاب عليكم وتجاوز

عنكم

عنكم وعفا عنكم اي محا ذنوبكم خ عن البرا قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان
رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال وكان ذلك
مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر **فالان باشروهن** اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم
وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه **وابتغوا ما كتب الله لكم** اي ما قضى لكم
في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ
وقيل اطلبوا ليلة القدر **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود** نزلت
في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى رجع
الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعم شيئا سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغت فاذا هو قد
نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار
حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي مهزولا مجهودا خ عن البرا قال كان اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس
ابن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان
يعمل يومه فغلبته عينه فجاءت امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لان كل واحد منهما يبدو في الافق
ممتدا كالخيط قال الشاعر : فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا . السدفة اختلاط الظلام
واسدف الفجر اضاء ق عن سهل بن سعد قال لما انزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
ولا يزال ياكل ويشرب حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعده **من الفجر** فعلموا انه انما يعني الليل والنهار
ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض
فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن
بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي
يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب
المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح ليس بمستطيل قلت ان القدر
الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا اشبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق
والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق
بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم
اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية
الترمذي لا يمنعنكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق
فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى

ابن عباس صح

قال وكان ابن ام مكتوم صح

الصادق صح

ثم أتموا الصيام الى الليل يعنى منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم وهل يلزم الصائم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان احدهما نعم يلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثانى لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم ياكل وتمسكت الحنفية بهذه الاية فى ان صوم النفل يجب اتمامه قالوا لان قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعى بان هذا انما ورد فى بيان احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شىء قلنا لا قال فانى اذا صائم ثم اتانا يوما آخر فقلنا يا رسول الله اهدى لنا حيس فقال ارينيه فلقد اصبحت صائما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد الاعتكاف هو الاقبال على الشىء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو فى الشرع عبارة عن الاقامة فى المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون فى المسجد فاذا اعرضت لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخالطها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له فى الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم فبين الله تعالى فى هذه ان الجماع يحرم على المعتكف فى النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه فصل فى حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز فى غير المسجد وذلك لان المسجد تميز عن سائر البقاع بالفضل لانه بنى لاقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن على انه لا يجوز الا فى المسجد الحرام لقوله وطهر بيتى للطائفين والعاكفين فخصه به وقال عطا لا يجوز الا فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز فى هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهرى لا يصح الا فى الجامع وقال ابو حنيفة لا يجوز الا فى مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعى واحمد ومالك يجوز فى سائر المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون فى المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة ق عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فروع الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط فى الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعى ما روى عن ابن عمر عن عمر قال يا رسول الله انى نذرت فى الجاهلية ان اعتكف ليلة فى المسجد الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه فى الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم فى الليل الفرع الثانى لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعى واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف سنة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعى واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابى حنيفة يوم يشترط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس الفرع الثالث الجماع حرام فى حال الاعتكاف ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلماء وهو اظهر قولى الشافعى والثانى يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابى حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة انها كانت ترجل النبى صلى الله عليه وسلم وهى حائض وهو معتكف فى المسجد وهى فى حجرتها يناولها رأسه زاد فى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفى رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه فى الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقوله الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة

والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله فى المسجد وموضع معتكفه قوله تعالى تلك حدود الله يعنى تلك الاحكام التى ذكرت فى الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد فى اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الشىء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التى قدرها ومنع من مخالفتها فلا تقربوها اى فلا تأتوها ولا تغشوها فان قلت فى الاية اشكالان اما الاول فهو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال فى الجميع فلا تقربوها الاشكال الثانى وهو انه تعالى قال فى هذه الاية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال فى آية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الايات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التى تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع فى حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب فى النهار فلما كان اقرب الى هذه الاية جانب التحريم قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثانى ان من كان فى طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو متصرف فى حيز الحق فنهى ان يتعداه لان من تعداه وقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد ونحو هذا من التحريم فهى حدود لا تقرب كذلك اى كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك يبين الله آياته اى معالم دينه واحكام شريعته للناس مثل هذا البيان الشافى الوافى لعلهم يتقون اى لكى يتقوا ما حرم الله عليهم فينجوا من العذاب قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نزلت فى امرئ القيس بن عابس الكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ارض فقال النبى صلى الله عليه وسلم للحضرمى الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل اى من غير الوجه الذى اباحه الله له واصل الباطل الشىء الذاهب فصل اما حكم الاية فاكل المال بالباطل على وجوه الاول ان ياكله بطريق التعدى والنهب والغصب والثانى ان ياكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغنى وثمن الخمر والملاهى ونحو ذلك الثالث ان ياكله بطريق الرشوة فى الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك فى الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع فى التعارف فلان ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها بغير حلها وتدلوا بها الى الحكام اى وتلقوا امور تلك الاموال التى فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وانه آثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحكام وقيل لا تدل بمال الخيانة الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضى يقول انى لا قضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة وان قضائى لا يحل حراما ق عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتينى الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفى رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليحملها او ليذرها قوله سمع جلبة خصم يعنى اصوات خصم وقوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اى اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة

لتاكلوا فريقا اى طايفة وقطعة من اموال الناس بالاثم يعنى بالظلم وقال ابن عباس
باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعنى انكم على الباطل قوله عز وجل يسئلونك
اى يا محمد عن الاهلة نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
ثم يزيد حتى يمتلى نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله يسئلونك عن
الاهلة وكان هذا سوالهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة فى تبيين حال الهلال فى الزيادة والنقصان
والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر قل هى مواقيت للناس جمع ميقات
والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم
واجارهم وعدة النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين
الشمس التى هى دايمة على حالة واحدة والحج اى وللحج وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا فى جملة العبادات
لفايدة عظيمة وهى ان العرب فى الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان
الحج مقصور على الاشهر التى عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التى عينها الله
تعالى لها كما كانت العرب تفعل فى النسا وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها عن البرا قال نزلت هذه
الاية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه
فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
وفى رواية كانوا اذا احرموا فى الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس فى الجاهلية
وفى اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب
نقبا فى ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف
الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم
سموا حمسا لتشددهم فى دينهم والحماسة الشدة فكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا
بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون
بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة
بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب
وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمسى فقال الرجل
ان كنت احمسيا فانا احمسى رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهرى كان ناس
من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شىء وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له
الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح
الجدار من ورائه ثم يقوم من حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية
بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بنى سلمة على اثره فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك
قال انى رايتك دخلت فقال عليه السلام انى احمسى فقال الانصارى وانا احمسى يقول انا على دينك فانزل الله
تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها يعنى فى حال
الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله اى فى طاعة
الله وطلب رضوانه ق عن ابى موسى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية
ويقاتل ريا اى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى

سبيل الله الذين يقاتلونكم كان فى ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين
ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع ابن انس هذه اول اية نزلت فى القتال ثم امر الله
بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى اقتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت
اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا فى سبيل الله الذين اعدوا انفسهم
للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم
لم يقاتلونكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا قال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من
القى اليكم السلام م عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه
فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بالله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا
تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغل الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة
وقوله ولا تغدروا اى ولا تنقضوا العهد وقيل فى معنى الاية ولا تعتدوا اى لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول
تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لا تفى قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم فى الشهر
الحرام وفى الحرم فانزل الله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم فى الشهر الحرام
وفى الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح فى ذلك وقال ولا تعتدوا اى بابتداء القتال ان الله لا يحب
المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى الحل والحرم
وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد
الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى ولتخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة
اشد من القتل يعنى ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم فى الحرم والاحرام وانما سمى
الشرك بالله فتنة لانه فساد فى الارض يودى الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه
الخلود فى النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من
القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما فى هذه الاية فذهب
مجاهد فى جماعة من العلما الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل فى المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان
قاتلوكم فاقتلوهم اى فقاتلوهم وثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة
لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة فثبت هذا تحريم
القتال فى الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فامر بقتالهم فى الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك
جزاء الكافرين فان انتهوا يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعنى لما سلف
رحيم يعنى بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اى وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة
اى شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثنى الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابى والفرق بينهما
ان اهل الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى
بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها
فيتبعوه كفعل مومنى اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه

ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زائدا فى شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل ويكون
الدين لله اى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شىء فان انتهوا يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
فلا عدوان اى فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الاية منسوخة باية السيف
وعلى القول الثانى الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى
الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت فى عمرة القضا
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية
فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه وقضيتم
عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر
وحرمة البلد وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل
والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقد وفقتكم حتى قضيتموها على رغمهم
فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن
اعتدى عليكم اى بالقتال فاعتدوا عليه اى فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزاء بالاعتداء
على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا فى سبيل الله
يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف
المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة
وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة
ينصرف الى الجهاد خ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا
واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيمة يعنى حسنات عن خريم
ابن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف اخرجه
الترمذى والنسائى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة
والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن النفس وقيل الباء على اصلها
وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب
فى هلاكها وقيل التهلكة كل شىء تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك
ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الاهلاك قال ابن عباس انفق
فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم لا اجد شيئا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص
سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة
فامرهم الله بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شىء ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج لئلا
يلقى نفسه فى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الاية فى ترك الجهاد عن ابى عمران واسمه
اسلم قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى
اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم
فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال يا ايها الناس انكم لتتأولون
هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال

بعضنا

بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام
وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة
على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح مات ابو ايوب فى اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن فى اصل
سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول
قد هلكت ليس لى توبة فييأس من رحمة الله وينهمك فى المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى
الاية انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين
بالانفاق خ عن حذيفة قال وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة
واحسنوا اى فى الانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل واحسنوا فى الانفاق فلا تسرفوا ولا تقتروا
نهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه واحسنوا فى اداء الفرائض لله تعالى ان الله يحب المحسنين
اى يثيبهم على احسانهم قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان تتمهما بمناسكهما
وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد لكل واحد منهما سفرا
وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل تمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة
ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من
استطاع اليه سبيلا م عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض
عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى اصحهما انها واجبة وهو قول على وابن
عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل
والقول الثانى انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وابو حنيفة
وحجة من اوجب العمرة ما روى فى حديث الضبى بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على وانى اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائى
باطول من هذا ووجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رواه فى وجوبهما عليه
لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انها لقرينتها فى كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله
وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان
من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير
خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائى والترمذى وزاد
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل انه امر بالمتابعة
بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال
بانها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هى قال لا وان

تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء
حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة
الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع ان
يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع
بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما
بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل
فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن
نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج
اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا
اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس
قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي ق عن ابن
عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة
وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة
الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم
اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر
وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف
ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبع
اشواط ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه
وفعل مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله
عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهو ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة
نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله
عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا
فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد آخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع
والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن
تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر كما يجوز اضافته
الى فاعله كما يقال بنى فلان دارا واريد به انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا
وانما امر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة

فهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من
حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر من سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين
معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين
افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف
والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي
والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى **فان احصرتم** اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق
ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال
ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية
عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض احصر وللمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض
للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو ويقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور
وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار
الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في
المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى
ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة
ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل
وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال
حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث
والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الآية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك
حبسا من جهة العدو ولان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل
النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الآية وهو قوله فاذا امنتم والامن
لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض
وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز
الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد
الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر
يتحلل من احرامه بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى **فما استيسر من الهدي** ومعنى الآية فان
احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه
بقرة وادناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي
صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد
من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله** اي مكانه الذي يجب ان يذبح

فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل نحره حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري وقوله تعالى **فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه** معناه ولا تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل والصداع **ففدية** فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال اتؤذيك هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال نزلت في هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما كنت ارى ان الوجع بلغ بك ما ارى او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى **من صيام** اي صوم ثلاثة ايام **او صدقة** يعني اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع **او نسك** واحدتها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او اطعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي المحصر فانه يذبحه حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله عز وجل **فاذا امنتم** يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في العام القابل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج **فعليكم ما استيسر من الهدي** وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشا منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج فما استيسر من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فلو رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيئا منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل منه وقوله **فمن لم يجد** يعني الهدي **فصيام ثلاثة ايام في الحج** اي عليه صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول الاخر للشافعي **وسبعة اذا رجعتم** يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم

قال ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج والاخذ في الرجوع فعلى هذا يجزيه ان يصوم السبعة الايام بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي الا انه قد يحتمل ان يظن ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله ان العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى سهام ولان القران انزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك ان الفذلكة في علم الحساب وهو ان تعلم العدد مفصلا ثم تعلمه جملة ليحيط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه امر اي اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اي هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاووس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو الافاقي فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزي فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث عزيز ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره **واعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل **الحج اشهر معلومات** يعني اشهر الحج معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور ووجه قول الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطاء وطاووس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك ووجه هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه

يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهري وهو الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث
ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هذا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية
ويسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس
والحج عام وهذه الاية وهي قوله الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة
وهذه الاية مفسرة لها فان قلت انما قال اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند
ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه
على القول الثاني وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج** يعني فمن
الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل
فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان
تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية
او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء آخر الى النية كتكبيرة الاحرام مع
النية في الصلاة وفي الاية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي
واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا
فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه
على الوقت كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله قل هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب
عنه قوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والقبل والغمز وان
تعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قيس اخذ ابن عباس
بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقلت اترفث وانت محرم
فقال انما الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امرأة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع
ودواعيه فقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه
وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس
هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي
عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز
بالالقاب ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم
ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه
وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول الآخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا
بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا وكيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم
وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم
في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته

يوم خلق الله السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي
اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال
والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله**
اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان
الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل الخير عبارة عن ضبط
الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه
تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون
في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** نزلت في ناس من اهل اليمن
كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما
افضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه
الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل
من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا **واتقون**
اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله **يا اولي الالباب** اي يا ذوي
العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل **ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم** يعني رزقا ونفعا وهو
الربح في التجارة خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكأنهم تأثموا ان
يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبتغوا
في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي
باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون
بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذي القعدة وثمانية
ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال كنت رجلا اكري
في هذا الوجه وكان الناس يقولون انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا
يقولون انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك
حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه
حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه
وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال بعض العلماء ان التجارة ان وقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا
فيه كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى
فاذا افضتم اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة **من عرفات** جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل
موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان
جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما
اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة
والموضع عرفات وقال السدي ان ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية وابى من ابى امره الله ان يخرج الى عرفات

ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية
فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما راى الشيطان انه لا يطيقه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى
ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع
عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم راى ليلة التروية في منامه انه
يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اى تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك
ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي
عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لما يمنى فيها من الدما اى يصب فيكون فيه الفروث والدما فلا يكون الموضع طيبا وعرفات
طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته
الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة
فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل له الوقوف ويتم حجه وقال احمد وقت الوقوف
من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات من بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع
من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينهما وبين العشاء بمزدلفة ق عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك
فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضا فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت
العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة
لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي
عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة
والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من
الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة
جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل
عليه ان قوله واذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء
والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم
من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح
باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا
حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كان اهل
الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله
تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل طلوعها وثبير
جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اى ندفع للنحر يقال اغار
اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا
يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى **واذكروه كما هداكم**
اى واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية لدينه ومناسك حجه **وان كنتم من قبله لمن الضالين** اى لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اى من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن

غير مذكور وقيل ترجع الى القران والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله
تعالى **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اى لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان
احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله
وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكانت سائر الناس يقفون
بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا
منها الى جمع واخبرهم ان سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ق عن عايشة قالت كانت قريش ومن دان دينها يقفون
بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون الحمس جمع احمس
واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب
سوى الحمس والقول الثاني انه خطاب لسائر المسلمين امرهم ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث
افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال هو ادم
عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه
الاية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما
لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله
فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى
لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال
وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة
من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير
جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح
ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اى وافيضوا كقوله ثم كان
من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح
العين ضرب من السير سريع وهو اشد من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج
من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
وراه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع
السير السريع وقوله تعالى **واستغفروا الله** اى من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم **ان الله غفور رحيم** المعنى ان الله
هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين
ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة دل ذلك على انه تعالى يغفر
للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل **فاذا قضيتم مناسككم** اى فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم
نسائككم اى ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى **فاذكروا الله** يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل
والتكبير والثناء عليه **كذكركم اباءكم** قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا
بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر ابائهم وماثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول

احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب الفنا يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون في ذلك الاشعار ويتكلمون
بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم
بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم وقال ابن
عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآبا وذلك لان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك
فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآبا **او اشد ذكرا** اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا اي
واكثر ذكرا للآبا لانه هو المنعم عليهم وعلى الآبا فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية وقيل له قد ياتي
على الرجل اليوم لا يذكر فيه آباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا يعني ان المشركين كانوا يسألون الله تعالى في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم
اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم الفية كبير الجفنة كثير المال فاعطني
مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قوله
تعس عبد الدينار هذا دعا عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس
هذا دعا عليه ايضا لان من انتكس على راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته
الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة
ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث **وما له في الآخرة من خلاق** اي وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق
اقتصر في الدعا على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني وهم المؤمنون الذين جمعوا
في الدعا بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان
يستعيذ بالله من شرها وآلامها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال
بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين فلذلك قال تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير
والنصر على الاعدا والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق
الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل في الدنيا حسنة يعني عافية وفي الآخرة عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشي او تسأله
اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة **وقنا عذاب النار** قال فدعا الله
به فشفاه ق عن انس بن مالك قال كان اكثر دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود **اولئك** اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا
القول ان الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال وما له في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا **لهم** اي لكل فريق من
هؤلاء **نصيب** اي حظ **مما كسبوا** يعني من الخير والدعا بالثواب والجزا على الدعا بالدنيا من جنس

ماكسب

ما كسب ودعا **والله سريع الحساب** ذكروا في معنى الحساب ان الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى انه تعالى يخلق
العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان
المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيمة ويعرفهم احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب فقيل انه تعالى اذا
حاسب عباده فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر ووصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلق
وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى آلة ولا مادة ولا مساعد
لا جرم كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلايق في اقل من لمحة البصر روي انه تعالى يحاسب الخلايق في قدر حلب شاة او ناقة
وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع القبول لدعا عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون
في الوقت الواحد كل واحد منهم اشيا مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه عليه
شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في معنى الآية ان اتيان القيمة قريب لان كل ما هو كاين وآت
فهو قريب لا محالة وفيه اشارة الى المبادرة بالدعا والذكر وساير الطاعات وطلب الآخرة قوله تعالى **واذكروا الله**
يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد
ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة **في ايام معدودات** يعني ايام التشريق وهي ايام منى
ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول
ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده
وهو قول علي بن ابي طالب ويروى عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى
تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه وفي تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان
يكبر في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه البخاري بغير اسناد اجمع العلماء
على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان
التكبير في عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدي به من صلاة الظهر
يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر
وبه قال الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون
في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدي به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر ايام التشريق
وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي انه يبتدي
بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم بعد صلاة العصر من آخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث
وعشرين صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدي به من صبح يوم عرفة ويختم
بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمانية صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد بن حنبل
ان كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها صلاة الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر ايام
التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة اولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر ايام التشريق ولفظ
التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل المدينة
قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل
العراق وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين** اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق **فلا اثم عليه**

أي فلا حرج عليه وذلك أنه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من ليالي أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه يعني فلا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر فلا إثم عليه يعني ومن تأخر إلى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من أيام التشريق فلا إثم عليه في تأخره واعلم أنه إنما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فإن غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر ما لم يطلع الفجر لأنه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فإن قلت قوله ومن تأخر فلا إثم عليه فيه إشكال وهو أن الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا إثم عليه إنما يخاف من الإثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه أجوبة أحدها أنه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين أنه لا إثم عليه في الأمرين فإن شاء عجل وإن شاء أخر الجواب الثاني أن من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى أن كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وأنه لا إثم عليه الجواب الثالث إنما قال ومن تأخر فلا إثم عليه لمشاكلة اللفظ الأول فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم أن جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع أن فيه دلالة على جواز الأمرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا فلا إثم في التعجيل ولا في التأخير لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً مما نهاه الله عنه من قتل صيد أو غيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه أنه ذهب إثمه إن اتقى فيما بقي من عمره وذلك أن الحاج يرجع مغفوراً له بشرط أن لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله واتقوا الله أي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا أنكم إليه تحشرون أي فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى

قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وإنما سمي الأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم إن محمداً ابن أختكم فإن يك كاذباً كفاكموه الناس وإن يك صادقاً كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال إني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الأخنس بذلك وكان الأخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويظهر الإسلام ويقول إني لأحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني مجلسه وكان الأخنس منافقاً فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحيوة الدنيا يعني أن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني به قوله والله إني بك مؤمن ولك محب وهو ألد الخصام أي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم يعني الشديد في الخصومة وإذا تولى أي أدبر وأعرض عنك بعد إلانة القول وحلاوة المنطق سعى في الأرض أي سار ومشى في الأرض ليفسد فيها يعني بقطع الأرحام وسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل وذلك أن الأخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج إلى الطائف مقتضياً ديناً كان له على غريم فأحرق له كدساً وعقر له أتاناً وقيل معناه إذا تولى أي صار والياً وملك الأمر سعى في الأرض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل إن الآية عامة في حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في كل من كان موصوفاً بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية على أن المحبة

عبارة

عبارة عن الإرادة وأجيب عنه بأن الإرادة معنى غير المحبة فإن الإنسان قد يريد شيئاً ولا يحبه وذلك بأن يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الإرادة والمحبة وقيل إن المحبة مدح الشيء وتعظيمه والإرادة بخلاف ذلك وإذا قيل له اتق الله أي خف الله في سرك وعلانيتك أخذته العزة بالإثم أي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الإثم وقيل بأن يعمل الإثم وهو الظلم وترك الالتفات إلى الوعظ وعدم الإصغاء إليه وأصل العزة المنع والتكبر فحسبه جهنم أي كافيه له جهنم جزاء وعذاباً وجهنم اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها ولبئس المهاد أي الفراش والمهاد التوطئة أيضاً والمعنى أن المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود إن من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي أنه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعاً لله تعالى

قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيع وكانت بعد أحد خ عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله وكانت تقول ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيته يأكل قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عدداً وقال

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد موته وكان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم الفدفد اسم للموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الإنسان والممزع المفرق والظلة الشيء الذي يظلل من فوق الإنسان والدبر جماعة من النحل والزنابير وقال أهل التفسير إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكراً منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري وذكروا نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا فصلبوا خبيباً حياً فقال اللهم إنك تعلم أنه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان

رمح ووضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى قسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان بن حرب حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الان مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله قسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه من خشبته فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شيء بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما هو من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطا اقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما كان في كنانته وقال والله لا تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس ارى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي لله فقاتله وكان علي اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي وباعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله في الاخرة ابتغا مرضات الله اي طلب رضى الله **والله رؤوف بالعباد** اي من رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته ان يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا واحسانا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة** نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها

قالو

قالوا ان ترك هذه الاشيا مباح في الاسلام وواجب في التورية وقالوا ايضا يا رسول الله ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم به في صلاتنا في الليل فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتورية فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم اي في الاسلام وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود فتعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضا نقية ولو ان عيسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون في دينكم حتى تاخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضا نقية اي لا تحتاج الى شيء وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي باجمعكم ولا تتفرقوا وقيل ان ترجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اي اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل لا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغوايات والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره **انه لكم عدو مبين** فان قلت عداوته بايصال الضرر والبلاء والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد فان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك واما الوسوسة فانه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب يوقع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله بين عداوته ما هي فكانه بين وان لم يشاهد **فان زللتم** اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم **من بعد ما جاءتكم البينات** اي الدلالات الواضحات **فاعلموا ان الله عزيز** اي في نقمته ممن خالفه لا يعجزه شيء **حكيم** يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الاية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او عنده شبهة في الدين قوله تعالى **هل ينظرون** اي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان **الا ان ياتيهم الله في ظلل** جمع ظلة **من الغمام** يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم ويستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض **والملائكة** اي وتاتيهم الملائكة وروى الطبراني في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب سبحانه وتعالى واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلما في ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جا في ايات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه يقولون في هذه الاية وامثالها اقروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ۰ ولا ذاته شيء عقيدة صائب ۰ نسلم ايات الصفات باسرها
واخبارها للظاهر المتقارب ۰ ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا ۰ وتاويلها فعل اللبيب المغالب ۰ ونركب للتسليم سفنا فانها

لتسليم دين المروحين المراكب المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر انه تعالى
منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك
عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل
على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله على سبيل التفخيم
لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون الا ان
تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا المحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحساب
والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم من باب الوعيد واذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل ان تكون
الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف تقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد
العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان اتيان
العذاب من الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان أبلغ وأقطع وقيل ان نزول الغمام علامة
لظهور أحوال القيمة وأهوالها **وقضي الأمر** أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل القضاء بين العباد في
يوم القيمة **وإلى الله ترجع الأمور** أي إلى الله تصير أمور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت
ان أمور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة لكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب
وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم غيره في الدنيا وأضافوا أفعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة انكشف الغطاء ردوا الى الله
ما أضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل **سل بني اسرائيل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره ان يسأل يهود المدينة
وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال
التوبيخ والتقريع والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم
التي أنعم الله بها على سلفهم **كم آتيناهم من آية بينة** أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصى
واليد البيضا وفلق البحر وانزال المن والسلوى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته** يعني يغير الآيات التي جاءته من الله
لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم أنكروها
وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله عهد الله الذي عهد اليهم فلم يفوا به **فان الله شديد العقاب** يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل
زين للذين كفروا الحيوة الدنيا نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا
من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل
والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لا يمنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهره في الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشيا العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك
انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي
لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم
حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها
وأحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار
الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم ان الآخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا
التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس
وان لكلهم مزين يزين لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة **ويسخرون من الذين
آمنوا** يعني الكفار يستهزؤون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب

وبلال وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم **والذين اتقوا** يعني الفقراء من المؤمنين **فوقهم**
أي فوق الكفار **يوم القيمة** لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين ق عن حارثة بن وهب
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم
بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال
في مشيته وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده ق عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت
على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت
على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنى وكثرة المال **والله يرزق من يشاء بغير حساب**
قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير عدد لان ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على من يشاء من عباده وقيل يرزقه
في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزق بغير استحقاق
وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى لا يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما
يعطي فالله غني عالم بما يعطي لا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من
يشاء ويبسط الرزق على من يشاء ولا يعطي كل أحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه
ويحاسب فيما رزق ولا يقال له لم أعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه
ينازعه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة
منه لهم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي أهل الجنة من الثواب
والاجر بقدر أعمالهم ثم يتفضل اليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب قوله تعالى **كان الناس أمة واحدة**
أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل الناس على شريعة
واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل
وقيل هم أهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت العرب على دين ابرهيم عليه
السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم عليه السلام لأخذ الميثاق
فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا أمة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود
اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف
بعده وقيل كان الناس أمة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من
هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب
وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج
فبعث الله النبيين وجملتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون
منهم في القرآن بأسماء الأعلام ثمانية وعشرون نبيا **مبشرين** يعني بالثواب لمن آمن وأطاع **ومنذرين** يعني
مخوفين بالعذاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ صحة الأبدان
والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الأول فكان أولى بالتقديم **وأنزل معهم الكتاب** أي الكتب
أو يكون التقدير وأنزل مع كل واحد كتابا **بالحق** أي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة
كتب أنزل على آدم عشر صحايف وعلى ادريس خمسين صحيفة وعلى نوح عشرين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحايف وعلى
موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن **ليحكم بين
الناس** يعني الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب

الذي انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه واسناد الحكم الى الكتاب او الى النبي مجاز والله هو الحاكم على
الحقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه بعد ما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق
الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد به التورية والانجيل الذي اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير
بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى
وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم
وحسدا من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بغيا بينهم
يعني انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي لما اختلفوا فيه من الحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا
لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذي اختلفوا
فيه الجمعة فهدى الله هذه الامة الاسلامية اليها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله
فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم
الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيمة المقضي لهم يوم القيمة
قبل الخلايق وقيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى الشرق وهدانا الله الى
الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى
كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى ابن مريم عليه السلام فاليهود فرطوا فيه والنصارى
افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه باذنه
يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد
وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة
في اول الهجرة ثم اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله
واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى
الاية ام حسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان
ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدائد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا من قبلكم واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم
مستهم البأساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس والضراء يعني المرض والزمانة
وضروب الخوف وزلزلوا اي وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر
بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك ان الرسل اثبت
من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذلك اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء
ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة ولما بلغ الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطؤا النصر

قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم
الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ
عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا
تدعو لنا فقال لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط
بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر
موت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح
وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم
من خير اي مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شيء من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين
لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين
لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى
لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من
حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب
الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى وما تفعلوا
من خير فان الله به عليم والمعنى وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به
عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الاية منسوخة قال ابن مسعود نسختها اية الزكوة وقال الحسن انها محكمة
ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية
فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الاية فيقدم الاولى فالاولى بقي في الاية سوال
وهو انه كيف طابق السوال الجواب وهو انهم سالوا ببيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السوال بانه قد
تضمن قوله وما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السوال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف
لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع
قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلما في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد
من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول
ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم
ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير
برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط
الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم
يجاهدوا فمن غزى فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال
الله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى
واختلف العلماء في الناسخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني
انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث
انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد

على الكافة وقوله وهو كره لكم اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة
المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله اخبارا عنهم وقالوا سمعنا
واطعنا وقيل انما كان كراهتهم للقتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعدا فبين الله تعالى
ان الذى تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا تكرهونه بعد ان فرض عليكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله اليقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل
على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احد الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما
كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدوا المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال
ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعنى القعود
عن الغزو وهو شر لكم يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة
والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم
والله يعلم يعنى ما فى الجهاد من الاجر والغنيمة والخير وانتم لا تعلمون يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم
قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله
وان كان يشق على النفس فى الحال قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الآية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش وهو ابن عمته فى سرية فى جمادى الآخر قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية
وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض
لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك تاتينا بخبر فقال سمعا وطاعة
ثم قال لاصحابه ذلك وقال لهم انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى
ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران
اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل
بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفى العير عمرو
ابن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض
لهم فاذا راوه محلوقا راسه امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا
باس علينا وكان ذلك فى اخر يوم من جمادى الاخر وكانوا يرون انه ~~من جمادى وهو~~ من رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا
متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو
بن الحضرمى بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم
واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
وسفك الدما واخذ الحرائب يعنى المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك فعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم
ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى
ثم امسينا فنظرنا هلال رجب فلا ندرى افى رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس فى الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم الباقى على اصحاب السرية
وبعث اهل مكة فى فدا اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم
بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان ابن عبد الله فرجع
الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله
فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير الآية
فقوله تعالى يسئلونك يعنى يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا سمى بذلك لتحريم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين
كانوا يعلمون ان القتال فى الحرم وفى الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال
فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان السائلين هم المشركون وانما سالوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه
الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل اى قل يا محمد قتال فيه كبير اى عظيم مستكبر واختلف العلما فى حكم هذه
الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطا
انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلما
وهو الصحيح انها منسوخة وقال سعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها وصد عن سبيل الله
هذا ابتدا كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام من يريده وكفر به اى بالله والمسجد الحرام
اى وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين اذوهم
حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله
اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام والفتنة اى الشرك الذى انتم عليه اكبر من القتل يعنى قتل
ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمنى مكة ان عيركم المشركون
بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من
البيت ولا يزالون يعنى مشركى مكة يقاتلونكم يعنى يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يعنى الى دينهم
وهو الكفر ان استطاعوا يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فيه كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبق
على وهو واثق انه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع
الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب فاولئك حبطت اعمالهم اى بطلت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وهو المرتد
يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون
ماله فيئا للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها فى الآخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد
انما يتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه
دليل للشافعى ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم
واولئك اصحاب النار يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار هم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ابدا
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله نزلت فى عبد الله ابن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب
السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا او نطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله
قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا فى سفرهم وزرا
فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين امنوا والذين هاجروا اى فارقوا مساكنهم وعشايرهم واموالهم وفارقوا

مساكنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم إلى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله
أي في طاعة الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهادا **أولئك يرجون رحمة الله** أي يطمعون في نيل رحمة الله أجنوا أنهم
على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وإنما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة أثنى الله تعالى
على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الثناء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك
يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب
والله غفور أي لذنوب عباده **رحيم** بهم والمعنى أنه تعالى عفى لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل
يسألونك عن الخمر والميسر الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار أتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية
وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لأنها تخامر العقل أي تخالطه وقيل لأنها تستره وتغطيه وجملة
القول في تحريم الخمر أن الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا
فكان المسلمون يشربونها في أول الإسلام وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ رضي الله عنهما يسألونك
عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير فتركها قوم لقوله إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم إن عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما ودعا إليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا إلى آخر السورة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلاة فترك قوم شربها وترك قوم
شربها في أوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الضحى
فيصحوا وقت الظهر ثم إن عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص
وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناسبوا وتناشدوا
الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه
موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
ويروى أن حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الأنصار وبيده ناضح والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب
بن مالك يمدح قومه وهما
جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة ... فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر
فقال حمزة أولئك المهاجرون وقال الأنصاري أولئك الأنصار فنزل الأنصاري وترك
ناضحه فقطعه حمزة وجاء الأنصاري مستعديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بفعل حمزة فعزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم له ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم
كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم
استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب إليهم منها وما حرم عليهم شيء أشد
من الخمر ق عن أنس رضي الله عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا إذ جاء
رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين
شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المكسور والإهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة

فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها أجمعت الأمة على تحريم الخمر وأنه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فإن استحلها كفر ويجب
قتله ق عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا

أو مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم م عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قدم من جيشان وجيشان
من اليمن فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل مسكر حرام وإن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال
قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مخمر خمر
وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن
يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا وإن مات فيها مات
كافرا فإن أذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وإن مات فيها مات كافرا أخرجه
النسائي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث فوالله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا يوشك
أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفي قصة عن أنس رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخمرة عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها
أخرجه الترمذي

فصل في أحكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الأولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير
العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والأرز والذرة وكل ما
أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام
واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه
وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فإن له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي
الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت
الخمر لعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن السكر حرام بما روي عن أبي الأحوص
عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه
أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر قال على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر
ما خامر العقل وثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه الجد والكلالة وأبواب
من أبواب الربا أخرجه البخاري ومسلم ق عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب
أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن من العنب خمرا وإن من التمر خمرا وإن من البر خمرا وإن من الشعير خمرا أخرجه أبو داود وزاد في رواية والذرة
وإني أنهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وإن من العسل خمرا خ عن ابن عباس سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق
فما أسكر فهو حرام عليك الشرب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال
المعجمة وهو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر
فهو خمر لأن الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الأثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر
بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
أن ما أسكر فهو حرام عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر أخرجه أبو داود المفتر
كل شراب أرخى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر كثيره فقليله حرام بما روي
عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقليله حرام أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عائشة

وقوله سبق محمد صلى الله عليه وسلم

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والترمذي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلاء بانه معارض بما روي عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلاء وانا سائل عنه فان كان سكر جلدته فسال عنه فقيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله والمسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القسم عن ابي بردة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عايشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم من قول النسائي المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها بنجسة العين ويدل على نجاستها انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغولون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ ق عن عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت حرم ذلك كله

فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكد قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ سهم وللتوأم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من الاقداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح سهمي وغد ومنيح وسفيح ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويسمون

ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين الاصحاب لبخله واما حكم الاية فالمراد بها جميع انواع القمار فكل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر ام لا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكانما صبغ يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او بنردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي عن علي بن ابي طالب قال النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابي حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى **قل فيهما** يعني في الخمر والميسر **اثم كبير** اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة **ومنافع للناس** يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ المال بغير كد ولا تعب قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة **واثمهما اكبر من نفعهما** يعني ان اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فكل هذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسالونك ماذا ينفقون** وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى **قل العفو** يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك بالزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد به الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع **كذلك يبين الله لكم الايات** اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه **لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة** يعني فتاخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل **ويسئلونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ويسالونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم بامورهم او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال البعض على وجه الاصلاح والرضى **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالخلطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل

العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم إن الله عزيز حكيم أي غالب يقدر أن يشق على عباده
ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده إلا ما تتسع فيه طاقتهم قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نزلت في مرثد
ابن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا
فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق
إن الإسلام حال بيني وبين ذلك فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
أبي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوج بها فأنزل الله هذه
الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن
أي يصدقن بالله ورسوله وهو الإقرار بالشهادة والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها
تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية أو غيرهم
من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل
الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل إن حكم الآية نزلت في مشركات العرب الوثنيات خاصة
ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وإنما حكمها عام مخصوص قال قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات
العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي أن لفظ الشرك على من يطلق فالأكثرون من العلماء وهو القول
الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الأصنام والمجوس وغيرهم ويدل
على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم
قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو
سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وإن زعم أن الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك أن من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبي
صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لإنكارهم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن اسم الشرك لا يتناول إلا عبدة الأوثان فقط والأول أصح لما تقدم من الأدلة فعلى من قال اسم
الشرك لا يتناول إلا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الأكثرين أن اسم الشرك يتناول الوثنيات وغيرهن تكون الآية
محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولأمة مؤمنة خير يعني أنفع وأصلح وأفضل
من مشركة يعني حرة ولو أعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله من المشركة الحرة
نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت في الملإ الأعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها
وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي
قال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أنكح
أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا هذا خطاب لأولياء المرأة أي لا تزوجوا
المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد الإجماع على أنه لا يجوز للمسلمة أن
تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني حر ولو أعجبكم بحسنه وجماله وماله أولئك يدعون إلى النار
يعني يدعون إلى الشرك الذي يؤدي إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة يعني أنه تعالى لما بين هذه الأحكام وأباح بعضها

فاعملوا

وجوه بعضها قال

فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فإن من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة بإذنه أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه
ويبين آياته للناس أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتذكرون أي فيتعظون قوله عز وجل
ويسألونك عن المحيض م عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا
النساء في المحيض إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود
فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود
تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما
هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان
والانفجار يقال حاض الوادي إذا سال وفاض ماؤه قل هو أذى أي هو شيء قذر والأذى في اللغة ما يكره من كل شيء
فاعتزلوا النساء في المحيض أي فاجتنبوا مجامعتهن ولا تقربوهن يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد
لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ
يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن فإذا تطهرن أي اغتسلن من حيضهن فأتوهن من حيث
أمركم الله قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوا إلى غيره فإنه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن في غير المأتي وقيل
فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن
صائمات ولا معتكفات ولا محرمات فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الأولى أجمع المسلمون على تحريم الجماع
في زمن الحيض ومستحله كافر م عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا
فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال إنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله
وهو عالم بالتحريم عزره الإمام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما أنه يستغفر الله ويتوب إليه ولا كفارة عليه وهو قول
أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني أنه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل
لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية
قال إذا كان دما أحمر فدينار وإن كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس
ووقفه بعضهم المسئلة الثانية أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز
مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كانت إحدانا إذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بإزار في فور حيضتها ثم يباشرها وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يملك إربه وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني
فأتزر فيباشرني وأنا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة هنا الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء أوله
وابتداؤه وقولها يملك إربه بسكون الراء وهو العضو أي الذكر وبفتحها وهو الحاجة م عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت فقلت إني حائض قال إن حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير
مظفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعني ناوليها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان
معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض المسئلة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم و
ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبورها المسجد جاز في أحد الوجهين
قياسا على الجنب والثاني لا لأن حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية
قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قالت لست بحرورية

فسقاهما

ولكني اسال قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسئلة الرابعة
لا يرتفع شيء مما منعته الحائض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانها اذا انقطع دمها
بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم
لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل
من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطي الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل
فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك
على ان الوطي لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى ان الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب
جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء
وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى نساؤكم حرث لكم الاية ق
عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فانزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء
عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه
شيئا قال فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الاية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر
واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل
المعتاد هذا ظاهره ويجوز انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من
الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون
بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي
من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون منهن
مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب
يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات
ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله
على حرف الحرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها
واصل الشرح البسط وقوله حتى سرى امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرق اذا لج في اللمعان
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم في صمام
واحد ويروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت
للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج فاتوا حرثكم
انى شئتم يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان
في الفرج وفي الاية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن
المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت
فعطش وان شئت فارو وروي عنه انه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة
العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساؤكم حرث لكم

قال اتدري فيم نزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الاية وروى عبد الله
بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النساء في
ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه
واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو
الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول
عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الافراط ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني الا قدر ما يبر الله
قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني الخير والعمل
الصالح بدليل سياق الاية واتقوا الله اي احذروا ان تاتوا شيئا مما نهاكم الله عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صائرون
اليه في الاخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المؤمنين يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه
ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه
الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل
العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمتنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى
يدعى احدكم الى بر او صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف
بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم
يعني بنياتكم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد
وهو الذي يورد لا عن روية واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان
من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم في قول الرجل لا والله بلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شيء يرى
انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما
سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يتيقن انه كذلك ثم يوجد خلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء
وهو يعلم انه فيه اثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة وانما
الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه
بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة
في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم
بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب

وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة
بلغو اليمين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

فصل

في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله
فهو قول الرجل والذى نفسى بيده والذى اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف بصفاته
فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة والمسئلة الثانية
لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وابى ونحو ذلك فان حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره
الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير فى ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه فى الصحيحين المسئلة
الثالثة اذا حلف على امر فى المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان
عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهو من الكبائر سميت غموسا لانها
تغمس صاحبها فى الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه
فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين والله غفور يعنى لعباده فيما لغوا من ايمانهم التى اخبر الله
لا يؤاخذهم عليها ولو شاء واخذهم والزمهم الكفارة فى العاجل والعقوبة عليها فى الاجل حليم يعنى فى تركه معاجلة اهل
العصيان بالعقوبة قال الحليمى فى معنى الحليم انه الذى لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى
كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك فى معاصيه كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا
عن ان يدعوه كما يقيها للناسك الذى يدعوه ويساله وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه
غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم هو الصفوح مع
القدرة على الانتقام المتانى الذى لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم يؤلون اى يحلفون والالية
اليمين قال قليل الالايا حافظ ليمينه وان ندرت منه الالية برت والايلاء فى عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطى
كما اذا قال والله لا اجامعك ولا اباضعك ولا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيئا
فابت ان تعطيه حلف ان لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله
ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امراته
ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه فى ابتداء الاسلام فجعل الله
تعالى له الاجل الذى لا يعلم به ما عند الرجل فى المراة اربعة اشهر ونزلت هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم تربص اى
انتظار اربعة اشهر والتربص التثبت والانتظار فان فاءو اى رجعوا عن اليمين بالوطى والمعنى فان
رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه
غفور رحيم لكل التائبين فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول حلف ان لا يقرب زوجته ابدا او مدة هى اكثر
من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفىء وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة
الزوجة فان رجع عما قال بالوطى ان قدر عليه او بالقول مع العجز عنه فان لم يفىء ولم يطلق طلق عليه الحاكم
واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى
واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان
الثورى وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثانى لو حلف ان لا يطاها

اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف ان لا يطاها
اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفىء او الطلاق وقد مضت
المدة وعند ابى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة الفرع الرابع مدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر والعبد جميعا
عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند
مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج
كما قالا فى الطلاق الفرع الخامس اذا وطئ خرج عن الايلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة
عليه لان الله وعده المغفرة فقال فان فاءو فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك فى اسقاط
العقوبة عنه لا فى الكفارة وقوله تعالى وان عزموا الطلاق اى حققوا الايقاع فان الله سميع يعنى لاقوالهم عليم
يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله عز وجل والمطلقات
اى المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هى التى اوقع الزوج عليها الطلاق يتربصن بانفسهن اى ينتظرن
فلا يتزوجن ثلاثة قروء جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق
اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة فى الحيض مجاز فى الطهر وقيل بالعكس واختلفوا فى اصله فقيل اصله الجمع من قرا اى جمع
لان وقت الحيض يجتمع الدم فى الرحم وفى وقت الطهر يجتمع فى البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اى لوقته الذى
كان فيه لان الحيض ياتى لوقت والطهر ياتى لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة فى الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما
ان الاقراء هى الحيض يروى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابى موسى وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وبه قال عكرمة
والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء الاطهار
وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهرى
وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة
ايام اقرائك يعنى ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول بانها الاطهار ان ابن عمر لما طلق
امراته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل
ان يمس فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى
ففى كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا اراد انه
كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع اقراؤهن وانما كان يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف
ان مدة العدة عند الشافعى اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها
وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الاقراء اطهارا قالت عائشة اذا دخلت
المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة
قال الشافعى والنساء بهذا اعلم لان هذا انما يبتلى به النساء وان طلقها فى حال الحيض فاذا شرعت فى الحيضة الرابعة انقضت
عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابى حنيفة لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع
الطلاق فى حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع فى حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتربص
فى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن قلت هو خبر فى صورة معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات
فاخرج الامر فى صورة الخبر تاكيدا للامر واشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر
بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحمة
فهو يخبر عنها

فصل

فى احكام العدد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة الحمل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة

والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والامة المسئلة الثانية عدة المتوفى عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسوا
في ذلك الحايض والايسة المسئلة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقرا وهي ثلثة
اقرا والضرب الثاني الايسات من الحيض اما لكبر او لم تكن تحيض قط فعدتها ثلثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول
فلا عدة عليها المسئلة الرابعة عدة الاما بنصف عدة الحراير فيما له نصف وفي الاقرا قرءان لانه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب
ينكح العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين قوله تعالى **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن**
قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل بذلك الكتمان
حق الزوج من الرجعة والولد **ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر** هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب
اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض والولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة
فيه سوا فهو كقولك ادّ حقي ان كنت مؤمنا يعني اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذي يظلم ان كنت مؤمنا
فلا تظلمني والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج
من الرجعة قال ابن عباس والثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المراة اذا رغبت في زوجها تقول اني
حايض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله
عن ذلك وامرهن باداء الامانة **وبعولتهن احق بردهن في ذلك** يعني ازواجهن سمي الزوج بعلا لقيامه
بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك والمعنى وازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة
فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة **ان ارادوا اصلاحا** يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح
وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن
مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **ولهن** يعني وللنساء على الازواج **مثل الذي عليهن** يعني
للازواج **بالمعروف** وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الاخر فيما له وعليه فيجب
على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال في معنى الاية اني احب ان
اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر انه ذكر خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا
غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن
ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانة الله ويروى بامان الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه
باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن فرشكم احدا
تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا
ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطئ الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه
فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب
المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها
وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى **وللرجال عليهن درجة** اي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر
وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة
والقضا وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذا طلقها رجعية

فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها **والله عزيز** اي غالب لا يمتنع عليه شيء **حكيم** اي في جميع افعاله
واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع
فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل **الطلاق مرتان** عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته
ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء
عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك الي ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عايشة قالت كان الناس
والرجل يطلق امراته ما شاء الله ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها ماية او اكثر حتى قال رجل لامراته
والله لا اطلقك فتبينين مني ولا آويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت
المراة حتى دخلت على عايشة فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عايشة فاستانف الطلاق مستقبلا
من كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير
هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب
ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين
الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل
فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم الرجعة على ازواجكم
اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة **فامساك بمعروف**
يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع
من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة **او تسريح باحسان** يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها
من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر
الناس عنها • فروع تتعلق باحكام الطلاق الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث
الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني الحر اذا طلق زوجته طلقة
او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها
او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته
الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين واختلفوا فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك
على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق
وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث
طلقات والحر يملك على زوجته الامة طلقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن** يعني اعطيتموهن
شيئا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله** نزلت في
جميلة بنت عبد الله بن ابي ويقال حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو
يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره
للمراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما
رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته آثارا بها من ضربه وقالت

يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على
وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت صدق
يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه فهو اكرم الناس
حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين
عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها
ففعل عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه
في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت
نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب يعني ما اجد عليه والعتبى المواخذة والحديقة
البستان من النخل اذا كان عليه الحايط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما الا يقيما حدود الله والمعنى
تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج انها اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيئا مما اعطاها
الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم اليا ومعناه الا
ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي **فان خفتم** يعني فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم
الا يقيما حدود الله يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق الزوج **فلا جناح عليهما فيما افتدت به**
اي لا جناح على المراة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من المال لانها ممنوعة
من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المراة طايعة راضية **فصل** في حكم
الخلع وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله
فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة
عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة
في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز الخلع من غير نشوز
ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة
سالت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شيئا فاذا وهبت
وبذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور في هذه الاية انه محمول
على الاستثنا المنقطع المسئلة الثانية الخلع جايز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر
مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطا وطاووس وقال سعيد بن المسيب بل ياخذ دون ما اعطاها
حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا تتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى
عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالفة الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف
بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته المسئلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق فقال الشافعي
في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاووس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق
وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري
وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع

ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان
الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا
فاذا خالعها ولم يذكر عوضا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ
واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا
ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى **تلك
حدود الله** يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها
وهو قوله **فلا تعتدوها** اي لا تجاوزوها **ومن يتعد حدود الله** اي يجاوزها **فاولئك هم الظالمون**
قوله تعالى **فان طلقها** اي الطلقة الثالثة **فلا تحل له من بعد** اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث **حتى تنكح زوجا غيره**
يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل
عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا **ق** عن عايشة
قالت جات امرة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت
بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قوله فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو
كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير عسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما
انث العسل لان من العرب من يونثه وقيل انثه حملا على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن
بن الزبير بفتح الزاي وكسر البا المشددة وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الثاني قد مسني وطلقني فقال لها
ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت
له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لين رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى **فان طلقها** يعني الزوج الثاني بعد وطيها
فلا جناح عليهما يعني على المراة والزوج الاول **ان يتراجعا** يعني بنكاح جديد **ان ظنا** اي علما وايقنا
وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كاين الا الله تعالى **ان يقيما حدود الله** يعني يقيما بينهما الاصلاح وحسن العشرة
والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرع ان الاول مذهب جمهور العلما ان المطلقة
بالثلاث لا تحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرايط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاوها ثم يطلقها
ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرايط حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب
الاول هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه
ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي
انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها
وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الاية دلت على ان
الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق
امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مواامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** يعني يعلمون ما امرهم الله به ونهاهم

عنه وإنما خص الله العلماء لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك لبيان قوله عز وجل **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** نزلت
في ثابت بن يسار رجل من الأنصار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها **فبلغن
أجلهن** أي قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لأنه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها
فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد إذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الأكثر
وقيل إن الأجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن إيقاع الرجعة فيه بحيث إذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة
وعلى هذا التأويل فلا حاجة بنا إلى المجاز **فأمسكوهن** أي راجعوهن **بمعروف** وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها
بالقول لا بالوطء **أو سرحوهن بمعروف** أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن **ولا تمسكوهن ضرارا** أي
لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدي المرأة منه بمالها **لتعتدوا** أي لتظلموهن
بمجاوزتكم في أمرهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن **ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه** أي ضر نفسه بمخالفة أمر الله تعالى وتعريضها إلى عذاب الله **ولا تتخذوا آيات الله هزوا** يعني بذلك ما
بين من حلاله وحرامه وأمره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله
وطاعة رسوله ثم وصل إليه هذه الأحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها
هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع إلى قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فكل من خالف أمرا
من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة أخرجه
أبو داود والترمذي وقوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يعني بالإيمان الذي أنعم الله به عليكم فهذا كمله و
سائر نعمه التي أنعم بها عليكم **وما أنزل عليكم** أي واذكروا نعمه فيما أنزل عليكم **من الكتاب** يعني القرآن
والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل أراد بالحكمة مواعظ القرآن
يعظكم به أي بالكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم **واتقوا الله** يعني خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم
عنه **واعلموا أن الله بكل شيء عليم** يعني أنه تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه
شيء من ذلك وقوله تعالى **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** نزلت في معقل بن يسار المزني عضل أخته جميلة وكانت
تحت أبي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي أخت تخطب إلي وأمنعها من الناس فأتاني ابن عم
لي فأنكحتها إياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلي أتاني
يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت إلي فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك إياها ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة
ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت إلي أتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا أنكحتها أبدا ففي نزلت هذه الآية
وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه أخرجه
البخاري وقيل إن جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها أراد أن يرتجعها
فأبى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية
وأراد ببلوغ الأجل في قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف هذه الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين
على افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن** خطاب للأولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن بأن
تمنعوهن من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الأولياء وإن كان
سبب الآية خاصا وأصل العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر • وليس أخوك الدائم العهد بالذي • يذمك إن ولى
ويرضيك مقبلا • ولكنه النائي إذا كنت آمنا • وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا • يعني إذا ضاق الأمر وفي الآية دليل

للشافعي

للشافعي ومن وافقه في أن المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل
معنى وقوله تعالى **إذا تراضوا بينهم بالمعروف** يعني إذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع
من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو أن يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة
ذلك أي ذلك الذي ذكر من النهي **يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** يعني أن المؤمن هو الذي
ينتفع بالوعظ دون غيره **ذلكم أزكى لكم وأطهر** يعني أنه خير لكم وأطهر لقلوبكم وأطيب عند الله **والله يعلم**
يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير **وأنتم لا تعلمون** يعني ذلك قوله عز وجل **والوالدات** يعني المطلقات
اللاتي لهن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات أو مزوجات ويدل عليه أن اللفظ
عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولأنه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه **يرضعن أولادهن** هذا
خبر بمعنى الأمر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن في حكم الله الذي أوجبه وهذا الأمر ليس أمر إيجاب وإنما هو أمر ندب
واستحباب لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة إرضاع
الولد قوله فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الأجرة وقال تعالى وإن تعاسرتم فسترضع
له أخرى وهذا نص صريح في ذلك فإذا لم يوجد من يرضع الطفل أو لم يقبل غير لبن أمه وجب عليها إرضاعه كما يجب على كل أحد
مواساة المضطر وإن رغبت الأم في إرضاع ولدها فهي أولى به من غيرها **حولين كاملين** الحول السنة وأصله من
حال يحول إذا انقلب وإنما قال كاملين للتوكيد لأنه مما يتسامح فيه تقول أقمت عند فلان حولا وإن لم تستكمله فبين الله
أنهما حولان كاملان أربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد في الحولين ليس تحديد إيجاب ويدل على ذلك قوله تعالى **لمن أراد
أن يتم الرضاعة** فلما علق الإتمام بإرادتنا علمنا أن هذا الإتمام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع التنازع
بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية
عكرمة إذا أرضعت الولد لستة أشهر أرضعته حولين وإن وضعته لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهرا وإن وضعته
لتسعة أشهر أرضعته إحدى وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية
الوالبي عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق من الأبوين فأيهما أراد فطام الولد
قبل الحولين فليس له ذلك إلا إذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات
إرضاع الولد حولين ثم أنزل التخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاعة لمن أراد إتمام الرضاعة وليس
فيما دون ذلك حد محدود إنما هو على مقدار إصلاح الطفل وما يعيش به **وعلى المولود له** يعني الأب وإنما عبر عنه بهذا لأن
الوالدات إنما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد إلى الأب دون الأم قال بعضهم إنما أمهات الناس أوعية مستودعات
وللآباء أبناء وقيل إن هذا تنبيه على أن الولد إنما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكأنه قال إذا ولدت المرأة الولد
لأجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه **رزقهن** أي إطعامهن **وكسوتهن** أي لباسهن **بالمعروف**
أي على قدر الميسرة **لا تكلف نفس إلا وسعها** يعني طاقتها والمعنى أن أب الولد لا يكلف في الإنفاق عليه وعلى أمه إلا قدر
ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ الإسراف القدرة **لا تضار والدة بولدها** يعني لا ينزع الولد من أمه بعد أن رضيت
بإرضاعه ولا يدفع إلى غيرها لأن ذلك ليس بواجب عليها **ولا مولود له بولده** يعني ولا تلقي المرأة الولد إلى أبيه وقد
ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الأب أن يعطي أم الولد أكثر مما يجب عليه لها إذا لم يرضع الولد من غير أمه فعلى هذا
يرجع الضرار إلى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل أن يكون الضرار راجعا إلى الولد
والمعنى لا يضار كل واحد من الأبوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا يشفق عليه الأب أو ينزعه من أمه
فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا أب ولده **وعلى الوارث مثل ذلك**

يعني وعلى وارث أب الولد إذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الأب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبي الصبي في حال حياته واختلف في أي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والأخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث من الرجال والنساء وبه قال أحمد فيجبروا على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فإن لم يكن له مال فعلى الأم ولا يجبر على نفقة الصبي غير الأبوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة **فإن أرادا** يعني الوالدين **فصالا** يعني فطام الولد قبل الحولين **عن تراض منهما** أي على اتفاق من الوالدين في ذلك **وتشاور** أي تشاورون أهل العلم بذلك حتى يخبروا أن الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي بما فيه مصلحة **فلا جناح عليهما** أي فلا حرج ولا إثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين إذا لم يضر بالولد **وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم** أي لأولادكم مراضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم إرضاعهم وتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك أو أردن التزويج **فلا جناح عليكم إذا سلمتم** يعني إلى المراضع **ما آتيتم** يعني لهن من أجرة الرضاع وقيل إذا سلمتم إلى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما أرضعن **بالمعروف** أي بالإحسان والإجمال أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن **واتقوا الله** أي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لأولادكم **واعلموا أن الله بما تعملون بصير** يعني لا يخفى عليه خافية من جميع أعمالكم سرها وعلانيتها فإنه تعالى يراها ويعلمها قوله تعالى **والذين يتوفون منكم** يعني يموتون وأصل التوفي أخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان بمعنى قبض وأخذ **ويذرون** أي ويتركون **أزواجا** والمراد بالأزواج هنا النساء لأن العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمرأة **يتربصن** أي ينتظرن **بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** يعني قدر هذه المدة وإنما قال عشرا بلفظ التأنيث لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا الليالي حتى أن أحدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام فإذا أظهروا الأيام قالوا صمنا عشرة أيام وقيل إن هذه الأيام أيام حزن ولبس حداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في أن الله تعالى حد العدة بهذا القدر لأن الولد يركض في بطن أمه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل إن الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث أخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على أن خلق الولد يجتمع في مدة أربعة أشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه في هذه الأيام الزائدة

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والإحداد وفيه مسائل المسئلة الأولى عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر وعدة الأمة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وبه قال جمهور العلماء وقال أبو بكر الأصم عدة الأمة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والأمة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما

قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي أخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا يكون حكم الآية عام في كل من توفي عنها زوجها بأن تعتد أربعة أشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم أولات الأحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن المسئلة الثانية يجب على المتوفى عنها زوجها الإحداد وهو ترك الزينة والطيب والدهن للرأس بكل دهن والكحل المطيب فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فرخص لها وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا أم سلمة فقلت إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فإنه خضاب قلت بأي شيء أمتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به رأسك أخرجه أبو داود وللنسائي نحوه قوله فإنه يشب الوجه أي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار إذا أوقدها قوله تغلفين به أي تلطخي به رأسك والتغليف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها إذا لطخته بشيء فأكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالأحمر والأصفر ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالأسود والأزرق ويجوز أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر ق عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا م عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوجها ق عن أم عطية قالت كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت إحدانا من حيضها في نبذة من كست أظفار قولها إلا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به عن أم سلمة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل أخرجه أبو داود قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع أن صفية بنت عبد الله اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان أخرجه مالك في الموطأ المسئلة الثالثة اختلفوا في أن هذه المدة سببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الأيام في العدة واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحصل إلا بالقصد إلى التربص ولا يحصل ذلك إلا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه الأزمنة يعني المدة المسئلة الرابعة أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وإن كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه إن شاء الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى **فإذا بلغن أجلهن** أي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** خطاب للأولياء لأنهم هم الذين يلون العقد **فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف** يعني من التزين والتطيب

والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل إنما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعي بأن قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا لهم وأجيب عن قوله فيما فعلن في أنفسهن إنما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها **والله بما تعملون خبير** يعني أنه تعالى لا تخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل **ولا جناح** أي لا حرج **عليكم فيما عرضتم به** أي لوحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الإشارة إلى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن **من خطبة النساء** يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو أن يقول إنك لجميلة وإنك لصالحة ومن غرضي التزويج وإني فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بأن يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد التزويج وإن النساء لمن حاجتي ولوددت أنه ييسر لي امرأة صالحة أخرجه البخاري وروي أن سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال لقد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **أو أكننتم في أنفسكم** يعني أضمرتم من نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء والمقصود أنه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها **علم الله أنكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لأن شهوة النفس والتمني لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشيء الشاق أسقط عنه الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فإذا أوفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني نفسك فإني ناكحك وقيل هو أن يأخذ عليها العهد والميثاق أن لا تتزوج غيره وقيل هو أن لا يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس ألا زعمت بسباسة القوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي بسباسة اسم المرأة وإنما أوقع الكناية عن الجماع بالسر لأنه مما يستر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية أن الله تعالى أذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة **إلا أن تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو إعلام ولي المرأة أنه راغب في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله** أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وإنما سماها كتابا لأنها فرضه **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه** أي فخافوه **واعلموا أن الله غفور حليم** لا يعجل بالعقوبة

على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله تعالى **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة** أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك فإن قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جاء في الحديث أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت أو طاهرا لأنه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن** أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتاع ما يتبلغ به من الزاد **على الموسع** أي الغني الذي يكون في سعة من غناه **قدره** أي قدر إمكانه **وعلى المقتر** أي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** أي قدر إمكانه **متاعا بالمعروف** يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف من غير ظلم ولا حيف **حقا** أي ذلك حقا واجبا لازما **على المحسنين** يعني إلى المطلقات بالتمتع وإنما خص المحسنين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو المؤمن

فصل

في بيان حكم الآية وفيه فروع الفرع الأول إذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لأنها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو أحد الروايتين عن أحمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الأخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب درع وخمار وإزار وأقلها دون ذلك وقاية أو مقنعة أو شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لأنه قال أعلاها على الموسر خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امرأته بعشرة آلاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال أبو حنيفة مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوزه وقال أحمد في إحدى الروايتين عنه يتقدر بما يجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الأخرى يتقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على أن المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وأنه مفوض إلى الاجتهاد لأنها كالنفقة التي أوجبها الله تعالى للزوجين وبين أن حال الموسر مخالف لحال المعسر في ذلك الفرع الرابع ومن حكم الآية أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بأن يفرض لها صداقا فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها قبل الفرض والدخول لها المتعة قوله عز وجل **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن** يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله **وقد فرضتم لهن فريضة** أي سميتم لهن مهرا **فنصف ما فرضتم** أي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي أن الخلوة من غير مسيس لا توجب إلا نصف المهر المسمى لأن المسيس إما حقيقة في المس في البدن أو جعل كناية عن الجماع وأيما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة الصحيحة تقدر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة أن يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس والصوم وصوم الفرض وصلاة الفرض والإحرام سواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم أسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا إذ زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس إذا خلا بها ولم

والمتعة

التمتع

ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية قبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان
الزوج هو الميت وقوله **الا ان يعفون** يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج
فيعود جميع الصداق الى الزوج **او يعفو الذي بيده عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس
في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول
الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع
وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها
للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما
يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول
الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج
عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا
روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق
للمراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مالها **وان تعفوا اقرب للتقوى** هذا خطاب للرجال
والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض
ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساقه
من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل
الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق **ان الله بما تعملون**
يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق **بصير** اي لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل **حافظوا**
اي داوموا وواظبوا **على الصلوات** يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس
بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها **والصلوة الوسطى** تانيث الاوسط
ووسط كل شيء خيره واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على
الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات محلا **فصل** في ذكر اختلاف العلما
في الصلوة الوسطى قد اختلف العلما من الصحابة فمن بعدهم في الصلوة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلوة الوسطى
هي صلوة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطا وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك
والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلوة الوسطى صلوة الفجر اخرجه مالك
في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا
نهار والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا ليل وصلوة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة
بسبب برد الشتا وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضا وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة
عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلوة الفجر
مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها
المذهب الثاني انها صلوة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عائشة وبه قال
عبيد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلوة الوسطى

صلوة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلوة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلوة الظهر تاتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين
يعني صلوة الفجر وصلوة العصر المذهب الثالث انها صلوة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن
عباس وابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل
وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا
مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث
ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وبيوتهم
نارا كما شغلونا عن صلوة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وذكر نحوه وزاد في اخرى
ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة
العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله اجوافهم
وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوة الوسطى صلوة
العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة
ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال فلما بلغتها اذنتها فاملت
علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلوة العصر تاتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتي
بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي ليل وهما المغرب والعشا وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها
ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلوة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من ترك صلوة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلوة العصر اي قدموها في اول وقتها ق عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله
فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلوة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع
انها صلوة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب ان صلوة المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من
ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلوة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها
واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلوة العشا ولم ينقل عن احد من السلف
فيها شيء وانما ذكرها بعض المتاخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها
اثقل صلوة على المنافقين المذهب السادس ان الصلوة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على
الصلوات الخمس ثم عطف الصلوة الوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات
الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم في المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة
الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم
في جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلما قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن
الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوات الوسطى كلها تصبها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلوة الوسطى فقال للسائل
الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا
لسائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها انها

قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال

العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله اعلم قوله تعالى **وقوموا لله قانتين** اى طايعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة
واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها قيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم
طايعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل امن هو قانت ولما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت
على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل
القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل عليه ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل
صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين
وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة
طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشوع
فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا
الا ناسيا قوله تعالى **فان خفتم فرجالا** اى رجالة **او ركبانا** يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا
قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم
او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسابقة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان
احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حالة القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعها فاذا التحم القتال وهو المراد بهذه الاية ولم يمكن تركه
لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون
السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة و
يقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب
علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق
بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف
الحاصل لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او قصده سبع هايج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة
امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت
قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت
لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان
نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة
من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاووس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة
الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر
وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال
وتاولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة
في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى
فاذا امنتم يعني من خوفكم **فاذكروا الله** اى فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها **كما علمكم**
ما لم تكونوا تعلمون فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل
الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا**
يعني زوجات **وصية لازواجهم** قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم وصية

متاعا الى الحول اى متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة طعامها وكسوتها وما تحتاج اليه
غير اخراج اى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة
ومعه ابواه وامراته وله اولاد فمات فوقع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله
عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء
الاسلام اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها
واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها
النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه
الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى
نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى
ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة
في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
وقوله تعالى **فان خرجن فلا جناح عليكم** يعني يا معشر اوليا الميت **فيما فعلن في انفسهن من معروف** يعني التزين
للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول
والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها
الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله
تعالى ذلك باربعة اشهر وعشر **والله عزيز** اى غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده
حكيم يعني فيما شرع من الشرايع وبين من الاحكام قوله تعالى **وللمطلقات متاع بالمعروف** انما اعاد الله
تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله
تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل
فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى **حقا على المتقين** يعني على
المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة **كذلك يبين الله لكم آياته** يعني يبين لكم ما يلزمكم
ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك ابين
لكم ساير احكامي في آياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اى لكي تعقلوا
ما بينت لكم من الفرايض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل **الم تر** قال اكثر المفسرين
كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين خرجوا وهلك
اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا لو انا
صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون
من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح اى اوسع فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة
ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا ق ان عمر خرج الى الشام فلما
جاء سرغ بلغه ان الوبا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم
به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما
فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا
وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي ناتيها بها وبا فلا نخرج حتى ينقطع منها الوبا فارسل الله

عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم
حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد
فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس إليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
فذلك قوله تعالى ألم تر يعني ألم تعلم يا محمد بإعلامي إياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب يقول هل رأيت مثل
هؤلاء كما تقول ألم تر إلى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه **إلى
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف** قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف
وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقاويل قول من قال إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف
لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع آلف والأول أصح قال
فمر عليهم مدة فبليت أجسامهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم
بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوقنا ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه
كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذا الكفل سمي به لأنه تكفل سبعين
نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك
آية قال نعم يا رب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل إنهم كانوا قومه أحياهم الله
بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك
فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله إليه أني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا وقيل
إنهم قالوا حين حيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت
على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وإنها لتوجد
اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود وقال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثوا
ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فإن قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى قلت إن موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل إن موتهم وإحياءهم كان معجزة من معجزات
ذلك النبي ومعجزات الأنبياء خوارق العادة ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله إلا الموتة عام مخصوص بمعجزات
الأنبياء فيكون تقدير قوله إلا الموتة الأولى أي التي ليست من معجزات الأنبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية
احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك
وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو
تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيمة **حذر الموت** أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم أمروا بالجهاد ففروا
منه حذر الموت **فقال لهم الله موتوا** يحتمل أنهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك من تحويل فهو كقوله
تعالى كونوا قردة خاسئين **ثم أحياهم** يعني بعد موتهم **إن الله لذو فضل على الناس** يعني أنه تعالى تفضل على
أولئك الذين أماتهم بإحيائهم لأنهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم بإعادتهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى
يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيمة **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** يعني أن أكثر
من أنعم عليهم لا يشكرونه أما الكافر فإنه لم يشكر أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله**
قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه إضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل
هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك فيه تحريض للمؤمنين على الجهاد
واعلموا أن الله سميع يعني لما يقوله المتعلل عن القتال **عليم** بما يضمره قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا**

حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب
لأنهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن أبي الصلت كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا
أو سيئا أو مدينا كالذي دانا وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع إليه مثله
ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر
والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه فهو كقوله إن الذين يؤذون الله
أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يوم القيمة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه
أما لو علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله
وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبري
بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وإن الله يريد منا القرض قال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك قال فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه
ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي
من الحائط فإني قد أقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لأبي الدحداح وقيل في
معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الأقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الإنفاق
من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة
فيضاعفه له يعني ثواب ما أنفق **أضعافا كثيرة** قيل هو يضاعفه إلى سبعمائة ضعف وقال السدي هو التضعيف
لا يعلمه إلا الله وهذا هو الأصح وإنما أبهم ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود **والله يقبض ويبسط**
قيل يقبض بإمساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط
بالخلف والثواب وقيل إنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الإنفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإرادته
وإعانته والمعنى فالله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على فعل الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر
على فعل الطاعات والإنفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها
والسكوت عنها وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه
الأمة **وإليه ترجعون** يعني في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله تعالى **ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل** الملأ
أشراف القوم ووجوههم وأصله من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط **من بعد موسى** أي من بعد موت
موسى أو من بعد زمنه **إذ قالوا لنبي لهم** يعني أولئك الملأ لنبي لهم اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون
بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وإنما سمي شمعون لأن أمه
دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين
بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو إشمويل بن بال وقيل ابن هلقانا قيل إنه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي
بعينه ليس مرادا من القصة إنما المراد منها الترغيب في الجهاد وحاصل ذكر الإشارة إلى القصة كان سبب مسألة
أولئك الملأ لذلك النبي أنه لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله ويحكم
بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الأحداث بعده

في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل
من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التورية ويامروهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان
فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا فظهر لهم عدو يقال لهم البلثا
وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير
من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعماية واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم
ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها
في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما يرى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المراة تدعو ان الله يرزقها
غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسمعيل تقول سمع الله دعاي فلما كبر الغلام اسلمته التوراة في بيت
المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان الشيخ
لا يامن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك دعوتني فكره
الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فدعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني
فلما كان الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا
فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي
هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان
من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** جزم على جواب الامر فلما قالوا
له ذلك **قال** يعني قال النبي **هل عسيتم** هذا استفهام شك يقول لعلكم **ان كتب عليكم** اي فرض عليكم **القتال**
اي مع ذلك الملك **الا تقاتلوا** يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله**
فان قلت ما وجه دخول ان والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان
صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا في ان لا
نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هاهنا زايدة ومعناه ما لنا لا نقاتل في سبيل الله **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا**
اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا كانوا في
ديارهم وابنائهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين
في بلادنا ان لا يظهر علينا عدونا فاذ بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى
فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف تقديره فسال الله ذلك النبي فبعث الله اليهم ملكا وكتب عليهم القتال **تولوا**
اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله **الا قليلا منهم** يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت
واقتصروا على الغرفة على ما سياتي في قصتهم ان شاء الله تعالى **والله عليم بالظالمين** يعني هو عالم بمن ظلم نفسه
حتى خالف امر ربه ولم يف بما قاله قوله تعالى **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** وذلك ان
اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصى وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون
طوله طول هذه العصى وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن
راسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان
اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الادم قال وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره
فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت اشمويل النبي فقال الغلام

فنام

طوله

وهو

طالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا او يدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما
اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه
بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت وما علمت ان سبطي ادنى
سبط بني اسرائيل قال بلى قال فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فاتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان
طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في
سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا **قالوا انى يكون له الملك علينا**
اي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه **ونحن احق بالملك منه** انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان
سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام وسبط
المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من
بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا وزعموا انهم احق بالملك منه ثم انهم اكدوا ذلك بقوله **ولم يؤت
سعة من المال** يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال **قال** يعني اشمويل النبي **ان الله اصطفاه عليكم**
اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الاية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة
وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد
والمستحق للملك من خصه الله به **وزاده بسطة** اي فضيلة وسعة **في العلم** وذلك لانه كان من
اعلم بني اسرائيل وقيل انه اوحي اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب **والجسم** يعني بالطول وذلك لانه
كان اطول الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم
بالحروب والقوة على الاعداء مما فيه حفظ الملك **والله يؤتي ملكه من يشاء** يعني انه تعالى واسع الفضل
والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا
والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع
ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى **عليم** يعني انه تعالى مع قدرته على اغناء الفقير عليم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه
وملكه والعليم هو العالم بما يكون وما كان قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت**
وذلك انهم سالوا اشمويل فقالوا له وما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكان **قصة** التابوت
على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه السلام تابوتا فيه صور الانبياء وكان التابوت
من خشب الشمشاد طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان
بلغ ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل
الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التورية ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبياء بني اسرائيل
الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكره الله وهو قوله **فيه سكينة من ربكم** واختلفوا في تلك السكينة
ما هي فقال علي بن ابي طالب هي ريح خجوج هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شبه الهرة لها
راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة ولها جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا
اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا
وقال ابن عباس هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى يتكلم اذا
اختلفوا في شيء فيخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال قتادة

يعني ان الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بالملك من يشاء من عباده

والله واسع

شيء

والكلبي هي فعيلة من السكون اى طمانينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمانوا وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة
فعلى هذا كل شيء كانوا اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن القلب اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص
صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون** يعني موسى وهارون
انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود والمراد به داود نفسه
واختلفوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيل هي رضاض من الالواح وعصى موسى قال ابن عباس وقيل عصى موسى
وعصى هرون وشيء من الواح التورية وقيل كانت العلم والتورية وقيل كان فيه عصى موسى ونعلاه وعصى هارون
وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت عند بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا
اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به
على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان
السبب في ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان عيلى حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه
فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان مسوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجاه كان
للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل ان انطلق
الى عيلى وقل له منعك حب الولد ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيئا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك
ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا
بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهم التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره
ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع
على قفاه فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال
لهم نبيهم يعني اشمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت وكان قصة رجوع
التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها
ازدود فجعلوه في بيت اصنامهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه
فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت
واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ تلك الناحية
وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه
الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه
فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم
امراة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه
عنكم فاتوه بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران
يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا
حبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا
وحمدوا الله تعالى **تحمله الملائكة** اى تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض
وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك
حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت
الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه **ان في ذلك لآية لكم** يعني قال لهم

بينهم اشمويل ان مجيء التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا **ان كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهبوا
للخروج الى الجهاد فاسرعوا الى طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** اى خرج واصل
الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل
ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا
التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم
وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا **فقال** طالوت **ان الله مبتليكم بنهر**
اى مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين
فمن شرب منه فليس مني اى فليس من اهل ديني وطاعتي **ومن لم يطعمه** اى لم يذقه يعني الماء **فانه مني**
يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف غرفة بيده** قرئ بفتح الغين وضمها لغتان وقيل الغرفة بالضم الذي يحصل
في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر **فشربوا منه** يعني من النهر **الا قليلا
منهم** قيل هم اربعة آلاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البراء
ابن عازب رضي الله عنه قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين
جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة عشر مؤمنا وثلثمائة اخرجه البخاري وقيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا
الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف كما امره الله تعالى غرفة كفته لشربه
وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم
العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال
وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعني جاوز النهر طالوت **والذين
آمنوا معه** يعني اولئك القليل **قالوا** يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق
فعلى هذا يكون جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون **لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده** فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت
الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين راوا العدو
قسم قالوا لما راوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا اليوم لا قوة لنا اليوم بجالوت
وجنوده **قال الذين يظنون** اى يستيقنون ويعلمون **انهم ملاقوا الله** اى ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار
الآخرة **كم من فئة قليلة** الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط **غلبت فئة كثيرة باذن الله** اى
بقضاء الله وقدرته وارادته **والله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا**
يعني طالوت وجنوده المؤمنين **لجالوت وجنوده** يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما
ظهر واستوى منها **قالوا** يعني المؤمنين اصحاب طالوت **ربنا افرغ علينا** اى اصبب علينا **صبرا وثبت اقدامنا**
اى قو قلوبنا لتثبت اقدامنا **وانصرنا على القوم الكافرين** وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون
الاصنام فسال المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين **فهزموهم باذن الله** يعني ان الله تعالى استجاب
دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه

وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم **وقتل داود جالوت** وكانت قصة قتله على ما ذكر اهل التفسير
واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة
فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قذافتك
ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه
ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح
معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل ان ابرز الي
وابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى
في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم ان
يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي
يوضع هذا القرن على راسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا
التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري
فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا رب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله
ان لي ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها
وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر اصفر فدعا به طالوت ويقال انه خرج
اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما
راه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع
القرن على راسه ففاض فقال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم
فقال له انست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او الذئب فياخذ شاة
من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها فاخرقهما الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه
السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني
حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته
فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتهيؤوا وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة انتدب له داود عليه
السلام فاعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن
الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح عني
شيئا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو
جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل
فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه
السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب فقال جالوت لا جرم لاقسمن
لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم اله ابراهيم
واخرج حجرا ثم قال بسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال بسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت
الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة

فخلط

فخلط دماغ جالوت فخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه
بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل
الناس يذكرون داود فجاء الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت
علي صداقا وليس لي شيء فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتي
رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما يقتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها
الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام
واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك
داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا
يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق
خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين
بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر شربه للخمر وخرج
فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه
وحراسه واغلق ابوابه دونه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه
وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ
طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله فظفر بي فكف عني ولو شاء
لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو
نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما
اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا
فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل هنا لتخرق هذا
النسج فانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان
داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلماء والعباد حتى اتى بامراة تعلم الاسم
الاعظم فامر جبارا بقتلها فرحمها الجبار فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة
والندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي ويقول وينادي انشد الله
عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا
امواتا فازداد حزنا وبكاء فدخل الجبار الى طالوت لما راى من حاله فقال له ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم
لي توبة او تعلم في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الجبار ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال
لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي قال نعم فانطلق
به فلما قربا من الباب قال له الجبار ايها الملك اذا راتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الجبار
يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك
يسالك هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على
قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر شمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم نادت يا صاحب القبر فخرج
ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسالك

هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة الا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى بكاء شديدا حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفتدوني منها فقالوا بلى نفتديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امر به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحيوة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي تحيى بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة واتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك والحكمة** يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشاء** اي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش حتى يوخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الريح عند قراءته وقيل علمه الله سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبه بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد على الوديعة فقال الصاحب لا اعلم لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني فمد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفعها الله قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار **لفسدت الارض** اي هلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض **ولكن الله ذو فضل على العالمين** يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم **تلك آيات الله** يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي **نتلوها عليك بالحق** اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم **وانك لمن المرسلين** يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا استماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل **تلك الرسل** يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة

فضلنا

فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اي من الرسل **من كلم الله** اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته كافة على سائر الانبيا بما فضله به عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا آية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بآيات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهي معجزة ثابتة الى يوم القيمة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى **وايدناه بروح القدس** اي قويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السما فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبيا قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتاييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبيا آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين **ولو شاء الله** اي ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة **ما اقتتل الذين من بعدهم** يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه **ولكن اختلفوا** اي اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل **فمنهم من آمن** اي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله **ومنهم من كفر** اي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل **ولو شاء الله ما اقتتلوا** اي ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف فحجزهم عن ذلك **ولكن الله يفعل ما يريد** يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم** قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع

والانفاق في وجوه الخير من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه أي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك
والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدي به من العذاب ولا خلة
اي لا مودة ولا صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة
بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز
وجل الله لا اله الا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الآية الكريمة عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي
اخرجه الترمذي قوله ان لكل شيء سناما وسنام الشيء اعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة
والسيد الفاضل في قومه والشريف الكريم واصله من ساد يسود وقوله فهي سيدة آي القرآن اي افضله م عن ابي بن
كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي آية في كتاب الله معك اعظم قلت
الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم ابا المنذر عن واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه
وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان اي آية في القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله
الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من
اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحيوة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه
اصول الاسماء وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا
الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر الكتب المنزلة ومنع من جوز
تفضيل بعض القرآن على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي
نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ اعظم وافضل في بعض الآيات
او السور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل
هو راجع الى عظم اجر القارئ وجزيل ثوابه وقوله ان هذه الآية او هذه السورة اعظم او افضل يعني ان الثواب
المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي
ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله
لا اله الا هو نفي الالهية كل اله سواه واثبات الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك
زيد كريم الحي يعني الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحيوة موصوفا لم تحدث
له الحيوة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك الا وجهه
سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم
وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما
كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم
النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان ما بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل
للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة
تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن ان يأخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال
على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة فانه تعالى منزه عن النقص والآفات ولان ذلك
تغير والله تعالى منزه عن التغير م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات

فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل
عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق بلفظ
هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس
والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه ان الله تعالى
يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق
ومعنى يخفض يضيق على من يشاء ويرفعه اي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل النهار يعني انه الحفظة
من الملائكة يصعدون باعمال النهار بعد انقضائه في اول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات
وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون للاجسام المحدودة والله تعالى
منزه عن الجسم والحد والمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمي ذلك الشيء المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من الادراك
في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان
الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا او نارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته
هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه
السلام سأل الملائكة هل ينام الله فاوحى الله تعالى الى الملائكة وامرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه
قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس
نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة
مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس
قال بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لان الانبياء عليهم السلام
هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا السؤال والله اعلم قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
يعني ان الله تعالى مالك ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب
مجرى الكل فعبر عنه بلفظة ما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي بامره وهذا استفهام انكار والمعنى
لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد
عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض النبيين والملائكة
وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة
وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه
بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى
عليه شيء من احوال جميع خلقه ولا يحيطون بشيء من علمه يقال احاط بالشيء اذا علمه وهو ان يعلم وجوده
وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه قيل قد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا
لا يحيط بمعلومات الله تعالى الا بما شاء يعني ان يطلعهم عليه وهم الانبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه
دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وسع كرسيه السموات
والارض يقال فلان يسع الشيء سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه

لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات م

على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال أحدها أن الكرسي هو العرش
نفسه قاله الحسن لأن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني أن الكرسي غير العرش وهو أمامه
وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي إن السموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب
العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس أن السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس وقيل إن كل قائمة من قوائم
الكرسي طولها مثل السموات والأرض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه وأقدامهم
على الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى ملك على صورة أبي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من
السنة إلى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للأنعام من السنة إلى السنة وملك على صورة السبع
وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة إلى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة إلى
السنة وفي بعض الأخبار أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور
غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث أن
الكرسي هو الاسم الأعظم لأن العلم يعتمد عليه كما أن الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع
المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لأن الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن تكنى عن الملك
بالكرسي على سبيل المجاز **ولا يؤوده** أي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه **حفظهما** أي حفظ السموات
والأرض **وهو العلي** أي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال
والكمال فهو العلي بالإطلاق المتعالي عن الأشباه والأنداد والأضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر
فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول إلى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها
على كل وجه وقيل معناه أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني أنه ذو العظمة والكبرياء الذي
لا شيء أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في
صفة الله تعالى ينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام قوله تعالى
لا إكراه في الدين وسبب نزول هذه الآية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة
وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش جعلته في اليهود فجاء الإسلام وفيهم
منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم
أبناؤنا وإخواننا فنزلت لا إكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم
منكم وإن اختاروهم فاجعلوهم معهم وقيل كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان
فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما
وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا
أنظر فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الإسلام
وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن كتاب يرجعون إليه فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ونزل في أهل
الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الإسلام فعلى هذا القول تكون الآية
محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الإسلام وقبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخت بآية القتال
وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى
لا إكراه في الدين أي دين الإسلام وليس فيه إكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح

وتبين

وتبين الحق من الباطل والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته **ومن يكفر
بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الإنسان
فهو طاغوت فاعول من الطغيان **ويؤمن بالله** أي ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه
إشارة إلى أنه لا بد للكافر أن يتوب أولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح إيمانه وهو
قوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى
تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضى الله تعالى وهو دين الإسلام **لا انفصام لها** أي لا
انقطاع لها حتى تؤديه إلى الجنة والمعنى أن المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الإسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق
الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه **والله سميع عليم** يعني أنه تعالى سميع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين
عليم بما في قلبه من الإيمان وقيل معناه سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام عليم بحرصك على إسلامهم قوله عز وجل
الله ولي الذين آمنوا أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي أمورهم فلا يكلهم إلى غيره وقيل هو متولي
هدايتهم **يخرجهم من الظلمات إلى النور** أي من الكفر إلى الإيمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات
والنور فالمراد به الكفر والإيمان غير الذي في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل
والنهار وإنما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولأن الظلمة تحجب الأبصار عن إدراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب
القلوب عن إدراك حقائق الإيمان وسمي الإسلام نورا لوضوح طريقه وبيان أدلته **والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت** يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤساء الضلالة **يخرجونهم من النور إلى الظلمات**
أي من الهدى إلى الضلالة فإن قلت كيف قال يخرجونهم من النور إلى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت
هم اليهود وكانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته
فلما بعث كفروا وجحدوا نبوته وقيل هو العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت إياهم من الدخول فيه إخراج من الإيمان
يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم خيره وإن لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لأبيه أخرجتني عن مالك
إذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام إني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله ولم يكن قط في ملتهم **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين
يخلدون فيها دون غيرهم **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه** يعني هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي خاصم إبراهيم
وجادله لأن ألم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم تر إلى فلان كيف يصنع
معناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج إبراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الأرض وادعى الربوبية **أن آتاه الله الملك** أي لأن آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت
تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين وأما
الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعونا إليه **إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت** وقيل بل كان هذا بعد إلقائه في النار
وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان إذا أتاه أحد يمتار يسأله من ربك
فيقول أنت فيميره فجاء إبراهيم صلى الله عليه وسلم إليه يمتار لأهله الطعام فأتاه فقال له من ربك قال ربي الذي
يحيي ويميت **قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر** فرده بغير طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب رمل أعفر فأخذ منه تطييبا لقلوب أهله إذا دخل
عليهم فلما أتى أهله ووضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة إلى رحله ففتحته فإذا هو طعام أجود ما رآه أحد فصنعت

منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بي واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعمائة سنة يضرب راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك يعذب اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني نمرود انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصرة حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح **والله لا يهدي القوم الظالمين** يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود وقوله عز وجل **او كالذي مر على قرية** هذه معطوفة على الآية قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج ابراهيم وهل رايت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا يشك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن خلقيا من سبط هارون وهو الخضر والمقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك لما خربها بخت نصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابر اباذ وقيل سلماباذ وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس **وهي خاوية على عروشها** اي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك **قال انى يحيي هذه الله بعد موتها** يعني ذلك المار فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي هذه الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية في نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك

بني

بني اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الى ملك بني اسرائيل فقال لارميا اين ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله تعالى فقال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي جئتك في شان اهلي مرتين فقال ارميا اما آن لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا على اي عمل رايتهم قال على عظيم سخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة غلمة وكان في

اولئك العلماء دانيال وحنانيا وعزير وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام
فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل
اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايليا وهي ارض بيت المقدس فلما راى خرابها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزيرا قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم بسبي بني اسرائيل
وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط
دجلة فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل
فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما راى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها
وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى الحديث وهب قال ثم ان ارميا ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى
عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون
فلم يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة سبعين سنة ارسل الله تعالى
ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك وقال له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى
يعود اعمر ما كان فانتدب الملك في الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله
تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها
فعمروها ثلثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت
ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء ايتها
العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان
كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن الله تعالى ثم نهق وعمر الله ارميا فهو يدور في الفلوات
فذلك قوله تعالى **فاماته الله مائة عام** اصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان
الشمس تعوم في جميع بروجها **ثم بعثه** اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم لبثت**
يعني قال الله له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان ابعثك من مكانك حيا ويقال ان الله تعالى لما احياه
بعث اليه ملكا فساله كم لبثت **قال** يعني ذلك المبعوث بعد مماته لبثت يوما وذلك ان الله تعالى اماته ضحى
في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال **لبثت يوما** وهو يرى ان الشمس
قد غابت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال **او بعض يوم** **قال** يعني قال الله تعالى له وقيل قال له الملك
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته **وشرابك** يعني ذلك
العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته لم يتغير
ولم ينتن **وانظر الى حمارك** اي وانظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام
بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك اية للناس** قيل الواو زائدة مقحمة
وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء
لنجعلك اية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو شاب
اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك اية للناس **وانظر الى العظام
كيف ننشرها ثم نكسوها لحما** قرئ بالراء ومعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه
وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز
الشيء رفعه وازعاجه يقال انشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد

عظام الحمار وقيل ان الله تعالى لما احيا عزيرا او ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك
وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فتركب بعضها على بعض حتى الكسرة
من العظم رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسى الله تلك العظام اللحم والعروق
والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام
الحمار حيا باذن الله ثم نهق وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى اماته ثم بعثه ولم يمت
حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فراى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرمة
في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام وذلك ان الله اول ما احيا منه عينيه فنظر فراى سائر جسده ميتا
وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية وعن ابن عباس وغيره من المفسرين
لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكره الناس وانكرهم الناس وانكر منازله
فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم ولما خرج عزير
عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت
ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر
فقال اني عزير ان الله اماتني مائة سنة ثم احياني فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة فكان يدعو للمريض وصاحب
البلاء بالعافية فادع الله ان يرد علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا
واخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك عزير وانطلقت
الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشر سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت
هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم ان الله كان
قد اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف
عن كتفيه فنظر اليها فواها فعرفوا انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بخت نصر التورية ولم يكن من الله عهد
بين الخلائق بكى عزير على التورية فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل
وقد علمه الله التورية وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توريتكم
قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التورية في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا
عزير ابن الله وستاتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى **فلما تبين له** يعني فلما اتضح له عيانا
ما كان ينكره من احياء القرية وراه عيانا في نفسه **قال اعلم** قرئ مجزوما موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرئ
اعلم على قطع الهمزة ورفع الميم على الخبر عن الذي قال انى يحيي هذه الله والمعنى فلما تبين له وراى ذلك عيانا قال **ان الله
على كل شيء قدير** يعني الاماتة والاحياء قوله عز وجل **واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى** اختلفوا
في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتا
وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البحر والبر فاذا مد البحر جاءت الحيتان
فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم
ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني كيف
تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى **فقال اولم تؤمن** يعني اولم تصدق **قال بلى** يا رب
قد علمت وامنت **ولكن ليطمئن قلبي** اي يسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له
علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب

البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا
في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون
رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونه ويسالونه في دعائهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان
يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال
نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود
انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل لي انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك
الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير
الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك ان تدخل داري فقال
اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك الموت فقال له من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك
خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فح قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن اولى بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى
قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث
يوسف لاجبت الداعي القول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها واصحها ما نقله المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك
في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق بالشك من ابراهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك
وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي
ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم
اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس
وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسألة من ابراهيم لم تعرض
من قبل الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيده الاستدلال
وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين
وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا وقيل ان تعلم انه صلى الله
عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل هو معطوف
على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والتقدير الم تر اذ قال ابراهيم رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اعني قال الله لابراهيم اولم تؤمن الالف فيه الف ايجاب واستفهام كقول جرير الستم خير من ركب
المطايا اي انتم كذلك والمعنى او لست قد امنت وصدقت باني احيي الموتى قال بلى قد امنت وصدقت ولكن
ليطمئن قلبي يعني بيانا لشك ذلك اراده طمانينة القلب بزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن ليطمئن قلبي
لاري من اياتك واعلم انك قد اجبتني **قال فخذ اربعة من الطير** قيل فخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا
وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران
في السماء والارتفاع في الهوى وكانت همة ابراهيم عليه السلام العلو والوصول الى الملكوت فكانت

معجزة

معجزة مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففي الطاووس
اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة
الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف
وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق اعلى الدرجات وفاز بنيل السعادات **فصرهن**
قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن **اليك** ووجههن وقيل معناه
اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن
فحذفه اكتفاء بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله
عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره
ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس امره ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان
يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة المشرق وجبل على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال
وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الاخرى وابراهيم
ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير رؤس ثم اقبلن سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر مال برأسه فان
كان رأسه دنا منه وان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن يأتينك سعيا**
قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة
لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير الطير او ان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك
سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة **واعلم ان الله**
عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يعجزه شيء **حكيم** يعني في جميع اموره قوله تعالى **مثل الذين ينفقون**
اموالهم في سبيل الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل
فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اي كمثل زارع حبة **انبتت**
يعني اخرجت تلك الحبة **سبع سنابل** جمع سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** فان قلت فهل رأيت سنبلة
فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وان لم يوجد
والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الاية انه اذا علم
الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا
التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة انه لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له
بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة **والله يضاعف لمن يشاء** يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء
وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما لا يعلمه
الا الله **والله واسع** اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال **عليم**
يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان
فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان
بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان
ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجاء باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت أربعة آلاف وأربعة آلاف أخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت المعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم **ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى** أي يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بالمن والأذى وهو أن يمن عليه بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا أو قد بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن في اللغة الإنعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة وقد يكون ذلك القول أيضا منة ومنه قول الشاعر فمن علينا بالسلام فإنما كلامك ياقوت ودر منظم ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف سلامك عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهاره والمن به قال قائلهم في المدح بترك المن زاد معروفك عندي عظما أنه عندك مستور حقير تتناساه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كبير وقال قائلهم يذم المنان بالعطا أتيت قليلا ثم أسرعت منة فنيلك ممنون فذاك قليل وأما الأذى فهو ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول أو فعل إذا عرفت هذا فقول المن هو المعروف إلى الناس والمن عليهم به والأذى هو أن يشكي منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والأذى فيه وذم فاعله فإن قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله إفضاله على عباده وإحسانه إليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **لهم أجرهم** يعني ثوابهم **عند ربهم** يعني في الآخرة **ولا خوف عليهم** يعني يوم القيمة **ولا هم يحزنون** يعني على ما خلفوا من الدنيا **قول معروف** أي كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يعده بها وقيل دعاء صالح يدعو له بظهر الغيب **ومغفرة** أي يستر عليه خلته وفقره ولا يهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه حالة رده **خير من صدقة** يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها إلى الفقير **يتبعها أذى** وهو أن تعطي الفقير الصدقة وتمن عليه بها وتعيره بقول أو تؤذيه بفعل **والله غني** أي مستغن عن صدقة العباد وهو الغني الكامل الذي لا يحتاج إلى أحد وليس كذلك إلا الله تعالى **حليم** يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم** يعني أجور صدقاتكم **بالمن والأذى** يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والأذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى **كالذي** أي كإبطال الذي **ينفق ماله رئاء الناس** أي مراءاة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** يعني أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء به **فمثله** أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر أعماله **كمثل صفوان** أي هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفي **عليه تراب** أي على ذلك الصفوان تراب **فأصابه وابل** يعني المطر الشديد العظيم القطر **فتركه صلدا** يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته ويؤذي الناس يرى الناس أن لهؤلاء أعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيمة تبطل أعمالهم وتضمحل لأنها لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني الذين سبق في

علمه أنهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء م عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله** أي طلب رضى الله **وتثبيتا من أنفسهم** يعني على الإنفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه وقيل معناه أن أنفسهم موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى أنهم يخرجون زكوة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بإخلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن كانت لله خالصة أمضاها وإن خالطه شك أو رياء أمسك **كمثل جنة** أي بستان قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس **بربوة** هي المكان المرتفع عن الأرض المستوية ولأن ما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية كان ثمرها أحسن وأذكى إذا كان لها من الماء ما يرويها وقيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها المطر انتفخت وربت فإذا كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها **أصابها وابل** وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم ما روضة من رياض الحزن معشبة خضر أجاد عليها وابل هطل أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض **فآتت أكلها ضعفين** أي فأعطت ثمرها مثلين قيل إنها حملت في سنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين **فإن لم يصبها وابل فطل** أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى إن لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فإنها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في إنفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا أو كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وإنفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت **والله بما تعملون بصير** يعني أنه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله تعالى **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب** هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه **تجري من تحتها الأنهار** يعني أن جري الأنهار فيها من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرتها **له فيها من كل الثمرات** لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه **وأصابه الكبر** يعني لصاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج إلى تلك الجنة فإن قلت كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثاني أنه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** يعني له أولاد صغار عجزة عن الحركة بسبب الضعف والصغر **فأصابها** يعني أصاب تلك الجنة **إعصار فيه نار فاحترقت** الإعصار ريح ترتفع إلى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء فأصاب جنته إعصار فيه نار فأحرقها وهو أحوج ما يكون إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه إلا الله لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به إلى أولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة لهم بأيديهم فكذلك

حال من أتى يوم القيمة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة إليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها **كذلك يبين الله لكم الآيات** يعني كما بين لكم الله تعالى أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون** أي فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني زوال الدنيا وإقبال الآخرة قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** أي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلال لأن ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث عن خولة الأنصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا المال خضر حلو من أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيمة إلا النار أخرجه الترمذي المتخوض الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الإنسان في الماء يمينا وشمالا **خ** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام **خ** عن المقدام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكوة المفروضة وقيل إن الأمر للوجوب والزكوة واجبة فوجب صرف الآية إليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل إنه يتناول الفرض والنفل جميعا لأن المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الأمر فعلى القول الأول أن المراد من هذا الإنفاق هو الزكوة فيتفرع عليه مسائل المسئلة الأولى ظاهر الآية يدل على وجوب الزكوة في كل مال يكتسبه الإنسان فيدخل فيه زكوة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لأن ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء إلى وجوب الزكوة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكوة بحكم التجارة في العروض إلا أن ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بإخراج الصدقة من الذي نعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبي عمرو بن حماس أن أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا وأهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فحسبها فأخذ منها الزكوة فإذا حال الحول على عروض التجارة قوم فإن بلغ قيمته عشرون دينارا أو مائتا درهم أخرج ربع العشر المسئلة الثانية في قوله **ومما أخرجنا لكم من الأرض** فظاهر الآية يدل على وجوب الزكوة في كل ما خرج من الأرض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا الزكوة في النخل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكوة في كل ما يقصد من نبات الأرض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم أن ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الأثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهري والأوزاعي ومالك تجب الزكوة في الزيتون وتجب الزكوة في الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر أو يصفر ووقت الإخراج

بعد الاجتناء والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الإخراج بعد الدياس والتصفية المسئلة الثالثة يجب إخراج العشر فيما سقي بالمطر والأنهار والعيون ونصف العشر فيما سقي بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء أو العيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر أخرجه البخاري ولأبي داود والنسائي قال فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقي بالسواقي والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعب في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء قوله أو كان عثريا أراد به العذي من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستقاء وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقى عليها سواء كانت من الإبل أو البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في كل قليل أو كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في إيجاب النصاب بما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة أواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة أوساق من تمر ولا حب صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن قال إن المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض صدقة التطوع احتج بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن قال إن المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض صدقة التطوع احتج بما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث** أي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من أموالكم **منه تنفقون** أي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** قال لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لأنفسهم فأنزل الله ولا تيمموا الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم بآخذيه يعني ذلك الردي إلا أن تغمضوا فيه الإغماض في اللغة غض البصر وإطباق الجفن والمراد به هنا التجوز والمساهلة وذلك أن الإنسان إذا رأى ما يكره غمض عينيه لئلا يرى ذلك وقال ابن عباس معناه لو أن لأحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء لو أهدي ذلك ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم إذا كان المال كله جيدا فليس له إعطاء الردي لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده وإن كان كله رديا فلا بأس بإعطاء الردي **واعلموا أن الله غني** يعني عن صدقاتكم لم يأمركم بالتصدق لعوز واحتياج إليها **حميد** أي محمود في أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر** أي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا أو وعدته شرا وإذا لم يذكر الخير والشر يقال في الخير وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت **ويأمركم بالفحشاء** يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكوة والصدقة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا الموضع وفي الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف

الى ان يأمره بالفحشاء وهو البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم وفضلا يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة
الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم
وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب قوله ان للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب
من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسته واما لمة
الملك فالهام من الله تعالى والله واسع اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه عليم بما تنفقونه لا
يخفى عليه خافية ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا وملكان ينزلان يقول
احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى انفق انفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارأيتم ما انفق
منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان
يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض او القبض يرفع ويخفض ق عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي
فتشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي
ولا تشحي قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه
ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن
مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كاهل
النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء
وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه
وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه
ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم
اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله
لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام او ما لا يجوز له فعله ومن يؤت الحكمة يعني ومن يؤته الله الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا تنكير تعظيم معناه فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ
بما وعظه الله الا ذووا العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه قوله عز وجل وما انفقتم من نفقة يعني فيما
فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها او نذرتم من نذر يعني به ما اوجبتموه على انفسكم في طاعة الله تعالى
فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيئا ليس بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان
انما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر ان يقول
لله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو ان يقول نذرت لله ان لا افعل كذا ثم
يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه
فليف به اخرجه ابو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك
ابن آدم اخرجه النسائي ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج
من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن
النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء يحتمل ان يكون سبب
النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما ما لا يأتي به تكلفا بغير نشاط ويكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعاوضة
عن الامر الذي طلبه فينقص اجره وشأن العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه
قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهي عنه خوفا من اعتقاد ذلك وسياق الحديث
يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي بخير فمعناه انه لا يرد شيئا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل
ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج معناه انه لا يأتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله
ان شفى مريضي فعلي كذا او نحو ذلك مما يحصل بالنذر والله اعلم قوله تعالى فان الله يعلمه اي يعلم ما انفقتم
ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما ثم
يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم
الريا والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام من انصار اي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد
عظيم لكل ظالم قوله تعالى ان تبدوا الصدقات اي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الانسان
من ماله على وجه القربة فتدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع فنعما هي اي فنعمت الخصلة هي وقيل
معناه فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا ابداء الصدقات وان تخفوها اي تسروا الصدقة وتؤتوها الفقراء
اي وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية
صادقة واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاؤها خير من اظهارها لان ذلك ابعد من الرياء
واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى
الفقير الآخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل و
الانكسار ويدل على ان صدقة السر افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود
اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة
ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه اخرجاه
في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد امن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله او يكون ممن
يقتدى به في افعاله فاذا اظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها
كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولان في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي
وقيل ان الآية واردة في زكاة الفرض وكان اخفاؤها خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا
يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة
في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى ونكفر عنكم
من سيئاتكم قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل دخل

من التبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر **والله بما تعملون خبير** يعني من اظهار الصدقة واخفائها قوله تعالى **ليس عليك هداهم** قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ يتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك **ولكن الله يهدي من يشاء** يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية فاعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** اي من مال **فلانفسكم** اي تفعلونه فتنتفعون به انفسكم **وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله** ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكوة الا الى المسلمين وهم اهل السهام المذكورون في سورة التوبة وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكوة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** اي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة ومعناه يؤدى اليكم جزاؤه ولهذا حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية **وانتم لا تظلمون** اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل **للفقراء الذين احصروا** اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقوا لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله **في سبيل الله** يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله **لا يستطيعون ضربا في الارض** يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف** اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة **تعرفهم بسيماهم** السيما والسيميا

والسيمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هاهنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر **لا يسئلون الناس الحافا** يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غداء لا يسئل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسئل غداء وقيل لا يسألون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسألون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف

(ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ البخاري (خ) عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يأخذ احدكم احبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسئلته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي (م) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله تعالى **الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار** قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزلت للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار في السر والعلانية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات **فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في الآخرة قوله عز وجل **الذين يأكلون الربا** اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يؤكل انما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا لما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربى الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيمة **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطأ الناس باخفافها ومنه قولهم خبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتداء وتميز ويتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون **من المس** يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم

سرا وعلانية صح

القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة اكل الربا اذا استحله يوم القيمة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الاسرا قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقول اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيمة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المنهومة النهم بالتحريك افراط في الشهوة في الطعام من الجوع قوله تعالى **ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا** اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فيطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله **واحل الله البيع وحرم الربا** يعني واحل الله الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تأخير الاجل وذلك لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد وليس لاحد ان يعترض عليه في شيء مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيئا بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيئا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

فصل في حكم الربا وفيه مسائل المسألة الاولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسألة الثانية اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد

فقد اربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الا ما اختلفت الوانه م عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الاشياء الستة وهي النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما توجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الرأي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاشياء الاربعة المطعومة فذهب اصحاب الرأي الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت الربا بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله انه ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذ الا مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما المسألة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب والمطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم المسألة الرابعة في القرض ومن اقرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا اخرجه مالك في الموطأ فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض

افضل مما اخذ جاز ويدل عليه ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استسلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فابى ان ياخذها
وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى
فمن جاءه موعظة من ربه اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك
لان الوعظ والموعظة شئ واحد فانتهى اى عن اكل الربا فله ما سلف اى ما بقي من ذنبه قبل النهي
مغفور له وامره الى الله يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل
الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان
الاية في من يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ومن عاد الى اكل الربا
بعد التحريم مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق الله الربا اى ينقصه
ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة ويربي الصدقات اى يزيدها
ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الاخرة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كان تمرة فتربو في كف
الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب
طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم
فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا اثيم
يعني متماد في الاثم وفيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل
الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله تعالى ان الذين امنوا يعني
صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني التي امرهم الله بها واقاموا الصلوة اى المفروضة
باركانها وحدودها في اوقاتها واتوا الزكوة يعني المفروضة عليهم في اموالهم لهم اجرهم عند ربهم
اى لهم ثواب اعمالهم في الاخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى يوم القيمة قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت
الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتوخرا
النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما
وانزل الله عز وجل هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا روس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا
شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا
فانزل الله تعالى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من افراد مسلم الا كل شئ
من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث
كان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع
كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي
كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطايف
اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد
وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة
فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا
اى خافوا الله فيما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا ما بقي من الربا اى واتركوا ان كنتم مؤمنين والمعنى

ما بقي من الربا صح

واتركوا

واتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على روس اموالكم ان كنتم مؤمنين يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا
فان لم تفعلوا اى لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه فاذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن امنوا
ومعناه فاعلموا غيركم انكم حرب لله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا
بحرب من الله ورسوله قال ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني
حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد
دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله
من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان اكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفية
الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اى تاب
والا ضرب عنقه فان تبتم اى فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على روس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت
هذه الاية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا يعني لا قوة
لنا بحرب الله ورسوله ورضوا بروس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان
تدرك الغلات فابوا ان يوخروهم فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة يعني وان كان الذي عليه الحق
من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يوديه في دينه
فنظرة اى فامهال وتاخير الى ميسرة اى الى وقت زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان
المال الذي يوديه واختلفوا في حكم الاية وهو الانظار مختص بالربا ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو
قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الاية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر
بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح
انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين
ان حكم الاية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما
في جميع المعسرين وان تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا روس
اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسر وذكر راس المال فعلم ان التصدق
راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى

فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه

م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال الله قال الله قال فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه م
عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم
لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس
فان راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه
دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال
الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع ق عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه ق عن ابي هريرة قال كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه م عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال ارايت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله تعالى **واتقوا** اي وخافوا **يوما ترجعون فيه الى الله** قرئ بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله تعالى وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر **وهم لا يظلمون** اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين** قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين او داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ق عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختاره محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته

وهو ل

وهو قول الحسن والشعبي والحكم ابن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخير قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة في الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب** اي ولا يمتنع **كاتب ان يكتب** واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم وشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله** اي كما شرعه الله وامر به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند المحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي تقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء **وليملل الذي عليه الحق** يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس** اي ولا ينقص **منه** اي من الحق الذي وجب **شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا** اي جاهلا بالاملاء وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه **او لا يستطيع ان يمل هو** يعني لخرس او عي او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند المكاتبة او يجهل ما له وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم عنهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليملل وليه** يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق من الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا فهذا النص يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة **فان لم يكونا رجلين** اي فان لم يكن الشاهدان رجلين **فرجل وامراتان** اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه تجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق الا العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيابة ونحوها يجوز فيه شهادة رجل وامراتين او اربع نسوة واتفقوا على ان

شهادتهم

شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء يعني
مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا
بكثرة الغلط والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان الكذاب لا تقبل
شهادته فالذي يكذب على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحاب الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا
تقبل شهادة العبيد واجازها شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة
الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط
وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكبائر غير مصر على الصغائر والمروة شرط وهي ما يتصل باداب النفس مما يعلم
ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا مما يستحيي
امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو
على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده
ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه نفعا عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا
القانع اهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا
تجوز شهادة خائن اراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيئا من اوامر الله تعالى
او ارتكب شيئا مما نهى الله عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل هو
المنقطع الى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير
اليهم والظنين بكسر الظاء المتهم وقوله تعالى ان تضل احداهما اي تنسى احدى المرأتين فتذكر
احداهما الاخرى لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى
لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى وحكي عن
سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة
ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لانهم كانوا شهداء لانهم يكونوا شهداء وهذا امر ايجاب عند بعضهم
وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة
الشهادة وادائها ومعنى الاية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في
الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة اذا كان عارفا وقيل للشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد
وجب عليه الاداء ولا تسأموا اي ولا تملوا ولا تضجروا ان تكتبوه الضمير راجع الى الحق
والدين صغيرا كان او كبيرا يعني قليلا كان الحق او الدين او كثيرا الى اجله يعني الى محل الحق
والدين ذلكم يعني ذلك الكتاب اقسط عند الله يعني اعدل عند الله لانه هو امر به واتباع امره
اعدل من تركه واقوم للشهادة يعني ان الكتابة تذكر الشهود وادنى ان لا ترتابوا يعني واحرى
واقرب الى ان لا تشكوا في الشهادة الا ان تكون تجارة حاضرة اي الا ان تقع تجارة حاضرة
يدا بيد تديرونها بينكم اي فيما بينكم ليس فيها اجل فليس عليكم جناح اي لا حرج عليكم
ان لا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح

وانما

وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد
لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة
الى الكتابة والاشهاد واشهدوا اذا تبايعتم يعني فيما جرت العادة بالاشهاد فيه واختلفوا في هذا الامر
فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئه وقيل هو امر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه
منسوخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي
عن المضارة واصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى ان يكتب والشاهد فيأبى ان يشهد او يضار
الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املي عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الراء
الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي
ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما
وان تفعلوا يعني ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله
اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون ارشادا لكم في امر الدين
والله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بجميع مصالح عباده ولا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل وان كنتم
على سفر اي في سفر ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا آلات الكتابة فرهن جمع رهن وقرئ فرهان
مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة ليكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن
الشيء اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر
مع عدم الكاتب ولا يختص به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابي الشحم اليهودي
على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون
الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال لمن كان
على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع
وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية واجاب الجمهور عن ظاهر الاية
بان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله تعالى
فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق وجانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض
فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام
شيء من الحق باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب
الحق ولم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق
الذي كان امينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه
حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذي
ائتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله وليتق الله ربه
اي المديون في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه
فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادائها
وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة
وبالغ في الوعيد عليه فقال ومن يكتمها يعني الشهادة فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه والآثم الفاجر
وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف

الاثم الى القلب قيل ما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب
نعوذ بالله من ذلك **والله بما تعملون عليم** يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة
ولم يظهرها وقوله تعالى **لله ما في السموات وما في الارض** ملكا وملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهذه الاية تتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي
ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في
القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم
الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو
عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها
فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الاية ان تبدوا ما في انفسكم ايها
الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا
عقيب قضية فلا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا
اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الاية
عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال
ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزل الله عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من
قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم
الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست
به صدورها وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقوله
تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا
فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به و
يحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من
اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما عملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا
من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها سالت عائشة عن قول الله عز
وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت ما سالني عنها احد
منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة
يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي

وقال

وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا
ما في انفسكم يعني مما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما حديث النفس
مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان
ايؤاخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه
المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضماير والسراير مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملو
به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا للفضله ويعذب
الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير
المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا
عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين فيقول
سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسابه واما الاخرون او الكفار والمنافقون
فينادي بهم على رؤس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر
للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله تعالى **آمن الرسول بما انزل اليه من ربه** عن ابن عباس قال لما نزلت
هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا
على القوم الكافرين قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة
والزكوة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص الانبياء وما ذكر من كلام الحكم ختم السورة
بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله عز وجل
والمؤمنون يعني وصدق المؤمنون بذلك ايضا **كل** اي كل واحد من المؤمنين **آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله** فهذه اربع مراتب من اصول الايمان وضروريات فاما الايمان بالله فهو ان تؤمن بالله واحد احد لا شريك
له ولا نظير له وتؤمن بجميع اسمائه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شيء واما الايمان بالملائكة
فهو ان تؤمن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله
وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان تؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله وهي وحي الله الى رسله فانها حق
وصدق من عند الله تعالى بغير شك ولا ارتياب وان القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم
والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان تؤمن بانهم رسل الله الى عباده وامناؤه
على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك
بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو اثبات نبوة

الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت
بالنص الصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله لا نفرق بين احد
من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفي الآية اضمار تقديره وقالوا
يعني المؤمنين لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى
قالوا المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما
امرنا به ونهانا عنه غفرانك ربنا اي نسألك غفرانك ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك
واليك المصير يعني قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن
جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسأل
بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها قيل يحتمل ان يكون
ابتداء خبر من الله ويحتمل ان يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اضمار كانه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا
الا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين ان هذه الآية
نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه ضج المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله
نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى انكم
لا تستطيعون ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس لان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه
هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه
ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق لها ما كسبت يعني للنفس ما عملت
من الخير فلها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت يعني من الشر وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية
ان الله تعالى لا يؤاخذ احدا بذنب غيره قوله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا وهذا تعليم من الله عباده المؤمنين
كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا اي لا تعاقبنا وانما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لان المسيء
قد امكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه بها ان نسينا او
اخطانا فيه وجهان احدهما انه من النسيان الذي هو السهو وقيل ضد التذكر قيل كان بنو اسرائيل اذا نسوا
شيئا مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم او مشرب على حسب
ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت اليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو قطعا فما
معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين اما الاول فهو ما كان من الانسان
على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما امر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فاخر ازالته عنه ثم نسي فصلى فيه
وهو على ثوبه فيعد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما امر بفعله
على وجه السهو او ارتكب منهيا عنه من غير قصد اليه كاكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان
من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب ان يسأل الله
ان يعفو عنه واما الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه
فهذا لا يعذر بنسيانه وسهوه لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران

عن النسيان الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا
ينبغي فلا يكون الا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان
انما هو لشدة خوفهم وتقواهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل لله تعالى واما
الخطأ في قوله تعالى او اخطانا ففيه وجهين ايضا احدهما ان يأتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطأ منه
وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون الخطأ على سبيل
الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا
من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا
يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين
من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على
اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكوة ومن اصاب
منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذه من الاثقال والاصار التي
كتبت عليهم فسأل المؤمنون ربهم ان يصونهم من امثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد اجاب الله
تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب
لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني لا تكلفنا
من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين احدهما ما ليس في قدرة العبد
احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن بالعدو وهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال الوجه
الثاني من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة
كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا
الذي سأل المؤمنون ربهم لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكليف ما لا يطاق
جائز اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة
والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله قوله واعف عنا اي تجاوز وعف
ذنوبنا وامحها عنا واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا اي تغمدنا برحمة تنجينا
بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل انا لا ننال العمل بطاعتك الا بعطائك ولا
نترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها
الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو ان يستر عليه صونا له من الفضيحة كأن
العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة
التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب انت مولانا اي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ومتولي امرنا
فانصرنا على القوم الكافرين يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس
في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اؤاخذكم ربنا
ولا تحمل علينا اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال ولا احمل عليكم واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم
الكافرين كان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين م عن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله

عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما
يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك من امته شيئا المقحمات قوله المقحمات
الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار واصل الاقتحام الولوج ق عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل
هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء
فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته
عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام
انزل منه ايتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب اخر تفسير سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة ال عمران مدنية

وهي مايتا اية
ثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسماية وخمسة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الايات في وفد نجران وكانوا
ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم
يؤول امرهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد
واسمه الايهم وهو القائم ثمالهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة
وهو اسقفهم وحبرهم وكانوا ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم من علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول من راهم
ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فكلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا
وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي
لا يموت وان عيسى ياتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى
قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء
وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة
ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فهل يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل
الله صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها فقال بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح
منه قال بلى قالوا فحسبنا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني ان كان منازعتكم يا
معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولدا فبين الله تعالى ان احدا لا يستحق
العبادة سواه لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى

الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته
والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب يعني القران
بالحق اي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات
والاخبار وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شيء تقدم
على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره وانزل التورية والانجيل من قبل اي من قبل القران
فان قلت لم قال نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القران نزل منجما مفصلا في اوقات كثيرة
ونزل هو للتكثير وانزل التورية والانجيل جملة واحدة هدى للناس يعني ان انزال التورية والانجيل
قبل الفرقان هدى للناس فان قلت كيف وصف القران في اول البقرة بانه هدى للمتقين ووصف هنا التورية
والانجيل بانهما هدى للناس قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا به واتبعوه ووصف
هنا التورية والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التورية و
الانجيل فلهذا السبب قال هنا هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران المقدم ذكره
والتورية والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرايع والاحكام وانزل الفرقان
يعني الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القران وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا لكونه فارقا بين الحق
والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التورية والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود
والنصارى في امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام
والحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديره وانزل التورية والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين
كفروا بايات الله يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقران وبمحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من ايات الله لهم عذاب شديد
والله عزيز اي غالب لا يغلب ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى
ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه شيء من امر العالم وهو مطلع
على احوالهم فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات
هو الذي يصوركم في الارحام التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء
بالتاليف والارحام جمع رحم كيف يشاء يعني الصورة المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا او
انثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا كاملا او ناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة في
الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة ق عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يبعث اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح
فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم
ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام
انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقيل ان الاية واردة في الرد على النصارى
وذلك ان عيسى عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت في دارك كذا صنعت كذا وانه احيى الموتى

وابرا الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا ما قدر على ذلك الا انه اله
فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم
على انه عبد مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا اله الا هو العزيز الحكيم** وهذا
ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كانه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم قوله عز
وجل **هو الذي انزل عليك الكتاب** يعني القرآن **منه آيات محكمات** يعني مبينات مفصلات
احكمت عباراتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام فانه تعالى احكمها فمنع الخلق من
التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب** يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام
ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب قلت لان الآيات في تكاملها
واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن
مريم وامه آية يعني ان كل واحد منهما آية **واخر** جمع اخرى **متشابهات** يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره
ومعناه يخالف معناه فان قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر محكما فقال الر كتاب احكمت
آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه
الآيات قلت حيث جعله كله محكما اراد ان كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها
اراد ان بعضه يشبه بعضا في الحسن ويصدق الحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها
فقد اختلف عبارة العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام وهي قوله
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه
ان المحكمات هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل
ان المحكمات ما فيه احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا وقيل ان المحكمات
ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط
الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا
وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا
والمتشابه ما يحتمل اوجها روي ذلك عن الشافعي وقيل المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة
في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله أانزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك
حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص قال هذه اكثر هي احدى
وستون ومائة فهل انزل عليك غيرها قال نعم الر قال فهذه اكثر هي مائتان واحدى وثلاثون سنة فهل من غيرها
قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلط علينا فلا ندري ابكثيره نأخذ ام بقليله
ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم
ما لم تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه
هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه
وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان القرآن نزل بالفاظ العرب ولغاتهم
وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة

لبيان

لبيان المراد وللتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارة والتلويحات واغماض بعض المعاني وهذا الضرب
هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان
بمثله فكأنه قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا
الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم والنظر بردهم المتشابه الى
المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل
القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض
تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنا انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر
انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل
دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة كانوا
على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز ان يكون مما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب
الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه
ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني اسرائيل بالنهر والله اعلم **فاما الذين في قلوبهم
زيغ** اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا
فانزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف المقطعة
في اوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم
وقيل هم جميع المبتدعة **فيتبعون ما تشابه منه** يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون
ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الآية **ق** عن عائشة
قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب
فقال فاذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى **ابتغاء الفتنة**
اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين **وابتغاء
تأويله** اي تفسيره واصل التأويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تأويلا
لان الامر يصير اليها قال ابن عباس في قوله وابتغاء تأويله اي طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه **وما يعلم تأويله
الا الله** يعني تأويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة
وذلك لا يعلمه الا الله وقيل يجوز ان يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم الساعة
ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وعلم الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استأثر الله
بعلمه فالايمان به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن
عباس في رواية عنه وابي بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله فنوقف عليه
ثم ابتدأ فقال تعالى **والراسخون في العلم** اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم
شك **يقولون آمنا به** قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم آمنا به فرسوخهم في العلم
هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به
كل من عند ربنا يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم فنحن معتمدون في المتشا

بالإيمان به ونكل معرفته إلى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن
على أربعة أوجه فمنه تفسير لا يسع أحدا جهله وتفسير تعرفه العرب بألسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله
وقيل إن الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع
علمهم يقولون آمنا به روي عن ابن عباس أنه كان يقول أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله
ووجه هذا القول إن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة وفي
المراد بالراسخين هنا قولان أحدهما أنهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن
الراسخون في العلم منهم والقول الثاني أن الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين
في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء التقوى فيما بينه و
بين الله والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس **وما يذكر إلا**
أولوا الألباب أي وما يتعظ بما في القرآن إلا ذووا العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا
به كل من عند ربنا قوله تعالى **ربنا لا تزغ قلوبنا** أي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تملها
عن الحق والهدى كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ **بعد إذ هديتنا** أي وفقتنا لدينك والإيمان بالمحكم
والمتشابه من كتابك **وهب لنا من لدنك رحمة** أي أعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل
هب لنا تجاوزا ومغفرة **إنك أنت الوهاب** الهبة العطية الخالية عن الأعواض والأغراض والوهاب في صفة الله
تعالى أنه يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما
الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكييف ولا لمعرفة معناه بل نؤمن به وأنه حق ونكل علمه إلى
مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث
وغيرهم والقول الثاني أنه يتأول بحسب ما يليق به وأن ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو
المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يراد أنه تحت قدرتي وفي تصرفي لا أنه حال في كفه فمعنى الحديث أنه سبحانه
وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده منها كما لا يمتنع على الإنسان
ما بين إصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وإنما ثنى لفظ الإصبعين
والقدرة واحدة لأنه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتاده وإن كان غير مقصود به التثنية أو الجمع وهذا
مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وإنما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب
محلا للخواطر والإرادات والنيات وهي مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات
والسكنات والله أعلم قوله عز وجل **ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه** أي ليوم القضاء
وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وهو يوم القيامة **إن الله لا يخلف الميعاد**
هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك أنهم لما طلبوا من الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيغ وأن يخصهم
بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم إنهم أتبعوا ذلك بقولهم ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
ومعناه إنا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم أن وعدك حق وأنك لا تخلف الميعاد فمن زاغ قلبه فهو هالك
ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد قوله تعالى **إن الذين كفروا** يعني برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير **لن تغني** أي لن تنفع ولن تدفع **عنهم أموالهم**

ولا أولادهم من الله شيئا أي من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند أي عند الله شيئا **وأولئك هم وقود**
النار كدأب آل فرعون قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة
آل فرعون والمعنى أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون
فإنهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون **والذين من قبلهم** يعني كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم
كذبوا بآياتنا يعني لما جاءتهم بها الرسل **فأخذهم الله بذنوبهم** أي فعاقبهم الله
بسبب تكذيبهم **والله شديد العقاب** وقيل في معنى الآية إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية فأخذناهم فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم
قوله عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون** قرئ بالياء والتاء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة
تحت فمعناه بلغهم يا محمد أنهم سيغلبون ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون
وتحشرون إلى جهنم قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون
في الآخرة إلى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم
إلى جهنم وقيل إن أبا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله هذه الآية وقيل إن هذه الآية نزلت في
اليهود وقال ابن عباس إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله عليه الصلاة والسلام المشركين يوم بدر هذا
والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر وقعة أخرى
فلما كان يوم أحد ونكب (النكبة بالفتح المصيبة) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء
فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف
في ستين راكبا إلى مكة ليستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقال
ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر
اليهود احذروا مثل ما أنزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد
لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وإنا والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله عز و
جل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة **إلى جهنم وبئس المهاد** أي الفراش
والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى **قد كان لكم آية في فئتين التقتا** قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك
عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي قبله ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله
ابن جرير فإن قلت لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لأن الآية مؤنثة قلت كلما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل إنه رد
المعنى إلى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكلما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون
في فئتين أي فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض أي يرجع التقتا يوم بدر **فئة تقاتل في سبيل الله**
أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا
من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وكان صاحب راية الأنصار
سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وقوله تعالى **وأخرى**
كافرة أي وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة
بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى
يرونهم مثليهم قرئ بالتاء يعني ترون أهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد

كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدبرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان
ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ورأوا النصر للمسلمين ثم له تأويلان
أحدهما يرون المسلمون المشركين مثليهم كما هم فإن قلت كيف قال مثليهم وإنما كانوا ثلاثة أمثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده
درهم أنا محتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن الله تعالى أظهر للمسلمين من
عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون أنهم يغلبونهم لإزالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الأصح قلل الله المشركين
في أعين المسلمين حتى رأوهم مثليهم فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم
في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم وكيف يقال إن المشركين استكثروا المسلمين أو المسلمين استكثروا المشركين وإن
الفئتين تساويا في استقلال إحداهما الأخرى قلت إن التقليل والتكثير كان في حالتين مختلفتين فإن قلنا إن الفئة
الرائية هم المسلمون فإنهم رأوا أعداد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى
اجترؤوا عليهم فصبروا على قتالهم بهذا السبب قال ابن مسعود نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرناهم
فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية أخرى عنه قال لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين
قال أراهم مائة قال فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وإن قلنا إن الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم أن
الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم قلل الله المسلمين في أعين المشركين ليجترئوا فيكون ذلك سبب
خذلانهم وقد روي أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا
يعني المشركين ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وما ذلك إلا إظهار القدرة
التامة وقوله تعالى **رأي العين** أي في رأي العين **والله يؤيد** أي يقوي **بنصره من يشاء إن في ذلك**
يعني الذي ذكر من النصر وقيل رؤية الجيش مثليهم **لعبرة** أي لآية والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدية إلى العلم
وأصلها من العبور كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم
لأولي الأبصار لذوي العقول السليمة قوله عز وجل **زين للناس** قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لأنه تعالى
خالق الجميع أفعال العباد ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده وإباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا طيبا فكل ذلك يدل على أن المزين هو الله تعالى
ومما يؤكد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من
المعتزلة ويدل على ذلك أن الله تعالى زهد في هذه الأشياء بأن أعلم عباده زوالها ولأن الله تعالى أطلق حب الشهوات
فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولأن الله تعالى ذكر هذه الأشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه
آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أن ما كان حراما كان المزين له هو
الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة لأن الله تعالى خالق
كل شيء ولا شريك له في ملكه وقوله **حب الشهوات** يعني المشتهيات لأن الشهوة توقان النفس إلى الشيء
المشتهى **من النساء** إنما بدأ بذكر النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولأنهن حبائل الشياطين
وأقرب إلى الافتتان **والبنين** إنما خص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكر أكثر من حب الأنثى ووجه حبه
ظاهر لأنه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الإنسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة
وهي بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وسمي قنطارا من
العقد يقال قنطرته إذا أحكمته ومنه القنطرة أي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود أو غير محدود

على قولين أحدهما أنه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل أن القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف
ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف و
مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب
وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني أن القنطار ليس
بمحدود قال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروي عن أبي عبيدة أنه حكى عن العرب أن القنطار وزن
لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحكم القنطار ما بين السماء والأرض من مال وقال أبو نضرة القنطار ملء مسك
ثور ذهبا أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة أي المجموعة وقيل المضاعفة
لأن القناطير جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة
من الذهب والفضة إنما بدأ بهما من بين سائر أصناف الأموال لأنهما قيم الأشياء وإنما كانا محبوبين لأن المالك لهما مالك
قادر على ما يريده وهذه صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي تتفرق
والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الأفراس خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لأن
الخيل لا يركبها أحد إلا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال الأول أنها الراعية يقال
أسمت الدابة وسومتها إذا أرسلتها للرعي والمقصود أنها إذا رعت ازداد حسنها والقول الثاني أنها من السيما وهي
العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل
البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث أنها المضمرة الحسان وتسويمها حسنها **والأنعام** جمع نعم وهي الإبل
والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم إلا للإبل خاصة فإنه غلب عليها **والحرث** يعني الزرع **ذلك** يعني
ذلك الذي ذكر من هذه الأصناف **متاع الحياة الدنيا** أي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية
يشير إلى أن الحياة الدنيا متاع يفنى **والله عنده حسن المآب** أي المرجع ففيه إشارة إلى التزهيد في الدنيا والترغيب
في الآخرة وقيل فيه إشارة إلى أن من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة
لأنها السعادة القصوى قوله تعالى **قل أؤنبئكم** أي أخبركم **بخير من ذلكم** يعني الذي ذكر من متاع
الدنيا **للذين اتقوا** قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والأنصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم إلى الآخرة قال العلماء
ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك **عند ربهم** معناه أنه تعالى أخبر أن ما عنده خير مما كان في الدنيا وإن كان محبوبا
فحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**
وأزواج مطهرة ورضوان من الله عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك
فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا وقيل إن العبد إذا علم أن الله تعالى قد رضي عنه كان أتم لسروره
وأعظم لفرحه **والله بصير بالعباد** يعني أنه تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب
ويعاقب على قدر الأعمال وقيل إنه تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعد لهم الجنات قوله عز وجل **الذين يقولون ربنا إننا**
آمنا أي صدقنا **فاغفر لنا ذنوبنا** أي استر علينا وتجاوز عنا **وقنا عذاب النار** قوله تعالى
الصابرين يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين
على دينهم وعلى ما أصابهم **والصادقين** يعني في إيمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم
وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والفعل والأفعال والنية فأما صدق القول فهو مجانبة الكذب

والصدق في الفعل عدم الانصراف عنه قبل اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه **والقانتين** يعني المطيعين
لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها **والمنفقين** يعني اموالهم في طاعة الله تعالى
ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة رحمه والزكوة والنفقة في جميع القربات **والمستغفرين بالاسحار**
يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعاء
والاستغفار فكان هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا
قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني
فاغفر له وفي لفظ لمسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سائل فيعطى
هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله
مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتاول
احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدلي
من اعلى الى اسفل وانتقال من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا يستولي عليه صفات الاجسام فان
هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم
يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله
والمستغفرين بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون
بالاسحار وروي عن لقمان انه قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الديك يصوت في الاسحار وانت نائم على فراشك
وقيل هم الذين يصلون صلوة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلوة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة
قوله عز وجل **شهد الله انه لا اله الا هو** قيل في سبب نزول هذه الاية ان حبرين من احبار الشام قدما على
النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في
اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا
فانا نسألك عن شيء فان انت اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل
فانزل الله هذه الاية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الاية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى
شهد الله يعني بين الله واظهر لان معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم
الله انه لا اله الا هو وذلك بيان الدلائل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده
بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير
واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير
قال ابن عباس خلق الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة
فشهد لنفسه بنفسه قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا
هو **والملائكة** اي وشهد الملائكة فمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار
والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما
واولوا العلم اي وشهد اولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبياء عليهم السلام لانهم
اعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم علماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمني اهل
الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين **قائما بالقسط** اي العدل نصب على الحال

والقطع او المدح ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بامر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد لاسبابه وفلان
قائم بحق فلان اي انه مجازله فالله مدبر امر خلقه وقائم بارزاقهم ومجازيهم باعمالهم **لا اله الا هو** انما كرره
للتاكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم تعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة التكرير الاعلام بان هذه
الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات
العزيز اي الغالب الذي لا يقهر **الحكيم** يعني في جميع افعاله **ان الدين عند الله الاسلام** يعني ان الدين المرضي
عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود
انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية فرد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله
الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله
الاسلام واصل الدين في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة
قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام
والانقياد والدخول في الطاعة روى البغوي بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا
من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله
به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت سمع فيها شيئا فصليت الصبح
معه وودعته ثم قلت اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت
سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله تعالى
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاءهم العلم** يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال
الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من خيار بني اسرائيل واودعهم التورية واستخلف يوشع بن نون
فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني
بيان ما في التورية من الاحكام **بغيا بينهم** اي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة ~~وهم الذين اوتوا
الكتاب وهم من ابناء اولئك السبعين حتى اهرقوا الدماء~~ وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالى
واحد احد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني للمعاداة والمخالفة **ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب**
فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **فان
حاجوك** اي خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية
نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بانه اتبع امر الله الذي هم مقرون به
بقوله **فقل اسلمت وجهي لله** اي انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان
الظاهرة فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد بالوجه العمل اي اخلصت عملي وقصدت بعبادتي
الى الله **ومن اتبعن** يعني ومن اسلم كما اسلمت انا **وقل للذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى
والاميين يعني مشركي العرب **ءاسلمتم** لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا **فان اسلموا فقد اهتدوا**
يعني الى الفوز والنجاة في الاخرة فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود

وهم الذين اوتوا الكتاب وهم من ابناء اولئك السبعين حتى اهرقوا الدماء صح

اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا قال الله تعالى **فان تولوا** اى اعرضوا **فانما
عليك البلاغ** يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى الاية فذهبت طائفة
الى انها محكمة والمراد بها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم ويتألم لتركهم الاجابة وذهبت طائفة الى
انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ باية السيف **والله بصير بالعباد** يعنى انه
تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله عز وجل **ان الذين يكفرون بايات الله** يعنى يجحدون القرآن وينكرونه
وهم اليهود والنصارى **ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**
كان انبياء بنى اسرائيل يأتيهم الوحى ولم يكن يأتيهم كتاب لانهم كانوا ملتزمين باحكام التورية فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون انبياءهم
فيقوم رجال ممن امن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يأمرون
الناس بالقسط يعنى العدل من الناس روى البغوى بسند الثعلبى عن ابى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا
يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجل امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا
عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنى عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل
فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار فى ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله تعالى فى
كتابه وانزل الاية فيهم **فبشرهم بعذاب اليم** انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم مع انه خبر ان لانه فى معنى الجزاء والتقدير
من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيمة وهو محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب
وفى هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم
رضوا بفعلهم **اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة** اى بطلت وبطلان العمل هو ان
لا يقبل فى الدنيا ولا يجازى عليه فى الاخرة **وما لهم من ناصرين** يعنى يمنعونهم من العذاب قوله تعالى
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت فى اليهود **يدعون الى كتاب الله** يعنى القرآن وذلك
ان اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وروى عن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت
يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى التورية فهى بيننا وبينكم
فابيا عليه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التورية وروى عنه ايضا ان رجلا وامرأة من اهل
خيبر زنيا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون
عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التورية فقالوا قد انصفت فقال من اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يقال له عبد الله بن
صوريا يسكن فدك فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود بالتورية قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتورية وقال له اقرأ فقرأ فلما اتى على اية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها
ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها ان المحصن والمحصنة اذا زنيا
وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعنى علمهم الذى

علموه

علموه من التورية يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن او التورية على اختلاف الروايتين **ليحكم بينهم** اى ليقضى بينهم واضافة
الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز **ثم يتولى فريق منهم** يعنى الرؤساء والعلماء **وهم معرضون** يعنى عن الحق
وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين اعرضوا هم الاتباع **ذلك بانهم** يعنى ذلك التولى والاعراض انما حصل بسبب انهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات تقدم تفسيره فى سورة البقرة **وغرهم** اى واطمعهم **فى
دينهم ما كانوا يفترون** اى يختلقون ويكذبون وقيل هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وانتم على الباطل **فكيف اذا جمعناهم** اى فكيف يكون حالهم
اذا جمعناهم **ليوم** اى فى يوم **لا ريب فيه** اى لا شك فيه انه كائن وواقع وهو يوم القيمة **ووفيت كل نفس
ما كسبت** فيه تهديدهم واستعظام لما اعد لهم فى ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم
وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمر بهم الى النار **وهم لا يظلمون** اى لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم
حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل **قل اللهم مالك الملك** قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه
وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم فى امته فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم
اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى يطمع فى ملك فارس والروم فانزل الله هذه الاية وقيل ان اليهود قالوا
والله لا نطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بنى اسرائيل الى غيرهم فنزلت هذه الاية قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف
النداء زيدت الميم فى اخره وقيل ان الميم فيه معنى اخر وهو يا الله امنا بخير اى اقصدنا مالك الملك اى مالك العباد وما
ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم
يوم لا يدعى الملك احد غيره وفى بعض كتب الله المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شئ ومالك
على كل مالك ومملوك وقادر ومقدور وقيل معناه مالك الملك اى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء **تؤتى الملك
من تشاء** يعنى النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبى له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له امر
الا على ظواهرهم بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبى واجبة على الكافة **وتنزع الملك ممن تشاء**
يعنى بذلك نزع النبوة من بنى اسرائيل وايتاءها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه فى نبوته ورسالته
احد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى من ابى جهل وصناديد قريش وقيل تؤتى
الملك من تشاء يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك
من تشاء يعنى ادم وذريته وتنزع الملك ممن تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا فى الارض قبل ادم **وتعز من تشاء**
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة **وتذل من تشاء** يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة
عنهم وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمدا واصحابه حين دخلوا مكة فى عشرة
الاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعنى ابا جهل واصحابه حين قتلوا والقوا فى قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة
وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا
وتذل من تشاء بالحرص والطمع **بيدك الخير** يعنى النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك
كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع فى الخير الذى يسوقه الله الى عباده

المؤمنين وهو الذي انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي
ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب فيه انك على
كل شيء قدير يعني من ايتاء الملك من تشاء واعزاز من تشاء واذلال من تشاء قوله تعالى تولج الليل في النهار
الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من
الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة
لذوي الافهام والعقول قادر على ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى
تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل ما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس
عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل
حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول الليل ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد
انه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الاية
لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت
من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج النطفة
من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوانات وقيل يخرج النبات
الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن لان المؤمن حي الفؤاد والكافر ميته وترزق من تشاء بغير حساب يعني من غير تضييق ولا تقتير
بل يبسط الرزق لمن يشاء ويوسعه عليه قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال
رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنونكم عن دينكم
فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة
لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار يرجون ان
يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان
عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمس مائة من اليهود وقد رايت
ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء يعني انصارا واعوانا من
دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين ان يوالوا
الكفار او يلاطفوهم لقرابة بينهم او صحبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول
الايمان ومن يفعل ذلك يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورات المسلمين او يودهم
ويحبهم فليس من الله في شيء اي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا امر
معقول لان ولاية المولى معاداة اعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان الا ان تتقوا منهم تقاة
اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم
الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان
دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة
المسلمين والتقاة لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان ثم هذه التقاة رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقاة

اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين
فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول لكم التقاة باللسان
والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقاة لصون النفس عن الضرر لان
دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان ويحذركم الله نفسه اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي
او تخالفوا المأمور او توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم
اليه في الاخرة قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما
ذكر الصدر لانه وعاء القلب او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من
تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه بالحرب والمقاتلة له يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به
ويعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم
وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيمة لم ينقص ولم يبخس منه شيء وما عملت من سوء اي وتجد ما عملت
من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سوء تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السوء امدا
بعيدا اي مكانا بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية والنهاية وقيل معناه تود انها لم تعمله ويكون بينه
وبينها امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه انما كرره لتاكيد الوعيد والله رءوف بالعباد وقيل معناه انه رءوف بهم حيث
حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رءوف بالعباد حيث امهلهم بالتوبة وتدارك
العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رءوف بالعباد وهو وعد ليعلم
العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد وقد نصبوا اصنامهم
وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة
ابيكم ابراهيم واسمعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران
قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني
يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق
متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني فان اتباعي
من محبة الله وطاعته قال العلماء ان محبة العبد لله عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة
نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم
يعني ان من غفر له فقد ازال عنه العذاب والله غفور رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله
وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا
ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل قل اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة الله
متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر او نهي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم
طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلن اقبل منكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله
ورسوله فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم خ عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله صلى الله

فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى ق عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني
قوله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم
فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار
من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم هو ابو البشر آدم عليه السلام ونوحا هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو
ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على
نفسه وآل ابراهيم قيل اراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم
عليه السلام اصلا لشعبتين فجعل اسمعيل من ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل
في هذا الاصطفاء وجعل اسحق اصلا لبني اسرائيل وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع
له ولامته النبوة والملك الى يوم القيمة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه وآل عمران واختلفوا في عمران هذا فقيل
هو عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون آل عمران موسى وهرون او نفسه
وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم
وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران مريم وابنها عيسى عليهما السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء
والرسل من نسلهم على العالمين اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم به من النبوة والرسالة ذرية
اي اصطفى ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي الآباء
والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو من ذرأه الله اي خلقه
بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض
والله سميع يعني انه تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته
قولا وفعلا قوله تعالى اذ قالت امرأت عمران هي حنة بنت فاقود ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل
ابن اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الفا وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل في ذلك الزمن واحبارهم
وملوكهم رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا محررا مني لك والنذر
ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشيء
من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ
الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اراد الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك
ولم يكن احد من انبياء بني اسرائيل وعلمائهم الا ومن اولاده اي جماعة محررة لخدمة بيت المقدس ولم يكن محررا الا
الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك
على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقود وهي ام يحيى عند زكريا
وكانت حنة بنت فاقود اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن حنة الولد حتى ايست وكبرت وكانوا
اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله
ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته فلما
حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارأيت ان كان ما في بطنك انثى فلا يصلح
لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من اجل ذلك ومات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها فتقبل مني
يعني نذري والتقبل اخذ الشيء على الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب

لمرضاة الله

لرضى الله تعالى والاخلاص في دعائه وعبادته انك انت السميع يعني لتضرعي ودعائي العليم يعني بنيتي
وما في ضميري وقوله عز وجل فلما وضعتها اي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية
وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما قالت يعني حنة رب اني وضعتها انثى تريد بذلك اعتذارا الى الله تعالى
من اطلاقها النذر المتقدم وذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه
والله اعلم بما وضعت قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشيء الذي وضعت
وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب اني وضعتها انثى خافت ان تكون اخبرت الله تعالى
بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى يعني في خدمة الكنيسة والعباد
الذين فيها وفي الكلام تقديم وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة
في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل
في معنى الاية ان المقصود منه هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي
موهوبة الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى هي موهوبة الله تعالى وكانت مريم من اجمل النساء وافضلهن في وقتها
واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت بهذه التسمية ان يفضلها الله تعالى على اناث الدنيا
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم اي امنعها واجيرها بك وذريتها يعني الطريد اللعين وذلك
ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون لها ولد ذكر فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها
من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من بني آدم من مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول
ابو هريرة اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعن الشيطان
في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن
يعني تقبل الله مريم من حنة مكان الذكر المحرر يعني قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل ولكن
قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس في المصادر فعول
بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشيء ويأخذه وقيل
معنى التقبل التربية والقيام بشأنها وانما قال بقبول للجمع بين الامرين يعني التقبل الذي يعني التكفل والقبول الذي
هو بمعنى الرضى وانبتها نباتا حسنا معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله
فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان
فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة
وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها
لان خالتها عندي فقال له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون
عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على
ان من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون
التورية فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت اقلامهم ثم رسبت في الماء
وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري الماء الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا
رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفاء ومعناه وضمها الله زكريا فضمها بالقرعة

اليه

وقرئ بتخفيف الفاء ومعناه وضمها زكريا إلى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وزكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان
عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت
وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها
بطعامها وشرابها كل يوم وذلك قوله تعالى **كلما دخل عليها زكريا المحراب** يعني الغرفة والمحراب أشرف المجالس
ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل المحراب ما يرتقى إليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها المحراب
وجد عندها رزقا يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
قال يعني زكريا **يا مريم أنى لك هذا** أي من أين لك هذه الفاكهة **قالت** يعني قالت مريم مجيبة لزكريا
هو من عند الله يعني من الجنة وقيل إن مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا
يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد
وقال محمد بن إسحق أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني إسرائيل
فقال يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد
جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم
لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف
أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها
فإذا أدخله عليها في المحراب أنماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله **إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب** وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه أنه تعالى
يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات
على أيديهم قال أهل الأخبار فلما رأى زكريا ذلك قال إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها وحينها من
غير سبب لقادر على أن يصلح لي زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر فطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد
انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله تعالى **هنالك دعا زكريا ربه** يعني أنه عليه
السلام دخل محرابه وأغلق الأبواب وسأل ربه الولد **قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة** يعني أنه قال يا رب
أعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد بها هنا الواحد
وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية **إنك سميع الدعاء** أي سامعه ومجيبه قوله عز وجل **فنادته الملائكة**
يعني جبريل عليه السلام وإنما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولأنه رئيس الملائكة وقل أن يبعث
إلا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة **وهو قائم يصلي في المحراب** أي في المسجد وذلك
أن زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما
هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون أن يأذن في الدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع
زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا **إن الله يبشرك بيحيى** أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس
سمي يحيى لأن الله تعالى أحيى به عقر أمه وقيل لأن الله تعالى أحيى قلبه بالإيمان وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة
حتى لم يهم بمعصية قط **مصدقا بكلمة من الله** يعني عيسى بن مريم وإنما سمي عيسى عليه السلام كلمة لأن الله
تعالى قال له كن فكان من غير أب فدلالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان وقيل سمي كلمة لأن عيسى
عليه السلام كان يرشد الخلق إلى الحقائق والأسرار الإلهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار
وقيل سمي كلمة لأن الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم

أنه يخلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد أنه يخلقه كذلك وكان يحيى أول
من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام
وقيل إن أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لأم عيسى يا مريم أشعرت أني حامل فقالت مريم وأنا أيضا
حامل فقالت أم يحيى إني لأجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله يعني أن يحيى آمن بعيسى
وصدق به **وسيدا** من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى إلى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين
ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا
في العلم والعبادة والورع وقيل هو السيد الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير
وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على أنا نبخله قال وأي داء
أدوأ من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح **وحصورا** قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء
ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات أو أصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل
هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد
تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو أن الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه وإنما تركه للعفة والزهد فيه وهذا
القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو أليق بمنصب الأنبياء لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء وذكر
صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وأيضا فإن منصب النبوة يجل من أن يضاف إلى أحد منهم نقص وآفة فحمل الكلام على منع
النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه **ونبيا من الصالحين** يعني أنه من أولاد
الأنبياء الصالحين قوله تعالى **قال** يعني زكريا **رب** أي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لأن الآية المتقدمة دلت
على أن الذين نادوه هم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي أي يا سيدي وقيل إنه خطاب مع الله
تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك أن الملائكة لما بشروه بالولد تعجب ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى
فقال رب **أنى يكون لي غلام** يعني من أين يكون وكيف يكون لي غلام **وقد بلغني الكبر** قيل هو من المقلوب
ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد نالني الكبر وأدركني الضعف فإن قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير
الملائكة إياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله إياه به أكان شاكا في وعد الله أو في قدرته قلت
لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته وإنما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من أي
جهة يكون لي ولد أيكون بإزالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فأجابه
بقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا نداء الملائكة جاءه الشيطان
فقال يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وإنما هو من الشيطان ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك
في سائر الأمور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على الجواب بأنه لا يجوز أن يشتبه على الأنبياء كلام الملائكة
بكلام الشيطان إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق بأخبارهم عن الوحي السماوي وأجيب عن هذا الاعتراض بأنه لما
دلت الدلائل على صدق الأنبياء فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق
بالدين والشرائع فأما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسأل زكريا ذلك لتزول هذه
الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس
في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وقد بلغني الكبر
وامرأتي عاقر أي عقيم لا تلد **قال كذلك الله يفعل ما يشاء** يعني أنه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل
ما يشاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل **قال** يعني زكريا **رب اجعل لي آية** أي علامة أعلم بها وقت حمل امرأتي

فازيد في العبادة والشكر لك **قال آيتك** اي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه **الا تكلم الناس** اي لا تقدر
على تكليم الناس **ثلاثة ايام** اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكلم الناس ثلاثة ايام
مع ابقائه على قدرة التسبيح ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكلم
الناس وهذه من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا
وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع عن الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام لعبادة
الله وذكره فلا يشغل لسانه بشيء آخر توقيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة وشكر الله على اجابته فيما طلب
الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا له على وجود الحمل ليتم سروره بذلك قال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام
عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام **الا رمزا**
يعني الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالرأس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز
قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا
صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه **واذكر ربك كثيرا** وذلك لما منعه الله من الكلام
في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه **وسبح** اي وعظم ربك
ونزهه عن النقائص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى **بالعشي والابكار**
فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشي والابكار هو ما بين طلوع
الفجر الى الضحى قوله تعالى **واذ قالت الملائكة** يعني جبريل عليه السلام **يا مريم ان الله اصطفاك** اي اختارك
وطهرك يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب **واصطفاك** اي
واختارك **على نساء العالمين** اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفا
الاول والثاني قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يتحصل منها الفرق فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى
اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها
من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة
ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء **ق** عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها
مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل اراد بهذه الاشارة
تفسيرا لضمير في قوله خير نسائها ومعناه انهما خير كل نساء بين السماء والارض قال الشيخ محيي الدين النواوي والاظهر ان
معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه **ق** عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل
عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام قال العلما معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد
اللحم افضل من مرق بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرق بغير ثريد وفضل عايشة على النساء كزيادة فضل الثريد
على غيره وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت
محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل **يا مريم اقنتي لربك**
اي قالت الملائكة لها شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة
لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه **واسجدي واركعي مع الراكعين**
انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم

السجود

السجود على الركوع لانه كان كذلك في شرعهم وقال ابن الانباري امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال استعملي
السجود والركوع في كل حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على الخلاف في الحالين وانما قال اركعي مع
الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلوة مع الرجال افضل واتم
وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلوة في جماعة اي صلي مع المصلين في جماعة قوله تعالى **ذلك من
انباء الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى
عليهم السلام من اخبار الغيب **نوحيه اليك** اي نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين
الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ **وما كنت** يعني يا محمد **لديهم**
هنالك عندهم **اذ يلقون اقلامهم** يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع **ايهم يكفل مريم**
يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان
رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات
فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل **اذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله يبشرك** معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني
جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير **بكلمة منه** يعني برسالة من الله
وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني خبرا فرحت به ومعنى الآية اذ قالت الملائكة
لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد **اسمه المسيح عيسى
ابن مريم** وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمته التي هي كن كما يقال
لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة
هي عيسى عليه السلام وانما سماه كلمة لانه وجد عند الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة
الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد
حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة
من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل وبهذا التاويل يحسن ان يسمى عيسى عليه
السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عايد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير
قلت لان المسمى بها مذكر ولهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة والاسم منها
واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى وللمسمى علامة
يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال الذي يعرف ويتميز به عن من سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي
عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب
واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال
ابن عباس سمي عليه السلام عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح
من الاقذار فطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام
مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكانه يمسح
الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين
لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام
وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد قوله تعالى **وجيها**

اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر **في الدنيا والاخرة** اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى
واما وجاهته في الاخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى **ومن المقربين** يعني عند الله يوم القيمة لان لاهل الجنة
منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الله الى السماء **ويكلم
الناس في المهد** يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه
في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وتكلم ببراءة امه لما رموها به اهل الفرية من القذف وحكي ان مريم قالت
اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد ذلك
فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير وقال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق
وكهلا يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين
وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل ويتنبأ فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى ثلاثون
سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث
في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة امه وهو معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة
بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها
كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغيير فيكون ردا على النصارى الذين يدعون فيه الالاهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا
يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه الاية نص على انه سينزل من السماء الى الارض ويقتل الدجال وقال
مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة
ومن الصالحين يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف
عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات
لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله بكونه
وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلى الدرجات
واشرف المقامات قوله تعالى **قالت** يعني مريم **رب** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله
عز وجل **انى يكون لي ولد** اي من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك
تعجبا لا اشكالا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشاء**
يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد
وهو قوله **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه الكتاب** يعني الكتابة والخط باليد
والحكمة يعني العلم والسنة واحكام الشرايع **والتورية** يعني التي انزلت على موسى **والانجيل** يعني الذي انزل
عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة **ورسولا الى بني اسرائيل**
اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليهم السلام فلما بعث
اليهم قال **اني قد جئتكم باية من ربكم** اي بعلامة من ربكم على صدق قولي وانما قال باية وقد جاء بايات كثيرة لان الكل
دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا وما هذه الاية قال **اني اخلق لكم** اي اصور
واقدر **من الطين كهيئة الطير** والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته واصلحته **فانفخ فيه**
اي في الطين المهيأ للصورة **فيكون طيرا** قرئ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع
وقرئ فيكون طائرا بالتوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا وما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو
الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها

ثدي وتحيض وذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق
لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير
ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان
الكمال لله تعالى **باذن الله** معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير فاما خلق الحيوة فيه فهو من الله
تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام **وابرئ الاكمه والابرص** اي واشفي الاكمه والابرص و
اصححهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان ابصر وقيل هو الاعمش وقيل هو
الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم
المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابراء الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال وهب
ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق
مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته **واحيي الموتى باذن الله** قال ابن
عباس قد احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما
عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام
فاتاها عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله
عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام
يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما
ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها
واما سام بن نوح فان عيسى عليه السلام جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف
راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال اقد قامت القيمة فقال عيسى لا ولكن دعوتك
باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
وانبئكم يعني واخبركم **بما تاكلون** اي مما لم اعاينه **وما تدخرون في بيوتكم** اي وما ترفعونه
فتخبئونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم
وبما يدخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك
كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا
فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تقعدوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا
ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى ذلك في
بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا
في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا
فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى
عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر الى علمه الا
الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل
واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب
وامتزاجاتها او بواسطة حساب الرمل ونحو ذلك وقد يخطي في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برئيه من الجن

وقد يخطي ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس
باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله
وابراء الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي في اني رسول من الله اليكم
ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على اني قد
جئتكم باية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا لما بين يدي من التورية وذلك لان الانبياء عليهم السلام
يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل اليه من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال
عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه
ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف
حرف مما في التورية الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك انه تعالى كان قد حرم على اليهود بعض
الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال
قتادة كان الذي جاء به عيسى الين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشياء
من الطير والحيتان زاد غيره فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال اخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام
التورية ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ
حق وصدق وجئتكم باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله فاتقوا الله يعني
يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون يعني فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله
ومما ادعوكم اليه هو قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم
يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى
عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا
صراط مستقيم يعني التوحيد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس
عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم
على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته
والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا الى قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما
وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجاء ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت
مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تسئليني قالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا
ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا
سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فانا امر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان
فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملأ قدورك
وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي خمرا
لم ير الناس مثله فلما جاء الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض
كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد خلط شدد عليه فقال
الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد
ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الماء خمرا

بدعوته ليستجيبن له حتى يحيي ابني فطلب عيسى السلام وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال
الملك لا ابالي ليس اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركني انا وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام
فلما راه اهل مملكته الملك قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف
علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين
بانه المسيح المبشر به في التورية وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا
قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعني عيسى عليه السلام من انصاري الى الله
اي مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها
والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله لي قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان عيسى عليه السلام لما
دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به فخرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر
ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس
قالوا ومن انت قال انا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء
فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى
وملؤا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه واختلفوا في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك
فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشيء
بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى
الى اعمال شتى فكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منهم فاجتمع
عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة وانا خارج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام
وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها
وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره فطبخ عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن الله
على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال لعيسى ما فعلت فقال قد فرغت منها فقال واين هي قال
في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت علي الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا
اخضر وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من ذلك
وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفاء
قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفياء وكانوا اصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون
هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري
الرجل الذي يستعان به ق عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير
ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير
قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار دين الله ورسوله واعوانه امنا بالله اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شيء
واشهد يعني انت يا عيسى بانا مسلمون قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرك والذب عنك
ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبياء قبله لا اليهودية و
النصرانية ربنا امنا بما انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم انهم مسلمون ربنا امنا بما انزلت
يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام واتبعنا الرسول يعني عيسى فاكتبنا مع الشاهدين
يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمائهم واجعلنا في اعدادهم ومعهم

فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون للشاهدين الذين سالوا الحواريين ان يكونوا معهم مزيد فضل فلهذا قال ابن عباس في قوله
فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم هم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون
للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل **ومكروا** يعني كفار بني اسرائيل
الذين احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي بالفساد في الخفية
فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع
الحواريين وصاح فيهم بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق الخبث والخديعة
والحيلة **ومكر الله** اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه
بغتة من حيث لا يحتسب ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين ارادوا
قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل
ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا راس اليهود
وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه
السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له
ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه
شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل
ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه
السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا
وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما
فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذوا الذي دلهم عليه
فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه
شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان عيسى عليه السلام دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان
عند المصلوب فجاءهما عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شبه
لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع فهو نسبة اليه فانه لم يبك
عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله
عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في الارض ثم رفعه الله وتلك الليلة
التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى
ومكروا ومكر الله **والله خير الماكرين** يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود
حبست عيسى في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فالقي عليه شبه عيسى
فاخذ وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول
فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه
لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل التاريخ حملت
مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن
ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله تعالى

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية
على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها وجوها الاول معناها اني قابضك ورافعك الي من غير موت
من قولهم توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه انه لا يصل اعداؤه من اليهود اليه
بقتل ولا غيره الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الاية اني منيمك ورافعك الي
الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله تعالى توفى
عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه
ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب والاية تدل على ان يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل
ومتى يفعل فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال وسنذكره ان شاء الله
تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي معناه اني متوفيك عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك
ان عيسى عليه السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس ان معنى
التوفي اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده
كما زعمت النصارى ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله تعالى عليهم بقوله اني متوفيك
ورافعك الي فاخبر الله تعالى انه رافعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الاية تقديما و
تاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول
عيسى في القران قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك لانه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة
خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم قلت
تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وبسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن
سمعان قال فبينما هما كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه
فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام
فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث
في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام
يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيمة بين نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم
وقوله تعالى **ومطهرك من الذين كفروا** اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم **وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة** يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل
الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة
وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لان ملك اليهود
قد ذهب فلم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعا لا اتباع
الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك لان عيسى عليه

السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول اصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيمة **ثم الى مرجعكم** يعنى يقول الله عز وجل الى مرجع الفريقين فى الاخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** يعنى من الحق فى امر عيسى ثم بين الحكم فقال تعالى **فاما الذين كفروا** يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى **فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا** يعنى بالقتل والسبى والذلة واخذ الجزية منهم **والاخرة** اى واعذبهم فى الاخرة **وما لهم من ناصرين** يعنى ما نعين يمنعونهم من عذابنا **واما الذين امنوا** يعنى بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته **وعملوا الصالحات** يعنى عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم **فيوفيهم اجورهم** يعنى جزاء اعمالهم لا ننقص منه شيئا **والله لا يحب الظالمين** اى لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا فى غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل ثم قال تعالى **ذلك** يعنى الذى ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص **نتلوه عليك** اى نخبرك يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضاف اليه **من الايات** يعنى من القران وقيل الايات يعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرأ ويكتب او نبى يوحى اليه وانت امى لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحى السماوى الذى انزل عليك **والذكر الحكيم** اى المحكم الممنوع من الباطل قيل المراد من الذكر الحكيم القران لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذى منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش قوله عز وجل **ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب** الاية اجمع اهل التفسير ان هذه الاية نزلت فى محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما شانك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له هل رايت له مثلا او انبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اى فى الخلق والانشاء فى كونه خلقه من غير اب كمثل ادم فى كونه خلقه من تراب لا من اب وام فمن اقر بان الله خلق ادم من التراب اليابس وهو ابلغ فى القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى بن مريم من غير اب بل الشان فى خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم فى كونه خلقه من تراب اى قدره جسدا من طين **ثم قال له كن** اى انشاه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشاه الله خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا فى الاية اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضى ان يكون خلق ادم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق واجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال انى اخبركم ايضا انى قلت له كن فكان من غير ترتيب فى الخلق كما يكون فى الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فيصح النظم وقيل الضمير فى قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا فلا اشكال فى الاية فان قلت كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام قلت هو مثله فى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة فى بعض الاوصاف ولانه شبه به فى انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب فى العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وحكى ان بعض العلماء اسر فى بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى

قالوا

قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيى الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل اربعة الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن **فيكون** قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضى وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذى اخبرتك به من تمثيل عيسى بادم هو الحق من ربك **فلا تكن من الممترين** اى من الشاكين ان ذلك كذلك وهذا خطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكون من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذى ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة قوله تعالى **فمن حاجك فيه** اى فمن جادلك فى عيسى وقيل فى الحق **من بعد ما جاءك من العلم** يعنى بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اى هلموا والمراد منه المجيء واصله من العلو بالراى والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسئلة **ندع ابناءنا وابناءكم** اى يدع كل منا ومنكم ابناءه **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالانفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اى لعنة الله **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** منا ومنكم فى امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فى امرنا ثم ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى يمشى خلفها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فانى انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدى اليك فى كل سنة الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب زاد فى رواية وثلاثين درعا عادية وثلاثة وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء فى المباهلة قلت ذلك اكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم فى الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها فى كتبهم وقوله تعالى **ان هذا** يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو تتبع الاثر والقصص

الخبر الذي يتتابع فيه المعاني وما من إله إلا الله إنما دخلت من لتوكيد النفي والمعنى أن عيسى ليس بإله كما زعمت
النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين أنهم آلهة وإثبات الإلهية لله تعالى وحده لا شريك له في الإلهية
وإن الله لهو العزيز أي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه إلها آخر الحكيم يعني في تدبيره وفيه
رد على النصارى لأن عيسى لم يكن كذلك فإن تولوا يعني فإن أعرضوا عن الإيمان ولم يقبلوه فإن الله عليم
بالمفسدين أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل قل يا أهل
الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة اجتمعوا باليهود فاختصموا
في إبراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا
وهم على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من إبراهيم ودينه بل كان إبراهيم
حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الإسلام فقالت اليهود ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله
عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا أي هلموا إلى كلمة يعني فيها إنصاف ولا ميل لها لأحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة
أو قصيدة لها أول وآخر كلمة وشرح كلمة سواء أي عدل لا تختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله ألا
نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله وذلك أن النصارى عبدوا
غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله وذلك أنهم لم يطيعوهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا
أربابا من دون الله فثبت أن النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى
هلموا إلى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا
نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لأن السجود
لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحدا في معصية الله فإن تولوا يعني فإن أعرضوا عما أمرتهم به
فقولوا أنتم لهؤلاء اشهدوا بأنا مسلمون أي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له ق عن ابن عباس أن أبا
سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام
أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا
بأنا مسلمون لفظ الحديث أحد روايات البخاري وقد أخرجه بأطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية
الأريسيين والأريس الأكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس رجل كان في الزمن الأول بعثه
فخالفه قومه وقيل هم الأروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن أروس وهم الأروسية وقيل هم الأرسيون بضم
الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صددتهم عن الإسلام
واتبعوك على كفرك قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه
وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى ما كان
إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده
ومعنى الآية أن اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن إبراهيم عليه السلام

وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأه الله عز وجل مما ادعوا فيه وأخبر أن اليهودية والنصرانية
إنما حدثتا بعد نزول التوراة والإنجيل وإنما نزلا بعد إبراهيم بزمان طويل فكان بين إبراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه
خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وستمائة واثنان وثلاثون سنة وقال ابن إسحق
كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة
وأورد على هذا التأويل بأن الإسلام أيضا إنما حدث بعد إبراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك إنزال القرآن
إنما نزل بعد التوراة والإنجيل فكيف يصح ما ادعيتم في إبراهيم أنه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل أخبر
في القرآن أن إبراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والإنجيل أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه
المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله أفلا تعقلون يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى
حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هؤلاء والمراد بهم أهل الكتابين
يعني يا معشر اليهود والنصارى حاججتم أي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم
وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم يعني أنه ليس في كتابكم أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا والله يعلم
يعني ما كان إبراهيم عليه من الدين وأنتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما تقولون في إبراهيم ثم برأه
الله عز وجل عما قالوا فيه وأعلمهم أن إبراهيم بريء من دينهم فقال تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا
يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا
عن الأديان كلها إلى الدين المستقيم وهو الإسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل الكعبة
في صلاته وهو أحسن الأديان وأسهلها وأحبها إلى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين
يعبدون الأصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين بقولهم بإلهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل
إن أولى الناس بإبراهيم يعني أخصهم به وأقربهم منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه
وآمنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعني هذه الأمة
الإسلامية والله ولي المؤمنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن لكل نبي ولاة من النبيين وولي أبي وخليل ربي إبراهيم ثم قرأ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين أخرجه الترمذي وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن
إسحق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأناس من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر
بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ثأرا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك
رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاصي وعمارة بن أبي معيط معهما الهدايا الأدم وغيره فركبا البحر حتى أتيا
الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك
محبون وإنهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله
ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وإنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد
ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك
ورعيتك فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم قالا وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك

بالتحية التي يحيّيك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب
يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بأمان الله
وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه
فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا
لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية
لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف
النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل ثم قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك
ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين
الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين
أعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا افقد ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي اعبيد ام احرار فقال بل احرار كرام
فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا قطرة قال
جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين
واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين
الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد
الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فهو دين الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له
فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس
وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة
نبيا مرسلا قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر
ماذا يقول لكم هذا الرجل وما ذا يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا
عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ
عليكم فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث
الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي
فما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي
العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون
من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب
ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم
ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه اليه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله
ولي المؤمنين قوله تعالى **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة
بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب
يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر **وما يضلون الا انفسهم** لان المؤمنين
لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين **وما يشعرون** يعني ان وبال الضلال يعود

ان كان قنطارا فعلينا قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي

عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم
واشياعهم **يا اهل الكتاب** الخطاب لليهود **لم تكفرون بآيات الله** يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة
في التورية والانجيل على هذا القول وهو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة
بنبوته لانهم ينكرون ذلك **وانتم تشهدون** يعني ان نعته وصفته مذكورة في التورية والانجيل وذلك ان احبار اليهود
كانوا يكتمون عن الناس نعته وصفته فاذا اخلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق **يا اهل الكتاب**
لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك
ان الساعي في اخفاء الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التورية
وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم
تواطئوا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون ان
محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التورية دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيسهم
على الناس **وتكتمون الحق** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية **وانتم تعلمون** انه رسول من عند الله وان
دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا او انتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل **وقالت**
طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وهذا نوع آخر
من تلبيسات اليهود قيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار
باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو
بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب واعلم به منا
فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف
لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم
يرجعون فيقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل
هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه وانشدوا في معناه شعرا ● من كان مسرورا
بمقتل مالك ● فليأت نسوتنا بوجه نهار ● وقوله **لعلهم يرجعون** يعني عنه انا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون
في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لها اثر في قلوب
المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله لكان ربما اثر ذلك في قلوب من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى **ولا تؤمنوا الا**
لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا الا لمن
تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم اي ردفكم **قل ان الهدى**
هدى الله اي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام
معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر
وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا **او يحاجوكم عند ربكم** لانكم اصح
دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في اثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم عليه انما
صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين الحق وجب اتباعه والانقياد لامره بحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر به وقيل
معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعمش

من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وص
وسبب كفرهم بالتورية والانجيل

أن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد إن الهدى
هدى الله إن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى أو يحاجوكم عند ربكم يعني إلا أن يحاجوكم اليهود بالباطل
فيقولوا نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل أو في قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية
ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام
وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره آن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا
تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتاباً مثل
كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** وقوله أو يحاجوكم على هذه
القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين ويكون أو بمعنى إن لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وإن
يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين
ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فإن حسدوكم فقل إن الفضل بيد الله فإن حاجوكم
فقل إن الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام
الله تعالى يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله تعالى لا تصدقوا يا
معشر المؤمنين إلا من تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم
عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية
كلها خطاباً للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل إن الفضل بيد الله يعني قل لهم يا محمد
إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله أي أنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه
من يشاء يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق له من أراد من خلقه وفيه تكذيب
لليهود في قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى رداً عليهم قل لهم ليس ذلك إليهم وإنما الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الإحسان والفاضل الزائد
على غيره في خصال الخير **والله واسع** أي ذو سعة يتفضل على من يشاء **عليم** أي بمن يتفضل عليه
وهو للفضل أهل **يختص برحمته** يعني بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الإسلام وقيل بالقرآن **من يشاء**
يعني من خلقه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لأنه تعالى جعلها من باب
الاختصاص وللفاعل أن يفعل ما يشاء إلى من يشاء من غير استحقاق **والله ذو الفضل العظيم** قوله
عز وجل **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك**
نزلت في اليهود وأخبر عز وجل أن فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة
عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وإن
قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الأشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية أودع رجل من قريش عبد الله
بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده
إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه وجحده
ولم يؤده إليه وقيل أهل الأمانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لأن مذهبهم أنه يحل قتل من خالفهم في الدين
وأخذ ماله بأي طريق كان **إلا ما دمت عليه قائماً** قال ابن عباس يريد تقوم عليه وتطالبه بالإلحاح والخصومة
والملازمة وقيل معناه إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة له والتعنيف
بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقيل أراد أنه إن أودعته شيئاً ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم

على رأسه لم تفارقه رده عليك وإن أخرت استرجاع ما أودعته أنكره ولم يؤده عليك **ذلك** أي سبب ذلك الاستحلال
والخيانة **بأنهم قالوا** يعني اليهود **ليس علينا في الأميين سبيل** يعني أنهم يقولون ليس علينا إثم ولا حرج في
أخذ مال العرب وذلك أن اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لأنهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون
ظلم من خالفهم في دينهم وقيل إن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال
عبيدنا وقيل إنهم قالوا إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وإنما هم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل علينا
في أخذها منهم بأي طريق كان وقيل إن اليهود كانوا يبايعون رجالاً من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية
أموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا أنهم وجدوا
ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال **ويقولون على الله الكذب** يعني اليهود **وهم يعلمون** يعني أنهم كاذبين
ثم إنه تعالى رد على اليهود قولهم فقال **بلى** أي ليس الأمر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها
فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أي ولكن **من أوفى بعهده** أي بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من
الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي أنزل عليه وبأداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله
بعهده راجعة إلى الموفي **واتقى** يعني الكفر والخيانة ونقض العهد **فإن الله يحب المتقين** يعني الذين يتقون الشرك
ق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا
خاصم فجر وفي رواية إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر قوله تعالى **إن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً** قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم في أبي رافع
وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن محمد صلى الله
عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشى والمآكل التي كانوا يأخذونها من
أتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود أنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من
عند الله وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً إلى آخر الآية وفي رواية قال
من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك إن
الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن
قلنا كذا وكذا فقال صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت إنه إذاً يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت إن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً إلى آخر الآية وأخرجه الترمذي وأبو داود وقالا إن الحكومة كانت بين الأشعث
وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله
بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين
فنزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً إلى آخر الآية وقيل الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى إن الذين
يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم
الرجل نفسه من عهد وميثاق وكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى إن الذين يشترون يستبدلون

بعهد الله يعني الأمانة وأيمانهم يعني الكاذبة ثمناً قليلاً يعني شيئاً يسيراً من حطام الدنيا وذلك لأن المشتري يأخذ شيئاً ويعطي شيئاً فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشرا أولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاماً يسرهم أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر إليهم أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيراً يوم القيمة ولا يزكيهم أي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله له اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي للنسائي المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب م عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قالوا يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً قال وإن كان قضيباً من أراك قوله عز وجل وإن منهم يعني من اليهود لفريقاً يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون أي يعطفون ويميلون وأصل اللي الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها ألسنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل أن يكون المعنى يلوون بألسنتهم الكتاب لأنهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الإمام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفاً يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل إنهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي أنزله الله على أنبيائه وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون أنه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وإنما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لأجل التأكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني أنهم كاذبون وقال ابن عباس إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة قيل إن نصارى نجران قالوا إن عيسى ابن مريم أمرنا أن نتخذه رباً فقال الله تعالى رداً عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعني الإنجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمداً صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الكتاب يعني القرآن وذلك أن أبا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك رباً قال معاذ الله أن آمر بعبادة غير الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني الفهم والعلم وقيل هو إمضاء الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ومعنى الآية لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عباداً لي من دون الله وكيف يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك أن الأنبياء موصوفون

بصفات لا يحصل معها ادعاء الإلهية والربوبية منها أن الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها إيتاء النبوة ولا يكون إلا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فأضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الإضمار إذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنه قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الأمة قال سيبويه الرباني المنسوب إلى الرب بمعنى كونه عالماً به ومواظباً على طاعته وزيادة الألف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس أي يعلمهم ويصلحهم والألف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الأمر والعلماء وهم الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التأويل لا أدعوكم إلى أن تكونوا عباداً لي ولكن أدعوكم إلى أن تكونوا ملوكاً وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعته وعبادته وقال أبو عبيدة أحسب أن هذه الكلمة ليست عربية إنما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل وعلم الناس طريق الخير وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين بسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يأمركم قرئ بنصب الراء عطفاً على قوله ثم يقول فيكون مردوداً على البشر وقيل على إضمار أن أي ولا أن يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الأنبياء أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وإنما خص الملائكة والنبيين بالذكر لأن الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم إلا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون إنما قاله على طريق التعجب والإنكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع إذ نصب والمعنى واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله وقال الطبري واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وأصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما أنه مأخوذ من الأنبياء والثاني أنه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى بهذه الآية فذهب قوم إلى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده أن يصدق بعضهم بعضاً وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بما يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه وإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل إنما أخذ الميثاق من النبيين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل إنما أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل إليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى أهل الكتاب دون النبيين وإنما أطلق هذا اللفظ عليهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل كتاب والنبيون منا وقيل أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم

جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب
ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث
وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الاية ان الانبياء كانوا ياخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه
وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام من لما
وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التورية لتؤمنن به للذي عندكم في التورية من ذكره ومن قرأ بكسر
اللام جعل قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى
الاية واذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وقوله
ثم جاءكم رسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة
وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد
لقوله ولام قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل للانبياء
حين استخرج الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام
فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق وما قرر في عقولهم من الدلائل الدالة على ان الانقياد لله واجب فاذا جاء
رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك ان الله اخذ الميثاق على الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه
بتقرير هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال أأقررتم يعني قال الله فان فسرنا اخذ الميثاق
كان من النبيين كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرة وان فسرنا بانه اخذ الميثاق
على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى حكى عن الانبياء اخذ الميثاق
على الامم فلاجل هذا اضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات هذا
الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا ذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي والاصر العهد
الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان
برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك قال فاشهدوا يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا
يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا
فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين
يعني قال الله يا معشر الانبياء وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين
ومن تولى اي اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون
اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل أفغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل
فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله أفغير دين
الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل لهم ان دين
ابراهيم هو دين الله الاسلام يبغون قرئ بالتاء على خطاب الحاضر اي أفغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى
وقرئ بالغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد
من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة وإباء
من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم

كرها

كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت
له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المؤمن طوعا فينفعه اسلامه يوم القيمة والكافر يسلم كرها
عند الموت في وقت اليأس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله
تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه واليه
ترجعون قرئ بالياء والتاء والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيمة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله تعالى قل
آمنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يأتي مصدقا لما
معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا بالله وانما وحد الضمير في قوله
قل وجمع في قوله آمنا لانه انما خاطبه بلفظ الواحد ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم
قال آمنا تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه اصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا
لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل وما انزل علينا يعني وقل يا محمد صدقنا ايضا
بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل وما
انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر لان اهل الكتاب
يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنى عشر وكانوا انبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال والنبيون
اي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وذلك ان اهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون
ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم
عدى انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي
ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الاخر ونحن له مسلمون اي موحدون مخلصون
انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يعني
ان الدين المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله
ويثيب عليه وهو في الاخرة من الخاسرين يعني الذين وقعوا في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب
وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم نزلت في اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث
بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود
كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبي مبعوث
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان
قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه
وشهدوا ان الرسول حق يعني وبعد ان اقروا وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم
البينات يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة والله لا يهدي القوم
الظالمين اي لا يوفقهم الى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الاخرة الى الجنة
والثواب فان قلت كيف قال في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في اخرها والله لا يهدي القوم الظالمين
وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك المرتدين عن الاسلام
ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم في اخر الاية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الاسلام

والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالماً لأنه وضع العبادة في غير موضعها أولئك جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد إيمانهم أن عليهم
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي ولا هم يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه
وتعالى فقال إلا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحارث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار
ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن اسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله إلا الذين تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائباً وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن
إسلامه وأصلحوا أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل
معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات فإن الله غفور رحيم أي غفور لقبائحهم
في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب قوله عز وجل إن الذين كفروا
بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره
من أنبيائهم ثم ازدادوا كفراً يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفراً يعني ذنوباً
في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفراً يعني بإقامتهم على
كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في الأحد عشر رجلاً من أصحاب
الحارث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر
ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في
الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فإن قلت قد وعد الله قبول
التوبة ممن تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن
وقتادة وعطاء والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كائنة قال إن اليهود والكفار
والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس أنهم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة
لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فإن توبتهم
في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا
من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لا من كفرهم لأن الله تعالى وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب
بقوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي
تقبل منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما أقام على كفره لأن الله
تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى
وأولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطأوا
منهاجه قوله تعالى إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن كان
كافراً من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر فلن يقبل
من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أي قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها قيل معناه لو افتدى
به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها أنها للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً لن تقبل

منه

منه وهذا آكد في التغليظ لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فإن قلت الكافر لا يملك شيئاً في الآخرة فما وجه قوله
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً قلت الكلام قد ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الأرض
ذهباً يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا
ملء الأرض ذهباً ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة مع الكفر غير مقبولة أولئك إشارة إلى من مات
على الكفر لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب ق عن أنس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي
به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا الشرك لفظ مسلم وقوله
عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه لن تنالوا
حقيقة البر ولن تكونوا أبراراً حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل
البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في
الصدق وحسن الخلق لأنهما من الخير المتوسع فيه ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق
يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي
إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً م عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا المعنى عليكم
بالأعمال الصالحة حتى تكونوا أبراراً وتدخلوا في زمرة الأبرار ومن قال إن لفظ البر هو الجنة فقال معنى الآية لن تنالوا ثواب
البر المؤدي إلى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد أموالكم وأنفسها عندكم قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج إليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن أبي هريرة قال
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل
الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان واختلفوا في هذا الإنفاق فقال ابن عباس
هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول قيل إن الآية منسوخة بآية الزكاة وفيه بعد
لأنه ترغيب في إخراج الزكاة وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء أنفقه المسلم من ماله يبتغي به وجه الله وطلب ثوابه حتى التمرة
فإنه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ق عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً وكان أحب ماله إليه
بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وإن أحب أموالي بيرحاء وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخ بخ مال رابح أو قال ذلك مال رايح أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه
وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضى وتكريرها للمبالغة وهي مبنية على السكون فإذا وصلت جررت ونونت فقلت بخ بخ وقيل
بخ بخ قوله مال رابح أي ذو ربح وفي الرواية الأخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة
وهو حائط كان لأبي طلحة ويروى عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
فلما جاءت أعجبته فقال عمر إن الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن
عمر أن عبد الله بن عمر خطرت على قلبه هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما أعطاني الله تعالى
فما كان شيء أحب إلي من فلانة هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها ق عن عمرو بن دينار
قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل كان يحبها إلى رسول الله صلى

عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيدا وجد في نفسه فلما راى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد قبلها وروى ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاءنا بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى **وما تنفقوا من شيء** يعني من اي شيء كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** اي يعلمه ويجازيكم به قوله تعالى **كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية** سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك كله حلالا لابراهيم قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التورية يعني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التورية وطلب ان يستخرجوا منها ان ذلك كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم الى هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التورية وقال ان التورية ناطقة بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التورية فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التورية ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف ما في التورية فلما اخبر ان ذلك ليس في التورية علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام او سائر المطعومات كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روي عن الضحاك ان يعقوب كان نذر لئن وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفي رواية اخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما اني لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في اخرى اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد الى السماء ويعقوب

ينظر

ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق فيخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطباء ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز له ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما على بني اسرائيل اما قوله من قبل ان تنزل التورية فمعناه ان قبل انزال التورية كان كل انواع الطعام كانت حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرم اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التورية فقد حرم الله تعالى عليهم اشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التورية فقال السدي حرم الله عليهم في التورية ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا ياكله ولد لي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التورية وقال الكلبي لم يحرمه الله في التورية وانما حرم عليهم بعد نزول التورية بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التورية وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى **قل فاتوا بالتورية** يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتورية **فاتلوها** اي فاقرؤوها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم **ان كنتم صادقين** يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها وخافوا الفضيحة فقال تعالى **فمن افترى على الله الكذب** الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله **فاولئك هم الظالمون** اي المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعى عليهم مما نطق به القرآن من تعديد مساويهم التي كانوا يرتكبونها **قل صدق الله** يعني قل يا محمد صدق الله فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب تحريمها اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله عليه وسلم **وما كان من المشركين** اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه قوله عز وجل **ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة** سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شيء اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات

وقبلة للصلوات وموضعا للحج والطواف وتزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والبادي فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه الى الناس اخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلواتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما انه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امص كل ما فيه من اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها ولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروي عن علي بن الحسين بن علي ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال ابن عباس انه اول بيت بناه آدم في الارض وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض استوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكمة بيضاء الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا روي ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس ق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجد فحيث ما ادركتك الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله **مباركا** يعني ذا بركة واصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي فيه وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام **وهدى للعالمين** يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى **فيه آيات بينات** اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هي قوله مقام ابراهيم ومن دخله

كان آمنا وقيل الايات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل تنحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا تؤذي بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظبا ولا تصطاد ومنها ان الطير اذا مرض منها شيء استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الآمر ببنائه هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل والمساعد في بنائه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى **مقام ابراهيم** يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي **ومن دخله كان آمنا** قيل لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم اذا المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من ان يهلج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم التجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان آمنا من العذاب يوم القيمة وقيل من دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل **ولله على الناس حج البيت** اي ولله على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان فقد ثبت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الحج من اركان الاسلام الخمسة **من استطاع اليه سبيلا** يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف وحد السبيل الى حج البيت الحرام

فصل في فضل البيت والحج والعمرة ق عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا يصلي فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما سودته خطايا بني آدم اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيمة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم

بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة إلى العمرة
كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل
وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن
ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد
والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب إلا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما إلا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن
يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا قال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا
حديث غريب

فصل في أحكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ولوجوب
الحج خمس شرائط الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لأن
الكافر ليس من أهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل أو عبد صح حجهما
تطوعا ولا يسقط الفرض فإذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما أن يحجا ثانيا ولا يجب
على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح
حجه وسقط عنه فرض حجة الإسلام والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والآخر أن يكون
مستطيعا بغيره فأما المستطيع بنفسه فهو أن يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمتصل وأما
المرفوع إنما رواه إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم متروك الحديث قال
يحيى بن معين إبراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله من استطاع إليه سبيلا فقالت طائفة الآية
على العموم إذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا إجماعا لأهل العلم يوجب أن يستثنى من ظاهر الآية
بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد إليه السبيل بأي وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر الآية قال وروينا عن عكرمة
أنه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك إذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك
الاستطاعة على إطاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة
الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك قاله الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم
وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعة
تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه إذا أمره أن يحج عنه أو قادر على
مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج أما حكم الزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح
له ووجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين إن كان
عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فإن خرجوا قبله أو أخروا الخروج
إلى وقت لا يصلون إلا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق آمنا فإن كان فيه خوف
من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة معمورة يجد فيها ما جرت
العادة بوجوده من الماء والزاد فإن تفرق أهلها لجدب أو عاد مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة
وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة
شرطا لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل

وعنده مال لا يجب عليه من غصب ماله وحجة من أوجب الحج ببذل الطاعة صح

عاجزا بنفسه بأن كان زمنا أو به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيجب عليه أن يستأجر
من يحج عنه وإن لم يكن له مال وبذل له ولده أو أجنبي الطاعة في أن يحج عنه لزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن
وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة بما روي عن ابن عباس قال كان الفضل
بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده
في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجاه في
الصحيحين قوله تعالى **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** يعني ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته
وكفر به فإن الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما
روي عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا
عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث
يضعف في الحديث وقيل هو الذي إن حج لم يره برا وإن قعد لم يره إثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل
حيث قالوا إنا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج إلى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت
ومن كفر فإن الله غني عن العالمين فعلى هذه الأقوال تكون هذه متعلقة بما قبلها وقيل إنها كلام مستأنف
ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فإن الله غني عن العالمين **قل يا أهل الكتاب** قيل الخطاب لعلماء أهل
الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا
نبوته **لم تكفرون بآيات الله** يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق وصدق والمعنى لم تكفرون
بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم **والله
شهيد على ما تعملون** أي والله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن** يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبه والشكوك وذلك
بإنكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم **تبغونها عوجا** يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر
الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فأما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك
يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله
بإلقاء الشبه في قلوب الضعفة **وأنتم شهداء** قال ابن عباس يعني وأنتم شهداء أن في التوراة مكتوبا أن نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام وقيل معناه وأنتم تشهدون المعجزات
التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد لهم وذلك أنهم
كانوا يجتهدون ويحتالون بإلقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم
فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا**
الكتاب الآية قال زيد بن أسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الأوس
والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم
من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا
من اليهود كان معه فقال له اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا
تقاولوا فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس

على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد
بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا فقال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان
جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس
والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين
حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم اصر
الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين
قال جابر فما رايت يوما اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه **يردوكم بعد ايمانكم كافرين** والكفر يوجب الهلاك
في الدنيا بوقوع العداوة والبغضا وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدما وفي الاخرة النار **وكيف تكفرون
وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله** وكلمة كيف تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال
فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله وهي القران حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر بعيدا على هذا الوجه قال في هذه الاية
علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة
منه ونعمة **م** عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة
فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب
واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقوله تعالى **ومن يعتصم بالله** اي يمتنع
بالله ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في افة وفيه حث لهم في الالتجاء الى الله
تعالى في دفع شر الكفار عنهم **فقد هدي الى صراط مستقيم** اي الى طريق واضح وهو طريق الحق
المؤدي الى الجنة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته** قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج
عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان
وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا
حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله
بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا
سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس
والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال
مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم واباءكم
وابنائكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام
بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الاية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه
منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى
الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة

وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف
يرجع الى معنى الاية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان ياتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء
به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما
استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته
كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي
يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر
فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا
ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى **ولا تموتن الا وانتم مسلمون**
لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم
على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم
وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام بمنزلة ما قد
دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مؤمنون مخلصون مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز
وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل **واعتصموا بحبل الله جميعا** اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي
يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي يتوصل
اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الاية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو
القران لانه ايضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا
واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القران هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل
الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته
ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع و
الالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا
عنه وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا
يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم قيل
وقال واضاعة المال وكثرة السؤال قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا** قال محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين
لاب وام فوقعت بينهما عداوة قيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله
تعالى ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن
عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي

وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا لكلام حسن ومعي افضل من هذا قرآن
انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حق ثم انصرف الى المدينة
فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني
عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله
شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلى عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ
ابو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله
عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار فعرض
نفسه على القبائل من العرب كما يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة
وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله
عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى
اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله به في الاسلام
ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الآن مبعوث
قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل
قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد
تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم
الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعوذ ابنا عفراء ورافع بن مالك
العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعياش بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزر
جيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على بيعة النساء على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الآية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك
فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء عفى لكم قال وذلك قبل ان
يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم فبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام
ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخلا حائطا
من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين
الذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير
سيدي قومهما من بني عبد الاشهل وهما بعد مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان في الحائط
فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما
متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان
رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه
القرآن قالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون

اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه
وشهد شهادة الحق ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ
ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد
بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادي فقال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما
باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا
انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيئا
فانصرف اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة
لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه
ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته
عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا
والله الاسلام في وجهه وتسهله ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى
نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما رأوه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم
ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة
ورجع اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل سعد فاقام عنده يدعوا الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار
الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وذلك انه كان
فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين
سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط
ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي
واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين
من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون
حطبا للنار غدا ودعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان
نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل
مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة
بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب
ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب
يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا
وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه
اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن
الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه
أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا
يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم
بن التيهان فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله
أن ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم
أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما
فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس قال عاصم بن عمر بن قتادة
إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري يا معشر الخزرج
هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة
وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه
على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف
فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وأول من ضرب على يده البراء بن
معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت ما سمعته
قط يا أهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله
هذا أزب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا
إلى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا
فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه
من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث
من هناك من مشركي قومنا نفر يحلفون بالله ما كان من هذا من شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر إلى بعض
وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم
بها فيما قالوا يا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعل هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث
فخلعهما من رجليه ورمى بهما إلي وقال والله لتنتعلنهما قال أبو جابر مه والله أحفظت الفتى فاردد إليه نعليه
قال قلت لا أردهما قال والله صالح لئن صدق الفأل لأسلبنه قال ثم انصرف الأنصار إلى المدينة وقد شددوا العقد
فلما قدموها أظهر الله الإسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون فيها فأمرهم بالهجرة إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من الأنصار
فأول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم أرسالا إلى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة
أوسها وخزرجها بالإسلام وأصلح ذات بينهم بنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وأنزل الله عز وجل واذكروا
يعني يا معشر الأنصار نعمة الله عليكم يعني بالإسلام إذ كنتم أعداء يعني قبل الإسلام فألف بين قلوبكم يعني بالإسلام وبنبيه
عليه السلام فأصبحتم بنعمته إخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الإسلام إخوانا في الدين والولاية بعد العداوة
وكنتم يعني يا معشر الأوس والخزرج **على شفا حفرة من النار** يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم
وبين الوقوع في النار إلا أن تموتوا على كفركم **فأنقذكم منها** أي خلصكم بالإيمان من الوقوع في النار

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قوله تعالى **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الأمر أي لتكن منكم أمة دعاة إلى الخير منكم وقيل إن كلمة
من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لأن الله عز وجل أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
إما بيده أو بلسانه أو بقلبه م عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا
فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة
دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية
إذا قام به واحد سقط عن الباقين وقيل إن من هنا للتبعيض وذلك لأن في الأمة من لا يقدر على الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر لعجز أو ضعف فحسن إدخال لفظ من في قوله ولتكن منكم أمة وقيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما
يختص بالعلماء وولاة الأمر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خ عن النعمان بن بشير
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم
أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا
خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في الآية
هو كل شيء يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الإسلام والمعنى لتكن أمة أي جماعة دعاة إلى الإسلام
وإلى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما
ينبغي وهو الأمر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس أولا وهو الخير ثم أتبعه
بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالشرع
والعقل قبحه قوله تعالى **وأولئك هم المفلحون** تقدم تفسيره قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين تفرقوا**
واختلفوا يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول
أكثر المفسرين واختلفوا أي في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد وقيل
تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب
نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة
ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة
من هذه الأمة وقال أبو أمامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية على درج
جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم شر قتيل تحت أديم السماء
وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام
فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال إن بأرضي منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا إلى قوله أكفرتم بعد إيمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة
على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين
أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن قوله تعالى **من بعد ما جاءهم البينات**
يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وإنما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل
في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع **وأولئك لهم عذاب عظيم** يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا

عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والاختلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود أراد بربقة الإسلام عقد الإسلام وأصله
أن الربق حبل فيه عدة عرى يشد بها الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة
الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله تعالى **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يعني اذكروا يوم تبيض فيه وجوه
المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه
المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور
والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور
والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى
ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا ابيضاض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك
أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه
ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله وأما
الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك
وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله
وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض
وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة
في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد
وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة **وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون** أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع فإن قلت كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا
مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن أبي بن كعب أنه قال أراد به الإيمان
يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم
المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر الصديق وهم أهل الردة
ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت
إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ق عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصيحابي فليقالن
لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا
بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقاتلهم وهم الحرورية م عن زيد
بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين صاروا إلى الخوارج فقال علي أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم
إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم
من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم

من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ق عن يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف
هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منه قوم يقرؤون
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية
ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد م عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا
يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الأعور سمعت علي بن أبي طالب يقول على المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما يعود إليهم حتى يعمل
عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد إيمانهم ورب الكعبة وقوله
تعالى **وأما الذين ابيضت وجوههم** يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل **ففي رحمة الله** يعني ففي جنة الله وإنما
سميت الجنة رحمة لأنها دار رحمة وفيه إشارة إلى أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى **هم فيها
خالدون** قيل إنما كرر كلمة في لأن في كل واحدة معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون **تلك آيات الله**
يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت **نتلوها عليك بالحق** أي بالمعنى الحق لأن المتلو حق **وما الله يريد
ظلما للعالمين** يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فأما
الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أنما وقعوا فيه بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا
من خلقه **ولله ما في السموات وما في الأرض** لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك أن
الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو يتم نقصانا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا
عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما ملكه وأهلهما عبيده وإذا كان ذلك
كذلك فيستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لأنهم عبيده وفي قبضته ثم قال **وإلى الله ترجع الأمور**
يعني وإلى الله مصير أمور جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا
منهم قوله عز وجل **كنتم خير أمة** سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا
لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم والذي تدعوننا إليه
فأنزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل
كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا يدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما
فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم مذكورين في الأمم الماضية بأنكم خير أمة وقيل كنتم في اللوح
المحفوظ موصوفين بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم مذ أنتم خير أمة وقيل قوله خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت
وجوههم والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه والنعيم
المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فقوله كنتم أي صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا فهم
فيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر
بن الخطاب قال لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل
ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم ق عن عمران بن حصين
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة
ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في
رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين

يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني أصحابي والقرن أهل
كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمالهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة
وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق
مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خير أمة هم أمة محمد صلى الله
عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الأمة ونظيره
قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فإن كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل كذا هاهنا
عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون
سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار أخرجه
الترمذي عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن
والزلازل والقتل أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير
أم أوله أخرجه الترمذي وله عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون
منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتي الذي يدخلون
منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم إنهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي
سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال الخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم
شركاء الناس في سائر الأبواب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمتي من يشفع في الفئام من الناس
ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف متماسكين آخذ بعضهم
ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات
من حثيات ربي أخرجه الترمذي وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة
حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي وقوله تعالى **أخرجت للناس** معناه كنتم خير
الأمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة
أخرجت خ عن أبي هريرة قال كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى
يدخلوا في الإسلام وقيل أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم **تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة
تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك
والمعنى تأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وتنهونهم عن الشرك **وتؤمنون بالله** أي وتصدقون بالله وتخلصون له
التوحيد والعبادة فإن قلت لم قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان يلزم أن يكون مقدما
على كل الطاعات والعبادات قلت الإيمان بالله أمر مشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه الأمة الإسلامية
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم المؤمنة وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف

والنهي

عن المنكر وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصح شيء من الطاعات مقبولا فثبت
أن الموجب لهذه الخيرية لهذه الأمة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى **ولو آمن أهل الكتاب** يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به **لكان خيرا لهم** يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حملهم على
ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة
منهم يعني من أهل الكتاب **المؤمنون** يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين
أسلموا من النصارى **وأكثرهم الفاسقون** أي المتمردون في الكفر وقيل إن الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع
كفرهم هم فاسقون قوله تعالى **لن يضروكم إلا أذى** سبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود عمدوا إلى من آمن
منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم إلا أذى يعني لن يضركم أيها المؤمنون
هؤلاء اليهود إلا أذى يعني باللسان من طعن في دينكم أو تهديد أو إلقاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الأذى
والغم **وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار** يعني منهزمين مخذولين **ثم لا ينصرون** يعني لا يكون لهم
النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن أسلم من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم
فأعلمهم الله تعالى أنهم لا يقدرون أن يجاوزوا الأذى بالقول إلى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وأن
عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب
على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لأنها ذلة و
صغار وقيل ذلتهم أنك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد **أينما ثقفوا**
أي حيثما وجدوا وصودفوا **إلا بحبل من الله** يعني إلا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة
وحبل من الناس يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل من الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم
إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وإنما سمي العهد حبلا لأنه سبب يوصل إلى الأمن وزوال الخوف **وباؤوا بغضب
من الله** أي رجعوا بالغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم مكثوا في غضب من الله
وحلوا فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها
قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لأن الله أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم والباقي
عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان
غنيا موسرا **ذلك** إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بالغضب **بأنهم** أي بسبب أنهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أي ذلك الذي نزل بهم بسبب
عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل **ليسوا سواء** قال ابن عباس
لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا
دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل
الكتاب الذي تقدم ذكرهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وأمة
محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق والقول الثاني أن قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا
يوقف عليه وقوله **من أهل الكتاب أمة قائمة** فيه اختصار وإضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة
ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الأمة الأخرى اكتفاء بذكر أحد الفريقين وهذا على مذهب العرب أن ذكر أحد الضدين

يعني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب دعاني اليها القلب اني لامره مطيع فلا ادري ارشد طلابها اراد ام غير رشد فاكتفى
بذكر احد الضدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله
كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قائمة
وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل
الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اي مهتدية قائمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اي عادلة وقيل
قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في الصلاة **يتلون ايات الله** اي يقرؤن كتاب الله عز وجل **اناء الليل**
يعني ساعاته **وهم يسجدون** يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة
التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب
تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران
من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم وامنوا به وكانوا عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة
وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى
جاءهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال
يؤمنون بالله واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المؤمنون
وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبيا ويكفرون ببعض والايمان
باليوم الاخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الاخر
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف
يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه
وسلم **ويسارعون في الخيرات** اي يبادرون اليها خوف الفوات وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام به
غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى **واولئك** اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به
من الصالحين اي من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك
لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل
ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى اولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى **وما تفعلوا من خير
فلن تكفروه** قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن
سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلا وما فعلوه من خير
يجازيهم به ولا يمنع خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتدا كلام وهو خطاب
لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنوا اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون فلن تكفروه اي
فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكر لكم ويجازيكم به **والله عليم بالمتقين** فيه بشارة للمتقين
بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل **ان الذين كفروا لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك لان رؤساء اليهود مالوا الى
تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة والاموال فقال
الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان
مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب

التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني اي تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب
الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة
بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الاخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله **واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون** لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله تعالى **مثل ما ينفقون في هذه الحيوة
الدنيا** قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة
اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل اراد نفقات المرائي الذي لا يريد
بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له
اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان
الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرائي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه
لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى **كمثل ريح فيها صر** فيه وجهان احدهما وهو
قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني
ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه
صحيح والمقصود منه حاصل لانه سواء كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك ايضا **اصابت** يعني الريح التي فيها صر
حرث قوم اي زرع قوم **ظلموا انفسهم** يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه **فاهلكته**
يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة
فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا في ابطال ثوابه وعدم الانتفاع به
بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت به المشابهة
بين الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة
منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون
كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل
هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى **وما ظلمهم الله** يعني بان لم
يقبل نفقاتهم **ولكن انفسهم يظلمون** يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك
حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة من دونكم** الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة
والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الاية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل
على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصافون
المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله
ذكر في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة
المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الاية لان الله تعالى
قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار
والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته
ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد
القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من صلة زائدة

والتقدير لا تتخذوا بطانة دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اولياء واصفياء من غير اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى **لا يألونكم خبالا** يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل **ودوا ما عنتم** اي يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة **قد بدت البغضاء من افواههم** اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على اسرار المؤمنين **وما تخفي صدورهم** يعني من العداوة والغيظ **اكبر** اي اعظم مما يظهرونه **قد بينا لكم الايات** يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **ان كنتم تعقلون** يعني ما بين لكم فتعملون به قوله تعالى **ها انتم** ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور **اولاء** اسم للمشار اليهم في قوله **تحبونهم** والمعنى انتم ايها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف **ولا يحبونكم** يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم **وتؤمنون بالكتاب كله** يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم **واذا لقوكم قالوا آمنا** يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود **واذا خلوا** اي خلا بعضهم الى بعض **عضوا عليكم الانامل من الغيظ** الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم واصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغيظ والغضب **قل موتوا بغيظكم** وهذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم **ان الله عليم بذات الصدور** يعني بالخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب منتسبة اليه كنى عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم بكل ما حصل في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل **ان تمسسكم** اي تصبكم ايها المؤمنون واصل المس باليد ثم سمي كل ما يصل الى شيء ماسا له على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه **حسنة** المراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب معايشكم **تسؤهم** اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسن **وان تصبكم سيئة** اي مساءة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب ونكبة ومكروه يصيبكم **يفرحوا بها** اي بما اصابكم من ذلك المكروه **وان تصبروا** يعني على اذاهم وقيل وان تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة **وتتقوا** اي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه **لا يضركم** اي لا ينقصكم **كيدهم** اي عداوتهم ومكرهم **شيئا** اي لانكم في عناية الله وحفظه **ان الله بما يعملون** قرئ بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتهم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه **محيط** اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله تعالى **واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو

قول

قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح لقوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ابن سلول ولم يدعه قبلها قط فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يرون انا قد جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن ابي بن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا انتم فيتبعوكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر المؤمنين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي ابن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت اي اذكر اذ غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها بقوله من

اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواضع ومواطن للقتال وقيل
تتخذ معسكرا للقتال والله سميع يعنى لاقوالكم عليم يعنى بنياتكم وما فى ضمائركم قوله عز وجل اذ همت طايفتان
منكم ان تفشلا اى تجبنا وتضعفا عن القتال والطايفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف
فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلاثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر
السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطايفتان بالانصراف
مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله
لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اى ناصرهما
وحافظهما ومتولى امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشىء والاية تدل على ان الطايفتين عزمتا على
الفشل وترك القتال معصية فكيف مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث
النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس فى هذه الاية اولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس
انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله
وليهما ق عن جابر قال فينا نزلت اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطايفتان بنو حارثة وبنو
سلمة وما يسرنى انها لم تنزل فينا لقول الله والله وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم
اية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التى هموها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى وعلى الله
فليتوكل المؤمنون التوكل تفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه فى كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز
والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله تعالى عباده المؤمنين الا يتوكلوا
الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف
وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم
اذلة جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفى رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد
بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان
النفر منهم يعتقبون على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد وكان عدوهم من كفار قريش فى حال
الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم
فاتقوا الله يعنى فى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعنى بتقواكم ما انعم الله عليكم
من نصرته قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بلى
اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكة حصل يوم بدر ام يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة
كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكرها هنا
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة
الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما
يكونون عددا او مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة الاف ردء للمؤمنين الى يوم القيمة وقال الشعبى بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم
الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الاف وكانوا قد امدوا
بالف من الملائكة وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل

اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة وظاهر هذا يقتضى ان الله نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم
ربكم الاية ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثانى ان هذا الوعد
بامداد الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب ينبل له كلما رمى السهم اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحق
ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف ق عن سعد بن ابى وقاص قال رايت عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه كاشد القتال ما رايتهما
قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه
فى سورة الانفال ولم يكن بثلاثة الاف وبخمسة الاف كما هنا وايضا فان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منه
وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة فى مقابلة
عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة
الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما فى يوم بدر
واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بانه تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر فى سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز للكفار قريش شق عليهم ووعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف وبخمسة لتقوى
قلوبهم بذلك واجيب عن الثانى وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفى يوم احد كانوا ثلاثة الاف
فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا تقريب حسن ولله ان يزيد ما شاء فى اى وقت شاء ولهذا قال عكرمة فى قوله بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو امدوا
لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم الله بالملائكة حين حاصروا قريظة ق
عن عايشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد
وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال ها هنا واشار الى بنى قريظة فخرج النبى صلى الله عليه
وسلم اليهم خ عن انس قال كانى انظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بنى قريظة وقال عبد الله بن ابى اوفى كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم اسلحتكم
ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلفها براسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا
حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبرى
واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة الاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم
واتقوا الله ولا دلالة فى الاية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله امدهم ويجوز ان لا
يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة فى ذلك وقد ثبت بنص القران انهم امدوا يوم بدر بالف من الملائكة
كما فى سورة الانفال فاما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا ابين منها بانهم امدوا وذلك انهم لو امدوا لم يهزموا
ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابى وقاص المتقدم فى يوم احد وانه راى ملكين عن يمين
النبى صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما
انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير فقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر

قال نظم الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمؤمنين ومن قال هذا يوم احد يقول نظم الاية ان الله ذكر
قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر على ان ينصركم في ساير المواطن ثم رجع الى
قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد ان يمدكم
ربكم الامداد اعانة الجيش فما كان على جهة القوة والاعانة يقال له امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال فيه
مده مددا وقيل المد في الشر والامداد في الخير بثلثة الاف من الملائكة منزلين انما وعدهم بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم
ويثقوا بنصر الله ويعزموا على الثبات بلى تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد لن يعني يكفيكم الامداد
فاوجبا الكفاية ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم
ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل باخر فمن قال معنى من فورهم
من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا
للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة لم يرد خمسة الاف سوى الثلثة
المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز ابن جابر
المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
الاية على تقدير ان يجئ المشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المؤمنين بغير الف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير
بن مطعم عن علي بن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ارا اشد منها ثم جاءت ريح شديدة
لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الفين
من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في الفين من الملائكة وكانوا عن
يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة
الانفال وذكر هنا ثلثة الاف وخمسة الاف فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية
الاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة مسومين قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم
ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة والسيما العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقاء
ليعرف بها قال عنترة فتعرفوني انني انا ذلكم شاك سلاحي في الحوادث معلم ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة
والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة او اعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت
الملائكة على خيل بلق وعليهم عمايم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال
هشام بن عروة والكلبي كانت عمايم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني
الصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بسند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر
صفرا فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى وما جعله الله يعني هذا
الوعد والمدد الا بشرى لكم يعني بشارة بانكم تنصرون فتستبشرون به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به
اي فلا تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند
وكثرة العدد فان النصر من الله لا من غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم
وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا
عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع

طرفا

عندهم

طرفا من الذين كفروا هذا متعلق بقوله لقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي
ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وسادتهم
سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين حين خالفوا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكبتهم اصل الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى ان يصرعهم على
وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزي فينقلبوا خائبين اي بالخيبة لم ينالوا
شيئا من الذي املوه من الظفر بكم قوله عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة
اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القران والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن
خ عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخرة من الفجر يقول
اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله
فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله
ليس لك من الامر شيء الاية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله
قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها
نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته
ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول
كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء وقيل اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت
هذه الاية قال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد حمل الاية في النزول على كلها ومعنى الاية ليس لك
من امر مصالح عبادي شيء الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم
فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى
اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء الا ما وافق امري انما انت عبد
مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقوله
ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا
او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله قال بعض العلما
والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم
فيتوب عليهم او سيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان
دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك لهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق
في علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويخرج من بعضهم ذرية مومنة صالحة ويهلك بعضهم بالقتل والموت

وفلانا
وقاص

وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة وهو عذاب النار **فانهم ظالمون**
هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** وهذا تاكيد
لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس
لاحد معه امر **يغفر لمن يشاء** بفضله ورحمته **ويعذب من يشاء** بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه
ولا معارض له في فعله **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم
عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة
كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا
لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة** اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل
في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يوفي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك
في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته
واتقوا الله يعني في امر الربا فلا تاكلوه **لعلكم تفلحون** اي لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى
فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان الربا من الكبائر ولهذا اعقبه بقوله **واتقوا النار التي اعدت للكافرين**
يعني واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار
بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه
الآية اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين النار المعدة للكافرين ان لم يتقوا ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه
الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين **واطيعوا الله**
يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره **والرسول** اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد بن
اسحق في هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد **لعلكم ترحمون** اي لكي ترحموا ولا تعذبوا
اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل **وسارعوا الى مغفرة من ربكم**
يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه
ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله
وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم
الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام
وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد **وجنة** اي سارعوا
الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من
المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة **عرضها**
اي عرض الجنة **السموات والارض** يعني كعرض السموات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما
خص العرض للمبالغة لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض تقول هذا صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة
بالسعة والبسطة فشبهت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض
حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب
بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر • كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل • والاصل فيه ان ما
اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه
وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله

فاين الليل اذا جاء النهار وقيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب
فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه
ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عمر ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار
فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما
توعدون واراد بالذي وعد به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات واذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السموات
والارض قلت المراد من قولنا انها في السموات انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السموات
هي ام في الارض فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفردوس قال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين
السبع وقيل ان باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض **اعدت للمتقين** اي هيئت للمتقين وفيه دليل على ان
الجنة والنار مخلوقتان الآن قوله تعالى **الذين ينفقون في السراء والضراء** يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق
في كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال الفرح والسرور ولا في حال المحنة والبلاء وسواء كان الواحد
منهم في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لانه
اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة
الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله من عابد
بخيل اخرجه الترمذي **ق** عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما
جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره
واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد **ق**
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا **ق** عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
وتعالى انفق ينفق عليك **ق** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة
اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان
تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى **والكاظمين
الغيظ** يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا
فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم على الامضاء ويردون
غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اي الحور شاء
اخرجه الترمذي وابو داود **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء
والعافين عن الناس يعني اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه فتكون الآية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسوء
ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عمن ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول **والله يحب المحسنين**
يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الآية والاحسان
الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان

الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والقمر والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله عز وجل **والذين اذا فعلوا فاحشة** قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاء عن ابن عباس انها نزلت في نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين احدهما انصاري والآخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله **او ظلموا انفسهم** وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان **ذكروا الله** يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسألهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله **فاستغفروا لذنوبهم** يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة **ومن يغفر الذنوب الا الله** وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه انه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه **ولم يصروا على ما فعلوا** يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها واتابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعقده عوض ولو عاد ولو فعل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها

فصل في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى آخر الآية اخرجه ابو داود والترمذي

وقال

وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان ابن المغيرة فرفعوه ورواه مسعود وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسماء الا هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت قد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى ان يغفره الله الا من مات مشركا او مؤمن قتل مؤمنا متعمدا اخرجه ابو داود وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الآية **جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار** معنى الآية ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني ايصال الثواب اليه والاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها الانهار اي ذلك لهم ذخر لا يبخس واجر لا يوكس **خالدين فيها** اي في الجنات **ونعم اجر العاملين** اي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن** يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال لانهم خالفوا الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم احد وقيل معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اي شرائع وقيل سنن اي امم والسنة الامة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم **فسيروا في الارض** امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرفوا احوال الماضين بقوله **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** فرغب امة محمد صلى الله عليه وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له اثر في النفس كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار وفي هذه الآية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة احد يقول فانما امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه وهلاك اعدائه قوله تعالى **هذا** يعني القرآن وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده **بيان للناس** يعني عامة **وهدى** يعني من الضلالة **وموعظة للمتقين** يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة

لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد
المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته
نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة
وانما خص المتقين بالهدى والموعظة لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا تحزنوا** نزلت
في يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله
تعالى هذه الاية وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم
احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومصعب بن عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا على من قتل منكم لانهم في الجنة **وانتم
الاعلون** يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا
اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون
الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار
وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم
ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل مؤمنين معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك
فانه حق وصدق قوله تعالى **ان يمسسكم قرح** قرئ بضم القاف وفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه
بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والاية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من
احد مع الحزن والكآبة يقوله ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد **فقد مس القوم** يعني الكفار **قرح مثله**
يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا
وكثرت الجراحات فيهم **وتلك الايام نداولها بين الناس** المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته
الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا
هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا و
اسروا سبعين واديل المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين **خ** عن البراء بن عازب
قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا
تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم
فهزمهم قال فانا والله رايت النساء قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة
اي قوم الغنيمة قد ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم
في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم
محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال
افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله
يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك فقال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون
في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا

يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفيان ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس
وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال
الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله **وليعلم الله الذين آمنوا** يعني انما جعل الدولة للكفار على المسلمين
ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة او شدة وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر
من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله
ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة
للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه
تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمنين والمنافقين فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا
بعد العلم **ويتخذ منكم شهداء** اي وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من
المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون
فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد
فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم
لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين
على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية
والله لا يحب الظالمين يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان
بالسنتهم ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد **وليمحص الله
الذين آمنوا** اي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة التنقية والازالة **ويمحق
الكافرين** اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم
فهو محقهم واستئصالهم قوله عز وجل **ام حسبتم** اي بل حسبتم وظننتم والمراد به الانكار والمعنى لا
تحسبوا ايها المؤمنون **ان تدخلوا الجنة** وتنالوا كرامتي وثوابي **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**
قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت
هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر وقال الواحدي النفي في الاية واقع على العلم والمعنى
على الجهاد دون العلم وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء الجهاد لو كان يعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد
الذي اوجب عليكم فجرى النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج
المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما
يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته به **ويعلم الصابرين**
يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة لمن انهزم يوم احد
والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا
على الم الجراح والضرب وثبتوا للعدو وهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى **ولقد كنتم
تمنون الموت من قبل ان تلقوه** قال ابن عباس لما اخبر الله عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

بما فعل بشهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا ليستشهدوا فيه فيلحقون باخوانهم فاراهم الله يوم احد
فلم يلبثوا الا انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله هذه الاية وقيل ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا
فيه ويستشهدون فاراهم الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل
ان تلقوه يعني من قبل ان تلقوا يوم احد **فقد رأيتموه** يعني رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء في رأيتموه عائدة على الموت
اي رأيتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم بين ايديكم **وانتم تنظرون** قيل ذكره تاكيدا وقال
الزجاج معناه فقد رأيتموه وانتم بصراء كما تقول رأيت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رأيته رؤية حقيقة وقيل معناه
وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** قال اهل المغازي
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين
رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى
ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة
بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه على المشركين فهزموهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ سيفا وقال من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب
به العدو حتى يثخن فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر في مشيته
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين
وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال
المسلمين بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله
بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض
حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن
بالقتلى من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلائد واعطتها
وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها
واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان
محمدا قد قتل ويقال ان الصارخ ابليس اللعين فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الي عباد الله
الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه
ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع
كسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موقع نبله واصيبت يد طلحة بن عبد الله فيبست وقاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كاحسن
ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت فقال القوم يا رسول الله
الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فيقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة

ثم استقبله وطعنه في عنقه وخدشه فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا
ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي انا اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة
لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا وفشا في الناس
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي
سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول وقال
انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني
المسلمين وابرا اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران
تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت
اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا
الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى
الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم ان تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة
والمستحق لجمع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه
باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت الم تر ان ارسل
عبده ببرهانه والله اعلى وامجد اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهور يلوح ويشهد وشق له من اسمه ليجله فذو
العرش محمود وهذا محمد ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا
احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي
ليس بعده نبي وسماه رؤوفا رحيما م عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه
اسماء فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو اخر الانبياء الذي لا نبي بعده
والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين **افإن مات**
او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني اتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى
دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى
بين ان موت محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الانبياء
قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم **ومن ينقلب على عقبيه** يعني فيرتد عن دينه ويرجع
الى الكفر **فلن يضر الله شيئا** يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين
وانما يضر المرتد والكافر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا
عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله
من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين
قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احباء الله وكان اشكرهم

وكان اشكرهم واحبهم الى الله قوله تعالى **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** اى بامر الله وبقضائه وقدره
وعلمه وذلك ان الله يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله وامره والمراد من الاية تحريض المسلمين
على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل
اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يندفع الموت بحيلة فلا فايدة في الخوف والجبن وفي الاية
ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام
اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شيء **كتابا مؤجلا** يعنى موقتا له اجل
معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره
وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه جميع اجال جميع الخلق **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** يعنى من يرد بعمله
وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له نزلت في الذين
تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها** يعنى من اراد بعمله الاخرة نؤته
ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد
خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس
له جزاء الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الاخرة فجزاؤه ايضا فيها ق عن عمر ابن الخطاب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه وروى البغوى بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب
الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر
بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له وقوله تعالى **وسنجزي الشاكرين** يعنى المؤمنين
المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله والدار الاخرة قوله عز وجل **وكاين من
نبى** اى وكم من نبى **قتل معه** وقرئ قاتل معه فمن قرا قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون
القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل معه ربيون
كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه **ربيون كثير** والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم
فما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا امثالهم
الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيون ويكون المراد البعض وقوله فما وهنوا راجعا الى الباقين
ومعنى وكاين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم
فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيون لا النبي والمعنى وكاين من نبي
قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي قاتل معه العدد
الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم
لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل
ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله
ربيون كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل الف وقيل
ربيون يعنى فقهاء علماء وقيل الربيون هم الاتباع **فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله** اى فما جبنوا
عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم **وما ضعفوا** يعنى عن مجاهدة عدوهم لما نالهم من الم الجراح وقتل

الاصحاب **وما استكانوا** يعنى وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد
عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم
عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان
والمقصود من الاية حكاية ما جرى لساير الانبياء واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجهاد **والله يحب الصابرين** يعنى في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدايد
في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب
له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى **وما كان قولهم** يعنى قول الربيون **الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا** فيدخل فيه جميع الذنوب الصغاير والكباير **واسرافنا في امرنا** يعنى وما اسرفنا فيه فتخطينا
الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغاير منها
والكباير **وثبت اقدامنا** يعنى لكي لا تزول عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم **وانصرنا
على القوم الكافرين** لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين عند
لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة
امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا **فاتاهم الله ثواب الدنيا** يعنى
النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا **وحسن ثواب الاخرة** يعنى الجنة وما فيها
من النعيم المقيم وانما خص ثواب الاخرة بالحسن تنبيها على جلالته وعظمته لانه غير زايل ولم يشب بتنغيص ولم يصف
ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص **والله يحب المحسنين** يعنى الذين
يفعلون مثل الذي فعل هؤلاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة
لطيفة وهي انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله محسنين قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
الذين كفروا** يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم و
ادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد **يردوكم على اعقابكم** يعنى يرجعوكم الى
امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر **فتنقلبوا خاسرين**
يعنى مغبونين في الدنيا والاخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسار الاخرة فهو دخول
النار وحرمان دار القرار **بل الله مولاكم** اى وليكم وناصركم وحافظكم فاستعينوا به **وهو خير الناصرين**
يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعوا الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا
عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب**
وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما
صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم
الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا
بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه تعالى قال
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على ساير الاديان وقد فعل الله تعالى ذلك بفضله
وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله **بما اشركوا بالله**
يعنى انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله **ما لم ينزل به سلطانا** يعنى حجة وبرهانا وسميت الحجة
سلطانا لان السلطان مشتق من التسليط وهو ما يستضاء به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت الحجة

سلطانا لقوتها على دفع الباطل **ومأواهم النار** لما بين الله حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار اي مسكنهم **وبئس مثوى الظالمين** اي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله تعالى **ولقد صدقكم الله وعده** قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا **إذ تحسونهم** يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستاصلونهم بالقتل **باذنه** اي بعلم الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره **حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم** قال الفراء فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل وكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من بعد ما أراكم ما تحبون** يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين **منكم من يريد الدنيا** يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **ومنكم من يريد الآخرة** يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الآية **ثم صرفكم عنهم** يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة **ليبتليكم** يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة **ولقد عفا عنكم** ايها المخالفون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله ذو فضل على المؤمنين** وهذا من اتمام نعمه على عباده المؤمنين ولانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لان الله سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل **إذ تصعدون** قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود في الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة ووقت الهرب

ولا

ولا تلوون على أحد اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب **والرسول يدعوكم في أخراكم** اي في آخركم ومن ورائكم يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة **فأثابكم غما بغم** يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كلما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه ادا هم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السود هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول هو ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك وقوله تعالى **لكيلا** في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا **تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم** لان عفوه يذهب كل هم وحزن وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة **والله خبير بما تعملون** اي عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله **ثم أنزل عليكم** يا معشر المسلمين **من بعد الغم** الذي اصابكم **أمنة نعاسا** يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم **يغشى طائفة منكم** قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت اراهم وما منهم يومئذ احد الا يميد تحت حجفته فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لا اسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المؤمنين وعدم النعاس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى

وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم
يظنون بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره
يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون
يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شيء وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي ابن سلول
راس المنافقين في هذه الواقعة فاشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل
من قتل لعبد الله ابن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا
امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد من النصر والظفر من شيء انما هو
للمشركين قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله
لله وبيده يصرفه حيث يشاء ويدبره كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك
في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم
نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا وعن ابن عباس
في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قيل ان الذي
قال هل لنا من الامر من شيء هو عبد الله ابن ابي ابن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب بن قشير
قل اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم
الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير
لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم
لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم القتل الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في
صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم
معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما لشان
اوليائه المؤمنين وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة اي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب
صنعه في القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل معناه
وليبين وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب
للمنافقين خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر
لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا
يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر
المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار
سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله
عنهم اجمعين انما استزلهم الشيطان اي طلب زلتهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على
الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقاء الوسوسة في قلوبهم لا انه امرهم بها ببعض ما كسبوا يعني بمعصيتهم النبي
صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل
اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا
وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها ولقد عفا الله عنهم

قيل لنام

يعني

يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد
فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه وقرا هذه الاية ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل
بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا
لاخوانهم يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض يعني اذا سافروا
في الارض لتجارة وغيرها او كانوا غزى جمع غاز اي في غزاة في الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في
الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم
وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما وتاسفا والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو
كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحمي احدا من الموت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما
تعملون من خير او شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت
لم يبق وان اقام ببيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان يموت
في الجهاد فيستوجب الثواب كان ذلك خيرا له من ان يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى ولئن
قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله يعني في العاقبة ورحمة خير مما يجمعون يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم
عليكم ما تخافون من القتل في سبيل الله او الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل
في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون يعني لالى الله
الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعضهم مقامات
العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله لمغفرة من الله ومن
عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجوه واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسماء الجنة ومن عبد الله
شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشارة
بقوله تعالى لالى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة من الله وما صلة
لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى فبما
رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى في قلب
نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت فظا يعني جافيا غليظ
القلب يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك اي لنفروا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى
منهم احد عندك فاعف عنهم اي تجاوز عنهم عن زلاتهم وما اتوا يوم احد واستغفر لهم اي واسئل الله
المغفرة لهم حتى تشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام
الشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي استخرج اراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي
من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي
عليه ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك
من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا لتستظهر برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان
سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم

حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد
منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة انها قالت ما رأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة
وانما امر ان يشاورهم فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما
لم ينزل عليه فيه شئ لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يومنك من الندم وقال بعض الحكما
ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له
الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح
محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة وشاور اذا شاورت كل مهذب لبيب اخا حزم لترشد في الامر
ولا تك ممن يستبد برأيه فيعجز او لا يستريح من الفكر الم تر ان الله قال لعبده وشاورهم في الامر حتما بلا نكر وقوله
تعالى **فاذا عزمت** يعني على المشاورة **فتوكل على الله** اي فاستعن بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد
الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد فالمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شئ الا على الله تعالى في جميع اموره
وان المشاورة لا تنافي التوكل **ان الله يحب المتوكلين** يعني المتوكلين عليه في جميع امورهم قوله تعالى **ان ينصركم الله**
يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر **فلا غالب لكم** يعني من الناس لان الله هو
المتولي نصركم **وان يخذلكم** كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله
عليه وسلم **فمن ذا الذي ينصركم من بعده** اي من بعد خذلانه **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** لا على غيره
لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد في كل اموره على الله تعالى لا على غيره وقيل
التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه م عن عمران بن
حصين قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال
هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **وما كان لنبي ان يغل**
الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية وما كان لنبي ان يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله الاية الى آخرها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب
وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع
فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما كان لنبي ان يغل يقول ما كان
لنبي ان يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم
فيه بما انزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي
نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا
فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه

وقيل

وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من المغنم فانزل الله وما كان لنبي ان يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي ان يكتم شيئا من الوحي
رغبة ورهبة او مداهنة والغلول هو الخيانة واصله اخذ الشئ في خفية يقال غل فلان يغل وقرئ بفتح الياء وضم الغين
اي وما كان لنبي ان يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا يليق
به الخيانة لانها في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن امته
في شئ لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامة لانه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة
فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما للنبي ليغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه
ما كان لنبي الغلول اراد ما غل نبي قط فنفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل لم يفعله وحجة
هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الاية ان هذه الخصلة
لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان احدهما ان يكون من الغلول
ايضا ومعناه وما كان لنبي ان يخان اي يخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي ان يخون اي ينسب
الى الخيانة **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة** يعني بالشئ الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيمة ليزداد فضيحة بما يحمله
يوم القيمة وقيل يمثل له ذلك الشئ في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ
في النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله تعالى وقيل معناه انه يأتي باثم ما غله فيجازى به يوم القيمة
وهو قوله تعالى **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك المكسب
او شرا فهو مجزي به يوم القيمة ويوفى جزاء عمله **وهم لا يظلمون** يعني بل يعدل بينهم يوم القيمة في الجزاء فيجازى
كل على عمله **فصل** في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال قد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ الشئ في خفية
وانه الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الاحاديث ق عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته بعير له
رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة
فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته شاة
لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته نفس
لها صياح فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق
فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته صامت فيقول
يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب
والصامت الذهب والفضة ق عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا
فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء
رجل بشراك او شراكين فقال اصبتهما يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية
نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على
ظهر القدم ومثله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدري من رماه خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان

على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا
عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود
لا تساوي درهمين اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه
واضربوه اخرجه ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع
الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود وقوله تعالى **افمن اتبع رضوان الله** يعني فترك الغلول
فلم يغل **كمن باء** اي رجع **بسخط من الله** يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المفضي للعقوبة
وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه
يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف
عنه بقوله كمن باء بسخط من الله **ومأويه جهنم وبئس المصير** يعني الغال والمتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يعني هم ذو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط
من الله مختلفون في المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان
الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عايد على قوله
افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات لاهل العذاب ولان الله
تعالى وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله عايد على من
اتبع فقط وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل **لقد من الله على المؤمنين** يعني
احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا لله تعالى ومنه قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم يعرفون نسبه وليس حي من
احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله من ان يكون
له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم
ليس بملك ولا احد من غير بني آدم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلوة والسلام ووجه
المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب
في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين
على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم
وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنوا
هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن
به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق
جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم
رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر
لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم **يتلوا عليهم آياته** يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا
اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي السماوي **ويزكيهم** اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث
ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم **وان كانوا من قبل**

اي من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين** يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون
معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله ببعثته محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **اولما اصابتكم مصيبة** يعني ما
اصابهم يوم احد **قد اصبتم مثليها** يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل المسلمون
من المشركين سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله
ورسوله هزمهم المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة **قلتم انى هذا** اي من اين لنا
هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو استفهام انكار **قل هو من عند انفسكم**
يعني انما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم اختار
الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم
فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب قال جاء جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم
بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا بل نأخذ فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم
يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم يعني
باخذكم الفدا واختياركم القتل لانفسكم **ان الله على كل شيء قدير** يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم
مع المخالفة قوله عز وجل **وما اصابكم** يعني من القتل والجراح والهزيمة **يوم التقى الجمعان** يعني جمع
المؤمنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد **فباذن الله** يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين
بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحرضون
بما قضى الله عليهم **وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا** اي ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر
نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما
من الآخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض النافذ
ومنه نافقاء اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر وكذلك المنافق صنع له طريقين
احدهما الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه من ايهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب
آخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام **وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** المقول له
عبد الله بن ابي بن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد في الف رجل حتى اذا كان
بالشوط بين احد والمدينة انخزل عبد الله بن ابي بن سلول بثلث الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا فرجع بمن معه
من المنافقين فتبعهم ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا
نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني للمنافقين عبد الله بن ابي واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله
اي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم
تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو **قالوا** يعني المنافقين **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اي لو نعلم
ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما اتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم **هم للكفر**
يعني المنافقين الى الكفر **يومئذ اقرب منهم للايمان** اي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم
لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون
كلمة الاسلام ويضمرون الكفر **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو

في قلوبهم إنما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لأن صفة المؤمن المخلص مواطاة
القلب باللسان على شيء واحد وهو التوحيد **والله أعلم بما يكتمون** يعني من النفاق **الذين قالوا لإخوانهم** نزلت
في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه وفي المراد بإخوانهم قولان أحدهما أن المراد بإخوانهم الذين استشهدوا بأحد فيكون إخوانهم
في النسب لا في الدين والقول الثاني أن المراد بإخوانهم المنافقون فعلى القول الأول يكون معنى الآية الذين قالوا في إخوانهم
أو عن إخوانهم الذين قتلوا بأحد لو أطاعونا ما قتلوا لأنهم بعد أن قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الآية
قالوا وهم عبد الله ابن أبي وأصحابه لإخوانهم يعني في النفاق **وقعدوا** يعني عن الجهاد **لو أطاعونا** يعني هؤلاء الذين
خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لو أطاعونا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف
عنه **ما قتلوا** يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله **قل** يعني قل لهم يا محمد **فادرؤوا** أي فادفعوا **عن أنفسكم الموت
إن كنتم صادقين** يعني أن الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على أن المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم أن القتل قطع
من المقتول أجله قوله عز وجل **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقال أكثر المفسرين إنها نزلت في شهداء أحد ويدل على ذلك ما روي
عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف
طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم
ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم
عنكم وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم إلى آخر الآيات أخرجه أبو داود عن مسروق
قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أما إنا قد
سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك
القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل
ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى
نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا
جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند
عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم وفي الحديث دليل على أن الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت
وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على أن الأرواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وأن المحسن ينعم ويجازى بالثواب وأن
المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيمة وهو مذهب أهل السنة أيضا قوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله
أرواح الشهداء في أجواف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام لطيفة وقيل إن المنعم
والمعذب مع الأرواح جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل أن يصور
الله تعالى ذلك الجزء طائرا أو يجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتأوي إلى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول
بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة
ويزعمون أن هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من إبطال ما جاءت به
الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله
إلى جسده يوم يبعثه يعني حتى يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيمة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا مهتم فقال ما لي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا فقال ألا أبشرك

بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه أحيا أباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي أعطك
قال يا رب تحييني فأقتل ثانية قال سبحانه إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل إن الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بئر بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن إسحق
عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال إني لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الإسلام
وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد إن الذي تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت
رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخشى عليهم أهل
نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني
ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت
ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة بعد أحد بأربعة أشهر فساروا حتى
نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل وكان على
ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا
أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج إليه
رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر
بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا لا نخفر أبا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا
فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم
فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش
حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما
بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم
وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره
فقال الأنصاري لكني لا أرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا
فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فقدم عمرو
بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء وقد كنت
لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر بن الطفيل إياه وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق فروى محمد بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه
أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه قالوا
هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء أن عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر
عن فرسه قلت وذكر ابن الأثير الجزري في كتاب جامع الأصول له في قسم الأسماء في ترجمة عامر بن الطفيل أن عامر بن الطفيل
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج في أصل أذنه أخذه
منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما من بني سليم
إلى بني عامر في سبعين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالا له أخا لأم سليم واسمه حرام في سبعين راكبا
فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنتم مني قريبا فتقدم

فآمنوه فبينما هو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أومؤا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فقال فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية أن رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ولمسلم قال جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوا أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار وذكر نحو ما تقدم وقيل إن أولياء الشهداء وأهليهم كانوا إذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعم والرخاء وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظنن ظان بأن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا يعني كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله **بل أحياء** أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فإما أن يكون المراد أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد أنهم أحياء في الحال وعلى تقدير أنهم أحياء في الحال هل يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحيوة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحيوة فمن قال بالوجه الأول وهو أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وهذا القول ليس بصواب لأن الله أثبت لهم الحيوة في الحال بقوله بل هم أحياء يعني في حال ما يقتلون فإنهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحيوة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحيوة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الأجساد وقال بعض المفسرين إن أرواح الشهداء ترتع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيمة ومن أثبت الحيوة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر سبحانه وتعالى أنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالأحياء وقيل إن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كغيره وروي أنه لما أراد معوية أن يجري الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطاب الأبدان فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانبعثت دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيمة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيمة إلا ردوا عليه وقوله **عند ربهم** يعني في محل كرامته وفضله **يرزقون** يعني من ثمار الجنة وتحفها **فرحين بما آتاهم الله من فضله** يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإحسان والإفضال في دار النعيم **ويستبشرون** أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للإنسان عند البشارة **بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** يعني من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل إن الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز وجل أني قد أنزلت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم إليه من الكرامة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أخبر إخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا **ألا خوف عليهم** يعني في الآخرة **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا **يستبشرون بنعمة**

من الله

من الله وفضل لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم أيضا يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الأول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لأنفسهم خاصة **وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين** يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله

(ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيمة ويؤمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيمة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فإن عليه طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي مفرقا في موضعين (ق) عن أبي سعيد قال أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود

قوله تعالى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** الآية قال أكثر المفسرين إن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا يخرجن معنا أحد إلا من حضرنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم

القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله
عليه وسلم ما اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم ابو بكر والزبير
قالوا فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا
ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال
له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه
في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط فقال ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما اراك ترحل حتى ترى
نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم فقال والله اني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت
ابياتا قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل • تردي باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء
ولا ميل معازيل • فقلت ويل ابن حرب من لقائكم • اذا تغطمطت البطحاء بالجيل • اني نذير لاهل البسل ضاحية • لكل ذي اربة
منهم ومعقول • من جيش احمد لا وخش تنابلة • وليس يوصف ما انذرت بالقيل • قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد
القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة واحمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا
وافيتمونا قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى
مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة
نزلت هذه الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم
بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو
سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي
وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا
الا عام نرعى فيه الشجر فنشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة
ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك
عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو يضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي هذه القلائص
وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون
قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم
الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع
فانه تاهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا
يلقون المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم
الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة
سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اي اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول

ايضا من بعد ما اصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من الم الجراح **للذين احسنوا منهم واتقوا** يعني احسنوا
بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه **اجر عظيم** يعني لهم ثواب
جزيل وهو الجنة قوله عز وجل **الذين قال لهم الناس** هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم
هم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص
وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل
والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني ان المراد بالناس الركب
من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه
وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم
اليهم لم يبق منكم احد **ان الناس** يعني ابا سفيان واصحابه من رؤساء المشركين **قد جمعوا لكم** يعني الجموع
الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا **فاخشوهم** اي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم **فزادهم
ايمانا** يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه
الاية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان **وقالوا حسبنا الله** اي كافينا
الله هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس وحسبك من غنى شبع وري اي يكفيك الشبع والري **ونعم الوكيل**
يعني نعم الموكول اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل
في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل بامورهم كلها
خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها
محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى **فانقلبوا** اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى
وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه **بنعمة من الله** اي بعافية لم يلقوا عدوا **وفضل** اي تجارة
وربح وهو ما اصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة **لم يمسسهم سوء** اي لم
يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح **واتبعوا رضوان الله** يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا
هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ذو فضل
عظيم** يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز
وجل **انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه** يعني انما ذلكم المخوف والمثبط هو الشيطان يخوف بالوسوسة بان
القى ذلك في افواههم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين
باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه في صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين
واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويؤثرون امره واولياء الله هم المؤمنون الذين لا يخافون
الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم **فلا تخافوهم** يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا
عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم **وخافون** اي فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم **ان كنتم مؤمنين**
اي مصدقين بوعدي اني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** قيل هم
كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر
ويجمع الجموع لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فانك منصور عليهم **انهم لن يضروا الله شيئا** يعني
بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا **يريد الله الا يجعل لهم**

حظا في الآخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على أن الخير
والشر بإرادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة إن الذين اشتروا الكفر
يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان فكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري
من إعطاء شيء وأخذ غيره بدلا عنه باستبدالهم الكفر بالإيمان وإنما ضروا أنفسهم بذلك لن يضروا الله شيئا يعني
في الآخرة قوله عز وجل ولهم عذاب أليم قرئ تحسبن بالتاء والياء فمن قرئ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد
إملاءنا للكفار خيرا لأنفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت
في يهود بني قريظة والنضير إنما نملي لهم الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملوة وهي المدة من الزمان والمعنى
ولا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا إياهم بطول العمر والإنساء في الأجل خير لأنفسهم ثم قال تعالى
إنما نملي لهم يعني إنما نمهلهم ونؤخر في آجالهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين يعني في الآخرة وروى البغوي
بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله
قيل فأي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده وصححه الحاكم عن الأسود قال عبد الله ما من
نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا
إثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار قال ابن الأنباري قال جماعة من أهل العلم أنزل الله هذه الآية في قوم
معاندين الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما نملي لهم ليزدادوا إثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول صلى الله
عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا
هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وأن نفاقهم يزيدهم كفرا
وإثما وهذه الآية حجة ظاهرة على القدرية حيث أخبر الله تعالى أنه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا كفرا وإثما
وغيا قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اختلف العلماء في سبب نزول
هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك
على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية وقال السدي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي
فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما
يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني
عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله قال
حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله
عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل إن المؤمنين سألوا
أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمنين والمنافقين فنزلت هذه الآية وقيل إن قوما من المنافقين ادعوا أن إيمانهم
كإيمان المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس
وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار
والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم
يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب
يعني المنافق من المؤمن المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد فأظهر المنافقون النفاق وتخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما حصل التمييز يوم أحد بإلقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان

مؤمنا ثبت على إيمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من
المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء
المشركات والمعنى ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث
من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك
والكفر والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم على الغيب الخطاب في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا
يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول
فلان مؤمن وفلان كافر ومنافق من أنه لا يعلم الغيب أحد غيره وإن سنة الله جارية أنه لا يطلع على غيبه أحاد
الناس فلا سبيل إلى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق إلا بالامتحانات بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص
بثباته على إيمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم
بالمؤمن والكافر ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء
فيطلعه على من يشاء من غيبه فآمنوا بالله ورسله يعني أنه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلم يبق إلا الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإنما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله
والله يجتبي من رسله من يشاء ولأنه إذا أقر بجميع الرسل كان مقرا بأحدهم وهذه صفة المؤمنين لأنهم آمنوا
بجميع الرسل وإن تؤمنوا وتتقوا يعني وإن تصدقوا من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي
وأعلمته المنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه فلكم أجر عظيم يعني فلكم
بإيمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله يعني
ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم بل هو شر لهم يعني البخل والبخل هو إمساك المقتنيات
عما لا يحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور
ففجروا أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان
في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله
بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه في الذين يبخلون أن يؤدوا
زكاة أموالهم ووجه هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن البخل عبارة عن منع الواجب وأن منع التطوع لا
يكون بخيلا ويدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون إلا في
الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جرير عن مجاهد إنها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول أن البخل عبارة عن منع
الحيوان النفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه وصحح الطبري القول الأول واختاره وقوله سيطوقون ما
بخلوا به يوم القيامة أي سيطوقون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق فإن حملنا معنى الآية على منع الزكوة
والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكوة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من
قرنه إلى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه
يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية
أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان

فاها وقيل هما زبدتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير لهزمتيه باتهماه شدقاه وقيل انهما مضيغتان في اصل الحنك وقيل
هما عند منتهى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل
الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك امي وابي
من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم
ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها
كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الاية
ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون
ما بخلوا به اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم
طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من
نار اخرجه الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة قيل في معنى الحديث انهم
لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة
لهم والله اعلم وقوله تعالى **ولله ميراث السموات والارض** يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه
وزوال املاكهم فيموتون ويبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك
لله سبحانه وتعالى وقيل في معنى الاية وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء البخلاء يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله **والله بما تعملون خبير** قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي
ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليها وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله
تعالى **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء** قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة
هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم
فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله
واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التورية
فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض منا اموالنا
وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة
شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله
ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا
لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت
من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك
القول او قالوه استهزاء وايهما كان فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله
سنكتب ما قالوا يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنكتب
ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيمة فهو وعيد وتهديد لهم **وقتلهم الانبياء**
بغير حق قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب

سمع الله قول الذين

قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوائلهم لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم
وقيل في معنى الاية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء والفائدة في ضم قتلهم
الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر اعلاما بذلك انهما اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم
وانهم اصلاء في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم
الفحش والقبح **ونقول** يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة **ذوقوا عذاب الحريق** اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة
ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا **ذلك** اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر
واقدمتم على قتل الانبياء **بما قدمت ايديكم** انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا اليد الا
ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل
التغليب **وان الله ليس بظلام للعبيد** اي فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب
المحسن قوله عز وجل **الذين قالوا ان الله عهد الينا** قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب بن
يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيي من اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك
الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان
تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا
واوصانا في كتبه **الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار** يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن
السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله
النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدي عنه قال وكانت هذه
العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التورية وهو من
كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة
فاي معجزة اتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة
على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة
وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلوة قربان يعني انها مما يتقرب بها الى الله
عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وتاتي
نار بيضاء من السماء لا دخان لها دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على
القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل النار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم
فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارجون
حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة
التي ذكرها هؤلاء واقامة للحجة عليهم **قل** يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود **قد جاءكم** يعني يا معشر اليهود **رسل**
من قبلي يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام **بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات على صدقهم **وبالذي**
قلتم يعني ما طلبوه من القربان **فلم قتلتموهم** يعني فلم قتلتم الانبياء الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا
ويحيى وساير من قتلوا من الانبياء واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم **ان كنتم صادقين** يعني في دعويكم ومعناه تكذيبهم اياك
يا محمد مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الانبياء مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فان كذبوك يعني هؤلاء اليهود **فقد كذب رسل من قبلك** يعني مثل نوح وهود وصالح وابرهيم وغيرهم من الرسل

بن اخطب

ولهام

اليهود

جاءوا بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة
فهو زبور وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لأنه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو إلى الحق والكتاب
المنير أي الواضح المضيء وإنما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة
والإنجيل قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت يعني أن كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزلت قل يتوفاكم
ملك الموت قالوا يا رسول الله إنما نزلت في بني آدم فأين ذكر الموت للجن والأنعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل
لما خلق الله آدم عليه السلام اشتكت الأرض إلى ربها عز وجل لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها فما أحد يموت
إلا ويدفن في التربة التي خلق منها فإن قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله
كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان
فتكون الآية من العام المخصوص ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله وإنما توفون أجوركم
يعني توفون جزاء أعمالكم يوم القيمة إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز
يعني فمن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور
يعني أن العيش في هذه الدار الفانية يغر الإنسان بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بأنها متاع
الغرور لأنها تغر ببذل المحبوب وتخيل للإنسان أنه يدوم وليس بدائم والمتاع كلما استمتع به الإنسان من مال وغيره وقيل
المتاع كالفأس والقدر والقصعة ونحوه والغرور ما يغر الإنسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية
أن منفعة الإنسان بالدنيا كمنفعته بهذه الأشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك
أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم
يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منها ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
يقطعها واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤوا إن شئتم فمن زحزح عن النار
وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور قوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله
لتبلون أي لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء وذلك في وصف
الله محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى أنه يعامل
العبد معاملة المختبر في أموالكم يعني بالابتلاء في الأموال بالنقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من الحقوق
يعني بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقارب والعشائر خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى
وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق
من تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا
قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فنحاص سيد
بني قينقاع يستمده وكتب إليه معه كتابا وقال لأبي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف
إلى فنحاص فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله
عليه وسلم وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض
المشركين على قتالهم في شعره ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله

ورسوله

ورسوله قال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال قل فأتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال إن هذا الرجل
قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره
قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني ارهنوني نساءكم قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنوني أولادكم قال
يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس
بن جبير وعباد بن بشر قال فجاؤوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هو محمد ورضيعي
أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم
قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه
قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت
مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وأوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت
عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا وقد أبطأ علينا
صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل
وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل كعب بن الأشرف وجئنا برأسه إليه وتفل على جرح صاحبنا ورجعنا إلى
أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه
وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الأشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء وما
أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو
الأذى الكثير وإن تصبروا وتتقوا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم
وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي
فإن ذلك من عزم الأمور أي من صواب التدبير الذي لا شك أن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك
عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم
الأخذ به قوله تعالى وإذ أخذ الله أي واذكر يا محمد وقت إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق
هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في
الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب على علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين
من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه يعني لا يخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني
الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني
المآكل والرشى التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم
أن ظاهر هذه الآية وإن كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الأمة
الإسلامية لأنهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم
شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج
كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه وقبله عن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي ولأبي داود

من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء
ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته
على بابه فقلت ارايت ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت
حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رض يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله عز وجل **لا تحسبن الذين** قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا
محمد الفارحين وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا تحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب
نزلت هذه الاية في المنافقين **ق** عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا الاية وقيل نزلت في اليهود **ق** عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل
لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت
هذه الاية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس هذه الاية وتلا ابن عباس
ولا تحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اوتوا
من كتمانهم اياه ما سالهم عنه **يفرحون بما اتوا** يعني يفرحون بما فعلوا **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** اي ويحبون
ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوم من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة
الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني
فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا
ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا
على ذلك وقيل فرحوا بما اوتوا من تبديلهم التورية واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم
واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** اي فلا
تظننهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة والصغار **ولهم
عذاب اليم** يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان
يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله تعالى **ولله ملك السموات والارض**
يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل
من له جميع ما حوته السموات والارض من شيء فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا **والله على كل شيء قدير** يعني
انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل **ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب** قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم
ان ياتيهم باية فنزلت هذه والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات والارض لمعاشكم
وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويتعقبان عليكم

لكى

لكي تتصرفوا فيهما لمعايشكم وطلب ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب يعني
يا ذوي العقول الصافية الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما
فيها من عجائب مخلوقاته وغرائب مبتدعاته **ق** عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المؤمنين وهي خالته قال فقلت ها
لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض
الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل
او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرا
العشر ايات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله
بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي
واخذ باذني يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى
ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي
ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السماء فقال
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وذكر قوله تعالى **الذين يذكرون الله قياما و
قعودا وعلى جنوبهم** قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون
قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال
خ عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلوة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلوة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى
المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره
فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم
تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل
ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه وعن عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا
لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا
يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى **ويتفكرون
في خلق السموات والارض** اصل الفكر اعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم و
التفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الاء الله ولا
تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات
والارض وما ابدع فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى
ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور
وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة **ربنا** اي ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض
قائلين ربنا **ما خلقت هذا باطلا** يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك **سبحانك**
تنزيها لك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة **فقنا عذاب النار** يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة

وَنَارًا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم
الثناء على الله اولاً ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثناء يأتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته وابلغت في اخزائه
والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله
انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى
قلت قد ذكر العلماء في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس في تفسير قوله انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده وروي
نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين
من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه
الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله
فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا
وعطاء فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا الخزي
لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك الخزي هو
هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها الى الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث
في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكافر ومنها الانخجال يقال
خزي خزاية اذا استحى واذا عمل عملا يستحى منه ويخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار
الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك
واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب
وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا
وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزى في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك
الاثبات في وقت اخر والله اعلم قوله تعالى **وما للظالمين** يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها **من
انصار** يعني ينصرونهم يوم القيمة او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان**
قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله و
داعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول
ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى
وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي اليها والداعي للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان **ان امنوا بربكم
فامنا** اي فصدقنا **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** اي كباير ذنوبنا **وكفر عنا سيئاتنا** اي صغاير ذنوبنا
وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغة
فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة
من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات **وتوفنا مع الابرار** يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبيا والصالحون
والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيمة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم **ربنا واتنا ما وعدتنا
على رسلك** يعني على السنة رسلك وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سالوا الله
انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل
هو من باب اللجا الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبيا عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور

لهم

لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه والالتجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا
ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم
مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك
فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم **ولا تخزنا يوم القيمة** يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت
قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا يوم القيمة
وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا
للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا
يوم القيمة سببه قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان
يوم القيمة ظهر انه على غير ما ظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيمة فسالوا الله ان يزيل ذلك عنهم فقالوا ولا
تخزنا يوم القيمة **انك لا تخلف الميعاد** قوله تعالى **فاستجاب لهم ربهم** يعني اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه
اني اي وقال لهم **اني لا اضيع عمل عامل منكم** يعني لا احبط اعمالكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها
من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر النساء
في الهجرة بشيء فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه
الترمذي وقوله تعالى **بعضكم من بعض** يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوا وقيل بمعنى الكاف
اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال
والنسا في الطاعة على شكل واحد **فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** يعني المهاجرين
الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين
الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغاء مرضاتي وهم المهاجرون
الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من المسلمين **وقاتلوا وقتلوا**
يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار **لاكفرن عنهم سيئاتهم** يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها
لهم **ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله** يعني ذلك الذي اعطاهم من تكفير
سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانا اليهم **والله عنده حسن الثواب** وهذا تاكيد لكون ذلك
الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا
وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره فان الله عز وجل يدعو يوم القيمة الجنة فتاتي بزخرفها
وزينتها فيقول اين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب
ولا حساب وتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هولاء الذين اثرتهم علينا
فيقول الرب عز وجل هولاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الايات تعليم من الله لعباده كيف يدعا وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير
ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله
مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الايات وقال الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب
لهم قوله عز وجل **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش

يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب **متاع قليل** اي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة **ثم مأويهم** يعني مصيرهم في الاخرة **جهنم وبئس المهاد** اي وبئس الفراش هي قوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم** فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه **لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا** اي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه **من عند الله** يعني من فضل الله وكرمه واحسانه **وما عند الله** يعني من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع **خير للابرار** يعني ذلك الفضل والنعمة التي اعد الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زائل ق عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهما الدنيا ولنا الاخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل **وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم** قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صلى الله عليه وسلم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار و[illegible] وان مصيرهم الى النار ذكر حال من امن من اهل الكتاب وان مصيره الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور **خاشعين لله** يعني خاضعين متواضعين له غير مستكبرين **لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا** يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود **اولئك** اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب **لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب** يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب **يا ايها الذين امنوا اصبروا** يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقيل في معنى الاية اصبروا على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة **وصابروا** يعني الكفار والاعداء وجاهدوهم **ورابطوا** يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه واصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الاخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه مرابط وان لم يكن له مركب مربوط ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة

خير من الدنيا وما عليها عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه يجري عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط اخرجه مسلم **واتقوا الله لعلكم تفلحون** قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على الباساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النساء مدنية

وهي مائة وخمس وسبعون اية وثلاثة الاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها الناس** خطاب للكافة فهو كقوله يا بني ادم **اتقوا ربكم** اي احذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به ونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى **الذي خلقكم من نفس واحدة** يعني من اصل واحد وهو ادم ابو البشر عليه السلام وانما انث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة **وخلق منها زوجها** يعني حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصيرى فلما استيقظ راها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لما خلقت قالت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انها خلقت في الجنة بعد دخوله اياها **وبث منهما** يعني نشر واظهر من ادم وحواء **رجالا كثيرا ونساء** انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول **واتقوا الله الذي تساءلون به** انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله واستشفع اليك بالله **والارحام** قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سالتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه قوله ينسا في اثره اي يوخر له في اجله ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه **ان الله كان عليكم رقيبا** يعني حافظا والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى

واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى **وآتوا اليتامى اموالهم** نزلت في رجل من غطفان كان معه
مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده
والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد من الاباء لكن في العرف اختص
اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتم وسئل ابن عباس
عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب
عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم
بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح
اذ المراد باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد **ولا تتبدلوا** اي ولا تستبدلوا
الخبيث بالطيب يعني بالخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن
المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان
احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم
بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة
وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال
وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك **ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** يعني مع اموالكم وقيل
معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد جميع التصرفات
المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود **انه كان حوبا كبيرا** يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم
والحوب الاثم قوله عز وجل **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى الا تعدلوا فيهن اذا
نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب **ق** عن عروة انه سأل عائشة عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من
سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك
في النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم
يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال
فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق
وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه
كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها الى ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم
وانزل هذه الاية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا صار
معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال
اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاء واو فربما عدلوا وربما لم يعدلوا

فلما

فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل الله هذه الاية وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم الا
تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف
كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله في نكاح اربع فقال تعالى **فانكحوا ما طاب لكم من النساء**
يعني ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الاية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب بان
قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله فمن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الاية فحكم في هذه الاية بان ترك النكاح خير من فعله
وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى او وفي هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة الواو
النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب
حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع ولانه يضم عددا او اجمعت الامة
انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشاركه فيها احد
من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانه حرام ما روي عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي ثمان
نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي
اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن معه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذي قال العلماء
فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك
وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه
الاية واجاب الشافعي بان هذه مختصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك ان المراد من حكم الاية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى **فان خفتم** يعني
فان خشيتم وقيل فان علمتم **الا تعدلوا** يعني بين الازواج الاربع **فواحدة** يعني فانكحوا واحدة **او ما ملكت ايمانكم**
يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن **ذلك ادنى** اي اقرب **الا
تعولوا** معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى ان لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا
وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض
اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي
من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي
لانه انفرد به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي وخطأه من لا علم له بلغة العرب فقد روى
الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله الا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي
قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي
قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض عليه
وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا اخر كلام الازهري وبسط
الامام فخر الدين العبارة في هذا الموضع من تفسيره ورده على ابي بكر الرازي وقال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة
المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف
ان لا تعيلوا وهي حجة للشافعي **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاولياء وقال
ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولي المرأة كان اذا زوجها فان كانت

معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطيها من مهرها
غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه
الآخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد ق عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج الرجل الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق
وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله بايتاء
نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة
وقيل نحلة يعني عن طيب نفس واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث
انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط
ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى **فان طبن** يعني النساء المتزوجات **لكم** يعني للازواج **عن
شيء منه** يعني من الصداق ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز **نفسا**
نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس
الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع **فكلوه** يعني ما وهبنه لكم
هنيئا مريئا يعني طيبا سايغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة وفي الآية دليل على اباحة
هبة المرأة صداقها وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** اختلفوا في هؤلاء السفهاء
من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم سواء كن ازواجا او بنات او امهات وقيل هم الاولاد
خاصة يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هي امراتك وابنك السفيه
قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل
ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير
هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه منه حتى يبلغ وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانهم قوامها و
مدبروها واصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق
للحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور في هذه
الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال
فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق اموالكم **التي جعل الله لكم قياما** يعني قوام معاشكم
يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولا تعط مالك امراتك وولدك فيكونوا
هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على سبيل المبالغة لان به يقام
الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار **وارزقوهم فيها** اي اطعموهم **واكسوهم** يعني لمن تجب عليكم
رزقه وكسوته وذلك لما نهى الله عن ايتاء المال للسفيه امر ان يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه
اراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجراء الموظف
المعلوم لوقت معلوم محدود **وقولوا لهم قولا معروفا** يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل
معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه
الدعاء اي ادعوا لهم قال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا
لهم قولا تطيب به انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت ورشدت اعطيتك مالك

وقال

وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل
وابتلوا اليتامى الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء
عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الآية وابتلوا
اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم **حتى اذا بلغوا النكاح** اي مبلغ الرجال والنساء **فان آنستم**
اي ابصرتم وعرفتم **منهم رشدا** يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه

فصل

في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسألة الاولى الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرى
في الاسواق يدفع اليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده
واجرائه وتصرفه في احوال داره وتختبر المراة في امر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبير اليتيم
وحسن تصرفه في الامور مرارا يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب
عليه السفه حتى يونس منه الرشد المسألة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي
صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت ان قوله
وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشرى قبل البلوغ اجاب الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى
الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما تدفع اليهم بعد البلوغ
وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية انه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من
الابتلاء هو اختبار عقله واستبراء حاله في معرفة المصالح والمفاسد المسألة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء
اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء اما الذي يشترك فيه الرجال والنساء فاحدهما السن
فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني
اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام
باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء انزل باحتلام او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي
والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا
اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة
فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين
فيه قولان احدهما ان يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف
على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم
للكفر فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت
الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة
الحمل المسألة الرابعة في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين اجتناب الفواحش
والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه
محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرى فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه
لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان
كان مفسدا لدينه واذا كان مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله

والقول الثاني للشافعي في استدامة الحجر عليه لأن الله تعالى قال فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم أمر بدفع المال
بعد البلوغ وإيناس الرشد والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد
فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن المسئلة الخامسة إذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال
عنه الحجر ودفع إليهما المال سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك إن كانت امرأة لا يدفع إليها المال ما لم تتزوج فإذا تزوجت
دفع إليها مالها ولا تنفذ تصرفها إلا بإذن الزوج ما لم تكبر وتجرب المسئلة السادسة إذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه
الحجر فلو عاد سفيها ينظر فإن كان مبذرا لماله حجر عليه وإن كان مفسدا في دينه فهل يحجر عليه فيه وجهان أحدهما يعاد عليه الحجر
كما يستدام إذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر
العاقل البالغ بحال والدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن جعفر
ابتاع أرضا سبخة بستين ألف درهم فقال علي لآتين عثمان ولأحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير
أنا شريكك في بيعك فأتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير
فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير في دفعه وقوله تعالى **ولا تأكلوها إسرافا** الخطاب للأولياء يقول يا معشر الأولياء لا تأكلوا أموال اليتامى
بغير حق **وبدارا أن يكبروا** يعني لا تبادروا بلوغهم ورشدهم فتفرطوا في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبروا فيأخذوا منكم
تسليمها إليهم ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزأه
قليلا ولا كثيرا **ومن كان فقيرا** يعني محتاجا إلى مال اليتيم وهو يحفظه **فليأكل بالمعروف** روى أبو داود عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني فقير وليس لي شيء ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك
غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروي عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني
وأبي وائل ومجاهد ومقاتل أنه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم إلى أنه يلزمه القضاء
إذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أي يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا أيسر قضاه و
هو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت
أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالأجرة له على عمله وهو قول الحسن
والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ثم القائلون بجواز الأكل من مال اليتيم اختلفوا
في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان والحلل لكن يأكل ما
يسد الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فأما الذهب
والفضة فلا يأخذ منه شيئا فإن أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل
من ماله شيئا وروي أن رجلا قال لابن عباس إن لي يتيما وإن له إبلا أفأشرب من لبن إبله فقال ابن عباس إن كنت تبغي ضالة إبله
وتهنأ جرباها وتلط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف أن يأخذ من ماله
بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة من أهل العلم وقوله تعالى **فإذا دفعتم إليهم أموالهم**
فأشهدوا عليهم هذا أمر إرشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولي بالإشهاد على دفع المال إلى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه
التهمة وتنقطع الخصومة لأنه إذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعي عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه
اليمين عند إنكار اليتيم القبض **وكفى بالله حسيبا** يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله تعالى **للرجال نصيب**
مما ترك الوالدان والأقربون نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كجة وثلاث
بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا
من ماله وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وإنما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا

أنا شريكك فأتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير

نعطي الإرث إلا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت أم كجة امرأة أوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد
وعرفجة ولم يعطياني ولا لبناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا
يا رسول الله إن ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وبين أن الإرث غير مختص
بالرجال بل أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أي حظ مما ترك
الوالدان والأقربون يعني من الميراث **وللنساء نصيب** يعني للإناث من أولاد الميت حظ **مما ترك الوالدان**
والأقربون مما قل منه أو كثر يعني من المال المخلف عن الميت **نصيبا مفروضا** يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى
وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية مجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة لا
يفرقا من المال شيئا فإن الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فيهن فأنزل الله تعالى يوصيكم الله
في أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة أن ادفعا إلى أم كجة الثمن مما ترك وإلى بناته
الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل **وإذا حضر القسمة** يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين **أولوا**
القربى يعني القرابة الذين لا يرثون **واليتامى والمساكين** إنما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم **فارزقوهم منه**
أي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهذا قبل
نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث جعلت لأهلها ونسخت هذه وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب
وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية الأخرى عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الأشعري
والحسن وأبي العالية والشعبي وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بأنها
محكمة هل هذا الأمر أمر وجوب أم ندب على قولين أحدهما أنه واجب فقيل إن كان الوارث كبيرا أوجب عليه أن يرضخ لمن حضر
القسمة شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وإن كان الوارث صغيرا وجب على الولي أن يعتذر إليهم ويقول إني لا أملك هذا
المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس إن كان الورثة كبارا ارضخوا لهم وإن كان الورثة صغارا اعتذر إليهم فيقول الولي أو
الوصي إني لا أملك هذا المال وإنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيتكم وإن يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول
المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فإن كانت الورثة كبارا تولوا إعطاءهم بأنفسهم وإن كانوا
صغارا أعطى وليهم روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال الأيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لأجل هذه الآية و
قال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الأعيان فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرقيق
وما أشبه ذلك **وقولوا لهم قولا معروفا** وقيل كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع الذي
يستحى من قسمته والقول الثاني أن هذا الأمر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والإيجاب وهذا القول هو الأصح الذي عليه
العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا أن ذلك
غير واجب وقيل في معنى الآية أن المراد بالقسمة الوصية فإذا حضر الوصية من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمر الله
الموصي أن يجعل لهم نصيبا من ثلث الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وهو أن لا يتبع العطية بالمن والأذى قوله تعالى
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني أولادا صغارا **خافوا عليهم** يعني الفقر قيل هذا خطاب
للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم
لنفسك أعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يأمروه بالنظر لولده
ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما أنكم تكرهون بقاء أولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله
ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الضعفاء من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك

وهو

فلا ترضيه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القايل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون
الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك
فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل يحتمل ان تكون الاية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا
تبقى ورثته فقراء ضعفاء ضايعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة
للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة
انهم وصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث
كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم باكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى
والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الاية
ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده **فليتقوا الله** يعني في
الامر الذي تقدم ذكره **وليقولوا قولا سديدا** يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامره
بان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم
كما يكلمون اولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما** قال مقاتل بن حيان نزلت
في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما يعني حراما بغير حق **انما ياكلون في بطونهم نارا** يعني سياكلون يوم القيمة نارا فسمي الذي ياكلون نارا بما يؤول اليه
امرهم يوم القيمة قال السدي يبعث اكل مال اليتيم ظلما يوم القيمة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه
وانفه يعرفه من رآه باكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال
نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم
قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل
التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر
انواع الاتلافات وجميع التصرفات الردية المتلفة لمال اليتيم لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل
لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك رايت بعيني وسمعت باذني **وسيصلون سعيرا** يعني
باكل اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المستعرة ولما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا عن مخالطة
اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم
ناسخ لهذه الاية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الاية واردة في المنع من اكل مال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا
لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى
والاحسان اليهم وهو من اعظم القرب قوله تعالى **يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**
اختلف العلماء في سبب نزول هذه الاية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر
وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت اية الميراث وفي رواية
فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت اية الفرائض وفي رواية اخرى فنزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية
اخرى فلم يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي
نزلت في ام كحة امراة اوس بن ثابت وبنات وقال عطا نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك
امراة وبنتين واخا عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد الى رسول الله فقالت

يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان
الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين
واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من
الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجاءت
الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقبل الشروع في تفسير هذه الاية
الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرائض واصول قواعدها

فصل في الحث على تعليم الفرائض اعلم ان علم
الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهو ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة
اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها
بنفسه وانزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقران وعلموا الناس فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه
اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا
يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فانه نصف العلم وهو اول
علم ينسى واول شيء ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه والدارقطني

فصل في بيان احكام الفرائض اذا مات
الميت وله مال يبدا بتجهيزه من ماله ثم بقضاء ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من
ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ
سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما
وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت
من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان
لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات
والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم
وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث
الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع
المال اذا انفرد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض

فصل واسباب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب
القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء ان المعتق وعصبته يرثون
المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة
بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار
فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر
يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق
لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله الاخرون
على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى
والرق يمنع الارث لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطا لما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند

اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت
وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون
ميراث كل واحد منهما لمن كان في حياته يقينا بعد موته من ورثته **فصل** والسهام المحدودة في الفرائض
المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج
عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذا لم
يكن ولد لاب وام وفرض الاخت للاب عند عدم الشقيقة والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن
فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او لبنات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين فصاعدا
للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين
احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين
فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض فكان الثلث
خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد
او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب
فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان
او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين
ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر خ عن ابن عباس
قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل
واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روي عن زيد بن ثابت
قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون
ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم
الحقوا الفرائض باهلها فما بقي لاولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب
نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة
من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من الثلث الى السدس
واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب
والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن
وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك
والاوزاعي والشافعي واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا
يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعايشة وبه قال الحسن وعطا
وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد
وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب
والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى
ثم العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى
الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ
للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ

الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم يأخذن من الثلثين شيئا
حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن
كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت
كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت
ويدل على ذلك ما روي عن هزيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت
النصف وأت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما
انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة
الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري
واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم
والوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد من تعلقه بغيره
فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث ضعفي سهام الانثى فللذكر
سهمان وللانثى سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفرض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد
ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين **فان كن** يعني المتروكات من الاولاد **نساء فوق اثنتين فلهن**
ثلثا ما ترك يعني بنتين فصاعدا واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب
الى ظاهر الاية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين
للنساء اذا زدن على اثنتين [illegible] وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة
لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك
ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتأخيرا فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا
فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله
تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان
امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى **وان كانت واحدة** يعني البنت
واحدة **فلها النصف** يعني فرضا لها **ولابويه** يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما الوالدان **لكل واحد**
منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس
الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر
وترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالفرض
والسدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب **فان لم يكن**
له ولد يعني للميت **وورثه ابواه فلامه الثلث** يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما
فان الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ
الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة **فان كان له اخوة** يعني
للميت [illegible] يعني ذكورا او اناثا **فلامه السدس** يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واخ

العلماء على أن الثلاثة يحجبون الأم من الثلث إلى السدس وأن الأخ الواحد والأخت الواحدة لا تحجب الأم من الثلث إلى السدس واختلفوا في الأخوين فالأكثرون من الصحابة أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الإخوة الأم من الثلث إلى السدس إلا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس وإنما قال الله تعالى فإن كان له إخوة والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة فقال عثمان يا بني إن قومك حجبوها بأخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي وإنما نشأ هذا الاختلاف لأنهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان أحدهما أن أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني ووجه هذا القول أنك إذا جمعت واحدا إلى واحد فهما جماعة لأن أصل الجمع ضم شيء إلى شيء وقال ابن الأنباري التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلبيكما والقول الثاني أن أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الأصح وإنما حجب العلماء الأم بالأخوين لدليل اتفقوا عليه وهو أن لفظ الإخوة قد يطلق على الأخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم إن الإخوة إذا حجبوا الأم من الثلث إلى السدس فإنهم لا يرثون شيئا البتة بل يأخذ الأب الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فإن للأم السدس والباقي وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وإنما تحجب الإخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب شيئا معونة للأب لأنه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الأم **من بعد وصية يوصي بها أو دين** يعني أن هذه الأنصباء والسهام إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لأن لفظة أو لا توجب الترتيب وإنما هي لأحد الشيئين كأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما إلى الآخر قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا إجماع على أن الدين مقدم على الوصية والإرث موخر عنهما لأن الدين حق الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا** قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس أن الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فأطوعكم لله تعالى من الآباء والأبناء أرفعكم درجة فإن كان الوالد أرفع من ولده رفع الله إليه ولده وإن كان الولد أرفع من والديه رفع الله إليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسبقه إلى منزلة عالية يكون سببا لرفعه إليها وقيل إن هذا كلام معترض بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن أن الأب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من يظن أن الابن أنفع له فيكون الأب أنفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث ومنعتم من يستحق الميراث **فريضة من الله** يعني ما قدر من المواريث لأهلها فريضة واجبة **إن الله كان عليما حكيما** يعني كان عالما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض وفرض من الأحكام وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة أقوال أحدها أن الله تعالى كان عليما بالأشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه أنه قال إن القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم إن الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الأشياء كالخبر بالحال والاستقبال لأن صفات الله لا يجوز عليها الزوال والتقلب

قوله عز وجل **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين** هذا ميراث الأزواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث الزوجات من الأزواج **ولهن** يعني للزوجات **الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين** لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الأنثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ الأنثيين واعلم أن الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فإنهن يشتركن في الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والأنثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها قوله تعالى **وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة** تقدير الآية وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال إني لأستحيي من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وإحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل إن الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة ومنه الإكليل لإحاطته بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة إنما سموا كلالة لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان أما نسبة الولادة فليست كذلك لأن فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فأما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الإخوة والأخوات والأعمام والعمات وغيرهم فإنما يحصل بينهم اتصال وإحاطة بالمنسوب إليه فثبت بذلك أن الكلالة عبارة عن من عدا الوالد والولد والرواية الأخرى عن عمر وابن عباس أن الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لأن أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في أن الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا إن الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر إنما يرثني كلالة أي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فإن كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد به غير الوالد وإن كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث في ذكر الخمر (ق) عن معدان بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي في الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ

القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله الا يكفيك آية الصيف اراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة آيتين احداهما
في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء
فلذلك احاله عليها وقوله عز وجل **وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس** اراد به الاخ والاخت للام باتفاق
العلماء وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم
قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا
عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا احدهما الى الآخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما
ايضا **فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا
يشتركون في الثلث ذكورهم واناثهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في اول سورة النساء
من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية الثالثة
التي ختم بها سورة النساء في الاخوة والاخوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **من بعد وصية يوصي بها او دين** تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام
نذكره هنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين
وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث
ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث سعد بن ابي وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز
الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله
تعالى **غير مضار** يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان
يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة
من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار
في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة وقد
نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف
من المال وما يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصي
بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة **وصية من الله** اي فريضة
من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم **والله عليم** يعني انه تعالى عالم بمصالح
عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور **حليم** يعني انه تعالى ذو حلم

وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا
يستخفه جهل جاهل والحليم هو العفو مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل **تلك حدود الله**
يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة في مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا
لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه
ومن يطع الله ورسوله يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه **يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله** يعني في شأن
المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله **ويتعد حدوده** يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى **يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين** فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم
ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن
ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد
حدود الله استحلالا واذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمة الله كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار
في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته وان مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة
والله اعلم قوله تعالى **واللاتي** هو جمع التي وهي كلمة يخص بها عن المؤنث خاصة **يأتين الفاحشة** يعني يفعلن
الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل
فعل او قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام
ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة هاهنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه **من نسائكم** قيل هن
المزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** يعني من المسلمين وهذا خطاب
للازواج اي اطلبوا اربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربعة عليهن
ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم به دون
فواحشكم **فان شهدوا** يعني الشهود بالزنا **فامسكوهن في البيوت** اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن
ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا **حتى يتوفاهن الموت**
يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن **او يجعل الله لهن سبيلا** وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل
نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا
(م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه
ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم **فصل** اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم
الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم
الى ان الآية منسوخة بآية الجلد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد
وقال ابو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفا
هن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك
السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا
لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف
البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهبت طائفة الى انه

يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي والحسن البصري واسحاق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروى عن علي بن
ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية
ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي
حدا الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء وروى مثله عن علي قالوا لان المراة عورة
وفي نفيها تضييع لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله
عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان
ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا
انه يغرب ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على جلده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه قوله
عز وجل واللذان وهو تثنية الذي يأتيانها يعني يأتيان الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم
وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه
للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المراة انما تقع في فعل
الفاحشة عند الخروج فاذا احبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت
لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل
فآذوهما يعني عيروهما بالقول باللسان وهو ان يقال له اما خفت الله اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن
عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني
من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما يأتي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما
يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني
الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالاية التي في سورة النور
وهو قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الاية فثبت الجلد
على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن ~~رسول الله~~ وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد
بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى انما التوبة على الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون
على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان الله عز وجل وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب
ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصادق فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب احد
عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السوء يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها
بجهالة قال قتادة اجمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من
عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله
جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك
سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل
معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع
عن الذنب بزمان قريب لئلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل

قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه
على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب في فم
المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي عبادك
ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا ازال اغفر لهم ما
استغفروني وقيل في معنى الاية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها فاولئك
يتوب الله عليهم يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب المؤمنين
من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل معنى الاية علم انه انما يأتي بتلك المعصية
لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب قوله عز وجل وليست التوبة
للذين يعملون السيئات قال ابن عباس يريد الشرك وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان
الثوري هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى اذا حضر احدهم الموت يعني
وقع في النزع وعاين ملك الموت وهي حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده قال اني تبت الآن
قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا
بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت
به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الاية وقالوا اخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين
اذا اهملوا امرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا
فقد روى عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى
في المؤمنين يعني قوله انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والاخرى في الكافرين
يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الاية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه لحملها على المؤمنين
وعلى تقدير ان تكون الاية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الاية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من
مات وهو كافر وارجأ اهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة في حق المؤمنين
وقوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم
في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب اولئك اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها نزلت في اهل المدينة وذلك انهم كانوا
في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امراة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى
ثوبه على تلك المراة او على خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج
يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي
زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امراة كبيشة بنت

معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها
ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس
توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي امر الله فيك فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها يعني من ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا اموالهن
كرها يعني وهن كارهات **ولا تعضلوهن** اي لا تمنعوهن من الازواج واصل العضل المنع **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** يعني لتضجر فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امراة وهو كاره
لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق
امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة
ثم قال تعالى **الا ان يأتين بفاحشة مبينة** يعني فيحل لكم ضرارهن لتفتدي منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة
فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج
ان يسألها الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها فنسخ الله ذلك
بالحدود **وعاشروهن بالمعروف** قيل هو راجع الى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن
بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك
فان كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن **فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**
قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة
والنفرة رغبة وقيل في الاية ندب الى امساك المراة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب
وانفق عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان
كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كبيرا وذلك بان تتخلص من هذا الزوج الكاره
لها وتتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** الخطاب للرجال واراد
بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة وهي اما النشوز
او الزنا بين في هذه الاية تحريم المضارة اذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المراة اذا اراد طلاقها
واستبدال غيرها **وآتيتم احداهن قنطارا** يعني وان كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الاية دليل على جواز
المغالاة في المهور روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امراة فقالت يا ابن الخطاب
الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس افقه من عمر وفي رواية امراة اصابت وامير اخطأ ورجع
عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها واسهلها
فلا تأخذوا منه شيئا يعني من القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تأخذوا
منه شيئا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد
طلاق المراة فلا يحل له ان يأخذ شيئا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له ذلك **أتأخذونه**
استفهام بمعنى التوبيخ **بهتانا** يعني ظلما وقيل باطلا **واثما مبينا** يعني أتأخذونه مباهتين آثمين فلا
تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى **وكيف تأخذونه** كلمة تعجب والمعنى
لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام
معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض**
اصل الافضاء في اللغة الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الاية قولان احدهما

انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج
اذا طلق قبل المسيس فله ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم يجامعها
وقال الكلبي الافضاء ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة
عنده تقرر المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على
الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج
النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء** قال المفسرون كان اهل الجاهلية
يتزوجون ازواج آبائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روي انه لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه
قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من صالحي قومك ولكن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره
فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء **الا ما قد سلف** يعني الا ما مضى في الجاهلية
قبل نزول التحريم فانه معفو عنه **انه كان فاحشة** انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات
حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي **ومقتا** يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد
البغض وغاية الخزي والخسار **وساء سبيلا** اي وبئس ذلك طريقا لانه يؤدي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من
امراة ابيه مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البراء
بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه آتيه
براسه قوله عز وجل **حرمت عليكم امهاتكم** بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النساء بسبب
الوصلة اما بسبب او نسب خ عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم
امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت
عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة يرجع
النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع
الجدات **وبناتكم** والبنت عبارة عن كل انثى يرجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث كبنت البنت
وان سفلت وكذا بنت الابن **واخواتكم** جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصلك فيدخل فيه الاخوات
من الاب والام ومن الاب والاخوات من الام **وعماتكم** جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصله وهن
جميع اخوات الاب واخوات آبائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام **وخالاتكم**
جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة
من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات الاخت** وهي عبارة عن كل امراة لاخيك
او لاختك عليها ولادة وترجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن
فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله
واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول
اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات وان علون
قال العلماء كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمة مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات
بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة** كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت

ليدل بذلك على جميع الأصول والفروع فنبه بذلك أنه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة إنها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وإنها ابنة أخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وإنما سمى الله المرضعات أمهات لأجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر إليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع أحكام الأمومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الأحكام وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون إرضاع الصبي في حال الصغر وذلك إلى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام أخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة إلا ما كان في الحولين أخرجه مالك في الموطأ بأطول من هذا وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع إلا ما أنشز اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لأن مدة الحمل داخلة فيه وأقله ستة أشهر الشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة والمصتان أخرجه مسلم م عن أم الفضل أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان وفي رواية أن رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا م عن عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل أنه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء إلى أن قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه والرواية الأخرى كمذهب الشافعي واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لأنه عمل بعموم القرآن وظاهره لم يذكر عددا وأجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسألة بأن السنة مبينة للقرآن ومفسرة له وقوله تعالى **وأمهات نسائكم** يعني أنه إذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الأصلية وجميع جداتها من قبل الأب والأم كما في النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء أن من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة إلى أن أم المرأة إنما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات والعمل اليوم على القول الأول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له نكاح ابنتها وإن لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي وقوله تعالى **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيته إياها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وإن سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله بها جاز له أن يتزوج بنتها ولا يجوز له أن يتزوج أمها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالأم وقوله تعالى **وحلائل أبنائكم** يعني أزواج أبنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لأن كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في إزار واحد وقيل لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل بفتح الحاء وحكمته أنه يحرم على الرجل

أزواج أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من أصلابكم** إنما قال من أصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم أن زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لأنه كان في صدر الإسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقوله تعالى **وأن تجمعوا بين الأختين** يعني لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في نكاح واحد سواء كانت الأخوة بينهما نسبا أو رضاعا والجمع بين الأختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج إحدى الأختين ثم تزوج الأخرى بعدها فهاهنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الأولى طلاقا بائنا جاز له نكاح أختها الوجه الثاني أن من صور الجمع بين الأختين وهو أن يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له أن يجمع بينهما في الوطء فإذا وطئ إحداهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الأولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الأختين وهو أن يتزوج إحداهما ويشتري الأخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء أنه لا يجوز الجمع بينهما لأن ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب أن يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم إلى جوازه والقول الأول أصح وأولى لما روى قبيصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لي من الأمر شيء لم أجد أحدا فعل ذلك إلا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال مالك أنه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ وقوله تعالى **إلا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى **إن الله كان غفورا رحيما** وقيل إن فائدة هذا الاستثناء أن أنكحة الكفار كانت صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتهما شئت ويدل عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان قال طلق أيتهما شئت أخرجه أبو داود فروع تتعلق بحكم الآية الأول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض الحكماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الأمهات والأخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوج الأب وقد تقدم ذكرها وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوج الأب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الأختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة إنما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لو أراد أن يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا أبنائه إنما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق ويجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري وإليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء أهل الحجاز وذهب قوم إلى أن الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في إثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس [illegible] بشهوة هل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما أنه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات من النساء** يعني وحرمت المحصنات من النساء وأصل الإحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطلق الإحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة

والمراد من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن وهذه
هي السابعة من النساء اللاتي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجن ببعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى
فقال تعالى الا ما ملكت ايمانكم يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء
لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى
اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الآية وقال ابو مسعود اراد انه اذا
باع الجارية المزوجة تقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطا اراد بقوله الا
ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينتزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه
ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر كتاب الله عليكم
يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم بهذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله
تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم يعني واحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي
ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل كل من سوى المذكورات من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة
بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا
فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك من كان
في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بامة ومن ذلك ان من كان عنده
اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه اصناف
من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخلها
التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار تقديره واحل لكم ما وراء ذلكم
ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على
القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين
يعني غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة
فقط وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن قد اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم
بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع فآتوهن اجورهن
يعني مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس ببدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم
المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه
بغير طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح
المتعة وحرمها م عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت
لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما
آتيتموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسخها
فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي
ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنين والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت

الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة
اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال متعة كما قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت
هل يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله انا ما افتيت باباحتها
على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها روى عطاء الخراساني عن ابن
عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة
والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون
على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق
من اصحاب الاثر والرأي وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره قد تكلف قوم من مفسري
القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء
وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها فكان قوله منسوخا بقوله
واما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على
النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرائط التي جرت وهو قوله محصنين
غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري اولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فما نكحتموه
منهن فجامعتموهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فريضة يعني لازمة واجبة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على
نكاح المتعة قال اراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد
الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الآية على الاستمتاع
بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج
معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب
عليه ان الله كان عليما يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر اموركم حكيما يعني فيما دبر لكم
من التدبير وفيما يأمركم به او ينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

فصل

في قدر الصداق وما يستحب
منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب ان لا
يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى
عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا
انكح شيئا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال سألت عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي
عشرة اوقية ونشا قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في اقل الصداق
فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة
وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة
غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما
روي عن سهل بن سعد قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك

فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا رسول الله راسه فلما رات المراة انه لم يقض
فيها شيئا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شيء قال لا والله
يا رسول الله قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل
ما له رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته
لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعي فلما
جاء قال ما معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد
ملكتكها بما معك من القرآن اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق
لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي شيء كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل
على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الرأي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعطى في صداق امراة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة
من بني فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم
فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل **ومن لم يستطع منكم طولا**
يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنا طولا لانه ينال به من المراد ما لا ينال بالفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة
ان ينكح المحصنات يعني الحرائر من المؤمنات **فمما ملكت ايمانكم** يعني جارية اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجارية نفسه **من فتياتكم المؤمنات** المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والفتيات
الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى ففي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما
ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن
الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا
قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك والشافعي
واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو
مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع
الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد
اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك
السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا
على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له ان كان
تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى
من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعان من النقص وهما الرق والكفر
بخلاف الامة لان فيها نقصا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى **والله اعلم بايمانكم**
قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا
تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم **بعضكم من بعض** يعني ان كلكم من نفس
واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب

وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القرآن وفي رواية فقد ملكتكها بما معك من القرآن صح

ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزوج بالاماء فانكم
متساوون في النسب الى آدم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة
جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض **فانكحوهن باذن اهلهن**
يعني اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد
شرطا في جواز نكاح الامة **وآتوهن اجورهن** يعني مهورهن **بالمعروف** يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه
وآتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتاء المهر الى الاماء لانه ثمن بضعهن
محصنات يعني عفائف **غير مسافحات** يعني غير زانيات **ولا متخذات اخدان** جمع خدن وهو
الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة وخدينها
يعني حبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص
بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا
عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا **فاذا احصن** قرئ
بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر الصاد
ومعناه زوجن **فان اتين بفاحشة** يعني بزنا **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**
يعني فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة
ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن
عباس وبه قال طاوس انه لا حد على من لم يتزوج لانه ليس بمحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين
الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه
على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه
بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت
امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت
الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب
كالتانيب والتعييب والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النووي وهذا البيع المامور به في الحديث مستحب
ليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء الثمين بالثمن الحقير وهذا
البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره
شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان
اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم **ذلك** اشارة الى نكاح الامة **لمن خشي العنت منكم** يعني الزنا
والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما
يعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث شرائط عدم القدرة على نكاح الحرة
وخوف العنت وكون الامة مؤمنة **وان تصبروا** يعني عن نكاح الاماء متعففين **خير لكم** يعني كيلا يكون
الولد عبدا رقيقا **والله غفور رحيم** وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح
لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى **يريد الله ليبين لكم** اللام في قوله ليبين معناه ان يبين
وقيل معناه يريد انزال هذه الآيات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرائعكم ومصالح اموركم وقيل يبين
لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم **ويهديكم** اي ويرشدكم **سنن الذين من قبلكم**

من المماليك اذا زنين لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج صح

اى شرايع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابرهيم عليه السلام **ويتوب عليكم** يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية التى كنتم عليها الى الطاعة وقيل ما يبين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى الطاعة فربما وقع منا تقصير وتفريط فى ما امر به ونهى عنه فلاجرم انه تعالى قال ويتوب عليكم **والله عليم** يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم **حكيم** يعنى فيما دبر من امورهم **والله يريد ان يتوب عليكم** قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم **ويريد الذين يتبعون الشهوات** قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم **ان تميلوا** يعنى عن الحق وقصد السبيل بالمعصية **ميلا عظيما** يعنى باتيانكم ما حرم الله عليكم **يريد الله ان يخفف عنكم** يعنى يسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام فى كل احكام الشرايع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم فى الدين من حرج وكما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى **وخلق الانسان ضعيفا** يعنى فى قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف فى اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** يعنى بالحرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه فى المعاصى واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل فى اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى **الا ان تكون تجارة عن تراض** هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى **ولا تقتلوا انفسكم** اى ولا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهى للانسان عن قتل نفسه ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى هو الوقوع من موضع عال الى اسفل وقوله يتوجأ يقال وجاته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها اى يضرب بها نفسه ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال تبارك وتعالى بدرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة

وقيل فى معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيئا يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا اعمالا ربما ادى الى قتلها **ان الله كان بكم رحيما** يعنى انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شىء تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بنى اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة **ومن يفعل ذلك** يعنى ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى اية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا **عدوانا وظلما** يعنى يتجاوز الحد فيضع الشىء فى غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان وهو قوله تعالى **فسوف نصليه نارا** اى ندخله فى الاخرة نارا يصلى فيها **وكان ذلك على الله يسيرا** اى هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله تعالى **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** اجتناب الشىء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة فى الكبائر فمن ذلك ما روى عن ابى بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه فى الصحيحين ق عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ق عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقتطع به مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل او امه فيسب اباه او امه وفى رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله ابن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبع مائة اقرب وفى رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شىء عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال على ابن ابى طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا يدرك ذلك

لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي إليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الأدلة أن من الذنوب كبائر وصغائر وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدليل الكتاب والسنة وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته إما في الدنيا بالحدود وإما في الآخرة بالعذاب عليه **نكفر عنكم سيئاتكم** يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لأن أصل التكفير الستر والتغطية فصار الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبائرها إلا بالتوبة والإقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم وقوله تعالى **وندخلكم مدخلا كريما** يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى إذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** أصل التمني إرادة الشيء وتشهي حصول ذلك الأمر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصوره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل إن المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال لأنا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقال النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين أحدهما أن يتمنى الإنسان أن يحصل له ما لغيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لأن الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الإنسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل ما لغيره ولا يحب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فليعلم العبد أن الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والأقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الأنثيين وقيل هذا الاكتساب في الآخرة يعني أن الرجال والنساء في الآخرة سواء لأن الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج **واسألوا الله من فضله** قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادة وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة إلا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا أو يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألنه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده **إن الله كان بكل**

في الآخرة

شيء عليما يعني أنه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فإن الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غيرها الذي قدر له قوله تعالى **ولكل** يعني من الرجال والنساء **جعلنا موالي** يعني ورثة من بني عم وإخوة وسائر العصبات **مما ترك** يعني يرثون مما ترك **الوالدان والأقربون** من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الذين يرثون وقيل إن قوله موالي مما ترك يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والأقربون فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الأول أصح لأنه مروي عن ابن عباس وغيره **والذين عاقدت أيمانكم** وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد وهما جميعا وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** يعني أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث فيوصي له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك الأنفال وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم أن الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عاقدت أيمانكم إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الإسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فمن قال إن حكم الآية باق قال إنما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والإسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة أخرجه مسلم وقوله تعالى **إن الله كان على كل شيء شهيدا** قال عطاء يريد أنه لم يغب عنه ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد الشاهد والمراد منه علمه بجميع الأشياء وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل **الرجال قوامون على النساء** نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء في امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أي مسلطون على تأديب النساء والأخذ على أيديهن قال ابن عباس أمروا عليهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويجتهد في حفظها ولما أثبت الله القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى **بما فضل الله بعضهم على بعض** يعني أن الله تعالى فضل الرجال على النساء بأمور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالإمامة

ولان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب
في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده النكاح والطلاق والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء ثم
قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات
بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله حافظات للغيب لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا
يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على
المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه
اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
ثم تلا الرجال قوامون على النساء الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم
باداء المهر والنفقة اليهن ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء فان المراة خلقت
من ضلع اعوج وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل
في معنى الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم
بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل تظنون نشوزهن اعلمون
واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز
قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل
عليها وتسارع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه ولم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره
اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو
ان يقول لها اتق الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على
ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى واهجروهن في المضاجع يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع
قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزلها الى فراش اخر واضربوهن يعني ان لم ينزعن بالهجران
فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو
بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر
في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة
مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي
بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد
الشاق وقوله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم
عن حكيم بن معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت اخرجه ابو داود وقوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله ق عن عبد الله بن زمعة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها او قال يضاجعها من اخر اليوم
عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون
ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود اياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن صح

قوله

قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترات عليه واطاف بالشيء احاط به ففي هذه الاحاديث دليل
على ان الاولى ترك الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها لتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا ولا يوالي بالضرب
على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب
بالمنديل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء اولى في هذا الباب واختلف العلماء فقال بعضهم
حكم الاية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان فحوى الاية يدل على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال
اخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل ان له ان يعظها عند خوف
النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال لذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها ويضربها عن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيم ضرب امراته اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها
حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن علي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امراته لحاجته فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ
بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا توذيه قاتلك الله
فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت
وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التاديب فلا
تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض
بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن ان الله كان
عليا كبيرا العلي في صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق
الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبريا
وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله متعاليا من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان
النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله
مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا
معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ما تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم قوله
وان خفتم يعني وان علمتم او تيقنتم وقيل معناه الظن اي ظننتم شقاق بينهما يعني بين الزوجين واصل
الشقاق المخالفة وكل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق العصا وهو ان يقول كل
واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما
ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تودي الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا
وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة
الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من
صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل
فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاحاد الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين

حكما من اهله وحكما من اهلها **ان يريدا اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين **يوفق الله بينهما** يعني بالصلاح
والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضه انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما
شان هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما
عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل
اما الفرقة فلا قال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما
حكمين والاولى ان يكون واحد من اهله وواحد من اهلها لان اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح
فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في
الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق او طلاق او خلع والحكمان وكيلان
للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي
حكم المراة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه
ولا لحكم المراة ان تختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك
حين قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى
قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول
الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المراة ان تختلع دون رضاها
اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال
ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المراة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة
فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله
بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة بالفراق وتارة بصلاح
حاليهما في الوصلة وقوله تعالى **ان الله كان عليما خبيرا** يعني انه تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين
وفيه وعيد شديد للزوجين وللحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل **واعبدوا الله** يعني وحدوه واطيعوه وعبادة
الله تعالى عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا به شيئا**
يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد
اشرك به ولا يكون مخلصا ق عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير فقال
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال اما حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا
قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون
عليه شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متاكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما
قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل
الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما
وعطفا عليهما وانما قرن الوالدين بعبادته وتوحيده لتاكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم
بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ثم

ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك م عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما
ثم لم يدخل الجنة وقوله تعالى **وبذي القربى** اي واحسنوا الى ذي القرابة وهم ذو رحمه من قبل ابيه وامه ق عن انس
بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه معنى
ينسا له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى والمساكين** اي واحسنوا الى اليتامى انما امر
بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة
والفقر فتمسكن لذلك خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا و
اشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة و
المسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر وقوله تعالى **والجار ذي
القربى والجار الجنب** اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي
بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وعن عائشة مثله خ
عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما بابا منك م عن ابي ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي
صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره
بوايقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوايقه البوايق الغوايل والشرور ق عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي لها فرسن
شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل
خيرا او ليصمت **والصاحب بالجنب** قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المراة تكون معك
الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب
عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله
تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر المجتاز بك الذي قد انقطع به السبيل وقال الاكثرون المراد بابن السبيل
الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه ق عن ابي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جايزته قالوا وما جايزته يا رسول الله قال يومه وليلته
والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او
ليصمت زاد في رواية لا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده
ولا شيء له يقريه به قوله جايزته يومه وليلته الجايزة العطية التي تقرى الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه
ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو لمن يكرم الضيف ثلاثة ايام فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة
حتى يصل الى موضع اخر وقوله ولا يقيم عنده حتى يؤثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك
وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون
ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر

الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيئ الملكة اخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابو داود وله عن علي بن ابي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة
الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ق عن المعرور بن سويد قال رايت اباذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته
عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم
خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتموهم فاعينوهم عليه وقوله تعالى **ان الله لا يحب من كان مختالا** المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي
لا يقوم بحقوق الناس **فخورا** الفخور هو الذي يفخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل
هو الذي يفخر على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين
لان المختال والفخور يانف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال
هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله
يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه
مرجل راسه يختال في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة ق عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من اهل الوبر والسكينة في اهل
الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها قوله تعالى
الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى
هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوه واسامة
بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو كانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ويقولون لهم لا تنفقوا اموالكم فانا
نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم
ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك
الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله على منع المال ومنع العلم **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** يعني اليهود
كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنا واظهروا الفقر وبخلوا بالمال
واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم **عذابا مهينا** يعني في الآخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس يعني للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون
بما انفقوا وجه الله تعالى م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء
عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من
من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر** يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن **ومن يكن الشيطان له
قرينا فساء قرينا** يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا
بذكر الشيطان فبئس العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة في
النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى **وماذا عليهم** يعني واي شيء عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم

لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء
مرضاته **وكان الله بهم عليما** يعني لا يخفى عليه شيء من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه وعيد
وتهديد لهم قوله عز وجل **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله
لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة راس نملة حمراء وقيل
الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل
الاشياء والمعنى ان الله لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شيء يعرفه الناس **وان تك حسنة**
يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى
اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها م عن انس بن مالك في
قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا
حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة
لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يستخلص
رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا
شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه
لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض
مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين و
كالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص
المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة
لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا راوا
انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم
صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد
ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا
لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع
النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها الى الحجر او الى
الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية
قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير
قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي
افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض

حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيمة يجمع الله الاولين والاخرين ثم ينادى مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخته فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول اى رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى لملائكته انظروا الى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذى حق حقه وبقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدى وادخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة **ويؤت من لدنه** يعنى من عنده **اجرا عظيما** يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنته وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد** يعنى فكيف حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيمة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد نبيها والمعنى انه يؤتى بنبى كل امة يشهد عليها ولها **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا** يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وعلموا بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علىّ القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى اذا جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى **يومئذ** يعنى يوم القيمة **يود** اى يتمنى **الذين كفروا** يعنى جحدوا وحدانية الله تعالى **وعصوا الرسول** يعنى فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل **لو تسوى بهم الارض** يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان يبعثوا الا انهم انما كانوا في الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تبارك وتعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتستوى بهن الارض فعند ذلك تمنى الكافر لو كان ترابا **ولا يكتمون الله حديثا** قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى اجد في القرآن اشياء تختلف علىّ قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفى موطن لا يتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم

وتتكلم

وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى** جمع سكران سبب نزول هذه الاية ما روى عن على بن ابى طالب قال صنع لنا ابن عوف **حتى تعلموا ما تقولون** طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدمونى فقرأت قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلوة فامهم على في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلوة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله تعالى عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الاية فعلى هذا ففى المراد بالصلوة قولان احدهما انه نفس الصلوة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى ان المراد بالصلوة موضع الصلوة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلوة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلوة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلوة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها في غير اوقات الصلوة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لا تقربوا الصلوة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ولا جنبا** يعنى ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب واصل الجنابة البعد سمى الذى اصابه الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلوة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل **الا عابرى سبيل** العابر هاهنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الاخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابرى سبيل على قولين احدهما ان المراد بالعبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا يكون المراد بالصلوة موضع الصلوة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراسانى والنخعى والزهرى واليه ذهب الشافعى واحمد القول الثانى ان المراد بقوله الا عابرى سبيل المسافرين والمعنى لا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلوة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلى الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فمن حمل عابرى سبيل المسافر منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب ابى حنيفة وصحح ابن جرير الطبرى والواحدى القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شىء الوجه الثانى ان الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الاية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله **حتى تغتسلوا** يعنى الى ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هى الاغتسال **فصل** في احكام تتعلق بالاية اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول اصحاب الرأى وقال قوم يتيمم

للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال
لما روي عن عايشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن
المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه
البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه
قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عايشة بانه في بعض رواية مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده
واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون
في المسجد وهم مجنبون اذا توضئوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما
روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب
ولا حايض اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلوة ويدل على ذلك
ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي ثم يخرج فيقرا القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه
وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم
يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرا الجنب ولا الحايض ولا النفساء
من القرآن شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة في الفرج
وان لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر
احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولم يجد بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك اعليها
غسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها
الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى **وان كنتم مرضى** جمع مريض واراد به المرض
الذي يضره معه امساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على بعض اعضائه جراحة وبه قروح يخاف
من استعمال الماء التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها جريحا
غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه
ثم احتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات
فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذ لم يعلموا فانما شفاء
العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل ساير
جسده اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين التيمم والغسل قالوا اذا كان اكثر اعضائه
او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل
والتيمم وقوله **او على سفر** يعني او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي
ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد فيها
فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت
فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت
فكانني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان
ذلك خير اخرجه ابو داود والعس قدح من خشب يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا
على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي
وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى **او جاء احد منكم من**

الغائط

الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن
الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن
اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى **او لامستم النساء** قرئ هنا وفي
سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو قول
علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله كنى باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل اليه قال
ابن عباس ان الله حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع
او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله
على الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرا او لامستم والملامسة مفاعلة من اللمس
لا بد لها على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها هي ان
تقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة
في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى او لامستم النساء على صريح الجماع بل يحمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد
فصل في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسئلة الاولى اذا افضى الرجل بشيء من بدنه الى شيء من بدن المراة
ولا حايل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي
بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امراته او جسها بيده فعليه الوضوء
واخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحق اذا كان
اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل امراة من نسائه ثم خرج الى الصلوة ولم يتوضا قال عروة ومن هي الا انت فضحكت اخرجه الترمذي وابو داود واجيب
عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي لانه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال
حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شيء وفيه ضعف من وجه آخر
وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عايشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن
عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صايم كذا رواه الثقات عن عايشة وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء
باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء
باللمس بما روي عن عايشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني
فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضوء باللمس
عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على حايل المسئلة الثانية اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت
والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به وماخذ القولين
عند اصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النساء والنظر الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك
الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس
هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان او امراة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة فاحد القولين انه
ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الاية لانه لمس وقع بين الرجل والمراة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني انه ينتقض
وضوء اللامس دون الملموس لما روي عن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته
فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله

عليه وسلم لقطع الصلوة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه المسئلة الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فإذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجاه في الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذه الأشيا يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطني وذهب قوم إلى إيجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الأشيا ما روي عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه أخرجه الترمذي وقال هو أصح شيء في هذا الباب المسئلة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو إغماء أو نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث إلى الأرض ويدل على ذلك ما روي عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون أخرجه أبو داود وذهب قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة وبه قال الحسن وإسحق والمزني وذهب قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة وبه قال الحسن وإسحق والمزني وذهب قوم إلى أنه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا أو هو في الصلوة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسئلة الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحق غير أن الشافعي قال ينتقض الوضوء إذا مس ببطن الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولأبي داود والنسائي نحوه وعن أم حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم إلى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كأنه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ قال هل هو إلا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو يبني المسجد وأبو هريرة من آخرهم إسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فإن حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث وقوله تعالى

فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا اعلم أن التيمم من خصايص هذه الأمة خصها الله به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان

سبب نزول التيمم ما روي عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته أخرجاه في الصحيحين قولها بالبيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أي أثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هذا معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به فلم تجدوه يعني فأعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لأن المحدث مأمور بالتطهير بالماء فإذا أعوزه الماء عدل عنه إلى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي إذا دخل وقت الصلوة طلب الماء فإن لم يجده تيمم وصلى ثم إذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلوة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على أنه لو وجد الماء لكنه يحتاج إليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فإنه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا إذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلوة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الأرض وكذلك قال الليث الصعيد الأرض المستوية التي لا شيء فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم إياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الأرض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الأرض ولا يبالي أكان في الموضع تراب أو لا لأن الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار فأما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فإن خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه في ذلك الفراء وأبو عبيد في أنه التراب وجميع الأقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد ها هنا هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولأن الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الأرض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وأيضا فإنه يقال للغبار صعيد لأنه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الأرض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملسا لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لأن التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الأرض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا أي اقصدوا أرضا فوجب أن يكون هذا القدر كافيا وأجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وأن لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما يتصاعد على الارض واجيب عنه بما تقدم من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم وهو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي الى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب بكفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم ابن الحارث فقال ابو جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والاباط من بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الى الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية ان يقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وجملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحاق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والاباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

فصل واركان التيمم خمسة تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب

الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلوة فلو نوى رفع الحدث لم يصح واكمله ان ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم لصلوة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلوة الاخرى وان يقرا القران ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون ذلك نظره حائل قريب من تل او جدار او نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا يشترط طلب عند ابي حنيفة فان راى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه من الذهاب اليه او كان الماء في بئر وليس معه اله الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا اعادة عليه والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عفوا يعني متجاوزا عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم غفورا ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه على ان الله رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كان من عادته انه يغفر الذنوب ويعفو عنها بان رخص للعاجزين كان اولى قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اعطوا حظا من علم التورية وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التورية وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التورية ولم يؤتوا العمل بها يشترون الضلالة يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لياخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم الرياسة وانما ذكره بلفظ الشرى لانه استبدل شيء بشيء وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى ويريدون يعني اليهود ان تضلوا السبيل يعني عن السبيل والمعنى انهم يتواصلوا الى اضلال المؤمنين والتلبيس لكي يخرجوا عن الاسلام والله اعلم باعدائكم يعني انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستنصحوهم فانهم اعداؤكم وكفى بالله وليا يعني متوليا امركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة احد وكفى بالله نصيرا يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره قوله تعالى من الذين هادوا قيل هو بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف فتقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه عن مواضعه يعني يغيرون نصفة محمد صلى الله عليه وسلم من التورية وقال ابن عباس كانت اليهود ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتاويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى باطل ويقولون سمعنا وعصينا يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا او استخفافا واسمع غير مسمع هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترضيه وراعنا اي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم والتبجيل ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا

لانه من لويت الشيء اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا
يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضا
ثم قال تعالى **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا** يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا **واسمع** يعني بدل قولهم
لا سمعت **وانظرنا** يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا **لكان خيرا لهم** يعني عند الله **واقوم** يعني اعدل واصوب **ولكن لعنهم الله**
يعني طردهم وابعدهم من رحمته **بكفرهم** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **فلا يؤمنون الا قليلا** يعني فلا يؤمن الا نفر قليل
مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى **يا ايها الذين اوتوا الكتاب**
خطاب لليهود **آمنوا بما نزلنا** يعني القرآن **مصدقا لما معكم** يعني التورية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم
احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به الحق
قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى
من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس هاهنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني
ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون
المراد بالوجه العين **فنردها على ادبارها** يعني فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى
خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل
لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا الوعيد مختصا بيوم القيمة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى
فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم
فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام
من حيث جاؤا وهو اجلاء بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك
قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم
الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين روي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع
هذه الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان
لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه
ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيمة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد
شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله **او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت** اي يجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد
من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات
كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فتحمل
الكناية في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى **وكان امر الله مفعولا**
يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه
وكان مامور الله مفعولا والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل **ان الله**
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا
بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف
الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رض ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله

الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت
الا من تاب وآمن وعمل صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد
ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا
نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام و
رجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني
فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك
فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات
من غير توبة فانه في خطر المشية ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته
واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند
اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع
من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله
شيئا قال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر
عن علي بن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان
قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار وقوله تعالى **ومن يشرك بالله** يعني يجعل معه
شريكا غيره **فقد افترى** اي اختلق **اثما عظيما** يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله تعالى **الم تر الى الذين**
يزكون انفسهم نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب
قال لا قالوا وما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه
الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح
التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها
بزكاء العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا عليهم
بل الله يزكي من يشاء فيجعله زاكيا **ولا يظلمون فتيلا** يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية
من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول فسمي ما يكون في شق النواة
فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ او غيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له
انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود **كيف يفترون على الله الكذب** يعني قولهم انهم
لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم **وكفى به** اي بذلك الكذب **اثما مبينا** قوله عز وجل **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا**

من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا
مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد
صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون رجلا فلنلزق اكبادنا
بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرا القران وتعلم ونحن
اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري
الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا
القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني به سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت و
الطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما طلبا لمرضاة قريش وقيل الجبت
اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيه يكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن و
الطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق
من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة وقيل هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج
لامر زجر طيرا فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو ضرب الحجارة والحصى
على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو ان يتطير بالشيء فيرى الشوم فيه والتشاؤم منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر
والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن
اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا
يعني لكفار قريش هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا يعني طريقا اولئك الذين لعنهم الله يعني
كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب
من الملك هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك
والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا هذا جواب لجزاء مضمر
تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم الله بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل
في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والنقير
هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله اصل الحسد تمني زوال النعمة عن من هو مستحق لها وربما يكون
ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان
يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا
القبيل يقال فلان امة واحدة يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس
جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له من
النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فاكذبهم الله تعالى
ورد عليهم بقوله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه
وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى

كيف

كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدونهم
والمراد بالكتاب التورية وبالحكمة النبوة واتيناهم ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل
بكثرة النسا فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النسا فانه كان لداود مائة ولسليمان الف امراة ثلثمائة حرة
وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا
نقصا في نبوتهم فمنهم يعني اليهود من امن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن به وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله عز وجل للذين جحدوا
اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا
ما انزلت على رسولي محمد من اياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا
اي ندخلهم نارا نشويهم فيها كلما نضجت جلودهم يعني احترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة
قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها
فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة ق عن ابي هريرة يرفعه ما بين
منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب
الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة فان قلت كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في
كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصياغة تبدلت
الصفة وقيل ان العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق الله للكافر في كل ساعة
من الجلود ما لا يحصى ليحترق ويصل المها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى
كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احرقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد
اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو
للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم لتكون زيادة
في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم
العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال
كاحساس الذائق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس ان الله كان عزيزا يعني في انتقامه ممن ينتقم
منه من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم يعني سوف ندخلهم يوم القيمة جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها يعني باقين فيها ابدا يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع لهم فيها يعني في الجنات
ازواج مطهرة من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا وندخلهم ظلا ظليلا يعني كنينا ذلك الظل
لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي
حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان
الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة
فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه

وسلم [الفتح اخذ علي] المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح
فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما
خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد
انزل الله عز وجل في شانك قرآنا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فكان المفتاح معه الى
ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام
عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر
وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن
العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها
يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه
وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس للسدانة والله اعلم وثبت
في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوى ومعه بلال وعثمان
حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه من رواية
ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس
بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد
العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله
بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام
عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون
الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل
الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامرا والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق
الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتكم
عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمنع من خصوص السبب
عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل
وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلوة والزكوة
والصوم وساير انواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه في ساير اعضايه فامانة اللسان
حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو
والفحش والاكاذيب ونحوه ثم ساير الاعضا على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع ساير عباد الله تعالى فيجب
عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّ
الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان
فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا عدل الامرا والملوك في الرعية ونصح العلما للعامة فكل هذه الاشيا من الامانات التي امر الله
عز وجل باداتها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة
له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس
بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل العدل هو المساواة في الاشيا فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء
سمي عدلا قال بعض العلما ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما و

فاسلم صح

الاية

وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح صح

الاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه و
ان لا يمتزج ذلك بغرض اخر م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله
على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيمة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم
منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو
اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما تقولون وبصير لما تفعلون اذا حكمتم
فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم ق عن ابن عباس قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية في عبد الله بن حذافة
بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع
الرجل فجاء خالد فاخذ ما للرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر بطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك
الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى
واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلما في اولي الامر الذين اوجب الله طاعتهم
بقوله واولي الامر منكم يعني واطيعوا اولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقها والعلماء الذين يعلمون الناس
معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامرا والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي
طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني
ومن يعص الامير فقد عصاني ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما
احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا
واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا
والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر
لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر
اخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في
امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
قول من قال هم الامرا والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشان
المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلما طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا
زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء يعني اختلفتم
في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الاراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه
فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم
ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به

بالامر بطاعة الائمة والولاة لصحة الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر** يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الاية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الاخر **ذلك خير** يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير **واحسن تاويلا** يعني واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك اي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تاويلا منكم له واعظم اجرا قوله تعالى **الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به** قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية فكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من النضير رجلا من بني قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم وانزل الله عز وجل اية القصاص وانزل هذه الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية والزعم بضم الزاء وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب والمراد في هذه الاية الكذب لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر الاية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكفر به ايمان بالله عز وجل **ويريد الشيطان ان يضلهم** يعني عن طريق الهدى والحق **ضلالا بعيدا واذا قيل لهم** يعني للمنافقين **تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول** يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به **رايت المنافقين يصدون عنك صدودا** يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى قوله عز وجل **فكيف اذا اصابتهم مصيبة** يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها **بما قدمت ايديهم** يعني تصيبهم عقوبة بسبب

ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والاخرة **ثم جاؤك** يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك **يحلفون بالله ان اردنا** اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك **الا احسانا** يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة **وتوفيقا** يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك المنافق **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** يعني من النفاق **فاعرض عنهم** يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم **وعظهم** يعني باللسان والمراد به زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الاخرة **وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخفيف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ عليهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما تشوق اوله الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس **وما ارسلنا من رسول** قال الزجاج لفظة من هنا صلة موكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا **الا ليطاع باذن الله** يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد ممن الرسل الذين فرضت طاعته على من ارسلتك اليهم وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليها **جاؤك** يعني جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متنصلين بما ارتكبوا من المخالفة **فاستغفروا الله** يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك **واستغفر لهم الرسول** يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسوله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة **لوجدوا الله توابا رحيما** يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار **ق** عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال

رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع
الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب ان هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير
براي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية وقوله اختصما في
شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحد شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء الملبسة
بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له حقه في صريح الحكم
وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة
لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الاية مستانفة لا تعلق لها
بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن
له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا
مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا فقال ثابت
بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الاية
في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الاية متصلة بما قبلها فقوله فلا وربك
معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم
امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا
فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال تشاجر في الامر اذا تنازعوا فيه واصله التداخل والاختلاط
وشجر الكلام اذا دخل بعضه في بعض واختلط **ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت** يعني ضيقا مما قضيت
وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضائك **ويسلموا تسليما** يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء
من امرك وقيل معناه ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله تعالى **ولو انا كتبنا عليهم** يعني فرضنا واوجبنا
عليهم الضمير في عليهم يعود الى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره **ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم** يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر **ما فعلوه الا قليل منهم**
معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لو كتب الله علينا
ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال ان الضمير في عليهم
يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا
منهم بالنصب وتقديره الا ان يكون قليلا منهم **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به
من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه **لكان خيرا لهم** يعني في الدنيا والاخرة وانما سمي ذلك التكليف
وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا **واشد تثبيتا**

يعني

يعني تحقيقا وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم **واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما**
يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا
عظيما **ولهديناهم صراطا مستقيما** قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام
وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة
لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدي الى الجنة قوله عز وجل **ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم** الاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك يا ثوبان قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف ان لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني وان دخلت
الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله
هذه الاية ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا ويدخلون الجنة في الاخرة **من النبيين** يعني ان المطيعين
مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي
التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول **والصديقين** الصديق الصدوق فعيل من الصدق والصديقون هم
اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه
فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي
سمي بالصديق في هذه الاية وهو افضل اتباع الرسل **والشهداء** هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين
استشهدوا يوم احد **والصالحين** جمع صالح وهو الذي استوى سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده
صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابي بكر وبالشهداء عمر
وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة **وحسن اولئك رفيقا** يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون
والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا
لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد
من اولئك رفيقا (ق) عن انس ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت
لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه
وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم
وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى **ذلك الفضل من الله** اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب يعني
الذي اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم **وكفى بالله عليما** يعني بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده
فهو يوفقهم لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل
عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم** الحذر احتراز عن مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم فلا تمكنوهم من انفسكم
وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى

ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل
بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره فانفروا ثبات اى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية
او انفروا جميعا يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان منكم لمن ليبطئن نزلت
في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان
والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين
فان اصابتكم مصيبة اى قتل وهزيمة قال يعني هذا المنافق قد انعم الله علي يعني بالقعود اذ لم اكن معهم
يعني مع المؤمنين شهيدا يعني حاضرا الوقعة فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله اى فتح وغنيمة
ليقولن يعني هذا المنافق كان لم تكن بينكم وبينه مودة اى معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل
دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم
فيها المؤمنون فافوز فوزا عظيما اى فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا
خطاب للمنافق اى فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اى فليقاتل المؤمنون في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اى يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل
المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل
في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحيوة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل اى فيستشهد او يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نؤتيه يعني في كلا الحالتين الشهادة
او الظفر نؤتيه فيهما اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى
مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال
المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد
واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى والمستضعفين من
الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد ان قوما من المسلمين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء
بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم
وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم خ عن ابن
عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين وفي رواية ابن ابي
مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان
وامي من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل
فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعني وليا
يلي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه
خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة

واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين وياخذ للضعيف من القوي
قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان اى فقاتلوا ايها المؤمنون
حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال
ويعني بكيده ما كاد المؤمنين به من تحزيبه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما راى الملائكة
قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله كان ضعيفا
ليتاكد ضعف كيد الشيطان قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قال الكلبي
نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله
ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اؤمر بقتالهم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكوة وفيه دليل على ان
فرض الصلوة والزكوة كان قبل فرض الجهاد فلما كتب عليهم القتال اى فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج
الى بدر اذا فريق منهم يعني اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون مشركي مكة
كخشية الله او اشد خشية او بمعنى الواو يعني واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم
فرضت علينا الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت باجالنا
والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك
خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا من هذا القول قل اى قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان منفعتها
والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل والاخرة يعني وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك و
معصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل عن المستورد بن شداد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعني السبابة
في اليم فلينظر بم يرجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت
واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت
تحصل به سعادة الاخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج
مشيدة والبروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد
وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك ان المدينة
كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك
الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا
الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اى خصب الثمار ورخص في السعر
يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اى جدب في الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه
من عندك يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة
يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة

قل اى قل لهم يا محمد كل من عند الله يعنى الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء منه فما لهؤلاء القوم اى فما شان هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعنى لا يفهمون معانى القرآن وان الاشيا كلها من عند الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعنى من خير ونعمة فمن الله يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا وامتنانا اليك وما اصابك من سيئة يعنى من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعنى فمن قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفى المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبى صلى الله عليه وسلم برى لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه من حين ابتعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة بذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبى ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصى بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الاية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية اصابنى انما يقال اصبتها ويقال فى النعم والمحن اصابنى بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابنى خير ومكروه واصبت حسنة او سيئة وقيل فى معنى الاية ما اصابك من حسنة اى النصر والظفر يوم بدر فمن الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة اى قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعنى فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الاية قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانبارى فى معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعنى وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتى وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله شهيدا يعنى على ارسالك للناس كافة فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعنى فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع الله يعنى

ان

ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعى ان كل فريضة فرضها الله تعالى فى كتابه كالحج والصلوة والزكوة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان يمكننا اداء شىء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشريعة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى اى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعنى حافظا تحفظ عليهم اعمالهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت فى المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت فى قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر والله يكتب اى يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعنى ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وضلالتهم فانا ننتقم منهم وقيل لا تخبر باسمائهم وتوكل على الله اى فوض امرك الى الله فى شانهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا يعنى ناصرا لك عليهم قوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن اصل التدبر النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشىء اى نظرت فى عاقبته ومعنى تدبر القرآن تامل معانيه والتفكر فى حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته التى عجز الخلق عن الاتيان بمثله فى اسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفوه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما ياتى فى المستقبل من امور الغيبة التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون فى القرآن فيعرفون بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف فعلم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الاية

وإذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الأمن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعني القتل والهزيمة أذاعوا به أي أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به إذا أشاعه وأظهره قال الشاعر أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب **ولو ردوه** يعني الأمر الذي تحدثوا به **إلى الرسول** يعني أنهم لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ويظهره **وإلى أولي الأمر منهم** يعني ذوي العقول والرأي والبصر بالأمور منهم وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وإنما قال منهم على حسب الظاهر ولأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان فلهذا قال وإلى أولي الأمر منهم **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** أي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكائدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الأمور وما ينبغي أن يذاع منها واستنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة إذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وأن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الأمر من الأمن أو الخوف إلى الرسول وإلى أولي الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وأنهم أولى بالبحث عنه فإنهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية **لاتبعتم الشيطان** يعني لبقيتم على الكفر والضلالة **إلا قليلا** اختلف العلماء في هذا الاستثناء وإلى ما يرجع فقيل هو راجع إلى الإذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا فأخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الإذاعة لأنهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل هو راجع إلى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا فعلى هذين القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل إنه راجع إلى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي قوله تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف إلا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فإن الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكائده لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكوة فعزم على الخروج إلى قتالهم ولو وحده **وحرض المؤمنين** يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم **عسى الله** أي لعل الله **أن يكف بأس الذين كفروا** يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك أن أبا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج إلى الموعد **والله أشد بأسا** أي أعظم صولة **وأشد تنكيلا** يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل **من يشفع شفاعة**

حسنة

حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الإنسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة إلى المشفوع إليه فعلى هذا قيل إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية شفاعة الإنسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الإصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصير شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته **ومن يشفع شفاعة سيئة** قيل هي النميمة ونقل الحديث لإيقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه ومن يشفع كفره بقتال المؤمنين **يكن له كفل** أي ضعف وقيل نصيب **منها** أي من وزرها **وكان الله على كل شيء مقيتا** قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا وأقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا يعني قادرا على الإساءة إليه وقيل معناه شاهدا أو حفيظا على الأشياء ق عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فأقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان إذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا وذكره قوله تعالى **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها** التحية تفعلة من حيي وأصلها من الحيوة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحيوة وسبب الحيوة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أي جعل لك حيوة وذلك إخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الإسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني إذا سلم عليكم المسلم فأجيبوه بأحسن مما سلم عليكم به وإنما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لأنه أتم وأكمل لأن معنى السلام السلامة من الآفة فإذا دعا الإنسان بطول الحيوة بغير سلامة كانت حيوته مذمومة منغصة وإذا كان في حيوة سليما كان أتم وأكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام **أو ردوها** يعني أو ردوا عليه كما سلم عليكم **إن الله كان على كل شيء حسيبا** يعني محاسبا ومجازيا والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو بأحسن منه مجازي عليه

فصل

في فضل السلام والحث عليه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أي الإسلام خير معناه أي خصال الإسلام خير م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن أبي أمامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام أخرجه ابن ماجه

فصل

في أحكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسئلة الأولى في كيفية السلام ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذي وأبو داود قال الترمذي حديث حسن وقيل إذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه

فيزيده ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله صح

ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة و
يستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يعد
جوابا وكان اثما بترك الرد المسئلة الثانية في حكم السلام الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على
الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي
ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في
بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب او يكون
ذلك سنة متاكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او يتاكد استحبابه اما الرد على المسلم فقد اجمع
العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة
للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب الرد عليه واذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية
فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود المسئلة الثالثة في ادب السلام
السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم
الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الافضل لما روي عن ابي
امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود واخرجه
الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدا بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب
ان يبدا بالسلام قبل الكلام او الحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي عن انس انه مر على صبيان
فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النساء فان كن جماعة جالسات في موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم
يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روي عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه
ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم
قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امراة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه
لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال
مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول او يتغوط
او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه ولو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم م قال الترمذي انما يكره هذا اذا كان على الغائط او البول ويكره التسليم على
من في الحمام وقيل ان كانوا متزرين بالميازر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والمؤذن
في حال الاذان والتالي في حال الصلوة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مامورون
بالانصات للخطبة ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذا المعلن بفسق وكذا الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء
المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداؤهم
بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا
سلم يهودي او نصراني على مسلم فيرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال
قالوا الله ورسوله اعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال
نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي
فلو اتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم
فقالت عائشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا
اخرجه مسلم م واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي
عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه
الترمذي والله اعلم قوله تعالى **الله لا اله الا هو ليجمعنكم** هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله
الا هو ليجمعنكم في الموت وفي القبور **الى يوم القيمة** الى يوم الحشر والبعث سميت القيمة قيامة لقيام الناس من قبورهم
بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الاية في منكري البعث **لا ريب فيه** يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن
ومن اصدق من الله حديثا يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب
والمعنى ان القيمة كائنة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فئتين** اختلفوا في
سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم
فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام ق عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن
خرج معه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم
في المنافقين فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما تنفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا
الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة لياتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا
واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا
المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى اهلنا ثم انهم خرجوا في تجارة
الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم وناخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة
منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى
احد الفريقين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت
في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين
فئتين اي صرتم في امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المؤمنين
جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله **والله اركسهم** يعني
نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار **بما كسبوا** اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة
وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** هذا خطاب للفئة التي
دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى **ومن
يضلل الله** يعني عن الهدى **فلن تجد له سبيلا** يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله تعالى
ودوا يعني تمنوا اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر **لو تكفرون** يعني تكفرون انتم يا معشر المؤمنين

كما كفروا فتكونون سواء في الكفر فلا تتخذوا منهم أولياء يعني من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم حتى يهاجروا
يعني حتى يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم وهي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه الأول هجرة المؤمنين في أول الإسلام
من مكة إلى المدينة الثاني هجرة المنافقين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين
كما حكى الله عنهم في هذه الآية منع المؤمنين عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله
عنهم فإن تولوا يعني فإن أعرضوا عن الإسلام والهجرة واختاروا الإقامة على الكفر فخذوهم الخطاب للمؤمنين أي خذوهم أيها
المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم يعني أين وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا يعني في هذه الحال ولا نصيرا
يعني ينصركم على أعدائكم لأنهم أعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم
ميثاق هذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون إليهم
أو ينتمون إليهم أو يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجأون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد وهم الأسلميون
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الأسلمي عند خروجه إلى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل
إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذين بينكم وبينهم
ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى أن من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم أيضا
داخلون في عهدكم أو جاءوكم حصرت صدورهم يحتمل أن يكون عطفا على الذين وتقديره إلا الذين يتصلون بالمعاهدين
أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل أن يكون عطفا على صفة قوم وتقديره إلا الذين يصلون
إلى قوم بينكم وبينهم عهد أو يصلون إلى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أي ضاقت صدورهم عن المقاتلة
فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لأنهم أقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين
وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلوهم أن يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم
أو يقاتلوا قومهم يعني من أمن منهم وقيل معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت
صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الأسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين إذا
اتصلوا بأهل عهد المسلمين لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك أن الله تعالى أوجب قتال
الكفار إلا من كان معاهدا أو لجأ إلى معاهد أو ترك القتال فإنه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ
لازم لأن الكافر وإن ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الآية
منسوخة بآية السيف وذلك لأن الله تعالى لما أعز الإسلام وأهله أمر أن لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو
القتل ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين وذلك
لما ألقى الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا هو تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الرعب
في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فإن اعتزلوكم يعني فإن اعتزلوكم عن قتالكم فلم يقاتلوكم ويقال فلم يقاتلوكم
يوم فتح مكة مع قومهم وألقوا إليكم السلم يعني الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا يعني بالقتل والقتال قال المفسرون إن هذا منسوخ بآية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال بعضهم
هي غير منسوخة لأنا إذا حملناهم على المعاهدين فكيف يمكن أن يقال إنها منسوخة قوله عز وجل ستجدون آخرين
قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الإسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له
قومه بماذا آمنت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء وإذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لهم إنا على دينكم يريدون بذلك الأمن من الفريقين وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه
الصفة يريدون أن يأمنوكم يعني يريدون بإظهار الإيمان لكم أن يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا قومهم

يعني بإظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا إلى الفتنة يعني كلما دعوا إلى الشرك أركسوا فيها رجعوا إلى الشرك وعادوا
إليه منكوسين على رؤوسهم فيه فإن لم يعتزلوكم يعني فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا إلى مكة ويلقوا إليكم السلم
ويكفوا أيديهم أي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم فخذوهم يعني أسراء واقتلوهم حيث ثقفتموهم
يعني حيث أدركتموهم وأولئكم يعني أهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل
والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا إلا خطأ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك بأنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
قبل الهجرة فأسلم ثم خاف أن يظهر إسلامه لأهله فخرج هاربا إلى المدينة وتحصن في أطم من آطامها والأطم
الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وأبي جهل ابن هشام وهما أخوا عياش بن أبي ربيعة
لأمه لا والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحارث
بن زيد بن أبي أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الأطم فقالا انزل فإن أمك لم يؤوها سقف بعدك
وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع إليها ولك الله علينا أن لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك فلما ذكرا
له جزع أمه وأوثقا له العهد بالله نزل إليهم فأخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة
ثم قدموا به على أمه فلما أتاها قالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس
ما شاء الله فأعطاهم الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش إن هذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت
الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك ثم إن عياشا
أسلم بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر وليس عياش حاضرا يومئذ
ولم يشعر بإسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء إذ لقي الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أي شيء صنعت
إنه قد أسلم فرجع عياش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إنه كان من أمري وأمره ما قد علمت وإني لم
أشعر بإسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا
البتة وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه وعهد إليه ففيه تحريم قتل المؤمن من
كل وجه وقوله تعالى إلا خطأ استثناء منقطع معناه لكن إن وقع خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا البتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة مؤمنة يعني فعليه إعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية مسلمة إلى أهله أي وعليه دية كاملة
مسلمة إلى أهل القتيل الذين يرثونه إلا أن يصدقوا يعني إلا أن يتصدق أهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا
عنه فإن كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة أراد أنه إذا كان رجل مسلم في دار
الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من لم يعلم بإسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه إذا
كان المقتول مسلما في دار الإسلام وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه
الكفارة ولا دية لأهله وكان الحارث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية
لأنه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق أي عهد فدية مسلمة إلى أهله
وتحرير رقبة مؤمنة يعني أنه إذا كان المقتول كافرا معاهدا أو ذميا فيجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة
فصيام شهرين متتابعين أي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك
توبة للقاتل الخطأ وكان الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة الأولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة أقسام

عمد وشبه عمد وخطأ العمد المحض فهو أن يقصد قتل إنسان بما يقتل غالبا فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي
أو دية حالة مغلظة في مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب إنسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل أن ضربه
بعصا خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين
وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتله بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة
على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا أن يقصد رمي مشرك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد
قتل إنسان يظنه مشركا بأن كان عليه لباس المشركين أو شعارهم فالصورة الأولى خطأ في الفعل والثانية خطأ
في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا أعدمت الإبل فيجب قيمتها من
الدراهم أو الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو ألف دينار أو اثنى عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم
قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال إن
الإبل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى
أهل الشاة ألفي شاة وعلى أهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود
فذهب قوم إلى أن الواجب في الدية مائة من الإبل أو ألف دينار أو اثنى عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن
البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان
الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا
وإن كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب وإليه ذهب الشافعي وذهب قوم إلى أن دية
الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية
الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك والأصل في ذلك ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب إلى أن
دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بأن الأصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية
المسلم ولم ترفع دية الذمي فتقرر على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة
فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها أولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال
عطاء وإليه ذهب الشافعي لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل
متعمدا دفع إلى أولياء المقتول فإن شاؤوا قتلوا وإن شاؤوا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون
خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك تشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة
بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال ألا وإن
قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الإبل أربعون ثنية إلى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية أخرى
ألا إن كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الإبل فيها أربعون في بطونها أولادها
أخرجه النسائي وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون
وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة هذا قول الزهري وربيعة وإليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب
الرأي وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم إلى أنها عشرون
بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز

وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وأبدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود
وبه قال أحمد وأصحاب الرأي والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني
منها شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوجبها على العاقلة ودية الأعضاء والأطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية
أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة إعتاق رقبة
مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد
الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل إن كان واجدا للرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا
عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الإعتاق ولا يجوز له أن ينتقل إلى الصوم فإن عجز عن الرقبة
أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فإن أفطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية أو نوى صوما
آخر وجب عليه استئناف الشهرين وإن أفطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من
قال ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي الشافعي لأنه أفطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع
التتابع وعليه أن يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام
الحيض ولا ينقطع التتابع فإذا طهرت بنت لأنه أمر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فإن عجز عن الصوم
فهل ينتقل عنه إلى الإطعام فيطعم ستين مسكينا ففيه قولان أحدهما أنه ينتقل إلى الإطعام كما في كفارة الظهار
والثاني لا ينتقل لأن الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك
عقوبة لقاتل الخطأ والله أعلم قوله عز وجل **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** نزلت في مقيس بن ضبابة
الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموه أن تدفعوا إليه ديته فأبلغهم
الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ونؤدي إليه ديته فأعطوه مائة من الإبل فانصرفا
راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال له تقبل دية أخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي
معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الإبل وساق بقيتها
راجعا إلى مكة كافرا وقال في ذلك • قتلت به فهرا وحملت عقله • سراة بني النجار أرباب فارع • وأدركت
ثاري واضطجعت موسدا • وكنت إلى الأصنام أول راجع • فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعني قاصدا لقتله
فجزاؤه جهنم خالدا فيها يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عن
من أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة **وغضب الله عليه** يعني لأجل كفره وقتله المؤمن متعمدا
ولعنه يعني وطرده عن رحمته **وأعد له عذابا عظيما** اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة
أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألمن قتل مؤمنا متعمدا
من توبة قال لا فتلوت عليه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله إلا بالحق إلى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
وفي رواية قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت إلى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء
وفي رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله مهانا فقال المشركون
وما يغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فأنزل الله إلا من تاب
وآمن وعمل صالحا إلى آخر الآية زاد في رواية فأما من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجاه في

الصحيحين وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال من أين لك أنها محكمة فقال ابن عباس
تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود إنها محكمة وما تزداد إلا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول نزلت
هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله إلا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية أشهر وقال
زيد بن ثابت لما نزلت الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت
الغليظة بعد اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان وذهب الأكثرون من علماء
السلف والخلف إلى أن هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول
بالقوي لأن آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ إلى أن ناسخها
الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب
إلى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن هذه الآية خبر عن وقوع العذاب لمن فعل ذلك
الأمر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الأخبار ولئن سلمنا أنه يدخله النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يبقى
بينهما تعارض وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم إلا من تاب وقال
بعضهم ما ورد عن ابن عباس إنما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن
عيينة أنه قال إن لم يقتل يقال له لا توبة لك وإن قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل إنه قد روي عن ابن
عباس مثله وروي عنه أيضا أن توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب
فقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله إن الله يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فما روي
عن جابر بن عبد الله قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار أخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله إلا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم
ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن
شاء عفا عنه وإن شاء عذبه فبايعناه على ذلك فصل وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية
لصحة مذهبهم على أن الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس
بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مؤمن كان
كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه
فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل إن الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة
التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها وإذا ذكر الخلود في حق
الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالدين فيها أبدا فإذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المراد منه الدوام
الذي لا ينقطع إذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أن الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار إلى حيث
يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فإنه قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة إخراج جميع الموحدين
من النار وقيل إن قاتل المؤمن عمدا عدوانا إذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ولأن الكفر أعظم من هذا القتل وإذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله تعالى قل للذين كفروا إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فإذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فأن تقبل من القاتل أولى والله أعلم قوله

تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن
نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له
غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل
وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه
إرادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة يا رسول الله استغفر لي فقال كيف
أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت
إلا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن أسامة قال قلت يا رسول الله إنما قالها
خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا إنما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا إليه فقتلوه
وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله
يعني سافرتم للجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الأمر إذا تأملته قبل الإقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو
خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدمون عليه ولا تقولوا لمن
ألقى إليكم السلام يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية إنه إنما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا
ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي
من استسلم وانقاد لكم وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل السلم والسلام بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم
لست مؤمنا يعني لست من أهل الإيمان فتقتلوه بذلك قال العلماء إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعار
الإسلام يجب عليهم أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال
الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بإيمانه لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان ولو قال لا إله إلا الله
محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم بإسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف أنه دين باطل وذلك لأن بعض
اليهود يزعم أن محمدا رسول إلى العرب خاصة لا أنه رسول إلى الكافة فإذا اعترف أن محمدا رسول الله إلى كافة الخلق وأن الذي
كان عليه من التهود أو التنصر باطل صح إسلامه وحكم بصحته قوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا
يعني تطلبون الغنيمة التي هي حطام الدنيا سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله
مغانم كثيرة أي غنائم كثيرة من رزقه يغنمكموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الإسلام ويتعوذ به وقيل معناه
فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل يعني كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلام فقلتم له
لست مؤمنا فقتلتموه كنتم أنتم من قبل أن يعز الله دينه كنتم تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي
قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخيفوا
من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين فمن الله عليكم يعني بالإسلام والهداية فلا تقتلوا
من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل معناه من عليكم بإعلان الإسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة
فتبينوا أي فلا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للأمر بالتبين إن الله كان بما تعملون خبيرا
أي فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل لا يستوي القاعدون

السلام عليكم

من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الآية خ عن زيد بن ثابت قال أملى
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم
وهو يملها علي فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي
فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل غير أولي الضرر ق عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير أولي الضرر وفي رواية أخرى قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه
الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم
مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية
الثانية أخرجها ابن الأثير في كتابه جامع الأصول وأضافها إلى البخاري ومسلم ولم أجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه
الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولي الضرر يعني غير أولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فإنهم يساوون المجاهدين
لأن العذر أقعدهم عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بالمدينة
رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه
وسلم فقال إن أقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون
من المؤمنين عن بدر والخارجون إليها وقوله تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة
يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا أولي الضرر فضل الله المجاهدين على أولي الضرر درجة لأن المجاهد باشر
الجهاد بنفسه وماله مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة وكلا يعني المجاهدين
والقاعدين وعد الله الحسنى يعني الجنة بإيمانهم وفضل الله المجاهدين يعني في سبيل الله على القاعدين
يعني لا عذر لهم ولا ضرر أجرا عظيما يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الأجر العظيم فقال تعالى درجات منه قال قتادة كان
يقال للإسلام درجة والهجرة في الإسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هن
سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة حين قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة إلى قوله ولا
واديا إلا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة م عن
أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها
أبو سعيد فقال أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين
كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة
جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله
للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه أوسط
الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة فإن قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الأولى درجة واحدة وذكر
في هذه الآية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت أما الدرجة الأولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر
والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن
تكون الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم قوله تعالى ومغفرة
يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعني رأفة بهم وكان الله غفورا يعني لذنوب عباده المؤمنين

رحيما يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال أيما عبد من
عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته غفرت له
ورحمته أخرجه النسائي فصل اعلم أن الجهاد ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين أن يدخل العدو دار
قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج إلى عدوهم
دفعا عن أنفسهم وعن أهليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد
عنهم من المسلمين فرض كفاية فإن لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين أو
بعد عنهم وإن وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الأبعدين إلا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض أعني فرض
الكفاية الفقراء والعبيد وإذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الإمام أن لا يخلي كل سنة من غزاة يغزو هو فيها إما
بنفسه أو بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره أن لا يقعد عنه ولكن لا يفترض عليه
لأن الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون
عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم قوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الآية نزلت في أناس تكلموا
بالإسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون إلى بدر
خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فأنزل الله هذه الآية إن الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة
ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وإنما ذكره
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان أحدهما أنه قبض أرواحهم والثاني حشرهم
إلى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي أنفسهم يعني بالشرك وقيل
بالمقام في دار الشرك وذلك لأن الله لم يقبل الإسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر إليه
ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين
وقيل ظالمي أنفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم
وأدبارهم قالوا فيم كنتم سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في أي الفريقين
كنتم في فريق المسلمين أو في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى إخبارا عنهم
قالوا كنا مستضعفين يعني عاجزين في الأرض يعني في أرض من بين أظهر المشركين فأكذبهم الله في قولهم
كنا مستضعفين وأعلمنا بكذبهم فأولئك يعني من هذه صفته مأواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا
يعني بئس المصير مصيرهم إلى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى إلا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من
مكة ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة إلى المدينة فأولئك يعني المستضعفين
وأهل الأعذار عسى الله أن يعفو عنهم يعني يتجاوز عنهم بفضله وإحسانه وعسى من الله واجب لأنه إطماع
وترج والله تعالى إذا أطمع عبدا أوصله إليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت أنا وأمي ممن عذر
الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة ق عن أبي
هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة
بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج
معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الأرض مهاجرا لأن المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وإن اختلف اللفظان

وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه إذا ألصق بالتراب وذلك لأن الأنف عضو شريف والتراب ذليل حقير
فجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم أبال إن رغم أنفه ويقوي ذلك
قول بعض أهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو برغم أنفه وقيل معناه أن الرجل إذا هاجر عن قومه خرج مراغما لهم أي
مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب في الأرض وأنشد الزجاج في المعنى إلى بلد غيور داني المحل بعيد
المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب إليه إذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة في معنى المراغمة وقال
ابن عباس يجد متحولا يتحول إليه من أرض إلى أرض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب إليه وقيل المراغمة
والمهاجرة واحد يقال راغمت قومي إذا هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لأنه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق
وقيل يجد سعة من الضلالة إلى الهدى وقيل يجد سعة في الأرض التي يهاجر إليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها
رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولي من المال
ما يبلغني إلى المدينة وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه
الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ
خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا
ما أدرك ما طلب فأنزل الله عز وجل **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت** يعني قبل بلوغه إلى مهاجره
فقد وقع أجره على الله يعني فقد وجب أجر هجرته على الله بإيجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق
وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن إتمامها كتب الله له ثواب تلك
الطاعة كاملة وقال بعضهم إنما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به أما تمام الأجر فلا والقول الأول أصح لأن الآية
إنما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وأن من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملة فكذلك
كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على إتمامها كتب له ثوابها كاملا **وكان الله غفورا رحيما** يعني ويغفر الله
له ما كان منه من القعود قبل الهجرة إلى أن خرج مهاجرا قوله عز وجل **وإذا ضربتم في الأرض** يعني إذا سافرتم
فيها **فليس عليكم جناح** أي حرج وإثم **أن تقصروا من الصلوة** يعني من أربع ركعات إلى ركعتين
وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء إلى أصله وفسر ابن الجوزي
القصر بالنقص ولم أره لأحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلوة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها
وبعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلوة المذكورة في الآية قولين أحدهما أنه في عدد الركعات
وهو رد الصلوة الرباعية إلى ركعتين والقول الثاني أن المراد من القصر إدخال التخفيف في أدائها وهو أن يكتفى بالإيماء
والإشارة عن الركوع والسجود والقول الأول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله أن تقصروا من الصلوة ولفظة من هنا
للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلوة فثبت بهذا أن تفسير القصر بإسقاط بعض ركعات الصلوة
أولى **إن خفتم أن يفتنكم** يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلوة **الذين كفروا** ذهب داود الظاهري
إلى أن جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
ولأن عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الأمن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لأنه
يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم إلى أن القصر في حال الأمن في السفر جائز ويدل عليه ما روي
عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
فقد أمن الناس فقال عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصر الصلوة وإنما

قال الله

قال الله عز وجل ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر
أخرجه النسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصلى
ركعتين أخرجه الترمذي والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى إن خفتم أن كلمة إن تفيد حصول الشرط ولا يلزم أن عند
عدم الشرط يلزم عدم المشروط فقوله تعالى إن خفتم يقتضي أن عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر وإذا كان كذلك
كانت الآية ساكتة عن حال الأمن فإثبات الرخصة في حال الأمن بخبر الواحد يكون إثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير
ممتنع إنما الممتنع إثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فإن قلت إذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الأمن والخوف
فما فائدة تقييده بحال الخوف قلت إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم تخل عن خوف العدو فذكر الله
عز وجل هذا الشرط من حيث أنه هو الأغلب في الوقوع وقوله تعالى **إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** أي ظاهروا
العداوة فلعلمي بهذا رخصت لكم في قصر الصلوة لئلا يجدوا إلى قتلكم واغتيالكم سبيلا وإنما قال عدوا ولم يقل أعداء لأنه
يستوي فيه الواحد والجمع **فصل** في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسئلة الأولى في حكم القصر قصر الصلوة
في حالة السفر جائز بإجماع الأمة وإنما اختلفوا في جواز الإتمام في حال السفر فذهب أكثر العلماء إلى أن القصر واجب في السفر وهو
قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويدل على ذلك
ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى وفي
رواية أخرى قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر أخرجاه
في الصحيحين وذهب قوم إلى جواز الإتمام في السفر ولكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص وإليه ذهب الشافعي
وأحمد وهي رواية عن مالك أيضا ويدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت
مكة قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وأفطرت وصمت قال أحسنت يا عائشة وما عاب علي أخرجه النسائي
فظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ولفظة لا جناح إنما تستعمل في الرخص
لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلوة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلوة الحضر ركعتان
على سبيل التحتم وأقرت صلوة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الإتمام بدليل آخر فوجب المصير إليه ليمكن الجمع
بين الأحاديث ودلائل الشرع المسئلة الثانية اختلف في صلوة المسافر إذا صلى ركعتين هل هي مقصورة أم
غير مقصورة فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة وإنما فرض صلوة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن
عمر وجابر بن عبد الله وإليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو
تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس
وإليه ذهب الشافعي وأحمد المسئلة الثالثة مذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور إلى أنه يجوز القصر في كل
سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال أبو
حنيفة والثوري يجوز ذلك المسئلة الرابعة اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز
القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن أنس أيضا وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة
أهل العلم فإنهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الأوزاعي
مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا وإليه ذهب مالك
وأحمد وإسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فإنهما قالا مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي فقال مسيرة

ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع
والذراع اربع وعشرون اصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وابو حنيفة
واهل الكوفة لا قصر في اقل من ثلاثة ايام **فصل** وقيل في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام مبتدأ متصل
بما بعده منفصل عما قبله وان خفتم روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق
عليه خبر آخر هو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة** الآية روي
عن ابن عباس وجابر ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا
كبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعني صلوة العصر فاذا قاموا اليها
فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلوة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
فعلمه صلوة الخوف وروي عن ابي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان
وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد اصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في الصلوة
فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في اصحابك
وشهدت معهم القتال فاقمت لهم الصلوة **فلتقم طائفة منهم معك** يعني اذا حل وقت الصلوة واقمتها لاصحابك
فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم **وليأخذوا اسلحتهم** اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله
باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلوة فانهم يأخذون اسلحتهم في الصلوة فعلى هذا القول انما يأخذون
من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع
للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلوة كالترس الكبير او يؤذي من الى جنبه كالرمح
فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون
امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب للاحتياط **فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم** يعني اذا صلوا
الذين معك وفرغوا من الصلوة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة **ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا** يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو **فليصلوا معك** يعني
يصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلوتهم **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** يعني انه تعالى
جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت
لم ذكر في اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلوة بل
يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلوة فحينئذ
ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ
الاسلحة **ود الذين كفروا** يعني تمنى الكفار **لو تغفلون** يعني لو وجدوكم غافلين **عن اسلحتكم وامتعتكم**
يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها **فيميلون عليكم ميلة واحدة** يعني فيقصدونكم ويحملون
عليكم حملة واحدة وانتم مشغولون بصلوتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم **فصل**
في احكام تتعلق بالآية وصفة الخوف وفيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة
صلوة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت
ثابتة ثم نسخت واحتج لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال تعالى واذا كنت

فيهم فاقمت لهم الصلوة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلوة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه
بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور الفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية
وجب ان يثبت في حق غيره من امته ~~لقوله صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب ان تثبت في حق غيره من امته~~ لقوله
تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي
عن علي بن ابي طالب انه صلى صلوة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلوة الخوف وكذلك
حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم
فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله
تعالى خالصة لك ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكوة
لمن بعده من الائمة كان كذلك قوله تعالى واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت
واما العدم عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلوة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم
في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلوة والابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها
متفقة المعنى فمن انواع صلوة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف فرقة
تجاه العدو وتحرس ويصلي بالفرقة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فتحرس
وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم
الصلوة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه
وسلم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت
قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلوته
ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم يسلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي
حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي
لانه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة
الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها
احوط لامر الصلوة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث
انه اذا لم يكونوا في الصلوة كان امكن للحراسة والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة
تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم على صلوتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الامام
الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام
فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها يروى ذلك عن
ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف قال فكبر فصلى
خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا
ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان
فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر النيسابوري سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا
منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف باحدى الطائفتين ركعة

والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاءت الاخرى فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي والشهاب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة وهم في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلوة والمسبوق فيها يقضي كالمنفرد في حكم صلوته المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلوة ما روى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فصففنا صفين رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلوة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومون بالركوع والسجود الى اي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا قضوا ما فاتهم من الصلوة ولصلوة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله اعلم وقوله تعالى **ولا جناح عليكم** اي ولا اثم ولا حرج عليكم **ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين **وخذوا حذركم** يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط كيلا يجترئ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها فبدر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير مني قال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون فيه قوله عز وجل **فاذا قضيتم الصلوة** يعني فاذا فرغتم من صلوة الخوف **فاذكروا الله** يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع اموركم **قياما وقعودا وعلى جنوبكم** فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه وقيل المراد بالذكر الصلوة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح **فاذا اطماننتم** يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمانينة سكون القلب **فاقيموا الصلوة** يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلوة تامة اربعا من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلوة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف **ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من الم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب ابي سفيان واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى **ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون** يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدونه من الوجع والم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون** يعني وتاملون من الله من الثواب في الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها **وكان الله عليما حكيما** يعني انه تعالى لا يامركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة ابن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل **لتحكم بين الناس بما اراك الله** يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه **ولا تكن** يعني يا محمد **للخائنين خصيما** يعني ولا تكن

لأجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له واستغفر الله يعني مما هممت به من
معاقبة اليهود وقيل من جدالك عن طعمة إن الله كان غفورا يعني لذنوب عباده يسترها عليهم ويعفو لهم رحيما
يعني بعباده المؤمنين فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول
صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي
عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قوم طعمة أن يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والأمر الإلهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأن طعمة كذاب وأن اليهودي بريء من السرقة وإنما مال صلى الله عليه وسلم إلى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر
من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم وهم بأن يقضي على اليهودي
بالسرقة فلما أطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف أنه لو وقع ذلك الأمر لكان خطأ في نفسه فأمره الله بالاستغفار منه وإن
كان معذورا الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فإن استغفاره صلى الله
عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته الوجه الرابع أن درجة النبي صلى الله عليه
وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أعلى المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه
التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فإنه ذنب بالنسبة إلى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الأبرار
سيئات المقربين وذلك بالنسبة إلى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون
أنفسهم يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وإنما سماهم
خائنين لأن من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لأنه أوقعها في العذاب وأحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم
غيره إنما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه إن الله لا يحب من كان
خوانا أثيما يعني خوانا بسرقة الدرع أثيما برميه اليهودي وهو بريء وإنما قال تعالى خوانا أثيما على المبالغة لأن الله
تعالى علم من طعمة الإفراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا
على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض
لهم فقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى إذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فأدركوه
فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالة كان كثير الخيانة والإثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة
والإثم قال بعضهم إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات ويروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت
أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أمير المؤمنين فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة قوله
عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون حياء من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحارث وهم قوم طعمة بن أبيرق
ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وإنما فسر
الاستخفاء بالاستحياء على المعنى لأن الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لأنه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للإنسان عن ارتكاب
الذنوب إذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في أذهانهم وأصل التبييت
تدبير الفعل بالليل وذلك أن قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يسمع قول طعمة
ويقبل يمينه لأنه مسلم ولا يسمع قول اليهودي لأنه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فأطلع نبيه صلى الله عليه
وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون محيطا يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أسرار

عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب
لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وقومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم في الظاهر
مسلمين وأصل الجدال شدة الفتل لأن كل واحد من المتخاصمين يريد أن يفتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم
خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحيوة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى
هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة يعني إذا أخذه بعذابه فهو استفهام
بمعنى التوبيخ والتقريع أم من يكون عليهم وكيلا يعني حافظا ومحاميا عنهم من بأس الله إذا أنزل به قوله تعالى ومن يعمل
سوءا أو يظلم نفسه نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي
عامة في كل مسيء ومذنب لأن خصوص السبب لا يمنع من إطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة
من قتادة وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن ذلك يكون في الأكثر إيصالا للضرر إلى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يختص
به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا أي قبيحا أو يظلم نفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما يأثم به
الإنسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما ففي هذه الآية دليل
على حكمين أحدهما أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لأن قوله ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه عم الكل
الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم إنه مقيد بالتوبة لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار
على الذنوب ومن يكسب إثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فإنما يكسبه على نفسه يعني إنما يعود وبال كسبه عليه
والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكأنه تعالى يقول يا أيها الإنسان إن الذي ارتكبته إنما عادت مضرته
عليك فإني منزه عن الضرر والنفع فأكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فإني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت
في طعمة أيضا وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني إذ حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب
عبده عند إقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته أن يتجاوز عن التائب ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة أو
إثما قيل إن الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والإثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة الذنب المختص بفاعله والإثم الذنب
المتعدي إلى الغير وقيل الخطيئة هي سرقة الدرع والإثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به بريئا يعني ثم يقذف بما جناه
بريئا منه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ولم يسرق فإن قلت الخطيئة والإثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت
معناه ثم يرم بأحد هذين المذكورين بريئا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى بأحدهما عن الآخر وقيل إنه يعود الضمير إلى الإثم
وحده لأنه أقرب مذكور وقيل إن الضمير يعود إلى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريئا فقد احتمل بهتانا
البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه وإثما مبينا يعني ذنبا بينا لأنه بكسبه الإثم آثم وبرميه البريء
باهت فقد جمع بين الأمرين قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الآية متعلقة بقصة طعمة
بن أبيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد
بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحي إليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة
منهم يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة أن يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطئوك
في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدفع عن طعمة وذلك لأن قوم طعمة عرفوا أنه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه
وسلم أن يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمي بها اليهودي وما يضلون إلا أنفسهم يعني أن وبال ذلك يرجع
إليهم بسبب تعاونهم على الإثم وشهادتهم له أنه بريء فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك
من شيء يعني أنهم وإن سعوا في إلقائك في الباطل فأنت ما وقعت فيه لأنك بنيت الأمر على ظاهر الحال وما خطر
ببالك أن الأمر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله إدامة العصمة وأنه لا يضره

أحد وأنزل الله عليك الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني القضايا وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك
بالقائك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من أحكام الشرع وأمور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم
وقيل معناه وعلمك من خفيات الأمور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك أحوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من إحسانه ومن عليك بنبوته وعلمك
ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول إضلالك فإن الله هو الذي تولاك بفضله وشملك بإحسانه وكفاك غائلة من
أرادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم على ما حباه من ألطافه وما شمله من فضله
وإحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع
ما يتناجى الناس به والنجوى هو الإسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان أو جهرا ونا جيته ساررته
وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجاء والمعنى لا خير في كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه إلا من أمر بصدقة
يعني إلا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال
الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة وحث عليها أو معروف يعني أو أمر بطاعة الله وما يجيزه
الشرع وأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها أو إصلاح بين الناس يعني الإصلاح بين المتباينين
والمتخاصمين ليتراجعا إلى ما كانا فيه من الألفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وإن
فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين خ عن سهل بن سعد أن أهل قبا اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له
قالت ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث يعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث
المرأة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الأشياء التي ذكر ابتغاء مرضات الله يعني طلب رضاه لأن الإنسان
إذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وإن فعله رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات
الحديث فسوف نؤتيه يعني في الآخرة إذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله أجرا عظيما لا حد له لأن الله سماه
عظيما وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله عز وجل قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول نزلت في طعمة أيضا
وذلك أنه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب إلى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله
عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والإيمان وأصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق
غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى أي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الإسلام وذلك
لأن طعمة كان قد تبين له بما أنزل فيه وأظهر من سرقته ما يدل له على صحة دين الإسلام فعادى الرسول صلى الله عليه
وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم
عليه من الإيمان ويتبع عبادة الأوثان نوله ما تولى أي نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختاره
لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلاء وهو لزوم النار وقت الاستدفاء وساءت
مصيرا يعني وبئس المرجع إلى النار روي أن الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع حجة فقرأ القرآن
ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهي قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لأن اتباع غير سبيل المؤمنين وهو
مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لأن الله تعالى ألحق الوعيد

بمن

بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجة قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به
نزلت في طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله إني شيخ منهمك في الذنوب غير أني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي
جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله فأنزل الله عز وجل
هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بأن الشرك غير مغفور إذا مات صاحبه عليه لأنه قد ثبت أن المشرك
إذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح إيمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني
ما دون الشرك لمن يشاء يعني لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالإيمان والتوبة
علمنا أنه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فإذا مات صاحب الكبيرة والصغيرة
من غير توبة فهو في خطر المشيئة إن شاء غفر له وأدخله الجنة بفضل رحمته وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله إذا مات على شركه فإن قلت لم كررت هذه
الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد أولا لأن الآية المتقدمة نزلت
في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو أن الآيات المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية في سبب
ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل إن يدعون من دونه إلا إناثا نزلت في أهل مكة يعني ما يعبدون
من دون الله إلا إناثا لأن كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي قوله إناثا أقوال أحدها أنهم كانوا يسمون أصنامهم
بأسماء الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بني فلان والقول الثاني
إناثا يعني أمواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة هي إناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن
المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولأن الأنثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي
كما أن الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الأنثى على الجمادات القول الثالث أن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول
هم بنات الله وإن يدعون أي وما يعبدون إلا شيطانا مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه
ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وإن يدعون إلا شيطانا مريدا وقيل هو إبليس لأنه هو أغواهم وأغراهم
على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله أي أبعده الله
وطرده من رحمته وقال يعني إبليس لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه إبليس
فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولأضلنهم
عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة وإلا فليس إليه من الإضلال شيء قال بعضهم لو كان الضلالة إلى إبليس لأضل جميع
الخلق ولأمنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم
إدراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها
على الآخرة ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك أنهم كانوا يشقون أذن الناقة
إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم إبليس أن هذا
قربة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل
تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه وقيل يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية
ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاء وقطع الآذان

حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس خصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاخصاء ويقول ان فيه نماء الخلق اخرجه مالك في الموطا ومعناه في ترك الاخصاء نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير الخلق هو ان الله تعالى خلق البهائم والانعام للركوب والاكل فحرموه على انفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يامره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر فقد خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهي غاية الخسران بقي في الاية سؤالان السؤال الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المؤمنين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الاخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة ... والاكثرون اذا يعد السودد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما اراد وراى الجنة والنار علم ان لهذه اهلا ولهذه اهلا فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم وقال في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يقع منهم هذه الامور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلق لا يؤمنون وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما اراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا مأواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا يعني عن جهنم محيصا يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلود فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف خالدين فيها يعني في الجنات ابدا يعني بلا انتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزى كما يتجزى غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا ومن اصدق من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الامنية افعولة من التمنية والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء اذا وقع في نفسه واراده وفي المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم

فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم ولا لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسيء عمله يوم القيمة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئه ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم وكافر قال ابن عباس هي عامة في حق كل من يعمل سوءا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره واما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله فاقرأنيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجازوا به يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب في اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيمة ولا ناصر فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون باذن الله فليس تمنع احد احدا عن الله وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضها استحق الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة فهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل فوض امره لله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال بعض العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه

اشرف الاعضا فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها تابعة له **واتبع ملة ابراهيم**
يعني دين ابراهيم عليه السلام **حنيفا** يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام
لان ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رايته راكبا قال ابن
عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلوة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ان ظاهر هذه
الاية يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع يستقل
به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة
حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم عليه السلام لانها
داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان
ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعوا الى توحيد الله وعبادته ولهذا اخصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا
يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه
وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى **واتخذ الله
ابراهيم خليلا** يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا
لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق
حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا
خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا وقيل الخليل من الخلة بفتح
الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله
عز وجل وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر حاله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل
على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن
عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس سنة وقحط
فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله بمصر
فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس
من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد
جئنا بميرة فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فاعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار
فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملاء باجود دقيق
يكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم هذا
فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه ملكوت السموات
والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء
في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي ذريته
وقيل ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما دخل عليه
الملائكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت
خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله م عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله **فصل** وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم

خليلا كما اتخذ الله ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله
عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني لما دعى الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين
سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال لما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس
والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظة ما **وكان الله بكل شيء محيطا** يعني عالما علم احاطة وهو العلم
بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل **و
يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن** الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كحة وقد تقدمت قصتهن في اول
السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة
صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته
في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت
فيرثها فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الاية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النساء وحالهن والاستفتاء
طلب الفتوى وهي اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث
النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف تورث
المراة والصغير فاجابهم الله بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شان النساء وحالهن
وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما انزل في كتابه عليكم وقيل
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف
في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم **في يتامى النساء** قيل معناه
في النساء اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النساء الاية نزلت في يتامى ام كحة **اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن** يعني
ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى الصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب
لهن من الصداق **وترغبون ان تنكحوهن** يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل
معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق
وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل
يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في
نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى
من الصداق وقوله تعالى **والمستضعفين من الولدان** يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار
ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم
حقوقهم من الميراث **وان تقوموا لليتامى بالقسط** يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن **وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما** يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى **وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا**

ق عن عائشة في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها
فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي قالت
فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة
وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة اخرى شابة وآثرها عليها وجفى الاولى
فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله
منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت
فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله هذه الآية وان امرأة
خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها
يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من
النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن
المرأة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها ويعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها
وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه
او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة ان يصالحا من المصالحة وقرئ ان يصلحا
بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت
في السن وانا اريد ان اتزوج امرأة شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت
ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج
ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة كان هو المحسن قال ابن
عباس فان صالحته على بعض حقها من القسم والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير
يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت
سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت
فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة واحضرت الانفس الشح
اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى
الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه
اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة
والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا
ظلمها والجور عليها فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس
من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل
يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك
خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه الترمذي وعن ابي داود من كانت
له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل

ويقول

ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى
فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمتعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو
في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها وان تصلحوا
يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون
بعض رحيما يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا يعني ان لم يصطلحا واختارا الفرقة
يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه
يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله
واسعا يعني واسع الفضل والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته
غناه حكيما يعني فيما امر به ونهى عنه فصل فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كان تحته امرأتان
او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء
للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان
في نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة
بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوي
بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا
تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم وقال ابو قلابة لو شئت
لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر حاجة جاز له ان
يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم
يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل
سفر نقلة وجب عليه اخذ نسائه معه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال
اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك
السموات والارض لا تفنى خزائنه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
واصحاب الكتب القديمة واياكم يعني ووصيناكم يا اهل القرآن في كتابكم ان اتقوا الله اي بان تتقوا الله
وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع
الامم السالفة في كتبهم وان تكفروا يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به فان لله ما في السموات وما في الارض
يعني فان لله ملائكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه انه تعالى خالق السموات والارض وما فيهن
ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا يعني
عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم ولله ما في السموات وما في
الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا
فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى
تختص به اما الآية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته
وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء
جميع الخلائق وهو المستغني عنهم واما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض

والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات المطيعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي
وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك
فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما في السموات وما في
الارض وكفى بالله وكيلا اى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تقريبا لما هو موجب
تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل ان يشأ يذهبكم ايها الناس
قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ويأت باخرين بغيركم هو خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى
انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله وكان الله على ذلك قديرا يعني كون الله
على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع
الاشياء قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك
انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيمة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم
شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيمة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني ان الذين يطلبون
باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الاخرة
فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من
اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الاخرة يجزى به ومن اراد بعمله
وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزاء وكان الله سميعا
يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا
بعمله وبمن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله قال السدي
ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله
هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق فهي خطاب لقومه
الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قائمين بالقسط القوام مبالغة في القيام
بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت شهداء لله
يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فتقول الحق في شهادته ولو على انفسكم يعني لو كانت الشهادة على
انفسكم امر الله العباد بان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه
او الوالدين والاقربين يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحم واقاربه والمعنى قولوا
الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغنائه ولا
ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما
يعني منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون اللفظ
يعني فالله اولى بالغني وبالفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا
عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن
ترك متابعة الهوى وان تلووا قرئ بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس لسانه بغير الحق
ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني ويعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا
دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه

التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع احد
الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امور
المسلمين وتضيعوهم او تعرضوا عنهم فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه و
المسيء باساءته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قال ابن عباس نزلت
في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين
بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد
والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى والتورية امنوا بالله
ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية
وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم
امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب
للمؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا في الماضي والحال امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان والكتاب
الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل يعني وامنوا بالقران وبجميع الكتب الذي
انزلها على انبيائه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا
قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم امنوا ثم كفروا
بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجري عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا
يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا
الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك ان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان
مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لم يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم
الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن
ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر
لهم يعني ما اقاموا على الكفر وما توا عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله
قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا
يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم
يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او
غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اى هذا بدل من تحيتك
قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع ثم وصف الله المنافقين فقال تعالى
الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ايبتغون
عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم

واصحابه فان العزة لله جميعا يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المؤمنين في الكتاب يعني في القرآن ان اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة
الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا نزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون
في القرآن ويستهزؤن به في مجالستهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم
ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره يعني حتى يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه
الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة انكم اذا مثلهم يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله
ورضيتم بذلك فانتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر او خالط اهله
كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف
فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة
وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم اجتمعوا في الدنيا على
الاستهزاء بآيات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيمة قوله عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى
ينتظرون بما يحدث بكم من خير او شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين
ألم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وان كان للكافرين نصيب
اي دولة وظفر على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار ألم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة
يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم
على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من صولتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع عنكم المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا
اياكم باخبارهم واسرارهم فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمي ظفر المؤمنين
فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكفار لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب
السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا
ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني الفريقين
فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لا لاجل كرامتهم بل اخر عذابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد
به في القيمة بدليل انه عطف قوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة روي ان رجلا سأل علي بن ابي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيمة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا
والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين
على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية او يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل معناه ان الله
لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيمة ويتفرع على ذلك مسائل من احكام
الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان
الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله بالخداع وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون
له الايمان ويبطنون الكفر وهو خادعهم يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيمة كما يعطى المؤمنون

فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين واذا قاموا الى الصلوة يعني المنافقين قاموا كسالى
يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتعبون بها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون
على تركها عقابا لان الداعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراؤن الناس يعني انهم
لا يقومون الى الصلوة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما
صلى منافق ولا يذكرون الله الا قليلا قال ابن عباس انما قال ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلوة والمعنى انهم لا يصلون
الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين فانهم لا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفوا فعلها مذبذبين
بين ذلك يعني متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين
بالشرك وهو قوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا
من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا الى الهدى ق عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله
كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا
وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره
مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون لما ذم الله عز وجل
المنافقين بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين بقوله لا تتولوا الكفار من دون
اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود
بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا يعني أتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء من دون
المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين محل المنافقين من النار فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة
وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر
في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر او اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار
المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن
الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من
ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه
بالمنافق وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا
نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى الا الذين تابوا يعني من النفاق واصلحوا
يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعني
تمسكوا بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه
بها ولم يريدوا رياء وسمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى فاولئك يعني التائبين
من النفاق مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
يعني في الآخرة قوله تعالى ما يفعل بعذابكم ان شكرتم وآمنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر

المؤمنين صح

الجزء الخامس

المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني فيه تقديم وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر **وكان الله شاكرا** يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضى بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر **عليما** يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** قال اهل المعاني يعني انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان شوتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الاية **وكان الله سميعا** يعني لدعاء المظلوم **عليما** بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى **ان تبدوا خيرا** قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء **او تخفوه** يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هممتم بها ولم تعملوها كتبت له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او دفع الضرر عنهم واليه الاشارة بقوله **او تعفوا عن سوء** فيدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقير جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة **فان الله كان عفوا قديرا** يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيمة لانه اهل التجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قادرا على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل **ان الذين يكفرون بالله ورسله** نزلت في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتورية وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى

وكفروا بمحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين **ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله** يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا** يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يتدينون به **اولئك** يعني من هذه صفته **هم الكافرون حقا** يعني يقينا وانما قال حقا توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم **واعتدنا** يعني وهيانا **للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون فيه **والذين امنوا بالله ورسله** يعني والذين صدقوا بوحدانية الله وبنبوة جميع انبيائه وان جميع ما جاءوا به من عند الله حق وصدق **ولم يفرقوا بين احد منهم** يعني من الرسل بل امنوا بجميعهم وهم المؤمنون **اولئك** يعني من هذه صفته **سوف نؤتيهم اجورهم** يعني جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله **وكان الله غفورا رحيما** يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى **يسئلك اهل الكتاب** يعني يسئلك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما اتى موسى بالتورية وقيل سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان تنزل عليهم كتابا من السماء** مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل عليهم كتابا الى فلان بن فلان يشهد لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال التعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى **وقد سألوا موسى اكبر من ذلك** يعني اعظم من الذي سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال التعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السماء لما امنوا بك وانما اسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من ابائهم الذين كانوا في ايام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت **فقالوا** يعني اسلاف هؤلاء اليهود **ارنا الله جهرة** يعني عيانا والمعنى ارناه نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة **فاخذتهم الصاعقة بظلمهم** يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية **ثم اتخذوا العجل** يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه **من بعد ما جاءتهم البينات** يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة **فعفونا عن ذلك** يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستاصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فاني قد انزلت التورية جملة واحدة على موسى واتيته من المعجزات الباهرات والايات البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان اولئك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا انتم نعف عنكم **واتينا موسى سلطانا مبينا** يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي اعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التورية والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق **وقلنا لهم** يعني والطور مظلهم **ادخلوا الباب سجدا** فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى ما لا يحل لكم وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فتجاوزوا فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل

والكسب في يوم السبت **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا** يعني واخذنا منهم عهدا موكدا شديدا بانهم يعملون بما امرهم الله
به وان ينتهوا عما نهاهم عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** يعني فبنقضهم وما
مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا **وكفرهم بآيات الله** يعني وبجحودهم بآيات الله
الدالة على صدق انبيائه **وقتلهم الانبياء** يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم **بغير حق** يعني بغير
استحقاق لذلك القتل **وقولهم قلوبنا غلف** يعني وبقولهم على قلوبنا اغطية وغشاوة فهي لا تفقه ما تقول جمع
اغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا اليه فرد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليها
بكفرهم** يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه
من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود
قوله تعالى **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد
من غير اب ومنكر قدرة الله تعالى كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما
هو رميهم اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا
السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله**
ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله **وما
قتلوه وما صلبوه** وفي قوله رسول الله قولان احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول
الثاني انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن
رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى **ولكن شبه لهم** يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل
وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب
بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى
عليه السلام فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم
بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه
لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى من يومه ذلك وفي رواية اخرى عن وهب
ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجحد وقال ما انا بصاحبه
فتركوه ثم اخذه اخرون فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى … فلما اصبح اتى احد الحواريين الى اليهود فقال ما تجعلون لي ان دللتكم على
المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه …
وهم يظنون انه عيسى … اعداء الله اليهود ادعوا انهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم
عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من اصحابه انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل
ورفع الله عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب
فاخذوه فقتل وصلب … قال الطبري واولى الاقوال بالصواب … عن وهب …
شبه عيسى عليه السلام … جميع من كان مع عيسى في البيت …
…
من عباده …
وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم وكان

حقيقة

حقيقة ذلك الامر عند الله عز وجل فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم **وان الذين اختلفوا فيه** يعني
في قتل عيسى وهم اليهود **لفي شك منه** يعني من قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي
الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فراوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره
فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليهم رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله شبه عيسى
على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وفقدوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان
كنا قتلنا صاحبنا فاين عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل
وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رايناه قتل وبعضهم يقول رايناه
رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى **ما لهم به من علم** يعني انهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه ولم يعرفوا
حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره **الا اتباع الظن** يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن
علم وحقيقة **وما قتلوه يقينا** قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة
على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله
علما وقتله يقينا يعني علمه علما تاما واصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الاية على هذا لم يكن
علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى
والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه **بل رفعه الله
اليه** يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه
ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى **وكان الله عزيزا**
يعني في اقتداره على من يشاء من عباده **حكيما** يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني
منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم بيطيوس بن اسبيسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة
والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وان من اهل الكتاب** يعني وما من احد
من اهل الكتاب **الا ليؤمنن به** يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول
ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الا ليؤمنن به يعني محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له
لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى
عليه السلام فكان عود الضمير اليه اولى **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال
ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك
الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في الياس حين لا
ينفعه ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاءة فقيل له ارايت ان خر
من فوق بيت قال يتكلم به في الهوى فقيل له ارايت ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي
اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد الله
ورسوله ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله واهل الكتابين يؤمنون به ولكن
حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس
ايضا والمعنى وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في اخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض
لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن

أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا
إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكماً
عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد
وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الأمة ويحكم بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكماً من حكام هذه الأمة وإماماً من أئمتهم لقوله
صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية
يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد إلا الإسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم
فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا إجباره على الإسلام والجواب أن هذا الحكم ليس مستمراً إلى يوم القيمة بل هو مقيد
بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المبين للنسخ وأن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول
الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال إن إيمان أهل الكتاب
بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته قال والذين يبقون يومئذ عند
نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب أهل هذا القول يعني الذين يقولون إن إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان
لا ينكرون أن هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من
أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت إلا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وإن من
أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك
عند الحشرجة حين لا ينفعه إيمانه وقوله تعالى **ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً** يعني يكون عيسى عليه السلام شاهداً على اليهود
أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه رباً وأشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه أنه يكون
شهيداً يوم القيمة أنه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا** يعني فبسبب
ظلم منهم **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم** يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالاً لهم إلا بظلم عظيم ارتكبوه
وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة
وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الأمور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالاً عليهم وهي ما ذكره في سورة الأنعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال الطبري في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم
وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التي
كانت لهم حلالاً عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه وحرمت
أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التورية أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا
أموال الناس ظلماً فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلماً بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم
كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئاً أنتهي إليه فتركته ولقد أنصف الواحدي فيما قال فإن هذه الآية في غاية
الإشكال وبيانه أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها
ذنوب في المستقبل فإن قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت حلالاً
لهم عقوبة لهم على ما سيقع منهم قلت جوابه ما تقدم وهو أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الإمام

فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيراً إجمالياً فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق
والإعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله **وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربوا وقد نهوا
عنه** ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع أنهم قد نهوا عنه وتارة
يحصلونه بطريق الرشى وهو المراد بقوله **وأكلهم أموال الناس بالباطل** فهذه الأربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها
في الدنيا وفي الآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى
وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً قال المفسرون إنما قال منهم لأن الله علم أن قوماً منهم سيؤمنون فيأمنون
من العذاب قوله تعالى **لكن الراسخون في العلم منهم** يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من
أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال الكفار من اليهود والجهال منهم وبين في
هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك و
الاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه أولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله
بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب لأنهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم **والمؤمنون** يعني بالله ورسوله **يؤمنون بما أنزل إليك** يعني بالقرآن الذي أنزل إليك **وما أنزل من
قبلك** يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين هاهنا قولان أحدهما
أنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني أنهم هم المهاجرون والأنصار
من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك ~~يعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل~~
~~إليك~~ يعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك **والمقيمين الصلوة** اختلف العلماء في وجه
نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان أنه غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلوة وقال عثمان بن عفان
إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً وذهبت عامة الصحابة
وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن عثمان وعائشة وأبان بن عثمان
بأن هذا بعيد جداً لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحناً يصلحه
غيرهم فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم قال ابن الأنباري ما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً
ليصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري
في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه
ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة
وشواهده وربما غبي عليه أن السابقين الأولين كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا
في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقاً يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في المقيمين الصلوة أنهم الراسخون
في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وإنما نصب على المدح والمعنى أذكر المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة قالوا
والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته إذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً
ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله وربما أجروا إعراب آخره على إعراب وسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب
واستشهدوا على معنى الآية • لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وآفة الجزر • النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد
الأزر • وهذا على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم المغيثون والقول
الثاني أن المقيمين الصلوة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلوة ~~غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين~~
الصلوة خفض بالعطف على قوله تعالى بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء لأنه لم يكن شرع

احد منهم من اقامة الصلوة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول
واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى **والمؤتون الزكوة** عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم
والمؤمنون بالله واليوم الآخر يعني والمصدقون بوحدانية الله وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب **اولئك** يعني
من هذه الاوصاف صفتهم **سنؤتيهم اجرا عظيما** يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره ثوابا عظيما وهو
الجنة قوله عز وجل **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين** قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم
ان الله انزل على بشر من شيء بعد موسى فانزل هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل
عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الاية وهم اثنى عشر نبيا
والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هؤلاء المذكورين
كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على احد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك
لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل
بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول
من عذبت امته لردهم دعوته واهلك الله اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش
الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم ينقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى
والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال **واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب** وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر **وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمن وآتينا داود زبورا**
يعني وآتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها
حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية
ويقرأ الزبور ويقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء
الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس فيستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف
الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو رأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال الحميدي زاد البرقاني قلت
والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء وانما لم
يذكر موسى عليه السلام في هذه الاية لان الله انزل عليه التورية جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الاية انه لم
ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل**
لما نزلت هذه الاية قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا
الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما رد عليهم قومهم **ورسلا
لم نقصصهم عليك** اي لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الانبياء
يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى **وكلم الله موسى تكليما** يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة
لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر
فلا يقال اراد الحائط يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله تعالى خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال
الفراء العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام
فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار

والاسباط

قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا افهم
حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة فقال يا رب هكذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك
شيء يشبه كلامك قال الرعد واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى
عليه السلام بالتكلم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التورية عليه جملة واحدة لم يكن
قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين** يعني انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب
الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال
الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال
بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى
وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تالفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة
وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى
واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التورية
الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل** يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل
فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك
التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
يدل على ان قبل بعثة الرسل يكون لهم حجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل
والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد
قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق على النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه
وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله وخلقه ومبينون احكام الله التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته
اليهم ق عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة
من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث
المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله **حكيما**
يعني في ارسال الرسل قوله تعالى **لكن الله يشهد بما انزل اليك** قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية
عن ابن عباس قال ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك
في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعني ان يجحدك هؤلاء اليهود يا محمد
وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل
اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزله عليك
وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون

عن معارضته والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك **انزله بعلمه** يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك **والملائكة يشهدون** يعني يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فكذلك الملائكة يشهدون بذلك **وكفى بالله شهيدا** يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل **ان الذين كفروا** يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود **وصدوا عن سبيل الله** يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة **قد ضلوا ضلالا بعيدا** يعني عن طريق الهدى **ان الذين كفروا وظلموا** يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله **ولا ليهديهم طريقا** يعني ينجون فيها من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون **الا طريق جهنم** يعني لكنه تعالى يهديهم الى الطريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك **خالدين فيها** يعني في جهنم **ابدا وكان ذلك على الله يسيرا** يعني هينا قوله تعالى **يا ايها الناس** هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب **قد جاءكم الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **بالحق** يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق **من ربكم** يعني من عند ربكم **فآمنوا خيرا لكم** يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم **فان لله ما في السموات والارض** يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء **وكان الله عليما** يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله **حكيما** يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل **يا اهل الكتاب** نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآيات اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص دس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فبالغوا في التقصير في امره حتى حطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا

عليهم

عليهم جميعا يا اهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم** واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى فلا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته **ولا تقولوا على الله الا الحق** يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوا بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله تعالى من الغلو في دينهم ارشدهم الى الطريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك **وكلمته** هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة **القاها الى مريم** يعني اوصلها الى مريم **وروح منه** يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعض المفسرين ان الله لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل التنكير في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى وروح واي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم ق عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاءوكم به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى **ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم** يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى **انما الله اله واحد** ثم نزه نفسه عن الولد فقال **سبحانه ان يكون له ولد** يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث **له ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه واذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا ان يكون له ولد او زوجة تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام والاعراض **وكفى بالله وكيلا** يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم قوله تعالى **لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله** وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولم يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولم يمتنع ولن يانف المسيح ان يكون عبدا لله **ولا الملائكة المقربون** يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم

في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان المسيح عبد لله فكذلك الملائكة عبيد لله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويانف من التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم يوم القيمة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم يعني فيوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني ينجيهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقي في الاية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك بوجهين احدهما انما حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور المطيعين العاملين لله تعالى قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القران وانما سماه نورا لان به تتبين الاحكام كما تتبين الاشيا بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى فاما الذين امنوا يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة منه يعني فسيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة وفضل يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري ق عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت وفي رواية الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج و

تركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول انزلت هذه في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروي عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سال حذيفة عنها ورجاه ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسالونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سالتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين ولا احد الاولاد وقوله تعالى ان امرؤ هلك يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة ليس له ولد يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد وله اخت يعني ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه فلها نصف ما ترك يعني فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت والباقي في المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتاخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني الاخ اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك اراد اثنتين فصاعدا وهو ان مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر مثل نصيب اثنتين من اخواته الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرايض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها والله بكل شيء عليم يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء ق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان اخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان اخر اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزل بعدها سورة براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره الله عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابو بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدى وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما اخر تفسير سورة النساء والله اعلم بمراده

واسرار كتابه تفسير سورة المائدة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها وان يحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع شهور السنة وانما اكد الاربعة الاشهر الحرم بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوي روى عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** يعني العهود قاله جماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بالوفاء بها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل العقود المذكورة هي التي يتعاقدها الناس فيما بينهم ويتعاقدونها وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى **احلت لكم بهيمة الانعام** وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والضواري والوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى **الا ما يتلى عليكم** يعني

بالعقود قال ابن عباس عهود الايمان وما احل الله وما حرم وما فرض وحد في القرآن

فيما احل وحرم وفرض وحد

ذوات

في القرآن

في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام **غير محلي الصيد وانتم حرم** يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد** يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليله وتحريمه ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعي ابل ولا غنم

ولا بجزار على ظهر وضم ... باتوا نياما وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم ... خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان تطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدي وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شيء كان له حلالا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيدوا وانتم حرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترضت عليكم واجتناب نواهيه التي نهى عنها **ولا الشهر الحرام** اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فيه في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسيء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول الا اني قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسيأتي تفسير النسيء في سورة براءة **ولا الهدي ولا القلائد** الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى ... واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها من اشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدي وخصوصا المقلدات منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شيء من شجر الحرم **ولا آمين البيت الحرام** يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها **يبتغون فضلا من ربهم** يعني يطلبون الرزق والارباح في التجارة **ورضوانا** يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز

ان يوصف بربناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالون ذلك فلا يبعد ان يحصل لهم
بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل
ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى هاهنا الا ان قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام
يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت
الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان
يحج مشرك ولا يامن بالهدي والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ
من سورة المائدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها اية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين
ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مؤمن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك سوى القلائد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب
جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الاية محكمة قال ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته من اهل شريعتنا والشهر
الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام على غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهدين وصدهم عن بلوغ
محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية [illegible]
لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه
وذراعيه بجميع لحاء شجر الحرم لم يكن ذلك له امانا من القتل اذا لم يكن تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا على
منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله
اعلم وقوله تعالى **واذا حللتم** يعني من احرامكم **فاصطادوا** هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد
على المحرم حالة احرامه بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم واباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا
وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس بواجب على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يجرمنكم** قال ابن عباس لا يحملنكم
وقيل معناه ولا يكسبنكم ولا يدعونكم **شنآن قوم** يعني بغض قوم وعداوتهم **ان صدوكم** يعني لان صدوكم
عن المسجد الحرام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد
الحديبية فكان الصد قد تقدم **ان تعتدوا** يعني بالقتل واخذ المال **وتعاونوا على البر والتقوى** يعني ليعن
بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** يعني
ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس
بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك
وكرهت ان يطلع عليه الناس **واتقوا الله** اي واحذروا الله ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما نهاكم عنه
ان الله شديد العقاب يعني لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل **حرمت عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير** لما بين الله تعالى في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام
ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى منه بقوله حرمت عليكم الميتة فكل
ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه
احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد منه ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت العرب

في الجاهلية

في الجاهلية يجعلون الدم في المصارين ويشوونه وياكلونه فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير واراد به جميع اجزائه واعضائه وانما
خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشياء واما استثناء الشارع من
الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك قوله تعالى
وما اهل لغير الله به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسماء اصنامهم
عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **والمنخنقة** قال ابن عباس كان اهل
الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل
دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق **والموقوذة** يعني المقتولة بالخشب
وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصي حتى تموت وياكلونها فحرم الله ذلك **والمتردية** يعني التي تتردى من مكان
عال فتموت او في بئر فتموت والتردي هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها
ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا
يعلم هل مات بالتردي او بالسهم **والنطيحة** يعني التي تنطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية
تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف مؤنث وهي الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية
وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم اثبتت
الهاء في النطيحة مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب
وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها
فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لانك اذا لم تدخل
الهاء لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة
وقال ابن السكيت قد تاتي فعيلة بالهاء وهي في تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة
والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان وقوله تعالى **وما اكل السبع** قال قتادة كان
اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله او اكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان
له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الاية محذوف تقديره
وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع قد نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه **الا ما ذكيتم** يعني الا ما ادركتموه
وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة
في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس
يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما اكل السبع خاصة
والقول هو الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان يوجد له عين تطرف
او ذنب يتحرك فاكله جائز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب
بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يؤيس معه الحيوة فلا ذكاة لذلك وان كان
به حركة ورمق لانه قد صار الى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختيار الزجاج وابن الانباري لان
معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحيوة فيه قبل ذلك والا
فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما
روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر

وساحدتكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان عرقان تقطعان عند الذبح واما آلة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى **وما ذبح على النصب** يعني وحرمت ما ذبح على النصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام **وان تستقسموا بالازلام** يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد عقل اي ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكان اعظم صنم لقريش بمكة وجاؤا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصا والجبت كل ما عبد من دون الله وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفر لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة وقوله تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان المعنى حرم عليكم كذا وكذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم فهو كما يقول اليوم قد كبرت تريد الان قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم تقصد به اليوم قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين **فلا تخشوهم** يعني فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم **واخشون** اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية لي قوله عز وجل **اليوم اكملت لكم دينكم** نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة **ق** عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس انه قرأ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو نزلت هذه الاية علينا لاتخذناها

عيدا

عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اي اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيمة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا يصلح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد التحتم واما في اخر زمان البعثة فانزل شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيمة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيمة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **واتممت عليكم نعمتي** يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين **ورضيت لكم الاسلام دينا** يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذي اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهي نهاية الكمال وانتم اليوم عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيمة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم بالخير حتى يجيء الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى **فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم** هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى ان هذه المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى

الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة
خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لإثم يعني غير مائل إلى إثم أو منحرف إليه والمعنى فمن اضطر إلى أكل الميتة أو إلى
غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لإثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في
مقصده وهو قول فقهاء الحجاز **فإن الله غفور رحيم** يعني لمن أكل الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله تعالى **يسئلونك
ماذا أحل لهم** روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل
فقال قد أذنا لك يا رسول الله قال أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى
انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت
إلى الكلب فقتلته فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين وروي عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد
بن أبي خيثمة وعويم بن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسئلونك ماذا أحل لهم
قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما
نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها ق
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية
ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم
وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول
أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل
كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المآكل ما تلاه سألوه عما أحل لهم **قل أحل لكم الطيبات** يعني قل لهم يا محمد
أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه
نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الجميلة من العرب فإن
أهل البادية منهم من يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الأطعمة وقوله تعالى **وما علمتم من الجوارح
مكلبين** يعني وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولأنهم سألوا
عن الصيد وقيل إن قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى
الكلام من غير إضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي
والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لأنها تجرح الصيد عند
إمساكه وقيل سميت جوارح لأنها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين
اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي
يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وإنما اشتق له هذا الاسم من الكلب لأنه أكثر احتياجا
إلى التعليم من غيرها من الجوارح **تعلمونهن** يعني تعلمون الجوارح الاصطياد **مما علمكم الله** يعني من العلم
الذي علمكم الله ففي هذه الآية دليل على أنه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو أن الرجل يعلم جارحة
الصيد وذلك بأن يوجد فيها أمور منها أنه إذا أرسلت على الصيد استرسلت وإذا زجرت انزجرت وإذا أخذت الصيد

امسكت

أمسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها أن لا تنفر منه إذا أراد وأن تجيبه إذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فإذا وجد ذلك منها
مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فإنه يحل قتيلها إذا جرحت بإرسال صاحبها ق عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت إنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك
إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن
فلا تأكل فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية فإنك لا تدري أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال إذا أصبت بحده
فكل وإذا أصابته بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل وإذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل فإن وقع
في الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيما إذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئا فذهب أكثر أهل العلم إلى تحريمه يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن أبي
وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب إذا أرسلت كلبك و
ذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح إذا أخذ صيدا والمعلم إذا جرح بغير إرسال
صاحبه فأخذ وقتل فإنه لا يحل إلا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل ق عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله إنا بأرض
قوم أهل كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال أما ما ذكرت من آنية
أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه
فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل وقوله تعالى **فكلوا مما
أمسكن عليكم** دخلت من في قوله مما للتبعيض لأنه إنما أحل أكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل
من زائدة فهو كقوله كلوا من ثمره إذا أثمر **واذكروا اسم الله عليه** قال يعني إذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وإن
نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير
في عليه عائدا إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا الله عليه عند إرساله وقيل الضمير عائد إلى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا
الله عليه إذا أدركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا إلى الأكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الأكل فعلى هذا تكون
التسمية شرطا عند إرسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الأكل وسيأتي بيان هذه المسئلة في سورة الأنعام عند قوله ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه **واتقوا الله** يعني واحذروا مخالفة الله فيما أحل لكم وحرم عليكم **واعلموا أن الله سريع
الحساب** يعني إذا حاسب عباده يوم القيمة ففيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل **اليوم أحل لكم
الطيبات** إنما كرر إحلال الطيبات للتأكيد لأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها ويحتمل أن يراد باليوم
اليوم الذي أنزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أو اليوم أكملت لكم
دينكم فيكون الغرض من ذكر هذا الحكم أنه قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فبين أنه كما أكمل الدين وأتم
النعمة فكذلك أتم النعمة بإحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات
في الآية المتقدمة وقوله تعالى **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** يعني وذبائح أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وهم من تنصر من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن أبي طالب قال لا تأكلوا من ذبائح نصارى العرب بني تغلب
فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الشافعي أنه من دخل في دين أهل الكتاب
بعد نزول القرآن فإنه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فإنه
منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري والحكم وحماد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك

واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وساير اهل الشرك من مشركي العرب وعبدة الاصنام
ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ما سوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان
صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه اولى ولان ساير الطعام
لا يختلف من تولاه من كتابي او غيره انما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما
لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطا
عن النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني وذكر
غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل فقد احل الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح اهل الكتاب
مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل
انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى **وطعامكم
حل لهم** يعني ان ذبائحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشرعنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم
فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا وقيل ان
الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها
على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى **والمحصنات من المؤمنات** قال مجاهد هن الحراير فعلى هذا القول لا تحل الامة المؤمنة في هذا
التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول لا يحل
نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل واباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان
يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما
خص المحصنات بالذكر وهن الحراير والعفايف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس
يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفايف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج
بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج
بالامة الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزوج بالذميات
من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان تزوج نايلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج
يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها
ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فاباح الله تعالى المحصنات من اهل
الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم
قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات قال
ابن عباس من نساء اهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله **اذا آتيتموهن اجورهن** يعني مهورهن
وهو العوض الذي يبذله الزوج للمراة **محصنين غير مسافحين** يعني متعففين بالتزوج غير زانين **ولا متخذي اخدان**
يعني ولا منفردين ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحاده حرم الله الجماع على جهة السفاح
وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الاخدان واحله على جهة الاحصان وهو التزوج بعقد صحيح **ومن يكفر بالايمان** يعني
ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد
بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه فقد

خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله
تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما اباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله
قد رضي اعمالنا لم يبح للمؤمنين تزويجنا فانزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل
ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل
من كفر بالله او جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما
احل الله او جحد بشيء مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم **وهو في الآخرة من الخاسرين** اذا مات على ذلك
وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى
الصلوة** يعني اذا اردتم القيام الى الصلوة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت
قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضوء
عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزي عدة صلوات بوضوء
واحد واجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات
القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية اذا قمتم الى الصلوة من
النوم وقيل هو امر ندب من قام الى الصلوة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان لا
وضوء عليه الا اذا قام الى الصلوة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة اخرجه مسلم والقول
الاول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية اربعة الاول غسل الوجه وهو قوله تعالى **فاغسلوا وجوهكم**
واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته ان الوضوء مامور به وكل مامور به يجب ان يكون منويا ولما
روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء
من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان الوضوء مامور به وانه من اعمال الدين لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي
يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال ان النية ليست شرطا لصحة
الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص والزيادة
على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز واجيب عنه بانا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن
وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا ومن
الاذن الى الاذن عرضا لانه ماخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين
واهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة
من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن
فيه قولان احدهما لا يجب وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح فكذلك
حكم الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه ماخوذ من المواجهة فيدخل
جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى **وايديكم الى المرافق** يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق
بالكسر هو من الانسان ما على الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن

مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية
وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في
الوضوء وحجة الجمهور ان حرف الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه
توضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن من
جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى **وامسحوا
برؤوسكم** اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى
عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربعه وفي رواية اخرى عنه انه يجب مسح قدر ثلاث اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح
ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالراس فاخذ مالك بالاحتياط
فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة
ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى
وارجلكم الى الكعبين اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان
ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح
وعن الشعبي انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة
ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال
داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف
القراء في هذا الحرف فقرا نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بنصب اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه
التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم قال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده
بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين
على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف واما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري
وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلوة يعني توضات لطهارة
وهات ما اغتسح به للصلوة يعني اتوضا قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الماء على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار
فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان الا ان مسح الراس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين
لان التحديد انما جاء في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة
على الرؤوس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد ينسق بالشي على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا
ورمحا والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر علفتها تبنا وماء باردا يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الاية
وامسحوا برؤوسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرؤوس في الظاهر اكتفي بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم
الاية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء واما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم
جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشعر
او يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف
العطف فلا يتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والمعنى

واغسلوا ارجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم
هذا قول جمهور العلماء من اهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان
هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما في قوله وايديكم الى المرافق فلما قال
الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور **فصل** قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه
وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على وجوب النية في الوضوء فصارت خمسا
وذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو ان يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكر الله تعالى في هذه الاية فيغسل اولا وجهه
ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على
وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يقع الفعل مرتبا كما
امر الله ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدؤوا بما بدا الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان افعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الا مرتبة كما ورد في نص الاية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة
انه توضا منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال الوضوء كما امر الله ونص عليه في هذه الاية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الاية
ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه توضا الا مرتبا كما ذكرنا وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة **فصل** في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله
ق عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم
غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا
ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه **ق** عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرغ منه على يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم ادخل
يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا
كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر فبدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع
الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي
باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من الكف ياخذ منه ثم غسل وجهه
وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال
من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه
فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا او نقص
فقد اساء وظلم او قال ظلم واساء اخرجه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه
الترمذي وصححه **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار **م** عن جابر
قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع
فتوضا ثم صلى اخرجه مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة
قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء والصلوة اخرجه ابو داود **ق** عن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلوة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى
باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه البخاري عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا

ثلاثًا عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قائل بين يدي يقول التي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جئت آنفًا قال ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ الوضوء او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدًا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيمة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيمة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب له به عشر حسنات اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابو داود ورواه ابن ماجه وقوله تعالى **وان كنتم جنبًا فاطهروا** اي اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او غيره او بالتقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ يغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلوة ثم يدخل اصابعه في الماء يخلل بها اصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده اما قوله **وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** يعني من ضيق مما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء **ولكن يريد ليطهركم** يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب **وليتم نعمته عليكم** يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى **اذكروا نعمة الله عليكم** يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها توجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم والانقياد لامره وهو الله تعالى **وميثاقه الذي واثقكم به** يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به ايها المؤمنون **اذ قلتم سمعنا واطعنا** وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى **واتقوا الله** يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه **ان الله عليم بذات الصدور** يعني انه تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله** قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه **شهداء بالقسط** يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحابي في شهاداتك اهل ودك وقراباتك ولا تمنع شهاداتك اهل بغضك واعدائك بل اقم شهاداتك لهم وعليهم بالصدق والعدل **ولا يجرمنكم شنآن قوم** ولا يحملنكم بغض قوم **على ان لا تعدلوا** على ترك العدل فيهم لعداوتهم **اعدلوا** امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو **هو اقرب للتقوى** اي العدل اقرب للتقوى **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** يعني انه تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى **وعد الله**

الذين

الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما واتقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها **لهم مغفرة واجر عظيم** هذا بيان للوعد كانه لما قدم ذكر الوعد فقيل اي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** يعني والذين جحدوا وحدانية الله تعالى ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده **اولئك** يعني من هذه صفته **اصحاب الجحيم** هذه الآية نص قاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكافرين لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي انعم الله بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وامرهم بالشكر عليها فقال تعالى **اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم** يعني بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها وقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل حين ارادت بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلوة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان اقتل محمدًا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام متقلد بسيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبًا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا والطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلًا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل اراد ان يقترض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فخلى بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدًا اقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فعمد الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعًا الى المدينة وقال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك اصحابي فمن خرج اليك منهم وسالك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو ان يمد الى المبطوش به ليقتله **فكف ايديهم عنكم** يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم **واتقوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم عنه **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** امر الله المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع امورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وجناياتهم وذلك قوله تعالى **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل** لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما ارادوا به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا
بما في التورية من الاحكام والتكاليف **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** اختلف العلما في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين
وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم ذكر القصة في ذلك قال اصحاب الاخبار
والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى
ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة فاني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم
وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقبا وسار ببني
اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقبا يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين
يقال له عوج بن عناق وعناق هي امه وهي احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة
وثلاثون ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين
ذراعا قال وكان يحتجز بالسحاب ويشرب من مايه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الماء لما طبق ما على
الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في سفينتك فقال نوح اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر
بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه قد صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان
فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته واقبل
موسى عليه وهو مصروع فقتله [illegible]
[illegible]
... **وقال الله اني معكم** فيه حذف تقديره وقال للنقبا اني
معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقبا
اولى ثم ابتداء الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل **لئن اقمتم الصلوة** وهذه جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة
امور وهي قوله تعالى لئن اقمتم الصلوة **وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا**
وجزاء الشرط قوله تعالى **لاكفرن عنكم سيئاتكم** فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى **ولادخلنكم جنات تجري
من تحتها الانهار** اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الاية لئن اقمتم الصلوة المكتوبة وآتيتم الزكوة المفروضة وآمنتم
برسلي يعني بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلوة وايتاء الزكوة والايمان ببعض الرسل
فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير
في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله
قرضا حسنا يعني به الصدقات المندوبة لان الزكوة تقدم ذكرها فلا فايدة في تفسير هذا القرض بالزكوة فان قلت كيف قال
واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه
لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم
من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم يعني اذا فعلتم ساير ما امرتكم به لامحون عنكم

سيئاتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار **ومن كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد اخذ العهد والميثاق **فقد
ضل سواء السبيل** يعني فقد اخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى
فبما نقضهم ميثاقهم اي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى
وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه **لعناهم** يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد
عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست
خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق **يحرفون الكلم عن مواضعه** يعني يغيرون حدود التورية واحكامها
وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التورية وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التاويل **ونسوا حظا مما ذكروا
به** يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته **ولا تزال تطلع على خائنة
منهم** قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت **الا قليلا منهم** يعني انهم لم يحرفوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام
واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب **فاعف عنهم واصفح** اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مواخذتهم
وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية التي في سورة براءة قاله
قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الاية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار
وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الاية فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغائر زلاتهم
ما داموا باقين على العهد **ان الله يحب المحسنين** يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن وان الله يحب المحسنين قوله عز وجل
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر الله نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل
النصارى مثل سبيل اليهود في نقض الميثاق وانما قال تعالى من الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم
وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم **فنسوا حظا
مما ذكروا به** يعني فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **فاغرينا** يعني فالقينا واوقعنا **بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة** قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده
القى العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان
المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيمة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل
فرقة منهم تكفر بالاخرى **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** يعني انه تعالى يخبرهم يوم القيمة باعمالهم التي عملوها
في الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى **يا اهل الكتاب** يعني اليهود والنصارى **قد جاءكم رسولنا** يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما
اخفوا وكتموا من احكام التورية والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره
ذلك معجزة له **ويعفو عن كثير** يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة
في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له ايضا فيكون داعيا لهم الى الايمان به
قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل
النور هو الاسلام **وكتاب مبين** يعني القرآن **يهدي به الله** يعني يهدي الله بالكتاب **من اتبع رضوانه** اي
اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه **سبل السلام** قال ابن عباس يريد دين الاسلام لانه دين الله

وهو الاسلام وسبله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف **ويخرجهم من الظلمات الى النور** يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان **باذنه** يعني بتوفيقه وهدايته **ويهديهم الى صراط مستقيم** يعني دين الاسلام قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى **قل** يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة **فمن يملك** يعني يقدر ان يدفع **من الله شيئا** يعني من امر الله شيئا **ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه** يعني يعدم المسيح وامه **ومن في الارض جميعا** ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما تقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيره **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده **يخلق ما يشاء** يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه قوله تعالى **وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه** قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان ابن اضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى بني اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسمعيل فاخرجهم فذلك قوله لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من حدبه وعطفه عليهم كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء لنقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى **قل فلم يعذبكم بذنوبكم** معناه ان كان الامر على ما تزعمون فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما وهل رايتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار **بل انتم بشر ممن خلق** يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني آدم مجزيون بالاساءة والاحسان وقوله تعالى **يغفر لمن يشاء** يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية **ويعذب من يشاء** يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه **واليه المصير** يعني والى الله مرجع العباد في الآخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل** قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود

اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا هذا لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم يعني احكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انما هي خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة سنة واربعون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل فذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا ادري من هو فكان تلك السنين مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول ازمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله عز وجل في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر فذلك قوله عز وجل **ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير** يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت **فقد جاءكم بشير ونذير** يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم** قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه لديهم ومسليا بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل **اذ جعل فيكم انبياء** يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم ان فضلكم بان جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرائيل هم من اولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم الاسباط على قول الاكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده في بني اسرائيل انبياء فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا اشرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم **وجعلكم ملوكا** يعني جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الستا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك **وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين** يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل

المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك
والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله
المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها اكثر عباده **التي كتب الله لكم** يعني كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن
وقيل فرض عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله
فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم الوجه
الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا
دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط
الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله
تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم** يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم به وان فعلتم
خلاف ما امركم الله به **فتنقلبوا خاسرين** يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل **قالوا** يعني قوم
موسى **يا موسى ان فيها** يعني في الارض المقدسة **قوما جبارين** يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم
وسموا اولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم من العمالقة بقية
قوم عاد واصل الجبار في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل انه
ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها
بالجبار من النخل **وانا لن ندخلها** يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها **حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها**
حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم **فانا داخلون** يعني
اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام من خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى
عليه السلام لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين
قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا اخبروا موسى امرهما ان لا تخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا امره ونقضوا
العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنو اسرائيل وفشا
ذلك فيهم رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واموالنا غنيمة
لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف
الى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله تعالى **قال رجلان من الذين
يخافون** يعني يخافون الله ويراقبونه **انعم الله عليهما** يعني بالهداية والوفاء بالعهد **ادخلوا عليهم الباب** يعني قال الرجلان
وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم **فاذا دخلتموه فانكم غالبون** لان الله
وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا
بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم
عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك ارادت بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا ما اخبر الله عنهم بقوله
تعالى **قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا** يعني قال قوم موسى لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا
ما داموا فيها يعني مقيمين فيها **فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون** انما قالوا هذه المقالة لان
مذهب اليهود التجسيم وكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا
هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال
بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التاويل وقال بعضهم

انهم ارادوا بقولهم وربك اخاه هارون لانه كان اكبر من موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الي مما عدل به
اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكان سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك
وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر قوله تعالى **قال** يعني موسى عليه
السلام **رب** اي يا رب **اني لا املك الا نفسي واخي** يعني انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك
الا نفسي ونفس اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي واخي وان كان معه في طاعته يوشع
بن نون وكالب بن يوقنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معنى واخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته
فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** اي افصل
وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لما راى بني اسرائيل وما فعلوه من مخالفة
ما امرهم الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام **فقال** عز وجل
انها محرمة عليهم يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد تحريم تعبد وانما
اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه
البرية اربعين سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما ابناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعني
الارض المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله
تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم **اربعين سنة** فمن قال ان الكلام
تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال اربعين سنة **يتيهون في الارض** واما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها
ابناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها وفتح لهم وقوله تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون
فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ست فراسخ في اثني عشر فرسخا
وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم
في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرائيل ما خلا موسى وهارون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم
واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من
الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في زمان الانبياء غير مستبعد
فان الله على كل شيء قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله حرم عليهم الخروج من تلك
الارض بل امر بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنو اسرائيل
في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشو الثيا
شيء منهم فيكون معه على مقداره وهيئته وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصاه
فيخرج منه اثنا عشر عينا لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز
عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل اريحا ممن قال لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى مات في التيه
ام خرج منه فقيل ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا **قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام** فاما هارون فانه
كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل الى موسى اني متوفي هارون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون
نحو ذلك الجبل فاذا شجرة لم ير مثلها واذا بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه
وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال نم قال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف انا اكفيك

رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد مسه
قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السما وهارون عليه وذهبت الشجرة ورجع موسى الى بني اسرائيل وليس
هارون معه فقال بنوا اسرائيل حسد موسى هارون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا
عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا اليه وهو بين السما والارض فصدقوه ثم رفع
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه صعد موسى وهارون الى الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرائيل لموسى انت قتلته واذوه
فامر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنوا اسرائيل انه مات وبرا الله موسى مما قالوه
ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال
ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبا يوشع بن نون فكان موسى
يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسالك عن شي
مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتديه وتذكره لي ولا يذكر له شيئا فلما راى موسى ذلك كره الحيوة واحب الموت ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد الموت
فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال
ثم الموت قال فالان فسال الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لاريتكم قبره
الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت
ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري قد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث وانكر تصوره
قالوا كيف يجوز على موسى فقا عين ملك الموت واجاب العلما عنه باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة
ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى لم يعلم انه ملك الموت من عند الله وظن
انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه لا انه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر
بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بانه قصد فقا عينه فان قيل كيف
اعترف موسى حين جاءه ثانيا بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى
والله اعلم واما سوال موسى الادنا من الارض المقدسة فلشرفها وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبيا وغيرهم وفيه دليل على
استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلما وانما سال موسى الادنا ولم يسال نفس
بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله اعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر
برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله
لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رايت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله
تحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه عز وجل ثم تنفس اسهل تنفس
فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر
موسى عليه السلام مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع نبيا الى بني اسرائيل
فاخبرهم ان الله تعالى قد امره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق
فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها
وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعوها
وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس ان تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال
للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله وسال الشمس ان تقف والقمر ان يقف حتى ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه

الشمس وزيد لها في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام
وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل
قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله في
القربان معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل
اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلوة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم
احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل
قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فاكلتها زاد في رواية فلم
تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث
قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امراة البضع بضم البا كناية عن فرج المراة ولما يبني بها اي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل
وقوله للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علي قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكورة
هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطي حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس
يوشع بن نون قال القاضي وقد روي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلوة العصر
حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الاسرا حين انتظر
العير حين اخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة ابن اسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن
في جبل افرايم وكان عمره مائة سنة وستة وعشرين سنة وكان تدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي
فتح اريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم
دخلها موسى واقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء اي علماء الاو
بالاخبار ان موسى عليه السلام هو قتل عوج بن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا
عليهم قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فقال الله عز وجل انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه
ندم موسى واتاه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى
واكلوا البقول والتقى موسى وعوج فوثب موسى في السما عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب
عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنوا اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروي
عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقالوا ان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن
اعان الجبارين بالدعا على موسى لانه كان يعلم اسم الله الاعظم فدعا عليه موسى وسترد قصته في سورة الاعراف ان شا الله
تعالى **فلا تاس على القوم الفاسقين** يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على
ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تاس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا
تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل **واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق** يعني اذكر لقومك
واخبرهم خبر ابني ادم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني ادم الذين قربا القربان ما كانا
ابني ادم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من
قتل نفسا بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في اخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض
لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله و
موافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون

رسول الله صلى الله عليه وسلم **إذ قربا قربانا** القربان اسم لما يتقرب به إلى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر أهل العلم بالأخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته إقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته ليوذا في بطن وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم إذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم فلما كبر قابيل وأخوه هابيل فكان بينهما سنتين فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل ليوذا أخت هابيل ويزوج هابيل إقليما أخت قابيل وكانت إقليما أحسن من ليوذا فذكر آدم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال له أبوه آدم إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل وقال إن الله لم يأمرك بهذا وإنما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فأكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكله الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء وأضمر في نفسه ما أبالي أيتقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أحد غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضى الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى **فتقبل من أحدهما** يعني هابيل **ولم يتقبل من الآخر** يعني قابيل فغضب قابيل إذ لم يتقبل قربانه فأضمر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه **قال لأقتلنك قال** هابيل ولم تقتلني قال قابيل لأن الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي **إنما يتقبل الله من المتقين** يعني أن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولا دون الآخر ولأن التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر في قلبه الحسد لأخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل قال إنما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وإنما يتقبل الله من المتقين فأجاب بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه إنما لم يقبل قربانه لأنه لم يكن متقيا وإنما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى إخبارا عن هابيل **لئن بسطت إلي يدك** يعني لئن مددت يدك إلي **لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك** يعني ما أنا بمنتصر لنفسي بل أستسلم لأمر الله وقيل معناه ما كنت بمبتدئك بالقتل وذلك أن الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان كتب عليهم إذا أراد الرجل أن يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل إن المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله وذلك قوله **إني أخاف الله رب العالمين** والمعنى إني أخاف الله في بسط يدي إليك إن بسطتها لقتلك أن يعاقبني على ذلك قوله عز وجل إخبارا عن هابيل **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** يعني ترجع بإثم قتلي إلى إثم معاصيك التي عملتها من قبل فإن قلت كيف قال هابيل إني أريد وإرادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت أجاب ابن الأنباري عن هذا بأن قال إن قابيل قال لأخيه هابيل لأقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت إلي يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي إذا قتلتني ولم يندفع قتلك إياي إلا بقتلي إياك فحينئذ أن يلزمك إثم قتلي إذا قتلتني فكان هذا عند الأمر من هابيل وإلى هذا أشار الزجاج فقال معناه إن قتلتني فأنا مريد ذلك

فهذه

فهذه الإرادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والإنسان إذا تمنى أن يكون إثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه إني أريد أن تبوء بعقاب إثمي وإثمك فحذف المضاف ومن باء بإثم باء بعقابه لأن الإثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة **فتكون من أصحاب النار** يعني الملازمين لها **وذلك جزاء الظالمين** يعني جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما قوله تعالى **فطوعت له نفسه قتل أخيه** يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك أن الإنسان إذا تصور أن قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فإذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه **فقتله** قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى **فأصبح من الخاسرين** قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته أما دنياه فأسخط والديه وبقي بلا أخ وأما آخرته فأسخط ربه وصار إلى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل قوله عز وجل **فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه** قال أصحاب الأخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على الأرض فقصده السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله أن يري قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الأرض يعني يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يواري سوأة أخيه يعني ليري الله أو ليري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب **قال يا ويلتى** أي لزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم أن الغراب أكثر علما منه وعلم أنه إنما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وقلة علمه ومعرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتى وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب **أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب** يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر **فأواري سوأة أخي** يعني فأستر جيفته وعورته عن الأعين **فأصبح من النادمين** يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل إنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وإخوته فندم لأجل ذلك لا لأجل أنه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف وإشفاق من فعله فلأجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت الأرض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل إن آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وإنه رثاه بشعر فقال تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح ويروى عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال شعرا فقد كذب إن محمدا صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني أنت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم

بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى الموخر والموخر الى المقدم فوزن شعرا وزيد فيه ابيات منها وما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح ارى طول الحيوة علي غما فهل انا من حيوتي مستريح
قال الزمخشري ويروى ان آدم رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر
قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت حوا شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيمة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيمة قوله تعالى **من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنا عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوجبنا **على بني اسرائيل** فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في انواع من الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكم ثابت في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان الا ان التشديد المذكور ها هنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم وقوله عز وجل **انه من قتل نفسا** يعني قتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم **او فساد في الارض** هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل

الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نفسا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب مثل ثواب من احيى الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الاية اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا وقوله عز وجل **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** ولقد جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرايع والدلالات الواضحات **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل **في الارض لمسرفون** يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه المجاوزة حد الحق وانما قال تعالى ثم ان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** الاية قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان شاء ان يصلب وان شاء ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الاية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل ان تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو قلابة واي شيء اشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية ابي داود ان قوما من عكل او قال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم من اول النهار فارسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية شرح غريب هذا الحديث وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هي الارض التي فيها زرع وخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة اي انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو في معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض

بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر اعينهم معناه انه حمى مسامير الحديد وكحلها اعينهم حتى ذهب بصرها وقوله ونهى عن المثلة المثلة ان يقطع اطراف الحيوان ويشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع انفه واذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الاية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه بهم وقيل كان ذلك قبل ان تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الاخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان احدهما ان المحاربين لله هم المخالفون امره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف امر انسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون امرهما والقول الثاني معناه يحاربون اولياء الله واولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف **ويسعون في الارض فسادا** يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس واخذ الاموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى **ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض** وللعلماء في لفظة او المذكورة في هذه الاية قولان احدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو ان الامام مخير في امر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى من الارض كما هو ظاهر الاية والقول الثاني ان لفظة او للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول اكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم ياخذوا اما لا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي واصحاب الراي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل اولا ويصلى عليه ثم يصلب وانما جمع بين القتل والصلب اذا قتل واخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الاية فقيل ان الامام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى يقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث والشافعي وقال ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون يعني من هذه الاية وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد اخر فيؤذيهم ثم قال تعالى **ذلك** يعني الذي ذكر في هذه الاية من الحدود **لهم** يعني للمحاربين **خزي في الدنيا** اي عذاب وهوان وفضيحة **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الاية فيهم فاما من اجرى حكم الاية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية ان شاء عذبه بجنايته ثم يدخل الجنة وان شاء عفا عنه وادخله الجنة هذا مذهب اهل السنة وقوله تعالى **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ولرسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم بشيء من العقوبات المذكورة في الاية المتقدمة **فاعلموا ان الله غفور** يعني لمن تاب من الشرك **رحيم** يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله عز وجل في هذه الاية وانه لا يطالب بشيء مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحق جعل الله التوبة للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا امن واصلح وكذلك لو امن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالاجماع واما المسلم المحارب اذا تاب واستامن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشيء الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرد على اهله وهذا مذهب مالك والاوزاعي وروي ان مالكا قال يوخذ بالدم اذا

طالب به وليه فاما ما اصاب من الدماء والاموال ولم يطلبها اولياؤها فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا فتاب من قبل ان يقدر عليه فامنه علي على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى ابي موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة فقال يا ابا موسى هذا مقام العائذ بك انا فلان بن فلان المرادي قد كنت حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل ان يقدر علي فقام ابو موسى وقال هذا فلان المرادي وانه كان قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له احد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال او غيره واما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** اي خافوا الله بترك المنهيات **وابتغوا اليه الوسيلة** يعني واطلبوا اليه القربة بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك المنهيات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لهم اليك وسيلة اي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل **وجاهدوا في سبيله** اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته **لعلكم تفلحون** يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل **ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم** يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيمة لم يقبل منه ذلك الفداء **ولهم عذاب اليم** والمقصود من هذا ان العذاب لازم للكفار وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها اكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول لقد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي ولا احسبه قال ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي **يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها** فيه وجهان احدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم **ولهم عذاب مقيم** يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما** قال ابن السائب نزلت في طعمة بن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه ياخذ الشيء الذي ليس له اخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد بالايدي المذكورة في الاية اليمنى قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع لانه ليس للانسان الا يمين واحد وكل شيء من موحد من اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من رؤوس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى **جزاء بما كسبا** يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم **نكالا من الله** يعني عقوبة من الله **والله عزيز** يعني في انتقامه ممن عصاه **حكيم** يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق **فصل** في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عايشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عايشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ما يساوي

دراهم أخرجه البخاري ومسلم أما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم
أن السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة الثانية اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء إلى أنه ربع دينار فإن سرق ربع دينار أو متاعا
قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبي بكر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد وإسحق إلى أنه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روي عن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة أن قدر النصاب الذي تقطع به اليد
خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روي عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه
النسائي وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا قطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفيان الثوري
وأبو حنيفة لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود فإذا سرق
نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن
القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم وإليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فإن قوله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز المسئلة الثالثة الحرز هو ما جعل للسكنى
وحفظ الأموال كالدور والمضارب والخيم التي تسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من
ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة فإنه ليس بحرز إلا أن يكون عنده من يحفظه وأما نباش القبور فإنه يقطع وهو
قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والأوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه وإن سرق شيئا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس
له أو حيوان في برية ولا راعي له أو متاع في بيت منقطع من البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه
ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون
ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة قوله غير متخذ خبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الإنسان في حضنه
وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله أو سفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابن أبي
حسين المكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فإذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا
رواه مالك منقطعا وهو رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فإن هذه الرواية عن ابن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا إذا سرق
ومنهم من يجعلها المحروسة ومعنى الحديث أنه ليس فيما يحرس في الجبل إذا سرق قطع لأنه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها
الليل قبل أن تصل إلى مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس
على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي المسئلة الرابعة إذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد
يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه المسئلة الخامسة إذا سرق
أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب
أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى فإن سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن
أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق إن سرق فاقطعوا يده
ثم إن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم إلى أنه إن سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس روي عن علي
أنه قال إني أستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة **وأصلح** يعني وأصلح العمل في المستقبل **فإن الله يتوب عليه**
يعني فإن الله يغفر له ويتجاوز عنه **إن الله غفور رحيم** يعني لمن تاب **فصل** وهذه التوبة مقبولة فيما بينه

وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لأن الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم
على تركه في المستقبل عن أبي أمية المخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما إخالك سرقت قال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله
وتب إليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه وإذا
قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده
يجب عليه أن يرده على صاحبه وقطع يده لأن القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمنع أحدهما بالآخر والله أعلم قوله عز وجل
ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها
الإنسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس إن الله له ملك السموات والأرض يعني أن الله مدبر أمر ما في السموات والأرض ومصرفه وخالق من فيهما وما
لا يمتنع عليه شيء مما أراده فيهما لأن ذلك كله في ملكه وإليه أمره **يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء** قال ابن عباس يعذب من يشاء
على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء منهم بالتوبة
عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وإنما قدم التعذيب على المغفرة لأنه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب
الرحمة للمطيع ووجوب العذاب للعاصي لأن الآية دالة على أن التعذيب والرحمة مفوضة إلى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو أنه تعالى أخبر أن
له ملك السموات والأرض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف شاء وأراد لا اعتراض لأحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله **والله على كل شيء قدير**
يعني أنه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد إسعاده واستنقاذه من الهلكة من خلقه لأن الخلق كلهم
عبيده وفي ملكه قوله تعالى **يا أيها الرسول** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله
تعالى عز وجل بيا أيها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما
أنزل إليك من ربك وقوله **لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فإني ناصرك
عليهم وكافيك شرهم **من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** يعني المنافقين لأنهم أظهروا الإيمان بالقول
وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين **ومن الذين هادوا** أي وطائفة من اليهود قال الزجاج هذا يحتمل وجهين أحدهما أن الكلام
تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله **سماعون للكذب** ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني أن الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ
فقال تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى أنهم قابلون للكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم
ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما يقال لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لأجل أن يكذبوا عليك
وذلك أنهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا
عليه وقوله تعالى **سماعون** يعني بني قريظة يعني أنهم جواسيس وعيون **لقوم آخرين** وهم أهل خيبر **لم يأتوك**
يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير إن رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا
وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما فقالوا إن هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم من بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا
رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما فإن أمركم بالحد فاقبلوا منه وإن أمركم
بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير وقالوا لهم إنكم جيران
هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك أن فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه لنا عن قضائه في
ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسعيد
بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية

اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام باية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه لهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التورية
قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لليهود تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا ناشدتك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية
على موسى واخرجكم من مصر وفلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه
فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان ينزل علينا العذاب
ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل
في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزله الله في التورية على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى فقال ابن صوريا كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في
اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجمه
حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان
يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان
الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا وكرهنا ان نغتابك فقال
لهم ابن صوريا انه قد نشدني بالتورية ولولا خشية ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند
باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه الاية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التورية في شان
الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهم يده على
اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم
فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى نحوهما قال اتي النبي صلى الله
عليه وسلم برجل وامراة من اليهود وقد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين فجاؤا بها فقالوا لرجل ممن يرضون يا اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع
يدك فرفع يده فاذا اية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرايته يجانئ وزاد في رواية اخرى
فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما مجلودا فدعاهم
فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذي انزل التورية على موسى هكذا تجدون
حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا
اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا
فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم وقوله وما تجدون في التورية
حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه
في كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي اليه ان الرجم في التورية الموجودة في ايديهم ولم يغيروه كما غيروا اشياء منها

او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم
حين كتموه وقوله تعالى **يحرفون الكلم** يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في التورية وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم
وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر
الحكم لمعرفة السامعين به **من بعد مواضعه** يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه
فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت
نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه انهم
يذكرون التاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد
مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب
ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية
وقوله تعالى **يقولون** يعني اليهود **ان اوتيتم هذا فخذوه** يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه **وان لم تؤتوه
فاحذروا** يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه **ومن يرد الله فتنته** يعني كفره وضلالته
فلن تملك له من الله شيئا يعني فلن تقدر على دفع امر الله فيه **اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** قال ابن عباس
معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الاية دلالة على ان الله لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه
من الشك والشرك ولو فعل ذلك لامن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية **لهم في الدنيا خزي** يعني للمنافقين واليهود اما
خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض
الحجاز الى غيرها **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله عز وجل **سماعون للكذب
اكالون للسحت** نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم
اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة
وهي السحت واصل السحت الاستيصال يقال سحته اذا استاصلته وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستاصل دين المرتشي
والسحت كل حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لاخذه مروءة ويكون في حصوله عار
بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم
اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها
ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله
تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل **فان جاؤك** يعني اليهود **فاحكم بينهم او اعرض عنهم
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا** خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك
قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الاخر قال
ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية لانه كان من بني النضير وقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم
الى محمد فانزل الله هذه يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم **فصل** اختلف علماء التفسير في حكم هذه الاية على قولين
احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض
عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد
وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم ان شاؤا حكموا بينهم وان شاؤا اعرضوا عنهم
وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض

عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر
الدين الرازي وهو مذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا
لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه
الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل
الذمة والله اعلم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط يعني بالعدل والاحتياط ان الله يحب المقسطين
يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله
على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وهذا من احاديث الصفات فمن العلماء
من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله
هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتاويل يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال
القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده
الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة من اليمن وقوله وكلتا يديه يمين منبه على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها
مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم
قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله اعلم قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم
التوراة هذا تعجب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم
مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله
عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه الاية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك
وعندهم التوراة فيها حكم الله يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله ثم يتولون من بعد ذلك يعني ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين يعني اليهود يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك
بالمصدقين لك قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور سبب نزول هذه الاية استفتاء اليهود رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى
محمول على بيان الاحكام والشرايع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوات والمعاد يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء
وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله والعمل بكتابه وهذا على سبيل
المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعداء عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة
والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله
عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى
لان الانبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله منقادين لامره ونهيه للذين هادوا يعني
لليهود يعني يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما
هو في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير على معنى انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون والاحبار اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة ال عمران
واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان وقال الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما
سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به وذلك لانه صاحب كتاب وقال ابو عبيد انما هو حبر بفتح الحاء والحبر العالم الذي يبقى من اثر علومه في قلوب الناس

الحكم

وافعاله

وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب
حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم وهل فرق بين الربانيين والاحبار ام لا فيه خلاف
فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله قدمهم في الذكر على الاحبار
وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الاية يحكم باحكام
التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله يعني بما استودعوا
من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه فلا يضيعوا احكامه وشرايعه وقد اخذ الله على العلماء
حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا
يهملوا شرايعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه وكانوا عليه شهداء يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء
على كتاب الله ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله فلا تخشوا الناس واخشون هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشوني يعني في كتمان ذلك
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يعني ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند
الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه واخذ
الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون يعني ان اليهود لما انكروا حكم الله تعالى
المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت
هذه الثلاث آيات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الايات نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان
المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال
انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الى قوله
الفاسقون هذه الثلاث آيات في اليهود خاصة قريظة والنضير اخرجه ابو داود وقال مجاهد في هذه الايات الثلاث من ترك الحكم
بما انزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم
به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها الانبياء باطل
فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر ونحو هذا ما روي عن عطاء قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة
في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل
هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره واما من خفي عليه النص واخطا في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم
بمراده قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول
وفاقا فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه وغيروه واخبرهم ايضا ان
في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا
قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي انزله في التوراة
قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
والجروح قصاص قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤون العينين بالعين ومعنى الاية ان النفس
تقتل بالنفس تقتل به اذا تكافات الدماء ومذهب الشافعي انه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي ابن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر في الحديث أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **والعين بالعين** يعني تفقؤ بها **والأنف بالأنف** يعني يجدع به **والأذن** يعني تقطع بها **والسن بالسن** يعني تقلع بها وأما سائر الأطراف والأعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى **والجروح قصاص** يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا تعميم بعد التخصيص لأن الله تعالى ذكر النفس والعين والأنف والأذن فخص هذه الأربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذكر والأنثيين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في البطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الأرش والحكومة واعلم أن هذه الآية دالة على أن هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا إلا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكره قال إنها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الأنبياء فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين عنه أنه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الأحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر قيد الوحي وهو الحق وإلا لم يبق للنزاع معنى إذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بعد البعثة بما أوحى الله تعالى إليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الأشاعرة والمعتزلة إلى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الآمدي من المتأخرين واحتج الأولون لصحة مذهبهم أن الإجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية مع أنه من شريعة من تقدم لأنه مذكور في التوراة ومكتوب على بني إسرائيل ولولا أنا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى **فمن تصدق به** يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني **فهو كفارة له** في هاء له قولان أحدهما أن الهاء في له كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك أن المجروح وولي المقتول إذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني أن الضمير في قوله له يعود إلى الجارح والقاتل يعني أن المجني عليه إذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما أن القصاص كفارة له فأما أجر العافي فعلى الله تعالى قوله تعالى **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** يعني لأنفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل قوله تعالى **وقفينا على آثارهم** يعني وعقبنا على آثار الأنبياء الذين أسلموا **بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة** يعني أن عيسى عليه السلام كان مصدقا بأن التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فإن عيسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور** يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة **ومصدقا لما بين يديه من التوراة** هذا ليس بتكرير للأول لأن في الأول الإخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الإخبار بأن الإنجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار **وهدى وموعظة للمتقين** إنما قال وهدى مرة أخرى لأن الإنجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الإنجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والأمثال وإنما خص المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه** قال أهل المعاني في قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الإنجيل فيكون هذا إخبارا عما فرض عليهم في وقت إنزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الإنجيل ثم حذف القول لأن ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الإنجيل فإن قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن قلت إن المراد بهذا الحكم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن ذكره في الإنجيل موجود ووجوب التصديق بنبوته فإذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الإنجيل وقوله **ومن لم يحكم بما أنزل الله**

فأولئك هم الفاسقون يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل قوله عز وجل **وأنزلنا إليك الكتاب** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا إليك يا محمد القرآن **بالحق** يعني بالصدق الذي لا شك فيه أنه من عند الله **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** يعني أنه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه **ومهيمنا عليه** قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان إن الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب يريد أنه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وإنما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لأنه الكتاب الذي لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل وإذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الأمين وإنما كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فإن كان ذلك في القرآن فقد صدقوا وإلا فلا **فاحكم بينهم بما أنزل الله** يعني إذا ترافع أهل الكتاب إليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزله الله إليك **ولا تتبع أهواءهم** يعني ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن **عما جاءك من الحق** يعني لا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لأنه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** الخطاب في قوله منكم للأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين بدليل أن الله عز وجل قال قبل هذه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا إليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والإظهار يقال شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين والمنهاج الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي إلى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا وقال قتادة سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن أبي طالب الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة أو منهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الأنبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات أن كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على أصول الدين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فكل ذلك مما جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال إن شرع من قبلنا لا يلزمنا لأن قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة** يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه **ولكن ليبلوكم** يعني ولكن أراد أن يختبركم **فيما آتاكم** يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف **فاستبقوا الخيرات** هذا خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا أمة محمد بالأعمال الصالحات التي تقربكم إلى الله تعالى **إلى الله مرجعكم جميعا** يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين في الدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** قال ابن عباس إن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فاقض لنا عليهم لنؤمن بك ونصدقك فأبى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانزل الله هذه الآية **وان احكم بينهم بما انزل الله** يعني احكم بينهم يا محمد بما الحكم الذي انزله الله في كتابه **ولا تتبع اهواءهم** يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما نزلتا في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شان رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت في شان الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى **واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك** يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاءوا اليك ان يصرفوك ويصدوك عن حكمك ويكيدوهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما انزل الله اليك في كتابه واتباع اهوائهم **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما انزل الله **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الآخرة **وان كثيرا من الناس لفاسقون** يعني اليهود لانهم تمردوا حكم الله تعالى **افحكم الجاهلية يبغون** يعني افحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلالة والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا وارش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تالو في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون **ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا وانه عدل في احكامه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء** اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم لا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرأ من ولاية اليهود فاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذا اقبل فانزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي وآخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام وآخذ منه امانا فانزل الله هذه الآية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله وبرسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منهم براء **بعضهم اولياء بعض** يعني ان بعض اليهود انصار البعض على المؤمنين وان النصارى كذلك يدا واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم **ومن يتولهم منكم فانه منهم** يعني ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه ورضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله عز وجل وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع عداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه

مات فما تصنع بعده

اذ مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق **يسارعون فيهم** يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار فكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين **يقولون** يعني المنافقين **نخشى ان تصيبنا دائرة** الدائرة من دوائر الدهر كالدولة تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد **فعسى الله ان ياتي بالفتح** قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم **او امر من عنده** يعني انه تعالى يقطع اصل اليهود من ارض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوها بايديهم ورحلوا الى الشام وقوله تعالى **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين** يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود **ويقول الذين امنوا** يعني ويقول الذين امنوا في وقت اظهار الله نفاق المنافقين **اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم** وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى وقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والآن كيف صاروا اعوانا لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة **حبطت اعمالهم** اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود **فاصبحوا خاسرين** يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الآخرة بالحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الاليم المقيم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه** يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وانما يضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في آخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستاتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن يزيد فكفى الله امرهم على يدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى **فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر الصديق واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتدت عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله

بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكوة همّ ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله
فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكوة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم
يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما
ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت
العرب واشرأبّ النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة
وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله تعالى مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر
الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب فهو شر الناس وقال
قوم المراد بقوله تعالى يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم
الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس

[illegible]

اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين

[illegible]

للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل
والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى تدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم
فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم **يجاهدون في سبيل الله**
يعني انهم ينصرون دين الله **ولا يخافون لومة لائم** يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم للدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون
الكفار ويخافون لومهم فبين الله في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين
المخلصين ايمانهم لله تعالى ق عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم **والله واسع عليم** يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى
انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال اتولى الله
ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمؤمنين اولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض

وان ثبته احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويمدحه

فعلى

فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون** صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات
تمييز المؤمنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنون الا انهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلوة والزكوة فوصف الله تعالى
المؤمنين بانهم يقيمون الصلوة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكوة يعني ويؤدون زكوة اموالهم اذا وجبت عليهم
اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان المؤمنين يصلون ويزكون وهم منقادون
خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له
الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت هذه الآية في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد
فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلوة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن ابي
طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا وقوله تعالى **ومن يتول الله ورسوله والذين** آمنوا
يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم **فان حزب الله** يعني
انصار دين الله **هم الغالبون** لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه على رايه وهم القوم الذين يجتمعون
لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا** قال ابن عباس كان
رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني اليهود
والكفار يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب وبين الكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام
اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب **اولياء** يعني لا تتخذوهم اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين
هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم اولياء وانصارا **واتقوا الله ان كنتم مؤمنين** يعني مؤمنين حقا لان المؤمن
يابى موالاة اعداء الله عز وجل قوله تعالى **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا** قال الكلبي كان
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا
يضحكون على طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام
فطارت منها شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك
فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم نسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد
خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر
فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الآية وانزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا **ذلك بانهم قوم
لا يعقلون** يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا **هل تنقمون منا** هل تكرهون
منا او تعيبون علينا **الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل** وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل الكتاب والمعنى
هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وبما انزل الينا وبما انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما قال بعضهم
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال
ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن ابي ازار
واشيع فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الى قوله ونحن له مسلمون الآية
فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا

آمنوا

والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا **وأن أكثركم فاسقون** يعني أنكم إنما كرهتم إيماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بأنا على الحق بسبب فسقكم وإقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الأموال بالباطل وإنما قال أكثركم لأن الله علم أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله قوله عز وجل **قل هل أنبئكم بشر من ذلك** هذا جواب لليهود حين قالوا ما نعرف ديناً شراً من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من إيماننا بالله وبما أنزل علينا **مثوبة عند الله** يعني جزاء فإن قلت المثوبة مختصة بالإحسان لأنها في معنى الثواب فكيف جاءت في الإساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فإن قلت هذا يقتضي أن الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لأنه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم أن الأمر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه أن الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فإن اليهود حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم هب أن الأمر كذلك لكن **من لعنه الله وغضب عليه** ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لأن الغضب إرادة الانتقام من العصاة **وجعل منهم القردة والخنازير** يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس إن المسخين كلاهما في أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل إن مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا إخوان القردة والخنازير وافتضحوا بذلك **وعبد الطاغوت** يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هم الكهان والأحبار وجملته أن كل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت **أولئك** يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين **شر مكاناً** يعني من غيرهم ونسب الشر إلى المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد أن مكانهم سقر ولا مكان أشد شراً منه **وأضل عن سواء السبيل** يعني وأخطأ عن قصد طريق الهدى قوله تعالى **وإذا جاؤوكم قالوا آمنا** قال قتادة نزلت في أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الإيمان وهم في ذلك منافقون فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** يعني أنهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الإيمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج **والله أعلم بما كانوا يكتمون** يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل **وترى كثيراً منهم** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيراً من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل أن هذه الأفعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال تعالى وترى كثيراً منهم **يسارعون** والمسارعة في الشيء المبادرة إليه بسرعة لكن لفظة المسارعة إنما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وتستعمل في الشر في الأغلب وإنما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون **في الإثم والعدوان وأكلهم السحت** لفائدة وهي أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والإثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان وأكل السحت فلما ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الإثم والمعاصي وقيل الإثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشى وما كانوا يأكلونه من غير وجهه **لبئس ما كانوا يعملون** يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم إلى الإثم والعدوان وأكلهم السحت قوله تعالى **لولا** يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ **ينهاهم الربانيون والأحبار** قال الحسن الربانيون علماء أهل الإنجيل والأحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لأنه متصل بذكرهم **عن قولهم الإثم** يعني الكذب **وأكلهم السحت** والمعنى هلا نهى الأحبار والرهبان اليهود عن قولهم الإثم وأكلهم السحت **لبئس ما كانوا يصنعون** يعني الأحبار والرهبان إذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لأن الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها قوله عز وجل **وقالت اليهود يد الله مغلولة** نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس أموالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطا

فنسبوا الله تعالى إلى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم أن الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى إخباراً عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بقدر ما تبر قسمه وذلك قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الأول أصح لقوله ينفق كيف يشاء واعلم أن غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب أن اليد آلة لكل الأعمال لا سيما لدفع المال وإنفاقه وإمساكه فأطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازاً فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** يعني أمسكت أيديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله قال الزجاج فرد الله تعالى عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقال غلت أيديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أي شدت أيديهم إلى أعناقهم وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا أعذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى **بل يداه مبسوطتان** يعني أن الله تعالى جواد كريم **ينفق كيف يشاء** وهذا جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه على الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وإنما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين أن يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الإيمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فإنهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه أحدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة تقول لفلان عندي يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى أولي الأيدي والأبصار فسروه بذي القوى والعقول وتقول لا يد لك بهذا الأمر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح أي يملك ذلك أما الجارحة فمنفية في صفة الله عز وجل لأن العقل دل على أنه يمتنع أن يكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علواً كبيراً فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وها هنا إشكالان أحدهما أن اليد إذا فسرت بأنها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق بإثبات اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان وأجيب عن هذا الإشكال بأن اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان أي ليس الأمر كما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فإن من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه الإشكال الثاني أن اليد إذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بإثبات اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجيب عن هذا الإشكال بأن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل يد واحد من الجنسين أنواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة أجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأن قالوا إن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيده ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لأن جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن أبي الحسن الأشعري قولاً أن اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه وأجيب عن قولهم بأن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لأن الاسم إذا ثني لا يؤدي إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس أيضاً قالوا وخطأ في كلام العرب أن يقال ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لأن الدرهم إذا ثني لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لأن الواحد يؤدي عن الجميع فثبت بهذا البيان قول من قال إن اليد صفة

تعالى تليق بجلاله ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وقوله تعالى **ينفق كيف يشاء** يعني انه يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق عليك وقال يد الله تعالى ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضاً احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى **وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً** يعني كلما انزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم وطغياناً مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه **والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة** يعني القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل القى ذلك بين طوايف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيمة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقاً كالملكية والنسطورية واليعقوبية والماردونية فان قلت فهذا المعنى ايضاً حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيباً على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حدثت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلاً بينهم فحسن جعل ذلك عيباً على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله** يعني كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث عليهم بخت نصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابداً وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكراً في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله وكلما اوقدوا ناراً في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم واطفاء حسدهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه **ويسعون في الارض فساداً** يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك **والله لا يحب المفسدين** يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى **ولو ان اهل الكتاب آمنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به **واتقوا** يعني اليهودية والنصرانية **لكفرنا عنهم سيئاتهم** يعني لمحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله **ولادخلناهم جنات النعيم** يعني مع المسلمين يوم القيمة **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** يعني اقاموا احكامها بحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر اهل الكتاب باقامة التورية والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن وقوله تعالى **وما انزل اليهم من ربهم** فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضاً ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربهم **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** يعني ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على يهوديتهم وكفرهم اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله تعالى انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم المطر واخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم **منهم امة مقتصدة** اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد لان من عرف مقصوده اطلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا **وكثير منهم** يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود **ساء ما يعملون** يعني بئس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** الآية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث

رسوله

رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعاً وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به ويقولون تريد ان نتخذك حناناً كما اتخذ النصارى عيسى حناناً فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الآية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سال عنه اليهود ومعنى الآية يا ايها الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك مجاهراً به ولا تراقبن احداً ولا تتركن شيئاً مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيئاً من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى **وان لم تفعل فما بلغت رسالته** وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئاً مما انزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئاً مما اوحي اليه روى مسروق عن عايشة قالت ومن حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما انزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى **والله يعصمك من الناس** يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا معه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط على سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي من يمنعك مني فقلت الله ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحارث ق عن عايشة قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلاً صالحاً من اصحابي يحرسني الليلة فقالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلاً حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المايدة من آخر القرآن نزولاً وقوله **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء** يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرضي عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التورية وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا بريء من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شيء **حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** الآية وقد تقدم معنى اقامة التورية والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم **وليزيدن كثيراً**

منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين يعني فلا تحزن
يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فإنما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى لما بين الله عز وجل أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية أن هذا الحكم عام في كل أهل
الملل وأنه لا يحصل لأحد منهم فضيلة ولا منقبة إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الإيمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم لأنه لا يتم الإيمان إلا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون فظاهر الإعراب يقتضي أن يقال والصابئين
وكذلك قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وقراءة الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه أنه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل
إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبر
والفائدة في ذكر عطفهم على من قبلهم هي أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق إذا آمنوا
بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فإنهم إذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وإنما سموا صابئين لأنهم صبئوا عن الأديان كلها بمعنى
خرجوا لأنهم صبئوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله فإن قلت قد قال تعالى في أول الآية إن الذين آمنوا
ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته أن المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون أنهم مؤمنون ففي هذا التكرار إخراجهم
من قبيل المؤمنين فيكون معنى إن الذين آمنوا بألسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على إيمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة
أخرى وهي أن الإيمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على أشرف أقسام الإيمان وهذان القسمان
وفي قوله من آمن بالله حذف تقديره من آمن بالله واليوم الآخر منهم وإنما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل
صالحا يعني وضم إلى إيمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني في الآخرة
قوله عز وجل لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل يعني أخذنا العهود عليهم في التوراة بأن يعملوا بما أمروا به من التوحيد والعمل بما
أمرهم به والانتهاء عما نهاهم عنه وأرسلنا إليهم رسلا يعني لبيان الشرائع والأحكام كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى أنفسهم يعني بما يخالف أهواءهم ومرادهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع فريقا كذبوا يعني من الرسل
الذين جاءتهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل وكان ممن كذبوه عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان ممن قتلوه زكريا ويحيى عليهما
السلام وإنما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجرأة على الله عز وجل [illegible] قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هؤلاء الذين
كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء ألا تكون فتنة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم تاب الله عليهم [illegible]
لأنهم كذبوهم وقتلوا زكريا ويحيى وقيل إن العمى والصمم الأول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا
يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لأن بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام
وأصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح
ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الإخبار عن كفر النصارى
وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكية من النصارى
لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلها لأنهم يقولون إن الإله حل في ذات عيسى واتحد به فصار إلها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال
المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان قال المسيح هذا لبني إسرائيل عند مبعثه إليهم وهذا تنبيه على

ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لأنه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية وأقر لله بالربوبية وأن دلائل الحدوث ظاهرة عليه
إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني أنه من يجعل لله شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني إذا مات على شركه و
مأواه النار يعني وأنه يصير إلى النار في الآخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك من أنصار يعني ما لهم
من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية
من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول المفسرين أنهم أرادوا بهذه المقالة أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وأن الإلهية
مشتركة بينهم وأن كل واحد منهم إله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة
فيه إضمار تقديره إن الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به أنه
ثالث ثلاثة آلهة لأنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون
جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا
بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط
الماء باللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة
لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي حكى الله عنهم
في قوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وإن لم يصرحوا بأنه واحد من الأقانيم إله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم
بعد هذا هو إله واحد فيه مناقضة لما قالوه أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عز وجل عليهم فقال تعالى وما من إله إلا
إله واحد يعني أنه ليس في الوجود إلا إله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له لا إله إلا الله
تعالى وإن لم ينتهوا عما يقولون يعني وإن لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم
يعني ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس بمرضي عذاب وجيع في الآخرة وإنما قال تعالى منهم لعلمه السابق
أن من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سائر النصارى إلى التوبة من هذه المقالة الخبيثة
فقال تعالى أفلا يتوبون إلى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الأمر أي توبوا إلى الله
واستغفروه من هذا الذنب العظيم فإنه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب إليه رحيم به وبسائر خلقه
قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني أن المسيح رسول من الله عز وجل ليس بإله كما أن الرسل الذين كانوا
من قبله لم يكونوا آلهة وأتى عيسى عليه السلام بالمعجزات على صدقه كما أتى الذين قبله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأمه صديقة يعني
أنها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لأنها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا يأكلان الطعام فيه احتجاج
على فساد قول النصارى بإلهية المسيح يعني أن المسيح وأمه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون إلها
من يحتاج إلى الطعام ولا يعيش إلا به وقيل معناه أنه لو كان إلها كما تزعمون لدفع عن نفسه وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك أن من
أكل وشرب فلا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون إلها وبالجملة فإن فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج إلى إقامة
دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي انظر يا محمد كيف نبين لهم الآيات يعني الدالة على
بطلان قولهم ثم انظر أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى قل أتعبدون من دون الله الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع أن
يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الأبدان وسعة الأرزاق
فإن الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون إلها والله هو السميع العليم يعني
أنه تعالى سميع لأقوالكم وكفركم عليم بما في ضمائركم قوله عز وجل قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك

الدالة صح

ألم الجوع وألم العطش صح

ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذموم في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك
انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير
في حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلو النصارى فبمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا ذمه
وقال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال يحب الخير ويريده والخطاب في قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم
لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد
بقوله اهواء قوم ضلوا فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على ضلالتهم او اهوائهم وضلوا
عن سواء السبيل يعني واخطأوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر
المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا
قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف وعيسى بن مريم يعني وعلى لسان عيسى بن مريم وهم كفار اصحاب المائدة لما اكلوا منها
وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا
يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من اولاد الانبياء فاخبر الله تعالى بانهم ملعونون على لسان الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله
عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية
والاعتداء فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اذ لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر وقيل معناه لا ينتهون عن
منكر فعلوه ولا عن الاصرار فيه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم اي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب
المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول
يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك
ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله
لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم او لتأطرنه على الحق اطرا او ليقتصرن على الحق قصرا وزاد في رواية او
ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم
على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم
على الحق اطرا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله اكيله وشريبه هو المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطر
العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر الحبس على الشيء قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود
مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل
لمعادهم في الآخرة ان سخط الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون يعني في الآخرة ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة
الخلق وما انزل اليه يعني ويؤمنون بالقرآن الذي انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا
من دون المؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من
سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم
تقديره والله يا محمد انك لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم

الى الحق

الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق وقال بعضهم مذهب اليهود بانه يجب عليهم
ايصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع من المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف
اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة
ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك
فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين و
رهبانا وانهم لا يستكبرون ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن من
النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم
وهذا مما وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم
سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم في مقابلة ذم اليهود ووصفهم
بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به واتبعوه فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر
اليهود واقبح لان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فيقرون ببعض النبيين ويكفرون
ببعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة
عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت
في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية قال ابن عباس وغيره
من المفسرين في قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم
فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد
امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا
فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله
بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد
وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا
الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة
الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء
والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال
له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من اصحابه ليفسدوا عليك قومك
فاحببنا ان نأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا
نستأذن لاولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك
انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة
فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها
الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا
العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤوا فقرأ جعفر سورة مريم وهنالك

قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني انتم آمنون فرجع عمرو وصاحبه
خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداءه
وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان
وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة تخبرها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد خطبها فسرت بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه
وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي وانفذ اليها بجميع الصداق على يد جاريته
ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك امرني ان لا آخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك
وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم وقالت قد امر الملك نساءه ان يبعثن
اليك بما عندهن من دهن وعود فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي فقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام
وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذلك الفحل لا يقدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج
جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ارهى في ستين رجلا من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صادقا
مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابني ارهى وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام
عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر
ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله
عز وجل فيهم هذه الآية ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون
وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين اربعين من نصارى نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
روميين من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول**
يعني واذا سمعوا القرآن الذي انزل الى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **ترى اعينهم تفيض من الدمع** [illegible]
مما عرفوا من الحق [illegible]
عليه وسلم [illegible] **يقولون ربنا آمنا** يعني صدقنا بالقرآن
فاكتبنا مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار

بمجرد

بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب والقول اذا
اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألوا يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين **خالدين فيها**
يعني في الجنات **وذلك جزاء المحسنين** يعني المؤمنين الموحدين المخلصين في ايمانهم **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** لما
ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا
الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا **اولئك اصحاب الجحيم** قوله عز وجل **يا ايها**
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق
الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو
وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبوا و
يلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء ولا
الطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته احق ما بلغني عن زوجك
واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم
اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست آمركم ان تكونوا
قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني لذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب
اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان تجتنب
الطيبات المباحات فان اعتقد تحريم شيء احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعبادته
من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى **ولا تعتدوا** يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام
وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات **ان الله لا يحب المعتدين**
يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** يعني وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله
الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا وانما فاما الجامد
كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا
تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع
وكانت تعجبه فنهس منها قالت عائشة ما كان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه
الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي ايضا وقوله تعالى **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** هذا تأكيد للوصية
بما امر الله به وزاد تأكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الآية
دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق

العبد وجب أن لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وأن يعول على ما وعد الله وتكفل به فإنه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد والله أعلم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الأيمان في سورة البقرة قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم وفي الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف لأنه معلوم عند السامع فكفارته يعني فكفارة أيمانكم التي عقدتموها إذا حلفتم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم يعني من أقصد ذلك لأن من الناس من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر عليهم فأمر الله بالعدل في أداء الكفارة وقيل أراد بالأوسط في القيمة فلا يكون غاليا من أغلى الموجود ولا خسيس الثمن من أردى الموجود بل الوسط في القيمة وقيل أراد بالأوسط الأفضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله تعالى أوسط فهو أفضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله أو كسوتهم هو معطوف على محل أوسط أي كما تطعمون المساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم فكذلك فاكسوهم من أوسط الكسوة أو تحرير رقبة يعني عتق رقبة والمراد بها جملة الشخص فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسألة الأولى في بيان الكفارة وهي أربعة أنواع النوع الأول من الكفارات الإطعام فيجب إطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم إلى أنه يطعم كل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن وإليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة أنه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة إن أطعم من الحنطة فنصف صاع وإن أطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الإطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم وغداهم لم يجزئه وقال أبو حنيفة يجزئه ذلك ولا يجوز إخراج القيمة في الكفارة كالدراهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا إخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب إخراج الحب وجوزه أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل إلى مسكين واحد في عشرة أيام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم إلى أنه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس وإليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا وخمارا وقال أحمد للرجل ثوبا وللمرأة ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ما يجزئ في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وإزار ورداء وقال أبو موسى الأشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال إبراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب إعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثوري إعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلا كفارة القتل لأن الله قيد الرقبة فيه بالإيمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي أن المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز إعتاق المرتد في الكفارة بالإجماع ويشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق في الكفارة مكاتبا أو أم ولد أو عبدا اشتراه بشرط العتق أو اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزئ في إعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة إذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزئ مقطوع اليد أو الرجل ولا الأعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الأعور والأصم ومقطوع الأذنين والأنف لأن هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند أبي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فجوز عتق مقطوع إحدى اليدين ولم يجوز عتق مقطوع الأذنين في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام ثلاثة أيام يعني فإذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الإطعام أو الكسوة أو العتق وجب صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعني فعليه صيام ثلاثة أيام

قال

قال الشافعي إذا كان عنده قوته وقوت عياله ليومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالإطعام وإن لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام إذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن إذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما أنه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وأصح قولي الشافعي والقول الثاني أنه لا يجب التتابع في كفارة اليمين فإن شاء تابع وإن شاء فرق والتتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهو القول الثاني للشافعي المسألة الثانية كلمة أو للتخيير بين الإطعام والكسوة والعتق فإن شاء أطعم وإن شاء كسا وإن شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة المسألة الثالثة لا يجوز صرف شيء من الكفارات إلا إلى مسلم حر محتاج فلو صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لا يجزئه وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز المسألة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم إلى جوازه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير أخرجه الترمذي ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أتتك عن مسألة وكلت إليها وإن أتتك عن غير مسألة أعنت عليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين وإليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي إلا أن الشافعي قال إن كفر بالصوم قبل الحنث فإنه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من الإطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم عند العجز كفارة أيمانكم إذا حلفتم يعني وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بمجرد اليمين إنما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه إشارة إلى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا أيمانكم يعني قللوا أيمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الألايا حافظ ليمينه وصفه بأنه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث إذا حلفتم لئلا تحتاجوا إلى التكفير وهذا إذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن حلف على ذلك فلا فضل بل الأولى أن يحنث نفسه ويكفر لما روي عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته يعني كما بين لكم كفارة أيمانكم إذا حنثتم كذلك يبين لكم جميع ما تحتاجون إليه في أمر دينكم لعلكم تشكرون يعني نعمه التي أنعم بها عليكم أن بين لكم آياته ومعالم شريعته قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا وكانت الخمر والميسر مما يستطابا عندهم فبين الله في هذه الآية أن الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كلما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والأنصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والأزلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك كله والرجس في اللغة الشيء المستقذر وهو المستقذر من عمل الشيطان يعني من تزيينه وإغوائه ودعائه إياكم إليها وليس المراد أنها من عمل يديه فاجتنبوه يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد إلى الرجس لأنه اسم جامع للكل كأنه قال إن هذه الأربعة الأشياء كلها رجس فاجتنبوه لعلكم تفلحون يعني لكي تدركوا الفلاح إذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروي عن أبي ميسرة أن عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير الآية فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في المائدة إنما يريد الشيطان

ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية ابي ميسرة هذه اصح واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا فشربنا وذلك قبل ان تحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار فشربوا حتى اذا ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقداح وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر والميسر واما العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فورث ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وقدم فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة** لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلوة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلوة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتاكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر لاجرم افردهما بالذكر في اخر الآية والله اعلم وقوله تعالى **فهل انتم منتهون** لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما كنتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما ثم قال في اخر الآية فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلوة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود وقوله عز وجل **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه **واحذروا** يعني واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه **فان توليتم** يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله ارايت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما

شربوا

شربوا من الخمر واكلوا من القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتيبة يقال لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا النقاخ الماء والبرد النوم **اذا ما اتقوا** يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم عليهم **وامنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من عمل الصالحات **ثم اتقوا وامنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه ثم قال تعالى **والله يحب المحسنين** يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها م عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد** نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله تعالى هذه الآية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون صيد البحر وقيل اراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وقيل ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى **تناله ايديكم** يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد **ورماحكم** يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا اتناولوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه **ليعلم الله** اي ليرى الله لانه قد علمه فهو مجاز لانه عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله **من يخافه بالغيب** يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حال الاحرام شيئا **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي **فله عذاب اليم** يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمي الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال ابو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليهما جميع ما لا يوكل لحمه وقال لان الحديث يشتمل على الحيات بعضها

سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا تدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل
يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الرأي الى وجوب الجزا في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب
فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى **ومن قتله منكم متعمدا** قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه
الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزا عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزا وان تعمد
القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا قتل الصيد خطاء بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزا وهذا مذهب جمهور
المفسرين والفقها قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب الجزا وقال سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء
شيئا وهذا قول شاذ لا يؤخذ به **فجزاء مثل ما قتل من النعم** يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة
اي بالخلقة ام بالقيمة فالذي عليه جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك وما لا
مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا الانواع
فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في ساير الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب
عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعي
ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي
لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث
الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمام وكل ما عب وهدر
كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما
حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى **يحكم به
ذوا عدل منكم** يعني يحكم بالجزا في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه
الاشياء من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسأل ابو بكر ابي بن
كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت
صاحبي فاذا اتفقنا على شيء امرناك به وقوله تعالى **هديا بالغ الكعبة** يعني ان الكفارة هديا تساق الى الكعبة وسميت الكعبة
كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاصقا لها انما يقع في الحرم
وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل
الهدي الكعبة **او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما** ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الآية
للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين
ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على
مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين
واصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث
شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه
الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة
التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال اذا لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به
فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة
لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل
نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقها يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال

الشعبي

الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره** يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل
الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزا ثقيل على النفس لانه فيه تنقيص المال وهو ثقيل
على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لانه فيه انهاك البدن **عفا الله عما سلف** يعني قبل التحريم **ومن عاد** يعني الى قتل
الصيد مرة ثانية **فينتقم الله منه** يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزا في المرة
الثانية والثالثة فاذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزا وهذا قول جمهور العلما وقد روي عن ابن عباس والنخعي وابي داود الظاهري
انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزا عليه لان الله وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتلت قبله شيئا
من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه
ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف **والله عزيز ذو انتقام**
يعني ممن عصاه واذا اتلف المحرم شيئا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقومه ثم يشتري
بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما وقوله تعالى **احل لكم صيد البحر وطعامه** المراد بالصيد
ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل
يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيده الطري وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف
اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين
ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البحر والبر
كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله
للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة
تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح
قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير في البر يؤكل فيؤكل نظيره من
حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره من البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله وقوله تعالى **متاعا لكم وللسيارة**
يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** ذكر الله عز وجل
تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم
واختلف العلما هل يجوز للمحرم ان يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس
واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء
او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين
وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا اشار اليه ولا اعان عليه وهذا قول
عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الرأي ويدل عليه ما روي
عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلي فلم يؤذنوني واحبوا
لو اني ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح فقالوا
لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلونه
ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن ذلك فقال

هل معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فأكلها وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله
وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي
من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه
انما صيد لاجله والمحرم لا يأكل ما صيد لاجله **واتقوا الله** يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله **الذي اليه تحشرون** يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل **جعل الله الكعبة البيت الحرام** جعل بمعنى صير وقيل معناه بين
وحكم قال مجاهد سمي البيت الكعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم
ان يصاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم صح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب
يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده
ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى **قياما للناس** اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس
في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويأمنون
فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الآخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت
تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه
الاشياء كانت سببا لقيام الناس **والشهر الحرام** يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم
على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها وكانوا يأمنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس
والهدي والقلائد يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يأمنون بسوق الهدي الى البيت
الحرام على انفسهم بذلك وكذلك كانوا يأمنون اذا قلدوا انفسهم من لحي شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد **ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة والبيت الحرام والهدي والقلائد
يأمنون بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى
وان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية **اعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن انتهك
محارمه واستحلها **وان الله غفور رحيم** يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب
لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى **ما على الرسول الا البلاغ**
يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا التبليغ بتبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله
وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا **قل لا يستوي الخبيث والطيب**
يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الرديء والجيد ولا المسلم ولا الكافر ولا الصالح ولا الطالح **ولو اعجبك كثرة الخبيث** يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا
وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم قال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله
ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب
وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج ابني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة **فاتقوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم
عنه ولا تعتدوه **يا اولي الالباب** يعني يا ذوي العقول السليمة **لعلكم تفلحون** قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم** اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروي عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت
مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين

فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسألني عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن
شيء الا اخبرتكم ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال ابوك حذافة ثم اكثر
ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا
الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت قط بابن اعق
منك أامنت ان تكون امك قارفت بعض ما يقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته
زاد في رواية قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين **خ** عن ابن عباس قال
كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **م** عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
وانما اهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى
مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن اشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا
وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء جمع شيء ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني ان امرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر
عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يأمن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير ابيه فيفتضح ويسوءه ذلك **وان تسألوا عنها حين
ينزل القرآن تبد لكم** معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم
اليه فاذا سألتم عنه فحينئذ تبد لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدة
هؤلاء دليل على عدة التي ليست بذات قرء ولا حامل فسألوا عنها فانزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض الآية **عفا الله عنها** يعني عن مسألتكم عن الاشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم
عليها **والله غفور** يعني لمن تاب منكم **حليم** فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ
آمنتم وصدقتم قال بعض العلماء الاشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليه امر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك
فلا يجوز السؤال عنه **ق** عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء
لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسألته **ق** عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل
وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو داود الاغلوطات صعاب
المسائل التي تزل فيها اقدام العلماء ويؤيد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل كي يغلطوا بها العلماء وعن سلمان
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه
فلا تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها
وحرم اشياء فلا تنتهكوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب
الستة ثم قال تعالى **قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين** قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها
فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها
كانه تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم شيئا فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك قوله تعالى

ما جعل الله أي ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته إذا شق أذنها
فهي فعيلة بمعنى مفعولة ولا سائبة يعني المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية إذا ولدت ذكرًا
وأنثى قالوا وصلت أخاها ولا حام والحام هو الفحل من الإبل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة
هي الناقة إذا ولدت ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرًا نحروه وأكله الرجال والنساء
وإن كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فإذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل
كانت الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة سنة إناثًا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى
شقوا أذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما فعل بأمها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا
مرض أو غاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله أو شفا مريضي أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها
أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرًا ذبحوه وأكل منه الرجال
والنساء وإن كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ولدت ذكرًا وأنثى قالوا وصلت أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الأنثى
والحام هو الفحل إذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا
مرعى فإذا مات أكله الرجال والنساء ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة
كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء وقال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
ولمسلم قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا ورأيت عمروًا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب
القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الأمعاء كان أهل الجاهلية تفعل هذه في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم
أبطل ذلك كله بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا
حمى من حام ولا أذن فيه ولا أمر به ولكنكم أنتم فعلتم ذلك من عند أنفسكم خ عن ابن مسعود أن أهل الإسلام لا يسيبون وإن أهل الجاهلية
كانوا يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم إن الله أمرنا بها وأكثرهم لا يعقلون
أراد بالأكثر الأتباع يعني أن الأتباع لا تعقل أن هذا كذب وافتراء من الرؤسا على الله عز وجل وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله
وإلى الرسول يعني وإذا قيل لهؤلاء الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الأشيا ويضيفونها إلى الله كذبًا عليه تعالوا إلى ما أنزل الله يعني في كتابه
وإلى الرسول يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه إلى الله ويبين لكم الشرائع والأحكام وأن الذي
تفعلونه ليس بشيء قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا يعني قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله تعالى ردًا
عليهم أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون يعني إنما يصح الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة
والبرهان والدليل وإن آباءهم ما كانوا كذلك فلا يصح اقتداؤهم بهم قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل إذا اهتديتم قال بعض العلما هذا أمر من الله ومعناه احفظوا أنفسكم من ملابسة الذنوب والإصرار على المعاصي لأنك إذا قلت
عليك زيدًا وقيل معناه عليكم أنفسكم فأصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم
من ضل إذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر إذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد
نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبل
من أهل الكتاب قال بعض الكفار كيف يقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل إن المؤمنين كانوا يشتد عليهم بقاء الكفار على
كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم فاجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم أنتم مهتدين فإن قلت هل يدل
ظاهر هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه أكثر الناس أن المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذًا
بذنوب العاصي فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة ق عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق أنه

قال أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الناس إذا رأوا ظالمًا فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه
ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية عليكم أنفسكم إذا
أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم
أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه
آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيمة وهي ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا
شيعًا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وألبستم شيعًا وذاق بعضكم بأس
بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل إذا اهتديتم فقال ابن عمر إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود
وأنتم الغائب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم وعن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني
فقلت له كيف تصنع بهذه الآية قال أية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال أما والله لقد
سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى
متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على
الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين منكم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في معنى
الآية إن العبد إذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل أو هلك قال ابن عباس في قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم
يقول إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب
من أصحاب الأهواء فذكر شيئًا من أمره فقال له صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لا
يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب إذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أهل الكتاب وقال ابن زيد
كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا في هذه الآية ما روي عن أبي بكر
الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء ما لزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم لأن الله تعالى يقول وتعاونوا على
البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن
المبارك هذه الآية أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي لأن الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم بأن يعظ بعضكم بعضًا
بأن يرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذي يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر
بأن نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم وقوله تعالى إلى الله مرجعكم جميعًا
يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي فينبئكم بما كنتم تعملون يعني فيخبركم بأعمالكم ويجزيكم عليها قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري بن بدا خرجا من المدينة في تجارة
إلى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلمًا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابًا فيه جميع ما معه من المتاع
وألقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله إذا رجعا إلى المدينة
ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه إناء من فضة منقوشًا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه ثم إنهما قضيا حاجتهما وانصرفا
إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل الميت ففتشوا فأصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء أهل الميت إلى تميم وعدي فقالوا هل
باع صاحبنا شيئًا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق على نفسه شيئًا قالا لا فقالوا إنا وجدنا

في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اناء من فضة مموهاً بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا
ان ندفعه اليكم فدفعنا وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله تعالى هذه الاية هذا
قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال برئ الناس منها
غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال
له بديل بن ابي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظيم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات
اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا
ما ترك غير هذا ولا دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت من ذلك فاتيت اهله
فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسمائة درهم واخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم يجدوا
فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس
اسناده بصحيح قال الترمذي وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم
الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بارض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من اولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج هذه الرواية
الاخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها
عند وقوع التنازع والتشاجر **اذا حضر احدكم الموت** يعني اذا قارب وقت حضور الموت **حين الوصية اثنان** لفظه
خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان منكم عند حضور الموت وارادتم الوصية **ذوا عدل منكم** يعني من اهل دينكم وملتكم
يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما
ولانه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الوصي اثنين تاكيداً فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية
فلان بمعنى حضرت **او اخران من غيركم** يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب
وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم
هذه الاية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله واستشهدوا شهيدين من
رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار واهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى انها ثابتة
لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين
يشهدان على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة
لم يجد مسلماً يشهد وصيته فليشهد كافرين على اي دين كانا من اهل الكتاب او من عبدة الاوثان فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز
شهادة كافر على مسلم بحال الا على وصية في سفر لا يجد فيه مسلماً عن الشعبي ان رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه ولم يجد
احداً من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى الاشعري فاخبراه وقدما
بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله ما خانا

وتركته

ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم
وحيكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز
شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم
على بعض واحتج من قال بان هذه الاية محكمة بان سورة المائدة من اخر القران نزولاً وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز شهادة غير المسلم

في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الاية يا ايها الذين امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او اخران من
غيركم فعلم بذلك انهما من غير المؤمنين ولان الاية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم
لا يجب عليه يمين ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون او عنده وديعة
فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج الى اشهاد من حضره من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته
فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميتة في حالة الاضطرار والضرورات قد تبيح شيئاً من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى
قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولاً فشهادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال وقوله تعالى **ان انتم
ضربتم في الارض** يعني اذا انتم سافرتم في الارض **فاصابتكم مصيبة الموت** يعني نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم
مالكم اليهما **تحبسونهما** يعني اذا اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه ان يوقفوهما **من بعد الصلوة**
يعني من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما
اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر **فيقسمان بالله** يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق
والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند
المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي ساير البلاد في اشرف المساجد واعظمها **ان ارتبتم** يعني ان شككتم ايها الورثة في قول هذين
وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع **لا نشتري
به ثمناً** يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او حق نجحده **ولو كان ذا قربى** يعني
ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم **ولا نكتم شهادة الله** انما اضاف
الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها **انا اذاً لمن الاثمين** يعني ان كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه
الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميماً وعدياً وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا
شيئاً دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا
اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه منه فقالوا
لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم **فان عثر** يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه
فقيل قد عثر عليه **على انهما استحقا اثماً** يعني الوصيين ومعنى الاية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين خانا
استوجبا الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة **فاخران** يعني من اولياء الميت واقربائه **يقومان مقامهما** يعني
مقام الوصيين في اليمين **من الذين استحق عليهم** يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت
خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان اخران من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته **الاوليان** يعني بامر الميت
وهم اهله وعشيرته **فيقسمان بالله** يعني فيحلفان بالله **لشهادتنا احق من شهادتهما** يعني ان ايماننا
احق واصدق من ايمانهما **وما اعتدينا** يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما **انا اذاً
لمن الظالمين** ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت فحلفا بالله
بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة
الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيئاً من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم
الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى **ذلك
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها** يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها يعني ان ياتي الوصيان وساير الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها **او يخافوا ان ترد ايمان**

بعد ايمانهم يعني واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا يعني المواعظ والزجر وقيل معناه واسمعوا اسمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيمة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة فيقول ماذا اجبتم يعني فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم امكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحكيم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى الله وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سئلنا عنه ليس بخاف لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس يخفى عليه خافية وبناء فعال بناء التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن تمرد منهم على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم على انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيمة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني بنعمته على مريم انه تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح

المطهرة لان الارواح تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة لم تحصل لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم والتورية والانجيل اي وعلمتك التورية التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير يعني واذ تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة ال عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيا ذي الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فتكون طيرا باذني انما كرر قوله باذني تاكيد الكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج الموتى باذني يعني من قبورهم احياء تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام وقعت باذن الله وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الاية وذلك ان عيسى لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه ان امنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا امنا واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله تعالى للايمان قالوا امنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله عز وجل لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الاية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة كما قال ابرهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان مشاهدة هذه الاية العظيمة تورث مزيد الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل احكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول الاول اصح وقيل معنى الاية هل يقبل ربك دعاءك وهل يعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد في بعض الاثار من اطاع الله اطاعه ان ينزل علينا مائدة من السماء المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا تسمى مائدة اذا لم يكن عليه طعام وانما يقال خوان او طبق واصلها من ماد يميد اذا تحرك كانها تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال التعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين

مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسئلوه شيئا لم يسئله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان
قالوا نريد ان نأكل منها يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان نأكل منها فان الجوع
قد غلبنا وقيل معناه نريد ان نأكل للتبرك بها لا لأكل حاجة **وتطمئن قلوبنا** يعني وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله عز وجل
لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقوينا الطمانينة **ونعلم ان قد صدقتنا** يعني
ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله **ونكون عليها من الشاهدين** يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه و
نكون لك من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلثين يوما وقال لهم اذا صمتم ذلك
وافطرتم فلا تسئلون الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسئلوا نزول المائدة فعند ذلك **قال عيسى ابن مريم اللهم** قيل انه
اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال **اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لاولنا وآخرنا** يعني عائدة من الله الينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه
المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه يأكل منها اول الناس
كما يأكل آخرهم **وآية منك** اي وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة لصدق رسولك **وارزقنا** اي ارزقنا
ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة **وانت خير الرازقين** يعني وانت خير من تفضل ورزق **قال الله** عز وجل مجيبا
لعيسى **اني منزلها عليكم** يعني المائدة **فمن يكفر بعد منكم** يعني بعد نزول المائدة **فاني اعذبه عذابا** يعني جنسا من العذاب
لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب
معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون مؤخرا في الآخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة
وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما اوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا
ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سألتم نزولها والصحيح
الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما
روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد
فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من غير طريق موقوفا وهو اصح قال ابن عباس ان عيسى
عليه السلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم اسئلوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله
لاطعمنا وسئلوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس
كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء
الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين
ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا
مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسمي الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين
انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلوة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا هي سمكة مشوية ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه
شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال عيسى
معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا
من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم

شباعا واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض او زمن او مبتلى
الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها فمكثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والصغار
والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تزال منصوبة تؤكل منها حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى توارى عنهم
وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك
على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت
ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت
الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام
فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا قال كعب انزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم
وقال ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير
وحيتانا وكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة
وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله
والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله
به خيرا ثبته ومن اراد به فتنة رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله** الآية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى عليه السلام
حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيمة بدليل قوله يوم يجمع
الله الرسل وذلك في يوم القيمة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك في يوم القيمة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء
بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا وقال الراجز • ثم جزاك الله عني اذ جزى • جنات عدن في السموات العلى • ولفظ الآية في قوله
ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام
لم يقله فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت
وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به كما يقول القائل لآخر افعلت كذا وهو يعلم
انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم
فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما ادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين
من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله ورأوا ان مريم ولدته لزمتهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله
تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام **قال سبحانك** يعني تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى
عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل
كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا لله تعالى سبحانك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** اي كيف اقول
هذا الكلام ولست له باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول هذه وهذا المقام
مقام التواضع والخشوع لعظمة الله شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال **ان كنت قلته فقد علمته** اسند
العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال **تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك** يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في نفسي غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه

تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الاخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريق المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال انك انت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحده ولا تشركوا به شيئا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء وانت على كل شيء شهيد يعني انت شهدت مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمك شيء قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيمة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيمة ففي قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه كيف يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة لهم ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته انه يغفر للكفار ولكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسأل له المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تبارك وتعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور المفسرين على ان المراد بهذا اليوم يوم القيمة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيمة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيمة قال قتادة متكلمان يخطبان يوم القيمة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هذا يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى

لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوان الله عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح لان المسيح وامه من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسائل مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شيء قدير والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهي قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الاية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا جنات معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره ذكره بغير سند

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التورية واخر اية في التورية قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التورية اخر سورة هود وقال ابن عباس فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمة الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن اي عن ربهم يميلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك ان يقول الرجل لرجل اكرمتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فيقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين

يعني أنه تعالى خلق آدم من طين وأنه خاطب ذريته بذلك لأنه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم
أعلمهم بهذه الآية أنه تعالى خلقهم من طين وهو القادر على إعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث
جبريل إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تقبض مني فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله
ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء
والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل
وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل
والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذي أما قوله تعالى **ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده** فاختلف معنى ذلك
فقال الحسن وقتادة والضحاك الأجل الأول من وقت الولادة إلى وقت الموت والأجل الثاني من وقت الموت إلى البعث وهو البرزخ ويروى
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث فإن كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث
في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا
في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الأجل الأول أجل الدنيا والأجل الثاني أجل الآخرة وقيل الأجل هو الوقت المقدر فأجل كل إنسان مقدر معلوم
عند الله لا يزيد ولا ينقص والأجل الثاني هو أجل القيمة وهو أيضا معلوم عند الله لا يعلمه إلا هو وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعني
النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع عند الانتباه وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعني قدر مدة لأعمارهم ينتهون
إليها وأجل مسمى عنده يعني أن ذلك الأجل مسمى عنده لا يعلمه إلا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره **ثم أنتم
تمترون** يعني ثم أنتم تشكون في البعث قوله عز وجل **وهو الله في السموات وفي الأرض** يعني وهو إله السموات وإله الأرض
وقيل معناه وهو المعبود في السموات وفي الأرض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات **يعلم سركم وجهركم** في الأرض
وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض
لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الإنسان في ضميره فهو من أعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الإنسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى
أن الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض **ويعلم ما تكسبون** يعني من خير أو شر بقي في الآية سؤال وهو أن الكسب إما أن يكون
من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر أو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالأفعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما
تكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك وأجيب عنه بأنه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه
الإنسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه أنه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز
حمله على نفس الكسب وإلا لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الإمام فخر الدين **وما تأتيهم** يعني لأهل مكة **من آية من آيات ربهم**
يعني من معجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن
إلا كانوا عنها معرضين يعني إلا كانوا لها تاركين وبها مكذبين **فقد كذبوا بالحق** يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد
صلى الله عليه وسلم وما أتى به من المعجزات **لما جاءهم** يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به **فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا
به يستهزؤن** يعني فسوف يأتي أخبار استهزائهم إذا عذبوا في الآخرة قوله تعالى **ألم يروا** الخطاب لكفار مكة يعني أولم
يروا هؤلاء المكذبين بآياتي **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية والقرون
الخالية والقرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لأنه زمان يقرن
أمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون
وقيل مائة سنة الأصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني إنك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول
المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابه

تابعيهم

وتابعيهم وتابع التابعين **مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم** يعني أعطيناهم ما لم نعطكم يا أهل مكة وقيل أمددناهم
في العمر والبسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق مثل ما أعطي قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم **وأرسلنا السماء عليهم مدرارا** مفعال
من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة إليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها **وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم**
يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين **فأهلكناهم بذنوبهم** يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم **وأنشأنا
من بعدهم قرنا آخرين** يعني وخلقنا من بعد هلاك أولئك القرن أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى
من الأمم السالفة والقرون الخالية فإنهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الأتباع أهلكناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف
حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل **ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس** الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى
تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك
كتابا يعني من عندي في قرطاس يعني مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها **فلمسوه بأيديهم** يعني فعاينوه ومسوه
بأيديهم وإنما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأنه أبلغ في إيقاع العلم بالشيء من الرؤية لأن المرئيات قد يدخلها التخييل كالسحر ونحوه بخلاف
الملموس **لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين
كما قالوا في انشقاق القمر وإنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم **وقالوا** يعني مشركي مكة **لولا** يعني هلا **أنزل عليه** يعني على محمد
ملك يعني نزوله عيانا **ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر** يعني لفرغ من الأمر ولوجب العذاب وهذه سنة في الكفار أنهم متى اقترحوا
آية فأنزلت ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به **ثم لا ينظرون** يعني ثم إنهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم
العذاب **ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا** يعني ولو أرسلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن ينظروا
إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس كما جاء
جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة
إلى إبراهيم ولوط عليهم السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى
وللبسنا عليهم ما يلبسون يقال لبست الأمر على القوم إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الأمر إذا خلطته عليه
حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية إنا
إذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشرا فيعود المسئلة بحالها إنا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله تعالى
مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيسا لأنهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون أنه بشر وليس هو بشرا وإنما كان فعلهم تلبيسا
لأنهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنما هو بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق
لضعفائهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل **ولقد
استهزئ برسل من قبلك** يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من
تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به إذ جعل له أسوة في ذلك بالأنبياء الذين كانوا قبله **فحاق** أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل **بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن** والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه
الآية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم **قل سيروا في الأرض** هو سير
الأقدام **ثم انظروا** فعلى القول الأول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر
نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم إلى آثار الأمم الخالية والقرون السالفة وهو قوله تعالى **كيف كان عاقبة المكذبين**
يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية قوله عز وجل **قل لمن ما في
السموات والأرض قل لله** هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات

والأرض فإن أجابوك وإلا فأخبرهم أن ذلك لله الذي قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للأصنام التي تعبدونها أنتم فإنها
موات لا تملك شيئا ولا تملك لأنفسها ضرا ولا نفعا وإنما أمره بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله
تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته وإحسانه إليهم فقال تعالى **كتب على نفسه الرحمة** يعني أنه تعالى أوجب وقضى
على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم بعباده وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة
والإنابة ممن تاب وأناب ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب
في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي وفي رواية للبخاري إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش وفي رواية لهما إن الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد
البخاري على العرش ثم اتفقا إن رحمتي تغلب غضبي ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة
جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها
خشية أن تصيبه زاد البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عنده من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من
العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها
يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة م عن سلمان الفارسي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض
رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيمة أكملها بهذه الرحمة ق عن عمر قال قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها إذ وجدت صبيا في السبي أخذته وألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه فقلنا لا والله فقال الله أرحم بعباده من هذه المرأة
بولدها وقوله تعالى **ليجمعنكم** لام القسم تقديره والله ليجمعنكم **إلى يوم القيمة** يعني في يوم القيمة **لا ريب فيه** أي لا شك فيه
أنه آت **الذين خسروا أنفسهم** يعني بالشرك بالله وأوبقوا أنفسهم وغبنوها باتخاذهم الأصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم
عقابه فكانوا كمن خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل إذا غبن في بيعه **فهم لا يؤمنون** يعني لما سبق عليهم من القضاء
بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع **وله ما سكن في الليل والنهار** يعني ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك
فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل إنما خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني
الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل في الأرض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر
والمعنى أن جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره **وهو السميع** لأقوالهم وأصواتهم **العليم** بسرائرهم وأحوالهم قوله عز وجل
قل أغير الله أتخذ وليا قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين آبائه فأنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد
أغير الله أتخذ وليا يعني ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الإنكار أي لا أتخذ غير الله وليا **فاطر السموات**
والأرض أي خالق السموات والأرض ومبدعهما ومبديهما **وهو يطعم ولا يطعم** يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل
نفسه بالغناء عن الخلق وباحتياج الخلق إليه لأن من كان من صفته أنه يطعم الخلق لاحتياجهم إليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه
وتعالى عن الإطعام ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم**
يعني من هذه الأمة والإسلام بمعنى الاستسلام يعني أمرت أن أستسلم لأمر الله وأنقاد إلى طاعته **ولا تكونن من المشركين** يعني وقيل
لي يا محمد لا تكونن من المشركين **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك
إلى عبادة غير الله ربي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف إن عصيت ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم
عظيم وهو عذاب يوم القيمة **من يصرف عنه** يعني العذاب **يومئذ** يعني يوم القيمة **فقد رحمه** يعني بأن أنجاه من العذاب
ومن أنجاه من العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لا محالة وإنما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه صرف العذاب فقط

بل يحصل له الرحمة مع صرف العذاب عنه **وذلك الفوز المبين** يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين
وإن يمسسك الله بضر يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه **فلا كاشف له**
إلا هو يعني فلا يدفع ذلك الضر إلا الله عز وجل **وإن يمسسك بخير** يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الإنسان
من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك **فهو على كل شيء قدير** يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لأنه هو القادر على أن يمسسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على إيصال الخير إليك وأنه
لا يقدر على ذلك إلا الله فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وإن
يمسسك الله بضر أيها الإنسان فلا كاشف لذلك الضر إلا هو وإن يمسسك بخير أيها الإنسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وإيصال الخير
عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده
تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله
لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي زاد فيه
رزين تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا
كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الأثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في
مسند أحمد بن حنبل قوله عز وجل **وهو القاهر فوق عباده** يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته
وهو القاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه
فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله عز وجل لأنه القادر القاهر
الذي لا يعجزه شيء أراده ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به
من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال
ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إياهم ومن صفة كل
قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام إذا والله الغالب عباده المذل لهم العالي عليهم بتذليله إياهم فهو فوقهم
بقهره إياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل **وهو الحكيم** يعني في أمره وتدبير عباده
الخبير يعني بأعمالهم وما يصلحهم قوله تعالى **قل أي شيء أكبر شهادة** قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس
لك عندهم ذكر فأنزل الله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك أي شيء أكبر شهادة يعني
أعظم شهادة فإن هم أجابوك وإلا **قل** أنت يا محمد **الله شهيد بيني وبينكم** قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم
أن يسأل قريشا أي شيء أكبر شهادة ثم أمره أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي
تقولون والحاصل أنهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى بهذه الآية أن أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى
ثم بين أنه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله **وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به** يعني أن الله عز وجل يشهد لي بالنبوة
لأنه أوحى إلي هذا القرآن وهو معجزة لأنكم أنتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا وإذا كان
معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأني رسوله وهو المراد بقوله لأنذركم به يعني أوحي إلي هذا القرآن لأخوفكم به وأحذركم مخالفة
أمر الله عز وجل **ومن بلغ** يعني وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتي بعدي إلى يوم القيمة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم فكل من
بلغ إليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل خ عن
عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا

فليتبوأ مقعده من النار. شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الأمر بإبلاغ ما جاء به صلى الله عليه وسلم إلى من بعده من قرآن وسنة وقوله حدثوا
عن بني إسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والإثم ومعنى الحديث أنه مهما قلتم عن بني إسرائيل فإنهم كانوا في حال أكثر مما قلتم وأوسع وليس هذا فيه إباحة
الكذب في الأخبار عن بني إسرائيل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وإن لم يتحقق ذلك بنقل لأنه أمر قد تعذر لبعد المسافة وطول
المدة. عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه
الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل
فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه. عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود موقوفا وقوله
تعالى **أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يجحدون نبوتك واتخذوا آلهة غيري
أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها وإنما قال أخرى لأن الجمع يلحقه التأنيث كما قال الله تعالى ولله
الأسماء الحسنى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين **قل لا أشهد** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أشهد بما تشهدون به أن
مع الله آلهة بل أجحد ذلك وأنكره **قل إنما هو إله واحد** يعني قل لهم إنما الله إله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد
وإنني بريء مما تشركون يعني وأنا بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الآية دليل على إثبات التوحيد لله عز وجل وإبطال كل معبود
سواه لأن كلمة إنما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك إيجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل
معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لمن أسلم أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين خالف الإسلام لقوله تعالى وإنني بريء مما
تشركون قوله عز وجل **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** المراد بالذين أوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى
الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنا سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته فبين الله عز وجل أن شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية أنهم يعرفونه وأنهم
كذبوا في قولهم إنهم لا يعرفونه. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب إن الله عز
وجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام
يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله
حقا ولا أدري ما يصنع النساء وقوله تعالى **الذين خسروا أنفسهم** يعني أهلكوا أنفسهم وغبنوها وأوبقوها في نار جهنم بإنكارهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما أنه صفة للذين الأولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين
يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين **فهم لا يؤمنون** يعني به والقول الثاني أنه كلام مبتدأ
لا تعلق له بالأول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين أحدهما أنه الهلاك الدائم
الذي حصل لهم بسبب كفرهم وإنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة ومنزلا
في النار فإذا كان يوم القيمة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران
قوله تعالى **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم أن له
شريكا من خلقه وإلها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الأصنام أو ادعى أن له صاحبة وولدا كما قالت النصارى **أو كذب بآياته**
يعني كذب بحججه وأعلام أدلته التي أعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الأنبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى
الله عليه وسلم **إنه لا يفلح الظالمون** يعني أنه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل **ويوم نحشرهم جميعا**
أي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيمة **ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**
يعني أنها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل **ثم لم تكن فتنتهم** يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما
كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك أن الرجل يفتتن بمحبوب ثم
يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤوا

أخرى صح

منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للأصنام إلا أن تبرؤوا منها وهو قوله تعالى **إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين** وذلك إذا شاهدوا يوم القيمة مغفرة الله تعالى لأهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا
ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **انظر
كيف كذبوا على أنفسهم** يعني انظر يا محمد بعين البصيرة وتأمل في حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على أنفسهم يعني باعتذارهم بالباطل
وتبريهم من الأصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله
وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب **ما كانوا يفترون** يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم إن الأصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل
ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى **ومنهم من يستمع إليك** الآية قال الكلبي اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن
فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول إلا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون
الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان إني لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا
لا تقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا فأنزل الله ومنهم من يستمع إليك يعني إلى كلامك وقراءتك يا محمد **وجعلنا
على قلوبهم أكنة** يعني أغطية جمع كنان **أن يفقهوه** يعني لئلا يفقهوه وكراهية أن يفقهوه **وفي آذانهم وقرا**
يعني وجعلنا في آذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والإيمان فيقبله ويجعل بعضها
في أكنة فلا تفقه كلام الله عز وجل ولا تؤمن به **وإن يروا كل آية** يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك **لا
يؤمنوا بها** يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا أنها دالة على صدقك **حتى إذا جاؤوك يجادلونك** يعني أنهم إذا رأوا الآيات
واستمعوا القرآن إنما جاؤوك ليجادلونك ويخاصمونك لا ليؤمنوا بها **يقول الذين كفروا إن هذا** أي ما هذا القرآن
إلا أساطير الأولين يعني أحاديث الأولين من الأمم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطروا يعني كتبوا والأساطير
جمع أسطورة وإسطارة وقيل واحدها أسطار وأسطار جمعه وأساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه
أساطير الأولين وقد سطر الأولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله وأجيب عنه بأنهم إنما نسبوا القرآن إلى أساطير
الأولين بمعنى أنه ليس بوحي من الله تعالى وإنما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الأولين وقيل في معنى أساطير الأولين إنها الترهات وهي عند
العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم أخذنا في الترهات يعني عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل الذي
لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة التي لا أصل لها قوله عز وجل **وهم ينهون عنه**
يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **وينأون عنه** يعني ويتباعدون عنه بأنفسهم نزلت في كفار
مكة كانوا يمنعون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن
عباس نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه
عن الإيمان به يعني يبعد حتى روي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمدا فقال أما
أدفع إليكم ابني محمدا لتقتلوه وأربي لكم ابنكم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا أبا طالب إلى الإيمان فقال لولا تعيرني قريش
لأقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حييت وقال في ذلك أبياتا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا
وقوله تعالى **وإن يهلكون إلا أنفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم إلا عليهم **وما يشعرون** يعني بذلك قوله تعالى **ولو ترى إذ وقفوا
على النار** يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه إذ عرضوا على النار وجواب
لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت أمرا عجيبا وموقفا فظيعا

فقالوا يعني الكفار يا ليتنا نرد يعني إلى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا أن يردوا إلى الدنيا مرة أخرى
حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عز وجل عليهم ذلك فقال تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الأمر كما
قالوا لو ردوا إلى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فأخفوا شركهم وكتموه فأظهره الله عليهم حتى شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا
من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب
بآيات ربنا وكنا من المؤمنين وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن منكري البعث وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيمة وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب
للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار إن هي أي ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار أنهم لو ردوا إلى الدنيا لقالوا إن هي إلا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل ولو ترى إذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا
على ربهم قال أليس هذا بالحق أي يقول الله لهم يوم القيمة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا قالوا بلى وربنا يعني أنهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فأجابوا فقالوا بلى والله إنه حق
وقيل تقول لهم خزنة النار بأمر الله أليس هذا بالحق يعني البعث حقا فأجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيمة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون
والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب أي يقول الله لهم ذلك أو الخزنة
تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وإنما خص لفظ الذوق العذاب لأنهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الإحساس بما كنتم
تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني
خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير إلى الله وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب
الأليم في دركات الجحيم حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة يعني جاءتهم القيمة فجأة وسميت القيمة ساعة لأنها تفجأ الناس
بغتة في ساعة لا يعلمها أحد إلا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لأن حساب الخلائق يوم القيمة يكون
في ساعة أو أقل من ذلك قالوا يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ندامتنا
والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا
يعني قصرنا فيها يعني في الدنيا لأنها موضع التفريط في الأعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرطنا فيها في الدنيا
وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والألف في قوله فيها تعود إلى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها من ذكرها
إذ كان معلوما أن الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرا ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الإيمان الذي يستوجبون
به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فإذا جاءتهم الساعة
بغتة رأوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم يعني
أثقالهم على ظهورهم والأوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته إذا حملته وإنما قيل للذنوب أوزار
لأنها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا يعني ركبانا وأما
الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم
أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن قيس يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته
وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس أنت فيقول أنا عملك طالما ركبتني فلأركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤوس الخلائق فيركبه

ويتخطاه الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر
في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى أنهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا
القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية إن أوزارهم لا تزايلهم كما تقول
شخصه نصب عيني أي ذكره ملازم لي ألا ساء ما يزرون يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل
وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو أي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر فيه
قولان أحدهما أن المراد بها حيوة الكافر لأن المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا إلا خيرا لأنه يحصل في أيام حيوته من الأعمال الصالحة و
الطاعات ما يكون سببا لحصول السعادة في الآخرة وأما الكافر فإن كل حيوة في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حيوة أهل الشرك
والنفاق والقول الثاني أن هذا عام في حيوة المؤمن والكافر لأن الإنسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة
لأن الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير أن المراد بهذه الحيوة حيوة المؤمن والكافر وأنه عام فيهما
وإنما شبه الحيوة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه أن أمر الدنيا والعمل لها لعب ولهو
فأما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وإن كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما أهل الحيوة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لأنه لا
يجدي ولاشتغالهم عما أمروا به نسبوا إلى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الآخرة يعني الجنة واللام فيه لام القسم
تقديره والله للدار الآخرة خير يعني من الدنيا وأفضل لأن الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك
وقيل يتقون اللعب واللهو أفلا يعقلون أن الآخرة أفضل من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي
يقولون يعني قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس
لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق
وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية
وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب بالذي جئت به فأنزل الله هذه الآية عن علي
ابن أبي طالب رضي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله فيهم فإنهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أخرجه الترمذي من طريقين قال في أحدهما وهذا أصح ففي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعزية عما يواجهه به قومه لأنهم كانوا يعتقدون صدقه وأنه ليس بكذاب وإنما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فإنهم لا
يكذبونك يعني أنهم لا يكذبونك في السر لأنهم عرفوا أنك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بآيات الله
يجحدون يعني في العلانية وذلك أنهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذي نزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما جحدوا بآيات الله
وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فإنهم لا يكذبونك لأنهم قد عرفوا صدقك وإنما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز
وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الأمم رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
يعني أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم إياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد على تكذيب قومك وأذاهم لك
كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإزالة لحزنه على تكذيب قومه له وأذاهم إياه
حتى أتاهم نصرنا يعني بإهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من إهلاك المكذبين
ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به ولقد جاءك من نبإ المرسلين يعني ولقد أنزلت عليك في القرآن من أخبار المرسلين
ما فيه تسلية لك وتسكين لقلبك وقال الأخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لأن الواصل

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الأنبياء وأخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية أن الحارث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات فإن فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وإن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والإيمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكان إذا سألوا آية أحب أن يريهم الله ذلك طمعا في إيمانهم فقال الله عز وجل فإن استطعت أن تبتغي يعني تطلب وتتخذ نفقا في الأرض يعني سربا والنفق سرب في الأرض يخلص منه إلى مكان آخر أو سلما في السماء يعني مصعدا إلى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتأتيهم بآية يعني بالآية التي سألوه عنها ومعنى الآية وإن كان كبر وعظم عليك إعراض قومك عن الإيمان بك فإن قدرت أن تذهب في الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وإنما حذف جواب الشرط لأنه معلوم عند السامع والمقصود من هذا أن يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن إيمانهم ولا يتأذى بسبب إعراضهم عنه وعن الإيمان به ويدل عليه قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وأنه لو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بأن لو شاء الله لجمعهم على الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه ولا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من إعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وإنما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل إنما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيمة ثم إليه يرجعون فيجزيهم بأعمالهم وقالوا يعني رؤساء كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه آية من ربه يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل المراد من الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الأنبياء قل يعني قل لهم يا محمد إن الله قادر على أن ينزل آية يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما طلبوه وإنزال ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني ماذا عليهم في إنزالها من العذاب إن لم يؤمنوا بها وقيل معناه أنهم لا يعلمون أن الله قادر على إنزال الآيات وقيل إنهم لا يعلمون وجه المصلحة في إنزالها وقوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين إما أن يدب على الأرض أو يطير في الهوى حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لأن الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهوى وإنما خص ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء وإن كان ما في السماء مخلوقات ولكن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وإنما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتأكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني إلا أمم أمثالكم قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم كما يقال الإنس والناس ويدل على أن كل جنس من الدواب أمة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فإن قلت ثبت بالآية والحديث أن الدواب والطير أمم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل إن هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل إنها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل إنها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما أن جنس الإنسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والأنثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني في اللوح المحفوظ لأنه يشتمل على جميع أحوال المخلوقات وقيل إن المراد بالكتاب القرآن يعني أن القرآن مشتمل على جميع الأحوال ثم إلى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله تعالى الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء

من

من القرناء ثم يقول كوني ترابا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء قوله عز وجل والذين كذبوا بآياتنا يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيده صم يعني عن سماع الحق وبكم يعني عن النطق به والمعنى أنهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لأن الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشأ الله يضلله يعني عن الإيمان ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشاء الله يجعله على دين الإسلام وفي هذا دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضله وإحسانه للإيمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لأنه تعالى هو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله تعالى قل أرأيتكم يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الأصنام أخبروني تقول العرب أرأيتك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكيد إن أتاكم عذاب الله يعني قبل الموت مثل ما نزل بالأمم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب أو أتتكم الساعة يعني القيمة أغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم إن كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الآية أن الكفار كانوا إذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الأصنام فقيل لهم أترجعون إلى الله في الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء بل إياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف ما تدعون إليه إن شاء يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتموه وإنما قيد الإجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وإن كانت الأمور كلها بمشيئة الله تعالى وتنسون ما تشركون يعني وتتركون دعاء الأصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه أنكم في ترككم دعاء الأصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لأنه قال وتعرضون عنها إعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع فأخذناهم بالبأساء يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع والضراء يعني الأمراض والأوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد أرسل من قبله رسلا إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى أن أخذوا بالبأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع أي فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان إغواؤه بما في المعصية من اللذة وقال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فأصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وإنما كان النسيان بمعنى الترك لأن التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام وذلك استدراجا منه لهم وقيل فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم حتى إذا فرحوا بما أوتوا يعني فرحوا بما أوتوا من السعة والرخاء والصحة في الأبدان والمعيشة وظنوا أن ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى وأنهم لما فتح عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا أن ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما أوتي من الدنيا أخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاءة من حيث لا يشعرون قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعاني إنما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فأخذهم في آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم فإذا هم مبلسون يعني آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة والحزن وقال أبو عبيدة

البائس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** يعني آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية **والحمد لله رب العالمين** قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شأفتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليم للرسل ولمن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى **قل ارايتم** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين **ان اخذ الله سمعكم** يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئا **وابصاركم** يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى **من اله غير الله ياتيكم به** يعني ياتيكم بما اخذ منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر ويندرج تحته غيره **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد **كيف نصرف الآيات** يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة **ثم هم يصدفون** يعني يعرضون عنها مكذبين لها **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة** يعني فجاة **او جهرة** يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا **هل يهلك الا القوم الظالمون** يعني المشركين لانهم ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل **وما نرسل المرسلين الا مبشرين** يعني لمن آمن بالثواب **ومنذرين** يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة **فمن آمن واصلح** يعني آمن بهم واصلح العمل لله **فلا خوف عليهم** يعني حين يخاف اهل النار **ولا هم يحزنون** اذا حزن غيرهم **والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب** يعني يصيبهم العذاب **بما كانوا يفسقون** يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى **قل لا اقول لكم** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا اقول لكم **عندي خزائن الله** نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي **ولا اعلم الغيب** يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون **ولا اقول لكم اني ملك** وذلك لانهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيئا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزل علي ومعنى الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما اخبر عنه من غيب يوحي الله اليه وظاهر الآية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه **قل هل يستوي الاعمى والبصير** يعني المؤمن والكافر

والضال

والضال والمهتدي والعالم والجاهل **افلا تتفكرون** يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل **وانذر به** يعني وخوف بالقرآن والانذار اعلام مع تخويف **الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيمة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق **ليس لهم من دونه** يعني من دون الله **ولي** اي قريب ينفعهم **ولا شفيع** يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المؤمنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك يشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله عز وجل لقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وان كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع **لعلهم يتقون** يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن ابي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل في اشراف بني عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فاتى ابو طالب النبي

نحو عسيف وهو الاجير

صلى الله عليه وسلم تحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله
عز وجل هذه الآية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه
الرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد
الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح
مسلم من ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله اعلم واما معنى الآية فقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك
لاجل ضعف وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة
الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما
مع بقية الصلوة ولان الصلوة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبّر بالدعاء عن الصلوة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح
مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى
يدعون ربهم بالغداة والعشي قال او في هذا هو انما ذلك في الصلوة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نؤمن لك واذا صلينا فاخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد
منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار **يريدون وجهه** يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم
وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء** يعني لا تكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم فتملّهم وتطردهم عنك ولا رزقك
عليهم انما الرزاق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك **فتطردهم فتكون من الظالمين** يعني بطردهم عنك
وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون
من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف
من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو
اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادناء هؤلاء الفقراء اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم واما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين
ان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى ان اولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم
عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل **وكذلك
فتنا بعضهم ببعض** يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده
فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في
الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة
لهم **ليقولوا** يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء **أهؤلاء من الله عليهم من** يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول
صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله **أليس الله بأعلم بالشاكرين** يعني انه تعالى
اعلم بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم** قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راهم
بداهم بالسلام وقال عطا نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون
وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر

من

من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما اردت الا الخير فنزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم **كتب ربكم**
يعني فرض ربكم وقضى ربكم **على نفسه الرحمة** على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين **انه من عمل منكم سوءا بجهالة**
قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته
من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر
القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا **ثم تاب من بعده** يعني من ارتكابه ذلك
السوء ورجع عنه **وأصلح** يعني اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته وندم على فعله **فانه غفور** يعني لمن تاب من ذنوبه **رحيم**
بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
الآية عن ابي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا
اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم
تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا
فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة
اخرجه ابو داود وقوله عز وجل **وكذلك نفصل الآيات** يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلائلنا على صحة
التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلتنا وحججنا وبراهيننا في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل
ولتستبين قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك **سبيل
المجرمين** يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيمة اذا صاروا الى النار
قوله عز وجل **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين **اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله** يعني نهيت ان اعبد الاصنام
التي تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجمادات اخس من ان تعبد او تدعى وانما كانوا يعبدونها
على سبيل الهوى وهو قوله **قل لا اتبع اهواءكم** يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء **قد ضللت اذا** يعني ان
عبدتها **وما انا من المهتدين** يعني لو عبدتها **قل** يعني يا محمد لهؤلاء المشركين **اني على بينة من ربي** قال ابن
عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة على عبادة ربي
وكذبتم به يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي
تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك **ما عندي ما تستعجلون به** يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله ولا يقدر
احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فاعلم ان ذلك عنده ليس عند احد
من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها **ان الحكم الا لله**
يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي انما الحكم المطلق الا لله ليس معه
حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب اذا شاء **يقص الحق** قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول
الحق لان كل ما اخبر به فهو حق وقرئ بالضاد المعجمة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق **وهو خير الفاصلين**
يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لانه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على احد من خلقه **قل لو ان
عندي ما تستعجلون به** يعني من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العجلة

مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت الشرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو ان عندي ما تستعجلون به لم امهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو اناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى لقضي الامر بيني وبينكم يعني لا يفصل ما بيني وبينكم ولا تينكم بما تستعجلون به من العذاب والله اعلم بالظالمين يعني انه اعلم بما يستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه وقيل علم انه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك اخره عنهم وقال والله اعلم بالظالمين و باحوالهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذي يفتح به المغلاق وجمعه مفاتيح ويقال فيه بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح وقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل ان يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل ان يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف اقوال المفسرين في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهي ما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يدري احد ما يكون في غد الا الله وما يعلم احد ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس باي ارض تموت ولا يدري احد متى يجيء المطر وفي رواية اخرى لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى ياتي المطر احد الا الله ولا يدري نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تاتي الساعة الا الله اخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون ام لا يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتح الغيب وقال ابن عباس انها غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيهما شيء الا وهو يعلمه قال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروف لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجيب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه وما تسقط من ورقة الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض ولا حبة في ظلمات الارض قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارضين ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم افرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعض الاجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة وهو الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس وذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة غالبة وعلم واسع فسبحان العليم الخبير وقوله تعالى الا في كتاب مبين فيه قولان احدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يتغير ولا يبدل والقول الثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب ليقف الملائكة على انفاذ علمه وانه نبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شيء مما يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل

ويعلم

ويعلم ما جرحتم ما كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى يعني اجل الحيوة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الآخرة ثم ينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان يعني انه اقدر منه واغلب هذا مذهب التاويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره والمذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه فهو قهر كل شيء بضده فقهر الحيوة بالموت والايجاد بالعدم والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة يعني من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله في صحائف تنشر له وتقرا عليه يوم القيمة على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون اجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه واجله وعمله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين الآيات ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من الملائكة فيامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث يشاء وجعلت له اعوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له قوله تعالى وهم لا يفرطون يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا به ولا يضيعون قوله عز وجل ثم ردوا الى الله موليهم الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال موليهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت يدي موالي بباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق الا له الحكم يعني لا حكم الا لله وهو اسرع الحاسبين يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه ولا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون الاصنام من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق ومن الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى وظلمة البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل منه الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع اليه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه القادر على كشف الكروب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله تدعونه تضرعا وخفية يعني ان اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية سرا مستقبلا وحالا لئن انجيتنا من هذه يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لمن انعم بها قل الله ينجيكم منها يعني من الظلمات والشدائد التي انتم فيها ومن كل كرب

يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس ثم أنتم تشركون يريد أنهم يقرون بأن الذي أنجاهم
من هذه الشدائد هو الله ثم إنهم بعد ذلك الإقرار يشركون معه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل قل هو القادر على أن يبعث
عليكم عذابا من فوقكم أي قل يا محمد لقومك إن الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح
والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط أو من تحت أرجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون
وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني أئمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك
من فوقكم يعني من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة أو يلبسكم شيعا الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على
أمر فهم شيعة وأشياع وأصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الإنسان قال الزجاج
في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله
تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض وقال ابن عباس في قوله أو يلبسكم شيعا يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني
أنه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس
اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الآية فقال قوم عني بها المسلمين
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية وقال أبو العالية في قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم قال هن أربع وكلهن عذاب اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم
بأس بعض وبقيت اثنتان فهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي بن كعب نحوه قال هن أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع
قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض واثنتان
واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لأمة محمد فأعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان
فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ)
عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من
تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص
أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا
ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته
أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الأرت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها
فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني
واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق
بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخرجه الترمذي وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات أي انظر يا محمد كيف نبين لهم الدلائل
والحجج لهؤلاء المكذبين لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا أو يرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب
قوله تعالى وكذب به قومك يعني بالقرآن وهو الحق يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع إلى العذاب
وهو الحق يعني أنه نازل بهم إن أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع إلى تصريف الآيات وهو الحق لأنهم كذبوا كونها من عند الله
قل لست عليكم بوكيل أي قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وإعراضكم عن قبول الحق
بل أنا منذر والله هو المجازي لكم على أعمالكم وقيل معناه إني أدعوكم إلى الله وإلى الإيمان به ولم أومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الآية
منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا إنما أطالبكم بالظاهر من الإقرار والعمل لا بما تحويه
الضمائر والأسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة لكل نبإ مستقر يعني لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينتهي إليه إما
في الدنيا وإما في الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا

وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر إما في الدنيا وإما في الآخرة قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
الخطاب في وإذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وإذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن
الذي نزلناه إليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار في الأخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث
وتفاوضوا فيه لكن أكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وقيل الخطاب في وإذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى وإذا رأيت أيها الإنسان الذين يخوضون في آياتنا وذلك أن المشركين كانوا إذا
جالسوا المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن وبمن أنزله وبمن أنزل عليه فنهاهم أن يقعدوا معهم في وقت الاستهزاء فأعرض عنهم
يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به وإما
ينسينك الشيطان يعني فقعدت معهم فلا تقعد بعد الذكرى يعني إذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين
يعني مع المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية وإذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفي رواية قال المسلمون إنا
نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم فأنزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون الشرك من حسابهم يعني من حساب المشركين من شيء يعني
ليس عليهم شيء من حسابهم والآثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليك أن تذكرهم لعلهم يتقون
يعني لعل ذلك الذكرى يمنعهم من الخوض والاستهزاء فصل قال سعيد بن جبير وابن جريج هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة
النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها الآية وذهب الجمهور إلى أنها محكمة لا
نسخ فيها لأنها خبر والخبر لا يدخله النسخ لأنها إنما دلت على أن كل إنسان إنما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل إنما أباح لهم
القعود معهم بشرط التذكر والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي أمروا به ودعوا إليه
وهو دين الإسلام لعبا ولهوا وذلك حيث سخروا به واستهزؤوا به وقيل إنهم اتخذوا عبادة الأصنام لهوا ولعبا وقيل إن الكفار كانوا إذا
سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل إن الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه
إلا المسلمون فإنهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا
يعني أنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لأجل أنهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا
ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا اقتضى الإعراض عنهم ثم نسخ ذلك
الإعراض بآية السيف وهذا قول قتادة والسدي وقيل إنه خرج مخرج التهديد فهو كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول
مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالإعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الإنذار والتخويف يدل عليه قوله تعالى
وذكر به يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين أن تبسل نفس بما كسبت أي لئلا تبسل نفس وأصل البسل في اللغة
التحريم وضم الشيء ومنعه وهذا عليك بسل أي حرام ممنوع فمعنى أن تبسل نفس بما كسبت ترتهن وتحبس في جهنم وقال الضحاك
تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم شرائع الإسلام لكيلا تهلك
نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة ليس لها يعني لتلك النفس التي هلكت
من دون الله ولي أي قريب يلي أمرها ولا شفيع يعني يشفع لها في الآخرة وإن تعدل كل عدل يعني وإن تفتد بكل
فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها يعني ذلك العدل وتلك الفدية أولئك الذين إشارة إلى الذين اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا أبسلوا بما كسبوا يعني أسلموا إلى الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
أليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم قوله تعالى قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى دين آبائك أندعو يعني أنعبد من دون الله يعني الأصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر

لمن ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته
الشياطين في الارض يعني كالذي ذهبت به الشياطين فالقته في هوية من الارض واصله من الهوي وهو النزول من اعلى حيران
يقال حار فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب فيه ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى يعني لهذا
المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم ائتنا يعني يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو الى
عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول
والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل اصحابه من اهل رفقته يدعونه اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه
اليهم لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق
الله التي اوضحها للعباد ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا
تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين لانه هو
الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلوة واتقوه يعني وامرنا باقامة الصلوة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي
اليه تحشرون يعني في يوم القيمة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى
هذا تكون الباء بمعنى اللام ولانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها
بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم يقول كن فيكون وقيل انه راجع الى
خلق السموات والارض والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيمة ويدل على سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم نقول للخلق
موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشيء الذي اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة
وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة
لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وانه المتفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وساير الملوك الذين كانوا
في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور
اختلف العلماء في الصور المذكور في الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا
القول لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود و
الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته واصغى سمعه ينتظر
ان يؤمر فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله او كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلت او ربما قال توكلنا
على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح
لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في اية اخرى ثم نفخ فيه اخرى وللاجماع اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختان
نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه
فلا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم يعني في جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير او شر قوله عز وجل
واذ قال ابراهيم لابيه آزر اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ضبطه
بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون
اسمه الاصلي آزر وتارخ لقب له وبالعكس فالله سماه آزر وان كان عند النسابين والمورخين اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان آزر ابو ابراهيم
من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهم وهو بالفارسية وهذا
على مذهب من يجوز ان في القران الفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطي فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد
بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب
اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمورخين ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم
انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر ايضا
ولم يقل اباه تارخ فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارخ والله اعلم قوله تعالى اتتخذ اصناما آلهة معناه اذكر
يا محمد قول ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي
يتخذ من خشب او حجارة او ذهب او فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا اني اراك وقومك في ضلال مبين يعني
يقول ابراهيم لابيه آزر اني اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني لمن
ابصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الاية احتجاج على مشركي العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه
لانهم كانوا يعظمون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه وقومه في
معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض معناه وكما ارينا ابراهيم
البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض فلهذا السبب
عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري ابراهيم لانه تعالى كان اراه ان اباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله
بان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت
والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات
السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من العجايب وحتى رأى مكانه
في الجنة وذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى اسفل الارضين ورأى ما
فيها من العجايب قال البغوي روي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة
فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة
فلا تدعو على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان
شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤيا هل كانت بعين البصيرة ام بعين البصر على قولين احدهما انها كانت بعين البصر
الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى ما في باطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة
لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا ان
يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد
زوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين
والطمانينة في القلب وزالت الشبهة عنه ذلك قال ابن عباس في قوله وليكون من الموقنين جلى له الامر سره وعلانيته فلم يخف
عليه شيء من اعمال الخلايق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل فمعنى الاية على
هذا القول وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا قوله تعالى فلما جن عليه الليل
يقال جن الليل واجن اذا اظلم وغطى كل شيء واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده رأى كوكبا قال هذا ربي
ذكر القصة في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود
اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام
يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه

كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هذا
مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة بناحيته
وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلي بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض
فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث
نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحملها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف
الحمل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم
حدث له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة احببت ان
اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته
فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقعها
فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه الليلة
فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته
في نهر يابس ثم وضعته في خرقة ووضعته في حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه
من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال
محمد بن اسحق لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من شأنه
ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه
وقال ابو روق قالت ام ابراهيم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع [illegible] سمنا ومن
اصبع عسلا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل ام ابراهيم عن حملها ما فعل قالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت
عنها وكان ابراهيم يشب اليوم كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته
فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ونظر
في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
واتبعه بصره ينظر حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجع الى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه
الا انه لم يبادهم بذلك فلما جعت به امه اخبرته انه ابنه واخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في
السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك
قالت ابوك آزر قال فمن رب ابي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذي كنا نتحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك
ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب
نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه
اخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ما هذه فقال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم ما لهذه
بد من ان يكون لها اله هو ربها وخالقها ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع
القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل ستر بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية
وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال الطفولية وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن هذا
القول صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبارا ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما اخرج من السرب
في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة
السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر له وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد ازهر فقال هذا

ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر الى معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته بقوله
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول
ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات
الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره
وآتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات والارض ورأى الكوكب قال معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان
منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد ابراهيم و
حين شرفه الله بالنبوة وكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم
عليه السلام اراد ان يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل
الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والشمس والقمر اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة
والافول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدونه فيها من الالهية [illegible] ومثل
هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه واكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رايه في كثير
من امورهم الى ان دهمهم عدو فقيل لهم فشاوروه في امر هذا العدو فقال الرأي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما
نزل بنا فاجتمعوا حوله يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله
عز وجل ويسألوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم
عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف
الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افان مت فهم الخالدون والمعنى اهذا يكون ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث
ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في الآية اضمارا تقديره يقولون هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل رأى كوكبا والفاء تقتضي التعقيب
فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان بهذه المنزلة الرفيعة الشريفة لا يليق
بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام
لم يزالوا يسألون الله التثبت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اما قوله تعالى **فلما افل** يعني غاب والافول
غيبوبة النيرات **قال** يعني ابراهيم **لا احب الآفلين** يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدث فيه ظاهرة قوله تعالى
فلما رأى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء **قال هذا ربي** معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب **فلما افل** يعني
غاب **قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين** يعني لئن لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا
لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الآية دليل على ان الهداية من الله لان ابراهيم عليه السلام اضاف الهداية الى الله
تعالى **فلما رأى الشمس بازغة** يعني طالعة **قال هذا ربي** يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس
اضوأ من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير **هذا اكبر** يعني
من الكوكب والقمر **فلما افلت** يعني فلما غابت الشمس **قال يا قوم اني برئ مما تشركون** يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه
السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها واظهر لقومه انه برئ مما تشركون ولما اظهر خلاف
قومه وتبرأ من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين والحق فقال **اني وجهت وجهي** يعني اني صرفت عبادتي وقصدت بتوحيدي

للذي فطر السموات والارض يعني للذي خلقهما وابدعهما حنيفا يعني مائلا عن عبادة كل شيء الا الله تعالى واصل
الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين
تبرا من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل وحاجه قومه يعني وخاصمه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام
عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك قال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني
في توحيد الله وقد هدين يعني وقد بين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته قال البغوي ولما رجع ابراهيم الى قومه وصار من الشباب
بحالة سقطت عنه فيها طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم وينادي
من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه
وبما هم فيه من الضلالة فلما فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه في دينهم قال يعني ابراهيم
اتحاجوني في الله وقد هداني يعني الى التوحيد ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف
ان تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون به لانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون
الخوف ممن يقدر على النفع والضر وقوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني لكن ان شاء ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضر
وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى
هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما يعني احاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه افلا
تتذكرون يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع والضار هو الله الذي خلق السموات والارض
ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها لانها جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا
يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني من اولى بالعذاب في يوم القيمة الموحد ام المشرك
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيمة هم الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك وعن ابن مسعود قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق
ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم يعني لم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول
تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم
من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان
عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم الامن يوم القيمة من عذاب
النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم
وبين قومه واستدلاله على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا لسبك اياها
فقال افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال
اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا
مخلصا له الدين والعبادة فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم
والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم
والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم بجميع
احوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب

خصمه

خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله اياها وهداه اليها عوضه عليه واحسانا اليه بان رفع درجته
في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحق ابنا من صلبه ويعقوب يعني ابن اسحق وهو
ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى الرشد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل يعني
من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع
فقيل الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله
تعالى ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال ابن [illegible]
كلا القولين جائز لان ذكرهما جرى وداود هو ابن ايشا كان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وايوب
هو ايوب بن اموص بن رازح بن عيص بن اسحق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهارون هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة انتهى وكذلك نجزي المحسنين يعني
وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركنا ويحيى
هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل قال محمد بن
اسحق هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس
جد نوح لان نوحا هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته
كل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين واسمعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر
اسحق وكذا اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسمعيل الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس
هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من
يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبياء افضل من
الملائكة واعلم ان الله ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب
الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تبارك وتعالى خص كل طايفة من طوايف
الانبياء عليهم الصلوة والسلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليهم
يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك
حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين
المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدائد الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من
المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم الصلوة والسلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله بذلك موسى وهارون من ذلك
بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام
ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق لهم اتباع ولا شريعة لهم وهم اسمعيل و
اليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب احسن شيء يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه
قوله عز وجل ومن اباءهم يعني ومن اباء الذين سميناهم من هنا للتبعيض لان اباء بعض من ذكر لم يكن مسلما وذرياتهم
يعني ومن ذرياتهم لان يحيى وعيسى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني ومن اخوانهم و
المعنى ان الله تعالى وفق من اباء المذكورين ومن ذرياتهم واخوانهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى واجتبيناهم
يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم يعني الى دين الحق ذلك هدى الله
قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد
يهدي به من يشاء من عباده يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشدهم الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والانداد

ولو اشركوا يعني هؤلاء الذين سميناهم **لحبط عنهم** يعني لبطل وذهب **ما كانوا يعملون** يعني من الطاعات قبل
ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا قوله عز وجل **اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة**
يعني اولئك الذين سميناهم من الانبياء اعطيناهم الكتب التي انزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب
والحكم على النبوة وان كانت هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المناصب والمراتب فذكرا ولا الكتاب والحكم لانهما يلان على النبوة
فان يكفر بها هؤلاء يعني فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش **فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين**
قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم
واختاره الزجاج والدليل عليه قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم
لا يقع الا على بني آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا او نبيا من الصحابة او التابعين وفي الآية
دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب
قوله تعالى **اولئك الذين هدى الله** يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم هم المخصوصون بالهداية **فبهداهم اقتده** اشارة
الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل الاقتداء في اللغة طلب موافقة الثاني الاول في فعله وقيل امره
ان يقتدي بهم في امر الدين الذين اجمعوا عليه وهو توحيد الله وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله والصفات والافعال وقيل
امره الله ان يقتدي بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفهاء والعفو عنهم
وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا **فصل**
احتج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وبيانه ان جميع خصال الكمال
وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل المجاهدة في الله عز وجل وكان
اسحق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلايا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعم قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا
وكان ايوب صاحب صبر على البلايا قال الله تعالى فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين
يعني الصبر والشكر وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسمعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب
تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال الحميدة المتفرقة فيهم فثبت
بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله عز وجل
قل لا اسئلكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله بالاقتداء بالنبيين وكان من جملة هديهم
ترك طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال قل لا اسئلكم عليه اجرا **ان هو** يعني ما هو يعني القرآن
الا ذكرى للعالمين يعني ان القرآن الا موعظة وذكرى لجميع العالم من الانس والجن وفيه دليل على انه صلى الله عليه
وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلايق قوله عز وجل **ما قدروا الله حق قدره**
قال ابن عباس معناه وما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما آمنوا ان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوا الله
حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشيء اذا حزره واراد ان يعلم قدره ومقداره يقدره بالضم قدرا
ثم يقال لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه
جميع الوجوه المذكورة في معناه **اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء** يعني الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين احدهما انها
نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري وقال
لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون
قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة

جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش
كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتورية وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الآية لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش
واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا بالكفار قريش وبعضها خطابا
لليهود القول الثاني في سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت
بالمدينة وانها من الآيات المدنيات التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست آيات منها قوله وما
قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه قال سعيد بن جبير جاء رجل
من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي انزل التورية
على موسى اما تجد في التورية ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال اصحابه
الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى قال البغوي وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا
عليه وقالوا اليس الله انزل الكتاب على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا
له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في
فنحاص بن عازورا اليهودي لانه القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما
انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تأتينا بكتاب من السماء
كما جاء به موسى الواحا تحمل من عند الله فانزل الله يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى الآية التي
في سورة النساء فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد منهم فانزل الله
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود
مقرون بانزال التورية على موسى عليه السلام فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بانزال التورية على موسى ولم يجب
عن هذا الاشكال بشيء واجيب عنه بان مراد اليهود بانكار نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم
من الاقرار به من انزال التورية على موسى فقال تعالى **قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى** اي قل يا محمد لهؤلاء اليهود
الذين انكروا نزول القرآن عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وفي هذا السؤال توبيخ لليهود
بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر **نورا وهدى للناس** يعني التورية ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق به
بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير **يجعلونه قراطيس** يعني يكتبونه في قراطيس مقطعة **يبدونها**
يعني القراطيس **ويخفون كثيرا** يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته في التورية ومما اخفوه ايضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التورية **وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم**
اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم
من قبل قال الحسن جعل الله علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين
يذكرهم النعم فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **قل الله** هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به فان
اجابوك يا محمد والا فقل انت الله الذي انزله **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون
من باطلهم وكفرهم ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه انك يا محمد اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار
هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من امرهم شيء فذرهم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم

هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك
يعني وهذا القرآن كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح
والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء
على الانبيا يعني انه موافق لما في التورية والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب
ونقيصة وتدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة ولتنذر قرئ بالتاء يعني ولتنذر
يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ام القرى يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى
لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها
يعني جميع البلاد التي حولها شرقا وغربا والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به يعني والذين يصدقون بقيام الساعة
وبالمعاد والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب فانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه و
ذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرايع وهم على
صلوتهم يحافظون يعني يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك
يحمل على المحافظة على الصلوات وفايدة تخصيص الصلوة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات
بعد الايمان بالله عز وجل فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله عز وجل ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا يعني ومن اظلم اي ومن اعظم خطأ واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا
وهو في زعمه كذاب مبطل او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء قال قتادة هذه الآية في مسيلمة الكذاب وهو ابو
ثمامة مسيلمة بن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم
ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان
مسيلمة نبي قالا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم اذ اوتيت خزائن الارض فوضع في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني
فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين من ذهب فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما
مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فاوحي الي ان انفخهما روي بالحاء المهملة ومعناه الرمي والدفع
من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ومحت برجلها وروي بالخاء المعجمة من النفخ يريد نفخهما فطارا عنه وهو اقرب من الاول
فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه وقتل مسيلمة
في خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد
المطلب وقتلت شر الناس يعني مسيلمة الكذاب واما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان
يقال له ذو الحمار ادعى النبوة في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم
حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاز فيروز بقتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت
بالمدينة وهو قول بعض علماء التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية قال انها
نزلت في شانهما يقول انها اخبار عن غيب فظهر ذلك فيما بعد والله اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل

فانه يرغب صح
نزلت صح
من اليمن صح
باليمن صح

مثل

مثل ما انزل الله قال السدي نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه
وسلم فكان اذا املى عليه النبي صلى الله عليه وسلم سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما
حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي مثل ما اوحي اليه فارتد
عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم
نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله تعالى سانزل مثل ما انزل الله في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا
يمنع خصوص السبب عموم الحكم ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد حال هؤلاء
الظالمين اذ انزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شيء معظمه واصلها
الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره والملائكة باسطوا ايديهم
يعني بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم
يعني يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الكلام
قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون
لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون
على خلاص انفسهم من العذاب في ذلك اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم تقولون
على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته
تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكفار وكيف
يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا
هممهم في الدنيا الى تحصيل الولد والمال والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا في يوم
القيمة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني كما جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني
قلفا كما ولدتهم امهاتهم في اول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم ق عن ابن عباس رضي الله عنه قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ق عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقالت عايشة فقلت الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر
اشد من ان يهمهم ذلك وروى الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة
بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء
ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول كلما اعطى الله العبد وخوله
فيه من المال والعبيد وراء ظهوركم في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها لهم عند الله تعالى يوم القيمة شركاء لله تعالى

يوم القيمة صح
جميعا صح
انه صح
الله صح

لانها صح
تشفع صح

عن ذلك فاذا كان يوم القيمة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الاية ثم قال تعالى **لقد تقطع بينكم** قرئ بنصب النون
من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع
وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا **وضل عنكم ما كنتم تزعمون** يعني وبطل ما كنتم تكذبون
في الدنيا قوله عز وجل **ان الله فالق الحب والنوى** لما تقدم الكلام في تقرير التوحيد وتقرير النبوة اردفه
بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى
بجميع صفاته وافعاله فانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا اتخذوها
وتعريف منه ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب
عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى الفلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول ان الله خالق الحب
والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري
هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه فقال وقيل الفلق الخلق
واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما اظهرها
الله تعالى من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه
على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن زيد
قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان
اللذان في الحبة والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة وهو ما كان
على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة او النواة في الارض
الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة تكون
فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهوى وعروقا ضاربة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقه
وقوله تعالى **يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي** قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا من
الميت ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة الميتة ويخرج
الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى يخرج المومن من الكافر
ويخرج الكافر من المومن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطايع من العاصي
والعاصي من الطايع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري قال لانه قاله عقيب
قوله ان الله فالق الحب والنوى فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت
هو كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابسين واخراج النبات والشجر منه من جنس
اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله تعالى **ذلكم الله** يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع
لهذه الاشياء كلها المحيي المميت لها **فانى تؤفكون** يعني فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق
الاشياء وفيه دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب
للحساب قوله تعالى **فالق الاصباح** اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي
به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهو اول النهار فان قلت ظاهر هذه الاية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة
التي هي تتعلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان
الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك
ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في الافق الشرقي ثم يمحى ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء

المستطير

المستطير في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فالق ظلمة الصبح
الاول بالصبح الثاني الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصباح بضياء النهار
فيكون معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في آخر الليل
الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى
مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو اول
النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره وقوله تعالى **وجاعل الليل سكنا** السكن ما سكنت
اليه واستوحشت به يريد ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله تعالى جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس ان كل ذي روح
يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل **والشمس
والقمر حسبانا** يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل مسمى لهما
يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما **ذلك**
اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك **تقدير العزيز العليم**
فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر** جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا
بها اذا اضللتم الطريق وتحيرتم فيه فمن الله على عباده بان جعل لهم النجوم يهتدوا بها الى المسالك والطرق في البر
والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة ويستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل
بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا انه تعالى خلقها زينة للسماء كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعل
بعضها رجوما للشياطين **قد فصلنا** يعني قد بينا **الايات** الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا **لقوم يعلمون**
ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى **وهو الذي انشاكم من نفس واحدة**
يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من آدم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوا مخلوقة
منه وعيسى ايضا لانه ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام **فمستقر و
مستودع** قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف جعله مكانا فالمستقر بمعنى المقر
فيكون المعنى ولكم مقر والمستودع هو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان
يكون المكان نفسه فمن قرا بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر
القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني فمنكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع
ان المستقر اقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت عبارات
المفسرين في معنى هذين اللفظين ويروى عن ابن عباس انه قال المستقر يعني في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء
ثم قرا ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام
زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب ويروى عنه
انه قال بالعكس يعني ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم المراة ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب
قبل رحم الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان تولد والمستودع
في القبر الى ان تبعث وقال مجاهد المستقر على الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع عند الله
في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق
بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة واما في النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود

والتأييد قد فصلنا الآيات يعني قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم
يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لأن الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي
أنزل من السماء ماء يعني المطر وقيل إن الله ينزل المطر من السماء ومن السحاب إلى الأرض فأخرجنا به نبات يعني بالماء
الذي أنزلناه من السماء نبات كل شيء يعني من كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخرجنا
بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شيء من الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم مما يتغذون به
فيثبتون عليه وينمون فأخرجنا منه خضرا يريد أخضر مثل عور وأعور والخضر هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج
منه حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك الأخضر سنابل فيها الحب مركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والأرز
والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الأفضلية لأن حاجة الناس إليه أكثر لأنه القوت المألوف
ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها قيل أطلعت النخلة إذا أخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل أن ينشق عن
الإغريض والإغريض يسمى طلعا أيضا وهو أول ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه
العذق فإذا انشق عنه كيزانه سمي عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أي قريبة للمتناول ينالها القائم
والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالأرض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانه
قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية واكتفى بذكر قريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها لأنها أسهل تناولا ولأن البعيدة لأن
البعيدة تحتاج إلى كلفة وجنات من أعناب يعني أخرجنا من ذلك بساتين من أعناب والزيتون والرمان
يعني وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لأن ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه في الورق والطعم واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أربعة أنواع
من الشجر بعد الزرع وإنما قدم الزرع على سائر الأشجار لأن الزرع غذاء وثمار الأشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وإنما قدم
النخل على غيرها لأن ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الأشجار وإنما ذكر العنب عقيب النخلة
لأنه من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الأكل وسائر وجوه الاستعمال ثم
ذكر عقيبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لأنه فاكهة ودواء قال تعالى انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه يعني و
نضجه وإدراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبار كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة
الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون يعني يصدقون أن الذي أخرج هذه الثمار وهذا
النبات قادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم وإنما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال إلى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه
من إحياء الأرض بعد موتها وإخراج أنواع سائر النبات والثمار منها وأن لا يقدر على ذلك أحد إلا الله تبارك وتعالى فإنه تعالى
كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم القيمة وإنما احتج عليهم بهذه الأشياء لأنهم كانوا ينكرون البعث قوله
تعالى وجعلوا لله شركاء الجن قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الأوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه أنهم أطاعوا
الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة أثبتوا الشركة لإبليس في الخلق فقالوا الله
خالق النور والناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي
عن ابن السائب ونقله الإمام فخر الدين الرازي عن ابن عباس قال الإمام فخر الدين وهذا مذهب المجوس بالزنادقة لأن الكتاب
الذي زعم زرادشت أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب إليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فإذا جمع زنادقة ثم إن المجوس
قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني إبليس ثم اختلف
المجوس فالأكثرون منهم على أن إبليس محدث ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة والأقلون منهم قالوا إنه قديم وعلى كلا القولين
فقد اتفقوا على أنه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن إبليس تعالى الله عن قولهم علوا

كبيرا فإن قلت فعلى هذا القول إنهم أثبتوا لله تعالى شريكا واحدا وهو إبليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء قلت إن إبليس
له أعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعاونون أعماله فصح ما حكاه الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية
وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال إن الآية في كفار العرب قال إنهم لما أطاعوا الجن فيما أمروهم به من
عبادة الأوثان والأصنام وقد جعلوهم شركاء ومن قال إنها في المجوس فقد أثبتوا إلهين اثنين النور والظلمة وقيل إن كفار العرب
قالوا إن الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لأنهم مستورون عن الأعين
وقوله تعالى وخلقهم وفي معنى الكناية قولان أحدهما أنها تعود إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف
يكون شريكا لله من هو محدث مخلوق والقول الثاني أن الكناية تعود إلى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذي
خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وهذا كالدليل القاطع بأن المخلوق لا يكون شريكا في ملكه وخرقوا له
بنين وبنات بغير علم أي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان إذا كذب عليه وذلك أن النصارى وطائفة
من اليهود ادعوا أن لله ابنا وكفار العرب ادعوا أن الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم
كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لأن الولد جزء من الأب والله سبحانه لا يتجزى فثبت
تنزيهه عن اتخاذ الولد وعن هذه الأقاويل الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه
فيه تنزيه عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى
المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله تعالى عما يصفون يعني عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل بديع السموات
والأرض الإبداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سابق والله خلق السموات والأرض على غير مثال سابق
أنى يكون له ولد يعني من أين يكون له الولد ولم تكن له صاحبة لأن الولد لا يكون إلا من صاحبة أنثى ولا
ينبغي أن يكون لله صاحبة لأنه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني أن الصاحبة والولد في جملة من خلق لأنه
خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له وإذا نسب الولد والصاحبة إليه فقد جعل له مثل
فتعالى عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم يعني أنه تعالى عالم بجميع
خلقه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وعلمه محيط بكل شيء قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صفته
أنه خلق السموات والأرض وأبدعهما على غير مثال الذي بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعونه من دونه
من الأصنام لأنها جماد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا إله إلا هو
خالق كل شيء فاعبدوه يعني أنه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني أنه تعالى
على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم بأرزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
قال جمهور المفسرين معنى الإدراك الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالأبصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كما أن
القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأبصار وقال ابن عباس
كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فصل تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة
وبعض المرجئة وقالوا إن الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وإن رؤيته مستحيلة عقلا لأن الله أخبر أن الأبصار
لا تدركه وإدراك الأبصار عبارة عن الرؤية إذ لا فرق بين قوله أدركته ببصري ورأيته ببصري فثبت بذلك
أن قوله لا تدركه الأبصار لا تراه وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيمة
وفي الجنة وأن رؤيته غير مستحيلة عقلا لأن الله أخبر أن الأبصار لا تدركه وإدراك البصر عبارة عن الإحاطة
بكنه الشيء واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة
على إثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ففي الآية

دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيمة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي حجب قوما بالمعصية وهي
الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان فقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيمة لم يعير الكفار بالحجاب وقال
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى الله تعالى يوم القيمة واما دليل السنة فما روى
عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم
عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانكم ترونه كذلك اخرجه ابو داود وليس
عنده في اوله ان ناسا سالوه ولا في اخره ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا نرى ربنا
مخليا به قال نعم قلت وما اية ذلك من خلقه فقال يا ابا رزين اليس كلكم ترون القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله
اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلائل العقلية فقد احتج اهل السنة
ايضا بهذه الاية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيمة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه فلو لم يكن جائز الرؤية لما
حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رؤيته فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على كونه تعالى جائز الرؤية
وتحقيقه هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه
جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى
جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان موسى عليه السلام سال الرؤية بقوله رب ارني
انظر اليك اذ لا يسئل مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني
واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر الاية على نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير
الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بلا
ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن
قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا فالله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة
لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو من كان محدودا وله جهات والله منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية
لوجوده فعلى هذا انه تعالى يدرك ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه الابصار
في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيمة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي البصر بصران بصر معاينة وبصر
علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله تعالى
وهو يدرك الابصار ان تعالى يرى المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو
تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها **وهو اللطيف الخبير** قال ابن عباس اللطيف باوليائه الخبير بهم وقال
الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق وقيل هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل
اللطف النظر في الاشياء وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم
من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف من اسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم
عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى
قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم

القرآن فيه البيان والحجج التي تبصرونها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الايات والبراهين ليست في انفسها بصائر
الا انها لقوتها لمن عرفها ووقف على حقايقها فلما كانت هذه الايات والحجج والبراهين اسبابا لحصول البصائر سميت الايات بصائر
فمن ابصر يعني فمن عرف الايات واهتدى بها الى الحق **فلنفسه** يعني فلنفسه ابصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك
اليه **ومن عمي** يعني ومن جهل ولم يعرف الايات ولم يستدل بها الى الطريق **فعليها** يعني فعلى نفسه عمي وعليها ضر
وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه **وما انا عليكم بحفيظ** يعني وما انا عليكم برقيب
احصي عليكم اعمالكم وافعالكم انما انا رسول من ربكم اليكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى
عليه شيء من اعمالكم واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست اخذكم بالايمان
اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول
الاول ليست بمنسوخة والله اعلم قوله عز وجل **وكذلك نصرف الايات** يعني وكذلك نبين الايات ونفصلها
من كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل **وليقولوا درست** وقيل معناه لئلا يقولوا درست يعني قرات على غيرك يقال
درس الكتاب يدرسه دراسة اذا اكثر قراءته وذلله للحفظ وقال ابن عباس وليقولوا اهل مكة حين يقرا عليهم القرآن
درست يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرات علينا تزعم انه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت
من اليهود وقرئ دارست بالالف قارأت اهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يقولون قرات على اهل الكتاب وقروا
عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد
درست وانمحت من قولهم درس الامر اذا امحى وذهب اثره **ولنبينه لقوم يعلمون** يعني القرآن وقيل معناه نصرف
الايات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك نصرف الايات
ليسعد بها قوم ويشقى بها اخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست او دارست فهو شقي ومن تبين
له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال ابو اسحق الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات عليهم وهذه
اللام يسميها اهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم الى ان قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا
دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى **اتبع ما
اوحي اليك من ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اتبع يا محمد ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك
وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادي ولا تلتفت الى قول من يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحي اليك من
ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم دارست وبينه بقوله تعالى
لا اله الا هو يعني سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها
بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى **واعرض عن المشركين** قيل المراد منه في الحال لا الدوام
واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل
ولو شاء الله ما اشركوا قال الزجاج معناه لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة
الله خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرض من احد الكفر والشرك فالاية رد عليهم **وما جعلناك عليهم حفيظا**
يعني وما جعلناك يا محمد على المشركين رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطا وما جعلناك
عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب انما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك
بمشيئة الله تعالى **وما انت عليهم بوكيل** يعني وما انت عليهم بوكيل تقوم بارزاقهم وما انت عليهم بمسيطر
فعلى التفسير الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة والله اعلم قوله تعالى **ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** الاية قال ابن عباس

لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله عن سب اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية بن خلف وابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا بسوء ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هولاء قومك وبنوا عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك قومك فاقبل منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطيّ كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها ارادة ان يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من يامرك فانزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا ايها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قوي اصحابه نسخ هذه الاية ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما ترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى **كذلك زينا لكل امة عملهم** يعني كما زينا لهولاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا الاحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى **ثم الى ربهم مرجعهم** يعني المؤمن والكافر والطايع والعاصي **فينبئهم بما كانوا يعملون** يعني في الدنيا فيجازيهم على ذلك قوله عز وجل **واقسموا بالله جهد ايمانهم** قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان له عصى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم وانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني حلفوا بالله جهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه **لئن جاءتهم آية** يعني كما جاءت من قبلهم من الامم **ليؤمنن بها** يعني ليصدقن بها **قل** يعني قل يا محمد

انما الآيات عند الله يعني انه تعالى قادر على انزالها **وما يشعركم** يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله **انها اذا جاءت لا يؤمنون** فقرأه ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال وما يشعركم ايها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدا فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يشعركم ايها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون او لا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا شايع في كلام العرب يقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد يعني لعل منيتي قوله تعالى **ونقلب افئدتهم وابصارهم** قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التي سالوها ما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر **كما لم يؤمنوا به اول مرة** يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من تلك المعجزات الباهرة وقيل ان اول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا اول مرة قبل مماتهم وفيه دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان الابصار والقلوب بيده وفي تصرفه فيقيم ما شاء منها ويزيغ ما اراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب افئدتهم نزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سالوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** يعني ونترك هولاء المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق قوله عز وجل **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك انهم اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة **وكلمهم الموتى** يعني بما سالوا **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبيلة قبيلة وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول لما آمنوا وهو قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله يعني الا ان يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة **ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله** اخبر الله ان الايمان

من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من صح

أن الإيمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم أهل الشقاء إلا أن
يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الإيمان ورجح الطبري قول ابن عباس قال لأن الله عم بقوله
ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل
السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان وقوله تعالى **ولكن أكثرهم يجهلون** يعني يجهلون أن ذلك كذلك ويحسبون
أن الإيمان إليهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس الأمر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان
آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة أن الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في
قولهم إن الله أراد الإيمان من جميع الكفار وقوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك
زينا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء أعداء كذلك جعلنا
لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء **شياطين الإنس والجن**
اختلف العلماء في معنى شياطين الإنس والجن على قولين أحدهما أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن والشيطان
كل عات متمرد من الجن والإنس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشيطان الإنس أشد تمردا من
شيطان الجن لأن شيطان الجن إذا عجز عن إغواء المؤمن الصالح وأعياه ذلك استعان على إغوائه بشيطان الإنس ليفتنه ويدل
على صحة هذا القول ما روي عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والإنس قلت
يا رسول الله وهل للإنس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار
إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني
إلى المعاصي القول الثاني أن الجميع من ولد إبليس وأضيف الشياطين إلى الإنس على معنى أنهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك
والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن وذلك أن
إبليس قسم جنوده قسمين فبعث فريقا منهم إلى الجن وفريقا إلى الإنس فالفريقان شياطين الجن والإنس يعني أنهم يغوونهم ويضلونهم
وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب إلى هذا القول قال يدل على صحته أن
لفظ الآية يقتضي إضافة الشياطين إلى الإنس والجن والإضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوعا مغايرا للإنس
والجن وهم أولاد إبليس وقوله تعالى **يوحي بعضهم إلى بعض** يعني يلقي ويسر بعضهم إلى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة
التي يلقيها إلى من يريد إغواءه فعلى القول الأول أن شياطين الإنس والجن يسر بعضهم إلى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين
وعلى القول الثاني أن أولاد إبليس يلقى بعضهم بعضا في كل حين فيقول شياطين الإنس لشياطين الجن أضللت صاحبي بكذا وكذا
فأضل أنت صاحبك بمثله ويقول شياطين الإنس كذلك فذلك وحي بعضهم إلى بعض وقوله **زخرف القول غرورا** يعني باطل
القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل شيء حسن مموه فهو زخرف **غرورا** يعني أن الشياطين
يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك أن الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم بها غرورا **ولو شاء
ربك ما فعلوه** يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى أن الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين
من إلقاء الوسوسة إلى الإنس والجن ولكن الله تعالى يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم أنه الأجزل له في الثواب إذا صبر على المحنة
فذرهم وما يفترون يعني فخلهم يا محمد وما زين لهم إبليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فإن من ورائهم قوله تعالى **ولتصغى
إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** قال ابن عباس ولتميل إليه وأصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى إلى كذا أمال إليه ويقال
صغوت أصغو وصغيت أصغي لغتان قال ابن الأنباري اللام في ولتصغى متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى
إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروا

بذلك ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير في إليه يرجع إلى زخرف القول والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف
القول وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله **وليرضوه** يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل **وليقترفوا ما هم مقترفون**
يعني وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل **أفغير الله أبتغي حكما** أي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
وبينك حكما فأمره الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعاني قال الحكم أكمل
من الحاكم لأن الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم إليه وهو الذي لا يحكم إلا بالحق فالله حكم ولا يحكم إلا
بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**
يعني مبينا أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم **والذين آتيناهم الكتاب** يعني علماء اليهود والنصارى
يعلمون أنه منزل من ربك بالحق يعني يشهدون أن هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل
الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرائهم يعلمون أن هذا القرآن
منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه **فلا تكونن من الممترين** يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين أن علماء
أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك أنه حق وصدق
فهو من باب التهييج لأنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن
المراد به غيره والمعنى فلا تكونن أيها الإنسان السامع لهذا القرآن في شك أنه منزل من عند الله لما فيه من الإعجاز الذي
لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى قوله تعالى **وتمت كلمة ربك** وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على
التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني
في قصيدته فكذلك القرآن كلمة واحدة لأنه شيء واحد في إعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لأن الله تعالى
قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الأول اتباعا للثاني **صدقا وعدلا** يعني صدقا فيما وعد
وعدلا فيما حكم وقيل إن القرآن مشتمل على الأخبار والأحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والأمم الخالية
وعما هو كائن إلى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الأمر والنهي
والحلال والحرام وسائر الأحكام **لا مبدل لكلماته** يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف
كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلمات الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل لكلماته
لأنها مصونة عن التحريف والتغيير باقية إلى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على أن السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي
ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الأزل والشقي من شقي في الأزل وأورد على هذا أن الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب
سعيدا بإسلامه وأجيب عنه بأن الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الأزل ومن ختم له بالشقاوة
كان شقيا في الأزل والله أعلم وقوله تعالى **وهو السميع** يعني لما يقوله العباد **العليم** يعني بأحوالهم قوله عز وجل **وإن
تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** قال المفسرون إن المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
في أكل الميتة وذلك أنهم قالوا للمسلمين كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وإن تطع أكثر من في الأرض في أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الأرض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن
دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم الباطلة فإنك إن تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني
يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى **إن يتبعون إلا الظن**
يعني أن هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه إلا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا
بقاطعين أنهم على الحق لأنهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل **وإن هم**

انهم يخرصون يعني يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن من غير يقين وسمي الكذب خرصا
لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قايله لم يقله عن علم ويقين ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو اعلم منك
ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله وهو ايضا اعلم بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شي من احوال
خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين الضال والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين اتاكلون مما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا
انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم بآياته مومنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من الغنم ويحلون الميتة
فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الاية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الاية خطابا
للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم بآياته مومنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني واي شي لكم
من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد
فصل لكم ما حرم عليكم يعني وقد بينت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد
فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد
الامام فخر الدين الرازي هاهنا اشكالا فقال سورة الانعام مكية وسورة المايدة من اخر ما انزل الله تعالى بالمدينة
وقوله وقد فصل يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المجمل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل
الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا
او لحم خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال
كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه انه ان الله لما علم ان سورة المايدة متقدمة في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم
في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يعني الا ان تدعوكم
الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم يعني
وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اتاكلون ما تذبحون ولا تاكلون ما ذبحه الله وانما قالوا
هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون اهواءهم ليضلوا انفسهم واتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن
لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ان ربك هو
اعلم بالمعتدين يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده واحل ما حرم الله وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم
قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهو الذنوب والمعاصي كلها
سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد
بن جبير في هذه الاية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات
والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن اصحاب الرايات واما الباطن
فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما
كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا
وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك
الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام
بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري
وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا

وهو مقدم
على سورة الانعام في الترتيب الذي
الذو ليحسن عود الضمير في قوله

لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وارادة
السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون
ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الاخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكتسبون في الدنيا من
الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة
لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشية ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضله
وكرمه وقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة
وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم
اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر
الدين عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية
وقال الثوري وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك
التسمية عامدا او ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقله ابن الجوزي عن احمد في روايتين فيما اذا ترك
التسمية عامدا وان تركها ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الاية الميتات وما
ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية وانه لفسق واجمع العلماء ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية
عليها لا يفسق واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عايشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديثا
عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان فما ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية
شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح قال الشافعي في اول الاية وان كان عاما
بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم
ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح
كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فصار هذا الفسق
الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق مخصوص بما اهل لغير الله به والله اعلم قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليايهم من المشركين ليجادلوكم و
يخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها
قالوا افتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل
هذه الاية وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية في تحريم الميتة كتب فارس وهم المجوس الى مشركي قريش ان خاصموا محمدا وقولوا له
ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليايهم
يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبة في خفية
وان اطعتموهم يعني في اكل الميتة وما حرم الله عليكم انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم في الشرك قال
الزجاج فيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت
حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه يعني او من كان ميتا
بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي صاحب بصر يهتدي الى رشده و
لما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحيوة الابدية شبهه بالحيوة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
يعني وجعلنا له نورا يستضي به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات
الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المومن بما يعمله

فمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمات الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة ليس بخارج منها
يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فأحياه
وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فكان متحيرا على الدوام
ثم اختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصوصان بإنسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا
في ذلك قولين أحدهما أن الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا
جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس
وحمزة لم يؤمن قبل فأقبل حمزة غضبا حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول
يا أبا يعلى أما ترى إلى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم عقولا
تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم حمزة يومئذ فأنزل الله
هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال
مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وذلك أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى
إذا صرنا نحن وهم كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله هذه الآية
والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لأن المعنى إذا كان
حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال أهل السنة المزين
هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم أعمالهم ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون
إلا بخلق الله تعالى فدل ذلك على أن المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله
تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة أكابرها وعظماءها جعلنا في كل قرية أكابر
وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها
ولا يجوز أن يكون مضافا لأنه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر
وإنما جعل المجرمين أكابر لأنهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وإنما حصل ذلك
لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم ليمكروا فيها
قال أبو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والأيمان الكاذبة و
ترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر
ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم إنه كذاب ساحر كاهن وما يمكرون
إلا بأنفسهم يعني وما يحيق هذا المكر إلا بهم لأن وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون يعني أن وبال ذلك
المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل
الله يعني من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا
كنت أنا أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل
وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن
به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله هذه الآية وقوله وإذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة
واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وأمثالهما من أكابر أهل
الكفر ويدل عليه الآية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فكأنه قيل أكابر

قريش أن قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني من النبوة وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور أن القوم أرادوا أن
تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثاني
وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس أن المعنى وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني يوحى إلينا ويأتينا جبريل يصدقك بأنك رسول الله
فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وإنما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول من الله تعالى
وعلى القول الأول أنهم طلبوا أن يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل
رسالاته يعني أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس لها بأهل وأنهم ليسوا
لها بأهل ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعاني الأبلغ في تصديق الرسل أن
لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لأن الطعن كان يتوجه عليهم فيقال إنما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لأجل
ذلك فكان الله تعالى أعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وغيرهما من أكابر قريش
ورؤسائها وقوله تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار أي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذي يصغر إلى المرء نفسه
عند الله يعني هذا من عند الله وقيل معناه أن هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول إنما يحصل لهم هذا الصغار
في الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم في الدنيا وعذاب شديد يعني في الآخرة بما كانوا يمكرون
يعني إنما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون قوله تعالى فمن يرد الله
أن يهديه يشرح صدره للإسلام والإيمان يقال شرح الله صدره فانشرح أي وسعه لقبول الإيمان والخير
فتوسع وذلك أن الإنسان إذا اعتقد في عمل من الأعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه إليه
وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان
أمره إذا أوضحه وأظهره وشرح المسألة إذا كانت مشكلة فأوضحها وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما
الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أي فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا أفمن
شرح الله صدره للإسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني أن الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيعرف
بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به من
عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به وإحسانه
إليه فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمارة قال نعم
الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت وأسنده الطبري عن ابن مسعود
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
قال إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقي الموت وقوله تعالى ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس إذا سمع ذكر الله
اشمأز قلبه وإذا سمع ذكر الأصنام ارتاح إلى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده أعرابي من كنانة
فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا يصل إليها شيء من الخير وأصل الحرج
الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الأشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل إليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية

وقوله

نزوله

فقال هل هنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس
كذلك قلب الكافر قال اهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح
والانفساح ونوره فيقبل ما اودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف
الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله والايمان
به وفي الاية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى **كأنما يصعد**
في السماء يعني ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز ان
يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد
الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي الى الاسلام فكانه
يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك **كذلك يجعل الله الرجس**
على الذين لا يؤمنون الكاف في كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم كجعله صدورهم
ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج اي
مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان اي يسلطه عليهم وقال مجاهد الرجس
ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب
قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما** يعني وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران
هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس في قوله
وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القران لانه يؤدي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة و
السداد **قد فصلنا الايات** يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر
والنهي وغير ذلك من احكام القران **لقوم يذكرون** يعني لمن يذكرها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطا
يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان **لهم دار السلام عند ربهم** يعني الجنة في قول
جميع المفسرين قال الحسن والسدي هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة
لانه تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقايص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى السلام الذي هو اسم الله اضافة
تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه والحجة لصحة
هذا ان اضافة الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها وقيل ان
السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم
دار السلام التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى
في وصفها ادخلوها بسلام امنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام
وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهياة
لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم بما كانوا يعملون** يعني انه تعالى يتولى امرهم وايصال
المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولى امرهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الاخرة بالجزاء
والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة
التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى **ويوم يحشرهم جميعا** اي اذكر يا محمد يوم يحشر العادلين
بالله الاصنام مع اوليائهم من الشياطين يعني يحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيمة **يا معشر الجن**
فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس**

السلام

يعني من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لا بد له من تاويل اخر لان الجن
لا يقدرون على اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار احد الا الله لانه هو المتصرف في خلقه بما يشاء فوجب
ان يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس **وقال اولياؤهم من الانس ربنا**
استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن فقال الكلبي كان
الرجل من الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر خاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه
فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك
شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة
وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون
لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات
ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤسا
للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن
بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر يوجب حمل الكلام عليه
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود
ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيمة
قال يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس **النار مثواكم** يعني ان النار مقامكم ومقركم
فيها ومصيركم اليها **خالدين فيها** يعني مقيمين في نار جهنم ابدا **الا ما شاء الله** اختلفوا في معنى هذا
الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالدين
فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات تنقلهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون من النار
فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور
المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله
عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شاء بمعنى من يعني الا من شاء الله ونقل
الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثناء ان الله عز وجل جعل امر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته
وقال في هذه الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول الاول اولى لان
معنى الاستثناء انما هو من يوم القيمة لان قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيمة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون
الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم **ان ربك حكيم** يعني في تدبير خلقه
وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطايع وعقاب
العاصي وفي ساير وجوه المجازات **عليم** يعني بعواقب امور خلقه وما هم اليه صايرون كانه قال انما حكمت
لهؤلاء بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا**
الكاف في ذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم
ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من اعان ظالما
سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم اولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن من حيث كان واين كان والكافر
ولي الكافر حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه
نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية

هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية
متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمتى ارادوا ان يتخلصوا من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله
تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر
الجن والانس** المعشر هو كل جماعة امرهم واحد **الم يأتكم رسل منكم** اختلف العلماء في معنى هذه الاية وهل كان
من الجن رسول ام لا فذهب اكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم
يعني من احدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون
العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهذا جائز في كل ما اتفق في اصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع
الانس جاز لمخالطتهما بما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدي
وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن انبياء وذهب قوم الى انه ارسل الى الجن رسلا
منهم كما ارسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الاية يدل على ذلك لانه تعالى قال الم يأتكم
رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله عز وجل قال يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وهذا
يقتضي كون الرسل بعضا من ابعاض هذا المجموع وكان هذا القول اولى من حمل لفظ الاية على ظاهرها فثبت بذلك كون
الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم
من الجن حتى يستمعوا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما
قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
فكان اولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس
والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن عباس ابن جريج وابو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة
رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** يعني يخبرونكم بما
اوحي اليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** يعني ويحذرونكم
ويخوفونكم وينذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيمة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيمة لكفار الجن والانس
على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر في كتابه وهو قوله يا معشر الجن والانس الاية فيجيبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا**
يعني كفار الجن والانس **شهدنا على انفسنا** اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم
لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى
وغرتهم الحيوة الدنيا يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحيوة الدنيا ومالوا اليها **وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين** يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية وجحدوا الشرك والكفر في قوله
والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيمة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل
والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم
بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم
الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على انفسهم ذم لهم
وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم انهم
اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي
قوله عز وجل **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه
ذلك الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم **ان لم يكن ربك** يعني انه لم يكن ربك

مهلك

مهلك القرى بظلم واهلها غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان تأتيهم
الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم
منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفراء انه لو اهلكهم
قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض
لاحد عليه في شيء من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى **ولكل
درجات مما عملوا** يعني ولكل عامل بطاعة الله او معصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما
سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا
فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهذا قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص
باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** مختص باهل الكفر
والمعاصي وفيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع
والعاصي وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وبما يليق به من ثواب او عقاب قوله عز وجل
وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين تخصيص المطيعين
بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع او منتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع
الخلق فقراء اليه **ذو الرحمة** قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير
العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون **ان يشأ يذهبكم** يعني يهلككم والخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد
لهم **ويستخلف** يعني وينشئ ويخلف **من بعدكم** يعني من بعد اهلاككم **ما يشاء** يعني خلقا غيركم امثل واطوع
منكم **كما انشأكم من ذرية قوم آخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي يعني
آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدي وقال صاحب الكشاف يعني من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان
الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقا
آخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهذا الوجه اقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق
فمتى حمل على خلق ثالث ورابع يكون اقوى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق
الذين يصلحون لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى برحمته لهؤلاء الاقوام الحاضرين ابقاهم وامهلهم
ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا
تفكر علم ان الله تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك لمحض القدرة والحكمة
واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لهم هذا
آخر كلامه وقال الطبري في قوله كما انشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما احدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم
ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال في الكلام اعطيتك من ديناري ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لان الثوب
من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشئوا مكان قوم آخرين قد هلكوا
قبلهم قوله تعالى **ان ما توعدون لآت** يعني ما توعدون به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب
يوم القيمة لآت يعني انه كائن قريب **وما انتم بمعجزين** يعني بفائتين حيث ما كنتم يدرككم الموت قوله عز وجل
قل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد **يا قوم** اي قل لقومك من كفار قريش **اعملوا على مكانتكم**
وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان

ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل ان يكون معناه اعملوا على تمكينكم من امركم واقصى استطاعتكم
وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك
يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم انى عامل يعني انى عامل على
مكانتي التي انا عليها وبما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام
والمصابرة فان قلت ظاهر هذه الآية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا
الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان
رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد
وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى فسوف تعلمون يعني لمن تكون العاقبة
المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق في عمله نحن ام انتم من تكون
له عاقبة الدار يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهي الجنة انه لا يفلح الظالمون
قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك ثم في هذه الآية قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول
ان المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة باية السيف وهذا على قول
من يقول ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية لما
بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم
واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما
ذرأ يعني مما خلق من الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا
يعني قسما وجزءا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وسائر اموالهم
نصيبا وللاصنام نصيبا فما جعلوه لله من ذلك صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه
عليها وعلى خدمتها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاصنام تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط
شيء من نصيب الاصنام فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم
يأخذوا بدله مما جعلوه لشركائهم واذا هلك ما جعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم يعني قولهم الذي هو غير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك
لا تجيء الا في موضع ذم لقائليه وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لاضافتهم
نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم وهذا لشركائنا يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركاء لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فما كان لشركائهم يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام
فلا يصل الى الله يعني فلا يعطون المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
والمعنى انهم كانوا يقرون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقرون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال
قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم
ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا
يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم فقال تعالى ساء ما يحكمون يعني بئس ما يحكمون
ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها
لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى

الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا
نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاؤهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم
ولشركائهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك
اقدامهم على قتل اولادهم في نهاية الجهالة ايضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا
كذلك زين يعني حسن لكثير من المشركين قتل اولادهم يعني به وأد البنات احياء مخافة الفقر
والعيلة شركاؤهم يعني شياطينهم امروهم ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء
لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف
الشركاء الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم يعني خدامها وهم
الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له كذا وكذا
غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام
سموا شركاء لانهم اشركوا في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة
الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس
ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم
عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلوة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة
وزينوها لهم ولو شاء الله ما فعلوه يعني ولو شاء لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم
الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع الاشياء بمشيئته وارادته اذ لو لم يشأ لما فعلوا ذلك فذرهم
يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله تعالى
وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام واصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريم وقيل
هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون اشياء من انعامهم وحروثهم لآلهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة و
السائبة والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعني يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء
وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الانعام التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وانعام لا
يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسماء الاصنام
وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل
الخير افتراء عليه يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب
على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب قوله عز وجل
وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني نساءنا قال ابن عباس
وقتادة والشعبي اراد اجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا
اكله الرجال والنساء جميعا وهو قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء وادخلت الهاء في خالصة للتأكيد
والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء ادخلت الهاء لتأنيث الانعام لان ما في بطونها مثلها فانثت
بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث
جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه انث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ
سيجزيهم وصفهم يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب انه حكيم عليم فيه وعيد

وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت في من يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضي الرجل على ان يستحيي جاريه ويئد اخرى فاذا كانت الجارية التي يئد غدا الرجل او راح من عند امرأته وقال لها انت علي كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا ابصرته راجعا دسّتها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اسموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحاير والسوايب والحوامي وبعض الحروث وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا من اعظم الجهالة افتراء على الله يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله امرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا ايضا من اعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا مهتدين يعني لطريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله عز وجل وهو الذي انشا جنات معروشات يعني والله الذي ابدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شيء مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العرش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق وبسق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله في البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات وتدخر مختلفا اكله يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك والزيتون والرمان متشابها يعني في المنظر وغير متشابه يعني في الطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم كلوا من ثمره اذا اثمر لما ذكر الله ما انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد في غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لرفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكوة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان ياكل منها شيئا لمكان شركة الفقرا والمساكين معه فاباح الله له ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود

من خلق هذه الاشياء التي انعم بها على عباده هو الاكل وآتوا حقه يوم حصاده يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس وانس بن مالك هو الزكوة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة او سقاه الطل او الندا او كان بعلا العشر كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمر او الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكوة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكوة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه على الزكوة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا تكون الاية محكمة نزلت في حكم الزكوة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكوة لانه قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكوة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله وآتوا حقه يوم حصاده ان حق سوى الزكوة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين وعطا ومجاهد وحماد قال ابراهيم قال هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكوة ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت الزكوة كل نفقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقرا قال الزجاج فعلى هذا الو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدا بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتاويل الاية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب

بهذا السلطان نهى ان يأخذ من رب المال فوق الذي الزمه الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اى لا تأخذوا
بغير حق وكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى **انه لا يحب المسرفين** فيه وعيد وتهديد
وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار وقوله تعالى **ومن الانعام** يعنى وانشا من الانعام **حمولة**
وهى كل ما يحمل عليها من الابل **وفرشا** يعنى صغار الابل التى لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هى الكبار من الابل والفرش هى الصغار
من الابل وقال في رواية اخرى عنه ذكرها الطبرى اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش
فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش
ما لا يصلح للحمل سمى فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره **كلوا مما رزقكم الله** يعنى كلوا مما احله
الله لكم من هذه الانعام والحروث **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعنى لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث
والانعام كما فعله اهل الجاهلية **انه** يعنى الشيطان **لكم عدو مبين** يعنى انه مبين العداوة لكم
ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل **ثمانية ازواج** يعنى وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعنى ثمانية
اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما
يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوجة **من الضأن اثنين** يعنى الذكر والانثى والضأن ذوات
الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن **ومن المعز اثنين** يعنى الذكر والانثى والمعز
ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى **قل آلذكرين حرم ام الانثيين** استفهام انكار
اى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة آلذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين
من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل اناثهما حرام **اما اشتملت عليه ارحام الانثيين**
يعنى ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى **نبئونى**
اخبرونى وفسروا لى ما حرمتم **بعلم ان كنتم صادقين** يعنى ان الله حرم ذلك عليكم **ومن الابل اثنين
ومن البقر اثنين** وهذه اربعة ازواج اخر بقية الثمانية **قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين** وتفسير هذه على نحو ما تقدم وفي هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم
ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء
وبعضها على النساء دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبى صلى الله
عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم اصنافا من الغنم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية
للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم
يتكلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك الا تتكلم فقال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون
فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم
جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او انثى واما
تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم
بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله
وانه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواءهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في معنى الآية
وجها آخر ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام

على سبيل الانكار يعنى انكم لا تقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه
الثانى انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه
الانواع الاربعة وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر
فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى **ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا**
يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم
من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تعترفون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه
الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى **فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم** يعنى فمن اشد ظلما وابعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه
الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهالة منه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذى ابتدعه ونسبه الى الله
ويقول ان الله امرنا بهذا قيل اراد به عمرو بن لحى لانه هو اول من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام
ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام
فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد **ان الله لا يهدى القوم الظالمين**
يعنى انه لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل **قل لا اجد فيما اوحى الى محرما
على طاعم يطعمه** اعلم انه لما بين الله تعالى فساد طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل
من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل
لا يكون الا بوحى سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم
لا اجد فيما اوحى الى وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله **الا ان
يكون ميتة او دما مسفوحا** يعنى سائلا مصبوبا **او لحم خنزير فانه رجس** اى نجس **او فسقا اهل
لغير الله به** يعنى ما ذبح على غير اسم الله فبين الله في هذه الآية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورة في
الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية وهى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة ان التحريم
لا يخرج عن هذه الاربعة الاشيا وذلك لانه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية
على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شيء من سائر المطعومات
والحيوانات الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه
الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهى قوله تعالى
في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية
مطابقة للآية المكية في هذا الحكم وذهب جمهور العلماء الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية
فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة اشياء وجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذى ناب من
السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى
وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ولابى داود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من
حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد
الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية يأكلون

اشياء ويتركون اشياء تقذرا فبعث الله نبيه وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت
عنه فهو عفو وتلا قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه ابوداود م عن ابن عباس
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن
في الخيل وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه اخرجه ابوداود وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن
الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم او تحليل
فما كان امر الشارع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب
العقور وروي عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ اخرجه البخاري ومسلم وزاد فيه وسماه
فويسقا عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد
ابوداود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو
حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو
حلال فهذا تقرير ما يحل وما يحرم من المطعومات واما الجواب عن الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما
مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب وغيرها الا ما يوحى الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت
نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشياء اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا
اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال
من الحيوان في حال الحيوة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان
جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت ابا مجلز عما يختلط
باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم
في عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من العروق كما تتبع اليهود وقوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد بين الله المحرمات في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا
عدوان وفي قوله **فان ربك غفور رحيم** دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى **وعلى الذين**
يعني اليهود **حرمنا كل ذي ظفر** قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق
الاصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر
من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما** يعني شحوم الجوف
وهي الثروب وشحم الكليتين **الا ما حملت ظهورهما** يعني الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم
فانه غير محرم عليهم وقال السدي وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها
الية **او الحوايا** وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي
الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود **او ما اختلط بعظم**
يعني شحم الالية لانه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل هذه حلال
على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم هو شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ق عن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا

رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه قوله جملوه يعني
اذابوه يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى **ذلك جزيناهم** اي ذلك التحريم
جزيناهم عقوبة **ببغيهم** يعني بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل
وانا لصادقون يعني في الاخبار عن بغضهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم **فان كذبوك** يعني فان كذبك اليهود
يا محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم او حللنا لهم مما بيناه في هذه الاية المتقدمة **فقل ربكم ذو رحمة واسعة**
يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه **ولا يرد باسه**
يعني فلا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها **عن القوم المجرمين** يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود
قوله عز وجل **سيقول الذين اشركوا** لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله
وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب **لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا** يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر
والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا
وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك **ولا حرمنا من شيء** يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز
وجل ردا وتكذيبا لهم **كذلك كذب الذين من قبلهم** يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا
انبياءهم وقالوا مثل هؤلاء **حتى ذاقوا باسنا** يعني عذابنا **فصل** استدل القدرية والمعتزلة
بهذه الاية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم قالوا
فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب المجبرة وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا
الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى
حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب
ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به ورضي ما نحن عليه
كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله امرنا بهذا ورضيه منا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب
من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله واجلالا
له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما
يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه
عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فانه تعالى
مريد لجميع الكائنات غير امر بجميع ما يريد وعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون
عذرا لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر
ولا يرضى به ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع
فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك
فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى
قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك **هل عندكم**

يعني يدعوا كم ما تدعون **من علم** يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم **فتخرجوه لنا** يعني فتظهروا ذلك العلم وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته في العقول **إن تتبعون إلا الظن** يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل **وإن أنتم إلا تخرصون** يعني وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى **قل فلله الحجة البالغة** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده **فلو شاء لهداكم أجمعين** يعني ولو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون** يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللانثى هلمي واللغة الاولى افصح **أن الله حرم هذا** وهذا تنبيه من الله تعالى باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم **فإن شهدوا فلا تشهد معهم** وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا** يعني ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن اتبع ما اوحي اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **والذين لا يؤمنون بالآخرة** اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة **وهم بربهم يعدلون** يعني يشركون قوله عز وجل **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه على انفسهم فكانهم سألوا وقالوا اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا اتل تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم اتل يعني اقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله الي **ألا تشركوا به شيئا** فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله الا تشركوا به شيئا لانه كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان يكون موضع ان رفعا معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان لا تشركوا ويكون لا صلة وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك ان لا تشركوا او يكون المعنى اوصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا على الاغراء ومعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله تعالى **وبالوالدين إحسانا** اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال الصغر **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق** يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمراد بالقتل وأد البنات

لنا

عليكم مع

وهم بربهم يعدلون

وهن احياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم **نحن نرزقكم وإياهم** يعني لا تئدوا ابناءكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله عز وجل **ولا تقربوا الفواحش** يعني الزنا **ما ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وايضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امره او نهاه عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا او باطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله يعني قتلها الا بالحق وهو الذي يبيح قتلها من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى **ذلكم** يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات **وصاكم به** يعني امركم به واوجبه عليكم **لعلكم تعقلون** يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن** يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان ياكل بالمعروف **حتى يبلغ أشده** يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في النبات الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل اربعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية انما هي نهاية الاشد لا ابتداؤه والمراد بالاشد في هذه الآية هو الابتداء او بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية وقوله تعالى **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان **لا نكلف نفسا إلا وسعها** يعني طاقتها وما يسعها في ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج فيه **وإذا قلتم فاعدلوا** يعني في الحكم والشهادة **ولو كان ذا قربى** يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان واداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق **وبعهد الله أوفوا** يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به واوجب عليهم اي

ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصيكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون بما امرتكم به قوله عز وجل وان هذا صراطي يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصيكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار عن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرا هؤلاء الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب يعني التورية فان قلت ايتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرايع فتقدير الكلام ذلكم وصيكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء على قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى وتفصيلا لكل شيء يعني وفيه بيانا لكل شيء يحتاج اليه من شرايع الدين واحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة ورحمة يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان تكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل الكتاب اسم جنس لان المراد به التورية والانجيل على طايفتين من قبلنا يعني اليهود

والنصارى

والنصارى وان كنا اي وقد كنا وقيل وانا كنا عن دراستهم يعني عن قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيهما لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة ان التورية والانجيل انزلا على طايفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عز وجل عذرهم بانزال القران عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القران فيه بيان وحجة تعرفونها وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة انعم الله به عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بايات الله وصدف عنها يعني واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب يعني اسوا العذاب واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم عن ايات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها امنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم الا ان تاتيهم الملئكة يعني لقبض ارواحهم وقيل تاتيهم بالعذاب او ياتي ربك يعني بالحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيمة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف او ياتي بعض ايات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قلنا الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الاية قال يصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك

حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمئة تنطلق لتخر ساجدة تحت العرش حتى يؤذن لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله بقراب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم رأت عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع اهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة او يأجوج ومأجوج او طلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة او طلوع الشمس من مغربها او يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج اول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل** يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة **او كسبت في ايمانها خيرا** اي او عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك او تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله عذابا على امة فآمنوا وصدقوا فانه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله تعالى **قل انتظروا** يعني ما وعدتهم به من مجيء الآية ففيه وعيد وتهديد **انا منتظرون** يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة او قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا او ظهرت الآيات لم ينفعهم ايمانهم وحلت بهم العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن قتال المشركين فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا** وقرئ فارقوا دينهم يعني احزابا متفرقة في الضلالة معنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فمن قرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية

السهلة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فآمن ببعض وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الآية هم اهل الضلالة من هذه الامة وروي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى **لست منهم في شيء** يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال ان المراد من الآية اهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم منك براء تقول العرب ان فعلت كذا فلست مني ولست منك اي كل واحد منا بريء من صاحبه **انما امرهم الى الله** يعني في الجزاء والمكافأة **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** يعني اذا وردوا القيامة قوله تعالى **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** يعني عشر حسنات امثالها **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء لقائلها عشر امثالها واجيب عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو تعالى يجازي على قدر ايمان المؤمن بما يشاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله تعالى يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب واعطاء هذا الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يغفر وهو قوله تعالى **وهم لا يظلمون** يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على عقاب العاصي **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها

لست منهم في شيء ولستوا امثالهم اهل البدع واهل الشرك واهل الضلالة من هذه الامة ... وعلى هذا يكون المراد من هذه الآية ... ان يكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم ...

تكتب له بعشر امثالها حتى يلقى الله تعالى م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا
تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة ق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها
عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها
فاكتبوها له حسنة وان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى واذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا
اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها
وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي زاد الترمذي ثم قرا من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل
قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك **انني هداني ربي الى صراط مستقيم** يعني قل لهم انني ارشدني
ربي الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه لعباده المؤمنين **دينا قيما** يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما
ويحتمل ان يكون محمولا على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما
لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو ابلغ من القائم **ملة ابراهيم** والملة بالكسر الدين والشريعة يعني
هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته **حنيفا** الاصل في الحنف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب
تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني
ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين
وممن يعبد الاصنام قوله تعالى **قل** اي قل يا محمد **ان صلاتي ونسكي** قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك
والسدي اراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك
اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله عز وجل من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال
النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة
المخلصة من الخبث [illegible]
قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال الا اذا كان لله لا
ينبغي ان يكون الا كاملة تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة **ومحياي ومماتي**
اي حياتي وموتي بخلق الله وقضائه وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان
لله وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله **لله
رب العالمين لا شريك له** يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وساير افعاله لا يشاركه فيها احد من خلقه
وبذلك امرت يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت **وانا اول المسلمين** قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل
معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره قوله عز وجل **قل اغير الله ابغي ربا** اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار
من قومك اغير الله اطلب سيدا واِلها **وهو رب كل شيء** يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيها احد
وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا
سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه **ولا تكسب كل نفس الا عليها** يعني ان اثم الجاني

عليه لا على غيره **ولا تزر وازرة وزر اخرى** يعني لا تؤاخذ نفس آثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى
ولا يؤاخذ احد بذنب احد غيره **ثم الى ربكم مرجعكم** يعني يوم القيمة **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** يعني
في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى **وهو الذي جعلكم خلائف الارض** يعني والله الذي جعلكم يا امة
محمد خلائف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم
فيها وتعمرونها بعدهم لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وامته آخر الامم **ورفع بعضكم فوق بعض
درجات** يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل
فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف وهذا التفاوت
بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز او الجهل او البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل
الابتلاء والامتحان وهو قوله تعالى **ليبلوكم فيما آتاكم** يعني ليعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو
اعلم باحوال عباده والمعنى ليبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم
من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا كان نصيبه التخويف
والترهيب وهو قوله تعالى **ان ربك سريع العقاب** يعني لاعدائه واهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب
بالسرعة لان كل ما هو آت فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله فيما امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب
والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى **وانه لغفور** يعني لذنوب اوليائه واهل طاعته **رحيم** يعني بجميع
خلقه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف

روي ذلك عن ابن عباس وبه
قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس آيات اولها واسألهم
عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وهي مايتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسة
وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **المص** قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص
قسم اقسم الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص من اسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة
وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم
مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهي سره في كتابه
العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام في معاني
الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة **كتاب انزل اليك** يعني هذا كتاب انزله الله اليك
يا محمد وهو القرآن **فلا يكن في صدرك حرج منه** يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به
الى الناس **لتنذر به** يعني انا انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره **وذكرى للمؤمنين**
يعني وليتذكر ويتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين
فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشاك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتباع لتوجيه
ما حصل له قوله تعالى **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم** اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم
من ربكم من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه
وسلم والله ما نزلت آية الا ويحب ان تعلم فيما انزلت وما معناها بنحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القرآن وما اتى به النبي
صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى
لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به وتذكر به المؤمنين فيقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من

ربكم وقيل خطاب للكفار اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله تعالى **ولا تتبعوا من دونه اولياء** معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء فتتبعوهم يعني والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة **قليلا ما تذكرون** يعني ما تتعظون الا قليلا وقوله تعالى **وكم من قرية اهلكناها** لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالابلاغ والانذار وامر امته باتباع ما انزل عليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ما امر الله به فذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالاهلاك اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها **فجاءها بأسنا** اي عذابنا فان قلت مجيء البأس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها بأسنا وقال معنى القول ان الاهلاك والبأس قد يقعا معا كما يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او احسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما بدلا من الآخر **بياتا** يعني فجاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا **او هم قائلون** من القيلولة وهو نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار لانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة **فما كان دعواهم** يعني فما كان دعاء اهل القرية التي جاءهم بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم **اذ جاءهم بأسنا** يعني عذابنا **الا ان قالوا انا كنا ظالمين** يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسألن الذين ارسل اليهم** يعني نسأل الامم الذي ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل **ولنسألن المرسلين** يعني ولنسألن الرسل الذي ارسلتهم الى الامم هل بلغتم رسالتي واديتم الى الامم ما امرتم بتأديته اليهم او قصرتم في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الآية يسأل الله الناس عما اجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم الرسل بما كانوا يعملون وقال السدي يسأل الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم في الآية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت لما اعترفوا انهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيمة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى **فلنقصن عليهم بعلم** يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين بما عملوا في الدنيا **وما كنا غائبين** يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فاذا كان عالما فما فائدة هذا السؤال قلت فائدة سؤال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم

بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى **والوزن يومئذ الحق** يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم القيمة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة واحدة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة وان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فترد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العبد ما له من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحفظة الموكلين ببني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن او نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى **فمن ثقلت موازينه** جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر **فاولئك هم المفلحون** يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه **ومن خفت موازينه** يعني موازين اعماله الكفار بدليل قوله **فاولئك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته **بما كانوا بآياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل **ولقد مكناكم في الارض** يعني مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم

فيها مكانا وقرارا او اقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع
التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين احدهما ما انعم الله به على عباده من الزرع والثمار وانواع المآكل
والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل الله
وانعامه وتمكينه لعباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده
وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليلا ما تشكرون** يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه
دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة
الشكر تصور النعمة واظهارها وتضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** يعني
ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم آدم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة
فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد
خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم قبل خلق
ذريته قلت يحتمل ان يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم
يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى آدم وحده
والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعني آدم يعني صوره من طين **ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم** يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل التحية بل كان
السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى **فسجدوا**
يعني الملائكة **الا ابليس** يعني فسجد الملائكة لآدم الا ابليس **لم يكن من الساجدين** له وظاهر الآية
يدل على ان ابليس كان من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود
مع الملائكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلهذا استثنى منهم قوله عز وجل **قال ما منعك
ان لا تسجد اذ امرتك** يعني قال الله عز وجل لابليس اي شيء منعك من السجود لآدم اذ امرتك به فعلى هذا التأويل تكون
كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقول الله لا اقسم اي اقسم وقوله
وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة وليست بزائدة
لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله تعالى زائدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا في هذه
الآية ليست زائدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول
حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فاحوجك ان لا
تسجد فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي
فكأنه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي اليها فان قلت
لم سأله عن المنع من السجود وهو اعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله و
حسده لآدم ولذلك لم يتب منه **قال** يعني قال ابليس مجيبا لله عما سأله عنه **انا خير منه** فان قلت
قوله انا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي له
ان يقول منعني كذا او كذا ولكنه قال انا خير منه قلت استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم
وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله **خلقتني من نار وخلقته من طين** والنار خير من الطين

والنور وانما قال انا خير منه لما رأى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار
على الطين الذي خلق منه آدم فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطأ طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة
والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل ابليس الخبيث مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق
على الاستكبار على السجود لآدم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان
من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه السلام مع السعادة السابقة
التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان
الحسن وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطأ وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس واصل
هذا القياس الذي قاسه ابليس لما رأى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل الا بسبب فضيلة الاصل والجوهر
وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فالله تعالى خص صفيه
آدم عليه السلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء
كل شيء واورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله به آدم عليه السلام للعناية التي سبقت له من القدم
وقوله تعالى **قال فاهبط منها** يعني قال الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط
الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف **فما يكون لك ان تتكبر فيها**
يعني فليس لك ان تستكبر في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السماء متكبر مخالف لامر الله
عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الارض **فاخرج انك
من الصاغرين** يعني انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله
بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله منها الى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا
كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها **قال** يعني ابليس عند ذلك **انظرني** يعني اخرني
وامهلني فلا تمتني **الى يوم يبعثون** يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث
ابليس لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله الى البقاء في الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب
البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأل **قال** الله له **انك من المنظرين** يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى
مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حتى يموت
الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس احد ينظر سواه قلت معناه ان الذين تقوم
عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم **قال** يعني ابليس **فبما اغويتني** يعني فبأي شيء
اضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية تم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل
باء القسم تقديره فباغوائك اياي وقيل معناه فبما اوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي الى الارض من السماء واضللتني عن
الهدى **لاقعدن لهم صراطك المستقيم** يعني لاجلسن على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط
المستقيم الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد
بالصراط المستقيم طريق مكة يعني امنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاصدن بني آدم
عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له عن طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك فعصاه
واسلم وقعد له بطريق الهجرة وقال تهاجر وتدع ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فقعد له

بطريق الجهاد فقال له تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل كان حقا على الله
أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى إخبارا عن إبليس
ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس
من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم
أشهي لهم المعاصي وإنما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لأنهم منقلبون إليها وصائرون إليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا
خلفهم لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينها في قلوبهم ومن خلفهم
من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وإنما جعل الدنيا
من بين أيديهم في هذا القول لأن الإنسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم
بن عتيبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فأزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأثبطهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل
الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فأزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار
ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم
السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول بينك وبين
رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون وعن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى
هذا أنهم يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم فيما بقي
من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم
يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوا قال شقيق البلخي ما من
صباح إلا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف
فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي من الفقر فأقرأ
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي
فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل إن ذكر هذه الجهات الأربع إنما أريد بها التأكيد والمبالغة
في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم وإنه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة
بجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب أكثر بني آدم شاكرين لك
على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد أكثرهم موحدين فإن قلت كيف علم الخبيث إبليس ذلك
حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل إنه
كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم إلى ذلك فقال هذه المقالة وقيل إنه رآه مكتوبا
في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده قوله عز وجل قال اخرج منها أي قال
الله لإبليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فإنه لا ينبغي
أن يسكن فيها العصاة مذءوما مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال
قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني آدم لأملأن
جهنم منكم أجمعين اللام لام القسم أقسم الله أن من تبع إبليس من بني آدم وأطاعه أن يملأ جهنم منه وممن كفر
من بني آدم وإبليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة أي وقلنا يا آدم اسكن
أنت وزوجك يعني حواء الجنة وذلك بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شئتما
يعني فكلا من ثمار الجنة من أي مكان شئتما فإن قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء

فما الفرق قال الإمام فخر الدين الرازي أن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو
ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس إليهما و
الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان يقال وسوس إذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى
وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها إليهما فإن قلت كيف وسوس إليهما وآدم وحواء في الجنة وإبليس
قد أخرج منها قلت ذكر الإمام فخر الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس في الأرض إلى السماء
إلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الأصبهاني بل كان آدم وإبليس في الجنة لأن هذه الجنة
كانت بعض جنات الأرض والذي يقوله بعض الناس من أن إبليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية إلى الجنة فقصته مشهورة
ركيكة وقال آخرون إن آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان إبليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب أحدهما
من الآخر فحصلت الوسوسة هناك فإن قلت إن آدم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين إبليس من العداوة
فكيف قبل قوله قلت يحتمل أن يقال إن إبليس لقي آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها
نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فلأجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام
إبليس في آدم حتى أكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من
عوراتهما وقوله ما ووري مأخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة
سمي بذلك لأن ظهوره يسوء الإنسان وفي الآية دليل على أن كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي
لهما لام العاقبة وذلك لأن إبليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وإنما كان حملهما على المعصية فقط فكان
عاقبة أمرهما أن بدت عوراتهما وقال يعني قال إبليس لآدم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
يعني عن الأكل من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين يعني إنما نهاكما عن هذه الشجرة لكيلا
تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون وإنما أطمع إبليس لآدم بهذا لأنه
علم أن الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم وأحبه وأنه يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم
أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون أبدا فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن الملك أفضل من الأنبياء لأن آدم عليه السلام
طلب أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لأن آدم عليه
السلام طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم فطلب
أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه الواقعة في زمان النبوة بعد أن شرف بها آدم إنما طلب
أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين لا لأنهم أفضل منه حتى يلحق بهم في الفضل لأنه طلب إما أن يكون
من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لا يموتون أبدا وقوله تعالى وقاسمهما أي وأقسم وحلف لهما
إني لكما لمن الناصحين وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما
وقد يخدع المؤمن بالله فقال إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وقال بعض العلماء من خدعنا بالله خدعنا
له فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي على فلان بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه
بزخرف من القول باطل قال الأزهري وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في البئر ليأخذ الماء ولا يجد فيها ماء فوضعت التدلية
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش وهو أن إبليس حطهما من منزلة الطاعة
إلى حالة المعصية لأن التدلي لا يكون إلا من علو يعني إلى السفل ومعنى الآية أن إبليس غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم
يظن أن لا أحدا يحلف بالله كاذبا فلما حلف إبليس ظن آدم أنه صادق فاغتر به فلما ذاقا الشجرة

يعني طعما من ثمر الشجرة وفيه دليل على أنهما تناولا اليسير من ذلك قصدا إلى معرفة طعمه لأن الذوق يدل على الأكل اليسير **بدت لهما سوآتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل أن ازدردا أخذتهما العقوبة والعقوبة أن بدت وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سوآته **وطفقا** يعني وأقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق الجنة** يعني أنهما لما بدت سوآتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما وفي الآية دليل على أن كشف العورة من ابن آدم قبيح ألا ترى أنهما بادرا إلى ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها روى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوأته وكان لا يراها في الجنة فانطلق هاربا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها أرسليني قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال لا يا رب ولكن استحييتك ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة** يعني أن الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهكما عن أكل ثمرة هذه الشجرة **وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين** يعني ألم أعلمكما أن الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فإني قد أعطيتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها قال فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرني إبليس قال الله تعالى أما أنت يا حوى فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما أسجدت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي في جواري قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا** وهذا خبر من الله تعالى عن آدم عليه السلام وحوى واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا إنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمخالفة أمرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها **وإن لم تغفر لنا** يعني وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن من الخاسرين** يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم يا رب أرأيت إن تبت إليك واستغفرتك قال إذا أدخلك الجنة وأما إبليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فأعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه عز وجل

فصل وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية وأجيب عنه بأن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والإشفاق بالمؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وأنهم ربما عوتبوا بأمور صدرت منهم على سبيل التأويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالنسبة إلى غيرهم حسنات كما قيل حسنات الأبرار وبواطنهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات الأبرار سيئات المقربين يعني أنهم يرونها بالنسبة إلى أحوالهم كالسيئات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة أن أكل آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة أو بعده والخلاف فيه فأغنى عن الإعادة والله أعلم قوله تعالى **قال اهبطوا** قال الإمام فخر الدين إن الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وإبليس وقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحوى وإبليس والحية اهبطوا يعني من السماء إلى الأرض آدم وحوى وإبليس والحية **بعضكم لبعض عدو** يعني أن العداوة ثابتة بين آدم وإبليس **ولكم في الأرض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الأرض

مستقر

مستقر القبور **ومتاع إلى حين** يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا وإلى انقضاء آجالكم ومعنى الآية أن الله عز وجل أخبر آدم وحوى وإبليس والحية أنه إذا أهبطهم إلى الأرض موضع قرار يستقرون فيه إلى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم إلى انقطاع الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع إلى حين يعني إلى يوم القيمة وإلى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** أيضا قال الله عز وجل لآدم وذريته وإبليس وأولاده فيها تحيون يعني في الأرض تعيشون أيام حياتكم **وفيها تموتون** يعني وفي الأرض تكون وفاتكم وموضع قبوركم **ومنها تخرجون** يعني ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيمة قوله عز وجل **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم** اعلم أن الله عز وجل لما أمر آدم وحوى بالهبوط إلى الأرض وجعلها مستقرا لهم أنزل الله تعالى عليهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما أنزل عليهم اللباس الذي يحتاج إليه في الدين والدنيا فأما منفعته في الدين فإنه ستر العورة وسترها شرط في صحة الصلوة وأما منفعته في الدنيا فإنه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بما أنزل عليهم لباسا يواري سوآتهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فإن قلت ما معنى قوله أنزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء وجوها أحدها أنه بمعنى خلق أي خلقنا لكم لباسا الوجه الثاني أن الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكأنه أنزله عليهم الوجه الثالث أن جميع بركات الأرض تنسب إلى السماء وإلى الإنزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد **وريشا** الريش للطائر معروف وهو لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لأن التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الآية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لأن المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل إذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع إلى الزينة أيضا وقيل أن الرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال إنه لحسن الريش يعني الحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش **ولباس التقوى** اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز أما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الأنباري لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده إخبارا أن ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل إنما أعاده لأجل أن يخبر عنه بأنه خير لأن العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فأخبر أن ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى آلات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلوة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الإيمان لأن صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لأنه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني أن لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وأنشدوا في المعنى

إذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى ... عريت وإن وارى القميص قميص

وقوله تعالى **ذلك من آيات الله** يعني إنزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده **لعلهم يذكرون** يعني لعلهم يتذكرون نعمته عليهم فيشكروها قوله تعالى **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وإنما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة إبليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يعني آدم وحوى والمعنى أن من قدر على إخراج أبويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبأن يقدر على فتنتكم فبطريق الأولى فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة

الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني آدم فهي فتنة التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها
وقوله تعالى **ينزع عنهما لباسهما** انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب
وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصابا
الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس آدم وحوى نورا وقال مجاهد كان لباسهما
التقوى وقد وارى عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع
لا يكون الا بعد اللباس **ليريهما سوآتهما** يعني ليرى آدم عورة حوى ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم
سوءة بعض **انه يريكم هو وقبيله** يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو
ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن وانس قبيل ومعنى
يراكم هو وقبيله اي من هو من نسله وقال ابن عباس هو وولده وقوله **من حيث لا ترونهم** يعني انتم يا بني
آدم قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن
وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن للانس كثافة اجسام
الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل
في ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم
يجرون من بني آدم مجرى الدم وجعل صدور بني آدم مسكنا لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور
الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس لنا اربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا
فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله **انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون** يعني اعوانا وقرنا ... قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل
واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هي الشرك والفاحشة
اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم
عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في انفسها فواحش ذمهم الله
عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى **قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها** فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا
التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب عنه بقوله
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة
فكيف يأمر الله بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم **اتقولون على الله ما لا
تعلمون** يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين
عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى
قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا
قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته
وافعاله وانه واحد لا شريك له **واقيموا وجوهكم عند كل مسجد** فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر
وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي
بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ثم عطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه فحذف قال لدلالة الكلام عليه
ومعنى الآية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت

الصلوة وانتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا
وادعوه مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره **كما بدأكم
تعودون** قال ابن عباس ان الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا ووجه هذا القول قوله في سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة
فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه
اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله تعالى خلقه على الشقوة
صار الى ما ابتدأ عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاء
ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل بعمل اهل الشقاء كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاء ثم صاروا
الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل
اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة
اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الآية كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون
احياء يوم القيمة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري
ومسلم قوله تعالى **فريقا هدى** يعني هداهم الله تعالى الى الايمان به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته **وفريقا
حق عليهم الضلالة** وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في الازل لانهم اشقياء
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذي
وقوله تعالى **انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله** يعني ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين
نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله لا ان الشياطين على اضلال احد وقوله تعالى **ويحسبون انهم مهتدون**
يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق
والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** عن ابن عباس قال كانت
المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله فما
بدا منه فلا احله فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا
ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيت فيه من نعري
مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب
كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمسي فانه لا
يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثيابه نفسه القاها اذا قضى
طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة
قال مجاهد ما يواري عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلوة وقوله تعالى
خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب فيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلوة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى **وكلوا
واشربوا** قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون

نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم **ولا تسرفوا** يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد وقد جمع الله الطب كله في نصف آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل **انه لا يحب المسرفين** يعني ان الله لا يحب من اسرف في المأكول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه الاشياء لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى ليس براض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده** يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال في هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء **والطيبات من الرزق** يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الزرق وغيرها وهو قول الله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه **قل هي للذين آمنوا** يعني يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين آمنوا **في الحيوة الدنيا** غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون **خالصة** لهم **يوم القيمة** يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيمة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيمة من التكدير والتنغيص و الغم لانه قد يقع لهم في الحيوة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** يعني كذلك نبين الحلال مما احللته والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي قوله عز وجل **قل انما حرم ربي الفواحش** جمع فاحشة وهو ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب عراة ويحرمون اكل الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال **ما ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الآخر لاختصاص كل منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى **والاثم** يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سواء كان

كبيرا او صغيرا والفائدة فيه ان يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم بان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذاك فوجب لفظ حمل الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد قيل انه اسم من اسماء الخمر وهو قول الحسن وعطا قال الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل عليه بقول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وقال ابن سيدة صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله تعالى قل فيهما اثم كبير وقوله تعالى **والبغي بغير الحق** اي وحرم البغي والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من ان يكون بغيا **وان تشركوا** اي وحرم ان تشركوا **بالله ما لم ينزل به سلطانا** هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره لان الاقرار بشيء ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان قلت البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملته ثم تفصيله وقوله تعالى **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** تقدم تفسيره قوله تعالى **ولكل امة اجل** الاجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت **فاذا جاء اجلهم** يعني فاذا جاء وقت عذابهم **لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحيوة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقدم ولا تأخير وانما قال الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كانوا احادا في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل **يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم** هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجواب هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وقوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد منه واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم في كل بني آدم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع للعذر وابين للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا آتاهم بما لا يليق بقدرته او بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه **يقصون عليكم آياتي** يعني يقرؤن عليكم كتابي وادلة احكامي وشرائعي التي شرعت لعبادي **فمن اتقى** يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي **واصلح** يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه **فلا خوف عليهم** يعني حين يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها **والذين كذبوا بآياتنا** يعني ومن جحد آياتنا وكذب رسلنا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني فمن اعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد **او كذب بآياته** يعني او كذب بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم **اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب** يعني ينالهم

حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضي عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الكذب أن وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأنذرتكم نارا تلظى وفي قوله إذ الأغلال في أعناقهم فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيرا جزي به وقال قتادة جزاء أعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس أيضا وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والأرزاق والأعمار فإذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول وقال لأن الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فأبان أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فإذا فني توفتهم رسل ربهم قال الإمام فخر الدين وإنما حصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق أولى لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فإنه ليس بمانع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم** يعني حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى **قالوا** يعني قال ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرسول~~ الرسل وهم الملائكة للكفار **أين ما كنتم تدعون من دون الله** وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل إن هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى إذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عدتهم عند حشرهم إلى النار قالوا أين ما كنتم تدعون يعني الشركاء أولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله **قالوا** يعني الكفار مجيبين للرسل **ضلوا عنا** يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا **وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين** يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك قوله عز وجل **قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس** يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في أمم يعني في جملة أمم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وإنما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لأنه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والإنس **في النار** أي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وإنما عنى بالأمم الجماعات والأحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والإنس **كلما دخلت أمة لعنت أختها** يعني كلما دخلت أمة النار لعنت أختها من أهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت أهل ملة النار لعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركين المشركون واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الأولى **حتى إذا اداركوا** يعني تداركوا وتلاحقوا **فيها جميعا** يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقروا في النار **قالت أخراهم لأولاهم** قال ابن عباس يعني قال آخر كل أمة لأولاها وقال السدي قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال أخراهم دخولا النار وهم الأتباع لأولاهم دخولا وهم القادة لأن القادة يدخلون النار أولا

ربنا هؤلاء أضلونا يعني يقول الأتباع ربنا هؤلاء القادة الرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل إنما قال المتأخرون ذلك لأنهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقتهم فيما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء أضلونا لأنا اتبعنا سبيلهم **فآتهم عذابا ضعفا من النار** أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الأزهري والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره إلى كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الآية فآتهم عذابا ضعفا أي مضاعفا لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء أي زيادته **قال** يعني قال الله **لكل ضعف** يعني للأولى والأخرى ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعا **ولكن لا تعلمون** يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه لا يعلم كل فريق ما أعد الله من العذاب للفريق الآخر قوله تعالى **وقالت أولاهم** يعني في الكفر وهم القادة **لأخراهم** يعني الأتباع **فما كان لكم علينا من فضل** يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية قالت كل أمة سلفت في الدنيا لأخراها الذين جاؤوا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا إياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم **فذوقوا العذاب** وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للأتباع والأمة الأولى للأخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله يعني يقول للجميع فذوقوا العذاب **بما كنتم تكسبون** يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والأعمال الخبيثة قوله عز وجل **إن الذين كذبوا بآياتنا** يعني كذبوا بدلائل التوحيد لم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا **واستكبروا عنها** أي تكبروا عن الإيمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا **لا تفتح لهم أبواب السماء** أي لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم إلى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لأن أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وإنما يصعد إلى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه لا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار وتفتح لأرواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فإنه يصعد بها إلى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لأن ذلك لا ينزل إلا من السماء وإذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من الرحمة والبركة شيء وقوله تعالى **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الإبل وسم الخياط ثقب الإبرة قال الفراء الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الإبرة في هذه الآية وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال وأحلام العصافير وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من أعظم الأجسام وثقب الإبرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وقف دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا فثبت أن الوقوع في المحال محال فوجب بهذا الاعتبار دخول الكفار الجنة مأيوسا منه قطعا وقال بعض أهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الإبرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التأبيد

وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه باستحالة كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر
اذا شاب الغراب اتيت اهلي ... وصار القار كاللبن الحليب ... وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي
وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل المجرمين
على انهم الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى
لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد التمهيد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن
فوقهم غواش جمع غاشية وهو الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب
القرظي والضحاك والسدي المهاد الفرش والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ونجزي ونثيب المشركين
الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما
ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما ذكره لهم في الآخرة اتبعه بذكر وعد المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا
وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا
بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في
طوقها وقدرتها وما لا حرج في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد
معناه الا ما افترض عليها يعني وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال الوسع بذل المجهود في المطلوب
قال اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس
هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على
ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب
المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعائد محذوف لانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به وقوله
تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا واخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد
وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر
متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس
ومنعها عن ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
وروي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل
وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار
فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم
في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان اهل الجنة
اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل
فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات
اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم
ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية واورد على هذا كيف يعقل بان الانسان يرى
الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محبوس عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه
منها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم
اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا

وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بما انعم
على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا
به رحمة منه واحسانا فله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
يعني وما كنا نسترشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على
ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا
دخلوها ورأوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدهم الرسل عيانا
ونودوا ان تلكم الجنة يعني ونادى مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا
في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة م عن ابي سعيد وابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان
تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل
ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون روى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله
من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى
الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يرثون الاموات
فقال اورثتموها يعني ان المؤمن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى
الجنة كما ان الميراث يؤول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت ثوابا
وجزاء لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما
يدخلونها برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المؤمن ولم يبلغه الا برحمة الله
وتوفيقه وان كان العمل الصالح سببه الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك
الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
يعني ونادى اهل الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيقول اهل
الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب
على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم
قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار
او من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع واذا قابل الجمع يوزع الفرد
على الفرد فكل فريق من اهل الجنة في السماء ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة
في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي
الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني نادى مناد واعلم لان اصل
الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور
ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين
منهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس من الدخول في الاسلام ويبغونها عوجا
يعني يحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله

وذلك أنهم طلبوا سبيل الله بالصلوة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه الله فأخطؤا الطريق وضلوا عن السبيل **وهم بالآخرة كافرون**
يعني وهم بكون الآخرة واقعة جاحدون ويكذبون بها قوله عز وجل **وبينهما حجاب** يعني وبين الجنة والنار وقيل بين أهل
الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور بقوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقال
مجاهد الأعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الأعراف **وعلى الأعراف رجال**
الأعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الأرض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده سمي بذلك لأنه بسبب
ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدي إنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الأعراف
الشيء المشرف وعنه قال الأعراف سور كعرف الديك وعنه أن الأعراف تل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب
بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر عنهم أنهم على الأعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك
فروي عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة
وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم إنما جعلوا على الأعراف لأنها درجة
متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لأنه ليس في الآخرة
دار إلا الجنة أو النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت
سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وإن الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف
فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون
فكان الطمع دخولاً وقال ابن مسعود إن العبد إذا عمل حسنة كتبت له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم قال هلك
من غلبت وحداته عشراته وقال ابن عباس الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم
فهم بذلك المكان حتى إذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له الحيوة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه
المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذا أصلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن
تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون
ضعفاً فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال
شرحبيل بن سعد أصحاب الأعراف قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن شبل مولى بني
هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم قوم قتلوا
عصاة لآبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من
يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضي آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتهم دون آبائهم ورواه عن إبراهيم وذكر عن صالح
مولى التوأمة عن ابن عباس أنهم أولاد الزنا وقيل إنهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لأن آخر أمر أصحاب الأعراف في الجنة
وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة والله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل إنهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالاً وهذا
القول يرجع معناه إلى القول الذي قبله لأنه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الأعراف دون أهل الجنة في الدرجات
وإن كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول إنما يكون لبثهم
على الأعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل إنهم أنبياء حكاه ابن الأنباري وإنما أجلسهم الله
على ذلك المكان العالي تمييزاً لهم على سائر أهل القيمة وإظهاراً لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل
الجنة والنار مطلعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجلز أصحاب الأعراف ملائكة يعرفون
الفريقين بسيماهم حتى يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل لأبي مجلز إن الله تعالى يقول وعلى الأعراف رجال وأنت تقول
إنهم ملائكة فقال إن الملائكة ذكور ليسوا بإناث وضعف الطبري قول أبي مجلز قال لأن لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق

إلا على الرجل الذكر من بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الأقوال أن أصحاب الأعراف أفضل من أهل الجنة لأنهم
أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل إنما أجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين أهل الجنة والنار والله أعلم بمراده
وأسرار كتابه وقوله تعالى **يعرفون كلاً بسيماهم** يعني أن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك ببياض
وجوههم ونضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة
الدالة على الشيء وأصله من السمة قال ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه وإذا رأوا
أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فإن قلنا إن أصحاب الأعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون أهل
الجنة في الدرجة فأوقفهم الله تعالى على الأعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فإذا رأوا أهل الجنة
عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى **ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم**
يعني نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم يعني سلمتم من الآفات وحصل لكم الأمن والسلامة وإذا رأوا
أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وإن قلنا إن أصحاب الأعراف هم الأشراف
والأفاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الأعراف ليطلعوا على أحوال أهل الجنة وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل إلى
الدرجات العلية في الجنة وقوله تعالى **لم يدخلوها وهم يطمعون** يعني في دخول الجنة قال الحسن
ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم وقوله تعالى **وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار**
يعني وإذا صرفت أبصار أصحاب أهل الأعراف تلقاء أصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا إليهم وإلى سواد وجوههم
وما هم فيه من العذاب **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** يعني الذين ظلموا أنفسهم بالشرك
وقال ابن عباس إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى
أن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا إلى الله وسألوه أن لا يجعلهم منهم قوله تعالى
ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعني ونادى أصحاب الأعراف رجالاً كانوا عظماء في الدنيا من أهل النار **يعرفونهم
بسيماهم** يعني بسيماء أهل النار **قالوا** يعني أصحاب الأعراف لهؤلاء الذين عرفوهم في النار **ما أغنى عنكم جمعكم**
يعني ما كنتم تجمعون من المال والعدد في الدنيا **وما كنتم تستكبرون** يعني ما أغنى عنكم تكبركم عن
الإيمان شيئاً قال الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون
إلى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباههم فيقول
أصحاب الأعراف لأولئك الكفار **أهؤلاء** لفظ استفهام يعني هؤلاء الضعفاء **الذين أقسمتم** بالله **لا
ينالهم الله برحمة** يعني أنكم حلفتم أنهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله لأصحاب الأعراف **ادخلوا الجنة**
بفضلي ورحمتي **لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** وقيل إن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأهل النار
ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار إن أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك ويقسمون أنهم لا يدخلون
الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون
قوله عز وجل **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله
قالوا** قال ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج فقالوا يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة
فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى
قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادي الرجل أباه وأخاه
فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين ومعنى الآية أن أهل النار
يستغيثون بأهل الجنة إذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله

على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء او مما رزقكم الله يعني واطعمونا مما رزقكم الله وسعوا علينا من طعام الجنة **ان الله حرمهما على الكافرين** وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا ايعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاعراف اهل ثم وصف الكافرين فقال تعالى **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهيت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزؤن وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوائب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه **وغرتهم الحيوة الدنيا** يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من نقص العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم بهذه الصفات الذميمة قال **فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا** يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل نعاملهم معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل **وما كانوا باياتنا يجحدون** يعني ونتركهم في النار كما كانوا بدلائل وحدانيتنا يكذبون قوله تعالى **ولقد جئناهم بكتاب** يعني ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد **فصلناه على علم** اي بيناه على علم منا بتفصيله وتبيينه **هدى ورحمة لقوم يؤمنون** اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون **هل ينظرون الا تاويله** يعني هل ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وجحدوها ولم يؤمنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يؤول اليه الشيء **يوم ياتي تاويله** يعني يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما يؤول اليه امورهم **يقول الذين نسوه من قبل** يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يؤمنوا به يوم القيمة عند معاينة العذاب **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيمة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل** يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابة **قد خسروا انفسهم** يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل

ان ربكم الله يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم ويوصل الخير اليكم ويدفع عنكم المكاره هو الله **الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم في ابتداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتداء سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني ابدعهما وانشاخلقهما من غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم فيها رزقهم بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلماء في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من العلماء وقد ذكر الازهري في كتاب تهذيب اللغة ما يقوي الحديث وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروي بسنده عن مجاهد قال بدؤ خلق العرش والماء وبدؤ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة ايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج منها ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع ما فيها في يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق ادم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيمة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة فهو قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى كان قادرا على جميع خلق الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت

والتأني في الأمور كما في الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان وقيل إن الشيء إذا أحدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم أن ذلك الشيء إنما وقع على سبيل الاتفاق فإذا أحدث شيئا فشيئا على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل إن الله تعالى أراد أن يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل إن التعجيل في الخلق أبلغ في القدرة والتثبت أبلغ في الحكمة فأراد الله تعالى إظهار حكمته في خلق الأشياء بالتثبيت كما أظهر قدرته في خلق الأشياء بكن فيكون وقوله تعالى **ثم استوى على العرش** العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم إنه الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد روى البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله ابن وهب قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي وإليه ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي وقال البغوي أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد روي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أمروها كما جاءت بلا كيف وقال الإمام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية أنه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الأول أن نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهو الذي قررناه في تفسير قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني أن نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه أي انتقض ملكه وإذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الأمر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش وأورد على هذا القول بأن الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السماوات والأرض والله تعالى منزه

عن ذلك وأجيب عنه بأن الله تعالى كان قبل خلق السماوات والأرض مالكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد إلا بعد أكله الطعام فإذا فسر العرش بالملك صح أن يقال إنه تعالى إنما استوى ملكه بعد خلق السماوات والأرض مالكها لكن لا يصح والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا القول إنما خص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بالأخبار عنه بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للأشياء كلها ومستوليا عليها فأي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن أبي الحسن الأشعري أن الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوى كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرها من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي إنما يكون في الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة وحكى الأستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا أنه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء وقد أشار أبو الحسن الأشعري إلى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض أصحابنا إنه صفة ذات قال وجوابي هو الأول وهو أن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق الأشياء بائن منها بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض أصحابنا إن الاستواء صفة الله تعالى بنفي الاعوجاج عنه وروي أن ابن الأعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال إنه مستو على عرشه كما أخبر فقال الرجل إنما معنى قوله استوى أي استولى فقال له ابن الأعرابي العرب لا تقول استولى على فلان حتى يكون له مضاد فأيهما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما يظنه البشر والله أعلم وقوله تعالى **يغشي الليل النهار** يعني أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى تذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وإنما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه **يطلبه حثيثا** يعني سريعا وذلك أن يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه حكى الإمام فخر الدين عن القفال أنه قال إن الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور المخلوقات على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان إلى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الإمام واعلم أنه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فإن الإنسان إذا كان في أشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ فلهذا قال يطلبه حثيثا لسرعة حركته **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الأشياء جارية في مجاريها بأمره وقال المفسرون يعني تسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير ورجوع إذ ليس هن قادرات بأنفسهن وإنما هن يتصرفن في مصرفاتهن على إرادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن والمراد بالأمر في قوله بأمره نفاذ إرادته لأن الغرض من هذه الآية تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الأمر على الأمر الذي هو الكلام وقال إنه تعالى أمر هذه الأجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة إلى انقضاء وخراب هذا العالم فإن قلت إن الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت إنما أفردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الإشراق والنور وسيرهما في المنازل لتعرف الأوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى

الا له الخلق والامر يعنى له الخلق لانه خلقهم وله ان يأمرهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر
الذى هو نقيض النهى واستخرج سفين بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر
فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى ان من جعل الامر الذى هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل
معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا
يقدر هذا لاحد شئ وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفى الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل
ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس
والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض
لاحد من خلقه عليه **تبارك الله** يعنى تمجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة
من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله **رب العالمين** يعنى هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى
افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر اشياء من عظيم خلقه وان له الخلق والامر
والنهى والقدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس معناه
تبارك باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت
ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف قوله عز وجل **ادعوا ربكم** قيل معناه
اعبدوا ربكم لان الدعا طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف
يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السؤال والطلب وهو نوع
من انواع العبادة لان الداعى لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز
والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله **تضرعا** يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار
الذل فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اى اذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته ان تدعوه خاضعين
خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى **وخفية** يعنى سرا فى انفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء ان يكون خفيا لهذه الاية
قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان
الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضى فعله فقال
تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا **ق** عن ابى موسى الاشعرى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم
انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى
وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنوز الجنة **قلت** بلى يا رسول الله قال لا حول
ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعا وقوله تعالى **انه لا
يحب المعتدين** يعنى فى الدعاء وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول
اللهم انى اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء
رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شئ فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى
ودخل تحت قوله تعالى وانه لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل
اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادات والطاعات افضل من اظهارها لهذه الاية ولكونها ابعد
من الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدى به الغير فيعمل مثله وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى

فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله من البطلان وان كان قد بلغ فى الصفا وقوة اليقين
الى التمكين بحيث صار مبائنا عن شائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصيل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى ان اظهار
العبادات المفروضات افضل من اخفائها فالصلوة المكتوبة فى المسجد افضل من صلاته فى بيته وصلاة التنفل فى البيت
افضل من صلاته فى المسجد وكذا اظهار الزكوة افضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس
على هذا سائر العبادات قوله تعالى **ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها** يعنى ولا تفسدوا ايها
الناس فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله فيها ببعثة الرسل وبيان الشرائع والدعا الى
طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال عطية لا تعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك
الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعنى اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا
فى الارض شيئا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او افسادها بقطع بعض الاعضاء وافساد الاموال
بالغصب والسرقة واخذ من الغير بوجوه وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد الانساب
بالاقدام على الزناء وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال
الفساد فى ماهيتها وقوله تعالى **وادعوه خوفا وطمعا** اصل الخوف انزعاج فى الباطن لما لا يؤمن
من المضار وقيل هى توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا
فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء والذكرى فى الدعا
وطمعا فى الاجابة **فان قلت** قال فى اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشئ
على نفسه فما الفائدة فى ذلك **قلت** الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا ان يكون الدعا
مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء احد هذين الامرين فكانت الاية
الاولى فى بيان شرط صحة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى انفسكم بين الخوف والرجا فى اعمالكم كلها ولا تطمعوا
انكم وفيتم حق الله فى العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيهما **ان رحمة الله** اصل الرحمة رقة تقتضى
الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها البارى جل وعز
فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال
الخير اليهم وقيل هى عبارة عن ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال
وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات **قريب من المحسنين** قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب
فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتانيث
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريب من المحسنين لان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا واقبال على الاخرة
واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحيوة وليس بينهم وبين رحمة الله التى هى الثواب فى الاخرة الا الموت وهو قريب
من الانسان قوله عز وجل **وهو الذى يرسل الرياح** هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الذى
خلق السموات والارض وهو الذى يرسل الرياح **بشرا** قرئ نشرا بالنون اراد جمع نشور وهى الريح الطيبة الهبوب
التى تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة
التى تنشئ السحاب وقال الانبارى النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطى فيحتمل انها كانت
بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهى التى تبشر بالمطر والريح هو الهواء
المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربعة الصبا وهى الشرقية والدبور وهى الغربية والشمال وهى التى تهب من تحت القطب
الشمالى والجنوب وهى القبلية وعن ابن عمر ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهى القاصف والعاصف والصرصر

والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات **بين يدي رحمته** يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدم تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا اذا كانت يد الانسان تتقدمه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض وقوله تعالى **حتى اذا اقلت سحابا ثقالا** يقال اقل فلان الشيء اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء او لم يكن فيه ماء سمي سحابا لانسحابه في الهواء والمعنى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين وهو طرف السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم تنشره فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تبارك وتعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحتمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقناه لبلد ميت** يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حيوة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا الى اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر او مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد وزاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن الا عشى وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زجل ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الماء لم ينزل فيه غيث ولم ينبت فيه خضرة **فانزلنا به الماء** اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ما ذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جائز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لانزال الماء **فاخرجنا به** يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه من اصناف الثمار والزروع **كذلك نخرج الموتى** يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيا البلد الميت بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس

قادر ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم **لعلكم تذكرون** الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي قوله تعالى **والبلد الطيب** يعني الارض الطيبة التربة السهلة السبخة **يخرج نباته باذن ربه** يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن ربه عز وجل **والذي خبث لا يخرج الا نكدا** يعني والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر

لا تنجز الوعد ان وعدت وان … اعطيت اعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر ومعناه انك اذا اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلد السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتجنيبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا وانتفعوا بسماع القرآن قوله تعالى **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار من القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة يؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم

فقال له اخس يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** يعني ان لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيمة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر العذاب عنهم الى يوم القيمة **قال الملأ** وهم الجماعة الاشراف **من قومه انا لنراك** يعني يا نوح **في ضلال مبين** يعني في خطاء وزوال عن الحق بين **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني ما بي ما تظنون من الضلال **ولكني رسول من رب العالمين** يعني ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا وهو قوله تعالى **ابلغكم رسالات ربي** يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به **وانصح لكم** يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه ان عصوه **واعلم من الله ما لا تعلمون** يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون **او عجبتم** الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكاري معناه اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم ذكر من ربكم** يعني وحيا من ربكم **على رجل منكم** تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله تعالى على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال الفراء على ههنا بمعنى مع **لينذركم** يعني جاءكم لاجل ينذركم **ولتتقوا** اي ولاجل ان تتقوا **ولعلكم ترحمون** لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة **فكذبوه** يعني فكذبوا نوحا **فانجيناه** يعني من الطوفان والغرق **والذين معه** يعني من آمن من قومه معه **في الفلك** يعني في السفينة **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين** قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانشدوا في المعنى قول زهير حيث قال

واعلم علم اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى **والى عاد اخاهم هودا** اي وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحق هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة على وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملايكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم

مثل

مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وههنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا **افلا تتقون** يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة** يعني انا لنراك يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تشتغل في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء شيء واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة **وانا لنظنك من الكاذبين** يعني في دعايك انك رسول من رب العالمين **قال** يعني هود لهؤلاء الملأ الذين نسبوه الى السفه **يا قوم ليس بي سفاهة** يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة **ولكني رسول من رب العالمين** يعني اليكم **ابلغكم رسالات ربي** يعني اؤدي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرايعه وتكاليفه **وانا لكم ناصح** يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه **امين** يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما اؤتمن عليه حكى الله عن نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو على قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله تعالى عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لايق بالعقلاء وانما فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم انا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها **او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح** يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء في الارض واهلك قوم نوح **وزادكم في الخلق بسطة** يعني طولا وقوة قال السدي والكلبي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة **فاذكروا آلاء الله** يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام **لعلكم تفلحون** يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة **قالوا** يعني قال قوم هود مجيبين له **اجئتنا** يا هود **لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من الصادقين** يعني في قولك انك رسول الله **قال** يعني قال هود مجيبا لهم **قد وقع** يعني نزل ووجب **عليكم من ربكم رجس وغضب** اي عذاب وسخط **اتجادلونني في اسماء سميتموها**

أنتم وآباؤكم يعني وضعتم لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم لأنهم سموا الأصنام بالإلهية وذلك معدوم فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وإنما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل فانتظروا يعني العذاب إني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فأنجيناه يعني فأنجينا هودا عليه السلام عند نزول العذاب بقومه والذين معه برحمة منا يعني وأنجينا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لأنهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد بالآيات معجزات هود الدالة على صدقه وهنا هلاك استيصال فأهلكهم جميعا ولم نبق منهم أحد وما كانوا مؤمنين يعني لأنهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وكان قصة عاد على ما ذكره محمد بن إسحق وأصحاب السير والأخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الأحقاف والأحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الأرض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهنا فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم إيمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق لأن أباهم كان عمليق بن لاوذ بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معوية بن بكر وكانت أم معوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد فكانت عاد أخوال معوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا إلى مكة ليستسقوا لكم فإنكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم إسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقمن بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم وجماعة من قومه فبلغ عدة وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعوية بن بكر فلما رأى معوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم ليستسقوا لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما أدري كيف أصنع فإني أستحي أن آمرهم بالخروج لما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من أمره إلى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل أن ذلك يحركهم فقال معوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير • فقد أمست نساؤهم أيامى
وإن الوحش تأتيهم جهارا • ولا تخشى لعادي سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا

الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إذا أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم وأظهر إسلامه عند ذلك وقال

عصت عاد رسولهم فأمسوا • عطاشا لا تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود • يقابله صدا والهنا
فبصرنا الرسول سبيل رشد • فأبصرنا الهدى وجلا العماء
وإن إله هود هو إلهي • على الله التوكل والرجاء

زاد في رواية

لقد حكم الإله وليس جور • وحكم الله إذ غلب الهواء
على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقاء
وإني لن أفارق دين هود • طوال الدهر أو يأتي الفناء

فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعد فإنك من قبيل • ذوي كرم وأمك من ثمود
فإنا لا نطيعك ما بقينا • ولسنا فاعلين كما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد • ورمل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرام • ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معوية بن بكر حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله عز وجل بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى إليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال اللهم أعط قيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمن بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام لقمن فقال اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وسأل طول العمر فعمر سبعة أنسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من آل عاد أحدا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أن أفاقت قالوا لها ماذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحدا إلا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ بها الأنفس وإنها لتمر بالظعن من آل عاد فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذ أقبل إليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث الله سبحانه وتعالى الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب فجاءت الريح ففلقت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم يخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث إنما خرجت على مثل خرت الخاتم وقيل إن مرثد بن سعد ولقمن بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم غير أنه لا سبيل إلى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم أعطني برا وصدقا فأعطي ذلك وقال لقمن اللهم أعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة

انسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمن معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي بالبقاء بعد قومي فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتتهم الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل في تلك البقعة ويروى ما من نبي من الانبياء اذا اهلك قومه الا جاء هو والصالحون من قومه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله عز وجل **والى ثمود اخاهم صالحا** يعني وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينسبون اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله غيره يستحق ان يعبد سواه **قد جاءتكم بينة من ربكم** يعني جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى صدقي باني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال **هذه ناقة الله لكم اية** يعني انها علامة على صدقي قال العلماء وجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التشريف والتفضيل كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح **فذروها تاكل في ارض الله** يعني فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا وليس لكم في ارض الله شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب **ولا تمسوها بسوء** يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من انواع الاذى ولا تعقروها **فياخذكم عذاب اليم** يعني بسبب عقرها واذاها **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد** يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها **وبواكم** يعني واسكنكم وانزلكم **في الارض تتخذون من سهولها قصورا** يعني تبنون القصور من سهول الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين **وتنحتون الجبال بيوتا** يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين **فاذكروا الاء الله** اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها **ولا تعثوا في الارض** قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض **مفسدين** فيها والعثي اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح **للذين استضعفوا** يعني المساكين **لمن امن منهم** يعني قال الاشراف المتعظمون

في انفسهم لاتباعهم الذين امنوا بصالح وهم الضعفاء من قومهم **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** يعني ان الله ارسله الينا واليكم **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون** يعني قال الضعفاء انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون **قال الذين استكبروا** يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح **انا بالذي امنتم به كافرون** اي جاحدون ومنكرون **فعقروا الناقة** يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره **وعتوا عن امر ربهم** اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام **وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من المرسلين** يعني ان كنت كما تزعم انك رسول فان الله ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى **فاخذتهم الرجفة** قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى **فاصبحوا في دارهم جاثمين** يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدتهم جاثمين وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار بني فلان يعني ارضهم ومجمعهم وجمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون **فتولى عنهم** يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم **وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون وقال انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن ياتي بعدهم فينزجروا عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها **وكانت قصة ثمود** على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها فكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم اية تكون مصداقا على ما يقول فقال لهم صالح اي اية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا ادع الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء

ولذلك

والمخترجة ماشاء كلت البخت من الابل فان فعلت امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوا ووصفوا غير الله لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط معه من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء ولما كانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفشج لهم فيحلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا اليوم فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت لها بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها وكانت غنية كثيرة المال فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله ابن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد ذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث اي قام لها بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صور وقيل قاره واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فاقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة

اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع ابن مهرج واخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذب فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطئوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولجأ الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدروا عليه فعمدوا الى اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال لهم عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة من السماء وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال اوحى الله عز وجل الى صالح عليه وعلى نبينا افضل الصلوة والسلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك وكان الولد الذي ولد احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه سبب قتل اولادهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط

عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن قد كان اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فرأوهم وهم رضخ فرجعوا وهم يقولون
ما رضي صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على قتل الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على
تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا فكان يشب شبابا سريعا فلما كبر جلس مع ناس
يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد
ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن باللبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا
وزروعنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها لكم فقالوا نعم فعقروها ق عن ابن عمر لما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم رأسه
واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس
نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا
منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسئلوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سئلوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترد من
هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك من تحت اديم
السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله تعالى
من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم وابتدروه
باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة آلاف فخرج بهم صالح الى
حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى الاربعة الاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي
صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة قوله عز وجل **ولوطا** يعني وارسلنا
لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه **اذ قال لقومه** يعني
اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم
ارض فلسطين وانزل لوطا الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى
اتأتون الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران
في ادبارهم **ما سبقكم بها من احد من العالمين** من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ
لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط **انكم لتأتون الرجال**
يعني في ادبارهم **شهوة من دون النساء** يعني اتيان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء **بل انتم**
ايها القوم **قوم مسرفون** اي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله
تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع
النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف واعتدى لانه وضع الشيء في غير موضعه الذي
خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط
على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كان قرى قوم لوط مخصبة وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم
الناس فاذوهم وضيقوا فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم

وقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا صباحا فاختبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك
الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان
فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف
بهم وقوله تعالى **وما كان جواب قومه** يعني وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما
حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث **الا ان قالوا** يعني قال بعضهم لبعض **اخرجوهم من قريتكم** يعني
اخرجوا آل لوط واتباعه واهل دينه من بلدكم **انهم اناس يتطهرون** يعني انهم اناس يتنزهون عن فعلكم
وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن
المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون وان من فعل المعاصي والاثام فقد تنجس **فانجيناه واهله**
يعني فانجينا لوطا ومن آمن معه واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه **الا**
امرأته يعني زوجته **كانت من الغابرين** يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة
وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال
من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا**
يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة
مطر **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين
كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط
فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك فينزجروا بذلك
الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل **والى مدين اخاهم شعيبا** يعني وارسلنا
الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مديان بن ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام
هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذي
كانوا عليه وقيل اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله اخاهم شعيبا
يعني في النسب لا في الدين وشعيب هو ابن ثويب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل
بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب عليه السلام بن نيرون بن مدين
بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس
في المكيال والميزان **قال** يعني شعيبا **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم**
يعني قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي
معجزة تدل على صدقه وما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء
مذكورة في القرآن وقيل المراد بالبينة مجيء شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله تعالى
فاوفوا الكيل والميزان يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله تعالى **ولا تبخسوا**
الناس اشياءهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس
فلان في الكيل والوزن اذا انقصه وطففه **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** يعني بعد ان اصلحها
الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي بعث الى قومه فهو صلاحهم **ذلكم** يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان
بالله ووفاء الكيل وترك الظلم والبخس **خير لكم** يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس **ان كنتم مؤمنين**

يعني مصدقين بما اقول **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق
من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان
بالله وبرسوله شعيب وهو قوله تعالى **وتصدون عن سبيل الله من آمن به** يعني وتمنعون من يريد الايمان
بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي
تريدونه كذاب فلا يفتننكم عن دينكم **وتبغونها عوجا** يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها
عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد **واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثركم** يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم
بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم
بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمه عليكم وآمنوا به **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**
يعني وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حتى عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب
والهلاك واقربها اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل عليهم حجارة من السماء بما عصوه وكذبوا رسله **وان كان طائفة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا** يعني وان اختلفتم
في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة آمنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي **فاصبروا** فيه وعيد وتهديد
حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين الصادقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين
ويعذبهم **وهو خير الحاكمين** يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين
لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين **قال الملأ الذين
استكبروا من قومه** يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع
شعيب **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا**
يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد امرين اما اخراجك ومن معك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا
وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى
قوله او لتعودن في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا
واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء
كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر
فان تكن الايام احسن مرة ... الي فقد عادت لهن ذنوب
اراد انه صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت
لهن قبل الاحسان وقوله تعالى **قال اولو كنا كارهين** يعني لا نعود في ملتكم ولو اكرهتمونا او
جبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل **قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها** يعني ان شعيبا اجاب قومه اذا دعوه ومن آمن الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال
قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم
عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا منها خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو
ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب
عن الاشكال الاول وهو ان يقول ان الله نجا قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة على ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم
وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها لما علمنا قبح ملتكم وفسادها
فكانه خلصنا منها وقوله تعالى **وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا** يعني وما يكون لنا

كان صح

ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها حينئذ
بمعنى قضى الله وقدره وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه اهل العلم والسنة
في هذه الآية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله
اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشاء ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه
استسلام للمشيئة ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق قوله **وسع ربنا كل شيء علما**
يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله
والشقي من شقي في علم الله تعالى **على الله توكلنا** يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي
لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب **ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق** لما آيس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين
قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف **وانت خير الفاتحين** يعني خير الحاكمين قال الفراء
اهل عمان يسمون القاضي الفاتح وقال غيره من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد بعضهم ... الا ابلغ بني عصم رسولا ... فاني عن
فتاحتكم غني ... اراد عن حاكمكم وقاضيهم وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان
الفاتح هو القاضي والحاكم يسمى بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه
ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب
وقومه محقين وعلى هذا القول فالفتح يراد به الكشف والتمييز **وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن
اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون** يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعيب
ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون
يعني انكم لمغبونون في فعلكم **فاخذتهم الرجفة** يعني الزلزلة الشديدة **فاصبحوا في دارهم جاثمين**
قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلا ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا
في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة
فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم
وصبيانهم الهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروي
ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة
والى مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا قال عبد الله
بن البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه
كلمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به ... كلمن هدركني هلكه وسط المحلة ... سيد القوم اتاه هلكه
نار تحت ظلة ... جعلت نارا عليهم ... دارهم كالمضمحلة ... وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها**
يعني كان لم يقيموا فيها ولا ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها
مغنى قال الشاعر في المغنى شعر ... ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد ... اراد فيها اقاموا وقيل في
معنى الآية كان لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر **الذين**

بالطاغوت صح

ذلك صح

والفتاح صح

سمعت صح

جميعا صح

كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يعني خسروا انفسهم بهلاكهم فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب
شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه
قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة هود
عليه السلام وقوله تعالى فكيف اسى يعني احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن وانما اشتد حزنه على
قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن
على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم
في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم بمعنى لستم مستحقين بان يحزن
عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالى
وما ارسلنا في قرية من نبي فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء قال ابن
مسعود الباساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول من قال الباساء كلما نالهم من الشدة في اموالهم والضراء كلما
نالهم من الامراض وقيل الباساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال لعلهم يضرعون
يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية
ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم و
عرف سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل
رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالباساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير
لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في
اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة
والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كلما يسوء صاحبه والحسنة كلما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة
والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه بدل تعالى مكان الباساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان
فاخبر الله تعالى في هذه الاية انه ياخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله
حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد حتى كثرت
اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة قد مس اباءنا الضراء
والسراء يعنيهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضر عقوبة
لنا من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم
من الضراء والباساء قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجاءة امن ما كانوا ليكون ذلك
اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر
عما هو عليه من الذنوب بقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالى
في هذه الاية انهم لو امنوا يعني بالله ورسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار
وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده
واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض
لانه نشا عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشيء اي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات

هم صح

لا الاول صح

الزجاج فانه صح

الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الاية صح

من الارض

من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني
الرسل فاخذناهم بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى
افامن اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو
عام في كل القرى الذين كفروا وكذبوا ان ياتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون
اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم
والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه
الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم
وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بعذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا
الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرا لنزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ما يكون من اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك مع
الهالكين اولم يهد يعني اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد هلاك اهلها الذين
كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم
بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان
ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه المستقبل والمعنى ولو
نشاء طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد
وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم
الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف
اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم
ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على
صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه كما كان هؤلاء المشركون
الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم
من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي امنوا كرها يوم
الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد الهلاك ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا
ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق
لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى اليهم ربهم وان لا
يتناولوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه السلام قال
الطبري واولى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك من سبق في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن ابدا وقد كان
سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم
به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما
طبع على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتبت عليهم انهم لا يؤمنون من قومك وما وجدنا
لاكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد
من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا

اهل صح

يعني نهارا لان الضحى صدر النهار صح

بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان ياتيهم صح

ان لم

ما وضا هم به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اى وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا قوله عز
وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يعنى ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم قوم نوح وهود وصالح
ولوط وشعيب عليهم السلام موسى باياتنا يعنى بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصى ونحو ذلك من الايات التى جاء بها
موسى عليه السلام الى فرعون وملايه قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك
الروم قيصر وملك الحبشة النجاشى وكان اسم فرعون الذى ارسل اليه موسى السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملاء
اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف امن الاتباع فظلموا بها يعنى فجحدوا بها لان الظلم وضع الشئ
فى غير موضعه ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين اى انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم وقال موسى يا فرعون انى رسول
من رب العالمين يعنى ان موسى لما دخل على فرعون دعاه الى الله والى الايمان برسوله وقال له انى رسول يعنى
اليك مرسل والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى ارسلنى اليك حقيق
اى واجب على ان لا اقول على الله الا الحق يعنى انى رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق فى وصفه وتنزيهه وتوحيده
وانه لا اله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعنى ببرهان على صدق ما ادعى من الرسالة والمراد ببينته معجزته
وهى العصا واليد البيضا ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى فارسل معى
بنى اسرائيل يعنى خل عنهم واطلقهم من الاسر وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الاعمال الشاقة قال فرعون
ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين يعنى ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ
الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فأتنى بها واحضرها عندى ليصح دعواك ويثبت صدقك
فيما قلت فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان
والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه فى اية اخرى كانها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها
كانت فى عظم الجثة كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة وهى الجان قال ابن عباس والسدى انه لما القى العصا
صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة
لحيها الاسفل فى الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا واحدث وقيل انه
احدث فى ذلك اليوم اربعماية مرة وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا
فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك بالذى ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك
وارسل معك بنى اسرائيل فعادت فى يده عصى كما كانت وفى كون الثعبان مبين وجوه الاول انه تبين وتميز ذلك عما عملته السحرة
من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخيلهم الوجه الثانى انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية
ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين اى بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كانت
ابانت صدق قول موسى فى انه رسول من رب العالمين ونزع يده النزع فى اللغة عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه والمعنى
انه اخرج من جيبه او من تحت جناحه فاذا هى بيضاء للناظرين قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها
بيضاء من غير سوء يعنى من غير مرض وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا
هى بيضا لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هى كما كانت ولما
كان البياض المفرط عيبا فى الجسد وهو البرص قال الله تعالى فى اية اخرى بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص والمعنى فاذا هى بيضا
للناظرين ولا تكون بيضا للناظرين الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه

فصل فى بيان المعجزة
وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايمان فى قلوب عباده ابتداء من غير واسطة

ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه
وجائز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبيا وجائز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع اممهم ولا
مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا فى دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم السلام معجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم فى جميع
ما اتوا به لان المعجز مع التحدى قايم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبى شاهد على صدقه فيما
يقوله وسميت المعجزة معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهى على ضربين ضرب منها على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم
عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا
عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم الضرب الثانى ما هو خارج عن قدرة البشر
كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات
التى عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبى بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى
اظهر ذلك المعجزة على يد نبيه ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر عنه عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله
قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات
والله اعلم قوله تعالى قال الملاء من قوم فرعون ان هذا يعنى موسى لساحر عليم يعنون انه ليأخذ باعين
الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك
لان السحر كان هو الغالب فى ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله فى هذه
السورة ان هذا الكلام من قول الملاء لفرعون وقال فى سورة الشعراء قال فرعون للملاء حوله ان هذا الساحر عليم فكيف الجمع
بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون فى سورة الشعرا
وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملاء من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله
عز وجل هنا عن الملاء واخبر هناك عن فرعون وقوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم يعنى يريد موسى ان يخرجكم
ايها القبط من ارض مصر فماذا تامرون يعنى فاى شئ تستشيرون ان نفعل به وقيل ان قوله فماذا تامرون من
قول الملاء كانت كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال الملاء مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه
بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك فى التعظيم والتفخيم والمعنى فماذا ترون ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق التى
بعدها وهو قوله تعالى قالوا ارجه واخاه يعنى اخر امرهما ولا تعجل فيه فتضيع عجلتك عليك لا لك والارجا
التاخير فى اللغة وقيل معنى ارجيه احبسه واخاه وهذا قول ضعيف لان الارجاء فى اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون
ما كان يقدر على حبس موسى بعد ان راى من امر العصا ما راى وارسل فى المداين جمع مدينة واشتقاقها من مدن
بالمكان اذا اقام به يعنى مداين صعيد مصر حاشرين يعنى رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى
انهم قالوا لفرعون ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة باقصى مداين
الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ياتوك يعنى الشرط بكل
ساحر وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدى فى صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو
الماهر الذى يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذى يدوم سحره ويعمل فى كل وقت عليم
يعنى ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحق والسدى ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته فى العصى قال انا لا
نقابل موسى الا بمن هو اعلم منه فاتخذ غلمانا من بنى اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا
وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا
يطيقه سحر اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بحث فرعون فى مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى به واختلفوا

في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهم رؤساء القوم وسبعون من بني إسرائيل
وقال الكلبي كان الذي يعلمهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا
وقال محمد بن إسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا بضعا
وثلاثين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاؤوا إلى فرعون
قالوا إن لنا لأجرا يعني جعلا وعطاء تكرمنا به إن كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الإمام فخر الدين ولقائل
أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا إن لنا لأجرا وجوابه هو تقدير سائل سأل لما قالوا إذ جاؤوا فأجيب
بقوله قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم يعني قال لهم فرعون لكم الأجر والعطاء وإنكم لمن المقربين
يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر والمعنى أن فرعون قال للسحرة إني لا أقتصر بكم على الأجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة
أني أجعلكم من المقربين قالوا يعني السحرة يا موسى إما أن تلقي يعني عصاك وإما أن نكون نحن الملقين
يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه السلام حسن الأدب حين قدموه على أنفسهم
في الإلقاء لا جرم أن الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالهداية والإيمان ولما
راعوا الأدب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قال لهم موسى ألقوا يعني أنتم فقدمهم على نفسه في الإلقاء
فإن قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالإلقاء وقد علم أنه سحر وفعل السحر كفر قلت ذكر العلماء فيه
أجوبة أحدها أن معناه إن كنتم محقين في فعلكم فألقوا وإلا فلا تلقوا الجواب الثاني إنما أمرهم بالإلقاء لتظهر معجزته صلى الله
عليه وسلم لأنهم إذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث أن موسى علم أنهم لا بد أن يلقوا
الحبال والعصي وإنما وقع التخيير في التقديم والتأخير فأذن لهم في التقديم لتظهر معجزته أيضا بعليهم لأنه لو ألقى أولا لم يكن
له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالإلقاء فلما ألقوا حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس يعني صرفوا
أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين
معجزة الأنبياء التي هو فعل الله وذلك لأن السحر قلب الأعين وصرفها عن إدراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته
كقلب عصى موسى عليه السلام حية واسترهبوهم يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى
وجاؤوا يعني السحرة بسحر عظيم وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت
الوادي يركب بعضها بعضا ويقال إنهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا وألقوها على الأرض
فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال إن الأرض كانت سعتها ميلا في ميل
فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام
لأجل سحرهم لأنه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بأن ما أتوا به على
وجه المعارضة للمعجزة فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه
الصلاة والسلام لأجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام أن يتفرقوا قبل ظهور معجزته
وحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك يعني فألقاها
فإذا هي تلقف أي تبتلع ما يأفكون يعني ما يكذبون فيه السحرة لأن أصل الإفك قلب الشيء عن غير وجهه
ومنه قيل للكذاب أفاك لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل قال المفسرون أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام
أن لا تخف وألق عصاك فألقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالإسكندرية فيقال بلغ
ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فإذا هي تلقف يعني تبتلع كل شيء أتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم
وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك

الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه من أمر
السماء وليس بسحر وعرفوا أن ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين وذلك قوله تعالى
فوقع الحق يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك أن السحرة
قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا أن ذلك أمر من الله تعالى
وقدرته فغلبوا هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا صاغرين يعني
ورجعوا أذلاء مقهورين وألقي السحرة ساجدين يعني أن السحرة لما عاينوا عظيم قدرة الله تعالى وليس
في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك أن الله عز وجل ألهمهم معرفته والإيمان به فقالوا آمنا
برب العالمين فقال فرعون إياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن
بي إذ غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأومنن بك وقيل إن الحبال والعصي التي كانت مع السحرة كانت
حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو إلا من أمر السماء فآمنوا
وصدقوا فإن قلت كان يجب أن يأتوا بالإيمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الإيمان قلت
لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الإيمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم إليه وألهمهم به من الإيمان بالله
وتصديق رسوله ثم أظهروا بعد ذلك إيمانهم وقيل لما رأوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في أمر العصى وأنه ليس يقدر
على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا إلى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم
إنهم أظهروا الإيمان قال ابن عباس لما رأت عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهارون قوله عز وجل قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم يعني قال فرعون للسحرة آمنتم
بموسى وصدقتموه قبل أن آمركم وآذن لكم فيه إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني أن هذا الصنيع الذي
صنعتموه أنتم وموسى في المدينة قبل خروجكم إلى هذا الموضع وذلك أن فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون أن موسى
وكبير السحرة قد تواطؤا عليه وعلى أهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها أهلها ولتستولوا عليها أنتم فسوف تعلمون
فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما أفعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
وهو أن يقطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع ثم لأصلبنكم أجمعين يعني على شاطئ نيل
مصر قال ابن عباس أول من صلب وأول من قطع الأيدي فرعون قالوا يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل إنا إلى ربنا
منقلبون يعني إنا إلى ربنا راجعون وإليه صائرون في الآخرة وما تنقم منا يعني وما تكره منا وما تطعن علينا
وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ثم فزعوا إلى الله
وسألوه الصبر على تعذيب فرعون إياهم فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أي اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا
أتى بلفظ التنكير يعني صبرا وأي صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على دين الإسلام وهو دين خليلك
إبراهيم عليه الصلوة والسلام قال ابن عباس كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الكلبي إن فرعون قطع أيديهم
وأرجلهم وصلبهم وقال غيره إنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون قوله
تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض يعني
أرض مصر وأراد بالإفساد فيها أنهم يأمرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله ويذرك وآلهتك يعني وتذره ليذرك
ويذر آلهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة يعبدها وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها
ولذلك أخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما فكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنا ربكم
ورب هذه الأصنام وذلك قوله أنا ربكم الأعلى والأقرب أن يقال إن فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر

هذا العالم السفلي هو الكوكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه إنه هو المطاع
والمخدوم في الأرض فلهذا قال أنا ربكم الأعلى وقرأ ابن مسعود وابن عباس والضحاك ويذرك وإلاهتك بكسر الألف ومعناه ويذرك
وعبادتك لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد وقيل أراد بالآلهة الشمس والكواكب لأنه كان يعبدها قال الشاعر تروّدنا من الكعباء قصرا
فأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا أراد بالإلاهة الشمس **قال** يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أتذر موسى وقومه قال
سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم يعني نتركهن أحياء وذلك أن قوم فرعون لما أرادوا وأحمل فرعون على قتل
موسى وقومه أو حبس موسى وإنزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه السلام شيئا مما أرادوا به لقوة موسى
بما معه من المعجزة عدل إلى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان نزل القتل في بني إسرائيل بعد ما ولد
موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدوا عليهم القتل فأعادوا القتل على بني إسرائيل والمعنى
أن فرعون قال يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون أنه قادر على ذلك
بقوله **وإنا فوقهم قاهرون** يعني بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل ببني إسرائيل ما نزل شكوا إلى موسى ما نزل بهم
قال موسى لقومه يعني لما شكوا إليه **استعينوا بالله واصبروا** يعني استعينوا بالله على
فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فإن الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم
إن الأرض يعني أرض مصر وإن كانت الأرض كلها لله تعالى **لله يورثها من يشاء من عباده** وهذا إطماع من موسى
لبني إسرائيل أن يهلك فرعون وقومه ويملك بنو إسرائيل أرضهم وبلادهم بعد إهلاكهم وهو قوله تعالى **والعاقبة للمتقين**
يعني أن النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعني أن عاقبة المتقين الصابرين الجنة **قالوا أوذينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا** قال ابن عباس لما آمنت السحرة تبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل والمعنى
أن بني إسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد أوذينا من قبل أن تأتينا يعني بالرسالة
وذلك أن بني إسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة إلى نصف النهار فلما جاءهم موسى
بالرسالة وجرى عليه ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من بعد
ما جئتنا يعني بالرسالة والجواب عن هذا الإيهام بأن موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة و
المشقة فظنوا أن ذلك يكون على الفور فلما رأوا أنه قد زادت الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد
ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم **قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم**
يعني فرعون وقومه **ويستخلفكم في الأرض** يعني ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم
فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك منهم لأن الله تعالى لا يجازيهم
بما يعلمه منهم وإنما يجازيهم على ما يقع منهم من العمل قوله عز وجل **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين**
يعني بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجدب في السنة ويقال أسنتوا كما يقال أجدبوا قال الشاعر
ورجال مكة مسنتون عجاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى
الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة **ونقص من الثمرات** يعني وتلف الغلات
بالآفات قال قتادة أما السنون فلأهل البوادي وأما نقص الثمرات فلأهل الأمصار **لعلهم يذكرون** يعني لعلهم يتعظون
فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي لأن ذلك الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى
أنهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا إلا تمردا وكفرا فقال تعالى **فإذا جاءتهم الحسنة** يعني الغيث
والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات **قالوا لنا هذه** أي نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التي
جرت لنا في سعة الأرزاق وصحة الأبدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على إنعامه **وإن تصبهم سيئة** يعني

القحط والجدب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم **يطيروا** يعني يتشاءموا وأصله يتطيروا والتطير التشاؤم
في قول جميع المفسرين **بموسى ومن معه** يعني أنهم قالوا ما أصابنا بلاء إلا حين رأيناهم وما ذلك إلا بشؤم موسى وقومه
قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان
حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية **ألا إنما طائرهم عند الله** يعني
أن ما يصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية
عنه شؤمهم عند الله ومعناه إنما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار **ولكن أكثرهم
لا يعلمون** يعني أن ما أصابهم من الله تعالى وإنما قال أكثرهم لا يعلمون لأن أكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب
ولم يضيفوها إلى القضاء والقدر قوله تعالى **وقالوا** يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام **مهما تأتنا
به من آية** يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم **لتسحرنا بها** يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين
فما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله
دعاءه فقال تعالى **فأرسلنا عليهم الطوفان** قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق دخل كلام بعضهم
في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم الآيات
فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصى فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى
وقال يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فأرسل عليهم المطر من السماء وبيوت بني إسرائيل
وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل
من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة
أيام من السبت إلى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو
قلابة الطوفان الجدري وهم أول من عذبوا به ثم بقي في الأرض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم فعند ذلك
قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع
عنهم الطوفان وأنبت لهم تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان
هذا الماء إلا نعمة علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وورق
الشجر حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة حتى أكل مسامير الحديد التي في الأبواب وغيرها
وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت دور القبط ولم يصب بني إسرائيل من ذلك شيء فعجوا أو ضجوا وقالوا يا موسى
ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله
عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم
ويقال إن موسى خرج إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم
بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة
فأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن القمل هو السوس
الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له وقال أبو عبيدة
هو الحنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب
الأخبار أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يمشي إلى كثيب رمل أعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى موسى إلى ذلك
الكثيب فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فأكلها كلها ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب

أحدهم وجلده فيعضه فإذا أكل أحدهم طعاماً امتلأ قملاً قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم أشد من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجبهم وأشفار عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا إلى موسى إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فمكثوا بعد ذلك ورجعوا إلى الخبث ما كانوا عليه من الأعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم تجعل الرمل دواباً فدعا موسى عليهم بعدما أقاموا شهراً في عافية فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منه بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد إناء إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ إلى حلقه فإذا أراد أن يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم إذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاماً فلا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر وإذا أراد أن يأكل سبقه الضفدع إلى فيه ولا يعجن أحدهم عجيناً إلا امتلأ ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديداً وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسل الله عز وجل على آل فرعون سمعت وأطاعت جعلت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي على النار وفي التنانير وهي تفور فأثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى بما يلقون من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما أقامت سبعاً إلى أن بلغت من السبت إلى السبت فأقاموا شهراً في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب إلا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا دماً عبيطاً فكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دماً وللإسرائيلي ماء حتى أن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيصير في الإناء دماً حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دماً ثم إن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها ملحاً أجاجاً فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم وقال زيد بن أسلم إن الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم كان الرعاف فأتوا موسى وشكوا إليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى

فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها بعضاً وتفصيلها أن كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعاً وبين كل عذابين مدة شهر **فاستكبروا** يعني عن الإيمان فلم يؤمنوا **وكانوا قوماً مجرمين** يعني آل فرعون قوله تعالى **ولما وقع عليهم الرجز** يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم الطاعون حتى مات منهم في اليوم الواحد سبعون ألفاً فأمسوا وهم لا يتدافنون ق عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وقوله تعالى **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** يعني بما أوصاك وقيل بما أنبأك وقيل بما عهد عندك من إجابة دعوتك **لئن كشفت عنا الرجز** يعني العذاب الذي وقع بنا **لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل** يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني إسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا **فلما كشفنا عنهم الرجز** يعني بدعوة موسى **إلى أجل هم بالغوه** يعني الوقت الذي أجل لهم وهو وقت إهلاكهم بالغرق في اليم **إذا هم ينكثون** يعني إذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يقوموا به واعلم أنما ذكر الله في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام ووجه ذلك أن العذاب كان مختصاً بآل فرعون دون بني إسرائيل فاختصاصه بالقبطي دون الإسرائيلي

معجز وكون بني إسرائيل في أمان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضاً فإن اعترض معترض وقال إن الله تعالى علم من آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزة فما الفائدة في توالیها عليهم وإظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون أن بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده قوله عز وجل **فانتقمنا منهم** يعني كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب **فأغرقناهم في اليم** والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الأجل الذي انتقم منهم بأن أهلكهم بالغرق فذلك قوله فأغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الأزهري اليم معروف ولفظه سريانية عربته العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله أن اقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب **بأنهم كذبوا بآياتنا** يعني أغرقناهم وأهلكناهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا **وكانوا عنها** يعني عن آياتنا **غافلين** يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزاً لأن الغفلة ليست من فعل الإنسان قوله تعالى **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** يعني ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهو أن فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني إسرائيل فقتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم فصاروا مستضعفين تحت أيديهم **مشارق الأرض ومغاربها** يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الأرض ومغاربها الأرض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الأرض وقوله تعالى **التي باركنا فيها** يدل على أنها الأرض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والأشجار والزروع والخصب والسعة **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل** يعني وفت كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر على عدوهم والتمكين في الأرض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية والحسنى صفة الكلمة وهي تأنيث الأحسن وإتمامها إنجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الأرض وإهلاك عدوهم **بما صبروا** يعني إنما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله به عليهم من إنجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم **ودمرنا** يعني وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال **ما كان يصنع فرعون وقومه** في أرض مصر من العمارات والبنيان **وما كانوا يعرشون** يعني يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد وما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والأعناب قوله عز وجل **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر** يعني وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد إهلاك فرعون وقومه وإغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه إذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكراً لله عز وجل **فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم** يعني فمر بنو إسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أي يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولاً بالرقة ساحل البحر وقيل كان أولئك الأقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم **قالوا** يعني قال بنو إسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال **يا موسى اجعل لنا إلهاً** يعني تمثالاً نعبده ونعظمه قال البغوي ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بني إسرائيل وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعدما رأوا الآيات الدالة على وحدانيته تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى

في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فرد موسى عليه السلام
بقوله قال إنكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وأنه لا يستحق أن يعبد سواه لأنه هو الذي أنجاكم من فرعون وقومه
فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة حنين فمر بشجرة للمشركين
كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذي
وقوله تعالى إن هؤلاء متبر ما هم فيه أي مهلك والتتبير الهلاك وباطل ما كانوا يعملون
البطلان عبارة عن عدم الشيء إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من ذلك
العمل نفع ولا يدفع عنهم ضراً لأنه عمل لغير الله فكان باطلاً لا نفع فيه قال أغير الله أبغيكم إلهاً لما قال بنوا
إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيباً لهم على سبيل التعجب والإنكار عليهم أغير الله
أبغيكم إلهاً يعني أطلب لكم وأبغي لكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين والمعنى أن الإله ليس هو شيئاً
يطلب ويلتمس ويتخير بل الإله هو الذي فضلكم على العالمين لأنه القادر على الإنعام والإفضال فهذا هو الذي يستحق
أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات
الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وإن كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه الآية
تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليهم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم
الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة وأتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا
قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون إن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل إذ أهلك الله عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب
من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب
الذي وعد به بني إسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل
بل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر
ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكانت فتنة بني إسرائيل في تلك العشر التي زادها
الله لموسى وقيل إن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يصوم ثلاثين يوماً ويعمل فيها ما يتقرب به إلى الله ثم كلمه وأعطاه الألواح
في العشر الذي زاد فلهذا قال وأتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجمله في سورة البقرة وهو قوله
تعالى وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الإجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه
أربعين ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته أربعين ليلة لأن الميقات هو الوقت الذي قدر أن
يعمل فيه عمل من الأعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي يعني
كن أنت خليفتي فيهم من بعدي حتى أرجع إليك وأصلح يعني وأصلح أمور بني إسرائيل واحملهم على عبادة الله
تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تسلك سبيل
المفسدين في الأرض ولا تطعهم والمقصود من هذا الأمر التأكيد لأن هرون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو
كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم على ما أنت عليه من القعود وقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا
يعني للوقت الذي وقتناه أن يأتي فيه لميقاتنا وهو قوله فكلمه ربه وفي الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه السلام
واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً

في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا تمسك في بطلانه وفساده لأن الشجرة الجرم
لا يقول إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم
إلى أن كلام الله حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه
الحروف والأصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والقائلون بهذا القول قالوا إن موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الأزلية
الحقيقية قالوا وأنه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسماً ولا عرضاً كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا
حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف أن الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله
وحقيقته وقال أهل التفسير والأخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى إلى طور
سينا وفي القصة أن الله تعالى أنزل ظلمة تغشت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطردت عنه الشيطان وهوام الأرض
ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وأدناه ربه حتى سمع صريف
الأقلام على الألواح وكلمه الله تعالى وناجاه وأسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى
فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق إلى رؤيته فقال رب أرني أنظر إليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره
أرني نفسك أنظر إليك وقال ابن عباس معناه أعطني أنظر إليك وإنما سأل موسى عليه السلام الرؤية مع علمه بأن الله تعالى
لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من أنوار الجلال واستغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل إنما سأل
الرؤية ظناً منه بأنه تعالى يرى في الدنيا فقال الله تعالى له لن تراني يعني أنه ليس لبشر أن يراني في الدنيا ولا يطيق
النظر في الدنيا ومن نظر إلي في الدنيا مات فقال موسى عليه السلام إلهي سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك
ثم أموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك وقال السدي لما كلم الله موسى عليه السلام غاص عدو الله إبليس في الأرض حتى خرج
من بين قدمي موسى فوسوس إليه أن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك قال يعني قال الله
تبارك وتعالى لموسى لن تراني فصل وقد تمسك من نفى الرؤية من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة
بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني وقالوا لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم
في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن للتأبيد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة
والعربية ولم ينقل به أحد ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه أبداً مع أنهم يتمنون الموت يوم القيمة
بدليل قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فإن قالوا إن لن معناها تأكيد النفي كلا التي
تنفي في المستقبل قلنا إن صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولاً على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جمعاً بين دلائل الكتاب
والسنة فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيمة في الدار الآخرة وأيضاً فإن موسى عليه السلام
كان عارفاً بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على أنه سأل الرؤية ولو كانت الرؤية ممتنعة على الله لما سألها
موسى وحيث سألها علمنا أن الرؤية جائزة على الله عز وجل وأيضاً فإن الله تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني أمر جائز الوجود في نفسه وإذا كان كذلك
ثبت أن رؤيته جائزة الوجود لأن استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي إذ جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل
لا يكون محالاً والله تعالى أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن إسحق لما سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الرياح
والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه السلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله أهل
السموات أن يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس
بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب إني كنت عن هذا غنياً ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثل الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران

بما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء فقال له الملائكة
ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه
فهبطوا عليه أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم
كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر لك
عليه ثم أمر ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين
مروا قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من الذين مروا
قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه وقال خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير
ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع
موسى أن يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وبكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم
يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفي
يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد من ضوء الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان
قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه
فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا إن خرجت
احترقت وإن أقمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر
للذي سألت ثم أمر الله أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه
وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت فارتج الجبل لشدة أصواتهم
واندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح فغشيته
وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأقامت الروح مثل اللأمة فلما أفاق موسى
قام يسبح ويقول آمنت بك ربي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيى ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك
أنت رب الأرباب وملك الملوك والإله العظيم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لك لا شريك لك ما أعظمك
وما أجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا** قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل
فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى
للجبل من عظمة الله تعالى إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى إلا مثل قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي
هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد
هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي حديث حسن صحيح لا
نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل
الجبل دكا يعني مستويا بالأرض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار
رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل إنه صار لعظمة الله تعالى ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد
وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء وقوله تعالى **وخر موسى صعقا** قال ابن عباس والحسن
يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والأول أصح لقوله تعالى **فلما أفاق** والميت لا إفاقة له إنما يقال أفاق
من غشيته قال الكلبي صعق يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت
ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب أن ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه

بأرجلهم

بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من غشيته ورجع عقله إليه وعرف أنه سأل
أمرا عظيما لا ينبغي له **قال سبحانك** يعني تنزيها لك من النقائص كلها **تبت إليك** يعني
بعد مسألتي الرؤية بغير إذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمعناه
قال سبحانك تبت إليك يعني من سؤال ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت إليك يعني من هذا السؤال وحسنات
الأبرار سيئات المقربين **وأنا أول المؤمنين** يعني بأنك لا ترى في الدنيا وقيل أنا أول المؤمنين يعني من بني
إسرائيل بقي في الآيات سؤالات الأول الرؤية عين النظر فقال أرني أنظر إليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى
أراك والجواب أن معنى قوله أرني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر إليك وأراك السؤال الثاني كيف قال
لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي حتى تكون مطابقا لقوله أنظر إليك والجواب أن النظر لما كان مقدمة كان المقصود
هذه الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر إلى الجبل
بما قبله والمقصود منه تعظيم أمر الرؤية وأن لا يقوى على رؤية الله تعالى إلا من قواه الله تعالى بمعونته وتأييده ألا
ترى أنه لما ظهر أثر التجلي للجبل اندك وانقطع فهذا هو المراد من هذا لأنه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده
قوله عز وجل **قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي**
يعني قال الله لموسى يا موسى إني اخترتك واتخذتك صفوة الاصطفاء استخلاص الصفوة والاجتباء والمعنى إني فضلتك
واجتبيتك على الناس وفي هذه تسلية لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين طلبها لأن الله تعالى عدد عليه نعمه التي
أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له إذ كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد أعطيتك من النعم العظيمة
كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر سائر أنواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس برسالاتي
وبكلامي من غير واسطة لأن غيره من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك فإن قلت كيف قال اصطفيتك
على الناس برسالاتي مع أن كثيرا من الأنبياء قد أعطي الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره
البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة فاستقام قوله اصطفيتك على الناس وإن شاركه فيه غيره كما
يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وإن كان قد شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب
نظر لأن من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا
الجواب الجواب الثاني ذكره الإمام فخر الدين الرازي فقال إن الله تعالى بين أنه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير
واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت أنه إنما حصل التخصيص هاهنا لأنه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وإنما كان
الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لأن من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان أعلى وأشرف
ممن سمعه بواسطة الحجاب وفيه نظر أيضا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة
وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى ورفعه إلى حيث سمع صريف الأقلام
وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى وغيره من الأنبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي نعتمد
في الجواب عن هذا السؤال أن الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه لم يكن في ذلك
الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزل التوراة فلذلك أنه اصطفاه على ناس زمانه
كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين
قال المفسرون يعني عالمي زمانهم وقوله تعالى **فخذ ما آتيتك** يعني ما فضلتك وكرمتك به **وكن من الشاكرين**
يعني على إنعامي عليك وفي القصة أن موسى عليه السلام كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه
من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته أنا أيم لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها

فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يديها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم
تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر ازواجها قوله تعالى **وكتبنا له في الالواح** قال ابن عباس يريد الواح التورية
والمعنى وكتبنا لموسى في الواح التورية وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنى عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله آدم بيده
وكتب التورية بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير
من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به
الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها
له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح
عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التورية يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا
في عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي عنه انها لوحان واختاره الفراء قالوا وانما جمعت على عادة
العرب اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت التورية وهي وقر سبعين
بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم وعلى نبينا افضل الصلوة والسلام
والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية في التورية بالف آية يعني
قوله وكتبنا له في الالواح **من كل شيء** يعني يحتاج اليه من امر ونهي **موعظة** يعني نهيا عن الجهل وحقيقة الموعظة
التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته **وتفصيلا لكل شيء** يعني وتبيينا لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام
والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التورية لا تشرك
بي شيئا من اهل السماء ولا من اهل الارض فان كل شيء خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية فقال اني اجد امة خير الامم اخرجت للناس يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب
اجعلهم امتي قال هي امة محمد يا موسى فقال اني لاجد امة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون
والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر واذا
هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء
حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة
ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال
رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون [illegible] الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات فلا احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان
ثياب اهل الجنة ويصفون في صلاتهم صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم احد ابدا
الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى
فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الالواح من كل شيء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة
عزيمة ونية صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور **وامر قومك يأخذوا باحسنها**
قال ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى اشد عبادة

من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك يأخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون
في هذا التفصيل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى اشد كانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت
ظاهر قوله يأخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا باحسنها قلت
ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان
يأخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله والذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق
على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى **ساريكم دار الفاسقين** وقال مجاهد
يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم
منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي
يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله عز وجل
ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون
على عبادي ويحاربون اوليائي ساصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق
وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القرآن وقيل معناه ساصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الآيات
والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة واراد بالآيات الآيات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الآية عامة
وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون
الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة غيره
ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون
من الكبر لا من التكبر اي يفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فكذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل **وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد** يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب **لا
يتخذوه سبيلا** يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية **وان يروا سبيل الغي** يعني طريق
الضلال **يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا** يعني ذلك اختاروه لانفسهم من ترك الرشد
واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيده **وكانوا عنها غافلين** يعني عن التفكر
فيها والاتعاظ بها **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب
حبطت اعمالهم يعني بطلت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر والاحسان
فبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث **هل
يجزون الا ما كانوا يعملون** يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى **واتخذ قوم
موسى من بعده** يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه **من حليهم** التي كانوا استعاروها من فرعون
وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون
وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من حليهم فلما ابطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي
وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان
برضاهم فكانهم اجتمعوا عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم **عجلا جسدا** من ذلك الحلي
وهو الذهب والفضة والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما **له خوار** وهو صوت

البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك
الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت
كصوت البقر والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت
رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي **ألم يروا** يعني الذين عبدوا العجل وهو الصحيح
واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا **أنه** يعني العجل الذي عبدوه **لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا** يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا
ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد **اتخذوه وكانوا ظالمين** يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى
الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل **ولما سقط
في ايديهم** يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان
يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل **ورأوا انهم قد ضلوا**
يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا** يعني يتب علينا ويتجاوز عنا
لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه من الذنب
وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا كلام
التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى **ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا** يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه قد فتن
بين قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس
والسدي الاسف اشد الحزن وقال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره
ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام
غضبانا على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله فتنهم وان الله تعالى كان اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك **قال**
يعني موسى **بئسما خلفتموني من بعدي** اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل
من السامري واتباعه او لهرون والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول انه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما
خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني هو ان يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون
المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رأيتم مني الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة ونفي الشركاء عنه
وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله **أعجلتم امر ربكم** معنى العجلة التقدم
بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل
موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة
العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم ولما ذكر الله موسى رجع الى قومه غضبان اسفا ذكر
بعد ما اوجبه الغضب فقال تعالى **والقى الالواح** يعني التي فيها التورية وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة
واصحاب الاخبار كانت التورية سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح وتكسرت رفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها
ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف
موسى ان ما اخبره الله به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التورية من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التورية وهذا
كما قيل ليس الخبر كالمعاينة **واخذ برأس اخيه يجره اليه** وقيل انه اخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع

موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه واقبل على اخيه هرون يلومه ومد يده الى رأسه لشدة موجدته
عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه
من القتل وهو قوله تعالى **قال** يعني هرون **ابن ام ان القوم** يعني الذين عبدوا العجل **استضعفوني** اي استذلوني
وقهروني **وكادوا يقتلونني** اي وقاربوا وهموا ان يقتلونني **فلا تشمت بي الاعداء** اصل الشماتة الفرح ببلية من
تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه **ولا تجعلني
مع القوم الظالمين** يعني الذين عبدوا العجل **قال رب اغفر لي** يعني ان موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هرون
قال رب اغفر لي وما صنعت الى اخي هرون يريد ما اظهر من المواخذة عليه في وقت الغضب **ولاخي** يعني واغفر لاخي هرون
ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبادة العجل **وادخلنا** يعني جميعا **في رحمتك** يعني في سعة رحمتك **وانت ارحم
الراحمين** وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لان من هو ارحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح
طلبته **ان الذين اتخذوا العجل** يعني الها عبدوه من دون الله **سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا**
يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحيوة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية
قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الاية سوال وهو ان اولئك الاقوام الذين
اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب
انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم
على انفسهم بالضلال والخطأ فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما
هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج وان كان له وجه لكن
جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة في الدنيا
الجزية وقال عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب
والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان الاول ان العرب تعير الابناء
بقبائح افعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك ههنا وصف اليهود
الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين
كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الاية من حذف المضاف
لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى **وكذلك نجزي المفترين** يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل هكذا نجزي
كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره وقال ابو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيمة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة
هذا في كل مبتدع الى يوم القيمة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الاية قال والمبتدع مفتر
في دين الله **والذين عملوا السيئات** يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه
ثم تابوا من بعدها يعني ثم رجعوا الى الله من بعد عملهم السيئة يعني وصدقوا بالله وان يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب
ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التائب **من بعدها** يعني من بعد توبتهم **لغفور رحيم** يعني انه تعالى يغفر الذنوب و
يرحم التائبين وفي الاية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله
وبرحمته وتقدير الاية ان من اتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله تعالى واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشائر
للمذنبين التائبين قوله عز وجل **ولما سكت عن موسى الغضب** يعني سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشيء ولما كان السكون

بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما في نفس الغضبان كان بمنزلة الناطق فان
سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت عن موسى الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت
القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير **اخذ الالواح** يعني التي
القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تكسر ولم يرفع من التورية شيء **وفي نسختها** النسخ عبارة عن
النقل والتحويل فاذا انتسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد
بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التي اخذها موسى بعد ما انكسرت وقال
ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه فيكون نسختها
وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها **هدى ورحمة**
قال ابن عباس هدى من الضلالة ورحمة من العذاب **للذين هم لربهم يرهبون** يعني الخائفين من ربهم قوله عز وجل
واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره
والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار قال ان موسى
عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن
قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من
الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه
واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية وذلك لما خرج الى طور سينا
اخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل ودخل فيه موسى وقال للقوم
ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما
انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة
في هذه الاية وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موسى موعدا فاختار
موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله
جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل
اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين
رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا
وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج موسى بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه فكان لا ياتيه الا باذن وخرجوا معه للقاء
فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال موسى افعل ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ينظر
اليه فضرب دونه بالحجاب ودنى القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه
افعل ولا تفعل فلما فرغ من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول له لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
وقال ابن عباس كان الله امر موسى عليه السلام ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم
فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم
الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن
ابي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فرجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدتنا
على خلقه ولينه وكان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما

انتهوا

انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول
يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي الاية فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا
من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج
فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم
الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسئلونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى
انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم
يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله تعالى وقوله تعالى **فلما اخذتهم الرجفة** اصل الرجف
الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير او الهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معها
موت ام لا فمعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا
ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم
وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد
ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة **قال** يعني موسى
رب اي يا رب **لو شئت اهلكتهم من قبل** يعني من قبل عبادتهم العجل **واياي** وذلك انه خاف ان
يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم
يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهموني **اتهلكنا بما فعل**
السفهاء منا قال القاضي ظن موسى انهم هلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا يعني عبدة العجل وانما هلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وقولهم ارنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة
من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام
بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا **ان هي الا**
فتنتك قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء
لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم
فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك
وهو المراد من قوله **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** قال الواحدي وهذه الاية من الحجج
الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر **انت ولينا** يعني انت ربنا وناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر
اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا انت **فاغفر لنا** سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه
فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة القدسية فلهذا السبب سال موسى الغفران له ولقومه **وارحمنا**
اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء **وانت خير الغافرين** يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء
الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين
قوله تعالى **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة** يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في
هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي قوله ثواب الاعمال الصالحة وفي الاخرة اي واكتب لنا
في الاخرة مغفرة لذنوبنا **انا هدنا اليك** قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل
الهود الرجوع برفق وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم
لهم **قال** يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام **عذابي اصيب به من اشاء** يعني من خلقي وليس لاحد على

إعتراض لأن الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لأحد عليه اعتراض ورحمتي وسعت كل شيء
يعني أن رحمته وسعت كل شيء وعمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر
في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافرين يرزق ويدفع عنه
ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فإذا كان يوم القيمة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي
وسعت كل شيء تطاول إبليس إليها وقال أنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس فقال تعالى فسأكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون فأيس إبليس منها وقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكوة ونؤمن بآيات
ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الأمة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية وقال نوف البكالي
لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله عز وجل لموسى أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا تصلون [illegible] حيث
أدركتم الصلوة إلا عند مرحاض أو حمام أو قبر وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلوبكم
يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد إلا أن نصلي إلا في الكنائس
ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد أن نقرأها إلا نظرا فقال الله تعالى
فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله أولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الأمة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال
اجعلني منهم قال إنك لن تدركهم قال موسى يا رب أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله ومن قوم موسى
أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى أما التفسير فقوله للذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهاهم عنه لأن جميع التكاليف
محصورة في نوعين الأول التروك وهي الأشياء التي يجب على الإنسان تركها والاحتراز عنها ولا يقربها وإليه الإشارة
بقوله للذين يتقون والثاني الأفعال المأمور بها وتلك الأعمال بدنية أو قلبية أما البدنية فإليه الإشارة بقوله ويؤتون
الزكوة وهذه وإن كانت في حق المال لكن تخص البدن بإخراجها والأعمال القلبية فالإيمان والمعرفة وإليه الإشارة بقوله
والذين هم بآياتنا يؤمنون قوله عز وجل الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية ذكر الإمام فخر الدين في معنى
هذه الآية في معنى التبعية وجهين أحدهما أن المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته في التورية إذ لا
يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث إلى الخلق قال وفي قوله والإنجيل أن المراد وسيجدونه مكتوبا في الإنجيل
لأن من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل الوجه الثاني أن المراد من لحق من بني إسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبين تعالى أن هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة إلا إذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لأن اتباعه قبل أن يبعث
لا يمكن فبين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بني إسرائيل إلا من اتقى وآتى الزكوة وآمن بالآيات في زمن موسى عليه الصلوة
والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه
فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني إسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلافه في ذلك فإنهم قالوا المراد
به جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كان من بني إسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله الذين يتبعون
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بكونه رسولا لأنه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته وأوامره و
نواهيه وشرائعه إليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على أنه رفيع الدرجة عند
الله المخبر عنه ثم وصفه بالأمي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج
في معنى الأمي هو الذي على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال أهل التحقيق وكونه
صلى الله عليه وسلم كان أميا فهو من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم
الذي أعجز الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير
فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل إنه لو كان يحسن الكتابة ثم إنه أتى بهذا القرآن العظيم

لكان متهما فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن الكتاب العظيم الذي فيه علم الأولين
والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الكتابة تعين الإنسان على الاشتغال
بالعلوم وتحصيلها ثم إنه أتى بهذه الشريعة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب
ولا اشتغال على أحد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي معنى الأمي قيل الذي هو منسوب إلى أمه لم يخرج
بعد عن ما ولدته وقيل سمي أميا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة وقوله تعالى الذين يجدونه مكتوبا عندهم في
التورية والإنجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبا عندهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه
وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقدوا الرياسة ووقعوا
في الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي فقلت له أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في التورية فقال إنه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا
عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب ألفاظه الفظ السيء الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب بالسين
والصاد وهو الكثير الصياح في الأسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الأغلف
الذي لا يصل إليه شيء ينفعه شبهه بالأغلف كأنه في غلاف وروى البغوي بسنده عن كعب الأحبار قال إني أجد في التورية
مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون
يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم صفهم في الصلوة وصفهم
في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة
وملكه بالشام وقوله يأمرهم بالمعروف يعني بالإيمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك
وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف
بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التورية
من الطيبات وهو لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم أهل الجاهلية من البحاير
والسوائب والوصايل والحامي وقيل هي المستلذات التي تشتهيها الأنفس ويحرم عليهم الخبائث
قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فإن الأصل في
المضار الحرمة إلا ما له دليل منفصل بالحل ويضع عنهم إصرهم يعني ثقلهم وأصل الإصر الثقل الذي
يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التورية
من الأحكام وكانت تلك شديدة والأغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الأثقال والشدائد التي كانت
عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب
بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس
وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل شبهت بالأغلال مجازا لأن التحريم يمنع
من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق كما أن اليد لا تمتد مع وجود
الغل فكذلك لا تمتد إلى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الأثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله
عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين
آمنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير

النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله تعالى ونصروه يعني على اعدائه واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القرآن
سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم اولئك هم المفلحون
يعني الناجون الفائزون بالهداية قوله عز وجل قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق
لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا
يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي
كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة
وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت
الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وقيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا
تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني الذي له ملك
السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني بان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا
لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احياء خلقه
واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه فآمنوا بالله ورسوله لما امر الله رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان
بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا ابدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله
ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي وتقدم معناهما الذي يؤمن بالله وكلماته قال قتادة يعني آياته
وهي القرآن وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع
كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة
في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما امره به المتبوع على طريقة الامر والنهي
والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون يعني لكي ترشدوا وتصيبوا الحق
والصواب في متابعتكم اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرائيل امة اي جماعة يهدون بالحق
يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني بالحق يحكمون وبالعدل يأخذون
ويعطون وينصفون واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم
آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضي
الكثرة واجيب عنه بانهم كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتا وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال
السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط

منهم

منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى
خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب
سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم خلف الصين باقصى الشرق على
نهر يجري الرمل يسمى نهر اردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم
احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل عليه السلام ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم
جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم
احمد فليقرأ مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام واقرأهم عشر سور من القرآن
نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت
وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول ان قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن ذا الذي اوصل خبرهم
الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه
احد من ائمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله
عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السماء السادسة وايضا قولهم اقرأهم عشر
سور وقد نزلت عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكوة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضها فاذا ثبت بما
ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الآية اما انها ان تكون نزلت في قوم متمسكين بدين موسى قبل التبديل
والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله
بن سلام واصحابه والله اعلم بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا
يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما يعني جماعات وقبائل
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
يعني انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل
اناس مشربهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس
وانزلنا عليهم المن هو الترنجبيل والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف ترك ذكره لاستغناء عنه
ودلالة الكلام عليه تقديره وكلوا من طيبات ما رزقناكم فاجمعوا ذلك وسئموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوه
غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا وما ادخلوا علينا
في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسالتهم ما سالوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط الكلام
على تفسير هذه الآية في سورة البقرة واذ قيل لهم اي اذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا هذه القرية
يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه
وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة
فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما
كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤوا وانما قال في سورة البقرة رغدا
ولم يقله هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رغدا هناك
بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال في سورة البقرة عكس اللفظ ولا منافاة
في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخشوع والخضوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم

خطاياكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نؤاخذكم بها وإنما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لأن المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا أتوا بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد المحسنين بالواو ومعناه أنه قد وعد المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب وإسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لأنه استئناف مقدر على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بني إسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وأمروا به وذلك أنهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء يعني بعثنا عليهم عذابا من السماء أهلكهم ولا منافاة بين قوله في سورة البقرة أنزلنا لأنهما لا يكونان إلا من أعلى إلى أسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الإنزال لا يشعر بالكثرة والإرسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون يعني أن إرسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله تعالى وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا في سورة البقرة قوله عز وجل واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استعلام لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل وإخباره إياه حالهم وإنما المقصود من هذا السؤال تقريرا عند اليهود وإقدامهم على الكفر والمعاصي وأن إصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وإنكار نبوته ومعجزاته ليس بشيء قد حدث منهم في زمانه بل إصرارهم على الكفر كان حاصلا لأسلافهم في قديم الزمان وفي الإخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان أميا لم يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبرهم بما جرى لأسلافهم في قديم الزمان وأنه بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية قال ابن عباس هي قرية يقال لها أيلة بين مصر والمدينة والطور وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعينونا يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه إذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ويوم لا يسبتون لا تأتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني بمثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن أعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني أن ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمروا به قال أهل التفسير إن اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون إليها في البحر فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تظهر إلى السبت المقبل بلاء ابتلاهم فوسوس إليهم الشيطان وقال إن الله لم ينهكم عن الاصطياد وإنما نهاكم عن الأكل فاصطادوا وقيل إنه وسوس إليهم أنكم إنما نهيتم عن الأخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر فتأتي إليها الحيتان يوم السبت فإذا كان يوم الأحد أخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم إنهم تجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت إلا قد حل لنا فاصطادوا وأكلوا وباعوا وصار أهل القرية أثلاثا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وباعوا وأكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار وللناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام وكانوا في زمنه فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن لهم لشأنا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فإذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا إليهم فصار

هنا ارسلنا وبين قوله

يعني ايلة هم

يسمى المدينة وقرية

فعلوا لهم

القردة

القردة يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي أنسابها من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم أهلوهم ألم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين إن أهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم يعني أنهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم معذرة إلى ربكم يعني أن موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله ولعلهم يتقون أي وجائز عندنا أن ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم إن أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك أن الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل أن ينزل بكم عذابا شديدا إن لم تنتهوا عما أنتم فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم أن الله مهلكنا أو ينزل بنا عذابه والقول الأول أصح لأنهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة إلى ربكم خطابا من الناهية للمعتدين وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما تركوا ما وعظوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية وأخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية بعذاب بئيس أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني إنا أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله عز وجل يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبه قولي ورضي به وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وأهلكت الفرقتان وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس أبوا أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن المشيخة صاروا خنازير وقيل إنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس إليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى وإذ تأذن ربك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن آذن والإيذان الإعلام يعني أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تألى ربك بمعنى أقسم ربك لأن اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لأن قوله وإذ تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير عليهم إلى من يرجع فقيل يقتضي أن يكون راجعا إلى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم أن الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فألحق الذل بهم وقيل بأن المراد سائر اليهود من نسلهم لأن الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو بختنصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود

الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم
منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم القيمة واورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال
لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان تلك العزة الذي يحصل لهم في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الالهية الدجال
فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون جميعا وقتلوهم فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وهذا نص في ان العذاب انما يحصل لهم في الدنيا
مستمرا عليهم الى يوم القيمة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة كان عذابهم
اشد واعظم وهو قوله تعالى **ان ربك لسريع العقاب** يعني لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا
عذاب الاخرة فيكون عذابا مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى **وانه لغفور رحيم** يعني
لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل **وقطعناهم في الارض امما** يعني
وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة متغايرة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل الارض يدخلها
قوم من اليهود **منهم الصالحون** يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله
وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري
ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه
وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هؤلاء
الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل وقوله تعالى **ومنهم دون ذلك** يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا
وغيروا **وبلوناهم** يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبار وامتحان **بالحسنات** يعني الخصب والعافية
والسيئات يعني الجدب والشدة **لعلهم يرجعون** يعني لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني كل
واحد من الحسنات والسيئات اذا اقترنا بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعم فيزداد عليها شكرا
فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى **فخلف من بعدهم** يعني من بعد هؤلاء
الذين وصفناهم **خلف** يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل من بعدهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح
اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح
قال حسان بن ثابت لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع
وهو يريد المدح وقال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب فسكن وهو يريد
الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ومنه يقال خلف فم الصائم اذا تغيرت رائحته ومنه
خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن كان قبله **ورثوا
الكتاب** يعني انتقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التورية **ياخذون عرض هذا الادنى**
العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما قال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع
المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك ان ما ياخذونه
من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة وانما كانت صفة اليهود ورثوا
التورية وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوا الحق في الاحكام وعلموا انه حرام ثم انهم مع اقدامهم
على هذا الذنب العظيم واصرارهم عليه **ويقولون سيغفر لنا** يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة
الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان
يحاسب يوم القيمة ...
لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب

وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال عليه
السلام دان نفسه صح

يقولون

ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا
واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على المغفرة وان وجدوا
من الغد مثله اخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي
فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه آخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا
يقول الله عز وجل وان ياتهم عرض مثله ياخذوه **الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب** يعني الم يؤخذ على هؤلاء
المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التورية **ان لا يقولوا على الله الا الحق** يعني انا اخذنا
عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ
والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون
فيها ولا يتوبون منها **ودرسوا ما فيه** يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق
في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به **والدار الاخرة** يعني وما في الدار الاخرة
مما اعد الله لاوليائه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله تعالى به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في
الاحكام **خير للذين يتقون** يعني يتقون الله ويخافون عقابه **افلا يعقلون** يعني افلا يعقل هؤلاء الذين
يرضون بعرض الدنيا انما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين **والذين يمسكون بالكتاب** يقال مسكت الشيء
وتمسكت به وامتسكت والمراد بالتمسك بالكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرفوه
ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن **واقاموا الصلوة** يعني وداوموا على
اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت الصلوة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظيم قدرها
وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله **انا لا نضيع اجر المصلحين** قوله عز وجل **واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة** يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم
كالظلة والظلة كلما علا على الانسان كالسقف ونحوه **وظنوا** يعني وعلموا وايقنوا **انه واقع بهم** يعني
الجبل **خذوا** يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب **ما آتيناكم** يعني التورية **بقوة**
يعني بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** يعني واعملوا بما فيه من الاحكام **لعلكم تتقون** قال اصحاب
الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام التورية لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا
عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه
الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى
قوله تعالى **واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى**
الاية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
الاية قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج
منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج من ظهره ذرية فقال خلقت
هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا
خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله
بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك في موطائه وابو داود والترمذي
وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت
ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه

واستمسكت به صح
العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم
حرامه واقامة حدوده والتمسك
باحكامه نزلت هذه الاية في الذين
اسلموا من اهل الكتاب صح

وسلم نحوه عن ابي هريرة قال قال رسول الله عليه الصلوة والسلام لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال اي رب من هؤلاء قال هؤلاء
ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال يا رب كم جعلت عمره قال ستين
سنة قال رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الا اربعين جاءه ملك الموت
فقال آدم اولم يبق من عمري اربعين سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فاكل من الشجرة
فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ
ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم يعني من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله
اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الاولاد فلذلك
قال تعالى من بني آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم واخرجوا
من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم للعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر
وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري
باسانيد فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني
عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى
شهدنا ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى
يوم القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول
ما اهبط الله آدم الى الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيمة
ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين زاد في رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وفي رواية عنه لما خلق الله آدم اخذ ميثاقه انه ربه
وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم واجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال
ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا
وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر
فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك الميثاق فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الاخر مات
على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا
من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال لهم الست بربكم قالوا بلى
ثم اعادهم في صلبه فليس احد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيمة لا تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه
وقال السدي واخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضاء
فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك
حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة
كارهين على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب
القرظي اقرت له بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منها ذرية
بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء
ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء

للنار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي
ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم
ممن اشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا
شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم
فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم
بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال الزجاج
وجائز ان يكون الله تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه
الاية ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب اولاده وهم الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم
مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى
خوطبوا بقوله تعالى يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حين سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة
حين سمعت لامره وانقادت ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال للذرية الست بربكم فهو ايجاب
للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم واقرار منهم له بالربوبية واعتراف على
انفسهم بالعبودية وفي قوله **شهدنا** قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة اشهدوا
قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا
كلام مستانف والقول الثاني ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا
يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى **ان تقولوا** قرئ بالتاء على خطاب الذرية معناه لئلا تقولوا
ايها الذرية **يوم القيمة انا كنا عن هذا** يعني الميثاق **غافلين** وقرئ ان يقولوا بالياء على الغيبة
ومعناه لئلا يقولوا الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر
انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء وهم اولاد بني آدم فاخرج الذرية الى الدنيا على
ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل
وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته
وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى
التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة
مشهورة في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك
من بني آدم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب
والعقاب يوم القيمة فان **قلت** فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية **قلت** المذهب الاول
هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان **قلت**
اذا كان المختار من تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق
عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير هذه الاية على هذا القول **قلت** قد صح الحديث بان الله مسح ظهر
آدم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ الاية من ان الله
اخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو اصلهم
فبهذا الطريق امكن الجمع بين الحديث والاية اذ ليس في معنى الفاظ الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث

بثبوت ذلك وصحته وجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم انه قال ليس
بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى
اذا اخرجهم من ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفائدة
بهذا الفصل بانه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم
الحجة بالايات والدلائل التي نصبها والرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق
عليهم في القدم انه من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين
يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السودا
وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن
ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسوله فيما جاء به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار
انا كنا عن هذا الميثاق والايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا يقول الخلف فهم انما اشرك اباؤنا ونحن نسير على آثارهم
ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم وكيف
يذكرونه يوم القيمة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق
فلما اعيدوا الى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين ذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتداهم
بالخطاب على السنة الرسل واصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه
لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم بذلك
قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيمة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد
ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات
وقوله تعالى **او يقولوا** يعني الذرية **انما اشرك اباؤنا من قبل** يعني انما اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون
اباؤنا من قبل **وكنا ذرية من بعدهم** يعني وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك **افتهلكنا** يعني افتعذبنا
بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيمة انما
اشرك اباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة
عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم
به وثبت عليهم الحجة بذلك يوم القيمة واما الذين حملوا الاية على ان المراد منه نصب الدلائل وهو مذهب اهل النظر
قالوا معناه ان الله نصب في موضعها هذه الدلائل واظهرها للعقول لئلا يقولوا انما اشرك اباؤنا على سبيل التقليد
لابائنا لان نصب ادلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الاباء في الشرك وقوله تعالى
وكذلك نفصل الايات يعني لكي يتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الكفر والباطل وهو المراد
من قوله **ولعلهم يرجعون** يعني عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه
ويعملون بموجبه ومقتضاه وقوله عز وجل **واتل عليهم** يعني واقرا على قومك يا محمد **نبا** يعني خبر
الذي آتيناه آياتنا اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعورا وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود
هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين
وقال مقاتل هو من مدينة البلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدي وغيرهم من اصحاب
الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعام
وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا ويقتلنا ويحلها

بني اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون
فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال
حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى يوامر ربه في المنام فاتى في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد وامرت
ربي فنهاني ان ادعو عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يجئ اليه شيء فقال قد وامرت
فلم يجئ شيء فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فركب
اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل
عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها فاذن الله عز وجل في الكلام فانطقها
له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اين تذهب الا ترى الملائكة امامي يردونني عن وجهي هذا ويحك
اتذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت على جبل حسبان
ومعه قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشيء الا صرف الله لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله لسانه
الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال فهذا ما لا املكه هذا شيء قد غلب الله
عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسامكر لكم
واحتال لكم قال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل ليبعنها فيهم ومروهن
ان لا تمنع امراة نفسها من رجل راودها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء
العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم
وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى
عليه السلام وقال اني لاظنك تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله لا نطيعك
في هذا ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار
بن هرون وكان صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري
بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل
عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة
بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل
بمن عصاك ودفع الطاعون عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة
الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لولد فنحاص
من كل ذبيحة يذبحونها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها
بلحيته ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي آتيناه
آياتنا الاية وقال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو عليه
فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان
ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك
فقال لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه
من بني اسرائيل في التيه بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ان تنزع عنه الاسم الاعظم والايمان
فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله تعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها
فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم

والإيمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لأنها من الإسرائيليات ولا يلتفت إلى ما سطره أهل الأخبار إذا خالف الأصول الوجه الثاني أن سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل أو قولهم لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وأن موسى عليه السلام دعى على بلعام أن موسى عليه السلام لم يدع عليه إلا بعد أن ثبت عنده أن بلعام كفر وارتد عن الإيمان بدعائه على موسى وإيثاره الحيوة الدنيا فدعا عليه والله أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما نقله أصحاب الأخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية بن الصلت صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة أخيها فقالت بينا هو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت فنزلا فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكى قال أبى قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال ۰ كل عيش وإن تطاول دهرا ۰ صائر مرة إلى أن يزولا ۰ ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ۰ في قلال الجبال أرعى الوعولا ۰ إن يوم الحساب يوم عظيم ۰ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ۰ ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشديني من شعر أخيك فأنشدت بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية وفي رواية عن ابن عباس أنها نزلت في البسوس وهو رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين فقالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا لها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها إلى أبيهم وقالوا ليس لنا هذا الأمر قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله أن يردها إلى حالها الأول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الأولان أشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتيناه آياتنا قال ابن عباس كان يعلم الاسم الأعظم وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أوتي كتابا وقيل إن الله تعالى آتاه حججه وأدلته وهي الآيات التي أوتيها **فانسلخ منها** يعني فخرج منها من الآيات التي كان الله آتاه إياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم **فأتبعه الشيطان** يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا في معصية الله ومخالفا أمر ربه ومطيع الشيطان وهواه وقوله تعالى **فكان من الغاوين** يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شئنا لرفعناه بها** يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات الذي أوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطا معناه ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات **ولكنه أخلد إلى الأرض** يعني ولكنه سكن إلى الدنيا ومال إليها ورضيها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن الأرض عبارة عن المفاوز وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا كلها هي الأرض **واتبع هواه** يعني أنه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات

على العلماء

على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الأعظم وجعل دعاءه مستجابا ثم إنه لما اتبع هواه وركن إلى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة فنزع عنه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى إلا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** يقال لهث الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الإعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وآثر دنياه وترك آخرته بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهي اللهث لأن الكلب في حال اللهثة لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها في الآخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال إن حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهي مداومته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم إنه مال إليها وطلبها كانت حالته كحالة الكلب اللاهث وقيل إن العالم إذا توصل به إلى طلب الدنيا فإنه يظهر علومه عند غير أهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك المسائل وبيانها وذلك لأجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش إلى الفوز بمطلوبه فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي أدلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي إن شددت عليه وأهجته لهث أو تركته على حاله لهث لأن اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضا لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** يعني أن المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها ووجه التمثيل بينهم وبين الكلب اللاهث أنهم إن جاءتهم الرسل ليهدوهم فلم يهتدوا وإن تركوا فلم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص القصص** وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أخبار من كفر بآيات الله **لعلهم يتفكرون** يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله وإلى طاعته وهم يعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا** يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا **وأنفسهم كانوا يظلمون** يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز وجل **من يهد الله فهو المهتدي** يعني من يرشده إلى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتولى الله هدايته وإرشاده فهو المهتدي **ومن يضلل** يعني ومن يتولى إضلاله **فأولئك هم الخاسرون** يعني في الآخرة وفي الآية دليل على أن الله تعالى هو الهادي المضل **ولقد ذرأنا** يعني خلقنا **لجهنم كثيرا من الجن والإنس** أخبر الله تعالى أنه خلق كثيرا من الجن والإنس وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين أن من مات من أطفال المسلمين

فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عايشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله
عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص في قوله اراه
مومنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما
علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف طايفة فيه
والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله
عليه وسلم حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يا رسول الله واولاد المشركين
فقال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه
على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الاية دليل وحجة واضحة
لمذهب اهل السنة في ان الله خالق اعمال العباد جميعا خيرها وشرها لان الله بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن
والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار
به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم
جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها واصل
الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل
فهو فقيه اذا فهم ومعنى الاية لهم قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى
لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون بها طريق الحق
ولا ينظرون بها الى ايات الله وادلة توحيده **ولهم اذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون ايات القران
ومواعظه فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم
اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون
ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم
في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل
ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر ۞ وعوراء الكلام صممت عنها ۞ واني ان اشاء
بها سميع ۞ فانه اثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من امر الاخرة ولهم اعين لا يبصرون
بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام** يعني ان الذين
ذراهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية انهم كالانعام وهم البهايم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك ان الانسان
وساير الحيوانات متشاركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير الحيوانات
بالعقل والادراك والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه
فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا ثم قال تعالى **بل هم اضل** يعني بل ان الكفار اضل من الانعام
لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة
العقلية والانسان قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة لله
عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام افضل ثم قال تعالى **اولئك هم الغافلون** يعني عن ضرب
هذه الامثال لهم قوله تعالى **ولله الاسماء الحسنى** قال مقاتل ان رجلا دعى الله في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض
مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله الاية
ولله الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن

والمعنى

والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها
ولا معنى للحسن في حق الله تعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره
الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من احصيها
دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر وفي رواية اخرى تسعة وتسعين اسما ماية الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة
وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة ، هو الله الذي لا اله الا هو ، الرحمن ، الرحيم ،
الملك ، القدوس ، السلام ، المومن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ،
البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ،
الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ،
اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ،
المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ،
المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ،
المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ،
الواحد ، الاحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم المؤخر ، الاول ، الاخر ،
الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعال ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤف ،
مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ،
النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور ،
قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل
الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات
ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قوله ولله
الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة
وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه
سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة وتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة
والتسعين اسما من احصيها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث
الاخر اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر ابن العربي المالكي
عن بعضهم ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصيها دخل الجنة تقدم فيه
قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد
من الاحصاء العدد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه
وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معناه احصيها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها
معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بباله عند ذكر
كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له
ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتوقيفه دليل على اشهر اسمايه سبحانه وتعالى الله الاضافة الاسماء

إليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الأعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على
هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين دلت الآية على
ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله
الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال
على الشيء المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير
الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني
ادعوا الله باسمائه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية
ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا
يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي
معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم
والتبجيل والتقديس لله تعالى ويعزم المسألة مع رجاء الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه
بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له اثر عظيما وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في
اسمائه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل
عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه يقال الحد في الدين ولحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع في
اسماء الله تعالى على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا اصنامهم
بالآلهة واشتقوا لها اسماء الله عز وجل فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى
من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في
اسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله تعالى كلها توقيفية كما
تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعوا الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم
الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا
يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى
به لما فيه من الغرابة وقوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الآخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد
في اسماء الله عز وجل وممن خلقنا امة يعني جماعة وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون
قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان وقال قتادة
بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك وفي الآية
دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق ويعمل به ويهدي اليه والذين كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين
بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لصيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه
منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الازهري سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا
يحتسبون وذلك ان الله يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم يأخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون
وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا الجرم او

اقدموا

او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك تماديا في الغي والضلال ويتدرجون
في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله اخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا
نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم ننسيهم الشكر وروي ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك
تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يتدرج الشيء الى الشيء في خفية قليلا و
منه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء وأملي لهم يعني و
امهلهم واطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة
ان كيدي متين يعني ان اخذي شديد والمتين من كل شيء هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري
شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهم ثم قتلهم في
ليلة واحدة وفي الآية دليل على مسألة القضاء والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة
يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا
يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون
بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الفكر في عاقبة الامر والمعنى اولم يتفكروا
فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظة من في قوله من
جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو بريء منه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم
خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله
عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله تعالى
من الجنون وقال تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بالوحدانية
فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك
السموات والارض بل كل شيء خلقه الله وبرأه فيه دليل على وحدانية الله تعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر
وفي كل شيء له آية . تدل على انه واحد وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجلهم
يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل
المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المؤدي الى الفوز بالنعيم المقيم فبأي حديث بعده يعني بعد القرآن
يؤمنون يعني يصدقون والمعنى فبأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد
محمد صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له يعني ان اعراض هؤلاء عن
الايمان لاضلال الله اياهم ولو هداهم لآمنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونتركهم في ضلالتهم
وتماديهم في الكفر يترددون [illegible] قوله عز وجل يسألونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة
قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله هذه الآية وقال
ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وسمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة
ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسألونك عن الساعة يا محمد يعني القيامة سميت ساعة لانها

تقوم في ساعة غفلة وبغتة او لان حساب الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة اي ان سؤال الاستفهام عن الوقت الذي تقوم
فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها قال والساعة الوقت الذي يموت فيه
الخلايق واصل الارسا الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت **قل** اي يا محمد قل **انما علمها عند ربي** اي لا
يعلم الوقت الذي تقوم فيه الساعة الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا ومنه حديث الايمان وسؤال
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السايل قال المحققون
وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون
ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية
لا يجليها لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي ولا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية
اظهار الشيء بعد خفايه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره **ثقلت في السموات والارض**
يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت و
عظمت على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب **لا تاتيكم
الا بغتة** يعني فجاة على حين غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة
وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا
يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها
اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه
ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله
تعالى **يسئلونك كانك حفي عنها** يعني يسئلك قومك عن الساعة كانك حفي بهم بمعنى بار بهم شفيق عليهم
فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كانك بينك وبينهم مودة و
كانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سؤال قوم كانهم يرون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها فلا يطلع عليه ملكا ولا رسولا
وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى
علمتها **قل** يعني يا محمد **انما علمها عند الله** يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان
قلت قوله يسئلونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار
لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن احوالها في ثقلها وشدايدها فلم يلزم
التكرار فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب الثاني في السؤال علمها
عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا
عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا في احوالها
وشدايدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله لانه اعظم الاسماء **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استاثر بعلم ذلك حتى لا يسالوا عنه وقيل وان اكثر الناس لا يعلمون السبب
الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله عز وجل **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا** قال ابن عباس
ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه وعند الغلاء وبالارض التي
تريد ان تجدب فترتحل منها الى ما قد اخصبت فانزل الله قل لا املك لنفسي اي قل يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا
اي اجتلاب نفع بان اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا انزل بها بان ارتحل الى الارض المخصبة

واترك الجدبة **الا ما شاء الله** يعني املكه واقدر عليه **ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير** يعني
لو كنت اعلم الخصب والجدب لاستكثرت من المال **وما مسني السوء** يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه
لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وقيل
ان اهل مكة لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة انزل الله الاية الاولى وهذه الاية ومعناه اني لا ادعي
علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طلبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب
فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته
صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل ان يكون قال
صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل
ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على شيء من المغيبات فاخبر عنها
ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السوء يعني الجنون وذلك انهم نسبوه
الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير واحترزت عن الشر حتى اصير بحيث لا يمسني السوء
وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بقيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت
متى تقوم الساعة **ان انا الا نذير** يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه اذا لم تؤمنوا
وبشير يعني وابشركم به **لقوم يؤمنون** يعني يصدقون قوله عز وجل **هو الذي خلقكم من نفس واحدة**
يعني ادم عليه السلام **وجعل منها زوجها** يعني وخلق منها زوجها حوى وقد تقدم خلق حوى من ضلع
ادم في اول سورة النساء **ليسكن اليها** يعني ليانس بها وياوي اليها **فلما تغشيها** يعني واقعها وجامعها
كنى به عن الجماع احسن كناية لان الجماع اتيان الرجل المراة وقد غشيها وتغشيها اذا علاها وتجللها **حملت
حملا خفيفا** يعني النطفة والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها **فمرت به** يعني انها استمرت
بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها **فلما اثقلت** اي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة
ولادتها **دعوا الله ربهما** يعني ان ادم وحوى دعوا الله ربهما **لئن اتيتنا صالحا** يعني لئن اعطيتنا بشرا
سويا مثلنا **لنكونن من الشاكرين** يعني على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوى الى الارض القيت
الشهوة في نفس ادم فاصاب حوى فحملت من ساعتها فلما كبر الحمل وثقل الولد اتاها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك
قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا اترين في الارض الا بهيمة او نحوها قالت اني اخاف بعض
ذلك وقال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حوى من ذلك فذكرته لادم فلم
يزالا في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل
عليك خروجه تسميه عبد الحرث اسم ابليس في الملايكة الحرث فذكرت ذلك حوى لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد
علمت فعاودها ابليس فلم يزل بها حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحرث وقال ابن عباس كانت تلد حوى لادم فتسميه عبد الله
وعبيد الله وعبيد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت
فسمياه عبد الحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوى طاف بها ابليس
وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك وحي
الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له

اول ولد اتاه ابليس فقال اسانصح لك في شان ولدك هذا سمّه عبد الحرث وكان اسمه في السماء الحرث فقال اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال لا اطعني والّا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله عز وجل **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما** قال ابن عباس اشركه في طاعة في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال عكرمة ما اشرك آدم ولا حوى وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعني ابليس عبّر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء وانه لم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحرث ربّهما لان آدم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سببا [illegible] نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر وانّي لعبد الضيف ما دام ثاويا اخبر عن نفسه انه لعبد الضيف ما قام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بحقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربّه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن آدم بقوله جعلا له شركا فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله **فتعالى الله عما يشركون** نزّه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد آدم وحوى لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ما سبق في معنى الآية فمستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية وكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحرث وفي معنى الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركا فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعيّر به اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهوّدوهم ونصّروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سمّوا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله **ايشركون** قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة **ما لا يخلق شيئا** يعني ابليس والاصنام **وهم يخلقون** اي وهم مخلوقون فان **قلت** كيف وحّد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون **قلت** ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان **قلت** كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس **قلت** لما اعتقد عابدو الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى **ولا يستطيعون لهم نصرا** يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذي تجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى

ولا انفسهم ينصرون يعني لا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** يعني وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى **لا يتبعوكم** لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية **سواء عليكم ادعوتموهم** يعني الى الدين والهدى يعني الهداية **ام انتم صامتون** اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله تعالى لما بيّن في الآية المتقدمة عجز الاصنام بيّن في هذه الآية انه لا علم لها بشيء البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوّى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال فقوله عز وجل **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم** يعني ان الاصنام التي يعبدها هؤلاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة لله مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وفيه سؤال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا لذلك قال **فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين** في كونها آلهة وجواب آخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى اقصى ما في هذه الاصنام التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد لله امثالكم لا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم آلهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى **الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها** يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها في جميع اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى **قل ادعوا شركاءكم** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها **ثم كيدون** يعني انتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما رغبوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فلا تنظرون** اي لا تمهلون واعجلوا في كيدكم انتم وشركاؤكم ثم كيدون **ان وليي الله** يعني ان الذي يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله **الذي نزل الكتاب** يعني القرآن والمعنى كما ايدني بانزال كذلك يتولى حفظي وينصرني **وهو يتولى الصالحين** يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء لو كادهم بشيء قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا امدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا

يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم
ينصرون هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقريع والتخويف
والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه
الأصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون
إليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين
إلى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لأن آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون إليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر
قلوبهم وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية أيضا واردة في صفات الأصنام لأنها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر
قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص
عليهم فيستقصوا عليك فتتولد العداوة والبغضاء وقال مجاهد خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسيس
وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الأشياء والعفو المساهلة في كل شيء خ عن عبد الله بن الزبير قال
ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف إلا في أخلاق الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ
العفو من أخلاق الناس كذا في جامع الأصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
أن يأخذ العفو من أموال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من أموالهم فما أتوك به من شيء فخذه
وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه وقال السدي خذ العفو أي الفضل
من المال نسختها آية الزكوة وقال الضحاك خذ ما عفى من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة وأمر
بالعرف يعني وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكل ما يعرف بالشرع وقال عطا بقول
لا إله إلا الله وأعرض عن الجاهلين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل
أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالإعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية
وآخرها منسوخ وأوسطها محكم يريد بشيء أولها أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكوة والأمر بالمعروف
محكم والإعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل ما هذا قال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق قد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس
في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا
في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني بالحق لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال قوله عز وجل
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزلت قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فأنزل الله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
إنه هو سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الإزعاج وأكثر ما يكون
عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر والإفساد يقال نزغت بين القوم إذا أفسدت بينهم وقال الزجاج
النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى وإما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان
وسوسة أو نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجأ إليه في دفعه عنك إنه سميع يعني لدعائك
عليم بحالك وقيل إن الشيطان يجد مجالا في حمل الإنسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فأمر الله بالالتجاء
إليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض فصل واحتج الطاعنون في عصمة

الأنبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج إلى الاستعاذة و
الجواب عنه من وجوه الأول أن معنى الكلام وإن حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وإنه لم يحصل ذلك له
البتة فهو كقوله لئن أشركت وهو بريء من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير أنه لو حصل وسوسة من الشيطان
لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي
إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير قال الشيخ محيي الدين النووي يروى فأسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع
قال معناه فأسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه إن القرين أسلم من الإسلام يعني صار مؤمنا لا يأمرني إلا بخير قال
الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار بقوله فلا يأمرني إلا بخير قال القاضي
عياض واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه
وفي الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه أعلمنا أنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان
والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وإما ينزغنك أيها الإنسان
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قوله عز وجل إن الذين اتقوا إذا مسهم
طائف وقرئ طيف من الشيطان وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالإنسان وقيل بينهما فرق فالطائف
ما يطوف حول الإنسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس
وقال الأزهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لأن الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة
طيفا لأنه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فقد ذكر في الآية الأولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية
لأن حالة الشيطان مع الأنبياء أضعف من حاله مع غيرهم تذكروا يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان
وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه
فإذا هم مبصرون يعني أنهم يبصرون مواقع الخطايا لتذكروا التفكر وقال السدي إذا زلوا تابوا وقال مقاتل إذا أصابه
نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنه معصية وأبصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل وإخوانهم يعني وإخوان
الشياطين من المشركين يمدونهم أي يمدهم الشياطين في الغي قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين
يمدونهم أي يطيلون لهم في الإغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم من الضلالة ثم لا يقصرون يعني
لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان
تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي وقال ابن عباس
الإنس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على
فعل الإنس والشياطين جميعا قوله عز وجل وإذا لم تأتهم بآية يعني وإذا لم تأت المشركين يا محمد بآية معجزة
باهرة قالوا يعني المشركين لولا اجتبيتها يعني افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت
الكلام إذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تعنتا
فإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثتها وأنشأتها من عندك قل أي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين الذين سألوا الآيات إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي يعني القرآن الذي أنزل علي وليس
لي أن أقترح الآيات والمعجزات هذا بصائر من ربكم يعني هذا القرآن فيه حجج وبرهان وأصل البصائر الإبصار
وهو ظهور الشيء حتى يبصره الإنسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
أطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب وهدى يعني وهو هدى ورحمة يعني وهو رحمة

من الله لقوم يؤمنون وهنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات
العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال
والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم اصحاب حق اليقين فالقرآن في
حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين
رحمة قوله عز وجل وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لما ذكر الله تعالى عظم شأن القرآن بقوله
هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة اتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال تعالى وإذا قرئ عليكم القرآن ايها المؤمنون
فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراءته والانصات
السكوت للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن
والانصات له اذا قرئ لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت
واجبين وللعلماء في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجري هذه الاية على العموم ففي اي وقت
واي موضع قرئ القرآن فيجب على كل واحد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلوة
روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلوة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع للقرآن وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا
على بعض في الصلوة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث
انها نزلت في الجهر بالقراءة خلف الامام وروي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا وإذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا كما امر الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول
الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام
يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول اختاره جماعة
وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه
في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة او اسر يروى ذلك
عن عمر وعثمن وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرأ فيما اسر الامام
فيه القراءة ولا يقرأ اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك
وابن المبارك واسحق وذهب قوم اليه انه لا يقرأ سواء اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الرأي
حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع
وحملنا مدلول السنة على صلوة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام
ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام يتتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر
بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه
القراءة فلما انصرفوا قال اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه
لا صلوة لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلوة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يقرأ فيها
بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث
وقوله تعالى لعلكم ترحمون يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره وانصته قوله عز وجل واذكر

ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه علم لساير المكلفين قال ابن عباس
يعني بالذكر القراءة في الصلوة يريد تقرأ سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر
بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة
المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب
واستشعاره عظمة المذكور تعالى تضرعا يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره
وخيفة ودون الجهر من القول يعني وخوفا والمعنى يتضرع اليه ويخاف من عذابه وقال مجاهد وابن جريج امر ان
يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله واذكر ربك في نفسك
فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان
فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام
الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجا قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته
فاذا قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاؤه على خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي وقوله تعالى
بالغدو جمع غدوة والآصال جمع اصيل وهو ما بين صلوة العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل
حالة الانتباه من النوم الذي هو اخو الموت وهو وقت الحيوة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل
واما وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر
لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله تعالى
ولا تكن من الغافلين يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار واخره فتصعد
عمل الليل عند صلوة الفجر وتصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء
عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلوة بعد صلوة الصبح وبعد صلوة العصر مكروهة استحب للعبد
ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر قوله عز وجل ان الذين
عند ربك يعني الملائكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان
الملائكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته
لانهم عبيده خاضعين لعظمته وكبريائه عز وجل ويسبحونه لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان
في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز وجل عن حال
الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه ولما كانت الاعمال
تنقسم الى قسمين اعمال القلوب وهي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن
اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم ق عن عبد الله بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان
جبهته في غير وقت صلوة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار م
عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود

قيل انك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا سبع آيات نزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يسئلونك عن الانفال** ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا فله كذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستاثروا به علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع واختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الآية وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا على بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله قد شفى صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى ان يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي وهو لك فنزلت يسئلونك عن الانفال الآية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت به حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه فشد لي صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى يسئلونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اي يسألونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصل النفل الزيادة سميت الغنائم انفالا لانها زيادة

من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء **قل الانفال لله والرسول** اي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شاء او اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة نسخها الله تعالى بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله تعالى لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخميس **فاتقوا الله** يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم **واصلحوا ذات بينكم** اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم امر الغنائم الى الله ورسوله **واطيعوا الله ورسوله** فيما يامركم به وينهاكم عنه **ان كنتم مؤمنين** يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله عز وجل **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآية صفات المؤمنين واحوالهم فقال تعالى انما المؤمنون ولفظة المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا وخافوا من عقابه وقال اهل الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله فيخافونه اشد خوف واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخاف على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم يعني خافت وقال في آية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من برد اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا في آية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمن ثم قال **واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** يعني واذا قرئ عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك ايمانا واقرارا وتصديقا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيئين كان اكثر ممن صدق في شيء واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد وكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان

والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة
ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه
الآية اوصافا متعددة من احوال المؤمنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف
داخلة في مسمى الايمان روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة
ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل
على ان الايمان اعلى وادنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان
زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب
عمر بن عبد العزيز الى عدي ان للايمان فرائض وشرائط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان
ومن لم يستكملها فلم يستكمل الايمان وقوله تعالى **وعلى ربهم يتوكلون** معناه يفوضون جميع امورهم اليه
ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المؤمن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي
درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه
المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله
تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون** يعني يقيمون الصلوة المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق
فيه ويدخل فيه النفقة في الزكوة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى **اولئك
هم المؤمنون حقا** يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس برئوا من الكفر وقال قتادة
استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مؤمنا حقا لان الله انما
وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا ينعلق بمسئلة
اصولية وهو ان العلماء اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مؤمن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مؤمن
حقا ام لا قال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى واستدلوا
على صحة هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد
فكذلك هذه المسئلة يجب فيها ان يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى الوجه الثاني
انه تعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله بكونهم مؤمنين وفي قوله انا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما
قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول
بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة
امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وان
كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان
فلم يلزم حصول الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل
انا مؤمن فقد مدح نفسه باعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل الانكسار
روي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله تعالى والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله او لم تؤمن قال بلى فانقطع قتادة قال
بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمأنينة الوجه الثالث
ان الله تعالى ذكر في اول الآية انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر

بعد

ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص له والتوكل على الله والاتيان بالصلوة كما امر الله وايتاء الزكوة كذلك
ثم قال بعد ذلك اولئك هم المؤمنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول
هذه الصفات له فكان الاولى ان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال ابن ابي نجيح سأل رجل الحسن فقال امؤمن انت فقال
الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا بها مؤمن وان كنت سألتني عن الايمان عن قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا ادري
انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم قالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا
عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا فقال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة
وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر
الوجه الرابع اذا قلنا ان قولنا انا مؤمن ان شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله
بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا اتى بالايمان
ومات عليه وهذا لا يحصل الا بعد الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا مؤمن ان شاء الله فالمراد بصرف هذا الاستثناء
الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن الاستدلال لاصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز
ان يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف الانسان بين كونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف
حاله على الخاتمة والحركة فعل بقية فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك هم
المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية
بكونهم مؤمنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه يأتي بتلك الاوصاف على الحقيقة
ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم
وقوله تعالى **لهم درجات عند ربهم** يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت احوالهم
في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطا
درجات الجنة يرتقونها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين
سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام
اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا
في احداهن لوسعتهم **ومغفرة** يعني ولهم مغفرة لذنوبهم **ورزق كريم** يعني ما اعد لهم في الجنة ووصفه
بكونه كريما لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى **كما اخرجك ربك من
بيتك بالحق** اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما
اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك
في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان
اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند
ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد
بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق
وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره
واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال
جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك

بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** يعني للقتال وانما كرهوه
لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم **يجادلونك في الحق** وذلك ان المؤمنين لما ايقنوا
بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين**
حتى يبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين صدقك في الوعد **كانما يساقون الى الموت** يعني لشدة كراهتهم
القتال **وهم ينظرون** يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر
اليه ويعلم انه آتيه **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين** يعني احدى الفرقتين فرقة ابي سفين مع العير وفرقة ابي جهل
مع النفير **انها لكم** يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة ابن الزبير ومحمد بن اسحق والسدي اقبل ابو سفين
ابن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة
وهي اللطيمة يريد اللطيمة الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله
ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى
مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت
عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم بثلاثة ايام افزعتها فبعثت الى اخيها العباس ابن عبد المطلب
فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما
رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث
فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها
باعلى صوته الا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ مثلها ثم اخذ صخرة
فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها الا وقد دخلها منها
فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا
للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشى الحديث حتى تحدثت به قريش بمكة
قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل
الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت
هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي راتها عاتكة قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب اما رضيتم
ان يتنبى رجالكم حتى يتنبى نساؤكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه
الثلاث فان كان ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب
بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رات شيئا
ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن اقررتم بهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم
حتى تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال قلت والله قد فعلت ما كان مني اليه من شيء
وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينه قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد
فاتني منه شيء احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به
وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس
فقلت في نفسي ما له لعنه الله اكل هذا فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو

وهو

وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة
اللطيمة هذه اموالكم مع ابي سفين وقد عرض لها محمد في اصحابه ولا ادري ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغله عني
وشغلني عنه ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث
مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة من كنانة من
الحرب فقالوا نخشى ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم
وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش سراعا وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن
مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحا اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت
العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين انها لكم
اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير
فقام ابو بكر فقال واحسن وقام عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن
معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي
ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك
حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه
الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف
منا احد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل ان يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله
تعالى وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم م عن انس بن مالك
ان عمر ابن الخطاب حدثه عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس
يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه
بالحق ما اخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فقال
عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا
علي شيئا فذلك قوله تعالى اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعني طائفة ابي سفين مع العير وطائفة ابي جهل
مع النفير **وتودون** اي وتريدون وتتمنون **ان غير ذات الشوكة تكون لكم** والمعنى وتتمنون ان العير
الذي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح **ويريد الله ان يحق الحق**
اي يظهر الحق ويعليه **بكلماته** يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازه

ويقطع دابر الكافرين اى ويستاصلهم حتى لا يبقى احد منهم ليحق الحق يعنى ليثبت الاسلام
ويبطل الباطل يعنى ويفنى الكفر ولو كره المجرمون يعنى المشركين وفى الاية سؤال وهو ان قوله يريد الله
ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير فما معناه والجواب انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت
ما وعد فى هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعداء والمراد بالثانى تقوية القرآن والدين واظهار منار الشريعة لان
الذى وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب
قرنه بقوله ويبطل الباطل يعنى الذى هو الشرك سؤال الثانى الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق
الحق اظهار كون ذلك الحق حقا والمراد من اظهار الباطل باطلا وذلك باظهار دلايل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل
وقهرهم قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم اى فاذكر يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر
وفى المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهرى والقول الثانى انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له م عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن
الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثماية وبضعة عشر رجلا
فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك
هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه
ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين فامده الله بالملائكة
قال سماك فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط
فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه
كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء
الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين فاستجاب لكم يعنى فاجاب دعاءكم انى ممدكم اصله بانى ممدكم اى مرسل
اليكم مددا وردءا لكم بالف من الملائكة مردفين يعنى يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روى انه
نزل جبريل عليه السلام فى خمسماية وميكائيل عليه السلام فى خمسماية فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمايم
بيض قد ارخوها على اكتافهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرس
يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب
يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى
يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروى عن ابى اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال
بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام فى سورة
آل عمران هل قاتلت الملائكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس فى الذى ضربه بالسوط فحطم انفه وشق
وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه
قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى يعنى وما جعل الله الارداف بالملائكة الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم
وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام وقوله تعالى
وما النصر الا من عند الله يعنى ان الله هو ينصركم ايها المؤمنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه
تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله فى جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة

ان الله عزيز يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شئ ويغلبه حكيم يعنى فى تدبيره ونصره
ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده قوله تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه يعنى اذكروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو
النوم الخفيف امنة منه اى امنا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس فى القتال من الله وفى
الصلوة من الشيطان والفايدة فى كون النعاس امنة فى القتال لان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت
الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وقلة المسلمين وقلة عددهم
وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم
وكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل فى
كون هذا النوم امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع
العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان فى حكم المعجزة لانه امر خارق
للعادة وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء يعنى المطر ليطهركم به وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر
على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا واصبح المسلمون على غير
ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبى الله
وانتم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم
فانزل الله مطرا سال الوادى فشرب منه المسلمون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفاء
الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله
عليهم بذلك وكان ذلك دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الاحداث
والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعنى وسوسته التى القاها فى قلوبكم وليربط على قلوبكم يعنى
بالنصر واليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه ان تكون
لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة
لانها تفيد الاستعلاء فتكون القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها ويثبت به الاقدام
يعنى ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى ثبتت عليه الاقدام بالصبر وقوة القلب بالصبر وقوة القلب لان من يكون
ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عن اللقاء وقوله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم
يعنى ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين امد بهم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه انى معكم بالنصر والمعونة فثبتوا
الذين آمنوا اى قووا قلوبهم واختلفوا فى كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كما ان للشيطان قوة فى القاء الوسوسة
فى قلب ابن آدم بالشر فكذلك للملك قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى
الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اى ثبتوهم
بقتالهم معهم للمشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا
فان الله ناصركم عليهم سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب يعنى الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين
حيث القى الرعب فى قلوب الكافرين فاضربوا فوق الاعناق قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعا عما قبله
وقيل خطاب مع الملايكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملايكة تعرف تقاتل بنى آدم فعلمهم الله
ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق
صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على واضربوا منهم كل بنان يعنى كل مفصل وقال ابن
عباس يعنى الاطراف واصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التى يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يعمله بيديه

وانما خصت بالذكر دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا
الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه
هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تبطيل حركة الانسان عن الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا
قطع بنانه تعطل عن ذلك كله روى عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع
راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه
الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف روى عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت
فاسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب قومه وكان يكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق
في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مقتل
اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح
وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه
حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال له الناس هذا ابو سفين بن الحارث بن عبد المطلب
قد قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي اخبرني كيف كان احوال الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا
يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله
ما تليق شيئا ولا يقوم لهم شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب
وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه ام الفضل
بعمود من عمد الحجرة فضربته به فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا
فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس
ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته
كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكان وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع
عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى **ذلك** يعني الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر
بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها المجانبة كانهم شاقوا
اولياء الله وهم المؤمنون او شاقوا دين الله ثم قال تعالى **ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب**
يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شيء قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيمة
ثم قال تعالى **ذلكم** اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم **فذوقوه** يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير
بالاضافة الى الوجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله تعالى **وان للكافرين عذاب النار**
يعني في الاخرة عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس
دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه وقال لا يصلح لك ان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما
وعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين
كفروا زحفا** يعني مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر
الرجل كانبعاث الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم الى البعض في القتال زحفا لانه يمشي كل طائفة الى
صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب والزحف المشي قليلا الى الشيء **فلا تولوهم الادبار**

يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي ظهره ودبره **ومن يولهم يومئذ دبره** يعني
ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال **الا متحرفا لقتال** يعني الا منقطعا الى القتال يرى عدوه من
نفسه الانهزام وقصده طلب الكر على العدو والعود اليه وهذا هو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها **او
متحيزا الى فئة** يعني او منضما وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال **فقد باء بغضب
من الله** يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهو التحرف للقتال والتحيز الى الفئة
من المسلمين فقد رجع بغضب من الله **ومأواه جهنم وبئس المصير** فصل في حكم هذه الاية اختلف العلماء
في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان معهم ولم يكن فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى
المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر
الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر اما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى
فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر
يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا عنهم ثم كان يوم حنين
بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفارون قال بل انتم
الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص
المهرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت له فئة انا فئة
كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام في حقنا وفي جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر فالعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة
بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم
ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم او يولوهم ظهورهم وان كان العدو اكثر
من مثليهم جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل
يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني
بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم
انتم ولكن الله قتلهم **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** قال اهل التفسير والمغازي لما ذهب رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلقوا يعني نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام
لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعماية الى الالف قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وابو البختري
بن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها
فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل وجاء الى الوادي

قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما رميت وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حين انهزموا **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا** يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين ان البلاء هنا بمعنى النعمة **ان الله سميع** يعني لدعائكم **عليم** باحوالكم وقوله تعالى **ذلكم** يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا **وان الله** يعني واعلموا ان الله مع ذلك **موهن** اي مضعف **كيد الكافرين** يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل **ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم بدر لما التقى الجمعان قال اللهم اينا كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطع للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فانصره وقيل اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستحكموا الآية على اقطع الحزبين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم الله بنصره المظلوم على الظالم والحق على الباطل والمقطوع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب محمدا صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت من ذلك وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان الى صاحبكما الذي تسالاني عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء (ق) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قال انس فقال هل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل قد اخزى الله الآخر قال ولا اهابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل

ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سالوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثني ابن اسحق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزنك فلما سمعتها جعلته من شاني فعمدت نحوه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل معوذ بن عفراء وهو عقير فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل اخزاك يا عدو الله قال وبما اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله ولرسوله روى ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقا صعبا ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل فقال آلله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح اي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفيرة في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به ابي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية فلا تعلق للحديث بتفسير الآية والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسال له انجاز ما وعده من احدى الطائفتين والح في الدعاء والمسالة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار اما قوله تعالى **وان تنتهوا فهو خير لكم** هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر **وان تعودوا نعد** يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم **ولن تغني عنكم فئتكم** يعني جماعتكم **شيئا** يعني لا تغني عنكم شيئا **ولو كثرت** يعني جماعاتكم **وان الله مع المؤمنين** يعني بالنصر عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله** يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس **ولا تولوا عنه** يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته في الجهاد **وانتم تسمعون**

يعني القرآن يتلى عليكم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون
بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة المنافقين إن شر الدواب عند الله يعني إن شر من دب على وجه
الأرض من خلق عند الله الصم يعني عن سماع الحق البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون
يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وإنما سماهم الله دوابا لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس
هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم
أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم
خيرا لأسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق ولو علم الله قال الإمام فخر الدين إذ كل ما كان حاصلا فيجب
أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده
وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لأسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهيم ولو أسمعهم بعد أن علم
أنه لا خير فيهم ولم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني ولتولوا
عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم أحي لنا قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن فقال الله تعالى ولو أحيي لهم قصيا
وسمعوا كلامه لتولوا وهم معرضون قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
يعني أجيبوهما بالطاعة والانقياد لأمرهما إذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم إنما وحد الضمير في
قوله إذا دعاكم لأن استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد
واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على أن ظاهر الأمر للوجوب لأن كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل
فقد دعاه إليه وهذه الآية تدل على أنه لا بد من الإجابة في كل ما دعا الله ورسوله إليه خ عن أبي سعيد بن المعلى قال
كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال
ألم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبي فالتفت أبي فلم يجبه وصلى أبي
وخفف ثم انصرف فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليك السلام ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك فقال يا رسول الله إني كنت في الصلوة قال أفلم تجد فيما
أوحى الله إلي أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود إن شاء الله وذكر الحديث
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الإجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس
لأحد أن يقطع صلوته لدعاء أحد آخر وقيل لو دعاه أحد لأمر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلوته وقوله تعالى
لما يحييكم يعني إذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي هو الإيمان لأن الكافر ميت فيحيى بالإيمان وقال
قتادة هو القرآن لأنه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن إسحق
هو الجهاد لأن الله تعالى أعز به بعد الذل وقيل هو الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون واعلموا
أن الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر
وبين الإيمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الإنسان وقلبه فلا
يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات
ودواعي فتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن يتقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله
تعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال
عليه السلام اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا
قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات
فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد بالجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية
إن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال في الجهاد
وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول
بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمنا والجبن جراءة وقوله تعالى وأنه إليه تحشرون يعني في الآخرة فيجزي
كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة لما أخبر الله أنه يحول بين المرء وقلبه حذرهم من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة إن نزلت بكم
لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار
وقيل تقديره واتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار
وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرى أنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم
في يوم الجمل وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم
الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم
وغير الظالم روى البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن يعذب الخاصة بعمل العامة يروا المنكر بين أظهرهم وهم
قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول
عن عدي بن عميرة الكندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عملت الخطيئة في الأرض فأنكرها كان كمن غاب عنها ومن
غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من
رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا
أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي
من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به فإن قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة إلى من
لم يذنب قلت إنه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية أو لأنه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من أنواع المصلحة والله أعلم
بمراده وقوله تعالى واعلموا أن الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله منها
قوله تعالى واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض لما أمر الله المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله
وحذر من الفتنة ذكرهم نعمه عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين إذ أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون
في الأرض يعني في أرض مكة في ابتداء الإسلام تخافون أن يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار
العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم فآواكم يعني إلى المدينة وأيدكم بنصره يعني وقواكم
بالأنصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد

قبلكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول**
قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم
بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم
ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن ماله وولده
وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار
أبو لبابة بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد
خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال أما لو
جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل فإني لا أطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت
فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تصدق به ونزل فيه يا أيها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين
فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله إن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أبا
سفيان في مكان كذا وكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا قال
فكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول **وتخونوا أماناتكم**
ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم **وأنتم تعلمون** أنها أمانة وقيل معناه وأنتم تعلمون أنما فعلتم
من الإشاعة إلى الخلق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد انتقصه والخيانة ضد الأمانة
وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد خنتم أماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله
بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله
تعالى والأعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ومنه الحديث
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود
والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** قيل إن هذا
مما نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل إنه عام في جميع الناس وذلك
أنه لما كان الإقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة
المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي فقبله وقال أما إنهم
مبخلة مجبنة وإنهم لمن ريحان الجنة وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم
قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن ابني ابنته وهو يقول إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون
وإنكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة وقوله لمن ريحان الله أي لمن رزق الله والريحان
في اللغة الرزق وقوله تعالى **وأن الله عنده أجر عظيم** يعني لمن أدى الأمانة ولم يخن الأمانة وفيه تنبيه
على أن سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله**

يعني بطاعته وترك معاصيه **يجعل لكم فرقانا** يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به الحق والباطل والفرقان
أصله الفرق بين الشيئين لكنه أبلغ من أصله لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد
يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما
تخافون وقال محمد بن إسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين
الكفار بأن يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه **ويكفر عنكم سيئاتكم** يعني ويمحو عنكم ما سلف
من ذنوبكم **ويغفر لكم** ويستر عليكم بأن لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة **والله ذو الفضل العظيم**
لأنه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فإنه إذا وعد بشيء
وفى به قيل إنه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه أن بيده
الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى **وإذ يمكر بك الذين كفروا** لما ذكر الله تعالى المؤمنين نعمه
عليهم بقوله واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من
قومه لأن هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة والمعنى واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين
كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعا إن قريشا فرقوا لما أسلمت الأنصار
أن يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان
وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
وأمية بن خلف واعترضهم إبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت
أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه
في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون
حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله إبليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم لئن حبستموه
ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من بين أيديكم
فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه
من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه قال إبليس ما هذا لكم برأي تعمدون إلى
رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ القلوب بما
تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهب وليستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق
الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا
فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن
هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال إبليس
صدق هذا الفتى هذا أجودكم رأيا والقول ما قال لا أرى رأيا غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجتمعون عليه فأتى
جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأذن الله
تعالى له عز وجل عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن يبيت في مضجعه
وقال تتشح ببردتي فإنه لن يصل إليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب
وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا إلى قوله فهم
لا يبصرون ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع
توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون

انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا عليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره
وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار فراوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث
في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر الاحتيال في خفية **ليثبتوك**
اي يحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة **او يقتلوك** يعني كما
اشار عليهم ابو جهل **او يخرجوك** يعني من مكة **ويمكرون** يعني ويحتالون ويدبرون في امرك **ويمكر الله**
يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو
التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره
وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره **والله خير الماكرين** فان قلت كيف
قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه
على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلة ذلك
والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قوله عز وجل **واذا تتلى عليهم اياتنا**
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار
وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة فيسمع اخبارهم عن رستم واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى
فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحي
اليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله
بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك
ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين يعني اخبار الماضين قوله تعالى **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق**
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحارث ايضا قال ابن عباس
لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له
عثمن بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا يقول لا اله الا الله
قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القران الذي
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعاء النبوة
وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء يعني كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت
الامم الماضية وفي النضر بن الحارث نزل سال سائل بعذاب واقع قال عطا لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة اية
فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من قريش صبرا طعيمة
بن عدي وعقبة ابن ابي معيط والنضر بن الحارث وروى انس بن مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل (ق) عن انس
قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فنزلت وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قوله عز وجل
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحق هذه الاية متصلة
بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب امة ونبيها
معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على انفسهم اذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**

ثم قال تعالى ردا عليهم **وما لهم ان لا يعذبهم الله** وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون **وهم يصدون**
عن المسجد الحرام وقال اخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم
قالوا نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقي بقية من المسلمين يستغفرون
فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج اولئك المسلمون من بين اظهر الكافرين اذن الله في فتح مكة فهو
العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق بحيث امر فقال الله وما
كان الله ليعذبهم وانت مقيم فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمون فلما خرجوا قال الله وما لهم ان لا
يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك
غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما
امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا
ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا الله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام
والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد
وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية
انه يؤمن ويستغفر مثل ابي سفين بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام و
غيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الاية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان
محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السماء فاخبر الله ان محمدا محق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدائه
ومنكري نبوته حجارة من السماء ما دام بين اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما كان
اقامته مانعا من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالمراد من العذاب الاول هو عذاب
الاستيصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب
الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيمة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون
ويستغفرون الله فيغفر لهم وعن عبد الله بن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد ماية مرة
رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن عبد الله ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ورزقه من حيث لا
يحتسب رواه ابو داود وقوله تعالى وما لهم ان لا يعذبهم الله يعني اي شيء يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني بعد خروجك
من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين في هذه الاية انه معذبهم ثم اختلفوا
في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال
واراد بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن
الاية الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخله
النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف

بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية **وما كانوا أولياءه**
قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعني ليس أولياء المسجد الحرام
إن أولياؤه إلا المتقون يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك **ولكن أكثرهم لا يعلمون** يعني ولكن المشركين
لا يعلمون ذلك قوله تعالى **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** لما ذكر الله تعالى أن الكفار ليسوا بأولياء البيت
الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير
يمكو إذا صفر والمكاء اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير وقيل هو طائر يألف الريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعني تصفيره
والتصدية التصفيق وفي أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب
للمتكلم ولا يرجع قوله إلى شيء الثاني قال أبو عبيدة أصله تصدد فأبدلت الدال الواحدة ياء قال الأزهري والمكاء والتصدية
ليسا بصلاة ولكن الله أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت صلاتهم
التصدية والمكاء قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون قال مجاهد كان نفر من بني
عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزئون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفقون فالمكاء
جعل الأصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله إلا مكاء وتصدية
فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران
ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس المكاء
والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لأن الله سمى ذلك
صلاة فإن قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت إنهم كانوا يعتقدون ذلك المكاء والتصدية
صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول
العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة
هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى **فذوقوا العذاب** يعني عذاب الأسر والقتل في الدنيا وقيل يقال
لهم في الآخرة فذوقوا العذاب **بما كنتم تكفرون** يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل **إن الذين كفروا ينفقون**
أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر بعده
عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل
بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث
وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان
يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزور أسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت في أبي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون
مثقالا وقال ابن أبزى استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب
وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب
من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من
قريش قد أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة
فقالوا يا معشر قريش إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا
بمن أصيب منا ففعلوا فيهم نزلت إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي ليصرفوا الناس عن الإيمان بالله
ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

فسينفقونها

فسينفقونها يعني أموالهم في ذلك الوجه **ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون** يعني ما أنفقوا من أموالهم
تكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لأن أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون **والذين كفروا** يعني
منهم لأن منهم من أسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين أموالهم **إلى جهنم يحشرون** يعني يساقون إلى النار
ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهو الفريق الطيب
وهذا معنى قول ابن عباس فإنه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي
على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به إنفاق الكفار في سبيل الشيطان وإنفاق المسلمين في سبيل الله
ويجعل الخبيث بعضه على بعض يعني بعضه فوق بعض **فيركمه جميعا** يعني فيجمعه جميعا وضم
بعضه إلى بعض حتى يتراكم **فيجعله في جهنم** يعني الخبيث **أولئك** إشارة إلى المنفقين في سبيل الشيطان
أو إلى الخبيث **هم الخاسرون** يعني أنهم خسروا الدنيا والآخرة لأنهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله تعالى
قل يعني قل يا محمد **للذين كفروا إن ينتهوا** يعني عن الشرك **يغفر لهم ما قد سلف** يعني ما قد
مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الإسلام **وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين** يعني في إهلاك أعدائه
ونصر أوليائه ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الإسلام والتزموا شرائعه غفر لهم
ما قد سلف من كفرهم وشركهم وإن عادوا إلى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الأولين بإهلاك أعدائه ونصر
أوليائه وأنبيائه وأجمع العلماء على أن الإسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية
والمالية وهو ساعة إسلامه كيوم ولدته أمه يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد
لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**
قال ابن عباس حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء **ويكون الدين كله لله** حتى تكون الطاعة والعبادة
كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا إله إلا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم وإليها دعا
وقال محمد بن إسحق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون
التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء **فإن انتهوا** يعني عن الشرك وافتتان
المؤمنين وإيذائهم **فإن الله بما يعملون بصير** يعني فإن الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم
حتى يوصل إليهم ثوابهم **وإن تولوا** يعني وإن أعرضوا عن الإيمان وأصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المسلمين
وإيذائهم **فاعلموا** يعني أيها المؤمنون **أن الله مولاكم** يعني أن الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم
نعم المولى ونعم النصير يعني أن الله هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى
ونعم النصير قوله عز وجل **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول**
الغنم الفوز بالشيء يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد أم مختلفان
في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فأخذوه عنوة وأما الأرض
فهي فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهد
الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة
عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل إن الفيء والغنيمة
معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما يختلفان فالفيء ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا
ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بإيجاف عليه خيل وركاب فذكر الله في هذه الآية
حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط فأن لله خمسه وللرسول

فذكر اكثر المفسرين والفقهاء ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى هو الحاكم فيه فيقسمه كيف يشاء
وليس المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان لله الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله
وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله
عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله
عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان له في حياته واليوم هو في مصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم
قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة
وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود للخمس فيقسم الخمس على اربعة اصناف المذكورين في الاية
وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله تعالى **ولذي القربى** يعني ان سهما من خمس الخمس لذوي القربى
وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة
وقال مجاهد وعلي بن الحسن هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا
لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال جئت انا وعثمن بن عفان الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يرسول الله اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال
جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير
بن مطعم جاء هو وعثمن بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب
فقلت يرسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية للنسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم
ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي
صلى الله عليه وسلم فقلنا يرسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال اخواننا
بني عبد المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب لا نفترق في
جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت
اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك
والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود
في الخمس فيقسم الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه
الاصناف دون اغنيائهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيرا على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى
العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق
باسم القرابة غير انه يعطى القريب والبعيد ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما وقوله **واليتامى**
جمع يتيم فيعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة
اليه **والمساكين** وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين **وابن السبيل** وهو المسافر البعيد
عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين
الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى

الراجل سهم واحد لما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي
رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم
ويرضخ للعبد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول
وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل
على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي
قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري
ومسلم في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل
بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهام
الغنيمة ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل من يبعث بالسرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش
عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه
ابو داود واختلف العلماء في ان النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول
سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة ابن الصامت قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس
والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة اخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحق
وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصابه المسلمون من اموال الكفار
بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او
يموت احد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال الفيء خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته
وقال عمر ان الله قد خص لرسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر ما افاء الله على
رسوله منهم الاية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا
المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم في ديوان الجهاد لانهم هم
القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة فيعطون
منه كفايتهم ثم بالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة
على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع
المسلمين فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا
انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل
وحاجته اخرجه ابو داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء
حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى **ان كنتم امنتم بالله** يعني واعلموا ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف
الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم
بوحدانيته **وما انزلنا على عبدنا** يعني وامنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف
وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك عن الانفال الاية **يوم الفرقان**

يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل **يوم التقى الجمعان** يعني يوم
جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول
مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو لسبع عشرة
من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله
المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك **والله على كل شيء قدير** يعني على نصركم أيها
المؤمنون مع قلتكم وكثرة أعدائكم قوله تعالى **إذ أنتم** أي اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين إذ أنتم
بالعدوة الدنيا يعني بشفير الوادي الأدنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الأدنى **وهم** يعني المشركين **بالعدوة
القصوى** يعني بشفير الوادي الأقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأنيث الأقصى **والركب أسفل منكم**
يعني أبا سفيان وأصحابه وهي عير قريش التي خرجوا لأجلها وكانوا في موضع أسفل من موضع المؤمنين إلى ساحل البحر على
ثلاثة أميال من بدر **ولو تواعدتم** يعني أنتم والمشركون **لاختلفتم في الميعاد** وذلك أن المسلمين خرجوا
ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم والكفار على القتال
لاختلفتم أنتم وهم لقلتكم ولكثرة عدوكم **ولكن** يعني ولكن جمعكم الله على غير ميعاد **ليقضي الله أمرا كان مفعولا**
يعني من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه وأعداء دينه **ليهلك من هلك عن بينة** يعني ليموت
من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه **ويحيى من حي عن بينة** يعني ويعيش من عاش
عن بينة رآها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن إسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من
آمن على مثل ذلك لأن الهلاك هو الكفر والحيوة هي الإيمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي على بينة **وإن الله
لسميع عليم** يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل **إذ يريكهم الله** يعني
واذكر يا محمد نعمة الله عليك إذ يريك المشركين **في منامك** يعني في نومك **قليلا** قال مجاهد أراهم الله
في منامه قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان تثبيتا وقال محمد بن إسحق فكان ما أراه الله من ذلك
نعمة عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل
لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم
حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن إن هذه الإراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام
العين لأنها موضع النوم **ولو أراكهم كثيرا لفشلتم** يعني لجبنتم والفشل الجبن مع ضعف والمعنى ولو أراكهم
كثيرا فذكرت ذلك لأصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم **ولتنازعتم في الأمر** يعني اختلفتم في الإقدام عليهم والإحجام
عنهم وقيل معنى التنازع في الأمر هو الاختلاف الذي تكون معه مخاصمة ومجادلة كل واحد إلى ناحية والمعنى لاضطرب
أمركم واختلف كلمتكم **ولكن الله سلم** يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه
ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل **إنه عليم بذات الصدور** يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من
الجرأة والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه إنه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل **وإذ يريكموهم
إذ التقيتم في أعينكم قليلا** يعني أن الله تعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا
في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر عنه أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في
أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا **ويقللكم
في أعينهم** يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين إن العير قد انصرفت فارجعوا
فقال أبو جهل الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم

إنما محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه والحكمة
في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ويقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جرأتهم عليهم
ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهربوا وإذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في
الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فإن قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل
قلت ذلك ممكن مع القدرة الإلهية وأن الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
من خوارق العادات فلا ينكر ذلك **ليقضي الله أمرا كان مفعولا** يعني أمرا كائنا من إعلاء كلمة الإسلام
وإذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فإن قلت قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا فما
معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين
على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في الآية لأنه
تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا **وإلى الله
ترجع الأمور** يعني في الآخرة فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يغفر قوله تعالى **يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة** يعني جماعة كافرة **فاثبتوا** يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله
ولا يحدثوها بالتولي **واذكروا الله كثيرا** يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم
أمر الله تعالى عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بأن يذكروه في أشد الأحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه
تنبيه على أن الإنسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله تعالى وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر
على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى فأمر الله عباده أن يسألوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى
لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر فإن قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها
ناسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف
والتحيز لا يقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل إلا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى
مؤكدا لذلك **وأطيعوا الله ورسوله** يعني في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو **ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم** يعني ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب
ريحكم يعني قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي
جرأتكم وجدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الأخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد
تقول العرب هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن قط نصر إلا
بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور
وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى
تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله تعالى **واصبروا** يعني عند لقاء العدو وقتالهم
ولا تنهزموا عنهم **إن الله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة ق عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا وقوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم بطرا** يعني فخرا وأشرا وقيل البطر الطغيان في النعم وذلك أن النعم إذا كثرت من الله على العبد فإن صرفها

والتعجب هي صح
ونصر أهله صح
وقال في هذه الآية ليقضي الله أمرا كان
مفعولا صح
في هذه صح

في المفاخرة على الاقران وكاثر بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهو معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها **ورئاء الناس** الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية **ويصدون عن سبيل الله** يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان لما راى انه قد احرز عيره وارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القينات وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فامضوا الى بدر فسقوا كؤس الحمام عوضا عن الخمور وناحت عليهم ايضا النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا تكونن ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله تعالى النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله تعالى **والله بما تعملون محيط** فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه لانه محيط باعمال العباد كلها فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين قوله تعالى **واذ زين لهم الشيطان اعمالهم** يعني اذكروا ايها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ زين لهم الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم** قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم من غير ان يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحارث من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما راه وكان يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة **فلما تراءت الفئتان** يعني التقى الجمعان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم **نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم** يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحارث افرارا من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك بن جعشم فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن في قوله **اني ارى ما لا ترون** قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال **اني اخاف الله** وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل انه خاف ان ياخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه

وقيل معناه اني اخاف الله صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من امر نبيه وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة **والله شديد العقاب** قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما راى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر فانه قد راى جبريل يزع الملائكة اخرجه مالك في الموطا ولا ادحر هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتاخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرها على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل **اذ يقول المنافقون** يعني من اهل المدينة **والذين في قلوبهم مرض** اي شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما راوا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا **غر هؤلاء دينهم** يعني ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب في الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد ان فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما راوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى **ومن يتوكل على الله** يعني ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه **فان الله** حافظه وناصره لانه **عزيز** لا يغلبه شيء **حكيم** يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى اعدائه قوله عز وجل **ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت اذ تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا عند الموت لرايت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم من ذلك الوقت **يضربون وجوههم وادبارهم** اختلفوا في وقت الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادبارهم ضربت الملائكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون جميع اجسادهم **وذوقوا عذاب الحريق** يعني وتقول الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيمة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق **ذلك** يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق **بما قدمت ايديكم** يعني انما حصل لكم بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد ومحله القلب وظاهر الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** يعني ان الله تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف يشا

ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظلم فلهذا
قال تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد لأنهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء قوله تعالى **كدأب آل فرعون**
يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون
بالإغراق وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا داوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا
لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبي من الله تعالى
فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون **والذين
من قبلهم** يعني من قبل آل فرعون **كفروا بآيات الله** يعني أن عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله **فأخذهم
الله بذنوبهم** يعني بسبب كفرهم وذنوبهم **إن الله قوي** يعني في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله **شديد العقاب**
يعني لمن كفر به وكذب رسله **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**
يعني أن الله تعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه
النعم بأن تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله تعالى النعم وأخذهم بالعقاب
قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله إلى الأنصار **وأن الله سميع**
يعني لأقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم **عليم** يعني بما في صدورهم من خير أو شر فيجازي كل واحد على عمله **كدأب آل
فرعون** يعني أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون **والذين من قبلهم كذبوا
بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم** يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم
بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف **وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين** يعني الأولين والآخرين
فإن قلت ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام
الأول لأن الآية الأولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية فيها ذكر إغراقهم فذلك تفسير للأول الفائدة الثانية أنه
ذكر في الآية الأولى أنهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية أنهم كذبوا بآيات ربهم ففي الأولى إشارة أنهم أنكروا آيات الله
وجحدوها وفي الآية الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة هي أن تكرير هذه القصة
للتأكيد وفي قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب قوله تعالى
إن شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه **الذين كفروا فهم لا يؤمنون** والمعنى أن شر
الدواب من الإنس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الأشرف **الذين عاهدت منهم**
قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لأن المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والأشراف **ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة** قال المفسرون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه
فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا
فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالؤوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف
إلى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وهم لا يتقون** يعني أنهم لا يخافون في نقض
العهد لأن عادة من يرجع إلى دين وعقل وحزم أن يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس إلى قوله ويثقون بكلامه فبين الله
عز وجل أن من جمع بين الكفر ونقض العهد أنه من شر الدواب **فإما تثقفنهم في الحرب** يعني فإما تجدن
هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب **فشرد بهم من خلفهم** قال ابن عباس معناه فنكل بهم وقال سعيد
ابن جبير أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الآية أنك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا
العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن

لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد **وإما تخافن** يعني وإما تعلمن يا محمد
من قوم يعني معاهدين **خيانة** يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير
فانبذ أي فاطرح **إليهم** يعني عهدهم وارم به إليهم **على سواء** يعني على طريق ظاهر مستو يعني أعلمهم قبل حربك إياهم
أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهم أنك نقضت العهد أولا بنصب
الحرب معهم **إن الله لا يحب الخائنين** يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية
وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول
الله أكبر وفاء لا غدر فإذا هو عمرو بن عبسة فأرسل إليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء فرجع معاوية
أخرجه أبو داود وأخرج الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه
جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم إذا ظهرت آثار نقض العهد ممن عاهدهم الإمام من المشركين
بأمر ظاهر مستفيض استغنى الإمام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب وإن ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتتضح
له من غير أمر مستفيض فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ إليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لأن قريظة كانوا قد عاهدوا
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه فههنا يجب على الإمام أن ينبذ إليهم على سواء ويعلمهم
بالحرب وأما إذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للإمام إلى نبذ العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى **ولا تحسبن** قرئ بالتاء
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد **الذين كفروا سبقوا** يعني فاتوا وأفلتوا
يوم بدر وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والأسر يوم بدر **إنهم
لا يعجزون** يعني أنهم بهذا السبق لا يعجزون بقوة الله من الانتقام منهم إما في الدنيا بالقتل وإما في الآخرة بعذاب
النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فأعلمه الله أنهم لا يعجزون قوله تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة إليه وفي المراد بالقوة أقوال أحدها أنه
جميع الأسلحة والآلات التي تكون لهم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني أنها الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاء
مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر
يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم خ عن أبي أسيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش إذا أكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية أكثروكم فارموهم واستبقوا
نبلكم وفي رواية إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح
عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين
الغرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه
قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى عن أبي نجيح السلمي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهما قال وسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه الترمذي والنسائي بمعناه وعنده
قال عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود أيضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله
عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله

فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته
اهله ورميه بقوسه اي بنبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو
داود واخرجه الترمذي مختصرا الى بنبله خ عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم
ينتضلون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك
احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة يستعان
بها في الجهاد فهو من جملة المامور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي
ليس من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا
المذكور من افضل المقصود واجله فكذا ههنا يحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما
يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض
الكفايات وقوله تعالى **ومن رباط الخيل** يعني اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس
وغيره بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة
فيها وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله للحصون
فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه
هذا ان العرب ترتبط الاناث لقلة صهيلها من الخيل بالافنية للنسل وروي ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال
الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات
والغارات وقيل ربط الفحول اولى من الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من الاناث وقيل
لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله ق عن عروة بن الجعد البارقي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والغنيمة ق عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من احتبس فرسا في سبيل الله تعالى ايمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
القيمة يعني حسنات ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى
رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما
اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين
كانت له اثارها وارواثها حسنات ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك
الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا
ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل الله فيها شيئا
الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي تشد به
الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشوط الشوط الذي يجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب
لما في ايدي الناس واما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد به الاحسان اليها
وقيل المراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوأت الرجل مناواة
اذا عاديته وقوله تعالى **ترهبون به عدو الله وعدوكم** يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله
وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا

ان المسلمين متأهبين للجهاد مستعدين له مستكملين لجميع الاسلحة والات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد
خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى
وآخرين من دونهم يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس
وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى **لا تعلمونهم** لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله **الله
يعلمهم** يعني انهم منافقون واورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد
القوة ورباط الخيل واجيب عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك
مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم
الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم دونكم ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن
والشياطين لا تخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل
الخيل يرهب الجن وقوله تعالى **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله** قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام
في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره **يوف اليكم** يعني اجره في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا
وانتم لا تظلمون يعني وانتم لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا قوله تعالى **وان جنحوا للسلم فاجنح لها**
لما امر الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه
فقال تعالى وان جنحوا للسلم اي مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها يعني
الى المصالحة روي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر
بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة
كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى **وتوكل على الله**
يعني فوض امرك الى الله فيما عاقدتهم معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك **انه هو السميع** يعني لاقوالهم **العليم**
باحوالهم قوله عز وجل **وان يريدوا ان يخدعوك** يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى و
ان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم **فان حسبك الله** يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته
هو الذي ايدك بنصره يعني قواك واعانك بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك **وبالمؤمنين** يعني
وايدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين
قلت التاييد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة فاما الذي يكون بالاسباب
الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسائط معلومة واما الذي يكون بالاسباب
الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي
اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقال تعالى **والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم** وذلك ان العرب كان فيهم
من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا
من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثاره ولا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية
الجاهلية من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا
انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية

حروب عظيمة ومعادات شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم يجدكم ضلالا فهديكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله تعالى بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه الاية بقوله **انه عزيز حكيم** يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى **يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال** يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك **ان يكن منكم عشرون** يعني رجلا صابرون يعني عند اللقاء محتسبين انفسهم **يغلبوا مائتين** يعني من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه الامر فكانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء **وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا** فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار **بانهم قوم لا يفقهون** يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم **الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله** عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم وظاهر هذا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكفار فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد العشرة فان تكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر **والله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قال سفين قال ابن شبرمة وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى **ما كان لنبي ان يكون له اسرى** روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من

فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك مثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن منكم احد منهم الا بفداء او بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله عليه الصلوة والسلام قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي واخرج مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة فارى ان تاخذ منهم الفدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه اما تفسير الاية فقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا قادرا عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير والاسارى جمع الجمع **حتى يثخن في الارض** الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فياسر الاسارى **تريدون عرض الدنيا** الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين وانما سمى منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع لها قوله تعالى **والله يريد الاخرة** يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع **والله عزيز** لا يغلب ولا يقهر **حكيم** يعني في كل تدبير مصالح

عباده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله في الاسارى فاما منا بعد
واما فداء فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم
وان شاؤا اعتقوهم قال الامام المدني ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء مزيل لحكم الآية التي نحن في
تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتي الآيتين متوافقتان وكلاهما يدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء
قال العلماء كان الفداء لكل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الفا وستمائة درهم وقال قتادة
كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة الاف درهم فليتأمل

فصل

قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء
وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر
الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك
على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع
ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوفا من العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه
الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقد حصل لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين
قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض
قتل جميع الناس فدلت هذه الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني الامر بالقتل انما كان
مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال المشركين الكفار بنفسه واذا
ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه
الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفداء كان محرما واما
قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا
يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل
بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك
الفعل وهو الاسر واخذ الفداء والله اعلم قوله عز وجل **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم** قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه
للقربان فكانت نار تنزل من السماء فتأكله فلما كان في يوم بدر اسرع المؤمنون في اخذ الغنائم والفداء انزل الله تعالى
لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ
قوما فعلوا شيئا بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحق
لم يكن من المؤمنين احد ممن حضر الا واحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال
صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى **فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا** يعني فقد احلت لكم الغنائم واخذ الفداء فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الآية
الاولى كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عما اخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله
الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على سائر الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ق
وسلم قال لم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم وذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها
لنا وقوله تعالى **واتقوا الله ان الله غفور رحيم** يعني وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل انفسكم
قبل ان تؤمروا به واعلموا ان الله قد عفا لكم ما اقدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله
اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى **يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم** نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد العشرة الذين ضمنوا
ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته
فكانت يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم
يطعم شيئا وبقيت العشرون اوقية من ذهب معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يحسب العشرين اوقية في فدائه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا اتركه
لك وكلف فداء ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا
ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس
وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس انا اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده و
رسوله ولم يطلع عليه احد الا الله وامر ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحارث فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم **من الاسارى** يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا**
يعني ايمانا وتصديقا **يؤتكم خيرا مما اخذ منكم** يعني من الفداء **ويغفر لكم** يعني ما سلف منكم
قبل الايمان **والله غفور** يعني لمن تاب وآمن من كفره ومعاصيه **رحيم** يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا
مما اخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما
احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل قوله تعالى **وان يريدوا** يعني الاسارى **خيانتك**
يعني ان يكفروا بك **فقد خانوا الله** يعني فقد كفروا بالله **من قبل** وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر
فقد خانوا الله بذلك **فامكن منهم** يعني فامكن المؤمنين منهم ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان
وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل احد يخونه او ينقض عهده **والله عليم** يعني بما في بواطنهم
وضمائرهم من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد **حكيم** يعني بان يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب
قوله عز وجل **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** يعني
ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم
وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم
في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغاء رضوانه **والذين آووا ونصروا** يعني آووا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم الانصار **اولئك** يعني المهاجرين والانصار **بعضهم اولياء بعض** يعني في العون والنصر
دون اقربائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار
يتوارثون دون اقربائهم وذوي ارحامهم وكان من آمن منهم ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح
مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى

ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **والذين امنوا ولم يهاجروا** يعني آمنوا واقاموا بمكة **ما لكم من ولايتهم من شيء** يعني من الميراث **حتى يهاجروا** يعني الى المدينة **وان استنصروكم في الدين** يعني ان استنصروكم الذين امنوا ولم يهاجروا **فعليكم النصر** يعني فعليكم نصرهم واعانتهم **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد فلا تنصروهم عليهم **والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض** يعني في النصر والمعونة وذلك لان كفار قريش كانوا معادين اليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض **الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** قال ابن عباس ان لا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج ان لا تتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير ضعف المؤمنين **والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا** يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين **لهم مغفرة** يعني لذنوبهم **ورزق كريم** يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل على تعظيم شانهم وعلو مرتبتهم ودرجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة اي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقا لا يلحقهم به غضاضة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولى اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى **والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم** اختلفوا في بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار الاسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد من الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى **فاولئك منكم** يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله تعالى **واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله** قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في الميراث فبين بهذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهو ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات

وقوله

وقوله تعالى **ان الله بكل شيء عليم** يعني انه تعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي سوى آيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون وهي اربعة آلاف كلمة وعشرة آلاف واربعمائة وثمانون حرفا ولهذه السورة اسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قال ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قال حذيفة وهي المخزية لانه فيها خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جميع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة سميت بذلك لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تقول ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر وقال قلت سورة الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين

فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى **براءة من الله ورسوله** يعني هذه براءة من الله ورسوله واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرا براءة اي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناه هنا التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا **الى الذين عاهدتم من المشركين** الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه هو الذي

مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا
وعاهدوا وقوله تعالى **فسيحوا في الأرض** أي فسيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين
أحدا من المسلمين وأصل السياحة الضرب في الأرض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الأنباري قوله
فسيحوا فيه مضمر أي قل لهم سيحوا وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان
وزوال الخوف يعني سيحوا في الأرض وأنتم آمنون من القتل والقتال **أربعة أشهر** يعني مدة أربعة أشهر واختلف العلماء
في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برئ الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه ومن كانت مدته أكثر حطه إلى الأربعة
أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده بأربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث أدرك ويوسر
إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتاطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد
هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعيا لهم إلى الدخول في الإسلام ولئلا ينسب المسلمون إلى الغدر ونكث العهد
وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك خمسون يوما وقال الزهري الأشهر الحرم الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية نزلت
في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثرون وقال الكلبي إنما كانت الأربعة أشهر لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فأتم
له الأربعة أشهر فأما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بإتمام عهده بقوله فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل
كان ابتداؤها في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج كان في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة
بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد
استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى وقاتلوا في سبيل الله
الذين يقاتلونكم الآية فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن
لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا لمن كان له عهد قبل البراءة ولا لمن لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء
جميعهم من أهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن إسحق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر
وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الأبيات
لاهم إني ناشد محمدا . حلف أبينا وأبيه الأتلدا . كنت لنا أبا وكنا ولدا . ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا . فانصر هداك الله
نصرا أعتدا . وادع عباد الله يأتوا مددا . فيهم رسول الله قد تجردا . في فيلق كالبحر يجري مزبدا . أبيض مثل الشمس يسمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا . إن قريشا أخلفوك الموعدا . ونقضوا ميثاقك المؤكدا . هم بيتونا بالهجير هجدا .
وقتلونا ركعا وسجدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة
فلما كان سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقيل له المشركون يحضرون بالبيت عراة فبعث أبا بكر تلك السنة
أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله
وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل
في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض
قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم
عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر

الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيد بن تبيع
سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم
عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون
بعد عامهم هذا في الحج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع **ق** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث أبا بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريانا وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن
معنا في أهل منى ببراءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر
الحج وإنما قيل الحج الأكبر من أجل قول الناس العمرة الحج الأصغر قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل
الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يا أيها الذين آمنوا
إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل

قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الإمارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم
ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس
الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم و
أجاب العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس ببراءة لأن عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير
العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر
لأنه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن ببراءة إزاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف
ما نعرفه من عادتنا في نقض العهود وعقدها وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بهذه الرسالة تطييبا
لقلبه ورعاية لجانبه وقيل إنما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف أبي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على إمامة
أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا
خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر المتولي أمر الموسم
والأمير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى **واعلموا أنكم**
غير معجزي الله يعني أن هذا الإمهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الأرض
أربعة أشهر عالمين أنكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وقيل معناه إنما أمهلهم هذه المدة لأنه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شيء
وأن الله مخزي الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل **وأذان من الله ورسوله**
الأذان في اللغة الإعلام ومنه الأذان للصلوة لأنه إعلام بدخول وقتها والمعنى وإعلام صادر من الله ورسوله واصل و
إلى الناس يوم الحج الأكبر اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروى عكرمة عن ابن عباس أنه يوم عرفة ويروى ذلك عن ابن
عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو أصح وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا فقالوا هذا يوم الحج الأكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن
عبد الله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد أن يوم الحج
الأكبر حين الحج أيام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الأكبر أيام منى كلها لأن اليوم يطلق ويراد به الحين والزمان
كقولك يوم صفين ويوم الجمل لأن الحروب دامت في هذه الأيام كلها ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم

الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله عليه السلام وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين
ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المسلمين والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران
لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر والحج الاصغر
العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسيء
وجميع احكام الجاهلية وقيل الحج الاكبر اجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقوله تعالى **ان الله بريء من المشركين**
ورسوله فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله بريء من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام
عليها وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمر التقدير ان الله بريء من المشركين ورسوله ايضا بريء
الثاني تقديره بريء الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول
فان قلت لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بريء من المشركين
ورسوله فما فائدة هذا التكرار قلت المقصود من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية الثانية البراءة التي هي
نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في اوله براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم يعني بريء اليهم ومن الثانية بريء منهم وقوله تعالى **فان تبتم** يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم **فهو خير**
لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار **وان توليتم**
يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة عن الشرك **فاعلموا انكم غير معجزي الله** فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان
الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** يعني في الاخرة ولفظ البشارة
هنا انما ورده على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى **الا الذين عاهدتم من المشركين**
هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين
وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر
وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله **ثم لم ينقصوكم شيئا** يعني من عهودكم التي عاهدتموهم عليها
ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا **عليكم احدا** من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى
من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم
سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم **فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم** والاستثناء بمعنى
الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي
كالغادر **ان الله يحب المتقين** يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوى بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث
له والغادر فيه قوله عز وجل **فاذا انسلخ الاشهر الحرم** يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت
وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت بذلك حرما لحرمة نقض العهد
فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم
على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة هي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى
يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت
المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** يعني في الحل والحرم وهذا
امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم **وخذوهم** يعني واسروهم **واحصروهم** اي واحبسوهم
قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام **واقعدوا**

لهم كل مرصد يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم
رصدا حتى تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها **فان تابوا** يعني من الشرك
ورجعوا الى الايمان **واقاموا الصلوة** يعني واتموا اركان الصلوة المفروضة **واتوا الزكوة** الواجبة عليهم طيبة
بها انفسهم **فخلوا سبيلهم** يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم **ان الله غفور** يعني لمن تاب ورجع من
الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة **رحيم** يعني باوليائه واهل طاعته قال الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية
كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى **وان احد من المشركين استجارك فاجره**
حتى يسمع كلام الله يعني وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر
الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب
ان اصر على الشرك **ثم ابلغه مامنه** يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد
ذلك وقدرت عليه فاقتله **ذلك بانهم قوم لا يعلمون** اي لا يعلمون دين الله عز وجل وتوحيده فهم يحتاجون الى سماع كلام
الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله**
هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال
تعالى **الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبائل من بني بكر
الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة **فما استقاموا لكم** يعني
على العهد **فاستقيموا لهم** يعني على ما اقاموا على العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا قبل الاربعة اشهر
والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج بن ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر
باتمام العهد لمن لم ينقض العهد وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد
وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول للنبي قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله
فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش
بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان الله يحب المتقين** يعني ان الله
تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه **كيف وان يظهروا عليكم** قيل هذا مردود على الاية
الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم **لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة** وقال الاخفش معناه كيف
لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا اي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه
لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي
هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل
ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا
القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا **يرضونكم بافواههم**
وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم **واكثرهم فاسقون** فان قلت ان الموصوفين
بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم فما الفائدة في قوله واكثرهم
فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد

بوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم فاسقون ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد وكم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى **اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا**
يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ابو سفين حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصدوا عن سبيله** يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **انهم ساء ما كانوا يعملون** يعني من الشرك او نقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام **لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة** يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا عليكم **واولئك هم المعتدون**
يعني في نقض العهد قوله تعالى **فان تابوا** يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به **واقاموا الصلوة** يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها **وآتوا الزكوة** يعني وبذلوا الزكوة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم **فاخوانكم في الدين** يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **ونفصل الآيات لقوم يعلمون** يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت بهذه الآية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلوة والزكوة فمن لم يزك فلا صلوة له وقال ابن زيد افترضت الصلوة والزكوة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلوة الا بالزكوة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره ابو بكر في حق منع الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلوة والزكوة ق عن ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلوتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل **وان نكثوا ايمانهم** يعني نقضوا عهودهم **من بعد عهدهم** يعني من بعد ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم **وطعنوا في دينكم** يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وعيبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهولاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى **فقاتلوا ائمة الكفر** يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفين بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وساير رؤساء قريش وهم الذين نقضوا العهد وهموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الآية ولم يات اهلها بعد ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى **انهم لا ايمان لهم** يعني اي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تومنوهم **لعلهم ينتهون** اي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم و يرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم** يعني نقضوا عهودهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على

وهم

خزاعة **وهموا باخراج الرسول** يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة **وهم بدؤكم** يعني بالقتال **اول مرة** يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم **اتخشونهم** يعني اتخافونهم ايها المؤمنون فتتركون قتالهم **فالله احق ان تخشوه** يعني في ترك القتال **ان كنتم مؤمنين** يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى **قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم** يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم او نقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى الموافق والمخالف وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى **ويخزهم** يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان **وينصركم عليهم** يعني بان يظفركم بهم **ويشف صدور قوم مؤمنين** يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه من خصم ثم مكنه منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويكون ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا فيهم ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه **ويذهب غيظ قلوبهم** يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى **ويتوب الله على من يشاء** وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل بابي سفين بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولاء كانوا من ائمة الكفر ورؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا **والله عليم** يعني بسر عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام **حكيم** يعني في افعاله قوله تعالى **ام حسبتم ان تتركوا** هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك دخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا والمعنى ام ظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده قال الامام فخر الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على ما عملوا **ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء اولياء يعني لا يتخذوا المشركين اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخوله امره دون الناس وقال الراغب كل ما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خبير بما تعملون** يعني بموالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله تعالى **ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله** يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية ان جماعة من رؤساء قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون

مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الأسير فنزلت هذه الآية **ما كان للمشركين** أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل بغير إذن مسلم عزر وإن دخل بإذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالإذن أن النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن أثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر والأولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى **شاهدين على أنفسهم بالكفر** يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب على الحال قال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام فلم يزدادوا بذلك من الله إلا بعدا وقال الحسن إنهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لأنه من أنفسهم **أولئك حبطت أعمالهم** يعني الأعمال التي عملوها في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقي الحجيج وفك العاني لأنها لم تكن لله فلم يكن لها تأثير مع الكفر **وفي النار هم خالدون** يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة** لما بين الله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فإن الإيمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لأن المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر لأنه حق كائن لأن عمارة المسجد لأجل عبادة الله وجزاء أجره إنما يكون في الآخرة فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فإن قلت لم لم يذكر الإيمان برسول الله مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان قلت إن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الإيمان بالله فمن آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر لأنه هو الداعي إلى ذلك وقيل إن المشركين كانوا يقولون إن محمدا إنما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فأخبر الله عز وجل أن محمدا صلى الله عليه وسلم إنما دعا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة والملك فلذلك قال إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل إنه تعالى ذكر بعد الإيمان بالله واليوم الآخر إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وذلك كان مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلوة وآتى الزكوة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن الاعتبار بإقامة الصلوة وإيتاء الزكوة في عمارة المساجد أن الإنسان إذا عمر المسجد لإقامة الصلوة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد إلا إذا كان مؤديا للزكوة لأن الزكوة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الإنسان بالنافلة إلا بعد كمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى **ولم يخش إلا الله** يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية الناس **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المستمسكون بطاعة الله التي تؤدي إلى الجنة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان فإن الله عز وجل يقول إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزل ما يهيأ للضيف عند نزوله بالقوم ق عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى له في الجنة مثله وعن أنس أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي قوله تعالى **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** الآية عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر إلى آخرها وقال ابن عباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وأن الإيمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس أنا صاحب السقاية وقال علي أنا ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الإسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته **كمن آمن بالله واليوم الآخر** فيه حذف تقديره كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر **وجاهد في سبيل الله** أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله **لا يستوون عند الله** يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لأن الله لا يقبل عملا إلا مع إيمان به **والله لا يهدي القوم الظالمين** خ عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال ما لي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فإن غلى وحمض حرم قوله عز وجل **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله** يعني أن من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وإنما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الإطلاق وعلى من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة **وأولئك** يعني من هذه صفته **هم الفائزون** يعني بسعادة الدنيا والآخرة **يبشرهم ربهم** يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه ويستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي بشرهم به فقال تعالى **برحمة منه ورضوان** وهذا أعظم البشارات لأن الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده **وجنات لهم فيها نعيم مقيم** يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا **خالدين فيها** يعني في الجنات وفي النعيم

أبدًا يعني لا انقطاع له إن الله عنده أجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس
وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من يتعلق
به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت
في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية
على ترك الهجرة مشكل لأن السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزولا والأقرب أن يقال إن الله تعالى لما أمر المؤمنين
بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فذكر الله أن مقاطعة الرجل أقاربه في الدين واجبة
فالمؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه وأخاه وابنه وقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان يعني إن اختاروا الكفر
وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام
معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله تعالى واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا
ولم يهاجروا إن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فأنزل الله تعالى قل أي قل يا محمد
لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم
العشيرة هم الأدنون من أهل الإنسان الذين يعاشرونه دون غيرهم وأموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها يعني بفراقكم لها ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكنها
أحب إليكم من الله ورسوله يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى أنه
يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وأخبر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة رسوله
ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا أي فانتظروا حتى يأتي الله بأمره أي بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف
وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل
على أنه إذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين قوله عز وجل لقد نصركم الله
النصر المعونة على الأعداء وبإظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني أماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة
غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله في يوم حنين أيضا فأعلم الله أنه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن
ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة وهو إلى جنب
ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام
من شهر رمضان فخرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء
وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط وكان المشركون أربعة آلاف
من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الأنصار
يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل وفي
رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم إلى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب أن القائل لذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وحكى ابن جرير الطبري أن القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناد هذه الكلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه بعد لأنه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت إلى كثرة عدد ولا إلى غيره بل نظره إلى

ما يأتيه

ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري
ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ
بالناس فلما انجفل القوم هربوا (ق) عن أبي إسحاق قال جاء رجل إلى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال أشهد
على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم
برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته
فنزل ودعا واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيثمة ثم صفهم قال البراء
كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن أبي إسحاق قال قال
رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان
أصحابه وأخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر
فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب وروى شعبة عن أبي إسحاق قال قال البراء إن هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا
فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق أخفاء
من الناس الأخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه
يقال إذا رمى القوم بأسهمهم إلى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا إذا احمر البأس
يعني إذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من
المسلمين ثلثمائة وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب
وابن عمه أبي سفيان بن الحرث وأيمن ابن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو
أسامة بن زيد لأمه أمهما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن عباس بن عبد المطلب
قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم نفارقه ورسول الله عليه السلام على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله عليه السلام أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتي
أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا
والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فإذا
القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا قوله حمي الوطيس
أي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وأنشأه
والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا لا يقطع شيئا عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم به وجوههم ثم قال شاهت الوجوه شاهت الوجوه وما خلق الله إنسانا إلا ملأ الله عينيه ترابا بتلك القبضة

فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم غنائمهم الى المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بخمسة الاف من الملائكة مسومين وروى ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال
عليهم ثياب بيض ما كنا نراه فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
تلك الملائكة وروى ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا
نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه
حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم
حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني
ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ابي
طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري قال اعيذك بالله
يا شيبة فارتعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله قد اطلعك الله على ما
في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله
المشركين وولوا مدبرين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف النضري فاتى الطائف فتحصن بها واخذ
ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة الاف سبي
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف
عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحرث بن هشام
وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين افاء الله على رسوله
من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا
جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذووا راينا يا رسول الله فلم يقولوا
شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من
دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال
وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ما تنقلبون به خير قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون
بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية انس فلم نصبر ق عن عبد الله
ابن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا
اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطب الناس فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين
فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا الا ترضون ان
يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا
لسلكت وادي الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا
سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس
ابن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع • فما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع • وما كنت
دون امرئ منهما • ومن تخفض اليوم لا يرفع • قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور ومروان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان معي

ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضعة عشر ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
~~انتظرهم حين قفل من الطائف بضع عشر ليلة فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه~~ غير راد عليهم الا احدى الطائفتين
قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء
جاؤا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله
فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم
ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن فانزل الله في
قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين **اذ اعجبتكم كثرتكم** يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم
عن قلة **فلم تغن عنكم** اي كثرتكم **شيئا** يعني ان الظفر بالعدد وليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله
ومعونته **وضاقت عليكم الارض بما رحبت** يعني بسعتها وفضائها **ثم وليتم مدبرين** يعني منهزمين
ثم انزل الله سكينته يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان
اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة
كناية عن الامن وقوله تعالى **على رسوله وعلى المؤمنين** انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله
عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله
عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يبرح **وانزل
جنودا لم تروها** يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان الملائكة
لم تقاتل الا يوم بدر **وعذب الذين كفروا** يعني بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال **وذلك
جزاء الكافرين** يعني في الدنيا اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك العذاب واعظم **ثم يتوب الله من
بعد ذلك على من يشاء** يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم تائبون فمن الله عليهم واطلق سبيهم **والله غفور** لمن تاب **رحيم** لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس** قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم
وقيل النجس الشيء الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا انجاسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على
طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية من
الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم انجاسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤن **فلا يقربوا
المسجد الحرام** والمراد منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسري به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هاني قال العلماء و
جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز للكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا
لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم
بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم
الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي
وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز
بين نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول ارض الحجاز بالاذن
ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام م عن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود

والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة
العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسلا م عن جابر قال سمعت رسول الله عليه
السلام يقول إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز
جزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضا
والقسم الثالث سائر بلاد الإسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم
وقوله تعالى **بعد عامهم هذا** يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى علي ببراءة وأن لا يحج بعد
العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة **وإن خفتم عيلة** يعني فقرا وفاقة وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم
من التجارات وكان المشركون يجلبون إلى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة الفقر وضيق
العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وإن خفتم عيلة **فسوف يغنيكم الله من فضله**
قال عكرمة فأغناهم الله بأن أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة
الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها **إن شاء** قيل
إنما اشترط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الإنسان دائم التضرع والابتهال إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات
وأن ينقطع العبد أمله من كل أحد إلا من الله عز وجل فإنه هو القادر على كل شيء وقيل إن المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم
رعاية الأدب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله **إن الله عليم** يعني بما يصلحكم **حكيم** يعني أنه تعالى لا يفعل
شيئا إلا عن حكمة وصواب فمن حكمته أن منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه
وسلم بغزو الروم فغزى بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل
الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المسلمين والمعنى قاتلوا
أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فإن قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم
الآخر فكيف أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت إن إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين وذلك أن اليهود
يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وأما إيمانهم باليوم الآخر
فليس كإيمان المؤمنين وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون
ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن وقوله تعالى **ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله** يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا يحرمون ما حرم رسوله
في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم **ولا يدينون دين الحق**
يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الإسلام بدليل
قوله إن الدين عند الله الإسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم **من الذين
أوتوا الكتاب** يعني أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية** وهي ما يعطي المعاهد
من أهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم **عن يد** يعني عن قهر
وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد قال ابن عباس يعطونها بأيديهم [illegible] وقيل يعطونها مع
إقرارهم بإنعام المسلمين عليهم بقبولها منهم **وهم صاغرون** من الصغار وهو الذل والإهانة يعطون الجزية
وهم أذلاء مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من أحدهم وتوطأ

عنقه

عنقه وقال الكلبي إذا أعطى يصفع قفاه وقيل هو أن يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقال له أد حق الله يا عدو الله وقال
الشافعي الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم

فصل

في بيان حكم الآية أجمعت الأمة على جواز أخذ الجزية
من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب
الشافعي إلى أن الجزية على الأديان لا على الأنساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ولا تؤخذ من عبدة الأوثان
بحال واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن دمه وصالحه
على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال إنه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن
وعامتهم عرب وذهب مالك والأوزاعي إلى أن الجزية تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل
الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو
مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فاتفقت الصحابة على الأخذ منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة
ابن عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخذها من مجوس هجر أخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما أدري كيف أصنع في أمرهم
فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في موطئه
عن ابن شهاب قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وأن عمر أخذها من مجوس فارس وأن عثمان
أخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه
وسلم أخذها منهم دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تؤخذ من كل مشرك وإنما تؤخذ من أهل الكتاب وروي عن علي بن أبي
طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسري على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم
ومناكحتهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فإن كانوا دخلوا فيه
قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وإن دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم
ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في أمرهم أنهم هل دخلوا فيه بعد
النسخ أو قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب من تنوخ
وبهراء وبني تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل أهل الكتاب
فهم في أهل الكتاب كأهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فأقلها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني
والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلى اليمن أمره أن
يأخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا أو عدله من المعافري ثياب تكون باليمن أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم
أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية
من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين وذهب قوم إلى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط
دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول أصحاب الرأي ويدل عليه ما روي عن أسلم أن عمر بن الخطاب جعل الجزية على
أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهما مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك
في الموطأ قال أصحاب الشافعي أقل الجزية دينار لا يزاد على الدينار إلا بالتراضي فإذا رضي أهل الذمة بالزيادة ضربنا
على المتوسط دينارين وعلى الغني أربعة دنانير قال العلماء إنما أقر أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل الشرك
حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل وأيضا فإن بأيديهم كتبا قديمة
فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته فأمهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من ذلك حقن
دمائهم وإنما هو رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا إليه بأن يؤمنوا ويصدقوا إذا رأوا محاسن الإسلام وقوة دلائله

وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم** الآية لما ذكر الله تعالى في الآية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق بيّنه في هذه الآية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوّز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من عبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقاؤهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذين القولين القائل بهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فاضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل فنزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فاذّن في قومه وقال يا قوم لقد اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذه الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بختنصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما اماته الله مائة سنة قال فاتى ملك باناء فيه ماء فسقاه منه فمثلت له التوراة في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذا القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت واتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وادخلوه بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكا فعلّم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلّم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلّم ملكا ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس الى ما علمتك وامره ان يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني سأذبح نفسي

تقربا

تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله قال الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم ففشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة الحال ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له **يضاهون** قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون **قول الذين كفروا من قبل** قال قتادة معناه النصارى ضاهت قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهئون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم **قاتلهم الله** قال ابن عباس لعنهم وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله **انى يؤفكون** يعني انى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجّب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم الباطل قوله تعالى **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم اشياء وحرموا عليهم اشياء من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك • واحبار سوء ورهبانها **والمسيح ابن مريم** يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية **وما امروا** يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيائهم **الا ليعبدوا الها واحدا** لانه هو المستحق للعبادة لا غيره **لا اله الا هو سبحانه عما يشركون** اي تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال **يريدون** يعني يريد رؤساء اليهود والنصارى **ان يطفئوا نور الله بافواههم** يعني يريد هؤلاء ابطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد الدال على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته والانقياد لعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين **ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون** يعني

ويأبى الله إلا أن يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون قوله عز وجل
هو الذي أرسل رسوله يعني أن الله الذي يأبى إلا أن يتم دينه هو الذي أرسل رسوله يعني محمداً صلى الله عليه وسلم
بالهدى يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً إليه **ودين الحق** يعني دين الإسلام **ليظهره** أي
ليعليه **على الدين كله** يعني على سائر الأديان وقال ابن عباس الهاء في ليظهره عائدة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى
ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة إلى الدين الحق والمعنى
ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد الله إلا به قال أبو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى
أهل دين إلا دخلوا في الإسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله
عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى
على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعز عزيز أو بذل ذليل إما يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا
به وإما أن يذلهم فيدينون له أخرجه البغوي بغير سند م عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أن ذلك تام قال إنه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفي كل
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم قال الشافعي فقد أظهر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم على الأديان بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل قال وأظهره بأن جماع
أهل الشرك دينان دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأميين حتى دانوا بالإسلام طوعاً
وكرهاً وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على
الدين كله **ولو كره المشركون** قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان** قد تقدم
معنى الأحبار والرهبان وأن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله إن كثيراً دليل على أن الأقل من الأحبار والرهبان
لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في
قوله تعالى **ليأكلون أموال الناس بالباطل** لأن المقصود الأعظم من جمع المال الأكل فسمي الشيء باسم
ما هو أعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقيل إنهم كانوا يأخذون الرشا من
سفلتهم على تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام وقيل إنهم كانوا يكتبون بأيديهم كتباً يحرفونها ويبدلونها ويقولوا هذه
من عند الله ويأخذون بها ثمناً قليلاً وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وصفته من كتبهم لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل إن التوراة كانت مشتملة
على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الأحبار والرهبان يذكرون في تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة
ويحرفون معانيها طلباً للرياسة وأخذ الأموال ومنع الناس عن الإيمان وذلك قوله تعالى **ويصدون عن سبيل الله**
يعني ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الإسلام **والذين يكنزون الذهب والفضة**
أصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز أي مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم
الله بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال
الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت
في مانعي الزكوة من المسلمين وذلك أنه لما ذكر قبح طريقة الأحبار والرهبان في الحرص على أخذ المال بالباطل [illegible] المسلمين
من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الناس منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس
بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين م

عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فإذا بأبي ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية
في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا
وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر علي
الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال إن شئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل
ولو أمروا علي حبشياً لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكوة فلم تؤد زكوته
وروي عن ابن عمر أنه قال له أعرابي أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكوتها فويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكوة فلما أنزلت جعلها الله
تعالى طهراً للأموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكنز
ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكوة وروى الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال أديت زكوته فليس بكنز
وإن كان مدفوناً وروي عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وقيل الكنز كل ما فضل من المال
عن حاجة صاحبه إليه وروى الطبري بسنده عن أبي أمامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا
في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكوة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لاحتياج غيره إليه فلما
فرضت الزكوة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين
فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكوة إلا ليطيب
ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء
المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود وعن ثوبان
قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره
فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر
وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والصحيح من هذه الأقوال القول
الأول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر أن كل مال أديت زكوته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر وأن كل ما لم تؤد زكوته
فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان مما تجب فيه الزكوة ويستحق على منع الزكوة الوعيد من الله إلا أن يتفضل الله عز وجل عليه
بعفوه وغفرانه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها إلا إذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت
أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله
فالإبل قال ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها منها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما
كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم
لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها
وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله
إما إلى الجنة وإما إلى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت
بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام وحكي إسكانها
وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الأرض الواسع والأملس والعقصاء هي الشاة الملتوية القرنين وإنما استثناها

لانها لا تولم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمرق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين قوله تعالى **ولا ينفقونها في سبيل الله** يعني لا يؤدون زكوتها وانما قال ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس **فبشرهم بعذاب اليم** يعني للكافرين الذين لا يؤدون زكوة اموالهم (ق) عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطأه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اولاها عليه حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى **يوم يحمى عليها** يعني على المكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة **في نار جهنم فتكوى بها جباههم** يعني بالمكنوز جباه كانزيها **وجنوبهم وظهورهم** قال ابن مسعود لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا اتاه السائل فطلب منه شيئا فتبدو منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح ويجمع اسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب والح في السؤال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطاء والبذل وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيمة وهو قوله تعالى **هذا ما كنزتم لانفسكم** اي يقال لهم ذلك يوم القيمة **فذوقوا ما كنتم تكنزون** اي فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت احدا منهم رجع اليه شيئا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه فقلت ما شيء سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا** وهو المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاول وجمادى الآخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة بدوران الايام فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من اجل النسيء الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل

ان عدد شهور سنة المسلمين التي تعبدوا بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا **في كتاب الله** يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه جميع احوال الخلق وما يأتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به **يوم خلق السموات والارض** يعني ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنا عشر شهرا **منها** يعني من الشهور **اربعة حرم** وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه وابنه واخيه في هذه الاربعة اشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم **ذلك الدين القيم** يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول لو اوجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس هذا يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه ثم قال الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى **فلا تظلموا فيهن انفسكم** قيل الكناية فيهن ترجع الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن قال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في تلك الاوقات عن فعل الظلم والقبائح والمنكرات فربما تركها في بعض الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة وقوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفين الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وبالطائف ثقيفا وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ وقال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالنصر والمعونة على اعدائهم قوله تعالى **انما النسيء زيادة في الكفر** النسيء في اللغة عبارة

عن التأخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام إلى شهر آخر وذلك أن العرب
في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة
معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الأشهر وكانوا
يكرهون تأخير حربهم إلى الأشهر الحلال فينسئوا يعني أخروا تأخير تحريم شهر إلى آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيستحلون
المحرم ويحرمون صفر فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع الأول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى
استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في شهر ويحجون من قابل في شهر آخر قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين
فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر
في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام
المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم
العاشر بمنى وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم
خلق السموات والأرض وهو قوله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض
الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الأيام واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس
والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني
قال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم وكان يكون على الناس في الموسم فإذا هم الناس بالصدر قام
فخطب فيقول لا مرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون
فيه فيقول إن صفر في هذا العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة من الرماح وإن قال حلال
عقدوا أوتار القسي وركبوا الأسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي
أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم وفينا
ناسئ الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك إذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أول من سن
النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة أن عمرو بن لحي أول من سيب السوائب وقال فيه
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله إنما النسيء
زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة أنهم أمروا بإيقاع في وقته من الأشهر الحرم ثم إنهم بسبب أغراضهم
الفاسدة أخروه إلى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فأوقعوه في غير وقته من الأشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم
يضل به الذين كفروا قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا أتباعهم من الناس
وهم أيضا ضالون في أنفسهم وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه يضل به الله الذين كفروا أو يضل به الشيطان
الذين كفروا ابتزين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا أتباعهم والآخذين بأفعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين
في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد **يحلونه عاما ويحرمونه عاما** يعني يحلون ذلك
الإنساء عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه
محرما فلا يغيروا فيه **ليواطئوا** يعني ليوافقوا **عدة ما حرم الله** يعني أنهم لما أحلوا شهرا من المحرم إلا
حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا من الحرم لأجل أن يكون عدد الأشهر الحرم
أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى **فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم**
قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني أنه تعالى لا يرشد من هو كافر
أثيم لما سبق له في الأزل أنه من أهل النار قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا**

في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد
واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا
فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في
سبيل الله أي اخرجوا إلى الجهاد يقال استنفر الإمام الناس إذا حثهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم إليه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم أي تثاقلتم وتباطأتم على الخروج إلى الغزو
إلى الأرض يعني ولزمتم أرضكم ومساكنكم وإنما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد
المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدو والزاد وكان ذلك الوقت وقت إدراك ثمار المدينة وطيب ظلالها
وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**
يعني أرضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ونعيمها من نعيم الآخرة **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**
يعني أن لذات الدنيا ونعيمها فإنه زائل منقطع عن قليل ونعيم الآخرة على الأبد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة
إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لأن الله تعالى نص على أن تثاقلهم عن الجهاد أمر منكر
فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل وأكد هذا الوعيد المذكور في الآية الآتية وهي قوله **إلا تنفروا**
يعني فإن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم **يعذبكم عذابا أليما**
يعني في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة وقيل إن المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سألت
ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر
فكان ذلك عذابهم **ويستبدل قوما غيركم** يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل
اليمن وفيه تنبيه على أن الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز دينه فإن سارعوا معه إلى الخروج
إلى حيث استنفروا حصلت النعمة لهم ولئلا يتوهموا أن إعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل إلا بهم وهو
قوله تعالى **ولا تضروه شيئا** قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لأنه غني عن العالمين
وإنما تضرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فإن الله ناصره على أعدائه ولا يخذله **والله على كل شيء قدير**
يعني أنه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون
لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا
كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل **إلا تنصروه فقد نصره الله** يعني إلا تنصروا
محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه إلى تبوك فأعلم الله عز وجل أنه هو
المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه وإعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء
فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد **إذ أخرجه الذين كفروا** يعني أنه تعالى نصره في الوقت
الذي أخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله **ثاني اثنين** يعني هو أحد اثنين وهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق **إذ هما في الغار** يعني إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار
والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة **إذ يقول لصاحبه لا تحزن** يعني يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لا تحزن وذلك أن أبا بكر خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل
الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسين بن الفضل من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو كافر لإنكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً ولا يكون كافراً عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن أبي
بكر الصديق قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه
أبصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر
والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم
توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه
منها اللفظ الدال على أن الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية
وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب أنه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه
وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار فلما انتهيا إليه قال والله
لا تدخله حتى أدخل قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكسحه ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها
به وبقي منها ثقبان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا أبا بكر قال لدغت فداك أمي وأبي فتفل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله
تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي
أخرجه في جامع الأصول ولم يرقم عليه علامة لأحد قال البغوي وروي أنه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا أبا بكر فقال أذكر الطلب
فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل
فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له إن أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وإن قتلت هلكت الأمة ذكر
سياق الهجرة وهو من أفراد البخاري عن عائشة قالت لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة
حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد
أن أسيح في الأرض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل
الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه
ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف كفار قريش فقال إن أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم
ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت
قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما
شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر
بذلك يعبد ربه ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه

فينقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن
فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن
يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا
فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فليفعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك وإنا قد كرهنا
أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك
عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر
فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني
رأيت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض
الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال
أبو بكر وهل ترجو بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده
من ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينا نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في
نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي
وأمي ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فإني قد أذن لي في
الخروج قال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي
يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما أحث الجهاز ووضعنا لهما
سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم
لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن أبي بكر
وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما
بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب
ساعة من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً والخريت الماهر بالهداية وقد غمس
حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال
فأتاهما صبح ثلاث فارتحلا فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فأخذ بهم طريق السواحل وفي رواية الساحل
قال ابن شهاب فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة
ابن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام
علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم
فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت
فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض
وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت
إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام
تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي

في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم الامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم بما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم يسألاني الا ان قال اخف عنا فسألته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر ابن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب عن عروة ابن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بياضا وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهيل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن وهو ينقل اللبن ويقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر ويقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخاري بطوله ❊ شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء لبني ثعلبة قوله يكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه ففيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال واقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده انا لك جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان اظهار المخفي وقوله تتقصف النساء عليه يعني ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واخفارهما نقضهما واللابة الجبل والحرة الارض التي يعلوها حجارة سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقوله ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول الليل وبتشديدها سير اخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين وهو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر وارادبه هداية الطريق وهو الدليل وقد غمس فلان حلفا في ال فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص

والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والفتا والغبار يقال ما رزأت فلانا شيئا اي ما اصبت منه شيئا والمراد انهم لم ياخذوا منه شيئا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء اي ذوي ثياب بيض والمربد الذي يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الاخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي تحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل عنده مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمل والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه الى ابي بكر الصديق وهو قوله ❊ قال النبي ولم نجزع يوقرني ❊ ونحن في سدف في ظلمة الغار ❊ لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ❊ وقد تكفل لي منه باظهار ❊ وانما كيد من تخشى بوادره ❊ كيد الشياطين قد كادت لكفار ❊ والله مهلكهم طرا بما صنعوا ❊ وجاعل المنتهى منهم الى النار ❊ وقوله تعالى **فانزل الله سكينته عليه** يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق في سره واعلانه من المؤمنين الصادقين المصدقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان ابا بكر لم يتخلف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلماء ان ابا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر اول من امن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يدي ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكانت ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر رضي الله عنه ومنها ان الله تعالى نص على صحبته ابي بكر دون غيره بقوله لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله وقوله تعالى **وايده بجنود لم تروها** يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيمة **وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيمة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا اقدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله ما وعده بالنصر والظفر بهم لكان ما وعده الله حقا وصدقا قوله تعالى **انفروا خفافا وثقالا**

يعني انفروا على الصفة التي تخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة
فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا قال ابن عباس
نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا يعني اغنيا وقال ابن
زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا اهل الميسرة
من المال وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحا ومرضا وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا
من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني
بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني
على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر
قلت من العلما من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية
قال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري
شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت
الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد ابن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه
فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب فكثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان
ابن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انت
معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول
وانها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم
خلف في المدينة في تلك الغزوة النسا وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد عليها من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله
اعلم وقوله تعالى **وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله** فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به
على تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض
او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون
نفسه **ذلكم خير لكم** يعني ذلكم الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل **لو كان عرضا قريبا** فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا
يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر
وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا **لاتبعوك** يعني لخرجوا معك **ولكن بعدت عليهم الشقة** اي المسافة
والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك
طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب
ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله تعالى **وسيحلفون بالله** يعني المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة **لو استطعنا لخرجنا معكم** يعني الى هذه الغزوة
يهلكون انفسهم يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة تهلك صاحبها **والله يعلم انهم لكاذبون** يعني في ايمانهم وهو قولهم
لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل **عفا الله عنك لم اذنت لهم** قال الطبري
هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص
الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهولاء المنافقين الذين يستاذنوك في ترك الخروج معك
الى تبوك قال عمرو ابن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفدا

من اسادى

من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال ابن عيينة انظر هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب **فصل**
استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي
سابقة الذنب الوجه الثاني انه قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى
عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان
معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتدا
الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي ابن الجهم يخاطب المتوكل ● عفا الله عنك الا بحرمة تعوذ بفضلك ان الا
الم تر عبدا عدا طوره ● ومولى عفا ورشيدا هدى ● اقلني اقالك من لم يزل ● يقيك ويصرف عنك الردى ● والجواب
عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة
او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو
يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه
وسلم وقال القاضي عياض في كتاب الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فانه امر لم يتقدم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا على من ذهب الى ذلك او قال به وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشا فيما لم ينزل عليه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم
اعلمه بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنب قال الداودي انها تكرمة وقال
مكي هو افتتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم
يعني في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **حتى
يتبين لك الذين صدقوا** يعني في اعتذارهم **وتعلم الكاذبين** يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يوميذ حتى نزلت براة وقوله تعالى **لا يستاذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم** اي في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف
لظهوره **والله عليم بالمتقين** يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته **انما يستاذنك** يعني في
التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر **الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر** وهم المنافقون لقوله تعالى
وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان
ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا **فهم في ريبهم يترددون** يعني ان المنافقين متحيرين لا مع الكفار
ولا مع المؤمنين وقد اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهو قوله تعالى انما
يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه
الجمع بين هذه الايات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان فاذا عرض لاحدهم استاذن
في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون
في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر **ولو ارادوا الخروج** يعني الى الغزو معك **لاعدوا
له عدة** لهيئوا له باعداد الات السفر والات القتال من الكراع والسلاح **ولكن كره الله انبعاثهم** يعني خروجهم
الى الغزو معكم **فثبطهم** يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سوال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون

فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه
وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى
اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت
لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل
انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود **وقيل اقعدوا مع القاعدين** معناه انهم لما استاذنوا
في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال
بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استاذنوه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله تعالى بان القى في قلوبهم القعود لما كره
انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين الله تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى **لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا** يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا واصل الخبال الاضطراب
ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا و
المراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوله **ولا اوضعوا
خلالكم** يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم **يبغونكم الفتنة**
يعني يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون
منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر **وفيكم سماعون**
قال مجاهد يعني وفيكم عيون يؤدون اليهم اخبارهم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم
يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها
منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين لهم اقارب
من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال **والله عليم
بالظالمين** وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله **لقد ابتغوا الفتنة من قبل**
يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا كما فعل عبد الله بن ابي بن سلول
يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم **وقلبوا لك الامور** يعني واجالوا في امرك وفي ابطال دينك الراي وبالغوا في
تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك **حتى جاء الحق** يعني النصر والظفر **وظهر امر الله وهم كارهون**
يعني ذلك قوله عز وجل **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني** نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم
سراري ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر
عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يعني في التخلف
والقعود في المدينة ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم **الا في الفتنة سقطوا** يعني انهم وقعوا في الفتنة
العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه **وان جهنم لمحيطة بالكافرين**
يعني يوم القيمة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى **ان تصبك حسنة تسؤهم** يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر
وغنيمة تحزن المنافقين **وان تصبك مصيبة** يعني من هزيمة او شدة **يقولوا** يعني المنافقين **قد اخذنا امرنا**
يعني قد اخذنا بالحذر والحزم في القعود عن الغزو **من قبل** يعني من قبل هذه المصيبة **ويتولوا وهم فرحون**

يعني

يعني مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا** يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين
يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح لان القلم جف بما هو كائن
الى يوم القيمة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا اراده مما لم يقدر له
هو مولينا يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحيوة **وعلى الله فليتوكل
المؤمنون** يعني في جميع امورهم **قل هل تربصون بنا** يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها
المنافقون **الا احدى الحسنيين** يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب
الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل
في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي
فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى **ونحن نتربص بكم** يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوئين **ان يصيبكم الله بعذاب من عنده**
يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية **او بايدينا** يعني او يصيبكم بايدي المؤمنين بان
يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم **فتربصوا انا معكم متربصون** قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا
متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه **قل انفقوا طوعا او كرها** نزلت في الجد
بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله تعالى
ردا عليه قل اي قل يا محمد لهؤلاء المنافق وامثاله في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طائعين من قبل انفسكم
او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق **لن يتقبل منكم** لان هذا الانفاق انما وقع
لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء
وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله **انكم** اي لانكم **كنتم قوما فاسقين** والمراد
بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى **وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله** اي المانع
من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله **ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى** جمع كسلان يعني متثاقلين
في الاتيان الى الصلوة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم مع فعلها
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما
فلا تعجبك يا محمد **اموالهم ولا اولادهم** وهذا الخطاب ولو كان مخصصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد
به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد
انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان
ان لا يعجب بشيء من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه بماله
وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى **انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا** فان قلت
كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير
تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب كون
المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق
في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير في نظم الاية
واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل احد من بني ادم مؤمنهم وكافرهم فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب

في الدنيا وأجيب عن هذا الإيراد بأن المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة
وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون
الآخرة وأنه ليس له فيها ثواب فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه
في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن وقيل إن تعذيبهم بها في الدنيا أخذ الزكوة
منهم والنفقة في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الولد المنافق على قتل ولده وذهاب
ماله وقيل تعذيبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره في إنفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الآخرة على ملك
لا يعذره **وتزهق أنفسهم** أي وتخرج أنفسهم **وهم كافرون** والمعنى أنهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم
بعد عذاب الآخرة قوله عز وجل **ويحلفون بالله** يعني المنافقين **إنهم لمنكم** يعني على دينكم وملتكم **وما هم منكم**
يعني أنهم كاذبون في إيمانهم **ولكنهم قوم يفرقون** يعني أنهم يخافون أن يظهروا على ما هم عليه من النفاق **لو يجدون
ملجأ** يعني حرزا وحصنا ومعقلا يلجئون إليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا إليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون
عندهم على أنفسهم منكم لصاروا إليهم ولفارقوكم **أو مغارات** يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي
يغور فيه الإنسان أن يستتر **أو مدخلا** يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الأرض كنقب اليربوع وقال الحسن وجها
يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم **لولوا إليه** والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه
الوجوه الثلاثة وهي شر الأمكنة وأضيقها لولوا إليه أي لرجعوا إليه وتحرزوا فيه **وهم يجمحون** يعني وهم يسرعون
إلى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم
إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياكم قوله عز وجل **ومنهم من يلمزك في الصدقات** نزلت
في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج ق عن أبي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويلك من يعدل إذا لم أعدل وفي رواية خبت وخسرت إن لم أعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فأضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية
يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل
من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث
عهد بأعرابية أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل فما عدلت
فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد
إلا من أحب ولا يؤثر بها إلا هواه فأنزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال همزه ولمزه يعني واحد أي عابه **فإن أعطوا منها** يعني من الصدقات **رضوا**
يعني رضوا عنك **وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** يعني وإن لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا **ولو أنهم
رضوا ما آتاهم الله ورسوله** يعني ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما آتاهم الله
ورسوله **وقالوا حسبنا الله** أي كافينا الله **سيؤتينا الله من فضله ورسوله** يعني ما نحتاج إليه **إنا إلى الله
راغبون** يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف تقديره
لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** الآية اعلم أن المنافقين لما لمزوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الآية أن المستحقين للصدقات هذه الأصناف
الثمانية ومصرفها إليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيبون عليه

فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته
فأتاه رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات
حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك أخرجه أبو داود **فصل** في بيان حكم هذه
الآية وفيه مسائل المسئلة الأولى في بيان وجه الحكمة في إيجاب الزكوة على الأغنياء وصرفها على المحتاجين من الناس وذلك
من وجوه الأول أن المال محبوب بالطبع وسببه أن القدرة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل
تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع وإذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
المقربة إلى الله تعالى فاقتضت الحكمة الإلهية بإيجاب الزكوة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب
من الله عز وجل بإخراج الزكوة منه الوجه الثاني أن كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل إلى شهواتها ولذاتها
فأوجب الله تعالى الزكوة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكوة امتحان العبد
المؤمن لأن التكاليف البدنية غير شاقة على العبد وإخراج المال مشق على النفس فأوجب الله تعالى الزكوة على العباد
ليمتحن بإخراج الزكوة المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع أن المال مال الله والأغنياء
خزان الله والفقراء عيال الله فأمر الله تعالى خزانه الذين هم الأغنياء أن يدفعوا طائفة من ماله إلى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع
المسارع إلى امتثال الأمر المشفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله ق عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إن الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه
إلى الذي أمر له به أحد المتصدقين الوجه الخامس أن الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالأموال التي بأيدي الأغنياء فأوجب الله عز وجل نصيبا
للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس أن المال الفاضل عن حاجة الإنسان الأصلية إذا أمسكه بقي معطلا
عن المقصود الذي لأجله خلق المال فأمر بدفع الزكوة إلى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسئلة الثانية
الآية تدل على أنه لا حق لأحد في الصدقات إلا لهؤلاء الأصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لأن كلمة إنما تفيد الحصر وذلك
لأنها مركبة من إن وما فكلمة إن للإثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل بذلك على أن
الصدقات لا تصرف إلا إلى الأصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الأصناف الثمانية فالصنف الأول الفقراء والثاني المساكين
وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة
والزهري الفقير الذي لا يسئل والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم والتمرة إلى التمرة ولكن الفقير من
أنقى نفسه وثيابه ولا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج
وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن والمسكين من له مال أو حرفة ولكن لا تقع منه
موقعا لكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير وقال أبو حنيفة وأصحابه الفقير
أحسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه أن الله تعالى حكم بصرف
الصدقات إلى هؤلاء الأصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقير وإنما يبدأ بالأهم فالأهم فلو لم تكن
حاجتهم أشد من حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار وقال لبيد لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم
كالفقير الأعزل قال ابن الأعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير إنما سمي فقيرا لزمانته وحاجته الشديدة
وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيمة رواه الترمذي من حديث أنس فلو كان المسكين أسوأ حالا من الفقير لما تعوذ
من الفقر وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالا من الفقير ولأن الله تعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فأثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولأن الغنى والفقر ضدان

والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوأ حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارة للمساكين فلو لم يكن اشد حالا من غيره لما جعلها الله تعالى له واحتج ايضا بقول الراعي ٭ اما الفقير الذي كانت حلوبته ٭ وفق العيال فلم يترك له سبد ٭ واحتج ايضا بقول الاصمعي وابو عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء هو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال تعالى انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهي حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارة للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير [illegible] جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله ابن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغني الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي قال اصحاب الراي ان يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين من الزكوة وقيل اربعين درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما الصنف الثالث **والعاملين عليها** وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سواء كانوا فقراء او اغنياء وهذا قول ابن عمر والشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع **والمؤلفة قلوبهم** وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن زيد بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله عليه السلام كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين

وهم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم من الكفار في موضع لا يبلغهم جيوش من المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدون اما لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكوة فياخذون منهم الزكوة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلثين بعيرا اما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجاء اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك واغنانا ان يتالف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وقالوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف الخامس قوله تعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب يضعفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكوة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف اليه فيما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى **الغارمين** اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم ما يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء ابن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيء الصنف السابع قوله تعالى **وفي سبيل الله** يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله وهو في الكل

فلا يختص بصنف دون غيره والقول الأول هو الصحيح لإجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله تعالى **وابن السبيل**
يعني المسافر من بلد إلى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر: أنا ابن الحرب ربتني وليدا
إلى أن شبت واكتهلت لداتي. فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره
سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل
هو الحاج المنقطع وقوله تعالى **فريضة من الله** يعني أن هذه الأحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل
فرض الله هذه الأشياء فريضة **والله عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره
نقص ولا خلل المسئلة الرابعة في أحكام متفرقة تتعلق بالزكوة اتفق العلماء على أن المراد بقوله إنما الصدقات للفقراء
هي الزكوة المفروضة بدليل قوله خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها إلى بعض الأصناف
دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء إلى أنه لا يجوز صرفها كلها إلى بعض الأصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة
وإليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب أن يقسم زكوة ماله على الموجودين من الأصناف الستة الذين سهمانهم ثمانية
قسمة على السواء لأن سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الأصناف
الستة لا يجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إن وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة جاز فإن لم
~~يجد من بعض الأصناف وجاز~~ فإن لم يجد من بعض الأصناف إلا واحدا دفع حصة ذلك الصنف إليه ما لم يخرج عن حد الاستحقاق
فإن انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقين وذهب جماعة من العلماء إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الأصناف
أو إلى شخص واحد منهم جاز لأن الله تعالى إنما سمى هذه الأصناف الثمانية إعلاما أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية
لا إيجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء وإليه ذهب سفيان الثوري
وأصحاب الرأي وابن حنبل قال أحمد يجوز أن يضعها في صنف واحد وتفريقها أولى وقال إبراهيم النخعي إذا كان المال كثيرا يحتمل
الأجزاء قسمه على الأصناف وإن كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الأولى فالأولى
من أهل الخلة والحاجة فإن رآها في الفقراء قدمهم وإن رآها في عام في صنف آخر حولها إليهم وكل من دفع إليه شيء من الصدقة لا
يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج إليه فإن حصل أدنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء وإن كان
محترفا لكنه ليس آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد لا
يعطى الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجل واحد من الزكوة مائتي درهم فإن أعطاه من يظنه
فقيرا فبان أنه غني فهل يجزيه فيه قولان ولا يجوز أن يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال
أبو حنيفة والشافعي لا يعطي والدا وإن علا ولا ولدا وإن سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى
وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع إليهم من الزكوة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم موالي القوم منهم وقال مالك لا تحرم
واختلفوا في نقل الصدقة من بلد المال إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك
البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث
بطوله في الصحيحين واتفقوا على أنه إذا نقل المال إلى بلد آخر وأداه إلى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض إلا ما حكي عن عمر بن عبد
العزيز فإنه رد صدقة حملت من خراسان إلى الشام فردها إلى مكانها من خراسان والله أعلم قوله تعالى **ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن** نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه
ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين
بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فإنما محمد أذن أي ذو أذن سامعة كلما يقال له يقبله
وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال محمد بن إسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان أرقم شاير الشعر

أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر
إلى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا
صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا فأنزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين هو أذن أنه ليس بعيد غور بل
هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فأجاب الله تعالى عنه بقوله **قل أذن خير لكم** يعني هب أنه أذن لكنه أذن
خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى أنه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير بالرفع والتنوين
فيهما ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** يعني أنه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وإنما
عدى الإيمان بالله بالباء والإيمان للمؤمنين باللام لأن الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى إلا بالباء فيقال آمنت بالله
والإيمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال إلا باللام ومنه قوله أنؤمن لك وقوله آمنتم له
ورحمة أي هو رحمة **للذين آمنوا منكم** وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين الله تعالى
أنه رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لأنه يجري أحكام الناس على الظاهر
ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** يعني في الآخرة قوله
عز وجل **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد
ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم
غلام من الأنصار اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله إن ما يقول محمد حق
وأنتم شر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر
أنهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله هذه
الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه
يعتذرون ويحلفون فأنزل الله هذه الآية والمعنى يحلفون لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم من
أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ورسوله أحق أن يرضوه** اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود
فقيل الضمير عائد على الله تعالى لأن في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة
والإخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل المعنى والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله
إن كانوا مؤمنين يعني إن كان هؤلاء المنافقين مصدقين بوعد ووعيد في الآخرة قوله تعالى **ألم يعلموا**
قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه وأنكره فيقال له ألم تعلم أنه كان كذا وكذا ولما طال مكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه فخاطب المنافقين
ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا **أنه من يحادد الله ورسوله** يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل
المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلانا إذا صار في غير حده وخالفه في
أمره وقيل معنى يحادد الله ورسوله يعاند الله ورسوله **فأن له نار جهنم** أي فحق أن له نار جهنم **خالدا
فيها** يعني على الدوام **ذلك الخزي العظيم** يعني ذلك الخلود في نار جهنم هي الفضيحة العظيمة قوله عز وجل
يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون **أن تنزل عليهم سورة** يعني على المؤمنين **تنبئهم** يعني تخبر
المؤمنين **بما في قلوبهم** يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا فيما بينهم
يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة
والمبعثرة والمثيرة يعني أنها فضحت المنافقين وبعثرت عن أخبارهم وأسرارهم وبحثت عن مخازيهم ومثالبهم وقال

ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين
لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين **قل استهزؤا** امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم **ان الله**
مخرج اى مظهر **ما تحذرون** والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين
قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة
تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة
اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال بل يكفيناهم الله
بالدبيلة **م** عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أرأيتم قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهده اليكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا فيها
لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم
من صدورهم وقوله تعالى **ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب** الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم
ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال
له عوف كذبت ولكنك منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال محمد
بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة بن ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فاتاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك
قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في
اصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم وقال لهم قلتم
كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في مائع كالماء
والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث واذى **قل** اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين **أبالله و**
آياته ورسوله كنتم تستهزؤن فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء
بالله يعني بفرائض الله واحكامه وحدوده والمراد بآياته كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المنافقين لما قالوا
كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله
تعالى وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** يعني قل لهؤلاء المنافقين
لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر الموجدة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم
فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد اظهرتم

الايمان

الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم
بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى **ان نعف عن طائفة منكم**
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان
طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد
قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل
انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما سمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم
اني لا ازال اسمع آية تقرأ اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول
احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى **المنافقون**
والمنافقات بعضهم من بعض يعني انهم على امر واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا
منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه **يأمرون بالمنكر** يعني يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب
الرسول صلى الله عليه وسلم **وينهون عن المعروف** يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه
وسلم **ويقبضون ايديهم** يعني عن الانفاق في سبيل الله في كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن
اجراؤه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر
دفعه وايضا فان النسيان في حق الله تعالى محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا
امره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام
فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم
فيمن ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله
والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى **ان المنافقين هم الفاسقون** يعني هم الخارجون
عن الطاعة **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار** يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في
الخير والشر **نار جهنم خالدين فيها** فيه حذف تقديره بان يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها **هي حسبهم**
يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة **ولعنهم الله** يعني وابعدهم من رحمته وطردهم
عن بابه **ولهم عذاب مقيم** اي دائم لا ينقطع **فان قلت** قوله خالدين فيها بمعنى ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار
فما معناه **قلت** ليس ذلك تكرارا وبيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم
سوى الصلي بالنار ولقائل ان يقول هذا التأويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء
آخر الى عذاب النار واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب
من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم
في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب
المقيم وقوله **كالذين من قبلكم** هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى
فعلتم كافعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن
المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم عن طاعة الله تعالى واتباع
امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا
واولادا فقال تعالى **كانوا اشد منكم قوة** يعني بطشا ومنعة **واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم**
يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عن الآخرة والخلاق النصيب وهو

ما خلق للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فإن قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق الأولين ثانيا قلت فائدته أنه يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الأولين ثانيا وهذا كما تريد أن تنكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله وخضتم كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين أولئك حبطت أعمالهم يعني بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة يعني أن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها وأولئك هم الخاسرون والمعنى أنه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا أبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون ق عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى ألم يأتهم رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم نبأ يعني خبر الذين من قبلهم يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح يعني أنهم أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود ببعوضة وأصحاب مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وإنما ذكر الله عز وجل هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم أتتهم رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها الكفار والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فيعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني الذين استحقوا من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم قوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لما وصف الله تعالى المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني الموالاة في الدنيا والدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فإن قلت إنه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الأتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة وقوله تعالى يأمرون بالمعروف يعني بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون الصلوة يعني الصلوة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها ويؤتون الزكوة يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله يعني فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم أولئك يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله

لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنات والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد إن الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لأن العزيز هو الذي لا يمتنع عليه أراده فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أراد وإيصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما تقتضيه العدل والإنصاف وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار لما ذكر في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لأنه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يتقلبون فيها والجنات الأخر هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما خالدين فيها ومساكن طيبة يعني ومنازل يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني في بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فإن صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف وتقديره عدن دار الله التي أعدها لأوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباده عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض قال الإمام فخر الدين حاصل هذا الكلام أن في جنات عدن قولان أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الأخبار والآثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الأزهري مأخوذ من قولك عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنان كلها جنات عدن وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر يعني أن رضوان الله الذي ينزل عليهم أكبر مما سلف ذكره من نعيم الجنة ذلك هو الفوز العظيم إشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان ق عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة قال فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من هذا فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبدا

قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار يعني بالسيف والمحاربة والمنافقين يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ولما كان الأمر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لإظهاره الإسلام فقال ابن عباس أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة بإقامة الحدود عليهم يعني إذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لأن إقامة الحدود واجبة على من لم ينافق فلا تعلق لإقامة الحدود على المنافق وإنما قال الحسن وقتادة ذلك لأن غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الأقوال قول ابن مسعود لأن الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار إنما يكون بالسيف ومع المنافقين بإظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وهذا قول ابن مسعود واغلظ عليهم يعني أشدد عليهم بالجهاد والإرهاب ومأواهم جهنم وبئس المصير يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم إليها فإن قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم قلت إنما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على إظهارها فأما من تكلم بالكفر في السر فإذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال إني مسلم فإنه يحكم بإسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وإن كان معتقدا غير ذلك في الباطن لأن الله تعالى أمر بإجراء الأحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى لأنه العالم بأحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقونه قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة ابن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قبا فقال الجلاس إن كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن أو أن تصيبني قارعة وأن أخلط بخطيئته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا أني أخاف أن أخلط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا الآية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني الشيطان فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا إلى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله ابن أبي ابن سلول للأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فحلف بالله ما قاله فأنزل الله عز وجل هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر

بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده إلى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد الإسلام وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة أبي ابن أبي ابن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وستأتي القصة إن شاء الله تعالى في سورة المنافقين في موضعها وهموا بما لم ينالوا قال مقاتل هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية أن يفشيها عليه وقيل هم عبد الله ابن أبي ابن سلول وكان الذي همه قوله لئن رجعنا إلى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله ابن أبي ابن سلول تاجا فلم يصلوا إليه وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله أن المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن نقموا عليه وقيل أنهم بطروا النعمة فنقموا أشرا وبطرا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون من الله إلا الصنيع وهذا كقول الشاعر

ما نقم الناس من أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله ابن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة إن مولى لبني عدي قتل رجلا من الأنصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم يعني فإن يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل وإن يتولوا يعني وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصروا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا يعني بالخزي والإذلال والآخرة ويعذبهم في الآخرة بالنار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية روى البغوي بسنده الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر

ونصلي سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة
ايضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسئلهم عن الاخبار فذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا
من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم وخذا صدقاتهما
فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسئلاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة
ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات
ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رأيي
قال فاقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير
واخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الاية الى قوله بما كانوا يكذبون
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله
فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسئله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل
منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما
ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال
اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها منه
فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر فانا لا اقبلها منك
ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمن واخرجه الطبري ايضا بسنده قال بعض العلماء انما لم يقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة
له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع
من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن
عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت
منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال الحسن
ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله
لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السائب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك
جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بما
عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله
ليصدقن وليفعلن افعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى
الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا من الرزق لنصدقن ولنخرجن
من ذلك المال صدقة **ولنكونن من الصالحين** يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة
الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكوة وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد
والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكوة الواجبة وقوله ولنكونن
من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة **فلما آتيهم من**

فضله

فضله بخلوا به يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من اعمال البر شيئا **وتولوا** يعني عما عاهدوا الله عليه **وهم
معرضون** عنه **فاعقبهم نفاقا في قلوبهم** يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال اعقب فلانا ندامة اذا
صيرت عاقبة امره ذلك وقيل معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم **الى يوم يلقونه** يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى
يوم القيمة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه **بما اخلفوا الله ما وعدوه** يعني الصدقة والانفاق في سبيله **وبما
كانوا يكذبون** يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق
حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النواوي هذا الحديث
مما عده جماعة من العلماء مشكلا من الاحاديث لان هذه الخصال قد توجد في المسلم الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء
على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فان اخوة يوسف عليه السلام جمعوا
هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ
هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف في معناه فقيل ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه المنافقين في هذه
الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في
حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان
منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة
عليه فاما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا و
فجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعدما كان على خلافه وهو
مروي عن ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال كثير من ائمتنا
وحكى الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل
بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله
صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض
العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد في الوفاء به وقوله
تعالى **الم يعلموا** يعني هؤلاء المنافقين **ان الله يعلم سرهم** يعني ما تنطوي عليه صدورهم من
النفاق **ونجويهم** يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون
ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها **وان الله علام الغيوب** وهذا مبالغة في العلم بان الله تعالى
عالم بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوالهم قوله عز وجل **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
الاية ق** عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل
فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك باربعة الاف
فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم

وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله
بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه
احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله الذين يلمزون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف
وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **والذين لا يجدون الا جهدهم** يعني ابا عقيل
الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد
يكون القليل من المال الذي ياتي به فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما
اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج الى المال لغيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة **فيسخرون منهم** يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل
ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود
لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى **سخر الله منهم** يعني انه تعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك
وهو قوله **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة قوله تعالى **استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر
للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم
يا محمد وهذا كلام مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات
سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين في الذكر للمبالغة
في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد
على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ق عن ابن عمر
قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان
تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على
احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلوة عليهم **ذلك
بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين** يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك العفو
عنهم وترك المغفرة من اجل انهم اختاروا الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل **فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله** يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف فهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه
فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قوله تعالى **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله** والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد

وذلك

وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى **وقالوا
لا تنفروا في الحر** وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عز وجل عن هذا بقوله **قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون** يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر فان نار جهنم التي هي
موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان
ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز
وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله تعالى بالخروج **فليضحكوا قليلا** يعني فليضحك
هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه **وليبكوا كثيرا**
يعني مكان ضحكهم في الدنيا وانما هذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا
طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة
الى الدائم الباقي قليل **جزاء بما كانوا يكسبون** يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم
الخبيثة في الدنيا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان
لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع
الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله عز وجل **فان رجعك الله** يعني فان
رجعك الله يا محمد من غزاتك هذه **الى طائفة منهم** يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف
بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعذار **فاستاذنوك للخروج** يعني فاستاذنك المنافقون
الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى **فقل لن تخرجوا معي ابدا** يعني فقل يا محمد
لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا لا الى غزوة ولا الى سفر **ولن تقاتلوا معي عدوا
انكم** يعني لانكم **رضيتم بالقعود اول مرة** يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك **فاقعدوا مع الخالفين**
يعني مع المتخلفين من النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين
يقال صاحبه خالفه اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع
عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعر باظهار
نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل **ولا تصل على
احد منهم مات ابدا** الاية قال قتادة بعث عبد الله ابن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال
فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل نبي الله قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله اني لم ابعث
اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمات وكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على
احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي ابن
سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت
عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى
قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد

يومئذ

فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه فالله اعلم
قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفين وقال ابو هرون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله
يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفين فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة
لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له
قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه
الذي البسه **فصل** قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف
في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي عبد الله ابن ابي اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان
يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه بعد ما ادخل حفرته
فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله
عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلوة عليه فالظاهر والله اعلم
انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه اولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا
بعد ما ادخل حفرته فاخرج منها فنزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه
وسلم البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا
مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه
وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها
الترتيب وما المراد بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما
قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وفي شرح صحيح مسلم
له ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه
الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين واعظمهم
نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس انه قال كانوا ثلثماية رجل ومائة وسبعين امرأة
وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا
وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس
لابي وان امرتني ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس
على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من
بركته فاعطاه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له ولطلبته وقول
عمر اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر
من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلوة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث بالذي
شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا التاويل
فيها بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه بسند من هذه
وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا

وقال القرطبي

سياقة

يسيرا حتى انزلت عليه الآيات من براءة وقال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم
فهو اولى وقوله صلى الله عليه وسلم سازيد على السبعين غفر له لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر
بعضها بعضا فلذلك قال لو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت
مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات
كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر
والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع وغايته انه
وقع وكان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه فارتفع الاشكال بحمد الله والله
اعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا
وقد سأل ذلك واجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا
وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى
والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة
كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافئه بها ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل
بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من
قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ولا تقم على قبره** اي لا تقف عليه ولا تتول دفنه
من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه **انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**
وهذا تعليل لسبب المنع من الصلوة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان **قلت** الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا
النهي كونه كافرا فقد دخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر **قلت** ان الكافر
قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضمر لاحد سوء وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع
واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم تعالى بكونهم فاسقين
بعد ان وصفهم بالكفر قوله تعالى **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون** الكلام في هذه الآية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة
فيه ان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده واراد ان يكون المخاطب به على حال ولا يغفل عنه ولا ينساه
وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر
الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير اريد به التاكيد والمبالغة
في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوما من المنافقين
كان لهم اموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى اقواما آخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت
في الالفاظ في هاتين الآيتين وذلك انه تعالى قال في الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما
انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال
والاولاد فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو
وقال تعالى في الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب في هذا
ان حرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد ويدل عليه انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بالاولاد
اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف

اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه اينما ورد حرف لام فمعناه انه كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحيوة الدنيا وقال هنا في الدنيا والفائدة في اسقاط لفظ الحيوة تنبيها على ان الحيوة الدنيا بلغت في الخسة على انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حيوة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها فهذه جملة في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل **واذا انزلت سورة** يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السور فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد **ان** اي بان **آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا ثم تجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والاخرة وقوله تعالى **استأذنك اولوا الطول منهم** قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة من المال وهم رؤساء المنافقين وكبراؤهم وفي تخصيص اولوا الطول بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لانهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان **وقالوا** يعني اولوا الطول **ذرنا نكن مع القاعدين** يعني في البيوت من النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** قيل الخوالف النساء اللاتي تخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم **وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** يعني وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد قوله تعالى **وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم** وجاء المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه دفعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبأني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين وروي عن ابن عمرو بن العلاء انه لما قيل هذا الكلام فقال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة على الله فهم المراد بقوله **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا وما اعتذروا

وظهر بذلك انهم كذبوا على الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان **سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم** يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل **ليس على الضعفاء** لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبر ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال تعالى **ولا على المرضى** والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فالمرضى يدخل فيهم اهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون** يعني الفقراء العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور **حرج** اي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج اي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي ليس في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى **اذا نصحوا لله ورسوله** ومعناه انهم اذا اقاموا في البلد واحترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو واقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله تعالى وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله **ما على المحسنين من سبيل** اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل **والله غفور** يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع **رحيم** يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية في عائذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى **ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم** يعني ولا حرج ولا اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك يعني يسألونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وهم في الجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا لما جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه قال فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني قالوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا قال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوه ان يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة

والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون فسموا بالبكائين فذلك قوله تعالى
قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع قال صاحب الكشاف هو كقوله
تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل حزنا
ان لا يجدوا ما ينفقون يعني على انفسهم في الجهاد انما السبيل لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى
في حق من يعتذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة على الذين يستأذنونك يا محمد في
التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنياء يعني قادرين على الخروج معك رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني رضوا
بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان والقعود معهم وطبع الله على قلوبهم يعني ختم
عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الآخرة
فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هؤلاء المنافقون
المتخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المؤمنين
فلهذا قال تعالى يعتذرون الاعذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا
قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبأنا الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم
وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستأنف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بانهم سينصرون
المؤمنين في المستقبل فلهذا قال تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله هل توفون بما قلتم ام لا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
يعني يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ما في ضمائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد وقوله
عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم يعني اذا رجعتم اليهم من سفركم يعني الى المتخلفين بالمدينة
الى المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما
اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام والسلام قال مقاتل قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال اهل المعاني انهم طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت
ثم ذكر العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم قبيحة ومأواهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم
وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها
وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم
يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون بالله لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون بما حلفوا لكم
عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني ان الله لا يرضى بما في قلوبهم من النفاق والشك وان رضيتم عنهم انتم
قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في اعراب اسد وغطفان واعراب من حول المدينة اخبر الله ان كفرهم ونفاقهم اشد
قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ وجمع
الاعرابي على الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب ولهذا اذا قيل للعربي يا اعرابي
فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب فالعرب افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب
في كون الاعراب اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر
يعني واحرى واخلق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله يعني من الفرائض والسنن

والاحكام والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرائضه واحكامه ومن الاعراب من يتخذ ما
ينفق مغرما يعني لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق خوفا او رياء والمغرم التزام ما لا يلزم
والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسلمين او مراءاة لهم ولم يرد
بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص يعني وينتظر بكم الدوائر يعني بالدوائر تقلب الزمان وصروفه التي
تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دائرة السوء اي يعني
بل يتقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ودينه الا
ما يسوءهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وارادة السوء للمؤمنين
نزلت هذه الآية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارأيتم ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة
فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية
ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارأيت ان كان اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد
وغطفان قال خابوا وخسروا قال نعم ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله
لها زاد مسلم في رواية اما اني لم اقلها ولكن الله قالها ق عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار و
جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله قوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله
جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى وصلوات الرسول يعني ويرغبون في دعاء النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى الصلوة الرسول
ويحتمل انها تعود الى الانفاق وكلاهما عند الله قربة وهذه شهادة من الله تعالى للمتصدق المؤمن بصحة ما اعتقد من كون نفقته
قربات عند الله وصلوات الرسول مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى
انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعمة هي اقصى مرادهم ان الله غفور للمؤمنين المنفقين
في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي
رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم
جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي
الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم
واوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرؤوا والسابقون الاولون الى آخر الآية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في السابقين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة
دون السيئة قال حميد فكأني لم اقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة
اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء اول من آمن بعد خديجة علي بن ابي طالب
وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل
كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس

والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهولاء الاربعة سابقوا الخلق الى الاسلام وقال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولاء النفر الثمانية اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله ابن رئاب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ثم ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهولاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب صرف المجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه ونصروه وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قوله تعالى **والذين اتبعوهم باحسان** قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيمة قال عطا هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنين او ثلاثا ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول الصحابة والقرن امة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين والمد المذكور في الحديث هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير لتأخره من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة **واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم** قوله تعالى **وممن حولكم من الاعراب منافقون** ذكر جماعة من المفسرين من المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هولاء منافق وما ذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا امكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه

وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم اقوام منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير تقديره وممن حولكم من الاعراب **ومن اهل المدينة** منافقون **مردوا على النفاق** اي يعني مردوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منها قال تعالى **لا تعلمهم** يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار **نحن نعلمهم** اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت **سنعذبهم مرتين** اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى **ثم يردون الى عذاب عظيم** وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان اعلمه الله بحالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والاسر وهذا قول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحق الاولى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل الاخرى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل **واخرون اعترفوا بذنوبهم** فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله واخرون عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا انكون في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هولاء فقالوا هولاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فاطلقهم واعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى

خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه
فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه
بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا
شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية فقيل قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث
يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ
من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا
وخبرهم واما تفسير الاية فقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا
بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم
بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنوب توبة ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف
والندم توبة قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل
السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى سائر الغزوات والسيء هو تخلفهم عن غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيء
ما كان بضده فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القران اية ارجى عندي من هذه الاية قوله
واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به
قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلطوا فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الممتزجين
كل واحد من الخليطين بالاخر ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتكون الواو
عبارة عن الباء فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيء ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي
وقال لا يليق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما على حاله
كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم
والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تنبيه على نفي القول بالمحابطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان
من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن
كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح
لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم قال ابن عباس
وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى عسى الله ان ياتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني عسى هنا
تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما كان يفعله على سبيل التفضل
والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو بذل ما يرجوه
منه اقرب لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم وهذا يفيد انجاز الوعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة
وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا

يعني يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ منها شيئا حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ
من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة
فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا
في كمال توبتهم لتكون جارية في مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان
الزكوة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا الزكوة امر الله تعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنياء ودفعها الى
الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكوة واما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات
لا بد وان تكون منتظمة متناسبة فلو حملناها على اخذ الزكوة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق لما قبلها ولا بما
بعدها ولان جمهور المفسرين في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة
حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال فامروا باخراج
الزكوة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكوة قدر
معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم
فلذلك يكونوا اضيفوا باخراج الزكوة اولى ثم في هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي يا محمد خذ من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ايام حياته ياخذها ثم اخذها الائمة من بعده فيجوز
للامام او نائبه ان ياخذ الزكوة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من اموالهم ولفظة من تقتضي
التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدرها وصفتها في اخذ الصدقة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فيجب الزكوة في جميع المال
حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكوة انما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور
الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكوة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة
ثم اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم وللعلماء في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه
خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة
تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة من اوساخ
الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون
قوله تعالى وتزكيهم بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير يا محمد خذ من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم
انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم
وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين
الى منازل الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله تعالى وصل عليهم
يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلوة في اللغة الدعاء قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان
يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق
وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم
يستحب ان يقول اللهم صل على آل فلان ويدل عليه ما روي عن عبد الله ابن ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ان صلوتك
وقرئ صلواتك على الجمع سكن لهم يعني ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكون لهم وقيل ان الله
قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون

فوله وصل عليهم

وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى

نفوسهم اليها وان الله قد قبل توبتهم او قبل زكواتهم **والله سميع** يعني لاقوالهم او لدعائك لهم **عليم** يعني بنياتهم
ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام إلا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين
بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا أن الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل
إن المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا
من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالأمس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فأنزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة وقوله
تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله على عباده ومن عباده إذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما
فرق ولعل عن في هذا الموضع أبلغ لأن فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **ويأخذ الصدقات**
يعني ويقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر بلفظ الأخذ ترغيبا في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات
تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقير أو السائل هو الآخذ لها
وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وأن الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كان تمرة فتربو
في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب
طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل
الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى إن اللقمة لتصير
مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات
وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وأن الله تعالى قد قبلها من المعطي لأن من
عادة الفقير أو السائل أن يأخذ الصدقة بكفه اليمين فكأن المتصدق قد وضع صدقته في القبول والإثابة وقوله تربو أي
تكبر يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان ما يولد للفرس والفصيل ولد الناقة إلى أن يفصل عنها
قوله تعالى **وأن الله هو التواب الرحيم** تأكيد لقوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم بأن الله
هو التواب الرحيم قوله تعالى **وقل** أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين **اعملوا** يعني بطاعة الله وأداء فرائضه **فسيرى الله عملكم
ورسوله** فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم و
يجازيكم عليها **والمؤمنون** يعني ويرى رسوله والمؤمنون أعمالكم أيضا أما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاع الله إياه
على أعمالهم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغضة المفسدين **وستردون إلى
عالم الغيب والشهادة** يعني وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم
فينبئكم أي فيخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من خير أو شر فيجازيكم على أعمالكم **وآخرون مرجون**
أي مؤخرون والإرجاء التأخير **لأمر الله** يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم إن الله تعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون
وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم
وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله وآخرون
مرجون لأمر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث أن القسم الثاني سارعوا إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث
توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فأخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة
بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة
وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس
يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى **إما يعذبهم وإما يتوب عليهم**

إلى الله تعالى إن شاء عذبهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم **والله عليم** يعني بما في قلوبهم **حكيم** يعني فيما يقضي
عليهم قوله عز وجل **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا** نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون
به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد
وثعلبة بن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف وأبو حبيبة بن الأزعر ونبتل
بن الحارث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله تعالى ورسوله
وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك
إلى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولما أرادوا بنيانه فلما فرغوا من
بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني
على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى **وإرصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل** يعني أنهم بنوا هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية
ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال النبي عليه
الصلاة والسلام جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال أبو عامر فأنا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك لست عليها
قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية
فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أبا عامر الفاسق
الكذاب فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم
يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم
من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار
إلى جانب مسجد قباء فذلك قوله تعالى وإرصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله
من قبل بناء مسجد الضرار **وليحلفن** يعني الذين بنوا **إن أردنا** يعني ما أردنا ببنيانه **إلا الحسنى**
يعني إلا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه أن
يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله
فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهو رهط مالك بن الدخشم فقال لهم مالك أنظروني حتى أخرج
إليكم بنار فدخل إلى أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه
وتفرق أهله عنه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات
أبو عامر بالشام غريبا وحيدا وروي أن بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه أن يأذن
لمجمع بن جارية أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس هو إمام مسجد الضرار فقال مجمع يا أمير المؤمنين لا تعجل علي
فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما أضمروا عليه ولو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا
لا يقرؤون فصليت بهم ولا أحسب إلا أنهم يتقربون إلى الله تعالى ولا أعلم ما في أنفسهم فعذره عمر وصدقه وأمره بالصلاة
في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله تعالى على عمر بن الخطاب الأمصار أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأمرهم أن لا يبنوا في موضع
واحد مسجدين يضار أحدهم الآخر وقوله تعالى **والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا**

ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار **لمسجد اسس على التقوى**
اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس يعني اصله بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على تقوى الله
عز وجل **من اول يوم** يعني من اول يوم بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى **احق ان تقوم فيه**
يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا
لمسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومنبري على حوضي ق عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين منبري و[بيتي] روضة من رياض
الجنة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي قوله رواتب
يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد
قبا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن
ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال وكانوا يستنجون بالما فنزلت
هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب اخرجه ابو داود وهكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية ابي داود
والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية
في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على [انه] مسجد قبا ما روي عن ابن عمر قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج
الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى اتى الى مسجد قبا فيصلي فيه كان
له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي
وقوله تعالى **فيه رجال يحبون ان يتطهروا** يعني من الاحداث والجنابات وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين
قال عطا كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره
صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة وقال رفعه البغوي وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذكره وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا
اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور فقالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا ان جيرانا لنا
من اليهود راينا هم يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام
فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب
هو المؤثر في القرب الى الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين
والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي
وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من
الكفر والنفاق والمعاصي وقيل يحتمل ان يكون محمولا على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي
وطهارة الاعضا يعني الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء **والله يحب المطهرين** فيه مدح لهم وثناء

عليهم

عليهم والرضا عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله تعالى **افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان** يعني طلب ببنائه المسجد الذي بناه على تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان
قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه **خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار** الشفا هو الشفير وشفا كل شي هو
حرفه ومنه يقال اشفى على ذلك اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو
عبيد الجرف المكان الذي هو الهوة وما يجرفه السيل من الارض فيتحفر وقيل هو من هار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى
بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشي الرخو **فانهار به** يعني سقط بالباني **في نار جهنم والله لا يهدي القوم
الظالمين** والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم يتهوى باهله فيها وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد
الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل افمن اسس بنيانه دينه على
قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ممن اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا
وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار فانهار واذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط
في نار جهنم لان الباني الاول قصد ببنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناه اشرف البنا والباني الثاني قصد ببنيانه
الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه اخس البناء وكان عاقبته الى جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار
ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فرؤي الدخان يخرج منها وقال جابر رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار **لا
يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة** يعني شكا ونفاقا **في قلوبهم** والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في
قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا
غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة لقلوبهم وقيل انهم كانوا محبين في بنايه كما حبب العجل
الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي
لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي حزازة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** اي تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء
اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها **والله عليم** يعني باحوالهم
واحوال جميع عباده **حكيم** يعني بما حكم به عليهم قوله تعالى **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة** الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين
رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع قالوا
لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال اهل
المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا له في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملكه والاشيا كلها ملك لله تعالى
ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة
والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزاء
لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا واشترى فهذا معنى الاشترا من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد
باموالهم اموالا لانفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة **يقاتلون في سبيل الله** هذا تفسير
لتلك المبايعة وقيل معناه الامر اي قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعداء الله **فيقتلون ويقتلون**
في طاعة الله وسبيله **وعدا عليه حقا** يعني ذلك الوعد **في التورية والانجيل والقران** يعني ان هذا الوعد الذي
وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود
في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل **ومن اوفى بعهده من الله** يعني لا احدا اوفى بالعهد من الله

فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم به **وذلك** يعني هذا البيع **هو الفوز العظيم** لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك قال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن وعنه ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر الاخرة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى **التائبون** قال الفراء استؤنف لفظ التائبين بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال التائبون بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه الحسن كانه وعد الجنة لجميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا لله وكان الوعد بالجنة خالصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله تعالى التائبون يعني تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق والتائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول امور اربعة اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته **العابدون** يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهو ان تكون العبادة خالصة لله تعالى **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء والضراء وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعم دنيا واخرى **السائحون** قال ابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصائم سائحا لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه كان ممسكا عن المآكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك الشهوات وقال عطاء السائحون هم الغزاة في سبيل الله ويدل عليه ما روي عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة امتي في الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السائح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويعود عليه من بركتهم ويرى عجائب اثار بركة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدل على تعظيم وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته **الراكعون الساجدون** يعني المصلين وانما عبر عن الصلوة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره **الامرون بالمعروف** يعني يامرون الناس بعبادة الله وحده **والناهون عن المنكر** عن الشرك بالله وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل قبيح وقول نهى الله عباده عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه فاما دخول الواو في الناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التائبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر **والحافظون لحدود الله** قال ابن عباس يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لحدود الله يعني لفرائض الله وهم اهل الوفا ببيعة الله وقيل هم المؤدون فرائض الله المنتهون الى امر الله ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي لزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه

وبشر المؤمنين يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله اذا وفوا الله بعهده وانه موفيهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر المؤمنين من فعل هذه الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى اخر الاية فان لهم الجنة وقوله عز وجل **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى** اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية فقال قوم في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت ابو طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابو عبيدة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعود لتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر كلمة كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك لان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من اخر القران نزولا قلت الذي في ابي طالب قوله فانك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار كتابه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة عند الله فابى فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الاية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الاية ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلي منها دماغه وفي رواية تغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لغضبك قال هو في ضحضاح من نار فلولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك ويحفظك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح من نار وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه امنة فوقف حتى حميت الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وروى الكلبي بسنده عن ابي بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله ما راينا ما صنعت فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن بريدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضا وصلى ركعتين ثم بكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الناس لبكائه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي وصليت ركعتين ثم استاذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستاذنت ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية م عن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي ان استغفر لها فلم يؤذن لي فاستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من ابائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية حتى عذر الله ابراهيم فقال
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية وعن علي بن ابي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له
استغفر لابويك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين [illegible] لان الله لا يغفر للمشركين [illegible] النهي عن الاستغفار
للمشركين ولو كانوا اولي قربى [illegible]
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم يعني تبين لهم انهم اصحاب الشرك وماتوا عليه فهم من اصحاب الجحيم
وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده واما قوله تعالى وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فمعناه فما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة
وعدها ابراهيم اياه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما انزل الله تعالى خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك
سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت اولم يستغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان
ابراهيم ليس بقدوة في الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجاء الاسلام فلما تبين له انه عدو
لله تبرأ منه فعلى هذا الهاء في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان اباه وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم
سأستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل الهاء راجعة الى اب ابراهيم وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه
ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه قوله ايضا قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة فلما تبين له انه
عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله تبرأ منه وقيل لما تبين له في الاخرة انه عدو لله يعني
بموته على الكفر وقيل يحتمل ان الله اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو له تبرأ منه ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم اقل لك لا تعصيني فيقول
ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك قد وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت
الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري
وادغبره فتبرأ منه القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والانثى
ذيخة وقوله تعالى ان ابراهيم لأواه حليم وقد جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه
الكثير الدعاء وقال ابن عباس هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال
كعب الاحبار الاواه هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم عليه السلام يكثر ان يقول آه من النار قبل ان لا ينفع آه
وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع
عما يكره الله الخائف من النار وقال ابو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة وقال الزجاج
انتظم في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التأوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء والفعل منه
أوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويشتد حرها
فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح
عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لارجمنك
فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله ابراهيم عليه السلام

بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباده فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة
تبرأ من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه الحالة ايضا قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم الهداية و
وفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا
ما صدر منهم فاعلمهم ان ذلك ليس بضائرهم حتى يبين لهم ما يتقون يعني ما يأتون ويذرون ويتقدم عليهم
بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي عن الاستغفار فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل
النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية
وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم في معصيته وطاعته عامة وقال انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه وقال
مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله
ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك
الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن على
ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ
ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما ذكرنا ونهاكم عن الاستغفار للمشركين
ويعلم ما يليق لكم من اوامره ونواهيه ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك
السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم ما يشاء يحيي ويميت يعني انه تعالى يحيي من يشاء على الايمان
ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الاية تاب الله بمعنى تجاوز الله وصفح عن النبي والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي
صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل
لا انه ذنب توجب عقابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة
عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان
لله خمسه وللرسول فهو تشريف له اما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود
عن غزوة تبوك لانها في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انها لا تقدر على قتال الروم كيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم
وعفى عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلوا من زلات وتبعات في مدة عمره
اما من باب الصغاير ومن باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا المشاق في هذا السفر
ومتابعته وصبروا على تلك الشدايد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر عفى الله لهم وتاب عليهم ما تحملوا من الشدايد العظيمة
في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في
الدين فانهم قد بلغوا الى الرتبة التي ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم الذين اتبعوه في ساعة تلك الغزوة
من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ما بين راكب وماش من
المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل في ساعة العسرة يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة
الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر
والزاد والماء قال الحسن العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك

وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يده صلى الله عليه وسلم فلم يرجعها حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك قوله تعالى **من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم** يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من شدة المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى **ثم تاب عليهم** فان قلت قد ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفى عنهم ثم اتبعه بقوله **انه بهم رؤوف رحيم** تاكيدا لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله عليهم يعني ابا لبابة واصحابه واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك القول الثاني انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واما حديث توبة كعب بن مالك فيها من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن كعب وكان يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى مني ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك حتى استمر الناس بالجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى استمر بالناس الجد ولم اقض شيئا حتى اسرعوا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا حتى اسرعوا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى تفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم

فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم انج منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي ثم قال قلت لهم هل لقي هذا احد معي قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية فذكروا لي رجلين صالحين كانا قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلوة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلوة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله ما به من حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما يدريني ما يقول لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحالة التي ذكرها الله عنا قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت على نفسي سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فقال تاب الله عليك قال فخررت ساجدا وعلمت انه قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنؤني بالتوبة ليهنك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني ووالله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت اني امسك سهمي الذي بخيبر ثم قلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا في الارض وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا واجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم علي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني منهم احد ولا يسلم علي ولا يصلي علي احد قال فانزل الله توبتنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله حتى تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل والناقة القويان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله تعالى الفوز العظيم قوله فجلاهم بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم

واظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليه اصعرهم بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبينه من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهر بثه اي يظهره زاح عني الباطل اي اذا زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج من عهدة ما اردت بما اشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم حتى تنكرت في الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي وصارت كانها ارض لا اعرفها وقوله واما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط ابي قتادة اي علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزارعون وهم من العجم او الروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة ارسل بها ملك غسان فاحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت اتام يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور وقوله انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد به كما قيد هنا لقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله ان لا اكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤه امرنا تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطؤكم ويزدحمون عليكم واصل الوطي الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام انتهى والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا وضاقت عليهم انفسهم يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم وظنوا ان لا ملجا يعني لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيدا لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ليرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو التواب يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله يعني في مخالفة امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع من صدقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال ابو سفيان وسعيد بن جبير مع الصادقين يعني مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجز له اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الآية

على الأنصار في يوم السقيفة وذلك أن الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الأنصار إن الله تعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الأنصار أنتم هم فقال أبو بكر إن الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الأمراء وأنتم الوزراء وقيل مع بمعنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين **ما كان لأهل المدينة** يعني لساكني المدينة من المهاجرين والأنصار **ومن حولهم من الأعراب** يعني سكان البوادي من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام في كل الأعراب لأن اللفظ عام وحمله على العموم أولى **أن يتخلفوا عن رسول الله** يعني إذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يرغبوا** يعني ولا أن يرغبوا **بأنفسهم عن نفسه** يعني ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لأنفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن ولا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة والسفر ومقاسات التعب **ذلك بأنهم لا يصيبهم** في سفرهم وغزواتهم **ظمأ** أي عطش **ولا نصب** أي تعب **ولا مخمصة** أي جوع شديد **في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار** يعني ولا يطئون قدما على الأرض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم **ولا ينالون من عدو نيلا** يعني أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة ونحو ذلك قليلا كان أو كثيرا **إلا كتب لهم به عمل صالح** يعني إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم وقوله **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** يعني أن الله لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه في أمره وفيما نهاه عنه أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة كان له قيامه وقعوده ومشيه وحركته فيها كلها حسنات ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته فيها كلها سيئات إلا أن يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه من الأنصار إلا بعذر فأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن العزيز يقولون في هذه الآية إنها لأول هذه الأمة وآخرها فعلى هذا تكون محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان الإسلام قليلا فلما كثر نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم وقال الواحدي هذا هو الصحيح لأنه تتعين الطاعة والإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة إذا ندبوا وعينوا لأنا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص ذلك ببعض دون بعض لأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد والله أعلم قوله عز وجل **ولا ينفقون** يعني في سبيل الله **نفقة صغيرة ولا كبيرة** يعني تمرة فما دونها وأكثر منها حتى علاقة سوط **ولا يقطعون واديا** يعني ولا يجاوزون في سيرهم واديا مقبلين أو مدبرين فيه **إلا كتب لهم** يعني كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم **ليجزيهم الله** يعني يجازيهم **أحسن ما كانوا يعملون** قال الواحدي معناه بأحسن ما كانوا يعملون قال الإمام فخر الدين الرازي فيه وجهان الأول أن الأحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والمباح والثاني أن الأحسن صفة للجزاء أي يجزيهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن أعمال العباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال

من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (م) عن ابن مسعود الأنصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فأنزل الله يخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذر قومهم إذا رجعوا إليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال إنه كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم فيأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم نادوا أن من أسلم فهو منا وينذروهم حتى أن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون إليه من أمر الدين وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم ويدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد إن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** يبتغون الخير وقعد طائفة ليتفقهوا وليسمعوا ما أنزل الله ولينذروا قومهم من الناس إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا إلا بإذنه فإذا رجعت السرايا وقد نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الأقوال كلها الطبري وأما تفسير الآية فيمكن أن يقال إنها من بقية أحكام الجهاد ولكن يمكن أن يقال إنها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال الأول فقد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى الغزاة لا يتخلف عنه إلا منافق أو صاحب عذر فلما بالغ الله تعالى في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا إلى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكليتهم إلى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفروا إلى الجهاد ولأن ذلك الوقت كانت

الحاجة داعية الى انقسام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان
احكام الشرايع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فالملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم يحفظون ما انزل من الاحكام وما تجدد من الشرايع فاذا
قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد
وقعد طائفة **ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم** الذين نفروا الى الجهاد **اذا رجعوا اليهم** من غزوهم **لعلهم
يحذرون** يعني مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ورسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل التفقه صفة للطائفة
النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك
ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفئة
القليلة قد غلبت جماعة كثيرة فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل النصر والفتح و
الظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب
عنهم بانهم اذا علموا ان الله ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم ليكون ذلك فقها في الدين واما الاحتمال الثاني
وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدا لا تعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرجوا الى البوادي واصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نريكم الا وقد تركتم صاحبكم
وجئتمونا فوجدوا من ذلك في انفسهم حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الاية والمعنى هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وتقعد طائفة ليتفقهوا في الدين وليذهبوا الى الناس النافرين لينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه
دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم
والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية ق عن معوية قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى
تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه
الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه هو التوصل الى علم
غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرايع واحكام الدين وذلك ينقسم
الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة ومعرفة احكام الصلوة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم
الشرع يجب عليه علمها مثل علم الزكوة اذا صار له مال تجب في مثله الزكوة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية
من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام
به من كل بلد واحد حتى يبلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه
ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة القائمة
التي يعمل بها متصلا لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضايها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم
يدعى عظيما في ملكوت السموات اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلوة النافلة قوله عز وجل

يا ايها

يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب
قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة
من العراق وقال بعضهم وابن زيد يلونكم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا
او يعطوا الجزية عن يد نقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فصارت ناسخة لقوله تعالى
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ فانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق
الاصوب الاصلح وهو ان يبدوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين
كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل منهم الى
قتال ساير العرب ثم الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى غزوة الروم في الشام فكان فتحه
في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى ساير الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنايم
على الابعد وقوله تعالى **وليجدوا فيكم غلظة** يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن
صبرا على جهادهم **واعلموا ان الله مع المتقين** يعني بالعون والنصر وقوله تعالى **واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا** يعني واذا انزل الله سورة من سور القران فمن المنافقين من يقول يعني لبعضهم
بعضا ايكم زادته هذه ايمانا يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول
المنافقون ذلك لبعض المؤمنين فقال تعالى **فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا** يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله
تعالى ومعنى الزيادة ضم الشيء الى جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة واعترفوا
انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام في زيادة الايمان في اول سورة الانفال
وهم يستبشرون يعني المؤمنين يفرحون بنزول القران شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب
في الاخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى **واما الذين في قلوبهم
مرض** اي شك ونفاق وسمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى العلاج **فزادتهم** اي نزول السورة
من القران **رجسا الى رجسهم** يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول القران او سورة او استهزءوا بها ازدادوا
كفرا الى كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر **وماتوا** يعني هؤلاء المنافقين
وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية الايمان
يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان
يبدو لمعة بيضاء في القلب فكلما ازدادوا في الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله والنفاق يبدو لمظة
سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه
ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله عز وجل **اولا يرون** قرئ ترون بالتاء على خطاب
المؤمنين وقرئ بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض **انهم يفتنون** اي يبتلون **في كل عام
مرة او مرتين** يعني بالامراض والشدائد بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون
ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين **ثم لا يتوبون** يعني من النفاق ونقض العهد
ولا هم يذكرون ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين **واذا ما انزلت سورة**
يعني في عيب المنافقين وتوبيخهم **نظر بعضهم الى بعض** يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة
هل يريكم من احد يعني هل يراكم احد من المسلمين ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان
علموا ان احدا من المؤمنين يراهم اقاموا ولبثوا على تلك الحال **ثم انصرفوا** يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة

وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون **صرف الله قلوبهم** يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم **بانهم قوم لا يفقهون** يعني لا يتفهمون عن الله دينه ولا شيء فيه نفعهم قوله عز وجل **لقد جاءكم رسول من انفسكم** هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضريها وربيعيها ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه ينسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنة لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان من سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيبا للعرب في نصره والايمان به فانه ثم شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء ومعناه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم يحمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى **عزيز عليه ما عنتم** اي شديد عليه عنتكم اي مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم **حريص عليكم** يعني حريص على هدايتكم وان يهديكم الله **بالمؤمنين رؤف رحيم** يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله تعالى **فان تولوا** فان اعرضوا هؤلاء المنافقون والكفار عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك للحرب **فقل حسبي الله** يعني يكفيني الله وينصرني عليكم **لا اله الا هو عليه توكلت** لا على غيره وبه وثقت **وهو رب العرش العظيم** انما خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب قال هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة آخر القرآن نزولا وفي رواية عنه قال احدث القرآن بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الايتين والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه السلام

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخر الثلاث قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا آيتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع آيات والف وثمانمائة واثنان وثلثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الر** قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ونون حروف مقطعة الرحمن وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية **تلك آيات الكتاب** يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الايات هي آيات الكتاب الحكيم وفيه قول آخر ان المراد بآيات الكتاب هو القرآن الذي انزله حكاه الطبري عن قتادة وعن مجاهد انها التورية والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التورية والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التورية والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف الهجا التي منها الر سميت آيات لافتتاح السور وسور القرآن **الحكيم** يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القرآن حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم بمعنى المحكم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث دل عليه على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس عجبا** سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس ان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قالت المشركون الله اعظم من ان يكون له رسولا بشرا مثل محمد فقال الله تعالى اكان للناس عجبا **ان اوحينا الى رجل منهم** فقال وما ارسلنا من قبلك الاية والهمزة في اكان همزة استفهامية ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة وقيل العجب حالة تعترض الانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته **ان انذر الناس** يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار بسرور وهو قوله تعالى **وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم** اختلفت عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت في شعره

لنا القدم العليا اليك وخلفنا • لاولنا في طاعة الله تابع •

وقال الليث وابو الهيثم القدم السابق والمعنى انه سبق لهم عند الله خير وقال ذو الرمة حيث يقول

• وانت امرؤ من اهل بيت ذؤابة • لهم قدم معروفة والمفاخر •

قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة في شعره

• لكم قدم لا ينكر الناس انها • على الحسب العادي طمت على البحر •

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال آخر

• صل لذي العرش واتخذ قدما • ينجيك يوم العثار والزلل •

وقوله تعالى **قال الكافرون ان هذا لساحر مبين** وقرئ لسحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي

وانذرهم قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التى لا يقدر
احد من البشر ان يصل الى مثلها ومن قرأ لسحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث
والنشور وكانوا ينكرون ذلك **ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم
استوى على العرش** تقدم تفسيره فى سورة الاعراف بما فيه كفاية فقوله تعالى **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه وحده
وقيل معنا التدبير تنزيل الامور فى مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضى ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو
فى ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات و
الارض فلا يحدث حادث فى العالم العلوى ولا فى العالم السفلى الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمته **ما من شفيع الا من
بعد اذنه** يعنى لا يشفع عنده شافع يوم القيمة الا من بعد ان يأذن له فى الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب
والحكمة فى تدبيره فلا يجوز لاحد ان يسأله اذن فاذا اذن له فى الشفاعة كان له ان يشفع فيمن يأذن له وفيه رد على كفار قريش
فى قولهم ان الاصنام تتصرف فى جميع العالم **ذلكم الله ربكم** يعنى الذى خلق هذه الاشياء ودبرها هو الله ربكم وسيدكم
لا رب غيره سواكم **فاعبدوه** يعنى اى فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه المستحق للعبادة بما انعم الله عليكم من النعم العظيمة
افلا تذكرون يعنى افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والاشارات والايات التى تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله
اليه مرجعكم جميعا يعنى الى ربكم الذى خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيمة والمرجع بمعنى الرجوع **وعد الله**
يعنى وعدكم الله وعدا ذلك **حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده** اى يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول
مجاهد فانه يحييه ثم يميته ثم يحييه وفى هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث
ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت
والبلى فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان لاول مرة اخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فى المرة الاولى
لم يمتنع تعلقها مرة اخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى
وهو قوله تعالى **ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط** يعنى بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا **والذين
كفروا لهم شراب من حميم** هو ماء حار قد انتهى حره **وعذاب اليم بما كانوا يكفرون** قوله عز وجل **هو الذى جعل الشمس ضياء**
يعنى ذات ضياء **والقمر نورا** يعنى ذا نور واختلف العلماء واصحاب الكلام فى الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم او عرض
والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا
خص الشمس بالضياء لانها اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار
فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر **وقدره منازل** قيل الضمير فى وقدره يرجع
الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل او وقدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير فى وقدره
للايجاز فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير
القمر فى المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة فى الشرع مبنية على رؤية الاهلة والسنة
المعتبرة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهى الشرطين والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر
والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد
الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه كلها منازل القمر وهى مقسومة على اثنى عشر
برجا وهى الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى
والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ثم يستتر ليلتين

ان كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة **لتعلموا عدد السنين** يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا
بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها **والحساب** يعنى ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها
وزيادتها **ما خلق الله ذلك الا بالحق** يعنى للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا
ولا عبثا **يفصل الايات لقوم يعلمون** يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة
الله تعالى ووحدانيته **ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات
لقوم يتقون** تقدم تفسير هذه الاية فى نظايرها **ان الذين لا يرجون لقاءنا** اى لا يخافون لقاءنا يوم القيمة
فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا بمعنى لا يخاف ومنه قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابى ذويب الهذلى . اذا لسعته النحل لم يرج لسعها . اى لم يخفه والرجاء يكون
بمعنى الخوف والطمع فيكون المعنى لا تطمعون فى ثواب **ورضوا بالحيوة الدنيا** يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها
فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها **واطمأنوا بها** يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها بزينة الدنيا وزخرفها وهذه
الطمانينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والحزن فاذا سمعوا الانذار
والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم **والذين هم عن اياتنا غافلون** قيل المراد بالادلة التوحيد وقال ابن عباس
عن اياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون اى معرضون **اولئك مأويهم النار بما كانوا
يكسبون** يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم** يعنى يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لاعمالهم الصالحة وقال يهديهم الى الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا
يمشون به وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا
عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانبارى يجوز ان يكون
المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى
ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اى بتصديقهم هديهم **تجرى من تحتهم الانهار**
يعنى بين ايديهم ينظرون اليها من اعالى اسرتهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به انه تحتها
وهى قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجرى بامرهم **فى جنات النعيم** يعنى ذلك لهم فى جنات النعيم
دعويهم فيها سبحانك اللهم اى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعا اى دعاؤهم فيها
وهى كلمة تنزيه من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم فى الطعام فاذا ارادوا
الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم فى الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل فى ميل على كل مايدة سبعون الف صحيفة
فى كل صحيفة لون من طعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما اعطاهم فذلك قوله تعالى واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتقديس لله
عز وجل والثناء عليه بما هو اهله وفى هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن
جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون
ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح
والحمد اخرجه مسلم قوله جشاء اى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا وقوله تعالى **وتحيتهم فيها سلام** يعنى
يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام **واخر دعويهم
ان الحمد لله رب العالمين** قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب الماكول
والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشىء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين

فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكر الله والثناء عليه وقيل
إنهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم
في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل على نفسه وأهله وماله وولده بما يكره أن يستجاب
له فيه استعجالهم بالخير يعني كاستعجالهم بالخير ولما يحبون أن يعجل لهم إجابة دعائهم لقضي إليهم أجلهم يعني
لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة إن الناس عند الغضب
والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة وإعطاء السؤل يقول لو أجابهم الله
تعالى إذا دعوا بالشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه
يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال
والولد لعجل قضى آجالهم ولأهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
يعني فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون
يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فإنما أنا
بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك
يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل وإذا مس الإنسان الضر أي الشدة والجهد والمراد
بالإنسان في هذه الآية الكافر دعانا لجنبه أي على جنبه مضطجعا أو قاعدا أو قائما يريد جميع حالاته لأن الإنسان
لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى أن المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته إلى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعا
أو قائما أو قاعدا وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى إذا مس الإنسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما وهذا القول
فيه بعد لأن ذكر الدعاء إلى هذه الأحوال أقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره يعني فلما أزلنا عنه ما
نزل به من الضر ودفعناه عنه مر يعني على طريقته الأولى قبل مس الضر كأن لم يدعنا فيه حذف تقديره كأنه
لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف إلى ضر مسه والمعنى أنه استمر على حالته الأولى قبل أن يمسه الضر
ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين للكافرين
هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لأنه مالك الملك والخلق كلهم عبيده ويتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين
هو الشيطان وذلك بإقدار الله تعالى إياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفا لأنه أتلف
نفسه وضيعها في عبادة الأصنام وأتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الأصنام وسدنتها يعني
خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين
لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم بيان مقصود الآية وهو أن الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء
قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فإذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله
إزالة ما نزل به من المحنة والبلاء فإذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع إلى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل
الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فإنه بخلاف ذلك فيكون صابرا على البلاء شاكرا عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء
في أوقات الراحة والرفاهية وهاهنا مقام أعلى من هذا وهو أن المؤمن إذا ابتلي ببلية أو نزل به مكروه يكون مع ذلك
صابرا راضيا بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع أحواله ويعلم العبد المؤمن أن الله تعالى
مالك الملك على الإطلاق وحكيم في جميع أحواله ويعلم العبد المؤمن أن الله تعالى له التصرف بما يشاء ويعلم أنه إن أبقى عليه
تلك المحنة فهو عدل وإن أزالها فهو فضل قوله تعالى ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يعني أهلكنا الأمم الماضية

من قبلكم يخوف بذلك كفار قريش لما ظلموا يعني لما أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات يعني فكذبوهم وما كانوا
ليؤمنوا يعني هذه الأمم برسلهم وتصديقهم بما جاءوا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما
أهلكنا الأمم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم أيها المجرمون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم
خلائف في الأرض من بعدهم الخطاب لأهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس
خلفاء في الأرض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم لننظر كيف تعملون يعني خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب
أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب
العلم وجاز في وصف الله تعالى إظهارا للعدل لأنه تعالى يعامل العبد معاملة من يطلب العمل بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه
كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدي والرازي (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا
الدنيا معناه فاحذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء قوله عز وجل وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
يعني وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك
قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني قال هؤلاء المشركين الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لأنهم
لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فإنه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ائت بقرآن غير هذا
أو بدله قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز
بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تريد
أن نؤمن بك فأت بقرآن غير هذا أو بدله ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وإن لم ينزل الله عليك فقل
أنت من نفسك أو بدله فاجعل آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الإمام فخر الدين الرازي اعلم أن
إقدام الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا
ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى أنه لو فعل ذلك علموا أنه كان كذابا في قوله إن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى
قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون إلا مع وجوده وهو أن يبدل
بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله قل أي قل يا محمد لهؤلاء
ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي يعني إن هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي أن أغيره
من قبل نفسي ولم أومر به إن أتبع إلا ما يوحى إلي يعني فيما آمركم به ولا أنهاكم عنه وما أخبركم إلا ما يخبرني الله
به وإن الذي أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم أي قل
لهم يا محمد إني لأخشى من الله إن خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبني بعذاب أليم في يوم يذهل كل مرضعة
عما أرضعت قوله عز وجل قل أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم
يعني لو شاء الله لم ينزل علي هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم ولا أدراكم به قال ابن عباس ولا أعلمكم به وقيل
ولا أدراكم به يعني ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل أن أوحي
هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وعلموا أحواله لم يطالع كتابا ولم يتعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم من بعد الأربعين جاءهم بهذا
الكتاب المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز
العلماء والفصحاء والبلغاء معارضته فكل من كان له عقل وفهم ثابت يعلم أن هذا لم يحصل إلا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله
تعالى أفلا تعقلون يعني أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إلي لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو ابن اربعين ثم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم امر بالهجرة فهاجر بالمدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه
وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى منذ سبع سنين
او ثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشر سنين وتوفي ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين خ عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجه مسلم ق عن ربيعة ابن ابي عبد الرحمن
قال انس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ابيض اللون ليس
بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل انزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين
ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ستين سنة وليس في شعر راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا اخرجاه في الصحيحين قال
الشيخ محيي الدين ورد في عمره ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمسة
وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعايشة وابن عباس واتفق العلماء
على ان اصحها ثلاث وستون سنة وتاولوا الباقي عليه فروا انه ستون اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمسة
متاولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت صوتا الهاتف من الملايكة ويرى الضوء يعني نور الملايكة ونور ايات الله
حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد بالشديد البياض كلون الجص وهو كريه
المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة قوله عز وجل **فمن اظلم ممن افترى**
على الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا القران من عند
الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد لما قال احد في الدنيا اظلم على نفسه
مني حيث افتريته على الله لما كان هذا القران من عند الله اوحاه الي وحينيذ يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم
من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القران من عند الله فقد كذبتم بايات الله وهو قوله **او كذب باياته** يعني جحد بايات الله
يكون القران من عند الله وانكر دلايل التوحيد **انه لا يفلح المجرمون** يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يعني ويعبد هولاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان
عصوها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا تليق الا بمن
يضر وينفع وهذه الاصنام حجارة لا تضر وجماد لا تضر ولا تنفع **ويقولون هولاء** يعني الاصنام التي يعبدونها **شفعاؤنا**
عند الله قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل ان نعبد الله ولكن نشتغل
بعبادة الاصنام فانها تكون لنا شافعة عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة
قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قال ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم
قال الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت **قل** اي قل يا محمد **اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض**
يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله
بذلك التشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لو كان معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل
هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه
قط ولا وقع **سبحانه وتعالى عما يشركون** نزه الله تعالى نفسه عن الشركا والاضداد والانداد وتعالى ان يكون
له شيء في السموات والارض قوله تعالى **وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا** يعني فتفرقوا الى مومن وكافر
يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان ادم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل
قابيل هابيل ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا
بعد ذلك وكانوا على دين الاسلام على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس

في قوله

في قوله وما كان الناس الا امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله تعالى في سورة البقرة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم
بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر
فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه اشار
بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث
فطرة الاسلام قوله تعالى **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى في سابق ازله قال
الكلبي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب **لقضي بينهم** يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين
لكان ذلك فصلا بينهم **فيما فيه يختلفون** وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله
انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه في الثواب والعقاب دون يوم القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم
وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد
اقامة الحجة عليه الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن
اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا **ويقولون** يعني كفار مكة **لولا انزل**
عليه اية من ربه يعني لولا نزل على محمد ما اقترحه عليه من الايات **فقل** اي فقل لهم يا محمد **انما الغيب لله** يعني ان
الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو **فانتظروا**
يعني نزولها **اني معكم من المنتظرين** وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل اني معكم
من المنتظرين قوله عز وجل **واذا اذقنا الناس رحمة** يعني رخاء ونعمة **من بعد ضراء مستهم** يعني من بعد
شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار اهل مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا
من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم وانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصب البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا
بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله تعالى **اذا لهم مكر في اياتنا** قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء
وقال مقاتل ابن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد
الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس
فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا
بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله ومومن بالكواكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان قد وقع بالليل وسمي المطر سماء
لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد
ذلك من وجود مطر وريح كما تزعم المنجمون ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من
ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل على ذلك التاثير اما
من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك للعادة التي يجوز انخراقها فقد كرهه جماعة وحرمه قوم
ومنهم من تاول الكفر بكفر نعمة الله تعالى والله اعلم وسمى تكذيبهم بايات الله مكرا لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه
الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد **قل الله اسرع مكرا**
اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا اذا قادر على الجزاء وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما
قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيمة **ان رسلنا يكتبون ما تمكرون**
يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيمة حتى يفتضحوا بها ويجزون
على مكرهم قوله تعالى **هو الذي يسيركم في البر والبحر** يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهور

الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا في المعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر **حتى اذا كنتم في الفلك** يعني في السفن ولفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع وتقديرها مختلفات فان أريد بها كان كبناء قفل وان أريد بها الجمع كان كبناء حمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى **وجرين بهم بريح طيبة** وجرت السفن بركابها فان **قلت** ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة **قلت** قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليتعجبهم منها ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده هو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر على الغائب وقيل وكل من اقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس فهو من فصيح كلام العرب **وفرحوا بها** يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني فرحوا ركبان تلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك **جاءتها ريح عاصف** يعني قيل ان الضمير في جاءتها فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصفة شديدة فاقلبتها وقيل في جاءتها الضمير يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد به عصوف ولاجل ان الريح قد تذكر **وجاءهم الموج من كل مكان** يعني وجاء ركاب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من عذب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء في البحر واختلاطه **وظنوا انهم احيط بهم** قيل يعني فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن واليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه **دعوا الله مخلصين له الدين** اي يعني انهم اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى الاخلاص العلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضيق وبلاء اخلصوا الله الدعاء **لئن انجيتنا** اي قائلين لئن انجيتنا **من هذه** يعني هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة **لنكونن من الشاكرين** يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من الشدة **فلما انجاهم** يعني فلما انجا الله تعالى هؤلاء الذين ظلموا انفسهم انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها **اذا هم يبغون في الارض بغير الحق** يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا في الحد فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى الشبهة قال صاحب الكشاف فان **قلت** ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع شجرهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة **يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم** يعني ان افعال بغيكم راجع اليكم **متاع الحيوة الدنيا** قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحيوة الدنيا لا يصح زاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا الشعر وكان المامون يتمثل به ويقول

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ❊ فارجع فخير مقال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ❊ لاندك منه اعاليه واسفله

قوله عز وجل **ثم الينا مرجعكم** يعني يوم القيمة **فننبئكم** اي فنخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل **انما مثل الحيوة الدنيا** اي مثل يعني في فنائها وزوالها **كماء انزلناه من السماء** يعني المطر **فاختلط به** يعني بالمطر **نبات الارض** قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون **مما ياكل الناس** يعني من الحبوب والثمار **والانعام** يعني ومما ياكل الانعام

من الحشيش ونحوه **حتى اذا اخذت الارض زخرفها** يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرتها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور **وازينت** اي وتزينت **وظن اهلها** يعني اهل تلك الارض **انهم قادرون عليها** يعني على جذاذها وقطافها وحصادها والكناية الى الارض والمراد النبات اذا كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة **اتيها امرنا** يعني قضاؤنا باهلاكها **ليلا او نهارا** يعني في الليل او في النهار **فجعلناها حصيدا** يعني محصودة مقطوعة **كأن لم تغن بالامس** يعني كأن لم تكن الاشجار والنبات والزرع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام وهذا مثل ضربه الله قائمة على وجه الارض يقال للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدأ اخراجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها على التشبيه اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل الى هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تغن بالامس من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحيوة الدنيا التي ينتفع بها المرء وكفايته هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتاه آفة فتلف بالكلية وان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي **كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون** يعني كما بينا لكم مثل الحيوة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله عز وجل **والله يدعوا الى دار السلام** لما ذكر هذه الحيوة الدنيا وانها فانية زائلة لا محالة الى دعا دار السلام وقال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسمائه عز وجل ومعناه انه تعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل انه تعالى يوصف بالسلام يعني دار السلام ولا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم الجنة وهو جمع سلامة والمعنى ان من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والعتب والنكد وقيل سميت دار السلام لان الله تعالى سلم على اهلها او تسلم الملائكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله تعالى وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله تعالى الجنة بآيات كثيرة من كتابه **ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم** يعني والله يهدي من يشاء من خلقه الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام بالدعوة اولا اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق واظهارا للقدرة فجعلت المغايرة بين الدعوتين عن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم انه نائم وقلبه يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا قال فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المائدة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله

عليه وسلم لم يرد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله عليه السلام فقال انى رايت فى المنام كان جبريل عند راسى وميكائيل عند رجلى يقول احدهما لصاحبه تضرب له مثلا وذكره عن النواس ابن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفى الصراط وروى ان لها ابوابا مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التى على كتفى الصراط حدود الله فلا يقع احد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذى قال الحديث حسن غريب قوله عز وجل **للذين احسنوا الحسنى** قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه الحسنى وزيادة قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى **وزيادة** اختلف المفسرون فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على اقوال القول الاول ان الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى الاشعرى وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة ومقاتل والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما يعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلى هذه الاية للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى الطبرى قال الزيادة النظر الى وجه الله وبه قال ابى بن كعب انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى وعن ابى موسى الاشعرى قال اذا كان يوم القيمة بعث الله الى اهل الجنة مناديا يا اهل الجنة ان الله وعدكم ما وعدكم به فينظرون الى ما اعد لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفى رواية رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيمة وذكره بمعناه وبه عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال لهم هل بقى من حقكم شىء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شىء اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى فهذه الاخبار والاثار دلت على ان الزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها الف التعريف وانصرف الى المعروف السابق وهى الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما فى الجنة من التنعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تعالى ومما يؤكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهى حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثانى النظر الى وجه الله تعالى وايات القران يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى لان الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله تعالى ممتنعة فلان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من نعيم الجنة ولان الاخبار التى تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الرؤية فانتفى ما قلتم فاجاب اصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على وقوع رؤية الله تعالى فى الاخرة واذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الايات الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدارا معينا كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور فى هذه الاية لفظ الحسنى وهى الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين وجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية فعارض بقول جماعة بان الزيادة هى الرؤية والمثبت مقدم على النافى والله اعلم القول الثانى فى معنى هذه الاية ما روى عن على ابن ابى طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة

لها اربعة ابواب القول الثالث الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هى الجنة والزيادة ما اعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيمة وقوله تعالى **ولا يرهق وجوههم** يعنى ولا يغشى وجوه اهل الجنة **قتر** اى كابة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجه **ولا ذلة** يعنى ولا هوان قال ابن ابى ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** يعنى ان هؤلاء الذين وصف صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها** اعلم ان الله تعالى لما شرح احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامات شرح بهذه الايات حال من اقدم على هذه السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين عملوا السيئات والمراد بالكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة يعنى التى عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازى بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس تغشاهم ذلة وهوان بعذاب الله اياهم **ما لهم من الله من عاصم** يعنى ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى اذا نزل بهم **كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما** يعنى كانما كسيت وجوههم سوادا من الليل المظلم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** قوله تعالى **ويوم نحشرهم جميعا** الحشر والجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيمة **ثم نقول للذين اشركوا مكانكم** اى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفى هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين **انتم وشركاؤكم** يعنى انتم ايها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله **فزيلنا بينهم** يعنى فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم والقطع ما كان بينهم فى التواصل فى الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضى بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر فى المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الان اما قوله تعالى **وقال شركاؤهم** يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب **ما كنتم ايانا تعبدون** تبرا المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهى جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يجوز ان الله تعالى خلق لها فى ذلك اليوم من الحيوة والعقل والنطق حتى قدرت على الكلام فان قلت انما احياهم الله تعالى فى ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله فى شىء من افعاله واحوال القيمة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها فى سورة الانعام وقال مجاهد تكون فى يوم القيمة ساعة يكون فيها شدة تنصب لهم الالهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله ايانا كنا نعبد فيقول الالهة **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين** والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله ايانا الا غافلين ما نشعر بذلك واما قوله **هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت** فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان فى ذلك المقام او فى ذلك الموقف او فى ذلك الوقت على معنى استعارة اسم المكان على الزمان وفى قوله تبلوا قراءتان ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا اتبعه اى تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذى يهدى النفس الى الثواب والعقاب

الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرء صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تتلو بالتاء والباء ومعناه تختبر وتعلم والبلو الاختبار ومعناه اختبارها ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا اندم عليه وجوزي به قوله تعالى **وردوا الى الله مولاهم الحق** الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي فيه والمعنى ردوا الى ما ظهر لهم من الله الى الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم فان قلت قد قال الله تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت انه في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل **قل من يرزقكم من السماء والارض** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات **امن يملك السمع والابصار** يعني ومن اعطاكم هذه الحواس تسمعون بها وتبصرون بها **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** يعني انه يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والبيضة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن والقول الاول اقرب الى الحقيقة **ومن يدبر الامر** يعني ان مدبر السموات وما فيها ومدبر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله تعالى **فسيقولون الله** يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقرون بذلك **فقل** لهم يا محمد **افلا تتقون** يعني تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور **فذلكم الله ربكم الحق** يعني فذلكم الله الذي يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الذي يستحق العبادة **فماذا بعد الحق الا الضلال** يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه باطلا وضلالا **فانى تصرفون** يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال **كذلك** اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال **حقت** اي وجبت **كلمة ربك** في الازل **على الذين فسقوا انهم لا يومنون** المراد بكلمة الله قضاؤه في اللوح المحفوظ لانهم لا يومنون وقضاء الله لا يرد **قل هل من شركائكم** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها الهة **من يبدؤ الخلق ثم يعيده** يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السوال استفهام انكار **قل** يا محمد **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده** يعني هو الله القادر على ابداء الخلق واعادته **فانى توفكون** يعني فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم **قل** يا محمد **هل من شركائكم من يهدي الى الحق** يعني من هذه الاصنام هل يقدر ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بد لهم من ذلك **قل** اي يا محمد قل انت **الله يهدي للحق** يعني ان الله يرشد الى الحق لا غيره **افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى** يعني ان الذي يهدي الى الحق هو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى فان قلت ذكر العلماء عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل فتبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بمن يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله من يهدي الى الحق روساء الكفر والضلالة والله تعالى هدى الخلق الى الدين بما اظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما روساء الكفار والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله تعالى الى الحق فكان اتباع دين الله اولى من اتباع غيره **فما لكم كيف تحكمون** قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اي شيء لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شركاء ممن ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية **وما يتبع اكثرهم الا ظنا**

يعني

يعني وما يتبع اكثر هولاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة قيل المراد بالاكثر يعني الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعويهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الروساء **ان الظن لا يغني من الحق شيئا** يعني ان الشك لا يغني عن الحق شيئا ولا يقوم مقامه ولا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا **ان الله عليم بما يفعلون** يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين **وما كان هذا القران ان يفترى من** يعني وما كان ينبغي لهذا القران وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه انه مبرا عن الافترى والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيائه يعني ولكن الله انزل هذا القران والتورية والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولا يجتمع باحد من العلماء ثم انه اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التورية والانجيل والكتب المنزلة ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التورية والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيهما فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له وقيل يعني من اخبار الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر **وتفصيل الكتاب** يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام **لا ريب فيه من رب العالمين** يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله **ام يقولون افتريه** يعني بل يقول هولاء المشركين افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه **قل** يا محمد ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله** يعني بسورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وانتم عرب مثله في الفصاحة والبلاغة فان قلت قال فاتوا بسورة من مثله في سورة البقرة وقال هنا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا القران كان معجزا في نفسه قيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني مع انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة او يساوي القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق اذا اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو قوله **وادعوا من استطعتم من دون الله** يعني وادعوا على الاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه **ان كنتم صادقين** يعني ان القران قال عطا يريد انه **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** وقيل جميع علوم القران معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة والنار والحشر والقيمة والثواب والعقاب بما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد على تحصيلها **ولما ياتهم تاويله** يعني انهم كذبوا به ولم ياتهم بعد بيان ما يوول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يوول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموا تنزيلا ولا تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القران وعلمه وعلم تاويله **كذلك كذب الذين من قبلهم** يعني كما كذب هولاء بالقران كذلك كذبت الامم الماضية انبياءهم فيما وعدوهم به **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف عاقبة من ظلم من الامم كذلك عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الناس كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله قوله عز وجل **ومنهم من يومن به** يعني ومن قومك يا محمد من سيومن بالقران **ومنهم من لا يومن به** لعلم الله

السابق فيه انه لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون فان كذبوك يعني فان كذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة وجزاء ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون قيل المراد منه الزجر والوجوع وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا قوله تعالى ومنهم يعني من هولاء المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم افانت تسمع الصم اي يعني كما انك لا تقدر على اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوا فقهم كذلك فهم بمنزلة الجهال اذ لم ينتفعوا بما يسمعون وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم الظاهرة افانت تهدي العمي يريد عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون لان الله تعالى اعمى بصائر قلوبهم فلا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه الآية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما انما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قوله ويوم نحشرهم جميعا يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هولاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فيتعين حمله على امر يختص بحال الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله تعالى فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال القيمة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيمة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة وخشية وقيل ان احوال يوم القيمة مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينوا في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني ان من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية فقد خسر لانه آثر الفاني على الباقي وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الحساب واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم من العذاب في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريك هذا الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله فالينا مرجعهم يعني في الآخرة وفيه دليل على ان الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حيوتهم في الدنيا وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتعذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد على افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها في يوم القيمة قوله عز وجل ولكل امة رسول لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع اممهم كذلك فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله تعالى والى طاعته والايمان به فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قومه وصدقه آخرون قضي بينهم بالقسط يعني حكم بينهم بالعدل فقضي بينهم بالقسط وفي هذا الكلام اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم

وبلغهم ما ارسل به اليهم وفي وقت هذا القضاء والحكم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك انه لما ارسل لكل امة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا على رسولهم وخالفوا امره قضى الله بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لانه قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيمة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المومن والكافر والطايع والعاصي جيء بالرسل لتشهد عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني من جزاء اعمالهم شيئا ولكن يجازي كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ويقولون يعني هولاء الكفار متى هذا الوعد يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب ان كنتم صادقين يعني فيما تعدوننا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك يا محمد او ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني لا املك لنفسي دفع ضر ولا جلب نفع ولا اقدر على ذلك الا ما شاء الله يعني ان اقدر عليه او املكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار النصر للاولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فيتعين الوقت الى الله بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة ووقت معين اذا جاء اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه قل اي قل لهم يا محمد لهولاء المشركين من قومك ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان بالليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله تعالى هذه اللفظة كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجل منه نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون يستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع يعني اذا ما نزل العذاب ووقع آمنتم به يعني آمنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الآن فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تومنون حين وقع العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله قوله تعالى ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبئونك احق هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد نعم وربي انه لحق يعني ان الذي اعدكم به لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت ما في الارض يعني من شيء لافتدت به يعني يوم القيمة والافتداء بمعنى البذل بما ينجو به من العذاب الا انه لا ينفعه ولا يقبل منه واسروا الندامة يعني يوم القيمة وانما جاء بلفظ الماضي والقيمة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيمة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار بمعنى الاخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة وقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين عاينوا العذاب وابصروا وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار والاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله عز وجل وهم لا يظلمون

يعني الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم الا ان لله ما في السموات والارض يعني ان كل شيء في السموات والارض لله ملك له لا يشرك فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله يوم القيمة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف يفتدي بمن هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه الا ان وعد الله حق يعني ما وعد الله به على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ثواب الطايع وعقاب العاصي حق لا شك فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك هو يحيي ويميت يعني الذي يملك ما في السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء مما اراد واليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهذا الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القران والوعظ زجر مقترن بتخويف قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفاء لما في الصدور يعني ان القران دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لكون القلب فيه وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلق بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم فالفضل هنا بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى فبذلك فليفرحوا اشار بذلك الى القولين لان المراد بالمواعظ والشفاء القران فترك اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطوع والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفاء في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر

واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

الفاء في قوله فاجزعي زايدة وقال صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المامول ولذلك اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية والدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الاية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من المواعظ وشفاء لما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه هو خير مما يجمعون اي يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب المفسرين فغير هذا فان ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله يتعلق بمحذوف تفسيره ما بعده قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته قل اي قل لهم يا محمد لكفار مكة ارايتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع عبر عما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من رزق وخير فانما هو من بركات السماء فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا قل اي قل لهم يا محمد الله اذن لكم يعني ان الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني بل انتم على الله تكذبون في دعواكم ان الله امرنا بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة يعني اذا لقوه

يوم القيمة ايحسبون انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله عز وجل وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشيون تقول العرب ما شان فلان الا فيما يعظم من حاله اي حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يكون المراد منه الاسم فان ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شان مما تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوايجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ماذا يعود فقيل الى الشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا المعنى يكون وما تتلوا من قران يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى والمعنى وما تتلوا من الله من قران نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رييس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه قوله تعالى اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بمعنى بكثرة وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلا عازب اذا كان بعيد الطلب من مثقال ذرة يعني وزن مثقال ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي صغيرة الوزن جدا في الارض ولا في السماء فان قلت قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبا فما فايدة ذلك قلت كان حق السماء ان تقدم على الارض كما في سورة سبا الا انه تعالى ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفايدة ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم اننا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكرون الله لرويتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله فقال هم الذين اذا راوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة بمكانهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس

وقرأ هذه الآية ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي أخرجه مسلم عن معاذ بن
جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء
أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن أبي مالك الأشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لله تعالى عبادا
ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية القوم أعرابي فجثى
على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم
عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله
يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إن أوليائي من عبادي يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند
وروى الطبري بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري
إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال
ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبط نوع من الحسد إلا أن الحسد نوع من الغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة أن الحاسد
يتمنى ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوالها عنه قال
أبو بكر الأصم أولياء الله تعالى هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة إليه وأصل الولي
من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله تعالى هو الذي يتقرب إلى الله تعالى بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب
في معرفة نور جلال الله تعالى فإن رأى رأى دلائل قدرة الله تعالى وإن سمع سمع آيات الله تعالى وإن نطق نطق بالثناء على الله وإن
تحرك تحرك في طاعة الله تعالى وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله تعالى لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله
وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا
بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة وإليه الإشارة بقوله تعالى
الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو أن الإيمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه وقوله
تعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة إذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شيء فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال
الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الآخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنكاد وحزن قال بعض العارفين إن الولاية
عبارة عن القرب من الله تعالى ودوام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام
الولاية والمعرفة منعه من أن يخاف ويحزن وأما قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لأولياء الله
تعالى وقوله تعالى **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة** اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له
أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال ما سألني
عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي
حديث حسن خ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات
قال الرؤيا الصالحة ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا
المؤمن جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان
ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول وهو أنا إن حملنا قوله لهم البشرى هي الرؤيا الصالحة

الصادقة وظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحمل هذه الحالة إلا لهم وذلك لأن ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح والذكر
بذكر الله تعالى عز وجل ومن كان كذلك فإنه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله عز وجل ومعرفته ومن المعلوم أن معرفة الله
في القلب لا تفيد إلا الحق والصدق فإذا رأى الولي رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي
في هذه الأحاديث الأكيدة لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها وإنما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم و
كان الأنبياء عليهم السلام يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي
على موافقة النبوة لأنها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من
النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة أشهر يرى في المنام
الوحي وهو جزء من ستة وأربعين جزءا وقيل إن المنام لعل أن يكون فيه إخبار بغيب وهو إحدى ثمرات النبوة وهو
يسير في جنب النبوة وإنه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الأحكام ولا
يخبر بغيب أبدا فإذا وقع لأحد في المنام الإخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا أنه نبي وإذا وقع كذلك لأحد في
المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحيوة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة
ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس
عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له
بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار وهذه البشرى المعجلة
دليل على رضى الله تعالى عنه ومحبته له وتحبيبه إلى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الأرض هذا كله إذا حمده الناس
من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ
نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فتلك
عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه قال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت
ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس
البشرى في الحيوة الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها إلى الله تعالى ويبشر
برضوان الله تعالى قال الحسن هو ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله **لا تبديل لكلمات الله**
يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسنة رسله ولا تغيير لذلك الوعد **ذلك هو الفوز
العظيم** يعني ما وعدهم به في الآخرة **ولا يحزنك قولهم** يعني يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك
يا محمد قول هؤلاء المشركين لك ولا تهمك تخويفهم إياك **إن العزة لله جميعا** يعني إن القهر والغلبة والقدرة لله جميعا
المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب إن العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا
كما قال الله تعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فإن عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعز
المؤمنين بإعزاز الله إياهم فثبت بذلك أن العزة كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل إن المشركين كانوا يتعززون
بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله أن جميع ذلك لله في ملكه فهو قادر على أن يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العزة
هو السميع يعني لأقوالكم ودعائكم **العليم** يعني بجميع أحوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى **ألا إن لله من في السموات
ومن في الأرض** ألا كلمة تنبيه معناه أنه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض إلا لله عز وجل فهو يملك
من في السموات ومن في الأرض فإن قلت قال الله تعالى في الآية التي قبلها ألا إن لله ما في السموات بلفظة ما وقال
في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت إن لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فلفظة
مجموع الآيتين تدل على أن الله تعالى يملك جميع كل شيء في السموات وفي الأرض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل إن لفظة

من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء ايضا وانما خصهم بالذكر
لشرفهم واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى ان تكون ملكه اذا ثبت هذا فتكون
الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت قهره وقبضة قدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركاء لله معبودة
دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء لفظة ما استفهامية معناه واي شيء يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على انها شركاء لله يشفعون لهم وليس المراد
على ما يظنون وهو قوله عز وجل ان يتبعون الا الظن يعني ان فعلهم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى
الله عز وجل وذلك ظنا بينهم لا حقيقة له وان هم الا يخرصون يعني انهم يخرصون اي يكذبون في دعوتهم ذلك
قوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة
لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار
مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم واسباب معاشكم اضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما
كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغته وما يفهمونه قال جرير لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما
ليل المطي بنائم فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل
الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب ابصر الليل واظلم النهار ذا ظلمة وذا ضياء يعني صار ذا ظلمة
وذا ضياء قوله عز وجل ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يعني يسمعون اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي
خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني المشركين اتخذ الله ولدا يعني به قولهم
الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني يعني انه تعالى هو الغني عن جميع
خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشياء محتاجة
اليه وهو غني عنها له ما في السموات وما في الارض يعني انه مالك لما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته
وتصرفه وهو محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى
ان عندكم من سلطان بهذا يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى اتقولون
على الله ما لا تعلمون يعني اتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه
جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان قل ان الذين يفترون على الله الكذب اي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون
على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة في البقاء
في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني على
قوله لا يفلحون ثم ابتدا فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة اعمارهم
وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم
يعني بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون
في الدنيا من نعمة الله عليهم ووصفوه بما لا يليق بجلاله تعالى قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح لما ذكر الله تعالى
في هذه السورة احوال الكفار من قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم
مع اممهم ليكون في ذلك اسوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمن سلف من الانبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من
اذى قومه وان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا
كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظمهم كفرا وجحودا ذكر الله
قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرأ على قومك

يا محمد خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو قابيل ان كان كبر يعني ثقل عليكم مقامي يعني فيكم وتذكيري
بآيات الله يعني ووعظي اياكم آيات الله وقيل معناه ان كان كبر وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام
اقام فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي
بآيات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت يعني فهو حسبي وثقتي فاجمعوا امركم
يعني فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا
وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه وشركاءكم يعني وادعوا شركاءكم يعني
آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم
واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم ثم لا يكن
امركم عليكم غمة يعني لا يكون امركم خفيا مبهما ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم
اذا اخفي والتبس على الناس ثم اقضوا الي ثم امضوا الي بما في انفسكم من مكروه وما توعدونني به من قتل
وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم اقضوا ما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا
تؤخرون ولا تمهلون بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله
عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير خائف من كيدهم
علما منه بانهم وآلهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه فان توليتم يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي
فما سألتكم من اجر يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم آخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان اقوى
تأثيرا في النفس ان اجري الا على الله اي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين
يعني اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين
لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة قوله تعالى فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه
ومن معه في الفلك يعني في السفينة وجعلناهم خلائف يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك
سكان الارض بعد الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي فانظر
يا محمد ويا ايها الناس كيف كان آخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا من بعده يعني من بعد
نوح رسلا الى قومهم لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان من بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل عليهم السلام
فجاءوهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
به من قبل يعني ان هؤلاء الاقوام والامم التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءتهم
به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني كمثل اغراقنا قوم نوح
بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم
يعني من بعد الرسل موسى وهرون الى فرعون وملئه يعني اشراف قومه بآياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان بما جاء
به موسى وهرون وكانوا قوما مجرمين اي يعني مستكسبين للاثم فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فلما جاء فرعون
وقومه الحق الذي جاء به موسى قالوا ان هذا لسحر مبين يعرفه كل احد قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم هو السحر
أسحر هذا اسحر هذا فيه حذف تقديره سحر اسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا
وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال تعالى ولا يفلح الساحرون يعني حاصل
السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا يعني لتصرفنا
وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا يعني من الدين وتكون لكما الكبرياء يعني الملك والسلطنة في الارض

يعني ارض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب في امر الدنيا وما نحن لكما بمؤمنين
يعني بمصدقين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه السلام بانواع من التلبيس
ليظهر ان ما اتى به موسى سحر فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم موسى بالقاء ما معهم من الحبال
والعصي التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني ما معهم من الحبال والعصي
قال موسى ما جئتم به السحر يعني الذي جئتم به هو السحر ان الله سيبطله يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه ويحق الله الحق يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه
بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل بما سبق في قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون
قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله تعالى ما اتى به موسى من المعجزات العظيمة الباهرة
اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله
تعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم السلام لان الذي جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن
معه الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد بالتصغير وقلة العدد واختلفوا
في هاء الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من اولاد يعقوب
قال مجاهد هم اولاد يعقوب الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل اهلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان
فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المرأة من بني اسرائيل اذا ولدت ولدا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين
القبطة فلما كان اليوم الذي غلب موسى السحرة امنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل الهاء راجعة
الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون وروى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن
ال فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته وقال الفراء سموا ذرية لان اباءهم كانوا من القبط من ال فرعون وامهاتهم من
بني اسرائيل وكان الرجل يتبع امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم
من غير جنس الاباء على خوف من فرعون وملائهم الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون
ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من قبل بني اسرائيل وقيل اراد بالملأ ملأ فرعون
وانما قال وملائهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ان يفتنهم اي يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال
ان يفتنهم ولم يقل ان يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين لامره وان فرعون لعال في الارض يعني لغالب
قهار متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب
لبني اسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا يعني فيه فثقوا ولامره فسلموا
فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين
بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله و
التفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعني قال قوم موسى مجيبين له
على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب
من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من ايدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم
في الاعمال الشاقة قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما

بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة اي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها
للصلاة والعبادة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير في معنى هذه الاية البيوت او القبلة
فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون
معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا
في هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى قول
مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلوتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في
بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة اي مقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت
انه تعالى قد خص موسى وهرون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما ثم انه عمم
هذا الخطاب واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه تعالى امر موسى بهذا الخطاب وهرون بان يتبوءا
لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة
عمم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى
ومن امن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذ صلوا في الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم الله ان يصلوا
في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل
موسى بخرب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا في بيوتهم مساجد ويصلوا فيها خوفا من فرعون
وقيل ان الله تعالى لما ارسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل الله لهم
بصونهم من شرهم وهو قوله تعالى وبشر المؤمنين يعني بانهم لا يصلون اليهم بمكروه قوله تعالى وقال موسى
ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا لما اتى موسى بالمعجزات الباهرات وراى القوم مصرون
على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب اقدامهم
على الجرائم التي كانت بسبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها
لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة
الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشياء الجميلة
والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في
هذا اللام فقال هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا
في الارض واستكبروا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك اتيت
فرعون وملأهم زينة فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء
وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ربنا
اطمس على اموالهم الطمس ازالة اثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها وهيأتها وقال مجاهد
اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم و
جواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله صارا حجرين والمرأة
قائمة تخبز صارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ قال
ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة وهي حجارة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا
وقيل ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة

والجوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والأطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات
التسع التي أوتيها موسى عليه السلام **واشدد على قلوبهم** يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين
ولا تنشرح للإيمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان قال الواحدي وهذا دليل على أن الله يفعل ذلك
لمن يشاء ولولا ذلك لما حسن من موسى عليه السلام هذا السؤال **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** يعني الغرق قاله
ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه قال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فاستجاب
الله له فحال بين فرعون وبين الإيمان قال بعض العلماء إنما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم
لا يؤمنون وذلك أن الله كتب عليهم في الأزل فوافق دعاء موسى ما قدر وقضي عليهم قال الله عز وجل لموسى وهرون عليهما السلام
قد أجيبت دعوتكما إنما نسب الدعاء إليهما وأن الداعي هو موسى وحده لأن هرون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء
لأنه طلب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك **قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما**
يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** يعني ولا تسلكان
طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فإن وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلاه قيل كان بين دعاء موسى
عليه السلام وبين الإجابة أربعون سنة قال الإمام فخر الدين واعلم أن هذا النهي لا يدل على أن ذلك قد صدر من موسى
وهرون كما أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**
أي وقطعنا ببني إسرائيل البحر وعبرناهم إياه حتى جاوزوه وعبروه **فأتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم
وأدركهم **بغيا وعدوا** أي ظلما وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول
وعدوا في الفعل قال أهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة
ألف وذلك لما أجاب الله تعالى دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج ببني إسرائيل من مصر في الوقت الذي أمره أن يخرج فيه ويسر لهم
أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقتهم خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم فرعون
قالوا لموسى أين المخلص والمخرج البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى إلى موسى
أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الأرض وأيبس لهم البحر فلحقهم
فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل
وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني إسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما
وجد الحصان ريح الأنثى لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج
انطبق البحر عليهم فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الإخلاص ظنا منه أنه ينجيه من الهلاك وهو قوله تعالى **حتى إذا
أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه
عند نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العلماء غير مقبول وذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة العذاب والملائكة
غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقيل إنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع ما
نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الإقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه
ما قال في ذلك وقيل إن فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فلهذا
قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة
حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** يعني الآن
تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على آخرتك الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام
وقيل إنما الملائكة وقيل إن القائل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الأرض ويدل على هذا القول

فاليوم ننجيك ببدنك والقول الأول أشهر ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
أغرق الله فرعون وجنوده قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ
من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدي
بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل
جعل يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا إله إلا الله فيرحمه الله أو خشية أن يرحمه الله أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح **فصل** في الكلام على هذا الحديث لأنه في الظاهر مشكل فيحتاج إلى بيان وإيضاح فنقول قد ورد هذا
الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الأول علي بن زيد بن جدعان وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره
فإنه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه ما لم يتابع
عليه وخالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لأن الطريق الآخر شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد
بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فإنما
يخاف منه ما انفرد به أو يخالف فيه وكلاهما منتف فيه فقد علم بهذا أن لهذا الحديث أصلا وأن رواته ثقات ليس
فيهم متهم وإن كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فإن قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لأنه
قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه إنما هو جزم برفعه أحد الرجلين وشك
شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا
علة في الحديث **فصل** ووجه إشكاله ما اعترض عليه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال إن جبريل أخذ
يملأ فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه فالجواب الأقرب أنه لا يصح لأنه في تلك الحال التكليف هل كان باقيا أو لا فإن كان باقيا
لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وإن كان التكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت
فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي له ببقائه على الكفر والرضى بالكفر
كفر وأيضا فكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل أن يمنعه عن الإيمان ولو قيل إن جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله
فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل إلا بأمر ربك فهذا وجه الإشكال الذي أورده الإمام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا
والجواب عن هذا الاعتراض أن الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لأحد وأما قول الإمام التكليف
هل كان باقيا في تلك الحالة أو لا فإن كان باقيا لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة فإن هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين
للقدر القائلين بخلق الأفعال وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو قول أهل السنة والإيمان ويدل على ذلك
قوله تعالى أن الله يحول بين المرء وقلبه وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا
به أول مرة فأخبر الله تعالى أنه قلب أفئدتهم على تركهم الإيمان به أول مرة فدس الطين في فم فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومنع
من الإيمان وصرف الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال لله ومن
المنكرين لخلق الأفعال من اعترف أيضا بأن الله تعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضله ويطبع على
قلبه ويمنعه من الإيمان فأما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فإنها من هذا الباب فإنه في غاية ما يقال فيه أن الله منع
فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره ورده للإيمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فإنما فعل
ذلك بأمر الله تعالى لا من تلقاء نفسه فأما قول الإمام لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى
كل طاعة هذا إذا كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا وأما إذا كان جبريل إنما يفعل ما أمره الله تعالى به فهو
الذي منع فرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه إعانة من لم
يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم حين لا ينفعه الإيمان وقد يقال إن جبريل إما أن يتصرف

بامر الله فلا يفعل الا ما امره الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بامر الله وعلى هذا التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون
على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله لم يخبر انه امره باعانة
فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف زائلا عن فرعون
في الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة فجوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال الله قولان احدهما ان افعاله
لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح
لاجلها فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا التقدير فقد يقال ما قال
فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقد علم جبريل انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه
فدس الطين في فيه ليتحقق معاينته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين
في فيه تحقيقا لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا ينفع ولا يبقى للرحمة فيه
للرحمة منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى لما دعى ربه بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان
عند رؤية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس
الطين في فيه لييأس من الحيوة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد اجيبت
دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه يفعله فيكون سعي جبريل في مرضات الله منفذا لما امره به وقدره
وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضى بالكفر كفر فجوابه ما تقدم ان الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بامر الله تعالى ولا يفعل الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل
ما امره الله به ونفذه وانما رضي بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هذا وايضا فان الرضى بالكفر انما يكون كفرا في حقنا
لانا مامورون بانا لنه بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره وخيانته ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا
ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا نفذ ما امره به لم يكن رضي بالكفر
ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله تعالى خلق
افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون
من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل قوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل
ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله تعالى اعلم بمراده قوله تعالى **فاليوم ننجيك** معناه انا نلقيك على نجوة من الارض
وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرائيل
ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل
احمر قصيرا كانه ثور فرآه بنوا اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله تعالى **ببدنك**
يعني نلقيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة
انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راوه
في درعه ذلك عرفوه **لتكون لمن خلفك آية** يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا
لانه كان في نهاية العظمة فصار في نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد **وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق** يعني اسكناهم مكانا محمودا وانزلناهم منزل صدق
بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق فلان عادة
العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا

صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله تعالى اورث بني اسرائيل جميع ما كان
تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد
الخصب والخير والبركة قوله تعالى **ورزقناهم من الطيبات** يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى **فما
اختلفوا حتى جاءهم العلم** يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك
انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وكفر بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى
يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم
وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب
مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة
قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
فآمن به طائفة وكفر به اخرى وقوله عز وجل **ان ربك** يعني يا محمد **يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون**
يعني في امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك وجحد لنبوتك دخل النار قوله تعالى
فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك عند اهل التفسير
عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا
قيل فلان يشك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا انه قول الخطاب في قوله
فان كنت في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القرآن **فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك** يعني علماء اهل الكتاب يخبرونك انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي معروف يعرفونك
بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل اليه
او في نبوته حتى يسئل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى منه بالشك قلت الجواب
عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا فانه اورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبتك الله
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه من القرآن وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما اشك وما اسئل وعامة المفسرين على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى ثم اختلفوا في معنى
الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره
فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن
امثلة العرب. اياك اعني واسمعي يا جاره. فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك ان
كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فسئل الذين يقرؤن الكتاب يخبرونك بصحته
ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في آخر السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين الآية
فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح وايضا لو كان النبي
صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من
ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه

وسلم إذا سمع هذا الكلام فإنه يقول لا أشك يا رب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلته علي من الدلائل الظاهرة
وقال الزجاج إن الله تعالى خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فإن كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي إذا
طلقتم النساء وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض
موجودا والسؤال واردا وقيل إن لفظة إن في قوله فإن كنت في شك للنفي ومعناه وما أنت في شك مما أنزلنا إليك حتى
تسأل فلا تسأل ولئن سألت لازددت يقينا والقول الثاني وهو أن يقال إن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم
ألبتة ووجه هذا القول أن الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك
والفرقة الثالثة المتوقفون في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فإن كنت في شك أيها الإنسان
مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فسئل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وإنما وحد الله الضمير
في قوله فإن كنت في شك وهو يريد الجمع لأنه خطاب لجنس الإنسان كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم لم يرد
في الآية إنسانا بعينه بل أراد الجمع اختلفوا في المسئول عنه في قوله تعالى فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون
من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لأنهم هم الموثوق بأخبارهم وقيل المراد به كل أهل الكتاب
سواء مؤمنهم وكافرهم لأن المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مكتوب عندهم صفته
ونعته فإذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والأول أصح قال الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب
ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم **لقد جاءك الحق من ربك** هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه
معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب يعلمون صحة ذلك
فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك **ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله**
يعني بدلائله وبراهينه الواضحة **فتكون من الخاسرين** يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على
ما تقدم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في ظاهره والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فإن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بذلك أن المراد به غيره والله تعالى أعلم قوله عز وجل **إن الذين حقت عليهم**
يعني وجبت عليهم **كلمة ربك** يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل
لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الأزل **لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية** فإنهم لا يؤمنون بها
حتى يروا العذاب الأليم فحينئذ لا ينفعهم الإيمان لأن الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الإيمان فلا ينفعهم شيء قوله تعالى
فلولا يعني فهلا **كانت قرية** وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لأن في الاستفهام معنى الجحد والمراد أهل كان قرية
آمنت يعني عند معاينة العذاب **فنفعها إيمانها** يعني في حال البأس **إلا قوم يونس** هذا استثناء
منقطع يعني لكن قوم يونس فإنهم آمنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله **لما آمنوا** يعني أخلصوا الإيمان **كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** يعني إلى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل
رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الأكثرون إنهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله
كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو إذا قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله
ابن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا إن قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله
عز وجل إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم أن العذاب
مصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت
فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فوق رؤوسهم قال
ابن عباس إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم وقال

مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن
دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه
فقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا
الإسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض إلى البعض فحنت الأمهات إلى الأولاد و
الأولاد إلى الأمهات وعلت الأصوات وعجوا جميعا إلى الله وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله تعالى
وأخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا
وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم فيما بينهم حتى إذا كان الرجل ليأتي إلى الحجر وقد وضع أساس
بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن أبي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية
من علمائهم فقالوا إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها
فكشف الله تعالى عنهم العذاب ومتعوا إلى حين وقال الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم
وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع إلى قومك
قال وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستأتي
القصة في سورة الصافات إن شاء الله تعالى فإن قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم
ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت أجاب العلماء عن هذا بأجوبة أحدها أن ذلك
كان خاصا بقوم يونس والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الجواب الثاني أن فرعون ما آمن إلا بعد ما باشر العذاب وهو وقت
اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية والجواب
الثالث أن الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فإنه ما صدق في إيمانه ولا أخلص فلم يقبل الله
منه إيمانه والله تعالى أعلم قوله تعالى **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا** يعني يقول الله عز وجل لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الأرض كلهم جميعا ولكن لم يشأ أن يصدقك
ويؤمن بك إلا من سبقت له السعادة في الأزل قال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن به جميع الناس
ويتابعوه على الهدى فأخبر الله عز وجل أنه لا يؤمن به إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولم يضل إلا من سبق
له الشقاوة في الذكر الأول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان حريصا على إيمانهم فأخبر الله أنه لا يؤمن
به إلا من سبقت له العناية الأزلية فلا تذهب نفسك على إيمانهم وهو قوله **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين** يعني ليس إيمانهم إليك حتى تكرههم عليه أو تحرص عليه إنما إيمان المؤمن وإضلال الكافر بمشيئة الله
تعالى وقدره ليس لأحد ذلك سواه **وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله** يعني وما ينبغي لنفس خلقها الله
تعالى أن تؤمن وتصدق إلا بقضاء الله تعالى لها بالإيمان فإن هدايتها إلى الله تعالى هو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى بإذن الله
بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله قوله تعالى **ويجعل** قرئ بالنون على سبيل التعظيم أي ونجعل نحن وقرئ بالياء ومعناه
ويجعل الله **الرجس** يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط **على الذين لا يعقلون** يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه
قوله تعالى **قل انظروا** أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار
وتفكر وتدبر **ماذا في السموات والأرض** يعني ماذا خلق الله في السموات والأرض من الآيات الدالة على وحدانيته
ففي السموات الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم مسخرة طالعة وغاربة وإنزال المطر من السماء وفي
الأرض الجبال والبحار والأنهار والأشجار والنبات كل ذلك آيات دالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال الشاعر
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد
قوله تعالى **وما تغني الآيات والنذر** يعني الرسل **عن قوم لا يؤمنون**

وهذا في حق اقوام علم الله انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقا **فهل ينتظرون** يعني مشركي مكة **الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون **قل فانتظروا** يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب **اني معكم من المنتظرين** يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى **ثم ننجي رسلنا والذين امنوا** يعني من العذاب والهلاك **كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين** يعني كما انجينا رسلنا والذين امنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين والمراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمؤمنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحسب الوعد والحكم لا بسبب الاستحقاق لانه ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه بشيء قوله تعالى **قل يا ايها الناس** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهؤلاء الذين ارسلت اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك **ان كنتم في شك من ديني** يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم به فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه **فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله** يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على النفس ذكر في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وهو قادر على هلاككم ونصري عليكم **وامرت ان اكون من المؤمنين** يعني وامرني ربي ان اكون من المصدقين لما جاء من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب قوله عز وجل **وان اقم وجهك للدين حنيفا** الواو في قوله وان واو عطف معناه وامرت ان تقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مائل **ولا تكونن من المشركين** يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فتهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الايات المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي تسميه اصحابنا بالشرك الخفي **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك** يعني ان عبدته ودعوته **ولا يضرك** ان تركت عبادته **فان فعلت** يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري **فانك اذا من الظالمين** يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع من دون الله ايها الانسان ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل **وان يمسسك الله بضر** يعني وان يمسسك يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء **فلا كاشف له الا هو** يعني كذلك الضر الذي انزله بك الا هو **وان يردك بخير** يعني بسعة ورخاء **فلا راد لفضله**

ذلك العذاب صح

انه واجب صح

الشك صح

لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه صح

يعني فلا دافع لرزقه **يصيب به** يعني بكل واحد من الضر والخير **من يشاء من عباده** وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين انه تعالى هو القادر على ذلك كله وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله **وهو الغفور الرحيم** وفي الاية لطيفة اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله تعالى **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** يعني القران والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** اي لان نفع ذلك يرجع اليه **ومن ضل فانما يضل عليها** اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء ابدا **وما انا عليكم بوكيل** يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف **واتبع ما يوحى اليك** يعني الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد **واصبر** يعني على اذا من خالفك من كفار مكة وهي قومك **حتى يحكم الله** يعني بنصرك عليهم واظهار دينك قوله تعالى **وهو خير الحاكمين** يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها اذلهم وصغارهم اخر تفسير سورة يونس والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وعن قتادة نحوه قال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون اية والف وستمائة كلمة وتسعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتيك حديث الغاشية قال بعض العلما سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيمة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراده صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الر كتاب احكمت اياته** قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب والشرايع **ثم فصلت** يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله تعالى فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا سورة بسورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيمة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت يعني فسرت وثم في قوله فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الكلام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها بقوله منه ايات محكمات قلت ان بعض اياته منسوخة نسخها باياته ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت اياته ان معظم ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى **من لدن حكيم خبير** يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم

أن لا تعبدوا إلا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت بأن لا تعبدوا إلا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الأنداد والأصنام وما كانوا يعبدون والرجوع إلى الله تعالى وإلى عبادته والدخول في دين الإسلام **إنني لكم منه نذير وبشير** أي قل لهم يا محمد إنني لكم من عند الله نذير أنذركم عقابه إن بقيتم على كفركم ولم ترجعوا عنه **وبشير** أي بشير يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه** اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا إليه لأن الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من الإشراك من المعصية إلى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لأن الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتأكيد **يمتعكم متاعا حسنا** يعني أنكم إذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور **إلى أجل مسمى** يعني يمتعكم متاعا حسنا إلى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فإن **قلت** قد ورد في الحديث أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى **قلت** أما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة إلى ما أعد الله له من الخيرات والثواب الجزيل والنعيم المقيم فإنه في سجن في الدنيا حتى يفضي إلى ذلك المعد له وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الأليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي إلى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على المؤمن في بعض الأوقات إنما ذلك لأجل رفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لأنه راض عن الله في جميع أحواله وقوله تعالى **ويؤت كل ذي فضل فضله** أي ويعطي كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة تكون على قدر الأعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آحاده أعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته **وإن تولوا** يعني وإن أعرضوا عما جاءهم به من الهدى **فإني أخاف عليكم** أي فقل لهم إني أخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني في الآخرة عذاب النار **إلى الله مرجعكم** يعني في الآخرة فيثيب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على فعله وإساءته **وهو على كل شيء قدير** يعني من إيصال الرزق إليكم وثوابكم وعذابكم في الآخرة قوله تعالى **ألا إنهم يثنون صدورهم** قال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت ألا إنهم يثنون صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب إذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني **ليستخفوا منه** معناه يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل إن استطاعوا **ألا حين يستغشون ثيابهم** يعني يغطون رؤوسهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور** ومعنى الآية على ما قاله الأزهري أن الذين أضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في أفراده عن

محمد

محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع ابن عباس يقرأ ألا إنهم تثنوني صدورهم فسألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الأرض** الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الأرض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الإطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوان **إلا على الله رزقها** يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق وقيل إن لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي إليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع **كل في كتاب مبين** أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء** يعني قبل خلق السموات والأرض قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة إن الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق من خلقه إلى يوم القيمة ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الأرض منها ثم خلق الأقوات في يومين والسموات في يومين والأرض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلماء وفي خلق جميع الأشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لأن البناء الضعيف إذا لم يكن له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش العظيم والسموات والأرض على الماء فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى **خ** عن عمران بن حصين قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي فأتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحمد قال يزيد العماء أي ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عماء وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فإن كان في الأصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء أي فوق سحاب مدبرا له وعاليا عليه كما قال أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال لأصلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد قيل إن ذلك العمى مقصور والعمى إذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لأنه مما عمي عن الخلق لكونه غير شيء فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لأن ذلك كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسئل القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن

الاثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في عما مقصورا وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تاولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العماء قال الازهري فنحن نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ منه لانه لا يشغله شأن عن شأن فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى **ليبلوكم** يعني ليمتحنكم وهو اعلم بكم منكم **ايكم احسن عملا** يعني بطاعة الله واورع عن محارم الله **ولئن قلت** يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك **انكم مبعوثون من بعد الموت** يعني للحساب والجزاء **ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعنون القرآن **ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة** يعني الى اجل محدود واصل الامة في اللغة الجماعة من الناس فكانه قال الى انقراض امة ومجيء امة اخرى **ليقولن ما يحبسه** يعني اي شيء يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون انه ليس بشيء قال الله عز وجل **الا يوم يأتيهم** يعني العذاب **ليس مصروفا عنهم** اي لا يصرفه عنهم شيء **وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** يعني ونزل بهم وبال استهزائهم قوله تعالى **ولئن اذقنا الانسان منا رحمة** يعني رخاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا **ثم نزعناها منه** يعني سلبناه ذلك كله واصابته المصائب فاجتاحته وذهبت به **انه ليؤس كفور** اي يعني يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور اي جحود لنعمتنا عليه او لا قليل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحدها فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه الجواد الرحيم على عباده بالخير وهو قوله تعالى **ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته** يعني ولئن نحن انعمنا على الانسان فبسطنا عليه من العيش **ليقولن** يعني الذي اصابه الخير والسعة **ذهب السيئات عني** يعني ذهب الشدائد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراءة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها لله وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمه الله تعالى فقال **انه لفرح فخور** اي انه اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين صبروا وعملوا الصالحات** قال الفراء هو استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها **اولئك** يعني من هذه صفتهم **لهم مغفرة** يعني لذنوبهم **واجر كبير** يعني الجنة قوله عز وجل **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من امرك ان تبلغ ذلك اليه **وضائق به صدرك** يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية واجمع المفسرون فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان ذلك يؤدي الى الشك في اداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيء آخر سوى ما ذكره المفسرون

والعلماء

وللعلماء في ذلك اجوبة احدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا ادب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه والله تعالى من وراء ذلك ممن يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزءون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويستهزءون به فامر بتبليغ ما اوحي اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمل هذا الضرر اهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالات لاستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم **ان يقولوا** اي مخافة ان يقولوا **لولا انزل عليه كنز** يعني يستغني به وينفعه **او جاء معه ملك** يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة عبد الله ابن ابي امية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل انه نذير بقوله عز وجل **انما انت نذير** تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وآمن بك وصدقك **والله على كل شيء وكيل** يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم وافعالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله تعالى **ام يقولون افتراه** معناه يعني اذ يقول كفار مكة اختلقه يعني ما اوحي اليه من القرآن **قل** اي قل لهم يا محمد **فاتوا بعشر سور مثله مفتريات** لما قالوا انه افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم العنان فواضعهم على مثل دعواهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة واصحاب اللسان فاتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به مختلق من عند انفسكم فانكم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان **قلت** قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله مفتريات فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو من العشرة اعجز **قلت** قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة من مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام امر بان يقول ادعوا بقوله تعالى **وادعوا من استطعتم من دون الله** يعني حتى يعينوكم على ذلك **ان كنتم صادقين** في اقوالكم انه مفترى **فان لم يستجيبوا لكم** يعني اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على امرين وخطابين ونهيين احدهما امر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين احدهما انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه

والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي
انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين انه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله
عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله صلى الله عليه وسلم ان قوله
تعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله
قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه ليس مفترى
على الله بل هو انزله على محمد صلى الله عليه وسلم **وان لا اله الا هو** يعني ان الذي انزل القرآن هو الذي لا اله
الا هو من تدعون من دونه **فهل انتم مسلمون** للترغيب فيه معنى الامر اي اسلموا واخلصوا لله العبادة ان حملنا
معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون للترغيب اي دوموا على ما انتم عليه من الاسلام قوله
عز وجل **من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها** يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر نزلت في كل من عمل
عملا يبتغي غير الله عز وجل **نوف اليهم اعمالهم فيها** يعني اجور اعمالهم التي عملوا لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع
عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا وما اشبه ذلك **وهم فيها لا يبخسون** يعني انهم لا ينقصون من اجور
اعمالهم التي عملوها في الدنيا بل يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة **اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار**
وحبط ما صنعوا فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر **وباطل ما كانوا يعملون** لانه لغير الله واختلف
المفسرون في المعني بهذه الآية فروي عن انس انها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملا صالحا
في غير تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطي سائلا او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال
البر يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا ويوسع الله عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره في الدنيا
وليس له في الآخرة من نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا
النار الآية وهذه حالة الكفار في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان تحمل الآية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي
يأتي بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة وقال مجاهد في هذه الآية هم اهل الرياء والسمعة وهذا القول مشكل
لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة
لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعوذوا بالله من
جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم الف مرة قيل يا رسول الله من يدخله
قال القراء المراؤون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء اخرجه بغير سند والرياء
هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل
الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اما
المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادة الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم

بحسناته

قتادة صح

بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى **افمن كان**
على بينة من ربه لما ذكر الله عز وجل في الآية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحيوة الدنيا وزينتها ذكر في هذه
الآية من كان يريد بعمله وجه الله والدار الآخرة فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها
وليس لهم في الآخرة الا النار وانما حذف هذا الجواب لظهور دلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة
من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق **ويتلوه شاهد منه**
يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك
واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل عليه السلام يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه
وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة
الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال النبي صلى الله عليه وسلم
وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه
اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا
القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا
مجنون وقال جابر بن عبد الله يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل
وانت اي شيء نزل فيك فقال علي ما تقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب
وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن وقوله تعالى **ومن قبله** يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد
صلى الله عليه وسلم **كتاب موسى** يعني التورية **اماما ورحمة** يعني انه اماما لهم يرجعون اليه في امور
الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلالة وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى **اولئك**
يؤمنون به يعني ان الذين وصفهم الله تعالى بانهم يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا
من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه **ومن يكفر به** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **من الاحزاب** يعني من جميع
الكفار واصحاب الاديان المختلفة فيدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم **والاحزاب**
يعني الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الانبياء **فالنار موعده** يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت
به الا كان من اصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت
مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا
في كتاب الله عز وجل حتى اتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى **فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك** فيه قولان احدهما ان
معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله تعالى فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله
تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار

الشاهد صح

وابن صح

من هذه الامة ولا صح

موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يؤمنون** يعني لا يصدقون بما
اوحينا اليك وان موعد الكفار النار قوله عز وجل **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني اي الناس اشد
تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا وفي الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم
لان قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يورد في معرض المبالغة **اولئك** يعني المفترين على الله الكذب **يعرضون على
ربهم** يعني يوم القيمة فيسالهم عن اعمالهم في الدنيا **ويقول الاشهاد** يعني الملائكة الذين يحفظون
اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم **هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم** يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله **الا لعنة الله
على الظالمين** يعني يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم الله ويطردهم من رحمته ق عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن
عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب
كذا وكذا فيقول رب اعرف رب اعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادى بهم على رؤس الاشهاد
من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى **الذين يصدون عن سبيل الله**
هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون
الناس من الدخول في دين الله الذي هو دين الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويطلبون القاء الشبهات
في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام **وهم بالاخرة هم كافرون** يعني وهم مع صدهم
عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له **اولئك** يعني من هذه صفتهم **لم يكونوا معجزين في الارض**
قال ابن عباس يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فايتين في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد هم بالعقاب والانتقام منهم
ولكنهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم **وما كان لهم من دون الله من اولياء** يعني وما
كان لهؤلاء المشركين من انصار يوم القيمة يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوءا وعذابا **يضاعف لهم العذاب**
يعني في الاخرة يزداد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت يضاعف لهم العذاب **ما كانوا
يستطيعون السمع** قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فياخذوا به
وقال ابن عباس اخبر الله انه حال بين اهل الشرك وبين اهل طاعته في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون
السمع وهي طاعته **وما كانوا يبصرون** واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة **اولئك الذين خسروا
انفسهم** يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله **وضل عنهم ما كانوا يفترون**
يعني بطل كذبهم وافكهم وافتراؤهم على الله وادعاؤهم ان الملائكة والاصنام تشفع لهم **لا جرم** يعني حقا وقال الفراء يعني
لا محالة **انهم في الاخرة هم الاخسرون** لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران
المبين قوله تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم** لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا
وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة
القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت اخبت له فمعناه
خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال
القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع و

الخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله تعالى
بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه
انهم ياتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع **اولئك** يعني الذين هذه صفتهم
اصحاب الجنة هم فيها خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لها نعيمها ولا زوال
له قوله تعالى **مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع** لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من
العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد
للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده والاصم
هو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير هو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها والسميع هو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي
فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه والكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه
فقال **هل يستويان مثلا** قال الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف
المؤمن **افلا تذكرون** يعني افلا تتعظون قوله عز وجل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين**
يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين ارسله الله اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني بين النذارة فيها اخوف بالعقاب
لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله تعالى **ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم** يعني مؤلم
موجع قال ابن عباس بعث نوح عليه السلام بعد اربعين ولبث يدعو قومه تسع مائة سنة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة فكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو
ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسع مائة سنة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره
الفا واربعمائة وخمسين سنة **فقال الملاء الذين كفروا من قومه** يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح
ما نراك يا نوح **الا بشرا مثلنا** يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد
البشر يمتنع اشتهاده الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا
بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك
ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا ياتي ذلك الا من احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته
وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا** يعني
سفلتنا والرذل الدون من كل شيء قيل هم الحياكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا
منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم
اتباع الرسل ولا يضرهم خسة صنايعهم اذا احسنت سيرتهم في الدين **بادي الراي** يعني انهم اتبعوك في اول
الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا
باطنا **وما نرى لكم علينا من فضل** يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة
المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة **بل نظنكم كاذبين** قيل الخطاب لنوح وحده
فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم **قال** نوح **يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي**
يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به **واتاني رحمة من عنده** يعني هدى ومعرفة ونبوة [illegible]
انلزمكموها اي خفيت والتبست عليكم **وانتم لها كارهون** الهاء عائدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم
قبول الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا **ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا** [illegible] يعني وهذا الاستفهام معناه
الانكار اي ولا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع

بني الله لا نؤمن بها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله **ويا قوم لا أسألكم عليه مالا** يعني لا أسألكم ولا أطلب على تبليغ الرسالة جعلا **إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا** وذلك أنهم طلبوا من نوح أن يطرد الذين آمنوا وهم الأراذلون في زعمهم فقال لا يجوز لي ذلك لأنهم يعتقدون **إنهم ملاقوا ربهم** فلا أطردهم **ولكني أراكم قوما تجهلون** يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه أنكم تجهلون أن هؤلاء المؤمنين خير منكم **ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم** يعني من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم عني لأنهم مؤمنون مخلصون **أفلا تذكرون** يعني أفلا تتعظون **ولا أقول لكم عندي خزائن الله** هذا عطف على قوله لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعني التي لا يفنيها شيء فأدعوكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها وقال ابن الأنباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطو عن الخلق وإنما وجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي فادعوا أن هؤلاء المؤمنين إنما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي تعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرونه وإنما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم وقال والقول لا أولي ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله **ولا أعلم الغيب** يعني ولا أدعي علم ما يغيب عني مما تسرونه في نفوسكم فسبيلي قبول إيمانهم في الظاهر ولا أعلم ما في ضمائرهم إلا الله **ولا أقول إني ملك** وهذا وجه جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا أدعوكم إلى الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم

فصل استدل بعضهم بهذه الآية في تفضيل الملائكة على الأنبياء قالوا لأن نوحا عليه السلام قال ولا أقول إني ملك لأن الإنسان إذا قال أنا لا أدعي كذا وكذا لا يحسن إلا إذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن نوحا عليه السلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونوا من البشر إنما يكونوا من الملائكة فأعلمهم أن هذا الظن باطل وأن الرسل إنما يكونون من البشر فلهذا قال ولا أقول لكم إني ملك ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم **ولا أقول للذين تزدري أعينكم** يعني تحتقر وتصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك أنهم لما قالوا إنهم أراذلنا من الرذالة وهي الخسة **لن يؤتيهم الله خيرا** يعني توفيقا وهداية وإيمانا وأجرا **الله أعلم بما في أنفسهم** يعني من الخير والشر **إني إذا لمن الظالمين** يعني إن طردتهم تكذيبا لظاهرهم ومبطلا لإيمانهم يعني إن فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فما أنا من الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** معناه قد خاصمتنا **فأكثرت جدالنا** يعني خصومتنا **فأتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **إن كنت من الصادقين** يعني في دعواك أنك رسول الله إلينا **قال إنما يأتيكم به الله إن شاء** أي يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بإنزال العذاب وإن ذلك ليس لي إنما هو إلى الله ينزله متى شاء وعلى من شاء إن أراد بإنزال العذاب بكم **وما أنتم بمعجزين** قيل معناه وما أنتم بفائتين إنزال العذاب بكم **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم** يعني ولا ينفعكم إنذاري وتحذيري إياكم عقوبته ونزول العذاب بكم **إن كان الله يريد أن يغويكم** يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لأن الإغواء يؤدي إلى الهلاك **هو ربكم** يعني هو يهلككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه **وإليه ترجعون** يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم **أم يقولون افتراه** أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به **قل إن افتريته** أي اختلقته **فعلي إجرامي** أي إثم إجرامي والإجرام بمعنى السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنه اكتسب الذنب وافتعله **وأنا بريء مما تجرمون** يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على أن هذا مجاورة نوح عليه السلام على قومه فهي من قصة نوح عليه السلام وقال

مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع إلى القصة فقال تعالى **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** قال ابن عباس إن قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله وروي أن شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكني من العصاة فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون** يعني لا تحزن عليهم في مهلكهم يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن يحيى بن عبد الله بن عمير الليثي أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد منهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كانوا أخبث من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فشكى نوح إلى الله عز وجل فقال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فأوحى الله تعالى إليه **واصنع الفلك** يعني السفينة والفلك جمع ويطلق على الواحد والجمع **بأعيننا** قال ابن عباس بمرآنا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا **ووحينا** وقيل بأمرنا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في إمهال فإني قد حكمت بإغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فإنهما هالكان مع القوم وقيل أن جبريل أتى نوحا فقال له إن ربك يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنعها ولست نجارا فقال إن ربك يقول لك اصنع فإنك بأعيننا فأخذ القدوم فجعل ينجر ولا يخطئ فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله تعالى **ويصنع الفلك** يعني كما أمره الله تعالى قال أهل السير لما أمر الله عز وجل نوحا عليه السلام بعمل السفينة أقبل على عملها ولهي عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج إليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا والذراع إلى المنكب وأن يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه البطن الأعلى وحمل معه ما يحتاج إليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن أنه كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والقول الأول أشهر أن طولها ثلاثمائة ذراع وقال زيد بن أسلم مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة سنة يصنع الفلك وقال كعب الأحبار عمل نوح السفينة في ثلاثين سنة وروي أنها ثلاث أطباق قال الطبقة الأولى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للإنس والطبقة العليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فخرج منه الفأر فأقبلوا على الروث فأكلوه فلما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله تعالى إلى نوح

ان اضرب بين عيني الاسد فضربه فخرج من منخره سنور وسنوره وهي القط فاقبلا على الفار فاكلاه قال قوله تعالى
وكلما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه اى جماعة من قومه سخروا يعني استهزوا به وذلك
انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع قال اصنع شيئا يمشي على الماء فيضحكون
منه **قال** يعني نوحا لقومه **ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون** يعني ان تستجهلونا في صنعنا
فانا نستجهلكم لتعرضكم ما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح
عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمى هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج
في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى عن سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب
وهو قوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني فسترون **من يأتيه** يعني انينا يأتيه نحن او انتم **عذاب يخزيه**
يعني يهينه **ويحل عليه عذاب مقيم** يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا في الغرق والمراد
بالثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي لا انقطاع لها قوله تعالى **حتى اذا جاء امرنا وفار التنور** يعني
وغلى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في
القرآن بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور
اصله اعجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري
هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح اذا رأيت الماء على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون المراد قد جعل فوران
التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار التنور اى طلع الفجر ونور الصبح شبه نور السحر بخروج النور
من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس
ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظة التنور حقيقة
في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس
هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشتد نبوعه ويقوى
فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال الحسن
كان تنورا من حجارة وكانت حواء تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء تفور من التنور فاركب انت واصحابك
واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء في التنور فعلمت به امرأته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة
وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة
وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان
ذلك التنور تنور آدم عليه السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند
وقال الفوران الغليان **قلنا احمل فيها** يعني قلنا لنوح احمل في السفينة **من كل زوجين اثنين**
الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف
زوجين ذكر وانثى فحشر الله اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه من كل جنس منهما فيقع
الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة **واهلك** اى واحمل اهلك وولدك وعيالك
الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك واراد به امرأته واعلة وابنه كنعان **ومن آمن** يعني واحمل من
آمن بك معك من قومك **وما آمن معه الا قليل** اختلفوا في عدد من حمل نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن
جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث
ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح

وبنوه

وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة
وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبري والصواب من القول ان يقال كما قال الله عز وجل
وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يتجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد ذلك
في كتاب الله تعالى ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم عليه السلام
فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوح بجميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الذرة
وآخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه وجعل نوح يقول
له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها
نوح خلى سبيله فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك علي يا عدو الله قال الم تقل
ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال ما لك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون
على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الامام فخر الدين الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل
السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري او هوائي فكيف يغرق من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك
ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروى بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا عليه السلام
فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا احملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك
فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة
الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك فمما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا
قوله تعالى **وقال اركبوا فيها** يعني وقال نوح لمن حمل معه اى في السفينة اركبوا **بسم الله مجريها ومرسيها**
ان ربي لغفور رحيم يعني بسم الله اجراؤها وارساؤها قال الضحاك كان نوح اذا اراد
ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان ترسي قال بسم الله فترسي اى تقف وهذا تعليم من الله
لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا
للنجاح والفلاح في سائر الامور **وهي تجري بهم في موج كالجبال** الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتد
عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير ارسل الله المطر اربعين يوما وليلة
واخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر
قد قدر وحملناه يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله
اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شيء وقيل انه لما كثر الماء في السكك خافت ام صبي على ولدها
من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه
فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء
فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي **ونادى نوح ابنه** يعني كنعان **وكان في معزل** يعني عن نوح لم
يركب معه **يا بني اركب معنا** يعني في السفينة **ولا تكن مع الكافرين** يعني فتهلك معهم **قال**
يعني كنعان **ساوي** يعني سالتجي واصير **الى جبل يعصمني** يعني يمنعني **من الماء قال** يعني قال له
نوح **لا عاصم** يعني لا مانع **اليوم من امر الله** يعني من عذابه **الا من رحم** يعني الا من رحم الله
فينجيه من الغرق **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** يعني كنعان **وقيل** يعني بعد ما تناهى
الطوفان واغرق قوم نوح **يا ارض ابلعي ماءك** اى اشربيه **ويا سماء اقلعي** اى امسكي **وغيض
الماء** اى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب **وقضي الامر** يعني وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح

فأغرق قومه صح

وكان كافرا صح

واستوت يعني واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم
الظالمين قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة فلم يرجع
إليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح أن الماء قد ذهب فدعا على الغراب
بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت وروي
أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله
من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الأسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة
يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت
سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان وقيل إنه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق
وكان الماء يصل إلى حجزته وسبب نجاته من الهلاك أن نوحا عليه السلام احتاج إلى خشب ساج لأجل السفينة فلم
يمكنه نقله فحمله عوج من الشام إلى نوح عليه السلام فنجاه الله من الغرق لذلك فإن قلت كيف اقتضت الحكمة
الإلهية والكرم العظيم إغراق من لم يبلغ الحلم من الأطفال ولم يأثموا ولم يجر التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر
بعض المفسرين أن الله عز وجل أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لأنه
يرد عليه إغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ذلك أيضا هلاك أطفال الأمم
الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله أن الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله عز وجل ونادى نوح ربه أي دعاه وسأله
فقال رب إن ابني من أهلي أي وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي وإن وعدك الحق يعني الصدق الذي
لا خلف فيه وأنت أحكم الحاكمين يعني أنك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك قال يعني
قال الله تعالى يا نوح يعني هذا الابن الذي سألتني نجاته إنه ليس من أهلك اختلف علماء التفسير هل كان
هذا الولد ابن نوح لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال إنه ليس
من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن
عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين إنه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان
الأولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة قول الجمهور ما روي عن ابن عباس أنه قال ما بغت امرأة نبي قط ولأن الله
تعالى نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه وكان نوح أيضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة
وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وإنما خالف هذا الظاهر من خالفه لأنه استبعد
أن يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لأن الله خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير
وهم الكافرون والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم
فإن الله أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا وأخرج إبراهيم وهو نبي من صلب
آزر وكان كافرا وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء
فإن قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه السلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير
أنه يعلم كفره إنما حمله على أن ناداه رقة الأبوة ولعله إذا رأى تلك الأهوال أن يسلم فينجيه الله تعالى
بذلك من الغرق فأجابه الله عز وجل بقوله إنه ليس من أهلك يعني أنه ليس هو من أهل دينك لأن أهل الرجل من
يجمعه هو وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الأحكام

بين المسلم

بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم
وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ
الكسائي والباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين غير برفع الراء ومعناه أن سؤالك إياي أن
أنجيه من الغرق عمل غير صالح لأن طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال إنه عمل غير صالح
ويجوز أن يعود الضمير في إنه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة إن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل
غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار قال الواحدي وهذا قول أبي إسحاق يعني
الزجاج وأبي بكر ابن الأنباري وأبي علي الفارسي قال أبو علي ويجوز أن يكون ابن نوح جعل عملا غير صالح كما قد يجعل
الشيء في نفسه لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان إذا كثر منه فعلى هذا لا حذف قوله تعالى
فلا تسألن ما ليس لك به علم وذلك أن نوحا عليه السلام سأل ربه إنجاء ولده من الغرق وهو من كمال
شفقة الوالد على الولد وهو لا يعلم أن ذلك محظور لإصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسألة وأعلمه
أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسألته إني أعظك يعني أنهاك أن تكون
من الجاهلين يعني لمثل هذا السؤال قال يعني قال نوح رب إني أعوذ بك يعني ألتجئ إليك وأعتذر إليك
أن أسألك ما ليس لي به علم يعني إنك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فأعتذر إليك من مسألتي
ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي يعني جهلي وإقدامي على سؤالي ما ليس لي به علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت
كل شيء فصل وقد استدل بهذه الآية من لا يرى عصمة الأنبياء وبيانه أن قوله إنه عمل غير صالح
والمراد منه السؤال وهو محظور فلهذا نهيه عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله إني أعظك
أن تكون من الجاهلين وهذا يدل على أن ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل
على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح بظاهر
اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولا يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا
السبب فعاتبه الله تعالى على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذي وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي
هو غير صالح وقد أعلم الله أنه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأشفق نوح من إقدامه على سؤاله ربه
فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ إلى الله عز وجل وخضع له وأعاذ به وسأله المغفرة والرحمة
لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله
وإقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم قوله تعالى قيل يا نوح اهبط
أي انزل من السفينة أو من الجبل إلى الأرض بسلام منا أي بأمن وسلامة منا وبركات عليك
البركة هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيمة
فكل العالم من ذريته أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم وعلى أمم ممن معك يعني
وعلى ذرية من كان معك في السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تجيء من بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون
قال محمد بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيمة وأمم سنمتعهم هذا ابتداء كلام أي كافرة
يحدثون من بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا إلى منتهى آجالهم ثم يمسهم منا عذاب أليم يعني في الآخرة
تلك من أنباء الغيب هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أن هذه القصة التي أخبرناك يا محمد من قصة
نوح وخبره وخبر قومه من أنباء الغيب يعني من أخبار الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا يعني من قبل نزول القرآن عليك فإن قلت إن قصة نوح كانت مشهورة معلومة

أكن من الخاسرين

معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل انهم كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذى مشركي مكة وقومك كما صبر نوح على اذى قومه ان العاقبة يعني النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية للمتقين يعني للمؤمنين قوله عز وجل والى عاد يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله يعني وحده ولا تشركوا به شيئا في العبادة ما لكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الحكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا يعني على تبليغ الرسالة جعلا آخذه منكم ان اجري يعني ما ثوابي الا على الذي فطرني يعني خلقني فهو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون يعني فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به فالاستغفار بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا ثم توبوا اليه يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السماء عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخصب كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان امنوا بالله وصدقوا ارسل اليهم المطر فاحيا بلادهم كما كانت اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقويكم بالاموال والاولاد وذلك انه تعالى اعقم ارحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون في الدين الى الدنيا والابدان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي برهان واضح على صحة ما تقول وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا اصابك بخبل او جنون لانك سببتها فانتقموا منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا قال يعني قال هود مجيبا لهم اني اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا يعني وانتم اشهدوا ايضا على اني بريء مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه ما من دابة يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته انما خص الناصية للمجاورة وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم واذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا الاسير واراد اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفونه من كلامهم ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا واشتد في قبضته ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بفعله وقيل معناه

ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به اليكم ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال فهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيئا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ان ربي على كل شيء حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم الكافر والمؤمن فلما انجى الله المؤمن من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله تعالى المؤمنين جميعا فلم تضرهم شيئا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى لما نجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله فلما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله يعني هودا وحده وانما اتى بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول فقد كذب بكل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء وانما المراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى ويوم القيامة يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار فيه بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود وعاد الثانية ارم ذات العماد وهم العمالقة فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل والى ثمود اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوا الله واخضعوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال هو انشاكم من الارض يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعمر الثلاثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني من المؤمنين مجيب لدعائهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر

دعاهم الى الله تعالى وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه أتنهينا أن نعبد ما يعبد آباؤنا يعني الالهة وإننا لفي شك
مما تدعونا إليه مريب يعني من عبادة الله تعالى يعني انا مرتابين في قولك من اراب به اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس
ووقوعها في الريبة وهي التهمة قال يعني صالح مجيبا لقومه يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي على يقين
وبرهان وآتاني منه رحمة يعني حكمة ونبوة فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذاب الله إن عصيته يعني
ان خالفت امره فما تزيدونني غير تخسير قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة
حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ويا قوم هذه ناقة الله
وذلك ان قومه طلبوا ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة
ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه لهم آية ومعجزة دالة
على صدق صالح عليه السلام فذروها تأكل يعني من العشب والنبات في أرض الله يعني فليس عليكم مؤنتها ولا تمسوها
بسوء يعني بعقر فيأخذكم يعني ان قتلتموها عذاب قريب يعني في الدنيا فعقروها يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها
فقال يعني صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ثلاثة أيام يعني ثم تهلكون ذلك يعني العذاب الذي
وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اي هو غير كذب روي انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام
فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني ووجوهكم محمرة وفي اليوم الثالث ووجوهكم مسودة وفي اليوم
الرابع أتاهم العذاب وهو قوله تعالى فلما جاء أمرنا يعني العذاب نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا
اي بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان فآمنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكفار
إن ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القوي يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر
الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم صالح فقال تعالى وأخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة وذلك
ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فأصبحوا في ديارهم جاثمين يعني صرعى هلكى كأن لم يغنوا فيها كأن لم
يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا
لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في سورة الاعراف قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى
اراد بالرسل الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وقال عطاء كانوا تسعة
وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا احدى عشر ملكا
على صورة الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده
غير مقطوع به والبشرى يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني ان الملائكة سلموا
سلاما قال يعني لهم ابراهيم سلام اي عليكم فما لبث أن جاء بعجل حنيذ يعني مشويا والحنيذ هو المشوي على الحجارة
المحماة في حفرة في الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام
البقر وقيل مكث ابراهيم عليه السلام خمسة عشر ليلة لا يأكل معه ضيف ولم يأته ضيف وكان ابراهيم لم يأكل الا مع الضيف
فلما جاءه الملائكة رأى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل وجاء بعجل سمين مشوي فلما رأى أيديهم يعني ايدي الاضياف
لا تصل إليه يعني الى العجل المشوي نكرهم يعني انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام
وأوجس منهم خيفة يعني وقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه
كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف
انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر

ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون
ولانه خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم
إنا ملائكة الله أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته يعني سارة زوجة ابراهيم بنت هارون بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم
قائمة يعني وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم فضحكت اصل الضحك
انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد
وفي التعجب المجرد ايضا ثم قال وللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان احدهما انه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا
في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم عليه السلام الطعام الى ضيفه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تأكلون
فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبرائيل
الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا
لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال
مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم
وذلك انها خافت لخوف ابراهيم عليه السلام فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت بالبشارة وقال ابن عباس ووهب
ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديرها فبشرناها باسحق
فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل
وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اي حاضت
في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين
فقال ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة قال ابن الانباري قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه
غيرهم وانشد يقول فضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب بها يستهل قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه
الآية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري عن بعضهم في قوله فضحكت اي حاضت ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت
وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض يقول فيه تضحك الضبع من دماء سليم اذ رأتها على الحراب تمور وقال في المحكم ضحكت
المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا كما يقول وضحكت الارنب فوق
الصفا كمثل دم الجوف عند اللقاء يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكر ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابن
دريد يقول من شاهد الضبع عند كسرها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل
كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا فان قلت اي القولين اصح
في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل في معنى الضحك فالله اعلم اي ذلك كان
قوله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت
سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن
وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتى نداء ندبة وتحلية واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية
ما يستعجب منه مثل يا عجباه أألد وأنا عجوز وكانت بنت تسعين سنة في قول ابي اسحاق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين
سنة وهذا بعلي شيخا يعني زوجي والبعل هو المشتمل على غيره ولما كان زوج المرأة مستقلا عليها قائما بامرها
سمي بعلا لذلك وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة إن هذا لشيء عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت
من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما قالوا يعني قالت الملائكة لسارة أتعجبين من أمر الله معناه
لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء فاذا اراد شيئا كان سريعا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت

يعني بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته
انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على
كل حال مجيد ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكريم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا
كان سخيا كريما واسع العطا وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني
الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني ذال الخوف عنه بسبب البشرى التي جاءته
وهي البشارة بالولد يجادلنا فيه اضمار تقديره وجعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويخاصمنا ويسألنا في قوم لوط لان
العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلته ابراهيم مع الملائكة قال لهم
ارايتم لو كان في مداين قوم لوط خمسون من المؤمنين قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال حتى قال
فخمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه الا امراته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم عليه السلام تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا
عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف مقاتل ان ابراهيم لحليم اواه منيب
تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني اعرض
عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه قد جاء امر ربك يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله
تعالى وانهم آتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مردود ولا مصروف ولا مدفوع عنهم قال
تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه
سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم وساء ظنه بقومه وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة
والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليها اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف
ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى قوله وضاق بهم ذرعا اذ لم يجد من المكروه في ذلك
الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول
ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان
لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او
فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال يعني لوطا هذا يوم عصيب اي يوم شديد كانه قد عصب فيه
الشر والبلاء اي شد به ماخوذ من العصابة التي يشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية
لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقد قيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة لا تهلكوهم حتى تشهدوا
عليهم لوطا اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال
فاشهد بالله انها لاشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملائكة
مر على جماعة فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل ان هذه واحدة فمروا على اخرى فتغامزوا فقال
مثله ثم مروا على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ما قال فقال جبريل عليه السلام للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة
جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط عليه السلام فخرجت امراته
الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا لم ار مثل وجوههم قط ولا احسن منهم وجاءه قومه يهرعون
اليه وقال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيتين
وقال شمر هو بين الهرولة والخبب والجمز ومن قبل يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيئهم الى لوط كانوا
يعملون السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهو اتيان الرجال في ادبارهم قال يعني قال لوط لقومه

حين قصدوا اضيافه فطلبوا انهم غلمان من بني آدم يا قوم هؤلاء بناتي يعني ازوجكم اياهن وفي اضافة بناته قيل
انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط
الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد ببناته نساء قومه واضافهن الى نفسه لان نبي كل امة هو ابو امته وكالوالد لهم
وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب الى الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة
وليس من المروءة ان يعرض الرجل بناته على اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على الكفار
وقيل انما قال ذلك لوط الا على سبيل الدفع لقومه لا على التحقيق وفي قوله تعالى هن اطهر لكم سؤال وهو ان يقال
ان قوله اطهر لكم من باب افعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذين يطلبونه من الرجال طاهرا ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة
فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم
ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال اعل هبل يوم احد قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله
عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة وقوله عز وجل فاتقوا الله اي خافوه وراقبوه
واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم
اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحق رجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا
فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه من حق ما لنا في بناتك من حاجة
لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني من اتيان الرجال في ادبارهن فعند
ذلك قال لوط قوله تعالى قال لو ان لي بكم قوة اي لو اني اقدر ان اتقوى عليكم او آوي الى ركن شديد يعني او
آوي او انضم الى عشيرة يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة
لا نضممت اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت
قال الشيخ محيي الدين النووي المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى
الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن لهم عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد
حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحالة لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او آوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار
العذر عند اضيافه ولو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق بيوسف عليه السلام ياتي في موضعه
في سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل
يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط بسببهم قالوا
يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط
اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك
يعني بناتك بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال قتادة
بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر
الى خلفه الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله تعالى الا امراتك انه مصيبها

ما أصابهم فقال لوط متى يكون العذاب قالوا **إن موعدهم الصبح** قال لوط يعني إنه بعيد أسرع من ذلك أريد فقالوا
له **أليس الصبح بقريب** فلما خرج لوط من قريته وأخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه إلا امرأته
فإنها لما سمعت هذا العذاب وهو نازل التفتت وصاحت واقوماه فأخذتها حجارة فأهلكتها معهم **فلما جاء**
أمرنا يعني أمرنا بالعذاب **جعلنا عاليها سافلها** وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحيه تحت قرى قوم
لوط وهي خمس مداين أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعة الاف ألف فرفع جبريل المدن
كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها
وأمطرنا عليها يعني على شذادها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم **حجارة من**
سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير سنك وكل فارسي معرب لأن العرب إذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب
ولا يضاف إلى الفارسي مثل قولهم استبرق وسندس ونحو ذلك فكل هذه الألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها
في ألفاظهم فصارت عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد
أولها حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشددت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل
هو جبل في سماء الدنيا **منضود** قال ابن عباس متتابع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض
مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيماء لا تشاكل حجارة الأرض وقال قتادة وعكرمة عليها
خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل حجر
اسم صاحبه الذي يرمى به **وما هي** يعني تلك الحجارة **من الظالمين** يعني مشركي مكة **ببعيد** قال قتادة
وعكرمة يعني ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم إلا وهو معرض عليه حجر يسقط
عليه من ساعة إلى ساعة وقيل إن الحجارة أتبعت شذاذ قوم لوط حتى أن واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا
في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فأهلكه قوله عز وجل **وإلى مدين** أي وأرسلنا
إلى مدين **أخاهم شعيبا** ومدين اسم لابن إبراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من أولاده
وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا إلى مدين أي أهل مدين
فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** يعني وحدوا الله ما لكم من إله
غيره ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الأنبياء عليهم السلام يبدأون بالأهم فالأهم فلما كانت الدعوة إلى توحيد
الله وعبادته أهم الأشياء فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيما هم فيه
ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهو تطفيف الكيل والوزن
فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** والنقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم
فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائدا على حقهم فيكون نقصا
في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان **إني أراكم**
بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في سعة وخصب فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر
وحلول النقمة إن لم يتوبوا ويؤمنوا وهو قوله تعالى **وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط** يعني يحيط بكم فيهلككم
جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وحذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله وإن جهنم لمحيطة بالكافرين **ويا قوم أوفوا**
المكيال والميزان أي أتموهما ولا تطففوا فيهما **بالقسط** أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال
قوله **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** أي ولا تنقصوا الناس يعني أموالهم فإن قلت قد وقع التكرار في هذه
القصة من ثلاثة أوجه لأنه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان ثم قال وهذا عين الأول

ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة في هذا التكرار قلت إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك
العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة
الاهتمام والعناية للتأكيد فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل ولأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
نهي عن التنقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا عين الأول ومغاير له ولقائل أن يقول النهي
ضد الأمر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز أن ينهى عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل
والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الأمر والنهي وأما قوله ثانيا ولا
تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضا لأنه تعالى لما خص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل
والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحقوق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك
وظهر بهذا البيان فائدة هذا التكرار والله أعلم وقوله **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** يعني بتنقيص
الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم **بقية الله خير لكم** قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد
إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني
ما أبقى لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام **إن كنتم مؤمنين**
يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به ونهيتكم عنه **وما أنا عليكم بحفيظ** يعني أحفظ أعمالكم قال بعضهم
إنما قال شعيب ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم **قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** يعني من الأصنام
أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء يعني من النقص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا
وقيل إنهم كانوا يمرون به فيرونه يصلي فيستهزئون به ويقولون هذه المقالة وقال الأعمش أقراءتك لأن الصلاة تطلق
على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا
ما نشاء وذلك أنهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم أنه محرم عليهم وإنما ذكر
الصلاة لأنها من أعظم شعائر الدين **إنك لأنت الحليم الرشيد** قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوي
لأن العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ السليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وإنما قالوا
ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية وقيل معناه إنك لأنت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه في الصحة ومعناه
إنك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم **قال** يعني قال لهم شعيب **يا قوم أرأيتم**
إن كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان **ورزقني منه رزقا حسنا** يعني حلالا
وقيل كان شعيب كثير المال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب إن
الشرطية محذوف تقديره أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والنبوة والمعرفة فهل
يسعني مع هذه النعمة العظيمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو أبخس الناس أشياءهم وهذا
الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك أنهم قالوا له إنك لأنت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد
أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله **وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه** قال صاحب
الكشاف يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولي عنه وإذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء
فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء يريد أنه ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد
أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم قال الإمام فخر الدين الرازي
وتحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق
الأصوب الأصلح فكأنه عليه السلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اخترته لنفسي هو أصوب الطرق وأصلحها

وهو الدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك البخس والنقصان فأنا مواظب عليها غير تارك لها واعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها لا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناه إني لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه إنما أختار لكم ما أختار لنفسي وقال ابن الأنباري بين أن الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعته وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي إلا عليه فكان هذا النصيحة لهم **إن أريد** يعني بما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه **إلا الإصلاح** يعني فيما بيني وبينكم **ما استطعت** يعني ما استطعت إلى الإصلاح وهو الإبلاغ والإنذار فقط ولا أستطيع إجباركم على الطاعة لأن ذلك إلى الله تعالى فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء **وما توفيقي إلا بالله** التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي إلا بالله **عليه توكلت** يعني على الله اعتمدت في جميع أموري **وإليه أنيب** يعني وإليه أرجع فيما ينزل بي من النوائب وقيل إليه أرجع في معادي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وقوله تعالى **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي** أي لا يحملنكم خلافي وعداوتي **أن يصيبكم** يعني عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة **مثل ما أصاب قوم نوح** يعني الغرق **أو قوم هود** يعني من الريح التي أهلكتهم **أو قوم صالح** يعني ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا **وما قوم لوط منكم ببعيد** وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم قوله **واستغفروا ربكم** يعني من عبادة الأصنام **ثم توبوا إليه** يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن **إن ربي رحيم** يعني بعباده إذا تابوا واستغفروا **ودود** قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أوده إذا أحببته وقيل يحتمل ودود أن يكون فعول بمعنى مفعول معناه أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة إفضاله وإحسانه إليهم وقال الحليمي هذا وقد قيل هو الواد لأهل طاعته أي الراضي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه أن يودهم إلى خلقه **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك** يعني ما نفهم ما تدعونا إليه وذلك أن الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وإن كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون **فينا ضعيفا** قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال إن حمير كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعني ذليلا قال أبو روق إن الله تعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع من نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى **ولولا رهطك** يعني جماعتك وقيل عشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى سبعة **لرجمناك** يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وأشرها وقيل معناه لشتمناك وأغلظنا لك القول **وما أنت علينا بعزيز** يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا القول وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام أنه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وأنهم إنما يتقلوه ولم يسمعوا له الكلام الغليظ الفاحش لأجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لأنهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله **قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله** يعني أهيب عليكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي لأن الله أعز وأعظم **واتخذتموه وراءكم ظهريا** يعني ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشيء الملقى الذي لا يلتفت إليه **إن ربي بما تعملون محيط** يعني أنه عالم بأحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم بها يوم القيامة **ويا قوم اعملوا على مكانتكم** يعني على تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر **إني عامل** يعني ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الأمر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد ويدل عليه قوله **فسوف تعلمون** يعني أينا الجاني على نفسه المخطئ في فعله فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت إدخال الفاء في قوله فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا

وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى فسوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** بسبب عمله السيء أو أينا الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه **ومن هو كاذب** يعني فيما يدعيه قوله **وارتقبوا** يعني وانتظروا العاقبة وما يؤول إليه أمركم وأمري **إني معكم رقيب** يعني منتظر والرقيب بمعنى المراقب **ولما جاء أمرنا** يعني بعذابهم وإهلاكهم **نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا** يعني بفضل منا بأن هديناهم للإيمان ووفقناهم للطاعة **وأخذت الذين ظلموا** يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبخس **الصيحة** وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة خرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أتتهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا **فأصبحوا في ديارهم جاثمين** يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير إذا قعد ولطئ بالأرض **كأن لم يغنوا فيها** يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غني بالمكان إذا قام فيه مستغنيا به عن غيره **ألا بعدا** يعني هلاكا **لمدين كما بعدت ثمود** قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم قوله **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا** يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناه الدالة على صدقه ونبوته **وسلطان مبين** يعني ومعجزة قاهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة له معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض **إلى فرعون وملئه** يعني أتباعه وأشراف قومه **فاتبعوا أمر فرعون** يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى **وما أمر فرعون برشيد** يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** يعني كما تقدم قومه فأدخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخلوها أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلالة والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وإمامهم في النار **وبئس الورد المورود** يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الوارد إلى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لأنه يكسر العطش قال في حق فرعون وأتباعه فأوردهم النار وبئس الورد المورود لأن الأصل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة **وأتبعوا في هذه** يعني في هذه الدنيا **لعنة** يعني طردا وبعدا عن الرحمة **ويوم القيامة** يعني وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا **بئس الرفد المرفود** يعني بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الآخرة وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك أنهم ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله تعالى **ذلك من أنباء القرى** يعني من أخبار أهل القرى وهم الأمم السالفة والقرون الماضية **نقصه عليك** يعني نخبره عليك يا محمد لتخبر قومك لعلهم يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب **منها** يعني من القرى التي أهلكنا أهلها **قائم وحصيد** يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها قد محي أثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد بمعنى المحصود **وما ظلمناهم** يعني بالعذاب والإهلاك **ولكن ظلموا أنفسهم** يعني بالكفر والمعاصي **فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك** يعني بعذابهم لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب **وما زادوهم غير تتبيب** يعني غير تخسير وقيل غير تدمير **وكذلك أخذ ربك** يعني وهكذا أخذ ربك **إذا أخذ القرى وهي ظالمة** الضمير في وهي عائد على القرى والمراد أهلها **إن أخذه أليم شديد** ق عن أبي موسى الأشعري

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم قوله تعالى **ان في ذلك لاية** يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة **لمن خاف عذاب الاخرة** يعني ان اهلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة اذا نظر ما احل بهؤلاء الكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه في الاخرة وهي كالانموذج مما اعد الله لهم من اليم عذابه في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله **ذلك يوم مجموع له الناس** يعني يوم القيمة يجمع فيه الخلايق من الاولين والاخرين للحساب بين يدي رب العالمين **وذلك يوم مشهود** يعني يشهده اهل السموات واهل الارض **وما نؤخره الا لاجل معدود** يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا الى وقت معلوم وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى **يوم ياتي** يعني ذلك اليوم **لا تكلم نفس الا باذنه** قيل ان جميع الخلق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه الا باذنه سبحانه وتعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون ويسكتون وقيل المراد من قوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا باذن الله لها في الشفاعة **فمنهم** يعني فمن اهل الموقف **شقي وسعيد** الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده في الجنة ومقعده في النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخصرة او باليد او نحو ذلك حتى يؤثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات لهم فهؤلاء مسكوت عنهم وهم تحت مشيئة الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث **فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها** اي في النار من العذاب والهوان **زفير وشهيق** اصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في صدره وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف **خالدين فيها ما دامت السموات والارض** قال ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سماء تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فهو سماء وكل ما

استقر عليه قدماك فهو ارض وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون بذلك التابيد **الا ما شاء ربك** اختلف العلماء في معنى هذين الاستثنائين فقال ابن عباس والضحاك الاستثناء الاول المذكور في اهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما مستهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة **ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك** ان يدخلهم النار اولا ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فحاصل هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لا يخرجون منها ابدا وقيل ان الاستثنا يرجعان الى الفريقين واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم الى الحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين فيها اي الجنة او النار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان علي الف الا الفين اي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى او يعني وقد شاء ربك خلود هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لم يشأ لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ثم ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من في النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقديره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل عليه الاستثناء وجب ان يحمل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاول في جانب الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل بعض اعلى من منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة مجتمعة على ان من يدخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى **عطاء غير مجذوذ** يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروي عن ابن مسعود انه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين الذين كانوا استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين من النار وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله تعالى اعلم قوله تعالى **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء**

يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هؤلاء الكفار فانها لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
من قبل يعني انه ليس في عبادة هذه الاصنام التي يعبدها هؤلاء مستند الا انهم راوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم وانا لموفوهم
نصيبهم غير منقوص يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل
ان يكون المراد من توفيه نصيبهم يعني من العذاب الذي قدرناهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عز وجل ولقد آتينا
موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه يعني في الكتاب فمن مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيمة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة
في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وقوله تعالى لقضي بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك
منه يعني من القرآن ونزوله عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريبة والتهمة وان كلا يعني من الفريقين
المختلفين المصدق والمكذب لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم
في القيمة فالمصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار قوله تعالى انه بما يعملون خبير يعني انه
تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين
قوله تعالى فاستقم كما امرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء
اليه كما امرك ربك والامر في واستقم للتأكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك
للقائم قم حتى آتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى آتيك ومن تاب معك يعني ومن آمن معك من امتك
فليستقيموا ايضا على دين الله تعالى والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان يستقيم على الامر والنهي ولا يروغ
عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك
قال قل آمنت بالله ثم استقم ولا تطغوا اي ولا تجاوزوا امري الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين
فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه
شيء منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود
واخواتها خ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل في الدين
وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وهو قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا اي اقصدوا السداد من الامور وهو
الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي المقصود الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدو التغدير والرواح بكرة والرواح
الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا
وقوله واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الى تقليله ولا تركنوا الى الذين ظلموا والركون قال ابن عباس
هو الميل والمحبة بالقلب وقال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة وقيل معناه ولا
تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار اي فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اولياء يعني اعوانا
وانصارا يمنعونكم من عذاب الله ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيمة
ففيه وعيد لمن ركن الى الظلمة او رضي باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم واقم الصلوة
طرفي النهار سبب نزول هذه الآية ما روى الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت
تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب
ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل
هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق النبي صلى الله عليه وسلم طويلا

حتى اوحي اليه واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر
فاتيته فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس
عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله
ابن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلوة طرفي
النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألي هذه الآية قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية قال رجل من القوم
يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله
ارأيت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا وقد اتى اليها الا انه لم يجامعها قال
فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمؤمنين عامة قال بل
للمؤمنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن ابن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله
تعالى واقم الصلوة طرفي النهار يعني صلوة الغداة والعشي قال مجاهد طرفي النهار يعني صلوة الصبح والظهر والعصر
وزلفا من الليل يعني صلوة المغرب والعشاء وقال مقاتل صلوة الصبح والظهر طرف النهار وصلوة العصر والمغرب
طرف الليل وزلفا من الليل يعني صلوة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن
عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلوة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار
الغداة والعشي يعني صلوة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار وهو
طلوع الشمس والثاني لا يجوز ان تكون صلوة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني
على صلوة العصر وزلفا من الليل يعني واقم الصلوة في زلف الليل وهي ساعاته واحدتها زلفة واصل الزلفة
المنزلة والمراد بها صلوة المغرب والعشاء ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات
ويكفرنها م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات
لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهما اذا اجتنبت
الكبائر ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارأيتم لو كان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم
خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا
خ عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار يمر على باب احدكم يغتسل فيه
كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن شيء قال العلماء الصغائر من الذنوب يكفرها الاعمال الصالحة
مثل الصلوات والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة
النصوح ولها ثلاث شرائط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام على ان لا
يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير
الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس
وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين
ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن ذكرى للذاكرين
يعني عظة للمؤمنين المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقى
منهم وقيل معناه واصبر على الصلوة وقوله فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن عباس
يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم يا امة

محمد **اولوا بقية** يعني اولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولوا بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة **ينهون عن الفساد في الارض** يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم **الا قليلا** هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا وقوله **ممن انجينا منهم** يعني هم من من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما نعموا فيه والترف التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الآخرة ونعيمها **وكانوا مجرمين** يعني كافرين **وما كان ربك** يعني وما كان ربك يا محمد **ليهلك القرى بظلم** يعني لا يهلكهم بظلم منه **واهلها مصلحون** يعني وهم مصلحون في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وسيئاتهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني فيما بينهم يعاملون بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما عذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد قوله تعالى **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة قال قوله **ولا يزالون مختلفين** يعني على اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود قال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بقوله بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من البدع والاهواء والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وقوله تعالى **الا من رحم ربك** يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون **ولذلك خلقهم** قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال اشهب سألت مالك بن انس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم وقال الفراء وخلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق اهل العذاب ليختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل الآية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على البعض بالاتفاق ومصيرهم الى الجنة وهم اهل الايمان ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله **وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للنار والضلالة فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى **وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك** لما ذكر الله تعالى عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد يعني انباء الرسل ما نثبت به فؤادك يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه **وجاءك**

يا محمد **في هذه الحق** اختلفوا في هذا الضمير الى ما ذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثر المفسرين فان قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها **وموعظة وذكرى للمؤمنين** اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم** فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم **انا عاملون** يعني ما امرنا به ربنا **وانتظروا** يعني ما يعدكم به الشيطان **انا منتظرون** يعني ما يحل بكم من نقمة اما في الدنيا واما في الآخرة **ولله غيب السموات والارض** يعني علم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء **واليه يرجع الامر كله** يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والآخرة **فاعبده** يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيرها فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره **وتوكل عليه** يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك **وما ربك بغافل عما تعملون** قال اهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية والف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستة وستون حرفا قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما روي عن سعد بن ابي وقاص قال انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه زمانا عليهم قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده وشأن يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين الآية الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس **تلك** اشارة الى آيات هذه السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه **آيات الكتاب المبين** وهو القرآن اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهذا من بان اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من بان بمعنى اظهر وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين **انا انزلناه** يعني هذا الكتاب **قرآنا عربيا** اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية لتفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم القرآن على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن ان يقال في القرآن شيء بغير العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القرآن لسانا غير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك

وهذا هو الصحيح المختار لان هولاء اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما
ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم
لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما **لعلكم تعقلون**
اي لكي تفهموا ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى **نحن نقص عليك احسن القصص** الاصل في معنى القصص
اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما سميت
الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة
والقرون الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة وانما سماها احسن القصص
لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء
ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة
الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع
سورة يوسف محزون الا استراح اليها وقوله تعالى **بما اوحينا اليك** يعني يا محمد بما ايحاينا اليك
هذا القرآن وان كنت اي وقد كنت **من قبله** يعني من قبل وحينا اليك **لمن الغافلين**
يعني عن هذه القصة وما فيها من العجايب قال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو
قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل **اذ قال يوسف لابيه** اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف
لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم وعلى نبينا محمد وعلى ساير الانبياء اجمعين خ عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجرى فيه وقيل هو عربي سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن والاسيف
العبد واجتمعا في يوسف فسمي به **يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين**
معناه قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزل من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا
له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احدى عشر رجلا
يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل
قد ماتت وقال قتادة وابن جريج والقمر ابوه والشمس امه لان الشمس مونثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام
ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبعة عشر سنة وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره
وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد
لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رايتهم لي ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات
قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة والمنجمين
يزعمون ان الكواكب احياء نواطق حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشيء والاول
اصح فان قلت قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ الرؤية ثانيا فقال رايتهم لي
ساجدين فما فايدة هذا التكرار قلت معنا الرؤية الاولى انه راى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى
الرؤية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه
قيل له وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة

على فضلهما وشرفهما على ساير الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف عليه السلام
فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف هذه الرؤيا وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا
قال يعقوب **يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك** يعني لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تاويلها **فيكيدوا
لك كيدا** اي فيحتالون في هلاكك فامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي واللام في فيكيدوا
لك كيدا تاكيد للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك **ان الشيطان للانسان عدو مبين** يعني
انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان اقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته
ق عن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا
السوء من الشيطان فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا
وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله تعالى فليحمد الله وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وليتحول عن جنبه
الذي كان عليه وعن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المومن جزء من اربعين وفي رواية
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم يحدث بها فاذا احدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا
تحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة
الرؤيا ان الله تعالى يخلق في قلب المومن النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا
يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على امور اخر يخلقها في ثاني الحال والجميع
خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما
يضر يكون بحضرة الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله
والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره اضاف الرؤيا
المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله تعالى وتدبيره وارادته ولا
فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروه ويرتضيها فيستحب اذا راى الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب
واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه
الاخر فانها لا تضره فان الله جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال
وغيره من البلاء قوله عز وجل **وكذلك يجتبيك ربك** يعني يقول يعقوب ليوسف عليهما السلام اي وكما
رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك ربك والاجتباء الله العبد تخصيصه اياه
بفيض الهي يحصل له منه انواع من المكرمات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبياء او لبعض من يقاربهم من الصديقين
والشهداء والصالحين **ويعلمك من تاويل الاحاديث** يعني به تعبير الرؤيا سمي تاويلا لانه يؤول امره الى ما
راى في منامه يعني تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام اعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال
الزجاج تاويل احاديث الانبياء والامم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة **ويتم نعمته
عليك** يعني بالنبوة قاله ابن عباس لان منصب النبوة اعلا المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من اتمام
النعم عليهم لان جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب **وعلى آل يعقوب** المراد بآل يعقوب اولاده فانهم كانوا
انبياء وهو المراد من اتمام النعمة عليهم **كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق** بان جعلهما نبيين

وهو المراد من إتمام النعمة عليهما وقيل المراد من إتمام النعمة على إبراهيم صلى الله عليه وسلم بأن خلصه من النار واتخذه الله تعالى
خليلاً والمراد من إتمام النعمة على إسحق بأن خلصه من الذبح وهذا على قول من قال إن إسحق هو الذبيح وليس بشيء والقول الأول هو
الأصح بأن إتمام النعمة عليهما بالنبوة لأنه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العباد **إن ربك عليم** يعني
بمصالح خلقه **حكيم** يعني أنه تعالى لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وقيل إنه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت إبراهيم عليه السلام قال ابن
عباس كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بأبيه وإخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين قال الحسن
البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه
قوله تعالى **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** يعني في خبره وخبر إخوته وأسمائهم روبيل
وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب
وولد ليعقوب من سريتين اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالي وجاد وآشر ثم توفيت
ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الأسباط وعددهم اثنا عشر نفراً
وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد
يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر فذكر قصة يوسف مع إخوته فوجدوها مطابقة لما في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا
تكون هذه القصة دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والأحبار
ولم يأخذ من أحد منهم شيئاً فدل ذلك على أن ما أتى به وحي سماوي وعلم قدسي أوحاه الله إليه وعرفه به ومعنى آيات للسائلين
أي عبرة للمعتبرين فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها
حسد إخوته له وما آل إليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على بلواه مثل إلقائه في الجب وبيعه عبداً وسجنه بعد ذلك
وما آل إليه أمره من الملك ومنها ما اشتمل عليه على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل إليه أمره من بلوغ المراد
وغير ذلك من الآيات التي إذا فكر فيها اعتبر واتعظ **إذ قالوا** يعني إخوة يوسف **ليوسف** اللام فيه لام القسم تقديره
والله ليوسف **وأخوه** يعني بنيامين وهما من أم واحدة **أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة** إنما قالوا هذه
المقالة حسداً منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب إليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة
وقال الفراء العصبة هي العشرة وقال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر وقيل إلى الأربعين وقيل إن الأصل كل جماعة يتعصب بعضهم
لبعض يسموا عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر **إن أبانا لفي ضلال مبين** يعني أنه لفي خطأ بين في إيثاره
حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه وإصلاح أمر مواشيه وليس
المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين إذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا به الخطأ في أمر الدين وما يصلحها
يقولون نحن أنفع به من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته إليه لأنا أكبر منه سناً وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود
الأعظم وهو أن يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الإخوة إلا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر
دفعها ويحتمل أن يعقوب إنما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لأن أمه ماتت وهو صغير أو لأنه رأى فيه من آثار الرشد والنجابة
ما لم يره في سائر إخوته فإن قلت الذي فعله إخوة يوسف بيوسف وهو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك
نسبة أبيهم إلى الضلال وهو من محض العقوق وهو من الكبائر أيضاً وكل قادح في عصمة الأنبياء عليهم السلام فما الجواب
عنه قلت إن هذه الأفعال إنما صدرت من إخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الأنبياء هو وقت حصول النبوة
لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الأفعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الأفعال قادحة
في عصمة الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف **اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه
أبيكم** لما قوي الحسد وبلغ النهاية قال إخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل إلا بأحد

الطريقين

الطريقين إما القتل مرة واحدة أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه بأن تفترسه الأسد أو السباع أو يموت
في تلك الأرض البعيدة ثم ذكروا العلة في ذلك قولهم يخل لكم وجه أبيكم والمعنى أنه قد شغله حب يوسف عنكم فإذا أهلتم
ذلك بيوسف أقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته إليكم **وتكونوا من بعده** يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده
عن أبيه **قوماً صالحين** يعني تائبين تتوبون إلى الله يعف عنكم فتكونوا قوماً صالحين وذلك أنهم لما علموا أن الذي
عزموا عليه من الكبائر والذنوب فلهذا قالوا نتوب إلى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل
معناه يصلح لكم أمركم فيما بينكم وبين أبيكم فإن قلت كيف تصدر هذه الأفعال منهم وهم أنبياء قلت الجواب كما تقدم أنهم
لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت حتى يكون ذلك الفعل قادحاً في عصمة الأنبياء وإنما أقدموا هذه الأفعال قبل النبوة وقيل
إن الذي أشار بقتل يوسف كان أجنبياً شاوروه في ذلك فأشار عليهم بقتله **قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف**
يعني قال قائل من إخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً فيهم فنهاهم
عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والأصح أن قائل هذه المقالة هو يهوذا لأنه كان أقربهم إليه نسباً **وألقوه في
غيابة الجب** يعني ألقوه في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئاً وغيبه عن النظر والجب البئر الكبير
غير مطوية سمي بذلك لأنه جب أي قطع ولم يطو وأفاد ذكر الغيابة مع ذكر الجب أن المشير أشار بطرحه في موضع من
الجب مظلم لا يراه أحد واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بئر بيت المقدس وقال وهب هو في أرض الأردن وقال
مقاتل هو في أرض الأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وإنما عينوا ذلك للعلة التي ذكروها وهي قوله تعالى
يلتقطه بعض السيارة وذلك أن هذا الجب كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط أخذ
الشيء من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعني يأخذه بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى
فتستريحوا منه **إن كنتم فاعلين** فيه إشارة إلى ترك الفعل فكأنه قال لا تفعلوا شيئاً من ذلك وإن عزمتم على
هذا الفعل فافعلوا هذا القدر إن كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء وقيل لم يكونوا
بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا وتكونوا من بعده قوماً صالحين وقالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين
والصغير لا ذنب له وقال محمد بن إسحق اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة
بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالأمانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عن ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله
تعالى وقال بعض أهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعاً وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله
تعالى فلما أجمعوا على التفريق بين يوسف ووالده بضرب من الحيل **قالوا** يعني قال إخوة يوسف ليعقوب **يا أبانا
ما لك لا تأمنا على يوسف** بدؤوا بالإنكار عليه في ترك إرسال يوسف معهم كأنهم قالوا لم تخافنا عليه إذا أرسلته
معنا **وإنا له لناصحون** المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى إنا لعاطفون عليه
قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا فقال يعقوب
إني ليحزنني أن تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ثم قالوا **أرسله معنا غداً**
يعني إلى الصحراء **نرتع** الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله إذا أنفقه في شهواته والأصل في الرتع أكل البهائم
في الخصب من الربيع ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير **ونلعب** اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان
إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً سئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء
ويحتمل أن يكون اللعب المراد به هنا الإقدام على المباحات لأجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا
بكراً تلاعبها وتلاعبك وأيضاً فإن لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والإقدام
على الأقران في الحرب بدليل قوله نستبق وإنما سموه لعباً لأنه في صورة اللعب وقيل معناه نرتع ونلعب ننعم ونأكل ونلهو وننشط

وإنا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده إليك سالماً قال يعني قال لهم يعقوب إني ليحزنني أن
تذهبوا به أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب ومعنى الآية لما طلبوا منه أن يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب
عليه السلام بعذرين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه يحزنه لأنه كان لا يقدر أن يصبر عنه ساعة والثاني قوله وأخاف أن
يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون يعني إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك أن يعقوب عليه السلام رأى في المنام أن ذئباً شد على
يوسف فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذئاب في أرضهم كثيرة قالوا يعني إخوة يوسف مجيبين ليعقوب لئن أكله الذئب
ونحن عصبة أي جماعة عشرة رجال إنا إذاً لخاسرون يعني عجزة ضعفاء وقيل إنهم خافوا أن يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار
وقيل معناه إنا إذا لم نقدر على حفظ أخينا فكيف نحفظ مواشينا فنحن إذاً خاسرون قوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه إضمار
واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب يعني وعزموا أن يلقوه في غيابة الجب
ذكر قصة ذهابهم بيوسف قال وهب وغيره من أهل السير والأخبار إن إخوة يوسف قالوا له أما تشتاق أن تخرج معنا
إلى مواشينا فنتصيد ونستبق فقال بلى قالوا له فسل أباك أن يرسلك معنا قال يوسف أفعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب
فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا أبت إني أرى من إخوتي اللين
واللطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له وأرسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا
يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى الصحراء ألقوه على الأرض وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة و
بسطوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي
يا أبتاه لو رأيت يوسف وما نزل به من إخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه هذا ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك
وجعل يبكي بكاء شديداً فأخذه روبيل فجلد به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلاً يا أخي لا تقتلني فقال
له يا ابن راحيل أنت صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله في وحل
بيني وبين من يريد قتلي فأدركته رحمة الأخوة ورق له فقال يهوذا يا إخوتاه ما على هذا عاهدتموني ألا أدلكم على ما هو أهون لكم
وأرفق به فقالوا وما هو قال تلقوه في هذا الجب إما أن يموت أو يلتقطه بعض السيارة فانطلقوا به إلى بئر هناك على غير الطريق
واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي
قميصي لأستتر به في الجب قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال إني لم أر شيئاً فألقوه فيها ثم قال لهم يا إخوتاه
أتدعوني فيها وحيداً وقيل جعلوه في دلو ثم أرخوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه
ثم أوى إلى صخرة كانت في البئر فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه وأخرج له صخرة من البئر فأجلسه عليها وقيل إنهم لما
ألقوه إلى الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك
وقيل إن يعقوب لما بعثه مع إخوته أخرج له قميص إبراهيم عليه السلام الذي كساه الله إياه من الجنة حين ألقي في النار فجعله يعقوب
في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فألبسه الملك إياه حين ألقي في الجب فأضاء له الجب وقال الحسن لما ألقي يوسف في الجب
عذب ماؤه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فآنسه فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له إنك إذا
خرجت استوحشت فقال إذا رهبت شيئاً فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني
وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فقال فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي
لما ألقي يوسف في الجب قال يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً غير مغلوب اجعل لي فرجاً مما أنا فيه فلم يبت فيه و
في قدر عمر يوسف يوم ألقي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنتي عشرة سنة وقال ابن السائب سبع عشرة سنة وقيل
ثماني عشرة سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة أيام وكان إخوته يرعون حواليه وكان يهوذا يأتيه بالطعام فذلك قوله تعالى وأوحينا
إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا يعني لتخبرن إخوتك قال أكثر المفسرين إن الله أوحى إليه وحياً حقيقة

فبعث إليه جبريل يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه وهذا قول طائفة عظيمة من المحققين ثم
القائلون بهذا القول هل كان بالغاً اختلفوا في ذلك الوقت أو كان صبياً صغيراً فقال بعضهم إنه كان بالغاً وكان عمره سبعة
عشر سنة وقال آخرون بل كان صغيراً إلا أن الله عز وجل أكمل عقله ورشده وجعله صالحاً لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق
عيسى عليه السلام فإن قلت كيف جعله نبياً في ذلك الوقت ولم يكن يبلغ رسالة ربه لأن فائدة النبوة والرسالة تبليغها
إلى من أرسل إليه قلت لا يمتنع أن الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه و
إزالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يأمره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل إن المراد من قوله وأوحينا إليه
وحي إلهام كما في قوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى أم موسى والقول الأول أولى وهم لا يشعرون يعني بإيحائنا إليك
وأنت في البئر بأنك ستجازيهم بصنيعهم هذا والفائدة في إخفاء الوحي عنهم أنهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل
إن الله أوحى إلى يوسف لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف والمقصود من ذلك
تقوية قلب يوسف عليه السلام وأنه سيخلص مما فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره وجاؤوا
أباهم عشاء يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليكونوا في الظلمة
أجرأ على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج إليهم فلما
رآهم قال بالله سألتكم يا بني هل أصابكم شيء في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا
نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج يسابق بعضنا بعضاً في الرمي وهو التناضل أيضاً وسمي المتراميان بذلك
يقال تسابقا واستبقا إذا فعلا ذلك ليتبين أيهما أبعد سهماً وقال السدي نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الأقدام
ليتبين أينا أسرع عدواً وأخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق إلى الصيد وتركنا يوسف عند
متاعنا عند ثيابنا فأكله الذئب يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه وما أنت بمؤمن لنا
يعني وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين يعني في قولنا والمعنى إنا وإن كنا صادقين لكنك لا تصدقنا قولاً
لشدة محبتك ليوسف فإنك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه إنا وإن كنا صادقين لا تصدقنا لأنه لم يظهر عندك أمارة
تدل على صدقنا وجاؤوا على قميصه يعني قميص يوسف ثم جاؤوا أباهم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم
ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل إنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال
يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله عز وجل وقال والله ما أكلته ولا رأيت ولدك قط ولا يحل لنا
أن نأكل لحوم الأنبياء فقال يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان قال جئت لصلة الرحم وهو قرابة لي فأخذوني وأتوا بي إليك
فأطلقه يعقوب ولما ذكر إخوة يوسف ليعقوب هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب
بل سولت لكم أنفسكم أمراً يعني بل زينت لكم أنفسكم أمراً وأصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في
إتمامه قال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء أي سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً ركبتموه من يوسف
وهونتموه في أنفسكم وأعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم أكله الذئب وكأنه قال ليس الأمر كما تقولون أكله الذئب
بل سولت لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون فصبر جميل أي فشأني صبر جميل وقيل معناه فصبري
صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع وقيل من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك قوله
والله المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون
قوله عز وجل وجاءت سيارة وهم القوم المسافرون سموا سيارة لسيرهم في الأرض وكانوا رفقة من مدين
يريدون مصر فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريباً من الجب الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيداً عن العمارة يرده المارة
والرعاة وكان ماؤه ملحاً فلما ألقي يوسف فيه عذب فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر الخزاعي

ليطلب لهم الماء فذلك قوله **فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه** قال والوارد هو الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ له
الأرشية والدلاء يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر ودلوتها إذا أخرجتها قال فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان
يوسف عليه السلام أحسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بغير سند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطي يوسف
شطر الحسن وقيل إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن قال محمد بن إسحق ذهب يوسف
بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الأحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ
الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان إذا ابتسم رأيت النور في ضواحكه وإذا
تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه
آدم عليه السلام يوم خلقه وصوره قبل أن يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف ورآه مالك بن دعر كأحسن
ما يكون من الغلمان **قال** يعني الوارد وهو مالك بن دعر **يا بشراي** يعني يقول الوارد لأصحابه أبشروا أي
هذا غلام وقرئ يا بشرى بغير إضافة ومعناه أن الوارد نادى رجلا من أصحابه اسمه بشرى كما تقول يا زيد
ويقال إن جدران البئر بكت على يوسف حين خرج منها **وأسروه بضاعة** قال مجاهد أسره مالك بن دعر وأصحابه
من التجار الذين كانوا معه وقالوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء إلى مصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا
منهم الشركة فيه وقيل إن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف يعني أنهم أخفوا أمر يوسف وكونه أخاهم بل قالوا هو عبد لنا
أبق وصدقهم يوسف على ذلك لأنهم توعدوه بالقتل سرا من مالك بن دعر وأصحابه والقول الأول أصح لأن مالك بن دعر
هو الذي أسره بضاعة من أصحابه **والله عليم بما يعملون** يعني من إرادة إهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته
وتحقيقا لرؤياه أنه يصير ملك مصر بعد أن كان عبدا قال أصحاب الأخبار إن يهوذا كان يأتي يوسف بالطعام فأتاه فلم
يجده في الجب فأخبر إخوته بذلك فطلبوه فإذا هم بمالك بن دعر وأصحابه نزولا قريبا من البئر فأتوهم فإذا يوسف عندهم
فقالوا لهم هذا عبدنا أبق منا ويقال إنهم هددوا يوسف حتى كتم حاله ولم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم إنهم باعوه
منهم فذلك قوله **وشروه** أي باعوه وقد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وإنما وجب
حمل هذا الشرى على البيع لأن الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع إلى شيء واحد وذلك أن إخوته زهدوا فيه
فباعوه وقيل إن الضمير في وشروه يعود على مالك بن دعر وأصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرى على بابه **بثمن بخس**
قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بخس أي حرام لأن ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لأنه مبخوس البركة يعني منقوصها
وقال ابن مسعود وابن عباس بخس أي زيوف يعني ناقصة العيار وقال قتادة بخس أي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه إذا
نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس أي قليل وعلى الأقوال كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشيء على سبيل الظلم
والبخس والباخس الشيء الطفيف **دراهم معدودة** فيه إشارة إلى قلة تلك الدراهم لأنهم في ذلك الزمان كانوا
يزنون ما كان أقل أربعين درهما وكانوا يأخذون ما دونها عددا فإذا بلغت أربعين درهما وهو أوقية وزنوها واختلفوا
في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا
القول لم يأخذ أخوه من أبيه وأمه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا أخذ أخوه منها درهمين
لأنهم كانوا أحد عشر أخا وقال عكرمة كانت أربعين درهما **وكانوا فيه من الزاهدين** يعني وكانوا إخوة
يوسف في يوسف من الزاهدين وأصل الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يكن له فيه رغبة والضمير
في قوله وكانوا فيه من الزاهدين إن قلنا إنه يرجع إلى إخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه أنهم حسدوه وأرادوا
إبعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وإن قلنا وشروه وكانوا فيه من الزاهدين فيرجع إلى معنى واحد وهو أن
الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين وكان وجه زهدهم فيه إظهارا لقلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل

أن

أن يقال إن إخوته لما قالوا إنه عبدنا وقد أبق أظهر المشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب قال أصحاب الأخبار إن مالك بن دعر
وأصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به إلى مصر وتبعهم إخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر
فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى
العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها اسمه ريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل إن هذا الملك لم يمت حتى
آمن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر
فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر
ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فتدافع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان
وزنه أربعمائة رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة أو سبع عشرة سنة وابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله
تعالى **وقال الذي اشتراه من مصر** يعني قطفير من أهل مصر **لامرأته** وكان اسمها راعيل وقيل زليخا
أكرمي مثواه يعني أكرمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الإقامة وقيل أكرميه في المطعم والملبس والمقام
عسى أن ينفعنا يعني إن أردنا بيعه بعناه بربح أو يكفينا بعض أمورنا ومصالحنا إذا قوي وبلغ **أو نتخذه ولدا**
يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن عباس أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أكرمي
مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لأبيها استأجره إن خير من استأجرت القوي
الأمين وأبو بكر في عمر حيث استخلفه بعده **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** يعني كما مننا على يوسف بأن
أنقذناه من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكناه في الأرض يعني أرض مصر فجعلناه على خزائنها **ولنعلمه من تأويل**
الأحاديث أي مكنا له في الأرض لكي نعلمه من تأويل الأحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها **والله غالب على أمره**
قيل الكناية في أمره راجعة إلى الله وقيل معناه والله غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا دافع لأمره ولا
مرد لقضائه لا يغلبه شيء وقيل هي راجعة إلى يوسف ومعناه أن الله مستول على أمر يوسف بالتدبير والإحاطة لا
يكله إلى أحد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** يعني ما هو صانع بيوسف
وما يريد منه **ولما بلغ أشده** يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثا وثلاثين سنة وقال الضحاك
عشرين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين سنة وسئل مالك عن
الأشد فقال هو الحلم **آتيناه حكما وعلما** يعني آتينا يوسف بعد بلوغ الأشد نبوة وفقها في الدين وقيل
حكما يعني إصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم أن العالم هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها
والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري
وكذلك يعني وكما أنعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك **نجزي المحسنين** قال ابن عباس يعني
المؤمنين وعنه أيضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف **وراودته التي**
هو في بيتها عن نفسه يعني أن امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته إلى نفسها ليواقعها **وغلقت**
الأبواب أي أطبقتها وكانت سبعة لأن مثل هذا الفعل لا يكون إلا في ستر وخفية أو أنها غلقتها لشدة خوفها
وقالت هيت لك أي هلم وأقبل قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لأهل حوران رفعت إلى الحجاز معناها
تعال وقال عكرمة أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث وإقبال على الشيء وقيل
هي بالعبرانية وأصلها هيتالج أي تعال فعربت فقيل هيت لك فمن قال إنها بغير لغة العرب وافقت أهل هذه
اللغة فتكلمت بها على لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في الإقليد
ولغة العرب للترك في الغساق ولغة العرب للحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فإن العرب إذا تكلمت بكلمة صارت

وفيه

لها لغة وقرئ هئت لك بكسر الهاء مع الهمزة ومعناها تهيأت لك **قال** يعني يوسف **معاذ الله** اي اعوذ بالله و
اعتصم به والجأ اليه فيما دعوتني اليه **انه ربي** يعني ان العزيز قطفير سيدي **احسن مثواي** اكرم مثواي
اي منزلي فلا اخونه وقيل ان الهاء في انه راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني انه اواني ومن بلاء الجب
نجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله تعالى
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه الاية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها
والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول
فيه وقيل الهم مصدر هممت الشيء اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي
ارادته وقصدته فكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر
وهو عمرو بن ضابي البرجمي · هممت ولم افعل وكدت وليتني · تركت على عثمان تبكي حلائله · وقوله ولقد همت به معناه
همت بمخالطته وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن
ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين
منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى
جمع بينهما قال ابو عبيدة القسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدماء هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله
ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن
نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر عن جسدي قالت ما احسن عينيك قال هي
اول ما تسيل على خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله قيل وانها قالت له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض
حاجتي فقال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي
امرأة حسنى جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي
الكلام على تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الاية اما المقام الثاني في تنزيه
يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي نسب اليها قال بعض المحققين الهم همان هم ثابت
وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث
النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها
عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل ان الله تبارك وتعالى كتب السيئات والحسنات ثم
بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبها الله له عشر حسنات الى سبعمائة
ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد في رواية او محاها ولا يهلك على الله
الا هالك قال القاضي عياض في كتابه الشفاء فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة و
ذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس كانت سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون
ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الاية اي ما ابرئها من
هذا الهم او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى

حاكيا

حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى حاكيا لذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال و
غلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله وقيل في قوله وهم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا
كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى عليه هيبة
النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى واما الامام فخر
الدين فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه
السلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب
فان الدلائل قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام ومتى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها واتبعوها
باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال في حق
داود عليه السلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف عليه السلام فلم يحك عنه شيئا من ذلك في هذه
الواقعة لانه لو صدر منه شيء لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك في كتابه العزيز كما ذكر
عن غيره من الانبياء وحيث لم يحك عنه شيئا علمنا براءته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شيء مما نقله اصحاب الاخبار
ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عما نسب اليه واعلم
ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمرأة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذين شهدوا
على القميص والله تعالى شهد ببراءته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براءته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي
وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المرأة اعترفت على نفسها واعترفت ببراءة يوسف ونزاهته
بقولها انا راودته عن نفسه فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما
بيان ان زوج المرأة اعترف ايضا ببراءة يوسف بقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود ببراءته فقوله وشهد شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك
فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان
بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ
بجيده وجيد المرأة حتى جمع بينهما فهو قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها
مجلس الخاتن فحاشا ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصاص واصحاب الاخبار وضعوه
على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براءة
يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيائه عليهم الصلوة فان قلت
فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلت فيه اعظم الفوائد وبيانه من وجهين
احدهما انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان الى ان الامتناع من ضربها
اولى من صرفها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في
ذلك ان يتمزق ثوبه من قدام وكان في علم الله بان الشاهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الخائن واذا
تمزق من خلف كانت هي الخائنة فاعلمه بالبرهان لهذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك
الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه فقال قتادة
واكثر المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في
الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب وضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من انامله وقال السدي نودي

يا يوسف لو اقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها كمثله اذا واقع
على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيئا ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثله
اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال
الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله من الانبياء وقيل انه مسحه بجناحيه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد بن كعب القرظي دفع
راسه يوسف الى سقف البيت فراى كتابا في حائط البيت فيه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وفي رواية
عن ابن عباس انه راى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب لها يوسف
عليه السلام لم فعلت هذا قالت استحييت منه ان يراني على معصية فقال لها يوسف اتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا
يفقه شيئا فانا احق ان استحيي من ربي وهرب فذلك قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان
بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل
الثاني البرهان حجة الله تعالى على العبد بتحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبياء عليهم
السلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الشريفة
الطاهرة تحجزهم عن فعل **كذلك** يعني كما اريناه البرهان كذلك **لنصرف عنه السوء** يعني الاثم **والفحشاء**
يعني الزنا وقيل السوء مقدمات الفحشاء وقيل السوء الثناء القبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده المخلصين
وهو قوله **انه** يعني يوسف **من عبادنا المخلصين** وقرئ بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة
واخترناهم على غيرهم وقرئ بالكسر ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله **واستبقا الباب**
وذلك ان يوسف عليه السلام لما راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك عليه الباب حتى لا
يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها حتى لا يخرج
فذلك قوله عز وجل **وقدت قميصه من دبر** يعني شقته من خلف فغلبها يوسف وخرج خلفه **والفيا
سيدها لدى الباب** يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المراة فلما راته
المراة هابته وخافت التهمة فسابقت يوسف بالقول **قالت** يعني لزوجها **ما جزاء من اراد باهلك سوءا** يعني
الفاحشة ثم خافت ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت **الا ان يسجن** اي يحبس في السجن ويمنع التصرف **او
عذاب اليم** يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما ارادت ان يسجن
عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرئ عن نفسه
قال يعني يوسف **هي راودتني عن نفسي** يعني طلبت مني الفحشاء فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام
ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة
عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي **وشهد شاهد من اهلها** يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا
في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد فانطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن عباس وروى
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن المراة و
قصتهم مخرجة في الصحيح ● قيل كان هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد لم يكن صبيا

ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي قال السدي هو ابن عم المراة فحكم فقال **ان كان قميصه قد من قبل** اي من قدام
فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف **فكذبت وهو من الصادقين**
وانما كان هذا الشاهد من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه السلام مع ما وجد من كثرة العلامات
الدالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان في الظاهر مملوك هذه المراة والمملوك لا يبسط يده الى سيدته
ومنها انهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم راوا المراة قد تزينت باكمل الوجوه فكان
الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة
فكان مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه ايضا **فلما راى قميصه قد من دبر**
يعني فلما راى قطفير زوج المراة قميص يوسف قد شق من خلفه عرف خيانة امراته وبراءة يوسف عليه السلام **قال**
يعني قال لها زوجها قطفير **انه** يعني هذا الصنيع **من كيدكن** يعني من حيلكن وكيدكن ومكركن **ان كيدكن عظيم**
فان قلت كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اعظم
من مكر النساء قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق الملائكة والسموات
والارض والجبال ونحو ذلك واما عظم كيد النساء ومكرهن في هذا الباب فاعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر والحيل
والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله من كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد
وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراءة يوسف عليه السلام قال هذه المقالة **يوسف** يعني يا يوسف **اعرض
عن هذا** يعني اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث
بهذا الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت الى المراة فقال لها **واستغفري لذنبك** اي توبي
الى الله مما رميتي به يوسف من الخطيئة وهو بريء منها وقيل ان هذا قول الشاهد يقول للمراة سلي زوجك ان يصفح عنك
ولا يعاقبك بسبب ذلك **انك كنت من الخاطئين** يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف
بالتهمة وهو بريء وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل انه لم يقصد به الخبر عن
النساء بل قصد الخبر عمن يفعل هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله تعالى
وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال جماعة من النساء
وكن خمسا وقيل هن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النساء
فيما بينهن بذلك وهن امراة صاحب الملك وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل
نسوة من اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني عن نفسه بانها تطلب منه
الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحدث **قد شغفها حبا** يعني قد علقها حبا والشغف جلدة محيطة
بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه قد احاط بقلبها كاحاطة الشغاف
بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه **انا لنراها في ضلال مبين** يعني في خطا بين ظاهر
حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها **فلما سمعت بمكرهن** يعني زليخا بقولهن
وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان
يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك سماه مكرا **ارسلت اليهن**
يعني انها لما سمعت بانهن يلمنها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مادبة يعني صنعت
لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين امراة من اشراف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي عيرنها **واعتدت لهن متكا**
يعني ووضعت لهن نمارق ووسائد يتكئن عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما

وانما سمي الطعام متكأ لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمي الطعام متكأ على الاستعارة
ويقال اتكأنا عند فلان اي طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث
وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الاترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين او يحزبها يقال ان المرأة
زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف **وآتت**
كل واحدة منهن سكينا يعني واعطت كل واحدة من النساء سكينا لتأكل بها وكان من عادتهن ان يأكلن اللحم
والفواكه بالسكين **وقالت اخرج عليهن** يعني زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها
فخرج عليهن يوسف قد زينته واحتبسته في مكان اخرى **فلما رأينه** يعني النسوة **اكبرنه** يعني
اعظمنه ودهشن عند رؤيته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن
كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
بي الى السماء رأيت يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحق بن ابي فروة كان يوسف اذا سار في ازقة
مصر تلألأ وجهه على الجدران ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية
هالهن امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس اكبرنه اي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح
وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والها في اكبرنه تمنع من هذا لانه لا
يجوز ان يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك
ان المرأة اذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت من الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على هذا قال الازهري
فان صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الها في قوله اكبرنه ها الوقف لا ها الكناية وقيل ان المرأة اذا خافت
او فزعت ربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن وما هالهن من امر يوسف عليه السلام
حين رأينه قال الامام فخر الدين الرازي وعندي انه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين عليه نور النبوة
وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح
وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه واعظمنه
ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه اولى قوله **وقطعن ايديهن** يعني وجعلن يقطعن
ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف
قال مجاهد فما احسسن الا بالدم وقال قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال
وهب ماتت جماعة منهن **وقلن** يعني النسوة **حاش لله ما هذا بشرا** اي معاذ الله ان يكون هذا
بشرا **ان هذا الا ملك كريم** يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز في
النفوس انه لا شيء احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع
الآفات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله عز وجل **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه**
يعني قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي لمتنني في محبته وانما قالت لاقامة
عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها حب فتاها الكنعاني حبا وانما قالت ذلك بعد تمام قيامه من
المجلس وذهب قال صاحب الكشاف فقالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولم تقل هذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن و
استحقاق ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقوله فقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك
العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت **ولقد راودته**
عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت

انه لا ملامة عليها منهن وانه قد اصابهن ما اصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت **ولئن لم يفعل ما آمره**
يعني ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه **ليسجنن** اي ليعاقبن بالسجن والحبس **وليكونا من الصاغرين**
يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف السجن على المعصية حين توعدته
المرأة بذلك **قال رب** اي يا رب **السجن احب الي مما يدعونني اليه** قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما اضافه
اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة
الدعاء اليهن جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن احب الي لم يبتل بالسجن والاولى للعبد ان يسأل الله تعالى العافية **والا تصرف**
عني كيدهن يعني ما اردن مني **اصب اليهن** اي امل اليهن يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه **واكن**
من الجاهلين يعني من المذنبين وقيل معناه اكن ممن يستحق الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه
عن جهالة **فاستجاب له ربه** يعني فاجاب الله تعالى دعاء يوسف **فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم**
يعني لدعاء يوسف وغيره العليم بحاله وفي الآية دليل على ان يوسف عليه السلام لما اظلته البلية بكيد النساء ومطالبتهن
اياه مما لا يليق بحاله لجأ الى الله تعالى وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم
يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله تعالى ولطفه به قوله عز وجل
ثم بدا لهم يعني للعزيز واصحابه في الرأي وذلك انهم لما ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف بالاعراض وكتم الحال وذلك
ان المرأة قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج
واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه **من بعد ما رأوا الآيات** يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته
من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيتهن **ليسجننه** اي ليحبسنه في السجن
حتى حين يعني الى مدة يرون رأيهم فيها وقال عطاء الى ان تنقطع مقالة الناس قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس
سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة **ودخل معه السجن فتيان** وهما غلامان
كانا للوليد بن ثروان العمليقي ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب
عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين
الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة
وسم الطعام فلما احضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب
فان الشراب مسموم فقال للساقي اشربه فشربه وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام لدابة فهلكت فامر
الملك بحبسهما مع يوسف وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين
لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له رؤيا فسألاه من غير ان يكونا قد رأيا شيئا قال ابن مسعود ما رأيا شيئا
انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رأيا رؤيا حقيقة فرآهما وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا انهما
غلامان للملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف قصا علي ما رأيتما فقصا عليه ما رأيا فقال يوسف
وذلك قوله تعالى **قال احدهما** وهو صاحب شراب الملك **اني اراني اعصر خمرا** يعني عنبا سمي العنب خمرا
باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الآجر اي يطبخ اللبن حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال
اني رأيت في المنام كأني في بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاث عناقيد عنب فجنيتها وكان كأس الملك في يدي فعصرتها
فيه وسقيت الملك فشربه **وقال الآخر** وهو صاحب طعام الملك **اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير**
منه وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش
منها **نبئنا بتأويله** اي اخبرنا بتفسير ما رأينا وما يؤول اليه امر هذه الرؤيا **انا نراك من المحسنين**

يعني من العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان في الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع له واذا احتاج احد جمع له شيئا وكان مع هذا مجتهدا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلوة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم فطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكني سارفق بك واحسن جوارك في اي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما بالله الا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من ذلك بلاء واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والنبوة والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعظم واعلى مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولاشك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا اقدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تاويل الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تاويل رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر المعجزة بهذا السبب **قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله** قيل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه من منازلكما يعني تطعمانه وتاكلانه الا نباتكما بتاويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما **قبل ان ياتيكما** يعني قبل ان يصل اليكما واي طعام اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون وتدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما به **ذلكما مما علمني ربي** يعني ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود وهم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني وهو اقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله **وهم بالاخرة هم كافرون** فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة هم في قوله وهم بالاخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله **واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب** لما ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان اباءه كلهم انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة في الاخرة وعند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد **ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء** معناه ان الله تعالى لما اختارنا لنبوته واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذا الاختصاص الذي اختصنا به قال الواحدي لفظة من في قوله من شيء زائدة كقولك ما جاءني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا

ولا يبصر **ذلك من فضل الله** يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله **علينا وعلى الناس** يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** يعني اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال **يا صاحبي السجن** يريد يا صاحبي في هذا السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويريد يحوز ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة **ءارباب متفرقون** يعني آلهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباين في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع **خير ام الله الواحد القهار** يعني اهذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم للشريك والنظير وليس هو كسائر الاحاد من الاجسام المؤلفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا شبيه في خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء وذلله فاستسلم وانقاد له وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبدونها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد القهار في ملكه والقهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شيء البتة فقال **ما تعبدون من دونه** يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد بدا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين **الا اسماء سميتموها** يعني سميتموها آلهة وارباباً وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها **انتم واباؤكم** يعني من قبلكم سموها آلهة **ما انزل الله بها من سلطان** يعني ان تسمية الاصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان ولا امر الله بها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان **ان الحكم الا لله** يعني ان الحكم والقضاء والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك **امر الا تعبدوا الا اياه** لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها آلهة **ذلك الدين القيم** يعني عبادة الله هو الدين المستقيم **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعا الى الله وعبادته رجع الى تعبير رؤياهما فقال **يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا** يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اولا والعناقيد هي ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها **واما الاخر فيصلب** يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يدعو به الملك فيصلبه **فتاكل الطير من راسه** قال ابن مسعود فلما سمعا قول يوسف قالا ما راينا شيئا انما كنا نلعب قال يوسف **قضي الامر الذي فيه تستفتيان** يعني فرغ من الامر الذي فيه سالتماه عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رايتما او لم تريا شيئا **وقال** يعني يوسف **للذي ظن** يعني علم وتحقق الظن يعني العلم **انه ناج منهما** يعني ساقي الملك **اذكرني عند ربك** يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه قوله **فانساه الشيطان ذكر ربه** في هاء الكناية في فانساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى فانساه الشيطان ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حين انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هاء الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره والاستعانة بمخلوق في دفع الضرر جائز الا انه لما كان مقام يوسف اعلى المقامات

ورتبته اعلى المراتب وهى منصب النبوة والرسالة لاجرم صار يوسف مواخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيئات المقربين
فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر والقاء الوسوسة فانه قد صح
في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية
فلا يقدر عليه وقوله تعالى **فلبث في السجن بضع سنين** اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث
الى السبع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها
في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنى عشر سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين وقال يوسف للساقي اذكرني عند
ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف عليه السلام وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى
فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها لما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني
عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على
يوسف في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطئين فقال يا طاهر ابن الطاهرين
يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني اذ استغثت بالادميين فوعزتي وجلالي لالبثنك في السجن
بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك
قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البير قال الله قال فمن علمك تاويل الرؤيا
قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بادمي مثلك قالوا فلما انقضت السبع سنين وهذا
السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله اخراجه راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته
وذلك انه راى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع
العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منها شيء وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها وسبع اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة
والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي راها فذلك قوله تعالى **وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي**
يعني يا ايها الاشراف اخبروني بتاويل رؤياي **ان كنتم للرؤيا تعبرون** يعني ان كنتم
تحسنون علم العبارة وتعبيرها وعلم التعبير مختص بتفسير الرؤيا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرؤيا عابر من ظاهرها
الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التاويل لان التاويل يقال فيه وفي غيره **قالوا** يعني قال جماعة الملأ وهم
السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك **اضغاث احلام** يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة
المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الانسان في منامه **وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين** لما جعل الله هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن وذلك ان الملك لما راها قلق واضطرب
وذلك انه لما شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف ذلك فجمع سحرته وكهنته
ومعبريه واخبرهم بما راى في منامه وسالهم عن تاويلها فعجز الله بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرؤيا
ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فذلك قوله تعالى **وقال الذي نجا منهما** يعني وقال
الساقي الذي نجا من السجن والقتل بعد صاحبه الخباز **وادكر بعد امة** يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك
بعد امة يعني بعد حين وهو سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة ايام والامة الجماعة **انا انبئكم** يعني
اخبركم **بتاويله** وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين او اراد
الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا

عالما بعبر الرؤيا **فارسلون** فيه اختصار تقديره فارسلني ايها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة
يوسف اي يا يوسف **ايها الصديق** انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب
قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير الرؤيا التي راها في السجن **افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** فان الملك راى هذه الرؤيا **لعلي ارجع الى الناس** يعني
ارجع الى الملك بتاويل هذه الرؤيا هو وجماعته **لعلهم يعلمون** يعني بتاويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك
في العلم **قال** يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات
العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله **تزرعون** وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا **سبع
سنين دابا** يعني عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل بجد واجتهاد **فما حصدتم فذروه في سنبله** انما
امرهم بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله فانه لا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان **الا
قليلا مما تاكلون** يعني ادرسوا قليلا مما تاكلون من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة
ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله **ثم ياتي من بعد ذلك** يعني من بعد السنين المخصبة **سبع شداد**
يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس **ياكلن** يعني يفنين **ما قدمتم لهن** يعني يؤكل فيهن كل ما
اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين على سبيل التوسع في الكلام **الا قليلا مما تحصنون**
يعني تحرزون وتدخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع **ثم ياتي من
بعد ذلك** يعني من بعد هذه السنين المجدبة **عام فيه يغاث الناس** اي يمطرون من الغيث الذي هو المطر
وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث **وفيه يعصرون** يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون
زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون
من الكرب والشدة والجدب قوله عز وجل **وقال الملك ائتوني به** وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك
واخبره بفتيا يوسف وما عبر به الرؤيا استحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة قال ائتوني به حتى ابصر
هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له اجب الملك فذلك قوله تعالى **فلما جاءه الرسول**
فابى ان يخرج معه حتى تظهر براءته للملك ولا يراه بعين النقص **قال** يعني يوسف للرسول **ارجع الى ربك فسئله**
يعني الى سيدك وهو الملك **ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** ولم يصرح بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما
لها **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي
وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان
فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا
الى الراحة ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل بل لبث في السجن وراسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه
لتظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة
والبلاء وقوله تعالى **ان ربي بكيدهن عليم** يعني ان الله عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل
العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن و**قال لهن ما
خطبكن** يعني ما شانكن وامركن **اذ راودتن يوسف عن نفسه** انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب
والمراد بذلك امراة العزيز وحدها ليكون استر لها وقيل ان امراة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرنه
بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب **قلن** يعني النسوة جميعا مجيبات للملك **حاش لله** يعني معاذ الله **ما علمنا عليه
من سوء** يعني من خيانة في شيء من الاشياء **قالت امراة العزيز الان حصحص الحق** يعني ظهر وتبين وقيل ان النسوة

اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
يعني في قوله هي راودتني عن نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما انه من قول المراة
ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المراة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وان كنت قد قلت في حضرته ثم بالغت في تاكيد هذا القول فقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما اقدمت
على هذا الكيد والمكر لاجرم اني افتضحت لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه السلام
وهو قول الاكثرين من المفسرين والعلما ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة
عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انا لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف ذلك الذي
فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز اني لم اخنه بالغيب في زوجته يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف
اتصل بكلام امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين بذلك مع غموض فيه لانه ذكر
كلام انسان ثم اتبعه بكلام انسان آخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا
من قول الملأ فماذا تامرون من قول فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون
من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك
انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن فاخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند حضوره عند الملك وهذه رواية
عطاء عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضوره عندهم قلت قال ابن
الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل
ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ترددي الرسول ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته
ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه الورطة التي
وقعت لان الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله وما ابرئ نفسي من قول من على قولين ايضا
احدهما انه من قول المراة وهذا التفسير على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب من قول المراة فعلى هذا
يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من
قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك
وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابرئ نفسي هضم للنفس وانكسار
وتواضع لله عز وجل فان رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه فان حسنات الابرار
سيئات المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية والاخروية
والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان
النفس الانسانية واحدة ولها صفات منها الامارة ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاثة هي مراتب صفات النفس
واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة فلامتها
على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات فيحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة
وقيل ان النفس لامارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت مطمئنة وقوله الا ما رحم ربي
قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فيكون ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء يعني من طاب لكم من النساء وقيل
استثنا منقطع لكن من رحم ربي فيعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ان ربي غفور يعني لذنوب عباده رحيم

بهم قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف وعرف امانته
وعلمه وطلب حضوره اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص
طلب خلوص الشي من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان من عادة الملوك ان ينفردوا
بالاشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف لما علم
من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته على المحن كلها فلهذا قال استخلصه
فحسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه فالهم الملك ذلك فقال ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه
اختصار تقديره فلما جاء الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الآن بلا معاودة روي ان يوسف لما قام ليخرج من السجن
دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج
من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الاحيا وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن
السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف على باب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي
ربي من خلقه عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك فقال اللهم اني اسالك بخيرك
من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان
قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب وكان
الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما يتكلم بلسان اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية
والعبرانية فلما راى الملك منه ذلك اعجبه ما راى مع حداثة سن يوسف عليه السلام وكان له من العمر يومئذ ثلثون سنة
فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدأ
بالكلام فيها وانما يبدأ الملك فيها بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال الساقي ايها الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك
مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل الملك عليه وقال انك اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان
مكانة اي منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت امانتك
ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب
في امر الدين والدنيا وروي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل رؤياي منك شفاها فقال نعم ايها
الملك رايت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا
فبينا انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث
غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع
فافترسن السمان افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينا انت تنظر
وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا انت
تقول في نفسك اي شي هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الثرى والماء اذ هبت ريح
فذرت الاوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت ايها
الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات فيها شيئا فما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي باعجب
مما سمعت منك وما ترى من تاويل رؤياي ايها الصديق قال يوسف عليه السلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا
في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون القصب والسنبل
علفا للدواب وتامر الناس فيرفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وياتيك
الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه

ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك **قال** يعني يوسف **اجعلني على خزائن الارض** يعني على خزائن الطعام والاموال واراد بالارض ارض مصر اي اجعلني على خزائن ارضك التي تحت يدك وقال الربيع ابن انس اجعلني على خزائن خراج مصر ودخلها **اني حفيظ عليم** للخزائن بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل **اني** لما استودعتني **حفيظ عليم** اعلم لغة من يأتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فقال الملك عند ذلك ومن احق بذلك منك وولاه ذلك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف يوسف عليه السلام الامارة والولاية مع كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسئل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها من غير مسئلة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب عليه ذلك ولا كراهية فيه فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله تعالى والرسول اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان برعاية المصالح فلا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحي من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان **قلت** كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم **قلت** انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم في تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير للغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** وكذلك مكنا ليوسف في الارض وذلك اشارة الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله **يتبوأ منها حيث يشاء** لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتم ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة وضرب عليه حلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل امره وقضاءه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ذكرين افرائيم ومنشا وهما ابنا يوسف منها واستوثق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل واحبه الرجال والنساء فلما اطمان يوسف في مصر في ملكه دبر في جميع الطعام احسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنين القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع الملك نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك في السنة الاولى

من اول سنين القحط كلما اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر فلم يبق في ايدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكهم وصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء فقال الملك الرأي رايك ونحن نتبع لك فقال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع في تلك الايام فقيل له اتجوع وانت بيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجائع وامر يوسف طباخي الملك ان يجعلوا غداه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس قوله تعالى **نصيب برحمتنا من نشاء** يعني نختص بنعمتنا من نشاء وهي النبوة من عبادنا **ولا نضيع اجر المحسنين** قال ابن عباس يعني الصابرين **ولاجر الآخرة** يعني ولثواب الآخرة **خير** يعني افضل من اجر الدنيا **للذين آمنوا وكانوا يتقون** يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله عز وجل ليوسف في الآخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** قال العلماء لما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطي احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشياه فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون اليه من الطعام حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد باول نظرة نظر اليهم فعرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل انه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاشياء مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى لها فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة قد اصابنا من الجهد ما اصاب الناس فجئنا نمتار فقال يوسف لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله تعالى قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا فقال فكم انتم الآن قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا هو عند ابينا لانه اخ الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فاتوني

بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فأنا راضٍ بذلك منكم قالوا إذاً أبانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه
عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزاً إذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما
يحتاجون إليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الأكثرون من أهل اللغة وكسر الجيم
لغة ليست بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيراً من الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون
إليه في سفرهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم يعني الذي خلفتموه عنده يعني بنيامين ألا ترون أني أوفي الكيل
يعني أتمه ولا أبخس منه شيئاً وأزيدكم حمل بعير آخر لأجل أخيكم أكرمكم بذلك وأنا خير المنزلين يعني خير
المضيفين لأنه كان قد أحسن ضيافتهم في إقامتهم عنده قال الإمام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول
من المفسرين إنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به ألا ترون أني أوفي الكيل
وأنا خير المنزلين وأيضاً يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم أنتم جواسيس وعيون مع أنه يعرف براءتهم
من هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصديق ثم قال يوسف عليه السلام فإن لم تأتوني به يعني بأخيكم من أبيكم
فلا كيل لكم عندي يعني لست أكيل لكم طعاماً ولا تقربون أي ولا ترجعوا تقربوا بلادي لتحصيل الطعام
ولا يمكنهم تحصيله إلا من عنده فإذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك قالوا يعني إخوة يوسف سنراود
عنه أباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده وإنا لفاعلون يعني ما أمرتنا به قوله عز وجل وقال
لفتيانه يعني يوسف لفتيته وهم غلمانه وأتباعه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم أراد بالبضاعة
ثمن الطعام الذي أعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس أنها كانت النعال والأدم والرحال
جمع رحل وهي الأوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم إذا انقلبوا
إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلينا واختلفوا في السبب الذي رد يوسف من أجله إليهم بضاعتهم فقيل
إنهم إذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت عليهم علموا أن ذلك من كرم يوسف وسخائه فيبعثهم ذلك
على الرجوع إليه سريعاً وقيل إنه خاف أن لا يكون عند أبيه شيء من المال لأن الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل إنه
رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤم لشدة حاجتهم إليه وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم
فيه لوم ولا عيب وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى العود وقيل إنما
فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها في رحالهم لأنهم أنبياء وأولاد
أنبياء وقيل أراد برد البضاعة إليهم ليكون ذلك عوناً لأبيه وإخوته على شدة الزمان فلما رجعوا إلى أبيهم
قالوا يا أبانا إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا وأكرم منزلنا كرامة عظيمة لو كان رجلاً من أولادك ما أكرمنا
كرامته فقال لهم يعقوب عليه السلام إذا رجعتم إلى ملك مصر فاقرؤوه مني السلام وقولوا له إن يعقوب أبانا يصلي عليك
ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر عنده وأخبروه بالقصة ثم قالوا يا
أبانا منع منا الكيل وفيه قولان أحدهما أنهم لما أخبروا يوسف بأخيهم من أبيهم طلبوا منه الطعام لأبيهم ولأخيهم
المتخلف عند أبيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل إشارة إليه وأرادوا بالكيل الطعام لأنه يكال
والقول الثاني أنه يمنع منا الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل إن لم نحمل معنا أخانا وهو قوله تعالى إخباراً عنهم فأرسل معنا أخانا
يعني بنيامين نكتل قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل جميعاً وإياه معنا وإنا له لحافظون
يعني نرده إليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة قال يعقوب هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل

يعني كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيكم ما فعلتم وإنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم
لي حفظه وقلتم وإنا له لحافظون فما فعلتم فلما لم يحصل الأمان والحفظ هنالك فكيف يحصل هنا ثم قال فالله خير
حافظاً يعني أن حفظ الله له خير من حفظكم له فيه التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور وهو
أرحم الراحمين وظاهر هذا الكلام يدل على أنه أرسله معهم وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لأنه لم
يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف أو أن يعقوب شاهد منهم الخير
والصلاح لما كبروا فأرسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك قوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم
وجدوا يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل أن يكون المراد به الطعام وأوعية الطعام بضاعتهم
ردت إليهم يعني أنهم وجدوا في متاعهم ثمن الطعام الذي كانوا قد أعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في
متاعهم قالوا يا أبانا ما نبغي يعني ماذا نبغي وأي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم
وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا يا أبانا
ما نبغي يعني أي شيء نطلب وذلك أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وحثوا يعقوب على إرسال بنيامين
معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم قالوا أي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من
الإحسان والإكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن أرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم هذه بضاعتنا
ردت إلينا ونمير أهلنا يقال مار أهله يميرهم ميراً إذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر إليهم والمعنى
أن نشتري لأهلنا الطعام ونحمله إليهم ونحفظ أخانا يعني بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده إليك
ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لأجل أخينا على أحمالنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل يسير يعني
أن ذلك الحمل الذي نزداده على الطعام هين على الملك لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا بأكثر من ذلك وقيل معناه
أن الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا وأهلنا قال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً
من الله يعني لن أرسل معكم بنيامين حتى تؤتوني موثقاً عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين
وقيل هو المؤكد بإشهاد الله عليه لتأتنني به ودخلت اللام هنا لأجل اليمين وتقديره حتى تحلفوا بالله لتأتنني
به إلا أن يحاط بكم قال مجاهد إلا أن تهلكوا جميعاً فيكون عذراً لكم عندي لأن العرب تقول أحيط بفلان
إذا هلك أو قارب هلاكه وقال قتادة إلا أن تغلبوا جميعاً فلا تقدروا على الرجوع فلما آتوه موثقهم يعني
فلما أعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لأن الشاهد
وكيل يعني أنه موكول إليه هذا العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الأحبار لما قال يعقوب فالله خير حافظاً قال الله
تعالى وعزتي لأردن عليك ابنيك كليهما بعد ما توكلت علي وفوضت أمرك إلي وذلك أنه لما اشتد بهم الأمر وضاق عليهم الوقت
وجهدوا أشد الجهد لم يجد يعقوب بداً من إرسال بنيامين معهم متوكلاً على الله تعالى ومفوضاً أمره إليه قوله تعالى
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنهم لما خرجوا من عند
يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة
مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الأبواب يعني من طرق متفرقة وإنما أمرهم بذلك لأنه خاف عليهم
العين لأنهم كانوا قد أعطوا جمالاً وقوة وامتداد قامة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم
المدينة لئلا يصابوا بالعين فإن العين حق وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين ق عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العين حق ولو كان شيء سبق القدر لسبقته العين وإن استغسلتم فاغسلوا عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت كان يؤمر العاين فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود قال محيى الدين النواوى اخذ جماهير العلما بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبرهم من امور الاخرة قال وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازرى وهذا غير مسلم لانا بينا فى كتب علم الكلام انه لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبايع وبينا ان المحدث لا يفعل فى غيره شيا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم يقول هذا المنبعث من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا للبعض باولى من عكسه فيبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان ينبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين المعيان فتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله تعالى وليست ضرورة ولا طبيعة الجاء العقل اليها قال اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر ام لا فهذا من مجوزات العقول لا انقطع فيه بواحد من الامرين وانما نقطع بنفى الفعل عنها واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطأ فى قطعه وانما هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضوء فى هذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك فى الموطا واما صفة وضوء العاين فمذكور فى كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما فليطلب من هنالك فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه فى قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم فى ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزى عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله لم ياذن له فى اظهار ذلك فلما بعث ابناءه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف فى وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله **وما اغنى عنكم من الله من شىء** يعنى ان كان الله قد قضى عليكم بقضاء فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر **ان الحكم الا لله** يعنى وما الحكم الا لله وحده لا شريك له فيه وهذا تفويض من يعقوب فى اموره كلها الى الله تعالى **عليه توكلت** يعنى على الله اعتمدت فى امورى كلها لا على غيره **وعليه فليتوكل المتوكلون** **ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** يعنى من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل لمدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها **ما كان يغنى عنهم من الله من شىء** وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغنى عنكم من الله من شىء **الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها** هذا استثناء منقطع ليس من الاول فى شىء معناه لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الابا على الابنا وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر وخاف ان يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه **وانه** يعنى يعقوب **لذو علم** يعنى صاحب علم **لما علمناه** يعنى لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه انه لذو علم للشىء الذى علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشيا حصل له العلم بتلك الاشياء وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل لما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعنى لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال

ان العاين

ابن عباس

عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه قوله عز وجل **ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذى امرتنا ان ناتيك به قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى ثم انزلهم واكرمهم واحسن نزلهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا انه كان له اخ فهلك قال لهم فانا اجلسه معى فاخذه واجلسه معه على مايدة وجعل يواكله فلما كان الليل امرهم بمثل ذلك وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم انى ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان وسأضمه الى فيكون معى فى منزلى ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله تعالى آوى اليه اخاه يعنى ضمه اليه وانزله معه فى منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المتكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد قال عشر بنين قال فهل من اخ لامك قال كان لى اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك ~~قال ولكن لم يلدك~~ قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه و**قال له انى انا اخوك** يعنى انا يوسف **فلا تبتئس** اى يعنى لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضرر والشدة والابتياس اجتلاب الحزن والبوس **بما كانوا يعملون** يعنى فلا تحزن بشىء فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشىء مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت فى رحل اخيه بنيامين قال السدى وهو لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف انى انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى واذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يحل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك فانى لا افارقك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شئت فذلك قوله عز وجل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه** وهى المشربة التى كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد ~~وقال ابن عباس~~ وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت فى وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى ارتحلوا وانطلقوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم **ثم اذن مؤذن** اى نادى مناد واعلم معلم الاذان فى اللغة الاعلام **ايتها العير** وهى القافلة التى فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقيل كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهى عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التى عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر ذلك فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير **انكم لسارقون** فقفوا والسرقة اخذ ما ليس له اخذه فى خفاء فان قلت هل هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يبهت اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم عن تلك التهمة التى نسبوا اليها ثم ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انى اخاك

بدل اخيك

بنيامين

قال لست أفارقك قال لا سبيل إلى ذلك إلا بتدبير حيلة أنسبك فيها إلى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير
لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني أن يكون المعنى إنكم لسارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم
ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة من الكذب الثالث أن يحتمل أن يكون المنادي ربما قال ذلك
أئنكم على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف
وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على ظنهم أنهم هم الذين
أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم **قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون** قال أصحاب الأخبار
لما وصل الرسل إلى إخوة يوسف قالوا لهم ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف لكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم
قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون
والفقد ضد الوجود **قالوا** يعني المؤذن وأصحابه **نفقد صواع الملك** أي الصاع الإناء الذي يكال
به وجمعه صوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان **ولمن جاء به** أي جاء بالصواع **حمل بعير** يعني من الطعام
وأنا به زعيم أي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان أهل اليمن وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت
صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحميل غارم والحميل الكفيل فإن قلت كيف تصح
هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا قلت لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد
الضائع فيكون جعالة أو لعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه **قالوا** يعني إخوة
يوسف **تالله** التاء بدل من الواو ولا تدخل إلا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله **لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الأرض وما كنا سارقين** قال المفسرون إن إخوة يوسف حلفوا على أمرين أحدهما أنهم ما جاؤوا
لأجل الفساد في الأرض والثاني أنهم ما جاؤوا سارقين وإنما قالوا هذه المقالة لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل
على صدقهم وهو أنهم كانوا مواظبين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم
لئلا تؤذي زروع الناس ومن كانت هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع وأما الثاني أنهم ما كانوا سارقين
لأنهم كانوا قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا أخذها ومن كانت هذه صفته فليس
بسارق فلأجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين فلما تبين براءتهم من هذه التهمة
قالوا يعني أصحاب يوسف وهو المنادي وأصحابه **فما جزاؤه إن كنتم كاذبين** يعني فما جزاء السارق
إن كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين **قالوا** يعني إخوة يوسف **جزاؤه من وجد
في رحله** يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم رقبته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان
ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في
شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق فلذلك رد الحكم
إليهم والمعنى أن جزاء السارق أن يستعبد سنة جزاء له على جرمه وسرقته **فهو جزاؤه** يعني هذا الجزاء جزاؤه
كذلك نجزي الظالمين يعني مثل هذا الجزاء أن يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام
من بقية كلام إخوة يوسف وقيل هو من كلام أصحاب يوسف وقيل هو فعلى هذا أن إخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق
أن يسترق سنة قال أصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين يعني السارقين قوله عز وجل **فبدأ بأوعيتهم قبل
وعاء أخيه** قال أهل التفسير إن إخوة يوسف لما أقروا أن جزاء السارق أن يسترق قال أصحاب يوسف
لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم إلى يوسف فأمر بتفتيشها بين يديه فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه
لإزالة التهمة فجعل يفتش أوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر

وعاء

وعاء إلا استغفر الله تعالى تأثما مما قذفهم به حتى لم يبق إلا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذ شيئا قال إخوته والله
لا نترك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله تعالى
ثم استخرجها من وعاء أخيه إنما أنث الكناية لأنه ردها إلى السقاية وقيل إن الصواع يذكر
ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون
أيش الذي صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصواع
فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية إن الذي وضع الصواع في
رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فأخذ بنيامين رقيقا وقيل إن المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش
رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين فأخذوه برقبته وردوه إلى يوسف **كذلك كدنا
ليوسف** يعني ومثل ذلك الكيد كدنا ليوسف وهو إشارة إلى الحكم الذي ذكره إخوة يوسف حكمنا به ليوسف
ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا محال على الله فيجب تأويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله
سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة
ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما ألهمنا إخوة يوسف أن جزاء السارق أن يسترق كذلك ألهمنا يوسف حتى
دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته وقال ابن الأعرابي الكيد التدبير بالباطل وبالحق
فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال ابن الأنباري كدنا وقع خبرا من الله عز
وجل على خلاف معناه في أوصاف المخلوقين فإنه إذا أخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل
الله تعالى معنى من المعاني المذمومة ويخلص بأنه وقع بمن يكيده تدبير ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على
دفعه فهو من الله مشيئته بالذي يكون من أجل أن المخلوق إذا كان سترت عنه ما ينوبه ويضره له والذي يقع
به من الكيد من الله تعالى فهو ستر ما ختم الله به عاقبته والذي وقع بإخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى
إليه شأن يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة فجرى الأمر على غير ما قدروا من إهلاكه وخلوص
أبيهم له بعده وكل ذلك جرى بتدبير الله تعالى وخفي لطفه وسماه كيدا لما يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا
كيد الله عز وجل ليوسف عائد إلى جميع ما أعطاه الله وأنعم به عليه على خلاف تدبير إخوته من غير أن يشعروا
بذلك وقوله عز وجل **ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك** يعني في حكم الملك وقضائه لأنه كان
في حكم الملك أن السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك
فإن الله تعالى ألهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل إلى ذلك **إلا أن يشاء الله** يعني أن ذلك الأمر
كان بمشيئة الله تعالى وتدبيره لأن ذلك كله كان إلهاما من الله ليوسف وإخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد **نرفع
درجات من نشاء** يعني بالعلم كما رفعنا درجات يوسف على إخوته وفي هذه الآية دلالة على أن العلم الشريف
أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على إخوته بالعلم وبما ألهمه على وجه
الهداية والصواب في الأمور كلها **وفوق كل ذي علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله
تعالى فإنه فوق كل عالم لأنه هو العالم بعلمه عن التعليم وفي الآية دليل على أن إخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف
أعلم منهم قال ابن الأنباري يجب أن يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لمواهب ربه تعالى ولا تطمع نفسه في الغلبة
لأنه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى **قالوا** يعني إخوة يوسف **إن يسرق** يعني بنيامين الصواع **فقد سرق
أخ له من قبل** يعني يوسف فظاهر الآية يقتضي أن إخوة يوسف قالوا للملك إن هذا الأمر ليس بغريب
منه فإن أخاه الذي هلك كان سارقا أيضا وكان غرضهم من هذا الكلام أنا لسنا على طريقته ولا على سيرته

بل هذا واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابي امه صنم وكان يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف جاءه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها له وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة من الطير الذي كان في بيت يعقوب فاعطاه سايلا وقال وهب كان يخبئ الطعام من المايدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحق بعد موت امه راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لاخته يا اختاه سلمي الى يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا ابنوا يتوارثونها بالكبر وكانت اكبر اولاد اسحق فكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت فقدت منطقة اسحق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب **فاسرها يوسف ولم يبدها لهم** في هاء الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى قال يعني يوسف انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في ولم يجبهم عليها والثالث الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج اليهم في ادعايهم عليه السرقة ولم يبدها **قال انتم شر مكانا** معناه يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة **والله اعلم بما تصفون** يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل **قالوا** يعني اخوة يوسف **يا ايها العزيز** يخاطبون بذلك الملك **ان له ابا شيخا كبيرا** قال اصحاب السير والاخبار ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه ثم قال صواعي هذا يخبرني انكم اثنى عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك هذا من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي هذا غضبان وقال كيف تسالني عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر حامل الا وضعت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى هذا فمسه او خذ بيده فاتني به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركله برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احدا اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي من اولاد الانبياء **فخذ احدنا مكانه** يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك **انا نراك من المحسنين** يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين **قال معاذ الله** يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا **ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده**

لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق **انا اذا لظالمون** يعني ان اخذت بريئا بمذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان مثل هذه الاعمال باخيه ولم يخبر بمكانه وحبس اخاه عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك الا بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة ابايه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما شاء فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل **فلما استياسوا منه** يعني ايسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرد اليهم وقال ابو عبيدة استياسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم **خلصوا نجيا** خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم **قال كبيرهم** يعني في العقل والعلم لا في السن وقال ابن عباس والكلبي هو يهودا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت الرياسة له على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل كان اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله **الم تعلموا ان اباكم** يعني يعقوب **قد اخذ عليكم موثقا من الله** يعني عهدا من الله **ومن قبل ما فرطتم في يوسف** يعني قصرتم في امر يوسف حتى ضيعتموه **فلن ابرح الارض** يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن اخرج الارض من ارض مصر ولا افارقها على هذه الصورة **حتى ياذن لي ابي** يعني في الخروج من ارض مصر ويدعوني اليه **او يحكم الله لي** يعني برد اخي الي او بخروجي معكم او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي **وهو خير الحاكمين** لانه يحكم بالعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام التجا الى الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام **ارجعوا الى ابيكم** يعني يقول الاخ الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب **فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق** انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم قد وجدوا الصواع قد خرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة في قولهم **وما شهدنا الا بما علمنا** يعني لم نقل ذلك الا بعد اخراج ما راينا الصاع من متاع بنيامين وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها اي نسب الى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة وقيل بل قال لهم يعقوب ما يدري هذا الرجل السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبياء قبله ويعقوب وبنيه حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب عنه بانه يحتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام الملك لهذا الحكم لظنه انه كان كافرا **وما كنا للغيب حافظين** قال مجاهد وقتادة وما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك **واسئل القرية التي كنا فيها** يعني واسئل اهل القرية الا انه حذف المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز المشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال ابن عباس

عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش **والعير التي أقبلنا فيها** أي يعني أهل القافلة التي
كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب **وإنا لصادقون** يعني فيما قلنا وإنما أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة
مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا متهومين عنده بسبب واقعة يوسف **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا**
معناه فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم
فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت لكم أنفسكم يعني زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم
إلى ما آل وقيل معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق **فصبر جميل** تقدم تفسيره في أول السورة **عسى الله أن يأتيني
بهم جميعا** يعني يوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه
ومحنته علم أن الله سيجعل له مخرجا وفرجا عن قريب فعند ذلك قال على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء
وعظم كان أسرع إلى الفرج وقيل إن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وقوله يا بني لا تقصص
رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا **إنه هو العليم** يعني بحزني ووجدي
عليهم **الحكيم** يعني فيما يدبره ويقضيه قوله تعالى **وتولى عنهم** يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين
فحينئذ تتام حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف **وقال يا أسفى على يوسف** الأسف
أشد الحزن وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب
وأعظم لهيجان الحزن الأول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك فقال • أتبكي على كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك • فقلت له إن الأسى يبعث الأسى • فدعني فهذا كله قبر مالك • فأجاب بأن الحزن يجدد الحزن
وقيل إن يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة فكان يتسلى يعقوب عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد
حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام
في قوله يا أسفا على يوسف وقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض
لأن يعقوب عليه السلام شكى إلى الله لا منه فقوله يا أسفا على يوسف وقد ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال نداء
يعقوب بالأسف في اللفظ على المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا إلهي ارحم أسفي أو أنت راء أسفي أو هذا أسفي فنادى الأسف
في اللفظ والمنادى سواه في المعنى والاماثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل فلما كان
يا أسفي على يوسف شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل إن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت
محنته قال يا أسفي على يوسف أي أشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف ولم يشكها إلى أحد من الخلق بدليل قوله إنما أشكو بثي
وحزني إلى الله **وابيضت عيناه من الحزن** أي عمي من الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيئا ست سنين
وقيل إنه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك أن الدمع يكثر عند غلبة البكاء فيصير العين كأنه بيضاء من ذلك الماء الخارج
من العين **فهو كظيم** أي مكظوم وهو الممتلئ من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة وهو الذي يردد حزنه في جوفه
ولم يقل إلا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه
الأرض يومئذ أكرم منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي أن جبريل دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل
تعرفني أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة قال إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين فقال يوسف فما أدخلك
مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهر الأرض
بطهر النبيين وأن الأرض التي يدخلونها هي أطهر الأرضين وأن الله قد طهر بك الأرض والسجن وما حوله يا أطهر
الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين الطاهرين وقد أدخلت
مدخل المذنبين قال إنه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله من الصديقين

وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال يوسف فهل من يعقوب أيها الروح الأمين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه
بالحزن عليك فهو كظيم وهيله الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر يا جبريل قال أجر مائة
شهيد قال أفتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالي ما لقيت إذا رأيته قوله عز وجل **قالوا** يعني إخوة يوسف
لأبيهم **تالله تفتؤ تذكر يوسف** يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر عن حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أي
ما زال ولا محذوفة في جواب القسم لأن موضعها معلوم فحذف للتخفيف كقول امرئ القيس فقال فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي أي لا أبرح قاعدا وقوله **حتى تكون حرضا** قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد
الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن إسحق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذائبا
من الهم وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعني لا تنتفع
بنفسك من شدة الحزن والهم والأسف **أو تكون من الهالكين** يعني من الأموات فإن قلت كيف حلفوا على شيء
لم يعلموا حقيقته قطعا قلت بنوا الأمر على الأمر الأغلب الظاهر أي نقوله ظنا منا أن الأمر يصير إلى ذلك **قال** يعني يعقوب
عند ما رأى قولهم له وغلظتهم عليه **إنما أشكو بثي وحزني إلى الله** أصل البث إثارة الشيء وتفريقه وبث النفس
ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وذلك لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هما فإذا
ذكره كان بثا فالبث أشد الحزن والحزن أشد الهم فعلى هذا يكون إنما أشكو حزني العظيم وحزني القليل إلى الله لا إليكم قال ابن الجوزي
روى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان ليعقوب أخ مواخ فقال
له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك قال أذهب بصري البكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن
على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرؤك السلام ويقول لك يا يعقوب أما تستحي أن تشكو إلى غيري فقال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله فقال جبريل الله أعلم مما تشكو وقيل إنه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي أراك قد تهشمت
وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فقال يعقوب هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب
أتشكوني إلى خلقي فقال رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل يقول إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وقيل إن الله أوحى إليه وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
ثم قال أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي أشمه شمة قبل أن أموت ثم اصنع
ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن ربك يقرئك السلام ويقول لك أبشر فوعزتي وجلالي لو كانا ميتين لنشرتهما لك
أتدري لم وجدت عليك لأنكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا منها وإن أحب
عبادي إلي الأنبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع إليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر
الليلة عند آل يعقوب وكان بعد ذلك إذا تغدى أمر من ينادي من أراد الغداء فليأت آل يعقوب فكان يتغدى ويتعشى
مع المساكين قال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى يعقوب أتدري لما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب
قال شويت عناقا وقترت على جارك ولم تطعمه منه شيئا وقيل إن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلا بين يدي أمه وهو يخور فلم يرحمها
فإن قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الأنبياء قلت لا وإنما عوقب يعقوب بهذا لأن حسنات
الأبرار سيئات المقربين وإنما يطلب من الأنبياء من الأعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم فيعقوب عليه السلام من أهل
بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله تعالى من أنبيائه بمحنة فصبر وفوض أمره إلى الله تعالى فإبراهيم عليه السلام
ألقي في النار فصبر ولم يشك إلى أحد وإسمعيل ابتلي بالذبح فصبر وفوض أمره إلى الله تعالى وإسحق ابتلي بالعمى ولم يشك
إلى أحد وكذلك يعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك أو ضعف بصره من كثرة البكاء على فقدهما
ولم يشك مع ذلك إلى أحد شيئا مما نزل به وإنما كانت شكايته إلى الله عز وجل بدليل قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله تعالى

عز وجل فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل على الله في الدنيا والاخرة والدرجات العلى في الاخرة مع من سلف
من آبائه ابراهيم واسحق عليهما السلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجب به ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان
فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم بعد موته وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن
وما نقول الا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه وصار مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله
واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى من رحمته واحسانه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب وفيه اشارة الى انه كان
يعلم حيوة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وروي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته
الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله ما لا
تعلمون وقيل علم ان رؤيا يوسف حق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع اقواله
وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك قال يعني يعقوب **يا بني اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه** التحسس طلب بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون
في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست
عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم من مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون
المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما
السلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا
اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله بردا وسلاما واما ابي فشدت
يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية
ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى
به وانك حبسته وزعمت انه سرق ونحن اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى
فذلك قوله عز وجل يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه **ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون** يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند
الرخاء فينال به خيرا والكافر بضد ذلك قوله عز وجل **فلما دخلوا عليه** فيه حذف واختصار وتقديره فخرجوا
من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف **قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر** اي الشدة
والفقر والجوع واردوا باهلهم من خلفهم ومن وراءهم من العيال **وجئنا ببضاعة مزجاة** اي ببضاعة ردية
كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع واصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء
لينساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر ۝ وحاجة غير مزجاة من الحاج ۝ يعني هي قليلة يسيرة يمكن
دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة اما لنقصانها او لردائتها فلذلك
اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر
والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال مقاتل والكلبي كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق
المقل وقيل كانت الادم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة الردية القليلة الردية مزجاة من قولهم فلان
يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع الزمان بها وليست مما يتسع بها وقيل انما
قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها **فاوف لنا الكيل** يعني اعطنا ما كنت
تعطينا من قبل بالثمن الجيد الوفي والمعنى انا نريد ان يقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردي **وتصدق**

علينا يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي
يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس بها واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه
وسلم ام لا فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل
بهذه الآية وانكر جمهور العلماء ذلك وقالوا ان حال الانبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم يأنفون من
الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم لان الصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عمن سواه واجيب
عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم من المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما يفعل بهم
من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصدق علينا فقال
ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق
علينا يعني برد اخينا الينا **ان الله يجزي المتصدقين** يعني بالثواب الجزيل وقال الضحاك لم يقولوا ان الله
يجزيك لانهم لم يعلموا انه مؤمن **قال** يعني يوسف لاخوته **هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه** وقد اختلفوا في السبب
الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على
اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا
فلما قرأوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان عبدا لنا فبعناه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم لتستحقون
العقوبة وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف اذا اتاه
الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين
ادركته الرقة والرحمة عليهم فبكى وقال هذا القول وقيل ان يوسف لما قرأ كتاب ابيه فلم يتمالك ان بكى وقال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم
من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيته
وهل تعرف من خالفت ولم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه ويجوز ان يكون المعنى هل
علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الآية تصديق لقوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي
فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا
بينه وبين اخيه يوسف كانهم نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع
ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا **اذ انتم جاهلون** هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم
على هذا الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف
قوله عز وجل **قالوا ائنك لانت يوسف** قرئ على سبيل الاستفهام ووجه هذه القراءة قال ابن عباس لما قال
لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه بيوسف
فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قال ابن عباس ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف
لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحق مثلها
ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انت يوسف وقيل انما قالوه على سبيل التوهم ولم يعرفوه حتى **قال انا يوسف**
قال بعض العلماء انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته وما عوضه الله من
النصر والظفر والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني
بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي فهم يعرفونه

لانه قصد به ايضا وهذا اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو قوله قد من الله علينا
بان جمع بيننا وقيل من علينا بكل عز وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا انه من يتق
ويصبر يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على الطاعة وقيل يتق الله
باداء فرايضه ويصبر عما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذه حاله قالوا
يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه تالله لقد آثرك الله علينا يعني اختارك
وفضلك علينا يقال آثرك الله علينا ايثارا اي اختارك ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك
الله علينا بالعلم والعقل وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح بالصبر وقيل بالصفح والحلم علينا وقيل بالحسن
وساير الفضايل التي اعطاها الله له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبيا
ايضا فليس لهم عليهم فضل واجيب عنه بان يوسف عليه السلام فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان الرسالة افضل
ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وما كنا في صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على
المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون آثر لفظة خاطئين على مخطئين
لموافقة رؤس الاي لان خاطئين اشبه بما قبلها قال يعني يوسف لا تثريب عليكم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يوبخها ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد
اقامة الحد عليها وفي محل قوله اليوم قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله فيكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى
ان هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب عليكم فعلى هذا يحسن
الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدئ بقوله يغفر الله لكم والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله
يغفر الله لكم فيحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم ويبتدئ اليوم يغفر الله لكم كانه لما نفى التوبيخ والتقريع بقوله لا
تثريب عليكم ثم بشرهم بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف بنفسه سالهم
عن حال ابيه فقال ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه من نسج الجنة وقال مجاهد امره
جبريل ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي في النار عريانا اتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب ثم جعل يعقوب
ذلك القميص في قصبة من فضة وسد راسها وعلقها في عنق يوسف كالتعاويذ فلما القي يوسف عليه السلام عريانا اتاه جبريل
في البير واخرج له ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره ان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه
ريح الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص الى اخوته وذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا
معناه قال المحققون انما علم يوسف ان القاء القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان يوحي الله اليه ذلك ويمكن ان يقال
ان يوسف لما علم ان اباه قد عمي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر فبعث اليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه وينشرح
صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله فالقوه على وجه
ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين
انسانا ما بين رجل وامراة ولما فصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى ارض كنعان
قال ابوهم يعني يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح الصبا استاذنت ربها ان تاتي
يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من ثمان
ليال وقال الحسن ثمانون فرسخا فاحتملت ريح القميص فوجد يعقوب ريح الجنة من ذلك القميص فلذلك قال اني لاجد ريح يوسف
لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وفند اذا جهل ونسب

وقيل هبت ريح صح

كان بينهما صح

ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو الفند والفند فيكون المعنى لولا ان تفندوني اي تنسبوني الى الخرف
وقيل تسفهون وقيل تلوموني وقيل تجهلون وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب
عقله قالوا يعني اولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غايبين عنه تالله انك لفي ضلالك القديم
يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عندهم ان يوسف قد مات وهلك ويروى ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا انك
لفي ضلالك القديم يعني من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب فلما ان جاء البشير وهو المبشر
بخبر يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن عباس هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص
ملطخا بالدم فانا اذهب اليه اليوم بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج به
حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا القاه على وجهه
يعني فالقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعدما كان قد عمي
وعادت اليه قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني
من حيوة يوسف وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما
اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف
استغفر لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله انا كنا خاطئين في فعلنا يعني في صنيعنا قال سوف
استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر الدعاء والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف
الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلوة
متوجها الى الله تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لي
ولاولادي ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس انه
اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة نيفا وعشرين
سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف
استغفر لكم ربي قال حتى اسئل يوسف فان كان قد عفى عنكم استغفرت لكم ربي انه هو الغفور يعني لذنوب عباده
الرحيم بجميع خلقه قال عطا الخراساني طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربي قال اصحاب الاخبار ان يوسف بعث الى ابيه
مائتي راحلة وجهازا كثيرا لياتون بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج فجمع اهله وهم يومئذ
اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنى يعقوب من مصر كلم يوسف الملك
الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجي ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة الاف من الخيل وركب اهل مصر
معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس
قال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه فاراد يوسف ان يبدا يعقوب
بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدا يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا
كما يفعل الوالد بالولد والولد بالوالد وقيل ان يوسف قال لابيه يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه
ابويه قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن
هو ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح

وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل اراد بالدخول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر مستوطنين فيها إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ قيل ان هذا الاستثنا عايد الى الامن لا الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال لهم ذلك قبل ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثناء عايد الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتاخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوازهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ يعني على السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل الى العلو وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا يعني يعقوب وخالته ليا واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلا منصبا في النبوة والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض وهذا مشكل لان هذه الصورة لا ينبغي ان تكون الا لله تعالى واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان يوسف كالقبلة كما سجد الملايكة لادم ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا يدل على انهم لما صعدوا السرير خروا سجدا لله ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يدفع صحة هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وقوله خروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهو ان اخوة يوسف ربما احتملهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وَقَالَ يعني يوسف عندما راى ذلك يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ يعني هذا تصديق الرؤيا التي رايت في حال الصغر قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين رؤياه فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد ابن الهاد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي ستة وثلثون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكا هذه الاقوال كلها ابن الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبعة عشر سنة واقام في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن ماية وعشرين سنة قوله وَقَدْ أَحْسَنَ بِي يعني انعم علي يقال احسن بي والي بمعنى إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الجب اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كان اعظم من اخراجه من الجب وسبب ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل اراد ان دخوله الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ اي يعني من البادية واصل البدو وهو البسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم

وتاويله صح

والجواب

والجواب عن هذا الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة ولان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله تعالى وبقضائه وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله اياه على ذلك إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقايق الامور وخفياتها قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقايق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اي حسن الاستخراج وتنبيها على ما وصل اليه يوسف حيث القاه في الجب وقيل ان اجتماع يوسف بابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة ذلك مع طيبة النفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث جعل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ يعني بمصالح عباده الْحَكِيمُ في جميع افعاله قال اصحاب الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفن عند قبر ابيه اسحق بالارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت العيص اخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما ماية وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه وعمه رجع الى مصر قالوا فلما جمع الله تعالى شمل يوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زايل سريع الفناء لا يدوم فسال الله تعالى حسن الخاتمة الصالحة والعاقبة فقال رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ يعني ملك مصر ومن هنا للتبعيض لانه لم يؤت ملك مصر كله بل كان له شريك فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ يعني تعبير الرؤيا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يعني خالقها ومبدعها على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق وظهر وفطر الله الخلق اوجده وابدعه أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يعني انت معيني ومتولي امري تَوَفَّنِي مُسْلِمًا اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال ام لا على قولين احدهما انه سال الله تعالى الوفاة في الحال قال قتادة لم يسال نبي من الانبياء الموت الا يوسف عليه السلام قال اصحاب هذا القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفاه الله تعالى والقول الثاني انه سال الوفاة على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذه سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى الاية توفني اذا توفيتني فتوفني على الاسلام طلب ان لا يجعل الله وفاته الا على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال وقال بعض العلماء وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زايلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق لا نفاذ له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند نزول الضر وجود البلاء مكروه والصبر عليه اولى وقوله تعالى وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اراد به درجة ابايه وهم ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام وقال علماء التاريخ عاش يوسف عليه السلام ماية وعشرين سنة وفي التورية ماية وعشرين وولد ليوسف عليه السلام من امراة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم وميشا ورحمة زوجة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه السلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك انه لما مات يوسف تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء البركة حتى هموا ان يقتتلوا ثم ارادوا ان يدفن في محلتهم في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل بركته الى جميعهم وقال عكرمة

اخوته صح

١١٠

انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب
الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة فاخصب الجانبين فبقي الى ان اخرجه موسى عليهما السلام وحمله معه الى
ان دفنه بقرب ابائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل **ذلك** يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف وما
جرى له مع اخوته ثم انصاره الى الملك بعد الرق **من انباء الغيب** يعني اخبار الغيب **نوحيه اليك**
يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى غير بلده الذي نشا فيه وانه صلى الله عليه وسلم
نشا بين امة امية مثله وانه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح
عبارة علم بذلك ان الذي اتى به هو وحي ونور قدسي سماوي وفي هذه معجزة له قائمة الى اخر الدهر وقوله تعالى **وما كنت
لديهم** يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **اذ اجمعوا امرهم** يعني حين عزموا على القاء يوسف في الجب
وهم يمكرون يعني بيوسف **وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم في التورية لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
فانزل الله ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له قوله **وما تسالهم عليه من اجر** يعني على تبليغ الرسالة و
الدعا الى الله تعالى من اجر يعني اجرا وجعلا على ذلك **ان هو** اي ما هو يعني القران **ذكر** يعني عظة وتذكيرا
للعالمين وكاين من اية في السموات يعني وكم من اية دالة على التوحيد **والارض يمرون عليها**
يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها **وهم عنها معرضون** اي لا يلتفتون اليها والمعنى ليس اعراضهم
عن هذه الايات الدالة على وحدانية الله تعالى باعجب من اعراضهم عنك يا محمد قوله **وما يؤمن اكثرهم بالله الا
وهم مشركون** يعني ان من ايمانهم انهم اذا سالوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل
المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس وهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم
وهم يعبدون غيره فذلك شركهم وفي رواية اخرى عنه ايضا انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون
لبيك لبيك لا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطا هذا في الدعا وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا اصابهم
البلا اخلصوا في الدعا **افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله** يعني عقوبة مجللة تغمهم وقال مجاهد عذاب
يغشيهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع **او تاتيهم الساعة بغتة**
يعني فجاة **وهم لا يشعرون** يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الناس في اسواقهم **قل** اي قل يا محمد
لهؤلاء **هذه سبيلي** يعني طريقي التي **ادعوا** اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه
الطريق المؤدي الى الله عز وجل والى الثواب والجنة **الى الله على بصيرة** يعني الى توحيد الله والايمان به على بصيرة
يعني على يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل **انا ومن اتبعني** يعني من امن بي وصدق
بما جئت به ايضا يدعوا الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه وامن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقران
ثم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم استانف على بصيرة قال انا ومن اتبعني يعني انا على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة
قال ابن عباس يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان وجند
الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل
دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرايقهم فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم وقوله **وسبحان الله** يعني

اي وقل سبحان الله تنزيها له عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركا والاضداد والانداد **وما انا
من المشركين** يعني وقل يا محمد وما انا من المشركين الذين اشركوا بالله غيره قوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا** يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا امثالك ولم يكونوا ملايكة **نوحي اليهم** هذا
جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك يا محمد وساير الناس والرسل
الذين كانوا من قبلك بشرا مثلك حالهم كحالك **من اهل القرى** يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل
البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من
الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم وجفاهم **افلم يسيروا في الارض**
يعني هؤلاء المشركين المكذبين **كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** يعني كان عاقبتهم
الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هؤلاء بهم وبما حل بهم من عذابنا **ولدار الاخرة خير للذين اتقوا**
يعني فعلنا هذا باوليائنا واهل طاعتنا انا انجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة
لهم يعني الجنة لانها خير من الدنيا وانما اضاف الدار الاخرة وان كانت هي الجنة لان العرب تضيف الشيء الى نفسه
كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه **افلا تعقلون** يعني يتفكرون ويعتبرون بهم فيؤمنون قوله
عز وجل **حتى اذا استياس الرسل** قال صاحب الكشاف حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام
كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا نوحي اليهم فتراخى نصرهم حتى اذا استياس الرسل اي من ايمان قومهم
وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه القراءة
على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك عدوهم
وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث
اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قولهم وظنوا على هذه القراءة
للمرسل اليهم التقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم
وهذا معنى قول ابن عباس انهم لم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم
ولا يمتنع حمل الضمير في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان
شيت قلت ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم مكذبي
الرسل فظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا ما روي عن ابن عباس انه قال في الاجابة حتى اذا استياس الرسل
من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه ويئس
الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم اياهم الايمان اي وعدوا ان يؤمنوا ثم لم يؤمنوا وقال صاحب الكشاف فظنوا
انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجا صادق ورجا كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله تعالى وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى
استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وقال ابن عباس وظنوا
حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس
في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر
فليس جايز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى
الواحدي عن ابن الانباري انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احدهما ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس

لكنه من متأول تأوله عليه والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دلالة على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا
رسل الله ونصر الله للرسل ولو كان الظن للرسل كان ذلك خطأ عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتنزيه الانبياء و
تطهيرهم واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وظنوا انهم قد
كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو معناه حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا انهم يعني وايقنوا
يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم
معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من آمن بهم من قومهم قد فارقوهم
وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطاء النصر فاتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان
والتكذيب مظنون من جهة من آمن بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان اتباعهم قد كذبوهم في وعدهم النصر والظفر
لابطائه وتاخره عنهم وطول البلاء بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلا وقيل هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المؤمنين
لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطؤ النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب
المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة ابن الزبير انه سأل عائشة
عن قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله لقد استيقنوا
ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن قالت يا عروة اقبل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله
لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى اذا استيأست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم
كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبد الله بن عبيد الله ابن ابي مليكة قال قال ابن عباس قال ذهب بها هنالك
وتلا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير فذكرت ذلك له
فقال قالت عائشة معاذ الله ما وعد الله رسوله من شيء قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل
حتى خافوا ان يكون معهم من قومهم من يكذبونهم وكانت تقرؤها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى **جاءهم
نصرنا** يعني جاء نصر الله النبيين **فنجي من نشاء** من عبادنا عند نزول العذاب بالكافرين فننجي
المؤمنين المطيعين **ولا يرد بأسنا** يعني عذابنا **عن القوم المجرمين** يعني المشركين قوله تعالى
لقد كان في قصصهم يعني اخوة يوسف **عبرة** اي موعظة **لاولي الالباب** يعني يتعظ بها
اولوا الالباب اصحاب العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد
الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف
من الجب بعد القائه فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة
واليأس من الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة
العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة
نحن نقص عليك احسن القصص وقال في آخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من
احسن القصص وان فيها عبرة لمن اعتبر **ما كان حديثا يفترى** اي ما كان هذا القرآن حديثا يفترى
ويختلق لان الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه ويختلقه لانه لم يقرأ الكتب
ولم يخالط العلماء ثم انه اتى بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفتر **ولكن تصديق الذي بين يديه**
يعني ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السماء من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه
القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف **وتفصيل كل شيء** يعني ان في هذا

القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ
والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دينهم ودنياهم **وهدى** يعني الى كل شيء **ورحمة** يعني انزلناه رحمة
لقوم يؤمنون لانهم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

وهي مكية قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن
وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس انها مكية الا آيتين احداهما ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطاء
الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال الى آخر الآيتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا الى قوله له دعوة
الحق وهي ثلاث وقيل خمس واربعون آية وثمانمائة وخمس وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وستة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **المر** قال ابن عباس معناه انا الله اعلم وارى وروى عطاء عنه انه قال ان معناه انا الله الملك
الرحمن **تلك آيات الكتاب** اشارة بتلك الى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي
آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى **والذي انزل اليك** يعني من القرآن كله هو الحق
الذي لا مزيد عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص التي قصصتها عليك هي التوراة والانجيل
والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي انزل اليك **من ربك الحق** اي هو الحق فاعتصم به وقال
ابن عباس وقتادة اراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه الآيات آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي انزل اليك
من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض **ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون** يعني مشركي مكة نزلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه ثم ذكر
من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى **الله الذي رفع السموات بغير عمد**
جمع عمود وهي الاساطين والدعائم التي تكون تحت السقف وفي قوله تعالى **ترونها** قولان احدهما ان الرؤية
ترجع الى السماء يعني وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا
من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السماء مقبية على الارض مثل القبة
وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني ان ترجع الى العمد والمعنى
ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط
بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول اصح
وقوله تعالى **ثم استوى على العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية **وسخر
الشمس والقمر** يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد **كل يجري لاجل مسمى** يعني الى وقت
معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما
يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يتجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل من الشمس
والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة **يدبر الامر** يعني انه تعالى
يدبر امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على اكمل الاحوال لا يشغله شأن عن شأن
وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاج
الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته **يفصل الآيات** يعني انه تعالى يبين الآيات

الدالة على وجود الصانع قسمان الأول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والأرض وما فيهما من العجائب وأحوال الشمس
والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحيوة والفقر بعد الغناء
والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من أحوال هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته لعلكم بلقاء
ربكم توقنون يعني أنه تعالى ذكر هذه الدلائل الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقائه والمصير
إليه بعد الموت لأن من قدر على إيجاد الإنسان بعد عدمه قادر على إيجاده وإحيائه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم
وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم قوله تعالى
وهو الذي مد الأرض لما ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال
الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الأرضية فقال وهو الذي مد الأرض أي والله هو الذي مد الأرض وبسطها على وجه
الماء وقيل كانت الأرض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول إنما يصح إذا قيل إن الأرض مسطحة كالأكف
وعند أصحاب الهيئة أن الأرض كرة ويمكن أن يقال إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد منها ممدودة
كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فإن الله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض وأنه دحاها وأنه بسطها وكل يدل على
التسطيح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة وجعل فيها يعني في الأرض رواسي يعني
جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على
الأرض وأنهارا يعني وجعل في الأرض أنهارا جارية لمنافع الخلق ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
اثنين يعني صنفين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا يغشي الليل النهار يعني يلبس ظلمة الليل ويلبس
الليل بضوء النهار إن في ذلك يعني أن الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على
وحدانيته لآيات أي لدلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب
على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم والتفكر
جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب
ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة قال بعض الأدباء الفكر مقلوب
عن الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها وفي الأرض قطع متجاورات
يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبائع فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت
وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وجنات يعني بساتين والجنة بستان ذي شجر من شجر نخل وأعناب وغير ذلك
سمي جنة لأنه يستر بأشجاره الأرض وإليه الإشارة بقوله من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان
جمع صنو وهي النخلات يجتمعن من أصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس صنو أبيه يعني أنهما من
أصل واحد وغير صنوان هي النخلة المفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق يسقى بماء واحد
يعني أشجار الجنة وزرعها والماء جسم رقيق مائع به حيوة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الأرواح ونفضل بعضها
على بعض في الأكل يعني في المطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من المطعوم عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال مجاهد كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله
تعالى لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ماء
السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها وتخرج نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد فلو كان
الماء ملحا قيل إنما هذا من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع

وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله
عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وقوله تعالى إن في ذلك
يعني الذي ذكرت لآيات لقوم يعقلون يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته قوله
تعالى وإن تعجب فعجب قولهم العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقيل العجب حالة تعرض
للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لأنه تعالى عالم
الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم إياك
بعد أن كنت عندهم تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم وقيل معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم
آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السموات والأرض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرته وما ضرب
لهم به الأمثال فعجب من قولهم وقيل وإن تعجب من إنكارهم النشأة الأخرى والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء
الخلق من الله وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا موضع التعجب وهو قولهم أإذا كنا ترابا
أإنا لفي خلق جديد يعني بعد الموت كما كنا قبله ثم إن الله تعالى قال في حقهم أولئك الذين كفروا بربهم وفيه دليل على أن من
أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وأن الله على كل شيء قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر وأولئك الأغلال في
أعناقهم يعني يوم القيمة والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالأغلال ذلهم وانقيادهم
يوم القيمة كما يقاد الأسير ذليلا بالغل وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعني أنهم مقيمون
فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال طلب مجيء الأمر قبل وقته والمراد
بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء
منهم وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
وقد خلت من قبلهم المثلات يعني وقد مضت الأمم المكذبات بالعقوبة بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة
بفتح الميم وضم الثاء نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالا لا يرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات
بفتح الميم وضمها مع ضم الثاء فيهما لغتان وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
قال ابن عباس معناه إنه لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وإن ربك لشديد العقاب يعني للمصرين
على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مجاهد إنه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وإنه لشديد العقاب
إذا عاقب قوله تعالى ويقول الذين كفروا يعني من أهل مكة لولا أي هلا أنزل عليه يعني على محمد
صلى الله عليه وسلم آية من ربه يعني مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك أنهم لم يقنعوا بما رأوا من الآيات
التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم إنما أنت منذر ليس عليك يا محمد غير الإنذار والتخويف
وليس لك من الآيات شيء ولكل قوم هاد قال ابن عباس الهادي هو الله تعالى وهذا قول سعيد بن جبير
وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى إنما عليك الإنذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة
في رواية أخرى عنه وأبو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى إنما أنت منذر وأنت هاد وقال الحسن
وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد
للخير أو إلى الشر قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل أنثى لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات
أخبرهم الله عن عظيم قدرته وكمال علمه وأنه عالم بما تحمل كل أنثى من ذكر وأنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحد واثنين
أو أكثر وما تغيض الأرحام وما تزداد يعني وما تنقص الأرحام وما تزداد قال أهل التفسير غيض الأرحام الحيض
على الحمل فإذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لأن دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فإذا خرج الدم نقص الغذاء

فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك
الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرة فان رأت
خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذاء والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط
والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر
فاقل مدة الحمل ستة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو
قول عائشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب
الشافعي وقال حماد بن ابي سلمة انما سمي هرم بن حماد هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك ان
اكثر الحمل خمس سنين **وكل شيء عنده بمقدار** يعني بتقدير وحد لا يتجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم
كمية كل شيء وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة
وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره **عالم الغيب والشهادة** يعني انه تعالى
يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والمشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس
والشاهدة ما حضر في الحس والمشاهدة **الكبير** اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو
يعود الى معنى كبر قدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال **المتعال** يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق
وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزهه عن جميع النقائص قوله تعالى
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به من اخفاء القول ومن كتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى
انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به **ومن هو مستخف بالليل** اي مستتر بظلمته **وسارب
بالنهار** اي ذاهب بالنهار في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الراء المنصرف في حوائجه قال ابن عباس في هذه
الاية هو صاحب ريبة مستخف بالنهار واذا خرج بالنهار ارى الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من
قولهم خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيت الشيء اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار داخل في السرب مستخفيا ومعنى
الاية سواء ما اضمرته القلوب ونطقت به الالسن وسواء من اقدم على القبائح مستترا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرا
في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل **له معقبات** يعني ملائكة لله تعالى يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت
ملائكة الليل اعقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ وان كان الملائكة
ذكورا لان واحدها معقب وجمع معقبة ثم جمع معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلوة الفجر وصلوة العصر
ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون
وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن يساره وهو كاتب السيئات
وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له عشر حسنات امثالها واذا عمل سيئة قال
صاحب السيئة اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب او يستغفر فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا
قال له اكتبها عليه بسيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر
على الله وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه
فهؤلاء خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرها في نهاره فانظر الى عظمة الله وتدبيره وكمال شفقته عليك
ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى **من بين يديه ومن خلفه** قال يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن ورائه
ومعنى بامر الله وباذنه ما لم يجئ المقدر فاذا جاء المقدر خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه بما امر الله به من الحفظ له

قال

قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء ياتيه يريده الا قال
له الملك وراءك الا شيء ياذن الله فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم
ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على
قول من يقول ان الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الاية
في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر
الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت
قصتهما على ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان
يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد مع نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس
لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه
فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك
ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك لي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني
على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال او ليس ذلك لي اليوم قم معي
اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل قد اوصى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه
فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد من خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل
عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله
لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنع الله من ذلك وابناء قيلة
يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم اليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه
منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء
ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل
الله ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب الفرس واجراه حتى مات على ظهره واجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد بن ربيعة بالصاعقة وانزل الله تعالى في شان هذه القصة سواء منكم
من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقيل ان تلك
المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وقوله
يحفظونه من امر الله خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم** يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم يعني من الحالة الجميلة فيعصون
ربهم ويجحدون نعمه عليهم وهو قوله عز وجل **واذا اراد الله بقوم سوءا** يعني هلاكا وعذابا
فلا مرد له يعني لا يقدر احد يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره **وما لهم من دونه من وال**
يعني ليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم ونصرهم ويمنع العذاب عنهم قوله عز وجل **هو الذي يريكم البرق**
لما خوف الله عز وجل عباده بقوله واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه
ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني والله الذي يريكم **البرق** والبرق معروف وهو لمعان يظهر

فعند ذلك يحل نقمته بهم

من خلال السحاب وفي كونه **خوفا وطمعا** فيه وجوه الاول عند المعاين البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع ونحوه الثالث ان المطر يخاف ومنه اذا كان في غير مكانه وزمانه والطمع فيه اذا كان في زمانه ومكانه فان من البلاد ما اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت **وينشئ السحاب الثقال** يعني بالمطر يقال انشا الله السحابة فنشات اي ابداها فبدات والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء او لم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجر الماء او لانجراره في سيره **ويسبح الرعد بحمده** قال اكثر المفسرين ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول انه عطف عليه **والملائكة من خيفته** واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد اسما لملك من الملائكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث شاء الله تعالى قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره السحاب حتى ينتهي حيث امرت قالوا صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا واراد به هنا آلة تزجر الملائكة السحاب بها وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر الملائكة به السحاب قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان الوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحرز الماء في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك بالسحاب الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر وقيل ان الرعد يسبح الله تعالى لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقايص فكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقايص والا لم يكن ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من سمعه سبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملائكة من خيفته يعني وتسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهؤلاء الملائكة اعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملائكة فهم خايفون خاضعون طايعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى **ويرسل الصواعق** جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحرق من يصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب او موت وهي في ذاتها شيء واحد وهي الاشياء الثلاثة تنشأ منها ويرسل الصواعق يعني بالصواعق **فيصيب بها من يشاء** يعني فيهلك بها كما اصاب اربد بن ربيعة وقال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر **وهم يجادلون في الله** يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل اذا احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ربك من در ام من ياقوت ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله ورسوله فقال لهم اخبروني

عن رب محمد هذا الذي يدعوني اليه مم هو من ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيئا بل قال اخبث وقال اجيب محمدا الى رب لم اره ولم اعرفه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته شيئا بل قال اخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا فبينا هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئا اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم ذلك قالوا اوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله اختلفوا في هذه الواو فقيل هي واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستيناف فيكون المعنى انه تعالى لما ذكر الدلايل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله **وهو شديد المحال** اي شديد الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراده بسوء وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدايه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه وقيل المحال من الحول وهو الحيلة والميم زايدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في قوله شديد المحال فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه اشد جدالا منهم قوله تعالى **له دعوة الحق** يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به فانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى دعاؤه الثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر ابن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار في مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون الا لله تعالى **والذين يدعون من دونه** يعني والذين يدعونهم آلهة من دون الله تعالى وهي الاصنام التي يعبدونها **لا يستجيبون لهم بشيء** يعني لا يجيبونهم بما يريدونه من نفع او دفع ضر **الا** **كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه** يعني الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته منه اي من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا اصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شيء وقيل شبهه بالرجل العطشان الذي

يرى الماء بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البير فلا يبلغ الى قعر البير ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله للكفار ودعائهم الاصنام حين لا تنفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله **وما دعاء الكافرين** يعني اصنامهم **الا في ضلال** يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى قوله عز وجل **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها** في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول ففي معنى الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض من الانس يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقون الداخلون في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني وهو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة من المؤمنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه ان المعنى انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول وجواب اخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل وهم خاضعون منقادون له وقوله تعالى **وظلالهم بالغدو والآصال** الغدو جمع الغداة والعشية جمع العشي وقيل الغدو مصدر والآصال جمع اصل وهو العشية والاصال العشايا جمع عشية وهو ما بين صلوة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون وظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمنين والكافرين وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سجدت وسبحت لله مع داود عليه السلام وقيل المراد تسبيح الله الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجدة التلاوة فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى **قل من رب السموات والارض** اي قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والارض يعني من مالك السموات والارض ومدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون بان الله خالق السموات والارض وما فيهما فاذا اجابوك لذلك فقل انت يا محمد الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله **قل** اي قل يا محمد **الله** وقيل انما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون بان الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله **قل** اي قل يا محمد للمشركين **افاتخذتم من دونه** يعني من دون الله **اولياء** يعني الاصنام والولي الناصر والمعنى توليتهم غير رب السموات والارض واتخذتموهم انصارا يعني الاصنام **لا يملكون** يعني وهم لا يملكون **لانفسهم نفعا ولا ضرا**

فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمن الذي يعبد الله تعالى فقال تعالى **قل هل يستوي الاعمى والبصير** قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن **ام هل تستوي الظلمات والنور** يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا يستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا **ام جعلوا لله شركاء** هذا استفهام انكار يعني جعلوا له شركاء **خلقوا كخلقه** يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا **فتشابه الخلق عليهم** من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل انه تعالى وبخهم بقوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركاء بخلق الله تعالى عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق ساير الاشياء والشركاء مخلوقون له ايضا لا يخلقون شيئا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء واذا كان الامر كذلك فقد الزمهم الحجة وهو قوله قل يا محمد **قل الله خالق كل شيء** اي لهولاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق **وهو الواحد** يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشياء كلها **القهار** لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه وقدره وارادته قوله تعالى **انزل من السماء ماء** لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السماء ماء يعني المطر **فسالت اودية بقدرها** اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الماء وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال الماء في الوادي فهو كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها وقال مجاهد عليها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقيل بمقدار ملئها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هنا بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السماء ماء يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يسكن فيها الماء وكذلك القلوب يسكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القران فيها وهذا خاص للمومنين لانهم الذين انتفعوا بنزول القران

(ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النووي وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا فبالهمزة يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله ومنها اجادب فبالجيم والدال المهملة كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي اخاذات بالخاء والذال المعجمتين جمع اخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء وقوله وزرعوا كذا هو في صحيح مسلم من الزرع ووقع في صحيح البخاري ورعوا بزيادة من الرعي والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهي المستوي من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه في الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلماء والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع بالمطر

ذا ءصح

الغهم صح

فتنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى وغير
ذلك من العلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله عليه
الصلوة والسلام فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم بما رزقت من صفاء الفهوم
النوع الثاني من انواع الارض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة لغيرها وهي امساك الماء لغيرها لينتفع بها
الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة وليس لهم افهام ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى
يجيء المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذه منهم فينتفع به غيره النوع الثالث من انواع الارض ارض
سبخة لا تنبت مرعا ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شيء
من العلم لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله اعلم قوله عز وجل **فاحتمل السيل زبدا** الزبد
ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانه فاحتمل الزبد الذي حدث من ذلك الماء زبدا
رابيا يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهو هنا تم المثل ثم ابتدأ بمثل آخر فقال تعالى **ومما يوقدون عليه في النار**
الايقاد جعل الحطب في النار لتقديم جعل النار تحت الشيء ليذوب **ابتغاء حلية** يعني لطلب زينة والضمير في عليه
يعود الى الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما **او متاع زبد** يعني او لطلب متاع آخر
مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع
به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك مما يتخذ من الاواني متاع **مثله** يعني ان ذلك
الذي يوقد عليه في النار اذا اذيب فله ايضا زبد مثل زبد الماء الصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل
الباطل وهو قوله تعالى **كذلك يضرب الله الحق والباطل** فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الصافي
الذي لا ينتفع به وهو قوله **فاما الزبد فيذهب جفاء** يعني ضايعا باطلا والجفاء ما رماه الوادي من الزبد
الى جنباته وقيل الجفاء المتفرق يقال جفات الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب **واما
ما ينفع الناس** يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب **فيمكث في الارض** يعني يثبت
ويبقى ولا يذهب **كذلك يضرب الله الامثال** قال اهل التفسير والمعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل
وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الماء
فيذهب ويبقى الماء الصافي الذي ينتفع به وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير
مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله
وقيل هذا مثل للمؤمنين واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث
اعتقاده كالزبد الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الازل لان
الوادي اذا سال كنس كل شيء فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور الذي سال وادي قلب العبد بالنور الذي
قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
يعني يذهب الباطل وهي الاخلاق المذمومة ويبقى الحقائق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى
للذين استجابوا لربهم الحسنى قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الامثال للمؤمنين
الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسله وللكافرين الذين لم يستجيبوا
فعلى هذا يكون قوله يضرب الله الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله
الامثال ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى
هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية من شوائب المضرة والانقطاع **والذين لم يستجيبوا له**

يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم واشراكهم وماتوا عليه **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به** يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم من عذاب النار يوم القيمة **اولئك** يعني الذين لم يستجيبوا
لربهم **لهم سوء الحساب** قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له منه شيء **ومأويهم
جهنم** يعني في الآخرة جهنم **وبئس المهاد** يعني وبئس ما مهد لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني فبئس
الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى** يعني فيؤمن به
ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس
نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر فالاول
هو حمزة او عمار والثاني اعمى هو ابو جهل وحمل الآية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي
من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد
وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد وهما واقعان في المهالك **انما يتذكر اولوا
الالباب** قيل انه يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار
قوله عز وجل **الذين يوفون بعهد الله** يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم به وفرضه عليهم
واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم
من صلبه واخذ عليهم العهود والمواثيق **ولا ينقضون الميثاق** بل يوفون به فهو تاكيد لقوله الذين
يوفون بعهد الله **والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل** قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل
يعني يصل بينهم بالايمان ولا يفرق بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا الله انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما
من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه
صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسأ له في اثره الاثر هنا الاجل
وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحيوة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تاخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله
له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني انه يزيد فيه زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي انما الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل
مثراة في المال منساة في الاجل اخرجه الترمذي وقوله تعالى **ويخشون ربهم** يعني انهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه
والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم ما امر الله واكثر ما يكون ذلك عن علم
بما يخشى منه **ويخافون سوء الحساب** تقدم معناه **والذين صبروا** يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر
الله وقال عطا على المصائب والنوائب وقيل صبروا على الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه
الصبر على جميع النوائب والمامورات من سائر العبادات والطاعات وجميع اعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل
فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من الشهوات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات
والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب واصل الصبر حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها

عنه فالصبر لفظ عام فيدخل تحته جميع ما ذكروا وانما قيد الصبر بقوله **ابتغاء وجه ربهم** لان الصبر ينقسم
على نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على تحمل ما من النوازل وقد يصبر لئلا
يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا تشمت به الاعداء فكل هذه الامور وان كان ظاهرها الصبر فذلك ليس داخلا تحت قوله
ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وان يكون الانسان صابرا بما نزل به من الله طالبا في ذلك
الصبر ثوابا بالله تعالى محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما
لله تعالى وطلب رضوانه قوله تعالى **واقاموا الصلوة** يعني الصلوة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلوة الفرض
والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيئاتها **وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** وقال الحسن المراد
الزكوة المفروضة فان لم يتهم بترك اداء الزكوة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل ان المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية
الزكوة الواجبة وحمله على العموم اولى **ويدرؤن بالحسنة السيئة** قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح من العمل
السيء وهو قوله يعني ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن
عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيئات ويعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة
قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب
بالتوبة وقيل لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير قال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة
والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
قال عبد الله ابن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين
بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من عهد اعمال البر ذكر بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى **اولئك**
يعني من اتى بهذه الاعمال **لهم عقبى الدار** يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب **جنات عدن** بدل من
عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به **يدخلونها** يعني الذين تقدم وصفهم **ومن صلح من
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم** يعني ومن صدق بما صدقوا به وان يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج
ان الانسان ينتفع بغير اعمالهم الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معنى صلح في عمله
قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بما يراه في اهله حيث بشره بدخوله الجنة مع
هؤلاء فدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم تكن
في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به الا كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الامام فخر الدين الرازي قوله
تعالى وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه وروي ان
لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فامسكها
رجاء ان تحشر مع جملة ازواجه كالدليل على ما ذكرناه قوله تعالى **والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب** يعني من ابواب الجنة وقيل من ابواب القصور قال ابن عباس يريد بالتحية من الله والتحف والهدايا **سلام
عليكم** يعني يقولون سلام عليكم فاضمر القول ههنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم الله من
الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وادخلكم الجنة **بما صبرتم** في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل
ان السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله
بما صبرتم قال مقاتل ان الملائكة يدخلون في مقدار يوم من الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون
سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن ابي امامة مرفوعا عليه قال ان المؤمن ليكون متكئا على اريكته اذا دخل الجنة

وعنده

وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله تعالى يستأذن فيقوم ادنى الخدم
الى الباب فاذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم الى المؤمن ائذنوا
له ويقول الذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيدخل فيسلم ثم ينصرف **فنعم عقبى الدار**
يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه قوله **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**
لما ذكر احوال السعداء وما اعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده احوال الاشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد الله من بعد
ما اوثقوه على انفسهم من الاعتراف والقبول **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يعني ما بينهم وبين المؤمنين
من الرحم والقرابة **ويفسدون في الارض** يعني بالكفر والمعاصي **اولئك** يعني من هذه صفته **لهم اللعنة**
يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيمة **ولهم سوء الدار** يعني النار لان منقلب الناس في العرف الى دورهم ومنازلهم
فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى **الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر** يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه
وهذا امر اقتضته حكمة الله **وفرحوا بالحيوة الدنيا** يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم اشروا
وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام **وما الحيوة الدنيا**
يعني بالنسبة **في الآخرة الا متاع** يعني اي قليل ذاهب قال الكلبي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع في
الدنيا بها ثم تذهب كذلك الحيوة الدنيا لانها ذاهبة لا بقاء لها **ويقول الذين كفروا** يعني من اهل مكة **لولا انزل
عليه آية من ربه** يعني هلا انزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى **قل** اي قل لهم يا محمد **ان الله يضل
من يشاء** فلا تنفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل وهو قوله **ويهدي اليه من اناب**
يعني ويرشد الى دينه والايمان به من اناب بقلبه ورجع اليه بكليته **الذين آمنوا** يعني بدل من اناب **وتطمئن
قلوبهم** يعني وتسكن قلوبهم **بذكر الله** قال مقاتل بالقرآن لانه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة السكينة
انما تكون بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك **الا بذكر الله تطمئن القلوب** يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين
وتستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على شيء سكن قلوب المؤمنين اليه فان قلت
اليس قد قال تبارك وتعالى في اول سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فالوجل استشعار الخوف وحصول
الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد قلت انما يكون
الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة انما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه
وعقابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه قوله عز وجل **الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية اخرى
عنه ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال ابراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى
من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة لهم وهو كما استطاب في الجنة هؤلاء من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى
بلا فقر وصحة بلا سقم قال الازهري يقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد بن جبير
طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن امامة وابي هريرة وابي الدرداء ان طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها
قال ابو عبيدة بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها
غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من
اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظلل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروي

عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة
تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل
وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكره البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا على ابي هريرة قال
ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التورية
على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب فرسا او حقة او جذعة ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها
بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة قال البغوي
وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى
يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسروجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب ق عن سهل بن سعد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ق عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام
ما يقطعها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة
زاد البخاري في روايته واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى **طوبى لهم وحسن مآب** يعني ولهم حسن منقلب ومرجع
ينقلبون ويرجعون اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل **كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم**
يعني كما ارسلنا الى الامم انبياء قبلك كذلك ارسلناك الى امة قد خلت ومضت [illegible] **لتتلو عليهم الذي اوحينا**
اليك يعني لتقرأ عليهم الذي اوحيناه اليك من القران وشرايع الدين **وهم يكفرون بالرحمن**
قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا
على ان يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون
بالرحمن [illegible] وقيل ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر
يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن
ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى
الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
قال الله تعالى **قل** اي قل يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته **هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت** يعني اعتمدت في
اموري كلها **واليه متاب** يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى **ولو ان قرانا سيرت به الجبال**
الاية نزلت في كفار وهم نفر من مشركي قريش منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا خلف
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك
فسير جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا انهارا وعيونا لنغرس الاشجار
ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح لنركبها
الى الشام لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست باهون على ربك من سليمان او احي لنا جدك
قصيا او من شئت من موتانا لنسئله عن امرك احق ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على ربك من عيسى
فانزل الله تعالى هذه الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض **او قطعت به الارض** يعني شققت
فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** باحيائها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما
حذف بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرانا فعل به كذا وكذا لكان هذا القران فهو كقول الشاعر

فاقسم لو شيء اتانا رسوله • سواك ولكن لم نجد لك مدفعا • اراد لو شيء اتانا رسوله سواك لرددناه وهذا
معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقال الاخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام
وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا بما سبق
من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ثم قال تعالى
بل لله الامر جميعا يعني في هذه الاشياء وفي غيرها ان شاء فعل وان شاء لم يفعل **افلم ييأس الذين امنوا**
قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة
فقال الليث وابو عبيدة الم ييأس لم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر • اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني
الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم • بمعنى الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر • الم ييأس الاقوام
اني انا ابنه • وان كنت عن ارض العشيرة نائيا • بمعنى الم يعلم الاقوام وقال قطرب ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا
ووجه هذه اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشيء وتيقنك به ييئسك من غيره وقيل لم يرد ان الياس
في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان ييأس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفائه فاذا معنى ياسهم
يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القران من الياس المعروف
لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الايات طلب المسلمون لذلك وارادوا
ان يظهرها لهم اية ليجتمعوا على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا ان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم ييأس الذين امنوا
من ايمان هؤلاء لان الله لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الاية قولان احدهما ان ييأس بمعنى علم والقول الثاني
انه من الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله **ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا** على ان الله
لم يشأ هداية جميع الخلق **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** يعني من الكفر والاعمال الخبيثة
قارعة اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس
اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم **او تحل** يعني السرايا والبلية **قريبا**
من دارهم وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم **حتى ياتي وعد الله** يعني النصر والفتح وظهور رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيمة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم **ان الله لا يخلف الميعاد**
والغرض منه تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل **ولقد**
استهزئ برسل من قبلك وذلك ان كفار مكة انما سالوا هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله هذه
الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزاء فكذلك قد
استهزئ برسل من قبلك **فامليت للذين كفروا** يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة **ثم اخذتهم**
يعني بالعذاب بعد الامهال لعقوبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار **فكيف كان عقاب**
يعني فكيف كان عقابي لهم **افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** يعني افمن هو حافظها ورازقها
وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اساءت وجوابها محذوف
تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التي لا تضر
ولا تنفع **وجعلوا لله شركاء** يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي جعلوها لله شركاء **قل سموهم**
يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد **ام تنبؤنه** يعني ام تخبرون الله **بما لا**
يعلم في الارض يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا **ام بظاهر من القول** يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول

مسموع وهي في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بظاهر من القول لا يعلمون حقيقته **بل زين للذين كفروا مكرهم**
قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر انما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين
هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء
الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضلل الله
فما له من هاد وقوله **وصدوا عن السبيل** قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية
ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا عن سبيل الله اي
غيرهم عن الايمان **ومن يضلل الله فما له من هاد** الوقف عليه بسكون الدال وحذف الياء في اكثر القراء **لهم عذاب**
في الحيوة الدنيا يعني بالاسر والقتل ونحو ذلك مما فيه غيظهم **ولعذاب الآخرة اشق** يعني اشد
واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصدع
وما لهم من الله اي يعني من عذاب الله **من واق** يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله **مثل الجنة التي وعد المتقون**
يعني اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحتها الانهار اكلها دائم** لا ينقطع ابدا **وظلها**
يعني انه دائم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية رد على
جهم واصحابه يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على حركات اهل الجنة لا ينتهي الى سكون دائم كما يقوله
ابو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل انها لو كانت مخلوقة
لوجب ان يفنى وينقطع اكلها لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فوجب ان لا تكون الجنة مخلوقة لقوله تعالى اكلها
دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر ان تكون في السموات جنات كثيرة يتمتع بها الملائكة ومن يحيا من الانبياء والشهداء
وغيرهم على ما روي الا ان الذي يذهب اليه ان الجنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من اثنين
احدهما قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دائم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين العمومين
سقط دليلهم فنخص هذين الدليلين بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها الخ قوله تعالى وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى **تلك عقبى الذين اتقوا** يعني ان عاقبة الذين اتقوا وهم اهل التقوى
هي الجنة **وعقبى الكافرين النار** يعني في الآخرة قوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل**
اليك في المراد بالكتاب قولان احدهما انه القرآن والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن
ومن الاحزاب يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى
من ينكر بعضه وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت ان الاحزاب لا ينكرون القرآن جملة لانه قد ورد فيه اثبات
الله واثبات قدرته وعلمه وارادته وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التورية
والانجيل والمراد باهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه
ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وساير المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا
في القرآن في الابتداء فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في التورية
فلما كرر الله ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية فيه
بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون

بالرحمن قل هو ربي وانما قال من الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن **قل** اي قل يا محمد
انما امرت ان اعبد الله يعني وحده **ولا اشرك به شيئا اليه ادعوا** يعني الى الله ادعوا والى
الايمان ادعوا الناس **واليه مآب** يعني مرجعي يوم القيمة **وكذلك انزلناه حكما عربيا** اي كما انزلنا
الكتب على الانبياء وبلسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك وانما
سمي القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القرآن سببا للحكم على سبيل المبالغة
وقيل ان الله لما حكم على جميع الخلق بقبول القرآن والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى **ولئن اتبعت اهواءهم**
قال جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله الى ملة آبائهم فتوعده الله على اتباع اهوائهم في ذلك وقال ابن السائب
المراد به متابعة آبائهم في الصلوة الى بيت المقدس **بعدما جاءك من العلم** يعني بانك على الحق وان قبلتك
هي الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم
على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم
قدرا واعلى مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى **ما لك من الله من ولي ولا واق** يعني
من ناصر ولا حافظ **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد
وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله تعالى **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** يا محمد
وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانه قد كان لسليمان ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح
ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه السلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك في نبوته فكيف يعيبوا عليك ويجعلوه قادحا
في نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا ياكلون ولا يشربون
ولا ينكحون **وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله** هذا جواب لعبد الله بن ابي امية وغيره من المشركين الذين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب ان المعجزة الواحدة
كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله بمعجزات كثيرة يعجز عنها وعن مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيئا
واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل مفوض الى مشيئة الله عز وجل فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها **لكل اجل**
كتاب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطأوا ذلك وكانوا يستعجلون
بنزوله فاخبر الله ان لكل قضاء قضاه كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل
اجله الله كتاب قد اثبت فيه وقيل في الآية تقديم وتاخير والمعنى لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب
منها وقت ينزل فيه **يمحوا الله ما يشاء ويثبت** وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه فاجاب الله بهذا
الاعتراض بقوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه
ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحوا الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل
والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن حذيفة ابن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليه ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك
ما يشاء ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا
ينقص اخرجه مسلم **ق** عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق

احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا باربع كلمات
رزقه واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان
الارزاق والاجال مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله في علمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصها
وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا والشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف
الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قلت قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله عالم بالاجال
والارزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال
ان يموت قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال
لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة
في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني
منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها
زيد له اربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع ذلك وهو معنى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت فهو بالنسبة الى ما
يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر
قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد
يرتد المسلم والعياذ بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم
الله له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو اذهاب اثر الكتابة وضده الاثبات
فمن العلماء من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الارزاق والاجل
وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان والكفر بالله ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا لا يمحو السعادة
والشقاوة ويمحو الرزق والاجل وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل
السعادة فاثبتني فيها وان كنت قد كتبتني من اهل الشقاوة فامحني منها واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك
تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من
عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى بسنده عن ابي الدرداء قال قال
صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب
الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشياء دون بعض فقال
المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع
اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل اكلت شربت
دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي
يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله
ثم يعود لمعصية الله فيموت وهو على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعة
فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء يعني من جاء اجله فيذهب ويثبت من لم يجئ اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله
ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال
السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته

محاه وامسكه ومن اراد بقاءه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة
محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله ما يشاء الدنيا ويثبت الاخرة وقيل هو من المحن والمصائب فهي
مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض عليه لاحد يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة
فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات بما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا
الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر مسئلة استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الاية
قالوا ان البداء جائز على الله وهو ان يعتقد شيئا ثم يظهر لهم خلاف ما اعتقدوه وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت
والجواب عن هذه المسئلة ان هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما
كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محال ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى وعنده
ام الكتاب يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع الاشياء
مثبتة فيه ومنه ينسخ الكتب المنزلة وقيل العلوم كلها تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان يمحو الله
ما يشاء ويثبت ما يشاء وام الكتاب الذي لا يغير شيء منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة
عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
وسأل ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون قوله عز وجل وإما نرينك يعني يا محمد
بعض الذي نعدهم يعني من العذاب او نتوفينك يعني قبل ان نريك ذلك فانما عليك البلاغ يعني ليس عليك
الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ وعلينا الحساب يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيمة فنجازيهم
باعمالهم قوله عز وجل اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها يعني اولم يروا كفار مكة
الذين سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ارض الشرك ننقصها من
اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى اولم يروا انا نأتي
الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالي اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة
وجماعة من المفسرين وذلك ان المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واخرابا كان ذلك نقصانا في دارهم وزيادة في
دار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز ما وعده وقيل هو خراب
الارض والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال مجاهد هو خراب الارض
وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطا وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء
وذهاب الفقهاء ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم
انتزاعا ولكن ينزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس
رؤسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها
شيء ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لا يزال الناس
بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس
قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالاطراف الاشراف والعلماء من اشراف الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف
الاشراف واستدل الواحدي بهذه اللغة بقول الفرزدق في قوله ؛ واسئل بنا وبكم اذا وردت منى ؛ اطراف كل قبيلة
من يمنع ؛ قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا يليق بهذا الموضع قال
الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ايضا ان هذا الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره ان يقال اولم يروا ما يحدث في الدنيا

من اختلاف فاتٍ خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة
فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله الامر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا اعزين ومقهورين بعد ما كانوا قاهرين وعلى الوجه
هذا ايضا يجوز اتصال الكلام بما قبله قوله تعالى **والله يحكم لا معقب لحكمه** قال يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضائه
والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا
حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع ولا يتعقب حكمه احد غيره بتغيير ولا نقض **وهو سريع الحساب**
قال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين
بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا **وقد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل
مشركي مكة من الامم الماضية مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر نمرود بابراهيم
وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر جميعا** يعني عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين
له ومنه اي هو من خلقه وارادته وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان
قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب
ان لا يكون الخوف الا من الله لا من احد من المخلوقين **يعلم ما تكسب كل نفس** قيل يعني ان جميع اكتساب
العباد ونياتها معلومة لله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع
وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضر
الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار والماكرين **وسيعلم الكفار** وقرئ الكافر على التوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل
اراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة **لمن عقبى** والمعنى وانهم وان كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة
الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المذمومة في الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة قوله تعالى **ويقول
الذين كفروا لست مرسلا** لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله بقوله **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء
الكفار الذين انكروا نبوتك ما ظهر من المعجزات الباهرات الدالة على صدقي وكوني نبيا مرسلا من عند الله تعالى **كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم** اني رسوله اليكم **ومن عنده علم الكتاب** ايضا يشهد على نبوتك يا محمد وصحتها
واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علماء اليهود والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما
من اليهود بالتورية ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل من الله تعالى لما يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيما يشهد بذلك
من شهد به وانكره من انكره منهم وقيل انهم مؤمنو اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام
وانكر الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب
اهو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله
تعالى وعلى هذا القول كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج
الاشبه ان الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جايزا الا انه مخالف
للاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه لكي يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي
قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول والمعنى ومن عنده علم الكتاب ودليل هذه القراءة وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه
ان من علم ان القران الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم
الماضية فمن علمه بهذه الصفات كان شهيدا بيني وبينكم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ابراهيم عليه السلام

مكية سوى ايتين وهو قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار الى الايتين وهي احدى وقيل اثنان
وخمسين اية وثمانمائة واحدى وستون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الر كتاب انزلناه اليك** يعني هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد هو القران المنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم **لتخرج الناس من الظلمات الى** يعني بهذا القران والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد
بالنور الايمان وقال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل على ان طرق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه قال تعالى
لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو
لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الجهل والكفر كثيرة واما طريق العلم والايمان ليس الا واحدا **باذن ربهم** يعني بامر
ربهم وقيل بعلم ربهم **الى صراط العزيز الحميد** يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو
الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد **الله** قرئ بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده و
قرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو وقراءة الخفض على التقديم والتاخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد **الذي
له ما في السموات وما في الارض** يعني ملكا وما فيهما عبيده **وويل للكافرين** يعني الذين تركوا عبادة
الله الذي يستحق العبادة له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لانه
من جملة خلق الله تعالى ومن جملة ما في السموات وما في الارض **من عذاب شديد** يعني معد لهم في الاخرة ثم وصفهم
فقال تعالى **الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة** يعني يختارون الحيوة الدنيا ويؤثرونها على الاخرة
ويصدون عن سبيل الله ويمنعون الناس عن قبول دين الله **ويبغونها عوجا** يعني ويطلبون لها زيغا وميلا
فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها راجعة الى الدنيا
ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن بجهة الحرام **اولئك** يعني هؤلاء من هذه صفته **في ضلال بعيد**
يعني عن الحق يجوز ان يراد في ضلال بعيد ذي بعد او فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله تعالى **وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه** يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى **ليبين لهم**
يعني ما ياتون وما يذرون فان قلت لم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس
جميعا بدليل قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين الجن والانس وهم على السنة
مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة
فكيف يكون وجه الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى
الخلق لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون له بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل
يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده ومنهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل ان الرسول
ارسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان اقرب لفهمهم عنه واقوم
للحجة عليهم في ذلك فاذا فهموا وتنوقل عنهم انتشر علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير العرب
واذا كان الكتاب واحدا بلغات واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه
وتفهيم فوائده وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه **فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**
يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء **وهو العزيز** يعني الذي يغلب ولا يغلب
الحكيم في جميع افعاله قوله عز وجل **ولقد ارسلنا موسى باياتنا** المراد بالايات المعجزات التي جاء بها موسى
عليه السلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة **ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور** اي اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان **وذكرهم بايام الله** قال ابن عباس
وابي بن كعب ومجاهد وقتادة يعني بنعم الله تعالى وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام الله اي بوقايعهم

معقب صح

يكونا المعني صح

بل يقال شهد زيد الفقيه صح

وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة والنقمة فاجتزى بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد ان يذكرهم بما انعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأمر الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة حين كانوا تحت ايدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم الله ملوكا بعد ان كانوا مملوكين **ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور** يعني الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالآيات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالآيات لا يمكن حصولها الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة **واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم** لما امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا نعمة الله عليكم **اذ انجاكم من آل فرعون** اي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي انجاكم فيه من آل فرعون **يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم** فان قلت قال في تفسير سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول اتاني القوم زيد وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان آل فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير التذبيح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير للعذاب **ويستحيون نساءكم** يعني يتركوهن احياء **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوه كان ذلك بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق للاول وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابناء بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء قلت كانوا يستحيون نساءهم ويتركوهن تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء **واذ تأذن ربكم** هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن اذن اي اعلم ولا بد في تفعل معنى ليس في افعل كأنه قيل واذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تأذن ربكم فقال **لئن شكرتم** يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح **لأزيدنكم** يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله ونعمه وكرمه واحسانه اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذكر ذلك يوجب المزيد وبذلك يتأكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف واعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم على الالتفات على النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر النعم حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه قوله عز وجل **ولئن كفرتم** المراد بالكفر ههنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر **ان عذابي لشديد** يعني لمن كفر نعمتي ولا يشكرها **وقال موسى ان تكفروا انتم** يعني انتم يا بني اسرائيل **ومن في الارض جميعا** يعني والناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود الى انفسكم وحرمتموها الخير كله **فان الله لغني** عن جميع خلقه **حميد** اي محمود في جميع افعاله لانه متفضل وعادل **الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله على لسان

موسى

وبالتذبيح صح

زيادة صح

اقسام صح

نعمه جحودهم

موسى لقومه يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال ما تقدم وهلاكهم **والذين من بعدهم** يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة **لا يعلمهم الا الله** يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شيء الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله هم اقوام وامم ما بلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم لانه لا يعلم اولئك الآباء الا الله تعالى قوله تعالى **جاءتهم رسلهم بالبينات** يعني بالدلائل الواضحات والمعجزات الباهرات **فردوا ايديهم في افواههم** وفي معنى الايدي والافواه قولان احدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقال قتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤوا به يقال رددت قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم على افواه الرسل يسكتوهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك وعلى القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين فقيل المراد بالايدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت عليهم نعمة يقال لفلان عندي يد اي نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد اجابوا بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على رسلهم **وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به** يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لانهم لو اقروا بان الرسل ارسلوا اليهم لكانوا مؤمنين **وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب** يعني موجب للريبة او موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه فان قلت انهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في قولنا وكفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في ذلك **قالت رسلهم** يعني مجيبين لاممهم **افي الله شك** يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه **فاطر السموات والارض** يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم** يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليس بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي ومن مظالم العباد **ويؤخركم الى اجل مسمى** يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب **قالوا** يعني الامم مجيبين للرسل **ان انتم** اي ما انتم **الا بشر مثلنا** يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة **تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا** يعني ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها **فأتونا بسلطان مبين** يعني بحجة مبينة واضحة على صحة دعواكم **قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم** يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم نحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك **ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف **وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله** يعني وليس لنا مما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة ان نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله ليس لنا في ذلك قوله عز وجل **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** يعني في

الآباء صح

وردوا افواههم صح

انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به وكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر او داخل فيه قلت

صح

دفع شرور اعدائهم عنهم وما لنا الا نتوكل على الله يعني ان الانبياء قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شيء
الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع شروركم عنا وقد هدينا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق
النجاة وبين لنا الرشد ولنصبرن اللام لام القسم تقديره والله لنصبرن على ما آذيتمونا يعني من قول
او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين
قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة الى استحداث التوكل الثاني فيه اشارة الى التثبيت على ما استحدثوا من
توكلهم وابقائه وادامته فحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل من ارضنا وبلادنا
واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا فيها قلت
معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه آخر وهو ان الانبياء عليهم السلام قبل
الرسالة لم يظهروا خلافهم فامهم فلما ارسلوا اليهم اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله تعالى قالوا لهم لتعودن في ملتنا
ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره
فاوحى اليهم ربهم يعني ان الله اوحى الى رسله وانبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين
يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك يعني ذلك الاسكان
لمن خاف مقامي يعني لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيمة فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب يضيف افعالها
الى انفسها فهو كقولهم ندمت على ضربي اياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد اي وخاف عقابي قوله عز وجل
واستفتحوا يعني واستنصروا قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين
فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا
على قومهم بالعذاب وخاب يعني وخسر وقيل وهلك كل جبار عنيد يعني والجبار في صفة الانسان
يقال لمن تجبر نفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى
فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على اقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن
عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال مقاتل هو الذي يأبى ان يقول لا اله الا الله وقيل العنيد
المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف من ورائه جهنم يعني هي امامه وهو صائر اليها
قال ابو عبيدة هو من الاضداد يعني انه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا
الامر من ورائك يعني انه سيأتيك ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد هو ما سال من اللحم والجلد من القيح
جعل ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقى للكافرين وهو قوله
يتجرعه اي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه
ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه قال بعض المفسرين
كاد صلة والمعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه
فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه اي يسيغه بعد ابطاء لان العرب تقول ما كدت اقوم
اي قمت بعد ابطاء فعلى هذا كاد على اصلها وليست صلة وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد
لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد
يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه
حتى يخرج من دبره قال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه

بئس

بئس الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة راسه اي جلدة راسه شبهها بالفروة
للشعر الذي عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان يعني ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان
من اعضائه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه
ومن تحته وعن يمينه وشماله وما هو بميت فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه
فيموت ولا ترجع الى مكانها في جوفه فتنفعه الحيوة قوله ومن ورائه يعني امامه عذاب غليظ اي شديد
وقيل هو الخلود في النار قوله عز وجل مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
هذا كلام مستانف منقطع عما قبله هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين
كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل
يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقال المفسرون والفراء مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف
اعتمادا على ما ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما سقط من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت
عليه الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيء في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة
الريح لان الريح تكون فيه كقولك يوم بارد ويوم حار وليلة ماطرة لان المطر والبرد والحر يوجد فيه وقيل معناه
في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار الذين لم ينتفعوا بها
ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف يطير الرماد ويذهب به ويفرق اجزاءه
بحيث لا يبقى منه شيء ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة
الارحام وفك الاسير واقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه الاعمال وان كانت اعمال
بر لكنها لا ينتفع بها صاحبها يوم القيمة بسبب كفره لان كفره احبطها وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال
عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وخسرت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم في
الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالا عليهم وقيل اراد بالاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها
لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا
على شيء يعني في الدنيا من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب اعمالهم في الاخرة ذلك هو الضلال البعيد
يعني ذلك الخسران المبين لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده الم
تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعني لم يخلقها عبثا ولا باطلا وانما خلقها لامر عظيم وغرض صحيح
ان يشأ يذهبكم يعني ايها الناس ويأت بخلق جديد يعني سواكم اطوع لله منكم والمعنى الذي
قدر على خلق السموات والارض فبان يقدر على افناء قوم وامانتهم وايجاد خلق آخر سواهم كان اولى لان القادر
لا يصعب عليه شيء قيل هذا خطاب لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع
وما ذلك على الله بعزيز يعني بممتنع لان الاشياء كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا
لله جميعا يعني وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضاء وبرز حصل
في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضاء واورد بلفظ الماضي وان كان معناه
الاستقبال لان كل ما اخبر عنه هو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه حصل ودخل في الوجود فقال الضعفاء
يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة والرؤساء انا كنا لكم تبعا يعني في الدين و
الاعتقاد فهل انتم يعني في هذا اليوم مغنون عنا يعني دافعون عنا من عذاب الله من شيء من هنا

للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض العذاب الذى حل بنا قالوا يعنى الرؤسا والقادة والمتبوعين للتابعين
لو هدينا الله لهديناكم يعنى لو ارشدنا الله لارشدناكم ودعوناكم للهدى ولكن لما اضلنا دعوناكم الى الضلالة سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا يعنى مستويان علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو
بصدده ويقطعه عنه مالنا من محيص يعنى من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون
فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا
ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظى ان اهل
النار يستغيثون بالخزنة كما قال تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت
الخزنة عليهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال
فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سئلوا الموت ثمانين سنة فلا يجيبهم والسنة ثلثمائة
وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما يئسوا مما عنده قال بعضهم
لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا واطالوا الصبر فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم
فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص وقال الشيطان يعنى ابليس لما قضى الامر
يعنى فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم خطيبا قال مقاتل
يوضع له منبر فى النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله وعدكم وعد الحق
فيه اضمار تقديره فصدق فى وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعنى الوعد وقيل يقول لهم انى قلت لكم
لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لى عليكم من سلطان يعنى من ولاية وقهر وقيل لم اتكم بحجة فيما وعدتكم به
الا ان دعوتكم هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم
يعنى ما كان منى الا الدعاء والوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا
الى ولا تسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل
ما انا بمصرخكم يعنى بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخى يعنى بمغيثى ولا منقذى مما انا فيه انى كفرت
بما اشركتمون من قبل يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم
وروى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله
فيأتونى فياذن الله لى ان اقوم فيثور مجلسى من اطيب ريح شمها احد حتى اتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر راسى
الى ظفر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم انت فاشفع لنا فانك انت اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه
انتن ريح شمها احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الاية قوله تعالى وادخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار لما شرح الله عز وجل حال الكفار الاشقيا بما تقدم من الايات
الكثيرة شرح احوال المؤمنين السعدا وما اعد لهم فى الاخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب
منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار وكونها دائمة اشار اليه بقوله خالدين فيها والتعظيم
حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله وانعاما الثانى قوله
تحيتهم فيها سلام فيحتمل ان بعضهم يحيى بعضا بهذه الكلمة او الملائكة تحييهم بهذه التحية او الرب
سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الافات لان السلام مشتق
من السلامة الم تر كيف ضرب الله مثلا لما شرح الله تعالى احوال الاشقيا واحوال السعدا ضرب الله

مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى الم تر كيف اى بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامى اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون
الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيكون
المعنى الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعنى بين شبها والمثل عبارة عن قول فى شئ يشبه قولا فى شئ
اخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما من الاخر ويصوره وقيل هو قول سائر لتشبيه شئ باخر شئ كلمة طيبة
هى قول لا اله الا الله فى قول ابن عباس وجمهور المفسرين كشجرة طيبة هى قول لا اله الا الله يعنى كشجرة
طيبة الثمر قال ابن عباس هى النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرونى عن شجرة تشبه الرجل او قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها
ولا ولا ولا تؤتى اكلها كل حين قال ابن عمر رضى الله عنهما فوقع فى نفسى انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر
لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة قال فلما قمنا
قلت لعمر يا ابتاه والله لقد وقع فى نفسى انها النخلة فقال وما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون
فكرهت ان اتكلم او اقول شيئا فقال عمر لان تكون قلتها احب الى من كذا وكذا وفى رواية ان من الشجر شجرة
لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى قال عبد الله بن عمر ووقع فى نفسى
انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هى يا رسول الله قال هى النخلة وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما
انها شجرة فى الجنة وفى رواية اخرى عنه انها المؤمن اصلها ثابت يعنى فى الارض وفرعها يعنى اعلاها
فى السماء يعنى ذاهبة فى السماء تؤتى اكلها يعنى ثمرها كل حين باذن ربها يعنى بامر ربها والحين
فى اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا فى مقداره ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا
سنة كاملة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعنى
من وقت طلعها الى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ثمانية
اشهر يعنى ان مدة حملها ظاهرا وباطنا ثمانية اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران
يعنى من وقت يؤكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعنى غدوة وعشية لان ثمر النخل يؤكل ابدا
ليلا ونهارا صيفا وشتاء فيؤكل منها الجمار والطلع والخلال والبلح والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر
اليابس الى حين الطرى الرطب فاكلها دائم فى كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة فى تمثيل هذه الكلمة التى هى كلمة الاخلاص
واصل الايمان بالنخلة من وجوه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت فى قلب كل مؤمن كثبوت اصل هذه النخلة
فى الارض الوجه الثانى ان هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن الى السماء كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه كذلك فرع هذه النخلة عاليا فى السماء الوجه الثالث ان ثمرة هذه النخلة ياتى فى كل حين
ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الاعمال الصالحة فى كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا اله
الا الله صعدت الى السما وجاءت بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة شبيهة بالانسان
فى غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة ادم وانها اذا قطع راسها تموت كالادمى بخلاف سائر الشجر فانها اذا
قطع منها شئ نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس فى وجه الحكمة فى تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق
ان لا يتم الايمان الا بثلاثة اشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان قوله تعالى ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون يعنى ان فى ضرب الامثال زيادة فى الافهام وتصويرا للمعانى وتذكيرا ومواعظ
لمن تذكر واتعظ قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهى الشرك كشجرة خبيثة يعنى الحنظل
وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا انها الكافر لا يقبل عمله

وقيل اربعة اشهر

فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء **اجتثت** يعني استوصلت وقطعت **من فوق الارض ما لها من قرار** يعني ما لهذه الشجرة من قرار في الارض من ثبات لانها ليس لها اصل ثابت في الارض ولا فرع في السماء صاعدا كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح قوله عز وجل **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** لما وصف الله الكلمة في الآية المتقدمة اخبر في هذه الآية انه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما وصف الكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين **في الحيوة الدنيا** يعني في القبر عند السؤال **وفي الآخرة** يعني يوم القيمة عند البعث والحساب والقول الذي عليه الجمهور اصح ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول الله ربي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيريهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من في السموات ومن في الارض الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس قال وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول له ما كنت تعبد فان هداه الله فيقول كنت اعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسأل عن شيء بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان لك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا ادري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطرق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين اخرجه النسائي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبر الميت او قال اذا اقبر احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول هو عبد الله ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك كنت تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار

فانتهينا

فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلسنا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حوله كانما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به في الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك وفي رواية ياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له وما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت زاد فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوا له في الجنة فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وان الكافر فذكر موته قال فتعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان قد كذب عبدي فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا من النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له اعمى اصم ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل اخرجه ابو داود وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحيوة الدنيا وحبهم لها فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها في قلبه اعظم فينبغي للعبد المسلم ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة الاخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه من خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه على ما يشاء قدير قوله عز وجل **ويضل الله الظالمين** يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين للجواب بالصواب في القبر **ويفعل الله ما يشاء** يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا** خ عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار اهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو فهم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا نعمة الله عليهم كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوا

شكر

بالكفر واحلوا قومهم يعني من معهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله جهنم يصلونها وبئس القرار يعني المستقر وجعلوا لله اندادا يعني امثالا واشباها من الاصنام ليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبيه والمثل علوا كبيرا ليضلوا عن سبيله يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق قل تمتعوا اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار عيشوا في الدنيا ايامًا قلائل فان مصيركم الى النار يعني في الآخرة قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة يعني ليقيموا الصلوة الواجبة واقامتها اتمام اركانها وينفقوا مما رزقناهم قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكوة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكوة والانفاق في جميع وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقون اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكوة الواجبة من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه قال ابو عبيدة البيع هنا يعني فداء في ذلك اليوم ولا خلال يعني ولا خلة يعني المودة والصداقة التي تكون بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال اما ان يثاب بها او يعاقب عليها فان قلت كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة واثبتها في قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله تعالى الا تراه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل ان ليوم القيمة احوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الاخلاء بعضهم على بعض يعني اذا كانت تلك المخالة لله تعالى في محبته قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم ان تفسير هذه الآية تقدم في مواضع كثيرة ونذكر ههنا بعض فوائد هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء اراده فقوله الله الذي خلق السموات والارض انما ذكر خلق السموات والارض لانهما اعظم المخلوقات المشاهدة الدالة على وجود الصانع مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم اسم الثمر يقع على الارض ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده قوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره لما ذكر الله تعالى انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لاجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد آخر فهي من تمام نعم الله على عباده وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يتغيران الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس رضي الله عنه دؤوبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم يدأبان في طاعة الله اي في سيرهما وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من انعام الله على عباده وتسخيره لهم واتيكم من كل ما سألتموه لما ذكر الانعام العظيمة التي انعم بها

على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتيكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني وآتيكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها ان الانسان قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار يجحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا يعني ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد امنا وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا قلت الفرق بينهما انه سأل في الاول ان يجعلها من جملة البلاد التي يأمن اهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني ان يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت قد توجه على هذه الآية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل هذا البلد امنا ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثاني ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام سأل ربه ان يجنب بنيه من عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبدوا الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله تعالى فلم يقدر احد على اخراب مكة واورد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا البلد امنا يعني الى قرب القيمة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل هذا البلد ذا امن وهذا الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة آمنين من ذلك حتى ان من التجأ الى مكة امن على نفسه وماله من ذلك وحتى الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فاذا دخلت الحرم امنت واستأنست لعلمها انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن بفضل الله تعالى حاصل بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه ايضا الاول ان دعاء ابراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الاول ان ابراهيم عليه السلام دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد منهم احد صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب

الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله في ان يدعو له فكانه قال وبني الذين اذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده ومن الدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل رب انهن يعني الاصنام اضللن كثيرا من الناس وهذا مجاز لان الاصنام جمادات لا تعقل شيئا حتى يضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وانما فتنوا بها واغتروا بها اي بسببها فمن تبعني فانه مني يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني اي من المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر

إذا حاولت في اسد فجورا ⁂ فاني لست منك ولست مني

اراد ولست من المستمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني كحكمي جار مجراي في القرب والاختصاص ومن عصاني يعني في غير الدين فانك غفور رحيم قال السدي ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الايمان والاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم عليه السلام ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم

خ عن ابن عباس رضي الله عنه اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء ثم وضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم عليه السلام ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما في السقاء فعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى وقيل يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي المجهود حتى اذا جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على الوادي سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا ايضا ثم فقالت اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية بقدر ما تغرف قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله تعالى يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وليس فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم

فاقبلوا

فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وكان انفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه بامراة منهم وماتت ام اسمعيل بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي وهو اسمعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم يعني ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل ابي قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك المحرم وسماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل محرما لان الزائرين يحرمون على انفسهم اشياء كانوا يحلونها لا اشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه عتق من الجبابرة او من الطوفان فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هنالك بيت حينئذ وانما بناه ابراهيم عليه السلام بعد ذلك قلت يحتمل ان الله اوحى اليه واعلمه ان هنالك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك انه سيحدث في هذا المكان ربنا ليقيموا الصلوة اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني قوما من ذريتي وهم اسمعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلوة اي لكي ان يقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي رحمه الله امل قلوبهم قال البغوي رحمه الله جمع الوفد الى هذا الوادي وقال ابن الجوزي افئدة من الناس اي قلوب جماعة من الناس فلهذا جمله جمع فؤاد قال ابن الانباري رحمه الله تعالى وانما عبر عن القلوب بالافئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال رحمه الله الفؤاد القلب والجمع افئدة فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد رحمه الله تعالى لو قال افئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير رحمه الله لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال افئدة من الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا سقط من علو الى اسفل وقال الفراء تهوي اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال ابن الانباري رحمه الله معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما قول المفسرين رحمهم الله تعالى فقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد تحن اليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع اليهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت لا لاعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بان يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته لانهم يرتفقون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته وارزقهم من الثمرات يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء لعلهم يشكرون يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هي ليستعين بها على اداء العبادات واقامة الطاعات ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى انك تعلم احوالنا وما يصلحها وما يفسدها وانت ارحم الراحمين

بنا فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن
من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع
حين قالت لإبراهيم عليه السلام حين قالت إلى من تكلنا قال إلى الله قالت إذا لا يضيعنا **وما يخفى على الله من
شيء في الأرض ولا في السماء** قيل هذه تتمة قول إبراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب
من شيء في كل مكان وقال الأكثرون إنه من قول الله تعالى تصديقا لإبراهيم فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد إسمعيل لإبراهيم
عليهما السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وسبعة عشر سنة ومعنى قوله على الكبر لأن
هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لأنه سن اليأس من الولد فلهذا شكر الله على هذه النعمة الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق فإن قلت كيف جمع بين إسمعيل وإسحق في الدعاء في وقت واحد وإنما
بشر به بإسحق بعد إسمعيل بزمان طويل قلت يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء
بعد ما بشر بإسحق وذلك أنه لما عظمت المنة على عليه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة إسمعيل وأمه
لأن الذي صح في هذا الحديث أنه دعا بقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد إلى قوله لعلهم يشكرون وإذا ثبت
هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل وإسحق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال **إن ربي
لسميع الدعاء** كان إبراهيم عليه السلام قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله
دعاءه ووهبه ما سأل شكر الله على ما أكرمه به من إجابة دعائه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسمعيل
وإسحق إن ربي لسميع الدعاء وهو من قولك سمع كلام فلان إذا اعتد به وقبله **رب اجعلني مقيم الصلوة**
يعني ممن يقيم الصلوة بأركانها ويحافظ عليها في أوقاتها **ومن ذريتي** أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلوة
وإنما أدخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لأنه علم بإعلام الله إياه أنه قد يوجد من ذريته جمع
من الكفار لا يقيمون الصلوة فلهذا قال ومن ذريتي **ربنا وتقبل دعاء** سأل إبراهيم عليه السلام
أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام وقبل دعاءه بفضله وكرمه **ربنا اغفر لي** فإن قلت
طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من ذلك الذنب وقد ثبتت عصمة الأنبياء
عليهم السلام من الذنوب فما وجه طلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى
وقطع الطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه ومنته والاعتراف بعبوديته لله سبحانه وتعالى والاتكال على رحمته
ولوالدي فإن قلت كيف استغفر إبراهيم عليه السلام لأبويه وكانا كافرين قلت أراد إنهما إن
أسلما وتابا وقيل إنما قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل إن أمه أسلمت فدعا لها وقيل أراد
بوالديه آدم وحوى عليهما السلام قوله **وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** أي يبدو ويظهر فيه الحساب
وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذلك أي بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين
بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه السلام ففيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة قوله تعالى
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور
وقيل هي حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من تأويل
الآية فالمقصود منه أنه تعالى ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأن لا يعامله معاملة

الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فإن قلت
تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به أنه لم يكن
غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت إن كان المخاطب به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله إلها آخر وكقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان الوجه الثاني
أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإعلام بأنه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء وأنه
ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير و
الكبير وإن كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا إشكال فيه ولا سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين
بصفات الله تعالى فمن جوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته قوله عز وجل **إنما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الأبصار** يقال شخص بصر الرجل يشخص إذا بقيت عيناه مفتوحتان لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة
من هول ما يرى في ذلك اليوم **مهطعين** قال قتادة رحمه الله تعالى مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى
أن الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف فإنه يبقى واقفا باهتا فبين الله تعالى في هذه الآية
أن أحوال أهل الموقف يوم القيمة بخلاف الحال المعتاد فأخبر أنهم مع شخوص الأبصار يكونوا مهطعين
يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل **مقنعي رءوسهم** الإقناع رفع الرأس إلى فوق
فأهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رءوسهم إلى السماء وهذا بخلاف المعتاد لأن من يتوقع البلاء فإنه
يطرق ببصره إلى الأرض ولا ينظر أحد إلى أحد **لا يرتد إليهم طرفهم** أي لا يرجع إليهم أبصارهم من شدة
الخوف فهي شاخصة لا ترتد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم **وأفئدتهم هواء** أي خالية قال قتادة رحمه الله
خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ومعنى
الآية أن أفئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفئدتهم هواء
أي مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها
والأبصار شاخصة والرءوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته **وأنذر الناس** يعني وخوف الناس
يا محمد يوم القيمة وهو قوله عز وجل **يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا** يعني الذين
ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي **ربنا أخرنا إلى أجل قريب** يعني أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم
طلبوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا به فينفعهم ذلك وهو قوله تعالى **نجب دعوتك ونتبع الرسل**
فأجيبوا بقوله **أولم تكونوا أقسمتم من قبل** يعني في دار الدنيا **ما لكم من زوال** يعني
ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم** يعني
بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم **وتبين لكم
كيف فعلنا بهم** يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا إياهم **وضربنا لكم الأمثال** يعني الأمثال
التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم
الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب
والهلاك **وقد مكروا مكرهم** اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود إلى الذين
سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل أن المراد
بقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب

يعني بسبب مكرهم بك **وعند الله مكرهم** يعني جزاء مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيمة **وان كان مكرهم لتزول منه الجبال** يعني وان كان مكرهم لاصعب من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب في الاية قول اخر وهي انها نزلت في نمروذ الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمروذ ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افراخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبرن واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلا وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات اربع في اطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعلت النسور كلما رات اللحم رغبت فيه وطارت اليه وطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهوى فقال نمروذ لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السما هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السما كهيئتها فقال له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تريها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمروذ لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي ايها الطاغية اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها في بحر في الهوى وقيل ان طائرا اصابه السهم فلما رجع السهم ملطخا بالدم قال كفيت اله السما ثم امر نمروذ صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث حدث من السما وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال استبعد بعض العلما هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتاويل الاية البتة **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واوليائه ومهلك اعدائه وفيه تقديم وتاخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف وعده **ان الله عزيز** اي غالب **ذو انتقام** يعني من اعدائه قوله عز وجل **يوم تبدل الارض غير الارض والسموات** ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين احدهما انه تبدل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض فتغير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو ان تدك جبالها وتستوي وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السماء فهو ان تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها وتكورا وكونهما تارة كالدهان وتارة كالمهل وهذا القول قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا اشبهها بقرصة النقي وهو الخبز الابيض الفائق المائل الى حمرة كان النار ميلت بياض وجهه الى حمرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئاتها وزوال جبالها وجميع بنائها ولم يبق فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما وهذا قول جماعة من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية قال تبدل الارض بارض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى

التبديل بان تصير الارض نيرانا والسماء جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا ياكل من الارض المؤمن من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة يوم القيمة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة اخرجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث اما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم الخاء وقال اهل اللغة هي الظلمة التي توضع في الملة ويتكفاها بالهمز بيده اي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض كالظلمة او الرغيف العظيم يكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل اولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فحينئذ تحدث اخبارها بعد ذلك تبديلا وهو ان تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله اعلم بمراده وقوله تعالى **وبرزوا** يعني وخرجوا من قبورهم **لله** يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب **الواحد القهار** صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبيه والضد والند والقهار الذي يقهر عباده على ما يريده ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قوله تعالى **وترى المجرمين يومئذ مقرنين** يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشي بالشي قرنه اذا شددته معه برباط واحد **في الاصفاد** يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال ابن زيد ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض **سرابيلهم** يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كل ما لبس **من قطران** القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهنا يقال هنات البعير اهنوه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم بما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين فالقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره **وتغشى وجوههم النار** يعني تعلوها وتجللها **ليجزي الله كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر **ان الله سريع الحساب** يعني اذا حاسب عباده يوم القيمة **هذا بلاغ للناس** يعني هذا القران فيه تبليغ وموعظة للناس **ولينذروا به** يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره **وليعلموا انما هو اله واحد** يعني وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله تعالى قوله **وليذكر اولوا الالباب** يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجر

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون اية وستمائة واربع وخمسون كلمة والفان وسبعمائة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين** تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله محمداً صلى الله عليه وسلم وتنكير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآناً وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل لأنه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول ليس بالقوي لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وإنما جمع بينهما بوصفين وإن كان الموصوف واحداً لما في ذلك الكتاب من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل **ربما** قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وإنما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وإن شئت جعلت ما بمنزلة شيء فيكون المعنى رب شيء **يود الذين كفروا** وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا الآن التمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا **لو كانوا مسلمين** على قولين أحدهما أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر أنه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلماً وذلك حين لا ينفعه التمني قال الضحاك وهو عند حالة المعاينة والقول الثاني هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون إليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الزجاج إن الكافر كلما رأى حالاً من أحوال المسلم ود لو كان مسلماً وقيل إذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيأمر لكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال ذهب إليه ابن عباس في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم النخعي فإن قلت رب إنما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره إن هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل الندم في كونه زاجراً لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل إن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم فإن قلت رب لا تدخل إلا على الماضي فكيف قال ربما يود الذين كفروا وهو في المستقبل قلت لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قال ربما ود وقال تعالى **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** يعني يا محمد دع هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها **ويلههم الأمل** يعني ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والأخذ بطاعة الله **فسوف يعلمون** يعني إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض أهل العلم

ذرهم تهديد وسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على أن إيثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق **وما أهلكنا من قرية** وأراد هلاك الاستئصال **إلا ولها كتاب معلوم** أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا في الوقت الذي حدد لهم في اللوح المحفوظ **ما تسبق من أمة أجلها** من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد وقيل هي على أصلها لأنها تفيد التبعيض إلى هذا الحكم فيكون ذلك في إفادة عموم النفي آكد ومعنى الآية أن الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر **وما يستأخرون** وإنما أدخل الهاء في أجلها لإرادة الأمة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لإرادة الرجال قوله عز وجل **وقالوا** يعني مشركي مكة وقالوا **يا أيها الذي نزل عليه الذكر** يعني القرآن وأرادوا به محمداً صلى الله عليه وسلم **إنك لمجنون** إنما نسبوه إلى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا أن ذلك جنون فلهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا سمع كلاماً مستغرباً من غيره فربما نسبه إلى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولاً من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده أصحابه وأتباعه إنك لمجنون في ادعائك الرسالة **لوما تأتينا بالملائكة** قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا تأتينا بالملائكة يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقاً **إن كنت من الصادقين** يعني في ادعائك **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله **وما كانوا إذاً منظرين** يعني لو نزلت الملائكة إليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الملائكة عياناً فأجابهم الله بقوله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال إن لم يؤمنوا ويصدقوا **إنا نحن نزلنا الذكر** يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنما قال الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر جواباً لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل أنه هو الذي أنزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم **وإنا له لحافظون** الضمير في له يرجع إلى الذكر يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه أو التغيير والتبديل والتحريف فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة وهو مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد محروساً من الزيادة والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكناية في له راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول أن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية إليه لكون التنزيل أمراً معلوماً إلا أن القول الأول أشهر وأصح وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية إلى أقرب المذكور أولى وهو الذكر وإذا قلنا إن الكناية عائدة إلى القرآن وهو الأصح فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزاً

كأنك قلت رب شيء

ما لا سيما أحوال العذاب وشدائده

وليس سعي

يعني من أهل قريتهم

يعني أحدكم

واعتقادهم

بالقاء ما بينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو ارادوا الزيادة فيه والنقصان منه
لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك ليس بقرآن وقال اخرون ان الله حفظه وصانه
من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال اخرون بل اعجز الله الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من
الوجوه فقيض الله تعالى له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه الى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة
واليهود متوفرة على ابطاله فلم يقدروا على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى **ولقد ارسلنا من قبلك في
شيع الاولين** لما تجرى كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم
انك لمجنون واساؤا الادب عليه فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار في قديم الزمان
مع انبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وفي الاية محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى
في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل
اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان وينشرون عنه فقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى
الموصوف **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين** السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك
ادخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في المخيط ومعنى الاية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع
الاولين كذلك نسلكه في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين اية في ثبوت
القدر لمن اذعن للحق ولم يعانده قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله الى نفسه ادخال الكفر في قلوب الكفار
وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين الرازي احتج اصحابنا بهذه الاية على
انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ
فلا يمكن ان يكون الضمير عائدا عليه واجيب عنه بانه تعالى قال وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤن فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد اليه والاستهزاء بالانبياء كفر وضلال فثبت
صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر والضلال والله اعلم به وقوله تعالى
لا يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن **وقد خلت سنة الاولين** فيه وعيد
وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم ما انزل بالامم الماضية المكذبة للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله
باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب **ولو
فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون** يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا
لوما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا فيه يقال ظل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا
اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا
فيه يعرجون قولان احدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار فرأوا
بابا في السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى
فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون الى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لفسادهم
وكفرهم ولقالوا انما سحرنا وهو قوله تعالى **لقالوا انما سكرت ابصارنا** قال ابن عباس سدت ابصارنا
مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من
فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن
النظر واصله من السكور يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر **بل نحن قوم مسحورون** يعني

سحرنا

وشهد وابصر فيه فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا

٤٣٠

سحرنا محمد فعمل فينا سحره وحاصل الاية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة
فيروهم عيانا لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاوة قوله عز وجل **ولقد جعلنا
في السماء بروجا** يعني البروج التي تنزلها الشمس في سيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثني عشر برجا
وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل
برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة
وستين درجة لكل برج منها ثلثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك وتقطعها
القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال ابن عطية هي
قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال ابو اسحق يريد بالنجوم هذه
البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من الظهور **وزيناها** يعني السماء بالشمس
والقمر والنجوم **للناظرين** يعني للمعتبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي
اوجد كل شيء وخلقه وصوره **وحفظناها** يعني السماء **من كل شيطان رجيم** اي
مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله قال كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات كانوا
يدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يسترق السمع الا رمي بشهاب فلما
منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث **الا من استرق السمع** هذا استثناء
منقطع معناه لكن من استرق السمع **فاتبعه** اي لحقه **شهاب مبين** والشهاب شعلة من نار
ساطع سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس في قوله الا من استرق السمع
يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون
بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشاء ومنهم من تخبله
فيصير غولا يضل الناس في البوادي خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر
في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض
ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته
حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه
فيكذب معها مائة كذبة فيقال له اليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء **فصل**
اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انه
لم يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدو امره فكان ذلك اساسا للنبوة صلى الله
عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب
اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما
بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق قال اول من فزع بالرمي

بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له
الم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر
ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق
الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا الامر اراده الله من الخلق قال الزجاج ويدل على انها
كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة لم يذكروا في شعرهم
ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة كانه كوكب
في اثر عفرية • مسوم في سواد الليل منقضب • والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول
ما روي عن ابن عباس قال اخبرني رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس
ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون
في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه اذا قضى امرا سبح حملة
العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح اهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش
ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع
فيقذفون الى اوليائهم ويرمون به فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم قال ابن قتيبة
ان الرجم كان قبل مبعثه [uncertain] وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي خازم وهو جاهلي والعير يرهقها الغبار وجحشها
ينقض خلفهما انقضاض الكوكب • وقال اوس بن حجر وهو جاهلي • فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا •
والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك
وزاد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب والله اعلم قوله تعالى **والارض مددناها** يعني بسطناها على وجه
الماء كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب اهل الهيئة انها كرة عظيمة
بعضها في الماء وبعضها خارج من الماء وهو الجزء المعمور منها واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة
اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة اجاب
اصحاب التفسير بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله اعلم بمراده
وكيف مد الارض **والقينا فيها رواسي** يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض على الماء مادت وخفت
فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها** اي في الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال
لانها اقرب مذكور ولقوله **من كل شيء موزون** وانما يوزن ما يتولد من الجبال من المعادن من كل شيء موزون
قال ابن عباس وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله
لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج الناس اليه في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس
لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص
والحديد والكحل ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة
والشكل يقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا
حسنا بعيدا من الخطاء والسخف وقيل ان جميع ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يخرج من المعادن وجميع

ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران
بالوزن **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حيوته في الدنيا من المطاعم والمشارب
والملابس ونحو ذلك **ومن لستم له برازقين** يعني الدواب والوحش والطير انتم منتفعون بها ولستم لها برازقين
لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وتكون من في قوله ومن لستم بمعنى ما
لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وقيل
اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على اصلها ويدخل معهم من لم يعقل من الدواب والوحش **وان من شيء
الا عندنا خزائنه** الخزائن جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزنت الشيء اذا احرزته وقيل
اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق والمعايش لبني آدم والدواب والوحش والطير
ومعناه عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره قوله تعالى **وما ننزله الا بقدر معلوم** يعني بقدر الكفاية
وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله
وقيل ان المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل
اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري
والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع
ما خلق الله في البر والبحر وهو تاويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه **وارسلنا الرياح لواقح** قال ابن عباس
يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى عليها الماء فحملته فكذلك
الرياح كالفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب
ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل الرياح المثيرة فتثير
السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر
في هذه الآية القاحها السحاب لقوله بعده وانزلنا من السماء ماء قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء
الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو
عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج يجوز ان يقال لها لواقح وان الحقت
غيرها لان معناها النسب كما يقال درهم وازن اي ذو وزن واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بغريب لانه كان
يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشيء لان اللاقح
هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اي ذوات لقاح وقيل
ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة والدليل عليه قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح
لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات
بخير وورد في بعض الاخبار ان الله لقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غدقة وعن
عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسئلك خيرها وخير ما فيها وخير ما
ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال
ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا
عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى **فانزلنا من السماء ماء**
يعني المطر **فاسقيناكموه** يعني جعلنا لكم المطر سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه

اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لشفته فاذا جعلوا له ما يشرب ارضه او ماشيته يقول اسقيته **وما انتم له** يعني المطر **بخازنين** يعني ان المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين **وانا لنحن نحيي ونميت** يعني بيدنا احياء الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر للخلق فلا يبقى احد سوانا **ونحن الوارثون** وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله هو الباقي بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتيتهم في الحيوة الدنيا لان وجود الخلق وما آتيتهم كان ابتداؤه منه سبحانه وتعالى فاذا فني جميع الخلائق يرجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة فهو الله وقيل مصير الخلق اليه قوله تعالى **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اخرجه النسائي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا اشبه شيء ان يكون اصح قال البغوي وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخرين من لم يخلق الله بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون المبطئون عنها وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في اول الوقت وبالمستأخرين المؤخرين لها الى آخرها وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم آخرا وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة الى المسجد حتى ندرك الصف الاول فنزلت الاية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمأنوا واسكنوا فيكون معنى الاية على القول الاول المستقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعذر ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طايعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق **وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم** يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والآخرين على ما كانوا عليه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى **ولقد خلقنا الانسان** يعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي **من صلصال** يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة يعني صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن **من حمإ** يعني من الطين الاسود **مسنون** اي مسنون يعني متغير قال مجاهد وقتادة وهو المنتن المتغير وقال ابو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس رضي الله عنهما هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله لما خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض بله بالماء حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله من حمإ مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت

تدخل

وحمرة

تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا تفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا قوله تعالى **والجان خلقناه من قبل** يعني من قبل آدم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون مثل آدم واما الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا استتر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر **من نار السموم** يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها تقتله ويقال للريح الحارة التي تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا حدث امر خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وهذا على قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلقت الملائكة من النور قوله تعالى **واذ قال ربك للملائكة** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة **اني خالق بشرا** سمي الآدمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد **من صلصال من حمإ مسنون** تقدم تفسيره **فاذا سويته** يعني عدلت صورته واتممت خلقه **ونفخت فيه من روحي** النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى وهو المراد من قوله ونفخت فيه من روحي واضافه الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله وناقة الله وعباد الله وسيجيء الكلام في تفسير سبحان عند قوله ويسألونك عن الروح ان شاء الله تعالى **فقعوا له ساجدين** الخطاب للملائكة الذين قال لهم اني خالق بشرا امرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود تحية لا سجود عبادة **فسجد الملائكة كلهم** الذين امروا بالسجود لآدم كلهم **اجمعون** قال سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم ثم عند هذا بقي احتمال آخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا تكون حالا روي عن ابن عباس رحمهما الله تعالى ان الله تعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لآدم فسجدوا **الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين** يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم **قال** يعني قال الله تعالى **يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال** يعني ابليس **لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون** اراد ابليس انه افضل من آدم لان آدم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في قياسه افضل من آدم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله تعالى **قال فاخرج منها** يعني من الجنة وقيل من السماء **فانك رجيم** اي طريد **وان عليك اللعنة الى يوم الدين** قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنونه في الارض فهو ملعون في السموات وفي الارض فان قلت ان حرف الى لانتهاء الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيمة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كأنه

يعني لا تقدر على ذلك سعيد

وقال اخر اراد بالمستقدمين من في قلبه ريبة

ارادم

تدخل

قال وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك معها عذابا دايما مستمرا لا انقطاع له **قال رب فانظرني**
يعني فاخرني **الى يوم يبعثون** يعني يوم القيمة واراد بهذا السؤال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيمة ويوم
القيمة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله تعالى بقوله
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلايق وهو النفخة الاولى فيقال
ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهو ما بين النفختين ويقال لم يكن اجابه الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك
الامهال زيادة في امهاله وشقاوته وعذابه وانما سمي يوم القيمة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه الا الله
تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلايق يموتون فيه فهو معلوم وبهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار
الى يوم يبعثون فاجابه الله تعالى بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت الانتظار فيه **قال رب
بما اغويتني** الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب القسم **لازينن** والمعنى **لهم في الارض**
وقيل هي باء السبب يعني كوني غاويا لازينن لهم في الارض يعني لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك **ولاغوينهم اجمعين**
يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق بالكفر
واغوايهم ثم استثنا فقال **الا عبادك منهم المخلصين** يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة
والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى
ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم شيئا ولا يقبلون منه وقوله وحقيقة الاخلاص فعل الشي خالصا
عن شايبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يخلو ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله
او لمجموع الامرين اما ما كان لوجه الله فقط فهو الخالص المقبول واما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما ما كان
مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين وان ترجح الاخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل
فيبقى القدر الزايد على اي الجانبين رجح اخذ به **قال** يعني قال الله تبارك وتعالى **هذا صراط علي مستقيم** قال الحسن
معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله تعالى وعليه طريقه لا يعرج الى شي وقال الاخفش معناه على
الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسايي اي هذا على طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك
علي اي لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عايد الى الاخلاص
والى ذلك ان المعنى ان الاخلاص طريق علي والي يؤدي الى كرامتي ورضواني **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان**
اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا
الكلام انه له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد منهم اي من عبيده سواء كان
من المخلصين او لم يكن من المخلصين قال اهل المعاني ليس لك عليهم سلطان على قلوبهم وسيل سفيان ابن عيينة
عن هذه الاية فقال معناه ليس لك سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهؤلاء صفوة الله الذين هداهم
واجتباهم من عذابه **الا من اتبعك من الغاوين** يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم
سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يامرهم به **وان جهنم لموعدهم اجمعين** يعني موعد ابليس
واشياعه واتباعه قال علي ابن ابي طالب تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب
بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فذلك قوله تعالى **لها سبعة ابواب** يعني سبع طبقات **لكل
باب منهم جزء مقسوم** يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشي وجزاته جعلته اجزاء والمعنى
ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر

مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها
بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابيون وفي الخامسة المجوس
وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب منها باب لمن سل السيف على امتي
او قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل **ان المتقين في جنات
وعيون** المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنان وقيل
يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون او تجري
هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه
وقصوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري في جنان بعضهم الى جنان بعض
لانهم قد طهروا من الحقد والحسد **ادخلوها** اي يقال لهم ادخلوها والقايل هو الله تعالى او بعض ملايكته
بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة بسلام امنين مع السلامة والامن من الموت وجميع الافات **ونزعنا
ما في صدورهم من غل** الغل الحقد الكاين في القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد
فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص
بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد **اخوانا** في المودة والمحبة
والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب **على سرر** جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس رفيع عال
مهيأ للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر و
الياقوت والسرير مثل صنعاء الى الجابية **متقابلين** يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وفي
بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان
لا يمسهم فيها يعني في الجنة **نصب** اي تعب ولا اعياء **وما هم منها بمخرجين** يعني من الجنة هذا
نص الله في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا
حرمان قوله عز وجل **نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم** قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني لمن تاب
منهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل
جبريل عليه السلام بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند **وان عذابي
هو العذاب الاليم** قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن
حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم
رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله
من العذاب لم يامن من النار وفي الاية لطايف منها ان الله تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبئ عبادي
وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه
تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها ادخل الالف
واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف
نفسه بذلك بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم

أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله تعالى **ونبئهم عن ضيف إبراهيم** هذا معطوف على ما قبل أي وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف إبراهيم وأصل الضيف الميل يقال أضفت إلى كذا إذا أملت إليه والضيف من مال إليك نزولاً بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله ليبشروا إبراهيم عليه السلام بالولد ويهلكوا قوم لوط **إذ دخلوا عليه** يعني إذ دخل الأضياف على إبراهيم **فقالوا سلاماً** أي فسلّم سلاماً **قال** يعني إبراهيم **إنا منكم وجلون** أي خائفون وإنما خاف إبراهيم عليه السلام منهم لأنهم لم يأكلوا طعامه **قالوا لا توجل** يعني لا تخف **إنا نبشرك بغلام عليم** يعني أنهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالأحكام والشرائع والمراد به إسحق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب إبراهيم من كبره وكبر امرأته **قال أبشرتموني** يعني بالولد **على أن مسني الكبر** يعني حالة الكبر قاله على طريق التعجب **فبم تبشرون** يعني فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر **قالوا بشرناك بالحق** يعني بالصدق الذي قضاه الله بأن يخرج منك ولداً ذكراً تكثر ذريته وهو إسحق عليه السلام **فلا تكن من القانطين** يعني ولا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الإياس من الخير **قال** يعني إبراهيم **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** يعني من ييأس من رحمة ربه إلا المكذبون وفيه دليل على أن إبراهيم لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد من الكبر وظنت الملائكة أن به قنوطاً فنفى ذلك عن نفسه وأخبر أن القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله تعالى كبيرة كالأمن من مكر الله لا يحصل إلا عند من يجهل أن الله تعالى قادر على ما يريد وأن يجهل كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلال **قال** يعني إبراهيم **فما خطبكم** يعني فما الذي جئتم بسببه سوى ما بشرتموني به من الولد **أيها** يعني الملائكة **المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين** يعني لهلاك قوم مجرمين **إلا آل لوط** يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه **إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته** يعني امرأة لوط **قدرنا** يعني قضينا وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا نحن فعلنا وإن كان قد فعلوه بأمر الملك **إنها لمن الغابرين** يعني أنها لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي فاستثنى امرأة لوط من الناجين فلحقت بالهالكين **فلما جاء آل لوط المرسلون** وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط **قال إنكم قوم منكرون** وإنما قال هذه المقالة لوط لأنهم دخلوا إليه في ذي شباب مرد حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل إن النكرة ضد المعرفة فقوله إنكم منكرون لا أعرفكم ولا أعرف من أي الأقوام أنتم ولا لأي غرض دخلتم علي فعند ذلك **قالوا** يعني الملائكة **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** يعني باليقين الذي لا شك فيه **وأتيناك بالحق وإنا لصادقون** يعني فيما أخبرناك به من الهلاك **فأسر بأهلك بقطع من الليل** يعني آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه **واتبع أدبارهم** يعني واتبع آثار أهلك وسر خلفهم **ولا يلتفت منكم أحد** يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الإسراع في السير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط ولئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب **وامضوا حيث تؤمرون** قال ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر وقيل الأردن وقيل إلى حيث يأمركم جبريل عليه السلام وذلك أن جبريل أمرهم إلى أن يسيروا قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط و

قضينا

شأنكم وما الأمر صح
أيها المرسلون ولمعنى ما
الأمر الذي جئتم صح
قالوا

قوم صح
يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا
يشكون فيه صح
يعني باليقين الذي لا شك فيه صح

قضينا إليه ذلك الأمر يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا عنه ثم إنه تعالى فسر ذلك الأمر الذي قضاه بقوله **أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** يعني أن هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وإنما أبهم الأمر الذي قضاه عليهم أولاً وفسره ثانياً تفخيماً له وتعظيماً لشأنه قوله تعالى **وجاء أهل المدينة** يعني مدينة سذوم وهي مدينة قوم لوط **يستبشرون** يعني يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط والاستبشار إظهار الفرح والسرور وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة وقيل إن امرأته أخبرتهم بذلك وكانوا شباناً مرداً في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعاً منهم في ركوب الفاحشة **قال** يعني قال لوط لقومه **إن هؤلاء ضيفي** وحق على الرجل إكرام ضيفه **فلا تفضحون** يعني فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه **واتقوا الله** يعني خافوا الله في أمرهم **ولا تخزون** يعني ولا تخجلون **قالوا** يعني قوم لوط للذي جاء إليه **أولم ننهك عن العالمين** أولم ننهك أن تضيف أحداً من العالمين وقيل معناه أولم ننهك أن تدخل الغرباء إلى بيتك فإنا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من العالمين إذا قصدناه بالفاحشة **قال** يعني قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه **هؤلاء بناتي** يعني أزوجكم إياهن إن أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته **إن كنتم فاعلين** يعني ما أمركم به **لعمرك** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنه معناه وحياتك يا محمد وقال ابن عباس ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لأن في الكلام دلالة عليه **إنهم لفي سكرتهم** يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم **يعمهون** يعني يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون **فأخذتهم الصيحة مشرقين** يعني حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين أشرقت الشمس **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** تقدم تفسيره في سورة هود **إن في ذلك** يعني الذي نزل بهم من العذاب **لآيات للمتوسمين** قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة اسم بالكسر كقولك تفرست في فلان الخير وهو على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والأخلاق وتعرف بذلك أحوال الناس أيضاً وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر في سمة الدلالة يقال توسمت في فلان إذا عرفت وسم ذلك وسمته **وإنها** يعني قرى قوم لوط **لبسبيل مقيم** أي بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه بسبيل مقيم ثابت فلم يندرس ولم يخف والذين يمرون عليها من الشام إلى الحجاز يشاهدونها بتلك الطريق ويرون أثره **إن في ذلك** يعني المذكور من عذاب قوم لوط وما نزل بهم **لآيات للمؤمنين** يعني المصدقين بما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** يعني كان أصحاب الأيكة لظالمين وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل

غريب صح

وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله فهو قوله تعالى فانتقمنا منهم
يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه
وتعالى سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا وانهما
يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل
الضمير راجع الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع ولان
المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذي يريده قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال
المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب
الشام الى الحجاز واراد بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم او لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من
الرسل وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم خلقها
وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات
فكانوا عنها يعني عن الآيات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين يعني خوفا من الخراب او ان يقع عليهم الجبل او السقف فاخذتهم الصيحة يعني العذاب
مصبحين يعني وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والاعمال الخبيثة ق عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم
ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي قوله عز وجل وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار الحق والعدل وهو ان يثاب المؤمن ويعاقب الجاحد المكذب
وان الساعة لآتية يعني وان القيمة لتاتي ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فاصفح الصفح الجميل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من اذى قومك
وهذا الصفح والاعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر الخلق
الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ان ربك هو الخلاق العليم يعني انه تعالى
خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد
فيها انواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله
هذه الآية وقال قد اعطيتكم سبع آيات هي خير من سبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الآية قاله
الحسين بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف ولا يصح لان هذه السورة مكية باجماع المفسرين ليس فيها من
المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصلح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال
عظيمة حتى تمنتها المسلمون فانزل الله هذه الآية واخبرهم ان هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع قوافل
والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية
عنه وابن عباس وفي رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية وعطاء وقتادة في آخرين
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين
ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي خ عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه
زيادة اما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانه سبع آيات باجماع اهل العلم واختلفوا في تسميتها

بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لانها تثنى في الصلوة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين
الله بنصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضائل الفاتحة
وقيل سميت مثاني لان كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين الخ فكل هذه الالفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها
سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد
البلخي رحمه الله لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال الزجاج رحمه الله سميت فاتحة الكتاب
مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت ان الفاتحة هي السبع المثاني دل على فضلها
وشرفها وانها من افضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
مع انها جزء من اجزاء القرآن واحد سوره لا بد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني تفسير
قوله سبعا من المثاني انها السبع الطول وهذا قول ابن عمر وابن مسعود في رواية عنه وابن عباس في رواية عنه
وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع الطول هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
واختلفوا في الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة
هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع
الطول مكان التوراة واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه
البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر
ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطول مدنيات غالبها فكيف يمكن ان تفسر هذه الآية بها وهي مكية
واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا
كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السور القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي دون الطول
وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول الرابع ان السبع
المثاني هو القرآن كله وهذا قول طاوس وحجة هذا القول ان الله تعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني وسمي القرآن كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت كيف يصح عطف
القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني فهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطول فما وراءهن ينطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل
الا ترى الى قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني
القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني التي هي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام
الله ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا تمدن عينيك الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد الى ما متعنا به ازواجا يعني اصنافا منهم يعني من الكفار
متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك
قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها
روي ان سفيان بن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يعني لم يستغن بالقرآن
فتاول هذه الآية قيل انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك
الشيء المستحسن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه

ذلك

في السابعة فقيل

ولا تحزن عليهم يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا ولا تحزن على ايمانهم ان لم يؤمنوا به ففيه النهي
عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي
مريم ما قاتلا لا يموت قال النار **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل
عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عون بن عبد الله بن
عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا
الحديث صحبت الفقراء فاسترحت وقوله تعالى **واخفض جناحك** يعني لين جانبك **للمؤمنين** وارفق بهم لما
نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم
من المؤمنين **وقل** اي وقل لهم يا محمد **اني انا النذير المبين** لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ مع تخويف والمعنى اني انا
النذير المبين بالعقاب لمن عصاني مبين النذارة **كما انزلنا على المقتسمين** انذركم عذابا
كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد
وقتادة سموا بذلك لانهم امنوا ببعض القران وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال
عكرمة رضي الله عنه انهم اقتسموا سور القران فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال الاخر هذه السورة لي وانما فعلوا
ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به
غيرهم وقال قتادة وابن السائب ارادوا بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت في القران فقال بعضهم
انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا
عقاب مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين فقال
لهم انطلقوا وتفرقوا على اعقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه
شاعر وليقل بعضكم انه ساحر وليقل بعضكم انه كاهن فاذا جاؤا الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا في اعقاب مكة
وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وساحر
وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاؤا وسألوا عما قال اولئك المقتسمين قال صدقوا قوله تعالى
الذين جعلوا القران عضين **خ** عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القران عضين قال هم اليهود والنصارى
جزؤه اجزاء امنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من عضيت الشيء اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم جعلوا
القران اجزاء متفرقة فقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضة
وهو السحر يعني انهم جعلوا القران سحرا **فوربك لنسألنهم اجمعين** اقسم الله بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين
الذين جعلوا القران عضين **عما كانوا يعملون** يعني عما كانوا يقولون في القران عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي
وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فان **قلت** كيف الجمع بين
قوله لنسألنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان **قلت** قال ابن عباس رضي الله عنهما لا
يسألهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام واما قوله تعالى
فوربك لنسألنهم اجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب اخر وهو يروى عن ابن عباس رحمهما الله ايضا انه قال في الايتين ان يوم

القيمة يوم طويل فيه مواقف فيسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
قال وفي رواية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قوله تعالى **فاصدع بما تؤمر** قال ابن عباس اظهره
ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي افرق بالقران بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه **واعرض عن
المشركين** اي كف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم
وهو قوله تعالى **انا كفيناك المستهزئين** واكثر المفسرين على ان هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما للنسخ
وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرناك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك
ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه
وسلم وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب بن الحارث
بن اسد بن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده
والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن طلاطلة كذا ذكره البغوي قال ابن الجوزي
الحارث بن قيس بن عيطلة وقال الزهري عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون رحمهم الله تعالى
اتى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيته واومى الى ساق الوليد
فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبلا له وعليه برد يمان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد
فمنعه الكبر ان يطأطئ راسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص بن
وائل السهمي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص قدميه وقال قد كفيته فخرج العاص
على راحلة يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت
لدغت وطلبوا ولم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رماه جبريل
بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال اتاه جبريل وهو قاعد
في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح راسه في الشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال
له غلامه ما ارى احدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قتلني محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل قد
كفيته واشار الى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا
فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا الباب دونه فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحرث بن قيس فقال جبريل كيف تجد
هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومى جبريل الى راسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا
مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقران
الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد
قوله تعالى **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزاء
والقول الفاحش والحالة البشرية تابى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح والعبادة
وهو قوله **فسبح بحمد ربك** قال ابن عباس فصل بامر ربك **وكن من الساجدين** يعني من المتواضعين
لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين وكان النبي صلى الله عليه

وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلوة قال بعض العارفين من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا اتى العبد بهذه
العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يأسف
على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه قال بعض العلما اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلوة كانه يقول يا رب
انما يجب على عبادتك سوآء اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشآء قوله تعالى
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك
ومدة حيوتك حتى يأتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني بالصلوة والزكوة
ما دمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله تعالى الي ان اجمع
المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر
قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها
او قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النحل

مكية الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله
ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
الى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات وهي قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله تعالى ثم ان ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وان عاقبتم الى اخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه وضرب
الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان
وعشرون اية والفان وثمانمائة واربعون كلمة وسبعة الاف وسبعمائة وسبعة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **اتى امر الله** يعني جاء ودنا وقرب امر الله تقول العرب اتاك الامر وهو متوقع المجيء بعد ما اتى ومعنى
الاية اتى امر الله وعدا **فلا تستعجلوه** يعني وقوعا والمراد به مجيء القيمة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما
كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما راوا انه لا ينزل شيئا قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله فلا تستعجلوه فوثب النبي صلى الله عليه وسلم
ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد جاءت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب مجيء الشيء قبل وقته
ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين
من حديث سهل بن سعد ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احديهما على
الاخرى وضم السبابة الى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس
كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم اراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف
وذلك ان النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل يوم بدر صبرا النضر **سبحانه وتعالى عما يشركون** يعني تنزه الله وتعاظم
بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى **ينزل الملائكة بالروح** يعني بالوحي **من امره** وانما

سمى

سمي الوحي روحا لانه به تحيى القلوب من موت الجهالات وقال عطا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والباء
بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل **على من يشآء من عباده** يعني على من يصطفي من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق **ان انذروا** يعني بان اعلموا **انه لا اله الا انا فاتقون** اي فخافون وقيل معناه
مروهم بقول لا اله الا الله منذرين اي مخوفين بالقران قوله تعالى **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون**
تقدم تفسيره **خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين** يعني انه جدل بالباطل بين الخصومة هذه الاية
نزلت في ابي بن خلف وكان ينكر البعث فجاء بعظم رميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله يحيي هذا العظم
بعد ما رم فنزلت هذه الاية ونزل ايضا فيه قوله قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الاية عامة بكل ما يقع في الدنيا
من الخصومة ويوم القيمة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة قذرة فصار جبارا
كثير الخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم قوله تعالى **والانعام
خلقها لكم** لما ذكر الله تعالى انه خلق السموات والارض ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في سائر ضروراته
ولما كان اعظم ضرورات الانسان الى الاكل واللباس الذين يقوم بهما بدن الانسان بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الانعام
فقال تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم
ثم ابتدا فقال تعالى لكم **فيها دفء** قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال فيها دفء
قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدأ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه انه عطف
عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان منافع الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية
بدأ الله تعالى بذلك بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها
المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم **ومنافع** يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها
وسائر ما ينتفع به من الانعام **ومنها تأكلون** يعني من لحومها فان قلت قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر
لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس
في معايشهم واما الاكل من غيرها كالبط والدجاج والاوز وصيد البر والبحر فغير معتاد به في الاغلب واكله يجري
مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة
اللباس قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من الاكل فلهذا اقدم على الاكل وقوله تعالى **ولكم فيها** يعني في الانعام
جمال اي زينة **حين تريحون وحين تسرحون** الاراحة رد الابل من العشي الى مراحها حيث
تأوي اليه بالليل ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما يكون هذه
الاراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاء وخرجت العرب للنجعة واحسن ما يكون النعم في ذلك
الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة
اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء ثغاء يجاوب
بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها وتتجمل بها الافنية والبيوت وتعظم وقعها عند الناس فان قلت لم
قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان
النعم تقبل من المرعى ملاء البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة
البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار في المرعى في البرية فثبت بهذا البيان ان التجمل
في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى **وتحمل اثقالكم** الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر
وما يحتاج اليه من الات السفر **الى بلد** يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام

وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجاراتهم واسفارهم الى الشام واليمن وحمله على العموم اولى لانه
خطاب عام فدخول فيه الكافة من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي
تقصدونه الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا
بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤف رحيم يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها
والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء وزينة يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها فصل
احتج بهذه الاية من يرى تحريم اكل الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو
حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله علمنا تحريم اكله فلو كان
اكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر لان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب
فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن
وشريح وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسماء
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية
قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل
وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود قال
ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال
والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب عن اباحة لحوم الخيل عن هذه الاية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان
منفعتها مختصة بذلك وانما خص هذان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال
على الخيل مع قوله في الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد
من الاية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله تعالى عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل
الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال
والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة
باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير اخذنا به جمعا بين النصين والله اعلم قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفاصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع
به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل
النار في النار مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس
في النبات والدود في الفواكه قوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق
قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى
من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين ومنها جائر يعني من السبيل سبيل
جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر
ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله ابن المبارك وسهل بن عبد الله
قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع ولو شاء لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى
ما شاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم

اجمعين

اجمعين وذلك يفيد ان الله تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذي انزل لكم من السماء ماء
لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم
النعم على عباده فقال وهو الذي انزل يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر
لكم منه يعني ذلك الماء شراب يعني تشربونه ومنه يعني من ذلك الماء شجر الشجر في اللغة ما له ساق
من نبات الارض ونقل الواحدي عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى واما دق
الشجر فصنفان احدهما يبقى له ارومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال
ابو اسحق كل ما ينبت على الارض فهو شجر وانشد بعضهم فقال يطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل
اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الاية انه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر
لان الابل ترعى كل الشجر فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها
ترعى وسامت هي اذا رعت حيث شاءت ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم به اي بذلك
الماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا
ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فبدا بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما اشبه ذلك
لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرها غذاء
وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات اجمالا لينبه
بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية
يعني علامة ودلالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلائل قدرته
ووحدانيته قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم تقدم
تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات تحت قهره وارادته وفيه رد على الفلاسفة
والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فاخبر الله ان هذه النجوم
مسخرات في نفسها مذللات بامره يعني لامره مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وانها
ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما خلق الله عز وجل هذه النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده
ختم هذه الاية بقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان كل من كان له عقل سليم صحيح
علم ان الله تعالى هو الفعال المختار وان جميع الخلق تحت قهره وقدرته وتسخيره لما اراد منهم وما ذرا لكم
في الارض يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار مختلفا
الوانه يعني في الخلقة والهيئة في الكيفية واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها
بعضا من كل الوجوه وفيه دليل على كمال قدرة الله تعالى ولذلك ختم هذه الاية بقوله ان في ذلك لاية لقوم
يذكرون يعني يعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لما ذكر الله تعالى الدلائل
الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق سائر الحيوانات
والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من اثار قدرته وعجائب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده
ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة عليهم من الله تعالى ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث
يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام
من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا فبدا بذكر الاكل
لانه اعظم المقصود لانه قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك ان السمك

لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما اخرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الطري
الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه احدثه بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج
الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى **وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** يعني اللؤلؤ والمرجان
كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يلبسه نساؤهم لان زينة النساء بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك
زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى **وترى الفلك** يعني السفن **مواخر فيه** يعني جواري قال قتادة
مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة
الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني اذا جرت تسمع
لها صوتا قال ابو عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر اي مملوة
متاعا **ولتبتغوا من فضله** يعني الارباح بالتجارة في البحر **ولعلكم تشكرون** يعني انعام الله عليكم
اذا رايتم صنع الله فيما سخر لكم **والقى في الارض رواسي** يعني جبالا ثقالا **ان تميد بكم** يعني لئلا تميل
وتضطرب بكم والميل هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتحرك قالت الملائكة
ان هذه غير مقرة على ظهرها فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال **وانهارا** يعني وجعل فيها
انهارا لان القى بمعنى الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم
عيون الانهار واصولها تكون من الجبال **وسبلا** يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد
في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان **لعلكم تهتدون** يعني بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلون
وعلامات يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات
ثم ابتدا **وبالنجم هم يهتدون** وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات
النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي
اراد بالنجوم الثريا وبنات النعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال قتادة انما خلق الله
النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة السما وعلامة الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذه فقد تكلف ما لا
علم له به قوله تعالى **افمن يخلق كمن لا يخلق** لما خلق الله تعالى من عجايب قدرته وعجايب صنعه وبديع
خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها
دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعها على سبيل الانكار على من ترك عبادته
واشتغل بعبادة هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة لانها جمادات لا تقدر على شي فكيف يليق بالعاقل
ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خلق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية
بقوله **افلا تذكرون** يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد
التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر ثم ذكر بقي في الاية سوالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي
جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها
اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيا فخاطبهم الله على قدر زعمهم
وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل
غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم
الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة لانه خالق هذه الاشيا البتة
والله اعلم قوله تعالى **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** يعني ان نعم الله تعالى على العبد فيما خلق الله

على العبد من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشياء
وبطش اليدين وسعي الرجلين الى غير ذلك مما انعم الله به في نفسه وفيما انعم الله عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج
اليه من امر الدين والدنيا حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه
العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا عليه **ان الله لغفور رحيم** يعني لتقصيركم
في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم رحيم بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبي
صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم الله تعالى انه عالم بكل احوالهم سرها
وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية
المتقدمة ذكر في هذه الاية انه الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها
وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف هذه الاصنام بصفات فقال تعالى **والذين يدعون
من دون الله** يعني الاصنام يدعونها من دون الله **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون** فان قلت قوله في الاية
المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق تدل على ان هذه الاصنام التي يدعونها الهة من دون الله لا تخلق شيا وقوله هنا
لا يخلقون شيا وهم يخلقون وهذا نفس المعنى المذكور في تلك الاية المتقدمة فما فايدة هذا التكرار قلت
فايدة هذا ان المعنى المذكور في الاية انهم لا يخلقون شيا فقط والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيا
وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هنا زيادة في المعنى وهذا هو فايدة التكرار **اموات** اي جمادات ميتة لا حيوة
فيها **غير احيا** يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام الهة كما تزعمون لكانت احيا غير جائز عليها الموت
لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا تستحق العبادة
فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها وقوله **وما يشعرون** يعني هذه الاصنام **ايان يبعثون**
وفيه دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحيوة وتبعث يوم القيمة حتى تتبرا من عابديها وقيل معناه ما يدري
الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى **الهكم اله واحد** يعني الذي يستحق العبادة
هو اله واحد وهذه الاصنام متعددة فكيف تستحق العبادة **فالذين لا يومنون بالاخرة قلوبهم منكرة**
يعني جاحدة لهذا المعنى **وهم مستكبرون** يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا **لا جرم**
يعني حقا **ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين** عن اتباع الحق
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس قوله بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول
من جعل اصل البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله وقوله
وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته ولم تره شيا وكذا معنى غمصته اذا انتقصت به
وازدريته قوله عز وجل **واذا قيل لهم** يعني لهولاء الذين لا يومنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين
اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم الحاج الذين يقدمون عليهم **ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين** يعني احاديثهم واباطيلهم **ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة** اللام في
ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا

أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وإنما قال كاملة لأن البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوا في الدنيا لا تكفر عنهم يوم القيمة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الإمام فخر الدين الرازي وهذا يدل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلاً في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة قوله تعالى **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** يعني ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الإيمان مثل أوزار الأتباع والسبب فيه ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير إذا سن سنة حسنة أو سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فإن الله تعالى يعظم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو القبيحة وليس المراد أن الله تعالى يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الأتباع إلى الرؤساء لأن ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى قال الواحدي ولفظة من في قوله ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لنقص عن الأتباع بعض الأوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلوة والسلام لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ولكنها للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الأتباع قوله بغير علم يعني أن الرؤساء إنما يقدمون على إضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الإضلال بل يقدمون على ذلك جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد **ألا ساء ما يزرون** يعني ألا بئس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى **قد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان أكبر ملوك الأرض في زمن إبرهيم عليه السلام وكان من مكره أنه بنى صرحاً ببابل ليصعد إلى السماء ويقاتل أهلها في زعمه قال ابن عباس وكان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت ألسنة الناس من الفزع فتكلموا يومئذ بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لأن صالحاً عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل عرباً منهم جدهم الذي نشأ إسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبائل من العرب قديمة قبل إبراهيم عليه السلام مثل طسم وجديس ولأم كل هؤلاء عرب فتكلموا من قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى والله أعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم أولى فتكون الآية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون إلحاق الضرر والمكر بالغير قوله تعالى **فأتى الله بنيانهم من القواعد** يعني قصد تخريب بنيانهم من أصوله وذلك بأن أتاهم بريح فقصفت بنيانهم من أعلاهم وأتتهم بزلازل قلعت بنيانهم من قواعده وأساسه هذا إذا حملنا تفسير الآية على القول الأول وهو ظاهر اللفظ وإن حملنا تفسير الآية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى أنهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده فأهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنياناً وثيقاً شديداً ودعموه بالأساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم فهو مثل ضربه الله تعالى لمن مكر بآخر فأهلكه الله بمكره ومنه المثل السائر على الناس من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه قوله تعالى **فخر عليهم السقف من فوقهم** يعني سقط عليهم السقف فأهلكهم وقوله من فوقهم للتأكيد لأن السقف لا يخر إلا من فوقهم وقيل يحتمل أنهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته وأنه لما خر عليهم أهلكهم وماتوا تحته **وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني من مأمنهم وذلك أنهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم ثم **يوم القيمة يخزيهم** يعني يهينهم بالعذاب يحصل لهم في الدنيا وفي الآخرة لأن الخزي هو العذاب مع الهوان **ويقول** يعني

لهم **أين شركائي** يعني في زعمكم واعتقادكم **الذين كنتم تشاقون فيهم** يعني كنتم تعادون وتخالفون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم لأن المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان **قال الذين أوتوا العلم** يعني المؤمنين وقيل الملائكة **إن الخزي** يعني الهوان **اليوم** في هذا اليوم وهو يوم القيمة **والسوء** يعني العذاب **على الكافرين** وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيمة لأن الكفار كانوا يستهزؤن بالمؤمنين في الدنيا وينكرون عليهم أحوالهم فإذا كان يوم القيمة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشماتة بهم فتكون أعظم في الهوان والخزي قوله تعالى **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** تقبض أرواحهم الملائكة وهو ملك الموت وأعوانه وظالمي أنفسهم بالكفر **فألقوا السلم** يعني استسلموا وانقادوا لأمر الله الذي نزل بهم وقالوا **ما كنا نعمل من سوء** يعني شركاً وإنما قالوا ذلك من شدة الخوف **بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون** يعني فلا فائدة لكم في إنكاركم قال عكرمة عنى بذلك سوء من قتل من الكفار يوم بدر **فادخلوا** أي فيقال لهم ادخلوا **أبواب جهنم خالدين فيها** يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وإنما قال ذلك لهم ليكون أعظم في الحزن والغم وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذاباً من بعض **فلبئس مثوى المتكبرين** يعني عن الإيمان قوله عز وجل **وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً** وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد سأل الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن كذاب مجنون وإذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيسألهم عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً لأنهم يعني اتقوا الشرك وقول الزور والكذب يعني أنزل خيراً فإن قلت لم رفع الأول وهو قوله قالوا أساطير الأولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيراً قلت ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلاً ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال فقالوا خيراً أي أنزل خيراً وتم الكلام عند قوله خيراً فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون المعنى للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح أو الرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى **ولدار الآخرة خير** يعني مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا **ولنعم دار المتقين** يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله تعالى فسر هذه الآية بقوله **جنات عدن** يعني بساتين إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به **يدخلونها** يعني تلك الجنات يعني لا يرحلون عنها **تجري من تحتها الأنهار** يعني تجري الأنهار في هذه الجنات تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم **لهم فيها** يعني في الجنات **ما يشاؤن** يعني ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادة غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل إلا لأحد في الجنة لأن قوله لهم فيها ما يشاؤن لا يفيد الحصر وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا **كذلك يجزي الله المتقين**

اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى **الذين تتوفيهم الملائكة طيبين** يعني مؤمنين
طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم
اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق
الحسنة والافعال الحميدة والمباعدة من الاخلاق الذميمة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان اوقاتهم تكون
طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح
والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة **يقولون** يعني الملائكة لهم **سلام
عليكم** يعني تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله تعالى **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** يعني
في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه
وسلم لن يدخل الجنة احد منكم بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفضله اخرجه
في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال الشيخ العلامة محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان
مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف
ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شئ بل العالم
كلهم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ولو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم
النار كان ذلك منه عدلا واذا اكرمهم وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق
انه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون
الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح ويمنعون خلاف هذا ويخبطون فيه خبطا طويلا تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة
المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما قوله
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ونحوها من الايات الدالة على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض
بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها
برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها
وهي من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده قوله تعالى **هل ينظرون** يعني هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا
نبوتك يا محمد **الا ان تأتيهم الملائكة** يعني لقبض ارواحهم **او يأتي امر ربك** يعني بالعذاب في الدنيا
وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيامة **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني من الكفر والتكذيب
وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة
الخبيثة **فاصابهم سيئات ما عملوا** اي يعني فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة **وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن** والمعنى نزل بهم جزاء استهزائهم **وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شئ نحن ولا اباؤنا** يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل
انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الايمان لحصل جئتنا او لم تجئ ولو شاء الله منا الكفر
لحصل جئت او لم تجئ واذا كان الامر كذلك فالكل من الله تعالى فلا فائدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم
لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله
تعالى وفي افعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله ولا
يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا اذا كان في حكم الله تعالى وسنته في ارسال الرسل اليهم ليامروهم بعبادة الله
تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهدى والضلالة اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضل فهو الضال وهذه سنة

في عباده انه يامرهم بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه و
لما كان سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا
اباؤنا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه
الذم والوعيد واما قوله تعالى **ولا حرمنا من دونه من شئ** يعني السائبة والوصيلة والحام فلولا
ان الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا الى غيرها **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني ان من تقدم هؤلاء
من كفار مكة من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فان كان بعثة الرسل كان قديما
في الامم الخالية **فهل على الرسل الا البلاغ المبين** يعني ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به
الى من ارسلوا اليه **ولقد بعثنا في كل امة رسولا** يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله ويجتنبوا عبادة الطاغوت
وهو اسم كل معبود عبد من دون الله **فمنهم** يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل **من هدى الله** يعني من هداه الله
الى دين الاسلام والايمان به وتصديق رسله **ومنهم من حقت عليه الضلالة** يعني ومن الامم من وجبت عليه
الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلالة وفي هذه الاية ابين دليل على ان الهادي و
المضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه بما حكم في
سابق علمه **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا
امر من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر
والتكذيب كما نزل بهم قوله تعالى **ان تحرص على هديهم** يعني الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان تحرص يا محمد
على هدى هؤلاء وايمانهم وتجتهد كل الاجتهاد **فان الله لا يهدي من يضل** قرئ بفتح اليا وكسر الدال يعني لا يهدي
الله من اضله وقيل معناه لا يهدي من اضله الله وقرا بعضهم بضم اليا وفتح الدال ومعناه من اضله الله
فلا هادي له **وما لهم من ناصرين** اي مانعين يمنعونهم من العذاب **واقسموا بالله جهد ايمانهم**
قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما
تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله **لا يبعث الله
من يموت** فنزلت هذه الاية قال ابو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت
ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي امتنع عوده بعينه لان الشئ
اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه وعدمه وهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث
بعد الموت فذلك قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى
بلى يعني بل يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان
واوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشاة الثانية
اهون من الاولى **وعدا عليه حقا** يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حقا لا خلف فيه **ولكن اكثر
الناس لا يعلمون** يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ **ليبين لهم الذي
يختلفون فيه** يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه **وليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين** يعني في قولهم لا بعث بعد الموت **انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون** يعني
ان الله تعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في احيائهم وبعثهم انما يقول لشئ
اراده كن فيكون على ما اراده الله لانه القادر الذي لا يعجزه شئ اراده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني
أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فيقول ليس يعيدني كما بدأني وفي رواية كذبني ابن آدم ولم يكن
له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق علي بأهون من إعادته
وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد **والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** يعني أوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعامر وجبير وأبو جندل
بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى الكفر فهم المستضعفون فأما بلال
فكانت أصحابه يجرونه إلى البطحا بمكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول الله أحد
أحد فاشتراه منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخر وأما صهيب فقال لهم إني
رجل كبير إن كنت معكم فلن أنفعكم وإن كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه فمر به أبو بكر
الصديق رضي الله عنه فقال يا صهيب ربح البيع وقيل أعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بوأهم الله المدينة بعد
ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا إليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فآووهم ونصروهم وواسوهم وهذه
الآية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن لها موقع وكانت
بمنزلة الانتقال من بلد إلى بلد آخر ومنه حديث الأعمال بالنيات وفيه من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله
ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه الحديث أخرجاه في الصحيحين
من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله عز وجل **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** يعني لنبوئنهم تبوئة
حسنة وهو أنه تعالى أنزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دار الحسنة أو بلدة حسنة
وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول له خذ بارك الله
لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية وقيل معناه لنحسنن إليهم في
الدنيا بأن يفتح الله لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل
المشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة التوفيق في الدنيا والهداية **ولأجر الآخرة** يعني أعظم وأفضل وأشرف
مما أعطاهم في الدنيا **أكبر لو كانوا يعلمون** قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون ما لهم
في الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل إنه
راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم في الآخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم
من أذى المشركين وكانوا من **الذين صبروا** يعني في الله على ما نالهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعني
صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله **وعلى ربهم يتوكلون**
يعني في أمورهم كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الآية وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاه
أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق والصبر على الشهوات
المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع من الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق تعالى
بالكلية فالأول هو ابتداء السلوك إلى الله تعالى هو آخر الطريق ومنتهاه قوله تعالى **وما أرسلنا من قبلك
إلا رجالا نوحي إليهم** نزلت هذه الآية جوابا لمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا والله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث إلينا ملكا فأجابهم الله تعالى بقوله وما أرسلنا من
قبلك يا محمد إلا رجالا يعني مثلك نوحي إليهم والمعنى أن عادة الله عز وجل جارية من أول ابتداء الخلق أنه لم

يبعث

يبعث إلا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة **فاسألوا أهل الذكر** يعني أهل الكتاب وهم
اليهود والنصارى وإنما أمرهم بسؤال أهل الكتاب لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم وقد
أرسل إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا أمثالهم فإذا سألوهم فلا بد أن يخبروا
بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم **إن كنتم لا تعلمون**
خطاب لأهل مكة يعني إن كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك **بالبينات والزبر** اختلفوا في المعنى الجالب لهذه الباء
فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا نوحي إليهم ولم نبعثها ملائكة وقيل معناه
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله فاسألوا
أهل الذكر يعني أهل العلم والمعنى فاسألوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لا تعلمون ذلك والبينات
والزبر لفظ جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لأن مدار الرسل على المعجزات الدالة على صدقهم وهي البينات
وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل **وأنزلنا إليك الذكر**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا عليك الذكر يا محمد الذي هو القرآن وإنما سماه ذكرا لأن فيه
مواعظ وتنبيها للغافلين **لتبين للناس ما نزل إليهم** يعني ما أجمل إليك من أحكام القرآن
وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى
وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لأن القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين
مقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل
يطلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر **ولعلهم
يتفكرون** يعني فيما أنزل إليهم فيعملوا به **أفأمن الذين مكروا السيئات** فيه إضمار تقديره المكرات
السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذياتهم والمكر عبارة
عن السعي بالفساد على سبيل الإخفاء وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على أنفسهم
والصحيح أن المراد بهذا المكر السعي في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا
السيئات نمرود ومن مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة **أن يخسف الله بهم الأرض** يعني كما
خسف بقارون من قبلهم **أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم
فجأة كما أهلك قوم لوط وغيرهم **أو يأخذهم في تقلبهم** يعني في تصرفهم في الأسفار فإنه تعالى قادر على
إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في إقبالهم
وإدبارهم يعني أنه تعالى قادر على أن يأخذهم ليلا ونهارا في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم **فما هم بمعجزين**
يعني سابقين الله أو يفوتونه بل هو قادر عليهم **أو يأخذهم على تخوف** قال ابن عباس ومجاهد يعني على تنقص وقال
ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخوفه الدهر إذا تنقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل
فعلى هذا القول يكون المراد أنه ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من
الخوف ثم يحتمل أنه تعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من
الخوف يعني طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل أنه تعالى خوفهم بخسف يحصل في الأرض
أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة واحدة أو بآفة تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم
ثم إنه تعالى ختم الآية بقوله **فإن ربكم لرؤوف رحيم** يعني أنه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب
قوله تعالى **أولم يروا** قرئ بالتاء على خطاب الحاضرين وبالياء على الغيبة **إلى ما خلق الله من شيء** يعني

من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر الى الشيء ليتأمل احواله ويتفكر فيه ويعتبر به **يتفيؤا ظلاله** يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي في اول النهار على حال ثم تنقص ثم تعود احوالها الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي فيء لانه من فاء يفيء اذا رجع من المغرب الى المشرق والفيء الرجوع قال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شيء لانه يراد به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال **عن اليمين والشمائل** قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمال فآخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز والاقتصار في اللفظ وقيل اليمين راجع الى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل راجع الى المعنى لان لفظ الشيء يراد به الجمع **سجدا لله** في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل والمعنى ان جميع الاشياء التي لها ظلال فهي منقادة لله مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثاني في معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت الظلال تشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء سواء كان ذلك الشيء يسجد لله اولا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله **وهم داخرون** اي صاغرون اذلاء والداخر الذي يفعل ما تأمره به شاء ام ابى وذلك ان جميع الاشياء منقادة الى الله تعالى فان قلت ان الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظة من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لامره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء وقوله تعالى **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة** قال العلماء السجود نوعان سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود خضوع وانقياد كسجود الظلال فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض يحتمل سجود النوعين لان سجود كل شيء بحسبه فسجود الملائكة والمسلمين لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع واتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المؤنث ولانه لو اتى بمن التي هي للعقلاء خاصة لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة فاتى بلفظ ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه يدب على الارض ولهذا افرد الملائكة في قوله **والملائكة** لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها او افردهم بالذكر وان كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين بالطاعة وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل والجمادات تدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فتدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر **وهم لا يستكبرون** يعني الملائكة **يخافون ربهم من فوقهم** هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره **ويفعلون**

ما يؤمرون

سبحانه

الصانع صح

ما يؤمرون عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي عن ابي ذر رضي الله عنه موقوفا

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوتها وسماعها قوله تعالى **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين** لما اخبر الله عز وجل في الآية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانتم في ملكه وتحت قدرته وقبضته فنهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر اثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله تعالى **انما هو اله واحد** لان الالهين لا يكونا متساويين في الوجود من الهين اثنين والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية فذلك قوله انما هو اله واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد **فاياي فارهبون** يعني فخافون والرهبة مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريق الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبوا الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه **وله ما في السموات والارض** لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه **وله الدين واصبا** يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دائما ثابتا والواصب الدائم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة دائمة ابدا **افغير الله تتقون** يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقونه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام بمعنى التعجب على طريق الانكار وقوله تعالى **وما بكم من نعمة فمن الله** يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة الارزاق وكلما اعطيكم من مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى انما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الآية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الآية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا هو لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها **ثم اذا مسكم الضر** اي الشدة والامراض والاسقام **فاليه تجأرون** يعني اليه تستغيثون وتضجون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل الجؤار رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتداء فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يلجأ الا اليه ولا يدعى الا اياه ليكشفها فانه القادر على كشفها وهو على قوله تعالى **ثم اذا كشف الضر عنكم** يعني ثم اذا ازال الشدة والبلاء عنكم **اذا فريق منكم** يعني طائفة منكم وجماعة منكم **بربهم يشركون** يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوائد والاسباب ولا يضيفو الى الله تعالى فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قسمهم فريقين لان فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى **ليكفروا بما آتيناهم** وقيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء **فتمتعوا** لفظه امر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي

اثنين صح

سواه صح

ضربها لكم فسوف تعلمون يعني عاقبة امركم الى ماذا يصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عائد الى الاصنام يعني ان الاصنام
لا تعلم شيئا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز
فكان عود الضمير الى المشركين اولى ولانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول
الثاني قال لانا اذا قلنا ان الضمير عائد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه الها ولا
له حقا نصيبا واذا قلنا انه عائد الى الاصنام لم نحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم لها قوله تعالى مما
رزقناهم يعني ان المشركين جعلوا للاصنام نصيبا من حروثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم
تفسيره في سورة الانعام تالله اقسم بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيمة لتسألن عما كنتم تفترون
يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم من هذه الاصنام الآلهة وان لها نصيبا من اموالكم وهذا الالتفات
من الغيبة الى الخطاب وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا
الملائكة بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء او لدخول لفظ
التأنيث في تسميتهم سبحانه نزه نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون لانفسهم
ما يشتهون يعني من البنين واذا بشر احدهم بالانثى يعني احدهم بشر بالانثى والبشارة عبارة عن الخبر
السار الذي يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك
الحزن والغم يظهر اثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا ان البشارة
لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعني ممتلئ
من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت له عند البشارة والمعنى انهم لا يرضى احدهم بالبنت الانثى
ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ وقوله يتوارى من القوم يعني انه ظل
ممتلئا حزنا وهما من سوء ما بشر به ايمسكه على هون يعني انه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك ان العرب
كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم حتى يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك
وظهر وان ولد له انثى حزن ولم يظهر اياما حتى يتفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما
ذكر الضمير في ايمسكه لانه عائد الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني انه يخفي ذلك الذي
بشر به في التراب والدس اخفاء الشيء في الشيء قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات
احياء والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة او للحمية فيخاف عليهن من الاسر وغيره او الطمع
غير الاكفاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا اصبح ولدت له بنت واراد ان يستحييها تركها حتى كبرت البسها
جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال
لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري
الى هذه البئر فاذا نظرت اليها دفعها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على راسها وكان صعصعة عم الفرزدق
اذا احس بشيء من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها فقال الفرزدق يفتخر بذلك وعمي الذي منع الوائدات
فاحيى الوئيد فلم يوأد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار اخرجه
ابو داود وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون يعني بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات
وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل
معناه الا ساء ما يحكمون في وأد البنات للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء يعني صفة السوء

وهو قوله

ايضا

وهو كظيم

يتوارى من القوم

بذلك صح

احتياجهم

احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم خوف الفقر ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا المقدسة
وهي انه له التوحيد وانه المنزه عن الولد وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة
والبقاء السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس رضي الله عنه المثل السوء النار والمثل
الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع في كبريائه وجلاله الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فان قلت
الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال الله تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم
في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص
بهذه الاية الاخرى لان في جنس الناس الانبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط
بدليل قوله ان الشرك لظلم عظيم وقوله ما ترك عليها يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب
الا على الارض من دابة يعني ان الله تعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال قتادة
وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه
السلام وروي ان ابا هريرة رضي الله عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقلت بئس ما قلت ان
الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن آدم وقيل
اراد بالدابة الكافر وبدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل هذه الاية ولو يؤاخذ الله الا بالظالمين
بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم يوجد الابناء فلم يبق في الارض احد قوله تعالى ولكن يؤخرهم يعني يمهلهم
بفضله وكرمه وحلمه الى اجل مسمى يعني الى انتهاء اجالهم وانقضاء اعمارهم فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون يعني لا يؤخرون ساعة عن الاجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون منه وقيل اراد بالاجل
المسمى يوم القيمة ولكن المعنى يؤخرهم الى يوم القيمة فيعذبهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون
لله ما يكرهون يعني لانفسهم وهي البنات وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يعني
ويقولون ان لهم البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله تعالى
وقيل اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب انهم يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك انهم قالوا
ان كان محمد صادقا في البعث وبعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فكذبهم الله تعالى فقال لا جرم ان لهم النار
يعني في الآخرة لا الجنة وانهم مفرطون قرئ بالكسر من الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني
مضيعون لامر الله وقراءة الجمهور بفتح الراء وتخفيفها اي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير
ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون الى النار وقال الفراء مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الماء قبل القوم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
يعني كما ارسلنا اليك الى هذه الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم يعني اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله على مذهب
اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة ان يضل احدا او يهدي احدا
انما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وسوسته فهو وليهم اي ناصرهم
اليوم ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه ولهم
عذاب اليم يعني في الآخرة قوله وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
يعني في امر الدين والاحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة

يظلمهم

في معيدهم

عن العذاب

فقيمه

يعني وما انزلنا عليك الكتاب الا بيانا وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يعني لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى والله
انزل من السماء ماء يعني المطر فاحيا به الارض يعني بالماء الارض يعني بالنبات والزرع بعد موتها يعني بعد
يبسها وجدوبتها ان في ذلك يعني ان في هذا لدلالة واضحة على كمال قدرة الله لآية لقوم يسمعون يعني
سماع انصاف وتدبر وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات الله اي القرآن بقلبه وتدبرها
وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالآيات وان لكم في الانعام يعني اذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا
تلى ذلك لعبرة نسقيكم مما في بطونه الضمير عايد الى الانعام فكان حقه ان يقال مما في بطونها واختلف النحويون
في الجواب فقيل لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع فهو بحسب اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الجمع وهو مذكر وبحسب
المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنون مما في بطونها
وهذا قول ابي عبيدة والاخفش وقال الكسائي رده الى يعني مما في بطون ما ذكرنا وقال المورج الكناية مردودة
الى البعض وفيه اضمار كانه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس لكلها لبن من بين فرث
وهو ما في الكرش من الثفل فاذا اخرج منها لا يسمى فرثا ودم لبنا يعني من الدم والفرث ليس فيه لون الدم
ولا رايحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى
الثفل كما هو خالصا سايغا للشاربين يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن احد قط
هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الامام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولقايل ان يقول الدم واللبن
لا يتولدان من الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما راى احد في كرشها
دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته وكان من الانعام الى كرشه فاذا
طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي حصل
في الكبد يطبخ فيها ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المايية
فاما الصفراء فتذهب الى الكلية ومنها الى المرارة واما السوداء فتذهب الى الطحال واما المايية الكلية و
منها المثانة واما الدم فيذهب الى الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين
الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضرع والضرع لحم ابيض فيقلب الله ذلك الدم عند
انصبابه الى ذلك اللحم الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن انما يتولد من بعض
اجزاء الدم والدم انما يتولد من بعض الاجزاء اللطيفة من الاشياء الماكولة الحاصلة في الكرش فاللبن
تولد اولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا من بين فرث ودم وعند
قوله تولد اللبن في الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته في حلمة الثدي ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها
كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن يخرج بالمص او الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله
خالصا يعني من شوايب كدورة الدم والفرث سايغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا
قوله عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعني ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه الضمير في منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابي ليلى والزجاج
وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن ساير ما يتخذ من ثمرات النخيل
والاعناب مثل الدبس والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض

الانعام والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل في سورة المايدة وهي
مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة وقيل ان الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم
الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى
العوفي عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب
اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية
الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سيل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم
من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة راى ان هذه الآية نزلت بمكة في وقت
اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الآية ان السكر
الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب
مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ان في ذلك يعني ان الذي ذكر من انعامه على عبيده لآية
يعني دلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى
ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد قوله تعالى واوحى ربك
الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث
ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب فذكر في هذه الآية اخراج العسل الذي جعله شفاء
للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا المدبر
لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة للشريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون
بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله تعالى الى انبيائه وحي والى اوليائه الهام واما تسخير لما خلق له
ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في نفسها هذه الاعمال العجيبة
التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا تزيد ولا تنقص
بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها
خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية
ضايعة والهمها الله ايضا ان تجعل عليها اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير
اكبرهم واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان تجعل على كل باب
خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج من بيوتها تدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا
تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام
الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الذباب ايضا
قال الزجاج يجوز ان يقال لهذا الحيوان نحل لان الله نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها يعني اعطاهم وقال غيره
النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز ولذا انثها الله تعالى فقال تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر وياوي
الكهوف ومنه اهلي وهو الذي ياوي البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن
حتى تاوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك يعني

الطرق التي الهمها الله ان تسلكها وتدخل فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك والطرق مسهلة لك فسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اخر حيث شاؤا واراد والا تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف الوانه يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار فيستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه راى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر فيجمعه النحلة فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها لان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تاكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا فيعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا قالت فما هذا الريح الذي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريهة الريح فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كثير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء للناس وهذا قول ابن عباس وابن مسعود فالضمير في قوله شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم من كل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء والقران شفاء من كل داء لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفاءين القران والعسل وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ما كانت تخرج له قرحة ولا شيء الا لطخ الموضع بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس

ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال له اسقه عسلا فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرئ وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال من امتلاء او هيضة فدواؤه بترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت

المادة فوقف الاسهال ويكون الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار في صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن اخيك يعني باستعجاله الشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ونحو ذلك خرج مخرج الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء للناس يعني القران لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله خلقكم يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم يعني عند انقضاء اجالكم اما صبيانا واما شبابا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني الى ارداه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الانسان له اربع مراتب اولها سن النشوء والنماء وهو من اول العمر الى ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يسرع الانسان الى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات لكيلا يعلم بعد علم شيئا يعني ان الانسان يرجع الى حال الطفولية بنسيانه ما كان علم بسبب الكبر قال ابن عباس رضي الله عنه لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة رضي الله عنه من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال هم الذين

قرأوا القرآن وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقوله عز وجل ان الله عليم بما صنع باوليائه واعدائه قدير يعني على ما يريد قوله تعالى
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق على واحد وقتر على واحد وكثر
لواحد وقلل على واحد وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة
والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما تقتضيه
الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من
العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء وقد جعلوا
عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم بهذا الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركاء لله قال قتادة هذا مثل
ضربه الله عز وجل بقوله هل منكم احد ان يرضى ان يشركه مملوكه في ملكه وجميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده
وقيل في معنى الآية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم فيه يعني في رزقه سواء فلا تحسبن الموالي انهم
يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدي المماليك والمقصود منه بيان ان
الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك
والمالك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على المشركين بحيث يجحدوا نعمته وعبدوا غيره
قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا خطاب عام يعم الكل فتخصيصه يعني النساء فخلق من آدم
حوى زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بآدم وحوى خلاف الدليل
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع في الطاعة ومنه قوله في الدعا
واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك فهذا اصله في اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي
الحفدة الاختان ازواج البنات وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الآية وجعل لكم من
ازواجكم بنين وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم
وقال مجاهد هم الاعوان وكل ما اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة
الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال الكلبي ومقاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون
الرجل على اهله وقال ابن عباس رضي الله عنه هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امرأة الرجل الذين ليسوا منه
وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين قال الله
تعالى بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة قوله ورزقكم من الطيبات يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار
والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله قوله افبالباطل يؤمنون يعني بالاصنام وقيل
بالشيطان يؤمنون قيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكاري ليس لهم ذلك وبنعمة
الله هم يكفرون يعني بانهم يضيعون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض يعني التي لا يقدرون على انزال المطر الذي في السموات
خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات التي في الارض معدنه شيئا يعني لا يملك من الارزاق شيئا يعني لا يملك من
ان يرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيئا ولا يستطيعون يعني يقدرون على شيء يذكر
عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا تضربوا لله الامثال اي يعني لا تشبهوا الله بخلقه وانه واحد لا مثل
له ولا شبيه له ولا شريك له من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق
بالمرزوق او القادر بالعاجز ان الله يعلم يعني خطأ ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون

خطابنا تضربون له من الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل
من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق فيه كيف شاء
فصريح العقل يشهد بانه لا تسوية بينهما ولا يجوز في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما
في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام
التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر
على شيء فيجوز ان يكون هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل
الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد
الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله تعالى
وعبوديته والانفاق في وجوه البر صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغاء مرضاته
وهو قوله عز وجل فهو ينفق منه سرا وجهرا فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء وكل عبد فهو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت كم قال عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء وكل عبد فهو مملوك لما ذكر المملوك فليتميز من الحر لان اسم العبد يطلق عليهما جميعا لانهما
من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والمأذون له في التصرف فانهما
يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيئا هل يستوون ولم يقل هل يستويان
يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذا لا يستوي الكافر والمؤمن
والعاصي والطائع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل ابن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق
رضي الله عنه ثم قال الحمد لله حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق
الرازق لا هذه الاصنام التي عبدوها هؤلاء فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجزة لا يد لها على احد معروف
فتحمد انما الحمد الكامل لله تعالى لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد والثناء الحسن
بل اكثرهم لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون يعني ان الحمد لله لا لهؤلاء الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على
شيء وهو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي
امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة ويقال كل السكين اذا غلظت شفرتها وكل اللسان اذا
غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل
على مولاه اينما يوجهه يعني حيث ما يصرفه ويرسله في طلب حاجة او كفاية مهم لا يأت بخير يعني لا يأتي
بنجح لانه اخرس عاجز لا يحس ولا يفهم هل يستوي هو يعني صاحب هذه الصفات المذمومة ومن يأمر
بالعدل يعني من هو سليم الحواس نفاع ذو كفاية وهو ذو رشد وديانة يأمر بالعدل والخير وهو يعني في نفسه على
صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه
حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله تعالى لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم
به من آثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي موات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي
كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم

فكل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي
يأمر بالظلم وهو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان له مولى يأمره بالاسلام
وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأت بخير وقيل المراد بالابكم الذي
لا يأت بخير أبي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون **ولله غيب السموات والارض**
اخبر الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل
الغيب هنا علم الساعة وقيامها وهو قوله **وما امر الساعة** يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم
فيه الناس لموقف الحساب **الا كلمح البصر** يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف
العين ايضا **او هو اقرب** يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
في اسرع من لمح البصر وهو قوله **ان الله على كل شيء قدير** فيه دليل على كمال قدرته وانه تعالى مهما اراد كان
كاسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان
بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل **والله اخرجكم من بطون امهاتكم** تم الكلام هنا لان الانسان
خلق في اول الفطرة ومبدئها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدأ فقال **لا تعلمون شيئا وجعل لكم
السمع والابصار** يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا
به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار
لتبصروا بها عجائب مصنوعات الله تعالى وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته **وجعل الافئدة** لتعقلوا
بها وتفهموا بها معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية يريد لتسمعوا
مواعظ الله تعالى وتبصروا به ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا
وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الاية والله خلقكم في بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من
الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الالات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر
المنعم بها ايضا وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم به في الاخرة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان
جعل هذه الحواس لكان بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن
امه قلت ذكروا للعلماء فيه ان تقديم الاخراج وتأخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان
الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن
فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كان قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى **لعلكم تشكرون**
يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم وقوله تعالى **الم يروا الى الطير مسخرات**
يعني مذللات **في جو السماء** الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع في الجو
اثني عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك **ما يمسكهن الا الله** يعني في حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها
في جو السماء والهوى وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال
طيرانها ووقوفها في الهوى وهو الله تعالى وقوله تعالى **ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** انما خص المؤمنين
بالذكر لانهم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى **والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا** يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الف
او بيت **وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا** يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم و
الانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت من الحجارة والخشب

في اقرب من

ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام
واليه الاشارة بقوله **تستخفونها** يعني يخف عليكم حملها **يوم ظعنكم** يعني في يوم سيركم ورحيلكم
في الاسفار وظعن البادية هو لطلب ماء او مرعى ونحو ذلك **ويوم اقامتكم** يعني وتخف عليكم في اقامتكم وحضركم
والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** الكناية عائدة الى
النعم ومن اصواف الضان ومن اوبار الابل ومن اشعار المعز **اثاثا** يعني تتخذون اثاثا والاثاث متاع
البيت الكثير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس رضي الله عنهما اثاثا يعني مالا
وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره وهو متاع البيت
من الفرش والاكسية **ومتاعا** يعني وبلاغا هو ما يتمتعون به **الى حين** يعني الى حين يبلى ذلك الاثاث وقيل الى
حين الموت فان قلت اي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل
من فرق قلت الاثاث ما كثر من الات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع
ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين والله اعلم قوله تعالى **والله جعل لكم مما خلق
ظلالا** يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الابنية والجدران والاشجار
وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن اليه من شدة الحر والبرد كالاسراب والغيران ونحوها
وذلك ان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما
الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليسكن فيه واليه الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
واما الفقير فيستكن بظلال الشجر والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما
خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدة
الحر اكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم فيها ظاهرة **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر**
يعني وجعل لكم فيها قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني
والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه **وسرابيل تقيكم باسكم** يعني الدروع والجواشن
وساير ما يلبس في الحرب ليمتنع من السلاح والباس الحرب يعني تقيكم في باسكم السلاح ان تصيبكم قال عطاء الخراساني
انما نزل القران على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر
ولكنهم كانوا اصحاب جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان اكثر
ولكن كانوا اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل الله من الثلج اكثر
ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر وقوله تعالى
كذلك يعني انعم الله عليكم بهذه النعم **يتم نعمته عليكم** يعني من نعم الدنيا والدين **لعلكم تسلمون**
يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله بالوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا انه لا يقدر على هذه الانعامات
الا الله تعالى **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان وتصديقك يا محمد واثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنيوية
فانما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما
عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله **يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها** قال السدي
نعمت الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل نعمت الله هي الاسلام وهو من اعظم النعم التي انعم الله بها
على عباده ثم ان كفار مكة انكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمت الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم
يعرفون بانها من نعم الله ثم اذا قيل تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن ابائنا وقال

الكلبي هو أنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعة آلهتنا وهو قول الرجل لولا فلان لكان
هذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل إنهم يعرفون أن الله أنعم هذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا
يشكرونها **وأكثرهم الكافرون** إنما قال تعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كلهم كانوا كافرين لأنه كان فيهم من لم
يبلغ بعد حد التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل أراد بالأكثر عن البالغين وقيل أراد بالأكثر الكفار
الجاحدين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وإن كان كافرا وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر
ويراد به الجميع قوله عز وجل **ويوم نبعث من كل أمة شهيدا** لما ذكر الله تعالى إنعامه على الكفار وإنكارهم
لها وذكر أن أكثرهم كافرون أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يعني رسولا
وذلك اليوم هو يوم القيمة والمراد به أن الشهداء هم الأنبياء يشهدون على أممهم يوم القيمة بإنكارهم نعم الله عليهم
وبالكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا** يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الرجوع إلى دار الدنيا حتى يعتذرون
ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويعرفونهم ويعرفونهم بذلك **ولا هم يستعتبون**
الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره والرجل إنما يطلب
العتاب على خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضى عنه وإذا لم يطلب العتاب منه دل
على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف
ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا ربهم فالاستعتاب طلب الرضى وهذا باب منسد على الكافر في الآخرة
وإذا رأى الذين ظلموا يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي **العذاب** يعني عذاب جهنم **فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون** يعني لا يؤخرون ولا يمهلون **وإذا رأى الذين أشركوا** يعني يوم القيمة **شركاءهم** يعني
أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك**
يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة **فألقوا** يعني الأصنام **إليهم** يعني إلى عابديها **القول إنكم لكاذبون**
يعني أن الأصنام قالوا للكفار إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا فإن قلت الأصنام
جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد أن الله تعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحيوة والنطق
والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة فيزدادون
لذلك غما وحسرة **وألقوا** يعني المشركين **إلى الله يومئذ السلم** يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه
فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا **وضل عنهم** يعني وزال عن المشركين **ما كانوا يفترون** يعني ما كانوا
يكذبون في الدنيا في قولهم إن الأصنام تشفع لهم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** يعني أنهم ضموا مع
كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله **زدناهم عذابا فوق العذاب** يعني زدناهم
هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي واختلفوا في هذه الزيادة
ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها أنياب كأمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب
أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار
من صفر مذاب كالنار تسيل تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون
من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل يضاعف لهم العذاب
ضعفين بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن سبيل الله **بما كانوا يفسدون** يعني أن الزيادة إنما
لهم بسبب صدهم وبسبب ما كانوا يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر **ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم**
قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الأنبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها من

أنفسهم يعني منهم لأن كل نبي إنما بعث من قومه الذي بعث إليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوه من كفر وإيمان
وطاعة وعصيان **وجئنا بك** يا محمد **شهيدا على هؤلاء** يعني على قومك وأمتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى
ونزلنا عليك يعني على قومك القرآن **الكتاب تبيانا لكل** تبيانا اسم من البيان قال مجاهد يعني
لما أمر به وما نهي عنه وقال أهل المعاني تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين إما بالتنصيص أو بالإحالة على ما يوجب العلم به
من بيان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القرآن من الحدود والأحكام والحلال والحرام وجميع المأمورات والمنهيات
أو إجماع الأمة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين **شيء وهدى** يعني من أمور الضلالة **ورحمة** يعني لمن آمن به
وصدقه **وبشرى للمسلمين** يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** قال ابن
عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض وفي رواية عنه قال العدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله
كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك إن كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك
في الإسلام وقال في رواية أخرى عنه العدل التوحيد والإحسان الإخلاص وأصل العدل في اللغة المساواة في كل شيء من
غير زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا نقصان فيه فالعدل هو المساواة في المكافاة إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا والإحسان
أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن يعفو عنه وقيل العدل الإنصاف ولا إنصاف أعظم من الاعتراف للمنعم بإنعامه و
الإحسان أن تحسن لمن أساء عليك وقيل يعني بالعدل في الأفعال وبالإحسان في الأقوال فلا تفعل إلا ما هو عدل ولا تقول
إلا ما هو حسن **وإيتاء ذي القربى** يعني ويأمر بصلة الرحم وهو القرابة الأدنى والأبعد منك فيستحب أن تصلهم
من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن له فضل فدعاء حسن وتودد **وينهى عن الفحشاء** قال ابن عباس رضي الله عنهما
يعني الزنا وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وقال غيره الفحشاء من جميع الأقوال والأفعال
المذمومة **والمنكر** قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة **والبغي** يعني
الكبر والظلم والعدوان وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان وقال بعضهم إن أعجل المعاصي
البغي ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية
والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته
وقال بعضهم إن الله تعالى ذكر من المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الإنصاف
والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو أن تعفو
عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء عليك وذكر في مقابلته المنكر وهي أن تنكر إحسان من يحسن إليك وذكر
إيتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو أن تتكبر عليهم
أو تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى **يعظكم لعلكم تذكرون** يعني إنما أمركم بما أمر به ونهيكم عما نهيكم
عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية قال
أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية المأمور به والمنهي
عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه
الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخر
الآية فقال له يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد بن المغيرة والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن
أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم**
لما ذكر في الآية المتقدمة المأمورات والمنهيات على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل
فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أوكد الحقوق فقال وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل
فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ههنا هو اليمين وقال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين فعلى
هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله عليه الصلوة والسلام
من حلف يمينا ثم راى غيرها احسن فليات الذي هو احسن وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام
الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم
كل حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يعني بعد تشديدها
فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا
بالوفاء بالعهد غير اليمين ان الله يعلم ما تفعلون يعني من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى مثلا لنقض العهد
فقال تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها يعني من بعد ابرامه واحكامه قال مقاتل والكلبي هذه امرأة
من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد مناة ابن تميم وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة وكانت
قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وكانت لها فلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل من الصوف والوبر
والشعر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن
فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه
ولا حين عاهد وفى به من بعد قوة انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل بعد الفتل تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم يعني دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل وان يظهر
الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه ان تكون امة هي اربى من امة يعني اكثر واعلى من امة قال مجاهد
ذلك بانهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا العهد حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر
والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اي جماعة فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وامرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا
وحالفوا انما يبلوكم الله به يعني يختبركم بما امركم به من الوفاء بالعهد والله اعلم وليبينن لكم يوم القيمة ما
كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا فيثيب الطائع ويعاقب العاصي والمخالف قوله عز وجل ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام ولكن يضل من يشاء يعني بخذلانه اياه
عدلا منه ويهدي من يشاء بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون قوله عز وجل ولتسئلن عما كنتم تعملون يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء او
يغفر له قوله عز وجل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون
الى ايمانكم ويامنون اليكم ثم تنقضونها وانما كرر هذا النهي تاكيدا عليهم واظهارا لعظيم امر نقض العهد قال
المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته وقوله نهاهم
عن نقض العهد لان الوعيد الذي بعده وهو قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله
انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشريعته وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر
لكل من وقع في بلاء ومحنة او سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه
والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله
يعني بسبب صدكم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدمه على ذلك قوله
تعالى ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا
تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها انما عند الله يعني فانما

الدغل صح

العهد صح

الكثر من جماعة صح

الوفاء صح

بعد عافية ونعمة صح

عنكم صح

عند الله

عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد هو خير لكم يعني من عاجل الدنيا ان كنتم تعلمون يعني من فضل
ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب وما عند
الله باق يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة ولنجزين الذين صبروا يعني على الوفاء بالعهد في السراء والضراء
اجرهم يعني ثواب صبرهم باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة ذكر الذكر والانثى
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق وللنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكور دون الاناث
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد
بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتاكيد وازالة وهم التخصيص وقوله
وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حيوة طيبة قال سعيد ابن جبير
وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا
اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره وعلم ان
العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن
راضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان لله مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه فاستراحت نفسه من الكد
والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر او الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وطلب
وتعب وعناء وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له وظهر بهذا ان عيش المؤمن من القنوع اطيب من غيره وقال
السدي الحيوة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة
في قوله فلنحيينه حيوة طيبة هي الجنة وروى عوف عن الحسن قال لا يطيب لاحد الحيوة الا في الجنة لانها حيوة بلا
موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحيوة الطيبة لا تكون
الا في الجنة ولقوله في سياق الاية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون لان ذلك الجزاء لا يكون الا في الجنة قوله
عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذة فامر بها فغيره اولى بها يعني
بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني ادم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا
السبب امر الله رسوله والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تبقى مصونة من وساوس الشيطان عن جبير ابن مطعم
انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة قال عمر ولا ادري اي صلوة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا
والحمد لله ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه
قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب
فظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
وهو قول ابي هريرة رضي الله عنه واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القران يستحق ثوابا عظيما
وربما حصلت الوسوسة في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس
وبقي الثواب مخلصا واما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا
على ان الاستعاذة متقدمة على القراءة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم واذا اردت

يعني العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة
وقال الحسن هي ج صح

كثيرا صح

أن تسأموا فتذهب وأيضاً فإن الوسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة
عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها ومذهب عطاء وجوب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة
أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء على أن الاستعاذة سنة في القرآن وغيره وقد تقدمت هذه المسألة والجهر بها في أول
سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء إليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان
إبليس وهو اسم جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإقدار
الله إياهم على ذلك **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** لما أمر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكأن ذلك أوهم أن له قدرة على التصرف في أبدان بني آدم فأزال الله هذا الوهم
بقوله إنه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان
على أن يحملهم على ذنب لا يغفر وظهر من هذا أن الاستعاذة إنما تفيد إذا حضر بقلب الإنسان لكونه ضعيفاً وأنه لا يمكنه
التحفظ من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ثم قال تعالى **إنما سلطانه على الذين يتولونه** يعني يطيعونه ويدخلون في
ولايته يقال توليته إذا أطعته وتوليت عنه إذا أعرضت عنه **والذين هم به مشركون** يعني بالله وقيل الضمير
في به راجع إلى الشيطان والمعنى والذين هم من أجله مشركون بالله قوله تعالى **وإذا بدلنا آية مكان آية
والله أعلم بما ينزل** الآية وذلك أن المشركين من أهل مكة يقولون إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم
عنه غداً ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية والمعنى وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا
مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو أصلح
لخلقه وفيما يغير ويبدل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع للكفار
على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله **قالوا إنما أنت مفتر** أي تختلقه من عندك والمعنى إذا كان الله تعالى
أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ وإنما فائدة
ذلك ترجع إلى مصالح العباد كما يقال إن الطبيب يأمر المريض بشرب الدواء ثم ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه
من المصلحة **بل أكثرهم لا يعلمون** يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتنزيل المنسوخ **قل** أي قل لهم يا محمد **نزله روح القدس**
روح القدس يعني جبريل أضيف إلى القدس وهو الطهر يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدسة
المطهرة **من ربك بالحق** يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد **ليثبت الذين آمنوا** يعني ليثبت
بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً ويقيناً **وهدى وبشرى** يعني وهو هدى وبشرى **للمسلمين** قوله
تعالى **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر** وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم هذه القصص
وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم
يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيناً بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه
ويخرج من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني
المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن إسحق كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ
الكتب وقال عبيد بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر
يقال له جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم

وهما

يعني القرآن صح

يعلم صح

وهما يقرآن فيقف ويستمع وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح
بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد
العزى وكان قد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجم وقيل هو عداس غلام عتبة ابن ربيعة والحاصل أن الكفار
اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يضيفها إلى نفسه ويزعم
أنه وحي من الله تعالى وهو كاذب في ذلك فأجاب الله تعالى وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكذب فقال تعالى **لسان الذي يلحدون إليه** يعني يميلون إليه ويشيرون به **أعجمي** يعني
هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وإن كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم كان في لسانه عجمة مع أنه
كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن
الأمصار من بلاد العرب وهو منسوب إلى العرب فقوله **وهذا لسان عربي مبين** يعني بين الفصاحة والبلاغة
ووجه الجواب هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه
وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم عنه أنتم وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي
على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم وحي أوحاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي
من الله عز وجل إليه ويروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه قوله عز وجل **إن الذين لا
يؤمنون بآيات الله** يعني لا يصدقون أنها من عند الله **لا يهديهم الله** يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان
ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة ثم أخبر الله أن الكفار هم المفترون فقال تعالى **إنما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بآيات الله** يعني إنما يقدم على الفرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش
إنما أنت مفتر **وأولئك هم الكاذبون** يعني في قولهم إنما يعلمه بشر لسان لأنه محمد صلى الله عليه وسلم
فإن قلت قد قال الله تعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول قلت
قوله لا جرم إنما يفتري الكذب إخبار عن فعلهم وهو قوله فأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره
كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على أن الكذب من أفحش الذنوب الكبائر
لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن
يزني قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله عز وجل **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن
بالإيمان** نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن الكفار أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً
وسالماً فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام فأما سمية أم عمار فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل
زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً قال قتادة أخذ
بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فبايعهم على ذلك وقلبه كاره فأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عماراً كفر فقال كلا إن عماراً ملئ إيماناً أي على إيمان من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان
بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله
نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال إن عادوا
لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم أن هاجروا إلينا وإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم

عن دينهم فكفروا كارهين وهذا قول ضعيف لان الاية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يؤمر بالهجرة وقال مقاتل نزلت
في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن
اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى ان يقال ان الاية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان
السبب خاصا فان قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء في قوله الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان قلت المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء بهذه
المشابهة والمشاكلة **فصل** في حكم الاية قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة
الكفر ان يعذب تعذيبا لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه
قال العلماء اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق وخباب وصهيب وبلال وعمار
وابوه ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه
قومه وعشيرته واخذوا الاخرين والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة واما بلال فكانوا يعذبونه
وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها
الا ودك ظهري واجمعوا على ان من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة الكفر تصريحا بل يأتي بالمعاريض وبما
يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط اطمئنان القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من
كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على
العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها
فمن اكره بالسيف والقتل على ان يشرب الخمر او يأكل الميتة او لحم الخنزير او نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنى لان
الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الالة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال
الشافعي واكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه قوله تعالى
لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي المادة اثاره والمعنى انه
لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب **ولكن من
شرح بالكفر صدرا** يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم** يعني في الاخرة **ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة**
يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد على الكفر لاجل انهم استحبوا الدنيا على الاخرة **وان الله لا يهدي القوم الكافرين**
يعني لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم الى العمل **اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم**
تقدم تفسيره **واولئك هم الغافلون** يعني عما يراد بهم من العذاب في الاخرة وهو قوله تعالى **لا جرم انهم في
الاخرة هم الخاسرون** يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليستريح في الاخرة فاذا دخل النار ظهر خسرانه لانه ضيع
رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل **ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد
ما فتنوا** يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون **ثم جاهدوا وصبروا** يعني على
الايمان والهجرة والجهاد **ان ربك من بعدها** يعني من بعد الفتنة التي فتنوها **لغفور رحيم** نزلت هذه الاية
في عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابا جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه من امه وفي ابي جندل بن سهل بن عمرو والوليد
بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم واعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا
من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي سرح كان

قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح
مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخوه لامه فاجاره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة
فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى **يوم تأتي كل نفس
تجادل عن نفسها** يعني تخاصم وتحتج عن نفسها اي بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها
فان قلت النفس هي واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس
قد يراد بها بدن وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الثانية هي بدن فهي عينها وذاتها ايضا والمعنى
يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله
ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات **وتوفى كل نفس ما عملت** يعني جزاء ما عملت في الدنيا
من خير او شر **وهم لا يظلمون** يعني لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير
زيادة ولا نقصان وروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده
لو وافيت القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وانت لا يهمك الا نفسك فان لجهنم
لزفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم الخليل يقول يا رب لا اسئلك
الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزله الله عليكم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح
يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش
بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت عيناي وبه
مشت رجلي فيضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد
لا ينالها فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله عز وجل **وضرب الله مثلا قرية** المثل
عبارة عن قول يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة
لغيره في معنى الافعال من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي
المثل قد يضرب في شيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين
فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل ان يكون شيئا مفروضا ويحتمل ان يكون قرية معينة وعلى التقدير
الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين رضي الله عنهم على انها مكة والاقرب
انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة غير مكة وقال الزمخشري في كتاب الكشاف وضرب الله مثلا
قرية اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله
تعالى بهم نقمته فيجوز ان يراد فيه قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه
حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان المشبه والمشبه به
وهنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة وما
امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الاية ضرب الله مثلا
لقريتكم اي بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان يكون القرية بدلا من مثلا لانها هي المثل فيجوز ان يكون المعنى
ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف وهذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد بالقرية مكة في تمثيلها بقرية
صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها مكة والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا

الانسان

والنفس الاولى مجموع ذات الانسان وحقيقته

يا رب

يكون

قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور وهو الصحيح

يستنجدون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن والقول الثاني أن هذه الآية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين
وهو الصحيح لأن الله وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضربها الله مثلا لأهل
المدينة يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت أن الخوف
المذكور في هذه الآية في قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه
وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال
لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم
بمراده وأما تفسير الآية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة **كانت آمنة** يعني ذات أمن لا يهاج
أهلها ولا يغار عليهم **مطمئنة** أي قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لانتجاع كما كان يحتاج إليه
سائر العرب **يأتيها رزقها رغدا من كل مكان** يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره
قوله تعالى يجبى إليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات
فكفرت يعني هذه القرية والمراد أهلها **بأنعم الله** جمع نعمة والمراد به سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل
مكة فلما قابلوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجحود والكفر لا جرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر
وقطعت عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان
من الجوع ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما هذا هبك عاديت الرجال
فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون والخوف
يعني خوف النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للإغارة فكانت تطيف بهم ويغيرون على من حولهم
من العرب فكان أهل مكة يخافونهم فإن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة
المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم
الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى
الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب
والضر شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر البشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله
على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه
لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الخوف والجوع ثم ذكر بعده من علم
المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الإمام فخر الدين الرازي جوابه ما قاله رحمه الله من وجوه الأول
أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما أن المذوق وهو فقد الطعام صار وكأنهم يذوقون
الجوع والثاني أن ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل أنه
حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله تعالى كلا الاعتبارين فقال فأذاقها
الله لباس الجوع والخوف [illegible] أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الإذاقة وأصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع
موضع التعرف وهو الاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فإني طعمتها
وسيق إلينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن
وتغير الحال والكسوف كما تقول تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان [illegible] الوجه الثالث

ان يحمل

أن يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى
بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت ثم أنعم عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي إرسال محمد صلى الله عليه
وسلم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في إيذائه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط
على أهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه
من بين أظهرهم قوله عز وجل **ولقد جاءهم رسول منهم** يعني لأهل مكة محمد صلى الله عليه وسلم
يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها **فكذبوه فأخذهم العذاب** يعني الجوع والخوف وقيل القتل
يوم بدر والقول الأول أولى لما تقدم في الآية **وهم ظالمون** يعني كافرين **فكلوا مما رزقكم الله** يعني في
المخاطبين بهذا قولان أحدهما أنهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني أنهم المشركون من أهل
مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع بأهل مكة كلم رؤساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنك إنما
عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام إليهم
حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الأول هو الصحيح قوله عز وجل **حلالا طيبا** قال ابن عباس يريد الغنائم وطيبها
لهم ولم تحل لأحد قبلهم **واشكروا نعمت الله** يعني التي أنعم بها عليكم **إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فإن الله غفور رحيم** تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعده ههنا وقوله تعالى
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب يعني أنكم تحلون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم
وتحريمكم معنى وسبب إلا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس رضي الله
عنه يعني ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يحلون
أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك إلى الله تعالى وهو قوله تعالى **هذا حلال وهذا حرام**
يعني لا تقولوا إن الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله تعالى ثم أوعد المفترين الكذب
فقال تعالى **لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**
يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين أن ما هم فيه
من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال **متاع قليل** يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فإنه لا بقاء له **ولهم عذاب
أليم** يعني في الآخرة **وعلى الذين هادوا** يعني اليهود **حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** يعني
ما سبق ذكره وبيانه في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية **وما ظلمناهم**
يعني بتحريم ذلك عليهم **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** يعني إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم
وظلمهم أنفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم قوله تعالى
ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الآية بيان فضل الله تعالى وسعة مغفرته ورحمته
لأن السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فإنما
يفعله بالجهالة لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية إنما يصدر عنه
بسبب جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فلهذا ثبت أن من فعل السوء إنما يفعله
بجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح في المستقبل فإن الله يتوب عليه ويرحمه وهو
قوله تعالى **ثم تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد عمل ذلك السوء **وأصلحوا** يعني أصلحوا العمل في
المستقبل وقيل معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة **إن ربك من بعدها** يعني من بعد عمل السوء بالجهالة

والتوبة منه **لغفور** يعني لمن تاب وآمن **رحيم** يعني بجميع المؤمنين التائبين قوله عز وجل **إن إبراهيم كان أمة** حكى ابن الجوزي عن ابن الأنباري أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى فنادته الملائكة وإنما ناداه جبريل وحده وإنما سمي إبراهيم أمة لأنه اجتمعت فيه من خصال الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر. وليس على الله بمستنكر. أن يجمع العالم في واحد. ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعني أنه كان معلما للخير يأتم أهل الدنيا به الثاني قول مجاهد أنه كان مؤمنا وحده والناس كفار فلهذا كان وحده أمة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة واحدة وحده وإنما قال هذه المقالة لأنه قد كان فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الأمة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إماما يقتدى به دليله قوله تعالى إني جاعلك للناس إماما وقيل إنه هو السبب الذي جعلت لأجله أمته ومن تبعه ممتازين عمن سواهم بالتوحيد لله تعالى والدين الحق وهو من باب إطلاق المسبب على السبب وقيل إنما سمي إبراهيم عليه السلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله تعالى **قانتا لله** يعني مطيعا لله وقيل هو القائم بأوامر الله تعالى **حنيفا مسلما** يعني مقيما على دين الإسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل هو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج **ولم يك من المشركين** يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين من صغره إلى كبره **شاكرا لأنعمه** يعني أنه شاكر لله على أنعمه التي أنعم بها عليه **اجتباه** أي اختاره للنبوة واصطفاه لخلته **وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة** يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن على الله والقبول العام في جميع الأمم وأن الله حببه إلى جميع الخلق فكل أهل الأديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وقيل إنه رزق أولادا أبرارا على الكبر **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة فيكون بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل بهذه الصفات الشريفة العالية أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم** يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمر باتباعه في التبري من الأوثان والتدين بدين الإسلام وهو قوله تعالى **حنيفا وما كان من المشركين** تقدم تفسيره **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** يعني إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة أيام لصنعتكم فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فأبوا وقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها فبورك لهم فيها ق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى

وفي

وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا وهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أولاهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبينا ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله قال القاضي عياض وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي عياض ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النواوي يمكن أن يكون أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه وغلطوا في إبداله قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لأن اليهود كانوا متفقين على ذلك ورد الواحدي على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء وهذا غلط لأن اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بل كان بزمان فإن قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت لأن أهل الملل اتفقوا على أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ الخلق والتكوين في يوم الأحد وتم الخلق في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقال النصارى إنما بدأ بخلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام عيدا قلت لأن يوم الجمعة أفضل الأيام لأن تمام الخلق وكماله كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه في قوله وهو أولى ووجه آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولأن الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم ولم يختاروا لأنفسهم شيئا قال بعض العلماء بعث الله موسى عليه السلام بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الأنبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود وقد تقدمت القصة في تفسير هذه الآية في تفسير سورة الأعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطادوا فيه شيئا وهم الناهون والقول الأول أقرب إلى الصحة وقوله تعالى **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** يعني ادع إلى دين ربك وهو دين الإسلام

بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم
الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم وجادلهم بالتي هي
احسن يعني بالطريقة التي هي اشرف واحسن المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف
وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلماء الكاملون اصحاب العقول
الصحيحة والبصائر الثابتة الذين يطلبون الاشياء على حقيقتها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع
الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقايقها حتى
ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني وهم اهل الفطر السليمة
والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط
الاقسام وهم المشار اليهم بقوله بالحكمة والموعظة الحسنة اي ادع الى هؤلاء بالموعظة والقسم
الثالث وهم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن
حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد
بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذيهم ولا تقصر
في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض المفسرين هذا منسوخ باية السيف ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني انما عليك
يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي
فيجازي كل عامل بعمله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت هذه الاية
بالمدينة في سبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلاء المسلمين يوم احد
من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلاء المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن ابي عامر
الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك
لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه
واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمتها فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيئا من جسده
النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه
منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك ما علمت ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم
ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين
منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامسك عن ما اراد وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون
رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين
عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي
حديث حسن غريب واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول باسم الثاني
في المزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه امر الله برعاية العدل والا تضاعف في هذه

الاية في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة
ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الاية دليل على ان الاولى ترك الاستيفاء وذلك بطريق الاشارة
والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فليكن من غير زيادة عليه بل تجب رعاية المماثلة
ثم انتقل من طريق الاشارة الى الطريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتم
وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين
العافين فصل اختلف العلماء في هذه الاية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وذلك قول ابن عباس والضحاك
فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ
هذا بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول الثاني انها محكمة وانها نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا
يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال الظالم منه وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال
بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية الاستيفاء للحقوق والقصاص وترك
التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم وقوله عز وجل
واصبر وما صبرك الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته وقوله
ولا تحزن عليهم يعني الكافرين واعراضهم عنك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا
الى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك
وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة
وقال ابو عبيدة الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة
الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا ان يكون صفة كانه قال ولا تك في امر ضيق من مكرهم قال الامام
فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون
الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هي ان الضيق
في شيء اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط وكانت الفائدة
في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى مما يمكرون اي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وساير المناهي ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني ان اردت
ايها الانسان ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم
لما امر الله والشفقة على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان
ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال ان الوصية في المال ولا مال
لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاسرى

مكية قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني وروي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال هي مكية الا ثماني ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال
مقاتل فيها من المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك
احاط بالناس وقوله وان كادوا ليفتنونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات
وقيل واحدى عشرة اية وخمسمائة وثلاثة وثلثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت الله تسبيحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان اسم علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله تبعيده وتنزيهه عن كل ما لا ينبغي الذي اسرى بعبده يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم

لا تدعني الا بيا عبدها ... فانه اشرف اسمائي

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجة العالية والمرتبة الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله اليه يا محمد بم شرفتك قال رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظة التنكير تقليل مدة الاسرى وانه اسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة شهر او اكثر فدل تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام يعني قيل كان الاسرى من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها وهي بنت عمه اخت علي كرم الله وجهه فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم الى المسجد الاقصى يعني الى بيت المقدس سمي اقصى لبعده عن المسجد الحرام ولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاثمار والاشجار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الوحي والملائكة وقبلة الانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم القيمة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرى كان الى بيت المقدس وانه عرج به الى السماء فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت كان الاسرى على ظهر البراق الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السماء على المعراج وفايدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السماء اولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السماء فجعل الاسرى من المسجد الحرام كالتوطئة لمعراجه الى السماء وقوله تعالى لنريه من اياتنا يعني من بعض عجايب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء تلك الليلة وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من في قوله من اياتنا تقتضي التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فظاهر هذا يدل على ان فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فايدة به فما وجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا ولايات الله افضل من ذلك واكثر فالذي راه محمد صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه السلام انه هو السميع لاقواله ودعائه البصير لافعاله والحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرائه وقيل انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله فحمله على العموم اولى

فصل في ذكر المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلماء فيه

ق عن ابن عباس عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به فقال بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم

واليقظان

واليقظان اذ اتاني آت فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو بجنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصته الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود اهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه الى اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي الى السماء الدنيا واستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاذا فيها ادم عليه السلام فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ادريس عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فاذا موسى عليه السلام قال فسلم عليه فسلمت عليه فرد فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا بابراهيم عليه الصلوة والسلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر واذا اوراقها كاذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع بي الى البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلوة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلوة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن امتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع ذلك واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف عن امتك قال فسألت ربي حتى استحييت ولكني ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي زاد في رواية اخرى واجزي بالحسنة عشرا وفي رواية بينما انا عند البيت بين النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة

وفيه فرفع لي البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخرة اخرى ق عن انس بن مالك قال
كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي
فعرج بي الى السماء فلما جئنا الى السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة فاذا نظر قبل يمينه
ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت يا جبريل من هذا قال جبريل هذا آدم
وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا نظر قبل يمينه
ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما
قال خازن سماء الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف
منازلهم غير انه ذكر وجد في السماء الدنيا آدم وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بادريس قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال
هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا عيسى قال ثم مررت
بابراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال فقلت من هذا قال ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن
عباس وابا حبة الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلوة فرجعت
بذلك حتى مررت بموسى قال موسى ما فرض ربك على امتك قلت فرض خمسين صلوة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك
فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي
قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتيت الى سدرة المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ
اللؤلؤ واذا ترابها المسك ق عن شريك بن ابي نمرة انه سمع انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم
فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام
قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه
منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه
ثم اتي بطست من ذهب محشو ايمانا وحكمة فحشا صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج بي
الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء ما يريد الله به في الارض
حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال جبريل هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه
فرد علي السلام وقال مرحبا واهلا يا ابني نعم الابن انت فاذا هو في سماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان
النهران يا جبريل فقال هذا النيل والفرات عنصرهما قال ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ
وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأه لك ربك ثم عرج
به الى السماء الثانية فقالت الملائكة مثل ما قالت الملائكة الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم قال عرج بي الى السماء الثالثة قالوا مثل ما قالت
الاولى والثانية ثم عرج بي الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج بي الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم

ثم عرج بي الى السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج بي الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم
فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة
وفي السابعة موسى بتفضيل كلام الله تعالى قال موسى رب لم اظن ان ترفع علي احدا ثم علا بي فوق ذلك مما لا
يعلمه احد الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى
اليه فيما يوحي اليه خمسين صلوة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال يا محمد ماذا عهد
اليك ربك قال عهد الي خمسين صلوة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك
عنهم فالتفت صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت ذلك
فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات
ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند
الخمسة فقال يا محمد لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فان امتك اضعف
اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه
وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي
ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك
وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب وهي خمسة عليك فرجع الى موسى
فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها فقال موسى والله لقد راودت بني اسرائيل
على اقل من ذلك وادنى فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى
والله قد استحييت من ربي قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري
وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على ثابت البناني المسند وذكر من اول حديث شريك طرفا ثم
قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الالفاظ الا
ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به ففتح لنا فاذا انا
بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قيل محمد قيل وقد بعث الله اليه قال نعم قال فرفعت ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
فرحبا بي ودعيا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد اعطي شطر الحسن قال
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قال وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا فاذا انا

بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا
هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة فلقيني موسى عليه السلام فقال لي ما فرض ربك على امتك قلت خمسين
صلوة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد عالجت بني اسرائيل وخبرتهم فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت قد حط عني خمسا فقال ان امتك
لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين موسى وربي تبارك وتعالى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة وان هم بها وعملها كتبت له عشر حسنات ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان هم بها
وعملها كتبت عليه سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي
مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال
جبريل ابمحمد تفعل هكذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النسائي مختصرا وفي اخره قال
فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلوة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها امر الله تعالى حتما فلم ارجع

فصل

قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك
ابن ابي نمرة عن انس بن مالك واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق اهل العلم
ان المعراج كان بعد الوحي باثني عشر سنة وفيه ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة رضي الله
عنها ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي هذا الاعتراض عندي لا يصح لان هذا كان رؤيا في النوم
واراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث فانه استيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة
بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه صلى الله عليه وسلم التي راها من قبل كما انه راى فتح مكة
في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال
الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في كتاب شرح مسلم قد جاء في الحديث في رواية شريك في هذا الحديث اوهام انكرها
عليه بعض العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو
غلط لم يوافق عليه وان الاسراء اقل ما قيل فيه ما قيل انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر
شهرا وقال الحربي كانت ليلة الاسرى بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسري به صلى الله
عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة ايضا والقبائل قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى واشبه الاقوال
قول الزهري وابن اسحق واما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم
واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث
ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان اهل العلم قد
انكروها وقد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن انس في كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث
مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكره هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية

شريك

شريك بن ابي نمر عن انس فقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرى
جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس
فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث والاحاديث التي تقدمت قبل هذا
هي المعول عليها

فصل

في بعض شرح الفاظ المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسرى قبل الهجرة
بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف
الناس في الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي كان عليه اكثر
الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بروحه
وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ولفظ
العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن
طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا وانه
ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكي هذا القول عن عائشة رضي الله عنها
ايضا وعن معوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلماء من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم
اتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق
لسرعته او لشدة صفائه وبيضه ولمعانه وتلألؤه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط
البراق بالحلقة الاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على الله
تعالى وقوله جاءني جبريل من عند ربي باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير وقال فاخترت
اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة
لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة الهموم
لانواع الشر وقوله ثم عرج بي حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقال من انت قال جبريل فيه بيان الادب
لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا فانه مكروه وفيه ان للسماء ابوابا وبوابين وان عليها
حرسا وقوله لبواب السماء وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرى وصعوده للسماء
وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح
في معناه وقوله فاذا انا بآدم وذكر جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء اهل الفضل والصلاح بالبشر
والترحيب والكلام اللين الحسن وان كان الزائر افضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في
وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
هكذا وقع في هذه الرواية والسدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس
وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله
عز وجل وقوله اذا ثمرها كالقلال وهو جمع قلة بكسر القاف وبضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين
او اكثر وقوله فرجعت الى ربي قال الشيخ محيي الدين معناه رجعت الى الموضع الذي فناجيته فيه ثانيا
وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربي معناه بين موضع مناجاته عز وجل قلت واما الكلام في معنى
الرؤيا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله ثم دنا فتدلى قوله

ثم دنى فتدلى قوله ففرض الله على امتي خمسين صلوة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع عني شطرا وفي الاخرى
خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف واما رواية العشر
وفي رواية شريك ورواية ثابت البناني وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد وحط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس
وهي خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلماء بهذا الحديث انه شق صدره صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق في صغره ايضا وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشرح الثاني زيادة
التطهير لما يراد به من الكرامات ليلة المعراج وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال
اناء الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب او يكون قد كان
قبل تحريمه وقوله ممتلئ ايمانا وحكمة فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان والافراغ
صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما
فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام واذا اجلد عن يمينه
اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض
على هذا بان ارواح المؤمنين في السماء وارواح الكفار تحت الارض فكيف تكون في السماء والجواب عنه بانه
يحتمل بان ارواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عروضها على آدم عليه السلام
مرور النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر بما رأى وقوله اذا رأى عن يمينه ضحك واذا نظر الى شماله بكى فيه شفقة
الوالد على اولاده وفرحه وسروره بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في ادريس مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المؤرخون انه جد لنوح عليهما السلام وعلى ان ادريس هو اخنوخ فيكون
جدا للنبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم عليه السلام جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم
وابراهيم عليهما السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هاهنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس
هو جد لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو اخ وان كان ابنا لان الانبياء اخوة والمؤمنين اخوة
والله اعلم بمراده واسرار كتابه **فصل** في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسياق الحديث الذي يتعلق بالاسراء قال البغوي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
فكان بذي طوى قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر الصديق قال ابن عباس وعائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسري بي الى السماء اصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني
وروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه كالمستهزئ فقال هل استفدت من شيء
قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل واصبحت بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر
ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا
فانفضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى
بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا
وارتد ناس ممن آمن به وصدقه وسعى رجل الى ابي بكر الصديق فقال له هل لك في صاحبك انه اسري به الليلة الى بيت
المقدس قال او قد قال ذلك قال نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا او تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء في
ليلة قبل ان يصبح قال نعم لاني اصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوة او روحة فلذلك سمي ابا بكر الصديق
قال وكان في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قال نعم فذهب ينعت وانعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى

علىجواز نسخ الشيء قبل فعله في اول الحديث صح

روي صح

من المشركين صح

قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد صح

وضع

وضع دون دار عقيل فنعت النبي صلى الله عليه وسلم وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه
ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء
وقد اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا
هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما
بذي مر فنفر بعيرهما مني بغلان فانكسرت يده فاسئلوهما عن ذلك قالوا هذه آية اخرى فاخبرنا عن عيرنا قال مررت
بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان
وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم
خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا عليه فجعلوا
ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه العير قد طلعت يقدمها
بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسئلتني عن اشياء في بيت المقدس لم اثبتها
فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما سألوني عن شيء الا انبأتهم به وقد رأيتني
في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلي
اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي فاذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله
عليه وسلم فحانت الصلوة فاممتهم ثم قال لي قائل يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام
عن جابر انه سمع رسول الله عليه السلام يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته
وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر فاذا هو قائم يصلي في قبره عن بريدة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل كذا باصبعه فخرق الحجر وشد به البراق
اخرجه الترمذي قال قلت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت
المقدس ثم وجدهم على مراتبهم في السموات فسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلوة من الانبياء بعد الموت
وهم في الدار الآخرة قلت اما صلوته صلى الله عليه وسلم بالبيت المقدس يحتمل ان الله جمعهم له صلى الله
عليه وسلم ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم انه تعالى ارآهم اياه على مراتبهم وفضلهم واما
مروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج واما حكم صلوة الانبياء
وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل افضل منهم وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فالانبياء احياء عند ربهم بعد الموت واما حكم صلوتهم فيحتمل انها الذكر
والدعاء وذلك من اعمال الآخرة قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصائص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه رآهم يلبون
ويحجون فكذلك الصلوة والله اعلم بالحقائق قوله تعالى **وآتينا موسى الكتاب** يعني التورية **وجعلناه**
يعني الكتاب **هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا** يعني وقلنا لهم لا تتخذوا **من دوني وكيلا** يعني ربا وتفندا
ذرية يعني يا ذرية **من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا** يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان
اذا اكل الطعام او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل **وقضينا الى
بني اسرائيل في الكتاب** يعني اعلمناهم واخبرناهم انهم سيفسدون وهو قوله **لتفسدن في الارض مرتين**

قالوا صح

ما للشمس

فلما فرغت صح

دعواهم فيها صح

في الآخرة كما خصهم بخصائص صح

الكتب صح فيما اتيناه من

قال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم مجازه والله
لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس ولتعلن يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس
علوا كبيرا فاذا جاء وعد اوليهما يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التورية وركبوا
من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادا لنا
يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود عليه السلام وقيل هو سنجاريب وهو من اهل نينوى وقيل هو بخت نصر
البابلي وهو الاصح اولي باس شديد يعني ذوي بطش وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار يعني طافوا وترددوا بين
الديار ووسطها يطلبونكم ليقتلوكم وكان وعدا مفعولا يعني قضاء لازما لا خلف فيه ثم رددنا لكم
الكرة عليهم يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بغوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم من الفساد
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا يعني اكثر عددا ان احسنتم احسنتم لانفسكم يعني
لها ثوابها وجزاء احسانها وان اساتم فلها يعني فعليها اساءتها فاذا جاء وعد الاخرة يعني المرة الاخرة
من فسادكم وهو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله تعالى من بينهم ورفعه الله اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام
فسلط الله تعالى عليهم الفرس والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله ليسوءوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويهموكم
وقرئ بالنون لنسوء الله وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه كما دخلوه اول مرة يعني
وقت افسادهم الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا اي يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل اهلاكا

ذكر القصة في هذه الايات قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك
متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم يدعى صديقه وكان الله اذا ملك عليهم
الملك بعث معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التورية والاحكام التي فيها فلما
ملك صديقه بعث الله معه شعيا بن امصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم فقال ابشري اوري شلم ومعناه ابشري الان ياتيك راكب الحمار ومن بعده راكب البعير فملك ذلك
الملك يعني صديقه بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا
فبعث الله سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة
كانت في ساقه فجاء النبي شعيا وقال له يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده وقد هابهم
الناس وفرقوا منه فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل اتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا
وبسنجاريب وجنوده فقال شعيا لم ياتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرائيل
فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرائيل فقال ان ربك قد اوحى
الي ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقه
الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس
يا رحمن يا رحيم يا رؤف الذي لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله
كان منك وانت اعلم به مني سري وعلانيتي لك قال فاستجاب الله دعاءه وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا
ان تخبر صديقه ان الله قد استجاب دعاءه ورحمه واخر اجله خمسة عشر سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فاتاه
النبي شعيا واخبره فلما كان ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله تعالى وقال الهي واله ابائي لك سجدت وسبحت
وكرمت وعظمت انت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب
والشهادة انت الرحمن الرحيم انت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطر الذي اجبت

دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع راسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقه فيامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين
فيجعله في قرحته فيشفى فيصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع
بعدونا هذا قال الله لشعيا قل له اني قد كفيتك عدوك وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة
نفر من كتابه فلما اصبح جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنجاريب
ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فوجده في مغارة ومعه خمسة نفر
من كتابه احدهم بخت نصر فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم الى الملك فلما راهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس
الى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنجاريب قد اتاني
خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يوقعني في الشقوة الا قلة
عقلي ولو سمعت او عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقه الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء ان ربنا
لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الاخرة
ولتخبروا من وراءكم بما رايتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك ومن معك ولدمك
ودم من معك اهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم ان ملك بني اسرائيل امر حرسه ان يقذفوا في رقابهم الجوامع
ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا ويرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير فقال سنجاريب للملك
صديقه القتل خير مما نحن فيه وما يفعل بنا فامر بهم الى القتل فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرائيل يرسل
سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعيا للملك ففعل وخرج
سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمعوا الناس فاخبروهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه
وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها
احد مع ربهم وكان امر سنجاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك
سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابن ابنه بخت نصر فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله
ملك بني اسرائيل صديقه فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا بينهم معهم
لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله قم في قومك اوح على لسانك فلما قام انطلق لسانه بالوحي فقال
يا سماء استمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان يقص شان بني اسرائيل الذي رباهم بنعمته واصطفاهم
لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فاوى شاردتها وجمع ضالتها
وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها
فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون الى اين جاءهم
الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار مما يذكر الاري الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج
الذي سمن فيه فينتابه وهؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الحين وهم اولو الالباب والعقول وليس
بقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خوا زمانا لا عمران
فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي او يقال ضيع وهو حكيم فاحاط
عليها جدارا وشيد فيها قصورا وانبط نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب
والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا قويا امينا فلما اطلعت جاء طلعها خروبا
قالوا بئست الارض هذه نرى ان يهدم جدارها وقصورها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت
اول مرة خرابا مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ذمتي والقصر شريعتي وان النهر كتابي والقيم نبيي وان الغراس

هم الحروب الذي اطلع الفراس عمالهم الخبيثة واني قضيت عليهم قضاهم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذكر
الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان يتقربون الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فايديهم مخضوبة
منها وثيابهم متزملة بدمائهم يستبدلون لي بالبيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم واجسادهم و
يدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها واي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها واي حاجة الى تزويق
المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا
وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عوا الذياب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله
فسلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف
ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام وكيف انور صلوتهم وقلوبهم صاغية الى
من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي ام كيف استجيب لهم دعاءهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد
وانما استجيب للداعي اللين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين يقولون
لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالاتي انها اقاويل منقولة واحاديث متواترة وتاليف مما تالف السحرة والكهنة
وزعموا انهم لو شاؤوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤوا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين
اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا
لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون
على ان ياتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل القدرة التي بها امضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون
فان كانوا يقدرون على ان يولفوا ما يشاؤون فليولفوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا صادقين
واني قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان اجعل النبوة في الاجراء وان اجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة
في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بها ومن اعوان هذا
الامر وانصاره وان كانوا يعلمون فاني باعث لذلك نبيا اميا ليس اعمى من عميان ولا ضالا من ضالين ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم
اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء والعفو والمعروف
خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون لي قياما وقعودا وركعا
وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتي الهمهم التكبير
والتسبيح والتحميد والتمجيد لي في صلاتهم ومسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الاشهاد ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم
واناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم
فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه
الشيطان واخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياه فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه
في وسطها واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية بن اموص وبعث لهم ارميا
بن خلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران وذكر ابن اسحق انه الخضر واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس

على فروة

على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله ارميا الى الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني
اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحرمات فاوحى الله تبارك وتعالى الى ارميا ان ايت قومك من بني اسرائيل فاقصص
عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني
مخذول ان لم تنصرني قال الله او لم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والالسنة بيدي
اقلبها كيف شئت اني معك ولن يصل اليك شيء معي فقام ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله خطبة بليغة بين
لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة
يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل
المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من اهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة
فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بني
اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس
ففعلوا حتى ملؤوه ثم امرهم ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير في بني
اسرائيل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنائم جنده واراد ان يقسمها عليهم قالت له الملوك
الذين كانوا معه ايها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني
اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربع غلمان وفرق من بقي في بني اسرائيل
ثلاث فرق فثلثا اقرهم بالشام وثلثا سباهم وثلثا قتلهم وذهب بانية بيت المقدس وبالصبيان السبعين
الفا حتى اقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله تعالى ببني اسرائيل بظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا
جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر اقام في سلطانه
ما شاء الله ثم راى رؤيا عجيبة اذ راى شيئا اصابه فانساه الذي راى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل
وكانوا من ذراري الانبياء وسالهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها فقال ما اذكرها ولئن لم تخبروني
بها وبتاويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاؤوه
فقالوا رايت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب
وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله صخرة من السماء فدقته فهي
التي انستكها قال صدقتم فما تاويلها قالوا تاويلها انك اريت الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا و
بعضهم كان اشد ملكا والفخار اضعفه ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة افضل من ذلك
والذهب احسن من الفضة ثم الفضة افضل من الحديد ثم افضل الحديد ملكك فهو اعز واشد مما كان
قبله والصخرة التي رايت ارسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الامر
اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبختنصر ارايت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين سالناك ان تعطيناهم
ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد راينا نساءنا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم من
بين اظهرنا واقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا
الى الله فقالوا يا ربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان مع بختنصر منهم دانيال و
حنانيا وعزاريا وميشايل فلما اراد الله هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرائيل ارايتم هذا البيت
الذي خربت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فسلط الله تعالى عليهم
بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلق يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم الله وسلط

عليهم غيرهم فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرائيل فقال اخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا
فاقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد عرفت من اهل الارض ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن او اقتلكم عن اخركم
فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله اليه بقدرته بعوضة دخلت في منخره فعضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن
حتى يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليرى الله عباده قدرته
ونجى الله من بقي من بني اسرائيل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله
تعالى احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام معهم من الله عهد كانت التورية قد احترقت
وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج على الناس فبينما هو كذلك
اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح ديننا واخرتنا
غيره قال افتحب ان يرده اليك فصم وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان الذي وعده فجلس فيه فاتى ذلك الرجل
باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم
التورية فاحبوه حبا لم يحبوا مثل حبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث
ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى
وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت الى داود فزكريا مات وقيل قتل ويحيى وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم
وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم
الشام فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤسا جنوده يقال له بيورزاذان صاحب القتل فقال اني قد كنت حلفت بالهي اني
لئن ظفرت على اهل بيت المقدس لقتلتهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا اني لا اجد احدا الا قتلته فامره ان يقتلهم
حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي
فسالهم عنه فقال يا بني اسرائيل ما شان هذا الدم يغلي اخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه لم يتقبل منا فكذا
فلذلك يغلي ولقد قربنا من القربان ثمانماية سنة فتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لتقبل منا
ولكن انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعماية وسبعون رجلا
من رؤسهم فلم يهدا الدم فامر بسبعماية غلام من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدا الدم فلما راى بيورزاذان ان الدم
لا يهدا قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا
اترك منكم نافخ نار من ذكر وانثى الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوه وقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا
عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن امور كثيرة فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال بيورزاذان
ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى بيورزاذان انهم صدقوه خر
ساجدا لله وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلى في بني اسرائيل ثم قال
يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فهدا باذن ربك قبل ان لا ابقي من قومك
احدا الا قتلته فهدا باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنو اسرائيل وايقنت انه
لا رب غيره وقال لبني اسرائيل ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى يسيل دماءكم وسط عسكره واني لا استطيع
ان اعصيه قالوا افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم
فذبحوها حتى سال الدم في العسكر فامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم يظن خردوش
الا ما في الخندق من دماء بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره ارسل الى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل
وقد افنى بني اسرائيل او كاد ان يفنيهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله ببني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين

فكانت

فكانت الواقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرة خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك
راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بني اسرائيل كثيرة وكانت لهم الرياسة
ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا واحدثوا فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس
الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فليسوا في امة الا وعليهم
الصغار والجزية وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب
قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوى بنت امراته وقال ابن عباس هوى ابنة
اخيه فسال يحيى ان يزوجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه والبستها
ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فاذا اراودها عن نفسها ابت
عليه حتى يعطيها مسئلتها فاذا اعطاها ما سالته سالت راس يحيى بن زكريا في هذا الطشت فقال ويحك سليني
غير هذا قالت لا اريد غير هذا فلما ابت عليه بعث فاتي براسه حتى وضعت بين يديه والراس يتكلم ويقول لا يحل لك
فلما اصبح اذا دمه يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس وقتل
سبعين الفا حتى سكن دمه قوله عز وجل **عسى ربكم ان يرحمكم** يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم
فيرد الدولة اليكم **وان عدتم** اي الى المعصية **عدنا** اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** اي سجنا
ومحبسا من الحصر وهو محبس الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفرش قوله تعالى **ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم** اي الى الطريق التي هي اصوب وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله
الا الله **ويبشر** يعني القران **المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا**
يعني الجنة **وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما** يعني النار في الاخرة **و
يدع الانسان** اي على نفسه وولده وماله **بالشر** يعني عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك
دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا
يستجيب بفضله وكرمه **وكان الانسان عجولا** اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس
معناه ضجرا لا صبر له على سراء ولا على ضراء قوله عز وجل **وجعلنا الليل والنهار ايتين** اي علامتين
دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي معنى الاية قولان احدهما ان يكون المراد من الايتين نفس الليل والنهار وهو
انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل واحد منهما مضاد للاخر مغاير مع كونهما
متعاقبين على الدوام ففيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان
مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول
الثاني ان يكون المراد وجعلنا الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر **فمحونا اية الليل** اي جعلنا الليل
ممحو الضوء مطموسا لا يستبان فيه شيء **وجعلنا اية النهار مبصرة** اي يبصر فيها الاشياء رؤية بينة
قال ابن عباس رضي الله عنهما نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحى من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها
مع نور الشمس وحكي ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسال
ابن الكوا عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو **لتبتغوا فضلا من ربكم** اي لتتوصلوا ببياض
النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم **ولتعلموا** باختلاف الليل والنهار **عدد السنين**
اي مما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما

لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب فيما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار **وكل شيء فصلناه تفصيلا** يعنى وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم فقد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس قيل انه تعالى لما ذكر احوال ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه اخر انهما نعمتان من الله عز وجل على اهل الدنيا وكل ذلك تفضلا منه لا حجرا عليه ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل **وكل انسان الزمناه طائره في عنقه** قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل المراد بالطائر ما قضى عليه انه عامله وما هو صائر اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعنى الزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اى قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه محل القلائد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان له كالقلادة وان كان شرا كان له كالغل في عنقه وهو مما يشينه ويخرج له يقول الله تعالى **ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا** قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل بهما ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيمة **اقرأ كتابك** اى يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيمة من لم يكن قارئا **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** اى محاسبا قال الحسن لقد عدل اليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى **من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها** يعنى ان ثواب من عمل العمل الصالح مختص بعامله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى **ولا تزر وازرة وزر اخرى** اى لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل **واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها** في معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال الاكثر المفسرين معناه انه امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اى كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اى كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا امرنا ليس للامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة ولذيذ العيش **ففسقوا فيها** اى خرجوا عما امرهم الله تعالى به من الطاعة **فحق عليها القول** اى وجب عليها العذاب **فدمرناها تدميرا** اى اهلكناها اهلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اى الشر قوله تعالى **وكم اهلكنا من القرون** اى المكذبة **من بعد نوح** وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

في اول قرن ويزيد بن معاوية اخره وقيل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون سنة **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا** يعنى انه عالم بجميع المعلومات واى بجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل **من كان يريد العاجلة** اى الدار العاجلة يعنى الدنيا **عجلنا له فيها ما نشاء** اى من البسط والتقتير **لمن نريد** اى نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اى القدر الذى نشاء نعجله له في الدنيا لا الذى يشاء هو لمن نريد ان نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له **ثم جعلنا له جهنم** اى في الاخرة **يصليها** اى يدخلها **مذموما مدحورا** اى مطرودا مبعدا قوله تعالى **ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها** اى عمل لها عملها **وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا** اى مقبولا قيل في الاية ثلاث شرائط في كون السعى مشكورا ارادة الاخرة بعمله ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الثابت الصحيح وعن بعض السلف من لم يكن له عمل ثلاث لم ينفعه عمل ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلى هذه الاية قوله عز وجل **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء** اى نمد كلا الفريقين من يريد الاخرة ومن يريد الدنيا **من عطاء ربك** اى يرزقهما جميعا ثم يختلف الحال بهما في المآل **وما كان عطاء ربك محظورا** اى ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لاحظ للكفار في الاخرة قوله تعالى **انظر** يا محمد **كيف فضلنا بعضهم على بعض** اى في الرزق والعمل يعنى طالب العاجلة وطالب الاخرة **وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا** يعنى ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اعظم واكبر فان نسبة الدنيا في التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان يشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فان تقوى وتشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار المقام قوله عز وجل **لا تجعل مع الله الها اخر** الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى **فتقعد مذموما** اى من غير حمد **مخذولا** اى بغير ناصر قوله عز وجل **وقضى ربك** اى امر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكى الضحاك انه قرأها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا وهي قراءة علي وقراءة ابن مسعود وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين **ان لا تعبدوا الا اياه** فيه تخويف وجوب عبادة الله والمنع عن عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم لا يليق الا لمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره **وبالوالدين احسانا** اى وامر بالوالدين احسانا اى برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما **اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما** معناه انهما يبلغان في حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما واعلم انه تعالى ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله تعالى **فلا تقل لهما اف** وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه تزيله تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة

إلى عند كل مكروه يصل إليهما والثاني قوله تعالى ولا تنهرهما أي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره
وانتهره بمعنى فإن قلت المنع من التأفيف أبلغ من المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما
أف ولا تنهرهما المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من إظهار المخالفة
في القول على سبيل الرد عليهما الثالث من قوله وقل لهما قولا كريما أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه
حسن الأدب معهما وقيل هو يا أبتاه يا أماه وقيل ولا يكنيهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد المذنب للسيد
الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل أي ألن لهما واخفض لهما حتى لا تمتنع
من شيء أحباه من الرحمة أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إليك كما كنت في حال الصغر والضعف
مفتقرا إليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا أي وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته
الباقية وأراد به إذا كانا مسلمين وأما إذا كانا كافرين فإن الدعاء منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله إلى الإسلام
فإذا هداهما الله فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية إن الله تعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحهما بالأمر
بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالإحسان إليهما ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تشوهما
وأن يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما

فصل في الأحاديث التي وردت في بر الوالدين عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق
الناس بحسن صحابتي قال أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر ثم لم يدخل الجنة م
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ق
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال
أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالدين
وسخط الرب في سخط الوالدين أخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة قال فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه أخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح م عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب قال الصلاة
لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم أعلم بما في نفوسكم
أي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير من عقوقهما إن تكونوا صالحين أي أبرارا مطيعين
قاصدين الصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل أو فرطت
منكم في حال الغضب وعند خروج الصدور وما لا يخلو منه البشر بشيء يؤدي إلى أذيتهما ثم أنبتم إلى الله
واستغفرتم مما فرطت منكم فإنه كان للأوابين غفورا يعني للتوابين قال سعيد بن جبير
في هذه الآية هو الرجل يكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب
الأواب الذي يذنب ثم يتوب وعنه أنه الرجاع إلى الخير وقال ابن عباس الأواب الراجع فيما يحزنه وينوبه وعنه أنهم
المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال قوله إذا رمضت
الفصال يريد ارتفاع الضحى وأن تحمي الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة إحراقه أخفافها
والفصال جمع فصيل وهي أولاد الإبل الصغار وقيل الأواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي

ان يقول لهما ولا يسميهما باسمهما

ثم امك ثم

او كليهما

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء يدل عليه قوله تعالى
وآت ذا القربى حقه قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى أن يؤدي أقاربه حقوقهم وقيل
إنه خطاب لكل واحد والمراد أنه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة أن يؤتى حقهم من صلة الرحم
والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل إن كانوا
محاويج وهو موسر لزمه الإنفاق عليهم عند أبي حنيفة رحمه الله وقال الشافعي رحمه الله لا تلزم النفقة
إلا للوالد على ولده أو ولد على والديه بحسب أن يقال وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقدم الكلام على هذا والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا أي لا تنفق مالك في المعصية وقيل
لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا في باطل كان مسرفا مبذرا وسئل ابن
مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال في غير حقه وقيل هو إنفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل إن بعضهم
أنفق نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قوله عز وجل إن المبذرين كانوا إخوان
الشياطين يعني أولياءهم وأصدقاءهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف وقيل أمثالهم
في الشر وهذا غاية المذمة لأنه لا أشر من الشيطان والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم
وكان الشيطان لربه كفورا أي جحودا للنعمة فيما ينبغي أن يطاع لأنه يدعو إلى مثل عمله قوله تعالى
وإما تعرضن عنهم نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الأحايين
ما يحتاجون إليه فلا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وإن تعرض عن
الذين أمرتك أن تؤتيهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فقل
لهم قولا ميسورا أي لينا جميلا وهو أي عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو بأن تقول رزقنا الله وإياكم
من فضله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعا
ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قميصه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ساعة إلى ساعة
يظهر كذا فعد إلينا وقتا آخر فعاد إلى أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال للصلاة فانتظروه
فلم يخرج فاشتغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى
عنقك أي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها أي
بالعطاء كل البسط أي تعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل مع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي
هو بين الإسراف والتقتير فتقعد ملوما أي عند الله لأن السرف غير مرضي عنه وقيل ملوما عند
نفسك وأصحابك يلومونك ويسألونك عن الإمساك إذا لم تعطهم محسورا أي منقطعا لا شيء عندك
تنفقه وقيل محسورا أي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يرهقه
من الإضافة بأن ذلك ليس هوانا بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى إن ربك يبسط أي يوسع
الرزق لمن يشاء ويقدر أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد إنه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعني أنه تعالى عالم بأحوال عباده وما يصلحهم والتفاوت في أرزاق العالم ليس لأجل البخل بل رعاية مصالح
العباد قوله عز وجل ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أي فاقة وفقر نحن نرزقهم وإياكم
وذلك أن الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافوا عليهم من النهب والغارات وأن
ينكحوهن غير أكفاء لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم

وإياكم يعني أن الأرزاق بيد الله فكما أنه فتح أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء إن قتلهم كان
خطأ كبيرا أي إثما كبيرا ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة أي قبيحة زائدة على حد القبح وساء
سبيلا أي بئس طريقا طريقه وهو أن تغصب امرأة غيرك أو ابنته أو أخته من غير مسبب والسبب ممكن وهو
الضمير الذي شرعه الله تعالى وقيل إن الزنا يشتمل على أنواع من الفساد منها المعصية وإيجاب الحد على نفسه
ومنها اختلاط الأنساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد بتربيته وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع
وذلك يوجب خراب العالم وهو قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق الأصل في القتل
هو الحرمة المغلظة وحل القتل إنما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الأصل ثم استثنى
الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الأسباب العرضية فقال إلا بالحق أي بإحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى
ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجه في الصحيحين ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا أي قوة وولاية على القاتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استقاد
منه وإن شاء أخذ منه الدية وإن شاء عفى عنه فلا يسرف في القتل إنما تولى قال ابن عباس
لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف
منه وقيل معناه إذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية
إذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلون معه جماعة من أقربائه وقيل معناه
أنه لا يمثل بالقاتل إنه كان منصورا قيل الضمير راجع للمقتول ظلما يعني أنه منصور في الدنيا بإيجاب
القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع إلى ولي المقتول
معناه إنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية في قوله فلا يسرف في القتل
أراد به القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولي القتيل منصور من قبل عليه باستيفاء
القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي بالطريقة التي هي
أحسن وهي تنميته وحفظه عليه حتى يبلغ أشده هو بلوغ النكاح والمراد بلوغ الأشد
كمال العقل ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح حاله فلو بلغ غير كامل العقل لم ينفك عنه الحجر وأوفوا بالعهد
أي الإتيان بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على
نفسه إن العهد كان مسؤولا أي عنه وقيل مطلوبا وقيل العهد يسأل عن صاحبه فيقال فيما نقضت
العهد كالموؤدة فيما قتلت قوله تعالى وأوفوا الكيل إذا كلتم أراد منه تمام الكيل وزنوا بالقسطاس
المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من ميزان الدراهم إلى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان
وقيل هو رومي بالرومي والأصح أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم وذلك أن
التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز
عنه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء فالشارع بالغ في منع
التطفيف والنقصان سعيا في إبقاء الأموال ذلك خير وأحسن تأويلا أي أحسن عاقبة من آل إذا
رجع وهو مما يؤول إليه أمره قوله عز وجل ولا تقف أي لا تتبع ما ليس لك به علم أي ولا
تتبع ما ليس لك به علم أي لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقيل معناه لا ترم
أحدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور يتبعها

ويتبعها ويتعرفها وحقيقته أنه لا يتكلم في أحد بالظن إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
كان عنه مسؤولا معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا
ترجع الإشارة إلى أولئك الأعضاء وعلى القول الأول يرجع إلى أربابها عن سهل بن حميد قال أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني تعويذا أتعوذ به قال فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري
ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب
وقوله ومن شر منيي يعني ماءه وذكره قوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا أي بطرا وكبرا وخيلاء إنك لن تخرق
الأرض أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ولن تبلغ الجبال طولا أي لا تقدر أن تطاول الجبال
وتساويها بكبرك والمعنى أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئا كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال
لا يحصل على شيء وقيل إن الذي يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدره وقدمه فقيل له إنك لن تنقب
الأرض إذ مشيت على صدرك وقدميك عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما
ينحط من صبب أخرجه الترمذي في الشمائل قوله تكفأ التكفؤ التمايل في المشي إلى قدام وقوله كأنما ينحط
من صبب هو قريب من التكفؤ أي كأنه ينحدر من موضع عال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئا أحسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع من مشية رسول الله
صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث أخرجه الترمذي قوله لغير
مكترث أي شاق والاكتراث الأمر الذي يشق على الإنسان كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
أي ما ذكر من الأمور التي نهى الله عنها فيما تقدم فإن قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروها قلت قيل
فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة عند ربك ومكروها وقيل إنه يرجع إلى المعنى دون
اللفظ إن السيئة الذنب وهو مذكور قوله تعالى ذلك إشارة فيما تقدم من الأوامر والنواهي في
هذه الآيات قوله تعالى مما أوحى إليك ربك من الحكمة أي من الأحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع
واجبة الرعاية في جميع الأديان والملل لا تقبل النسخ والإبطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل
إن حاصل هذه الآيات يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة
وذلك من الحكمة وقيل إن هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله قال الله
تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة واعلم أن الله تعالى افتتح هذه الآيات بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك
وختمها به والمقصود منه التنبيه على أن كل قول وعمل يجب أن يكون فيه التوحيد لأنه رأس كل حكمة وملاكها
ومن عدمه لم ينفعه شيء ثم إنه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الشرك يوجب كون صاحبه مذموما مخذولا
وقال في هذه الآية ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين المذموم
والملوم أما كونه مذموما فمعناه أن الفعل الذي يذم عليه قبيح ومنكر فهو مذموم يقال له فعلت هذا الفعل
القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم والفرق بين المخذول والمدحور هو المبعود المطرود عن كل خير
قوله عز وجل أفأصفاكم ربكم يعني أخصكم ربكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة
بالبنين يعني اختصكم بأفضل الأولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة إناثا لأنهم كانوا يقولون الملائكة
بنات الله مع علمهم بأن الله هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا الدليل على نهاية جهل القائلين بهذا القول
إنكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني بإضافتهم إليه بالأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم إنهم
يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن

أن المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له صح

يعني العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والأعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا أي ليتعظوا ويتدبروا وما يزيدهم أي تصريفنا وتذكيرنا إلا نفورا أي تباعدا عن الحق قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا أي لطلبوا هؤلاء الآلهة إلى ذي العرش سبيلا أي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتعرفوا إليه وقيل معناه لعرفوا لله فضله وابتغوا ما يقربهم إليه والأول أصح تقريره بنفسه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يعني وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد مما يصفونه به قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن يعني الملائكة والإنس والجن وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال ابن عباس وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والناميات وقيل إن الشجرة تسبح وقيل التراب يسبح ما لم يبتل فإذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فإذا رفعت تركت التسبيح وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح وإن الماء يسبح ما دام جاريا فإذا ركد ترك التسبيح وإن الثوب يسبح ما دام جديدا فإذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت وإذا سكتت تركت التسبيح وقيل وإن من شيء جماد أو حي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل يسبح كل الأشياء تسبح الله تعالى حيوانا كان أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا وقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخاري (خ) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ليالي بعثت وإني لأعرفه الآن (خ) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء ففي هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والأرض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الأول أصح لما دلت عليه الأحاديث وأنه منقول عن السلف واعلم أن الله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يكل علمه إليه وقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تعلمون ولا تفقهون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغاتكم ولسانكم إنه كان حليما غفورا أي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا أي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل حجابا مستورا عن أعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير أنه قال لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر أين صاحبك ولقد بلغني أنه هجاني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأتك يا رسول الله قال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم أكنة أي أغطية أن يفقهوه أي لئلا يفقهوه وفي آذانهم وقرا أي ثقلا لئلا يسمعوه وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده يعني إذا قلت لا إله إلا الله ولوا على أدبارهم نفورا جمع نافر نحن أعلم بما يستمعون به أي من الهزء بك والتكذيب أي نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب به إذ يستمعون إليك أي وأنت تقرأ القرآن وإذ هم نجوى أي وبما يتناجون به من أمرك وقيل معناه ذو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم

يقول هو ساحر وبعضهم يقول هو كاهن أو شاعر إذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه إنه سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة ومعناه إنه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر. أرانا موضعين لحتم غيب . ونسحر بالطعام وبالشراب . أي نغذى انظر كيف ضربوا لك الأمثال أي الأشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا أي في جميع ذلك وجاروا فلا يستطيعون سبيلا أي إلى طريق الحق وقالوا أئذا كنا أي بعد الموت عظاما ورفاتا أي ترابا وقيل الرفات الأجزاء المتفتتة من كل شيء تكسر أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فيه أنهم استبعدوا الإعادة بعد الموت والنشء فقال الله تعالى ردا عليهم قل أي قل لهم يا محمد كونوا حجارة يعني في الشدة أو حديدا يعني في القوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة أو خلقا مما يكبر في صدوركم قيل يعني في السماء والأرض والجبال بأنهم أعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لأنه لا شيء في نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم فسيقولون من يعيدنا أي من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة فمن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة فسينغضون إليك رؤوسهم أي يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو يعني البعث والقيمة قل عسى أن يكون قريبا أي هو قريب يوم يدعوكم أي من قبوركم إلى موقف القيمة فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حتى لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين وتظنون إن لبثتم أي في الدنيا وقيل في القبور إلا قليلا وذلك أن الإنسان لو مكث في الدنيا وفي القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيمة والخلود في الآخرة وقيل إنهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيمة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن ولا يكافؤهم على سفههم بل يقول لهم يهديكم الله تعالى وكان هذا قبل الإذن بالقتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الأحسن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله إن الشيطان ينزغ بينهم أي يفسد ويلقي العداوة إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا أي ظاهر العداوة قوله عز وجل ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أي يوفقكم للإيمان فتؤمنوا أو إن يشأ يعذبكم أي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة وإن يشأ يعذبكم أي يسلطهم عليكم وما أرسلناك عليهم وكيلا أي حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال وربك أعلم بمن في السموات والأرض يعني أن علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذوات الأرضين والسموات يعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه إنه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم ومللهم وأديانهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وذلك أنه اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبورا وذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا وهو كتاب أنزله تعالى على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله وتحميد وتمجيد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام فإن قلت لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون الأنبياء قلت فيه وجوه أحدها أن الله ذكر أنه فضل بعض النبيين ثم قال وآتينا داود زبورا وذلك أن داود عليه السلام

أعطي مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتيه من الكتاب تنبيهاً على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به
العلم لا الملك والمال الوجه الثاني أن الله كتب له في الزبور أن محمداً خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم فلهذا خصه
بالذكر الوجه الثالث أن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فكذبهم الله تعالى بقوله وآتينا
داود زبوراً ومعنى الآية أنهم لم ينكروا فضل النبيين فكيف تنكروا فضل محمد صلى الله عليه وسلم وإعطائه
القرآن وأنه آتى موسى التورية وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أن يفضل محمداً صلى الله عليه وسلم على
جميع ذلك وعلى جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من نفى تفضيل الأنبياء عليهم السلام
قوله عز وجل **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه** وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب
والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة
من دونه **فلا يملكون كشف الضر عنكم** أي الجوع والقحط **ولا تحويلا** يعني إلى غيركم أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر
ومقصود الآية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد المقربين
إليه وهم الملائكة ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة وقد اشتغلوا بعبادته واحتج
على بطلان قولهم بهذه الآية وبين عجز آلهتهم قال تعالى **أولئك الذين يدعون** يعني الذين يدعونهم المشركين
آلهة **يبتغون إلى ربهم الوسيلة** أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وأمه والعزير والملائكة و
الشمس والقمر والنجوم وقال ابن مسعود نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك
الجن ولم يعلم الإنس ذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية وقوله تعالى **أيهم أقرب** ينظرون
أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله ويتقرب إليه بالعمل الصالح وازدياد الخير
والطاعة **ويرجون رحمته** أي جنته **ويخافون عذابه** وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله
فكيف يزعمون أنها آلهة **إن عذاب ربك كان محذوراً** أي كان حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب
ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم من الخلائق قوله تعالى **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها** أي بالموت والخراب
قبل يوم القيمة أو معذبوها أي بالقتل وأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقيل الإهلاك في حق المؤمنين
هي الإماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها
عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً أي في اللوح أي مكتوباً مثبتاً عن عبادة بن الصامت رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما أكتب قال
اكتب القدر ما هو كائن إلى يوم القيمة إلى الأبد قوله عز وجل **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون** قال ابن عباس رضي الله عنهما سأل أهل مكة أن يجعل لهم الصفا ذهباً وفضة وأن ينحي الجبال
عنهم ليزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله إن شئت أن تستأني بهم لفعلت وإن شئت أن أوتيهم ما قالوا فعلت فإن لم
يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستأني بهم فأنزل الله وما منعنا
أن نرسل بالآيات أي التي سألها قومك إلا أن كذب بها الأولون فأهلكناهم فإن لم يؤمنوا قومك بعد إرسال الآيات
ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة إلى يوم القيمة ثم ذكر تلك الآيات
التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** أي بينة
وذلك لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم **فظلموا بها** أي جحدوا بها
أنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة قوله تعالى **وما نرسل بالآيات** المقترحة
إلا تخويفاً من نزول العذاب فإن لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات ويعني إلا تخويفاً

أي إنذاراً بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإنه يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يرجعون قوله **وإذ قلنا لك** أي واذكر
يا محمد إذ قلنا لك **إن ربك أحاط بالناس** أي أن قدرته أحاطت بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج
من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدرته وهو حافظك ومانعك منهم
فلا تهبهم وامض لما أمرتك به من التبليغ للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك **وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك إلا فتنة للناس** قال الأكثرون من المفسرين على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
من الآيات والعجائب قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي
ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وغيرهم
من العرب يقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر بعضهم بذلك وكذبوا فكانت
فتنة للناس وازداد المخلصون إيماناً وقال قوم أسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم له معراجان معراج رؤية
عين في اليقظة ومعراج رؤية منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل
مكة هو وأصحابه فعجل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام
بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخلها في العام المقبل وأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ولد الحكم ابن أمية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه
ذلك فإن اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه
لا إشكال فيه فإنه لا يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان حقيقة بالمدينة **والشجرة
الملعونة في القرآن** يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام ملعون
والفتنة فيها أن أبا جهل قال ابن أبي أمية يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه
تنبت شجراً وتعلمون أن النار تحرق الأشجار وقيل إن عبد الله ابن الزبعرى قال إن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف
الزقوم إلا التمر والزبد وقال أبو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فإن هذا ما
يخوفكم به محمد فأنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار إنا جعلناها فتنة للظالمين الآيات فإن قلت
أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حين لعن الكفار الذين يأكلونها لأن الشجرة لا ذنب لها تلعن
لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي الأصل في جهنم في أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه إن الشجرة
الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجرة والشوك فيجففه **ونخوفهم فما يزيدهم** أي التخويف
إلا طغياناً كبيراً أي تمرداً وعلواً عظيماً قوله تعالى **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً** أي من طين وذلك أن آدم خلق من تراب الأرض من عذبها وملحها
فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي **قال** يعني إبليس **أرأيتك** الكاف للمخاطب
والمعنى أخبرني **هذا الذي كرمت علي** أي فضلته علي **لئن أخرتني** أي أمهلتني **إلى يوم القيمة لأحتنكن
ذريته** أي لأستأصلنهم بالإضلال وقيل معناه لأقودنهم كيف شئت وقيل معناه لأستولين عليهم بالإغواء
إلا قليلاً يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله
تعالى **قال اذهب** أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء **فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم**
يعني جزاءك وجزاء أتباعك **جزاء موفوراً** أي مكملاً قوله تعالى **واستفزز** أي استخف واستزل
واستجهل وأزعج عنهما معناه بدعائك إلى معصية الله وهو كل داع إلى معصية فهو من جند إبليس وقيل أراد بصوتك
الغناء والمزامير واللهو واللعب **من استطعت منهم بصوتك** أي اجمع مكايدك وحيلك واجلب

على الاغواء وقيل استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل او مشى في معصية فهو من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك

واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال

فكل ما اصيب من حرام وانفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم ويحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها الموؤدة وقيل اولاد الزنى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا هو تسميتهم اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد من ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امرأته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن **وعدهم** اي منهم الجميل في طاعتك وقل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعى الى المعصية فلا بد ان لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حيوة بعد هذه الحيوة فيقرر هذا عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حيوة للانسان في الدنيا الا به فهذا دليل طريق الدعوة الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعة وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب ولا فائدة فيها وقيل معنى وعدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على الاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر وان الله تعالى قال ان الله لا يأمر بالفحشاء قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك كقوله تعالى **وما يعدهم الشيطان الا غرورا** اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب فيه انه انما يدعوه الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة الله تعالى ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعوا اليها خيالية لا حقيقة لها ولا يحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفات كانت الرغبة فيها غرورا **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان** يعني عباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوائهم **وكفى بربك وكيلا** اي حافظا والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا اي فالله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسته ويعصمهم من اهوائه واستيلائه وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال مسلط قال لا استطيعه الا بك فزدني قال واستفزز من استطعت الاية فقال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة مفروضة ما دام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبياء وانزلت كتبا فما قرائي قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال اين مطعمي قال ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق قال وما حبائلي قال النساء قال وما اذاني قال المزمار وقوله تعالى **ربكم الذي يزجي** اي يسوق ويجري **لكم الفلك** اي السفن **في البحر لتبتغوا من فضله** اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها **انه كان بكم رحيما** اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها

عليكم **واذا مسكم الضر في البحر** اي الشدة وخوف الغرق في البحر **ضل من تدعون** اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون في حوادثكم من الاصنام وغيرها **الا اياه** اي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه القادر على نجاتكم واعانتكم **فلما نجيكم** اي اجاب دعاءكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم **الى البر اعرضتم** اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى **وكان الانسان كفورا** اي جحودا قوله تعالى **افامنتم** اي بعد انجائكم **ان يخسف بكم جانب البر** اي نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كان او بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الماء **او نرسل عليكم حاصبا** اي نمطر حجارة من السماء كما امطرها على قوم لوط **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** اي مانعا وناصرا **ام امنتم ان نعيدكم فيه** اي في البحر **تارة اخرى** اي مرة اخرى **فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم بما كفرتم** قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي التي تقصف كل شيء من شجرة وغيرها فنغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا لكم احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه ان يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى **ولقد كرمنا بني آدم** قال ابن عباس رضي الله عنه ومعناه انهم يأكلون بالايدي وغير الادمي يأكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحاء والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على كل ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير امة اخرجت للناس **وحملناهم في البر** اي على الابل والخيل والبغال والحمير **والبحر** اي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم لان الله تعالى سخر لهم هذه الاشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم **ورزقناهم من الطيبات** يعني لذائذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والسمن والحلو واصل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب السمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الانسان **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** فاعلم ان الله تعالى قال في اول الاية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم فلا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل والاقرب ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوانات بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم واكتساب العقائد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة مثل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل لقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة قال الله تعالى ردا عليهم لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل من التفضيل وهو الاول الراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة افضل من عوام البشر من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن افضل واكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده قوله تعالى

يوم ندعوا كل أناس بإمامهم أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي نزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إما إلى هدى وإما إلى ضلالة وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم
في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بأمهاتهم جمع أم يعني بأمهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى وإظهار شرف
الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم
فإن قلت لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرؤنه أيضا قلت الفرق أن أصحاب
الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا
يقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا
على الحسنات والطاعات فيقرؤنه أحسن قراءة وأبينها ولا يظلمون فتيلا أي ولا ينقصون
من أدنى شيء ومن كان في هذه أعمى المراد بأعمى القلب والبصيرة والمعنى أن يعني في الدنيا أعمى أي عن هذه
النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة فهو في الآخرة أعمى أي التي لم تعاين ولم تر أعمى وأضل
سبيلا قال ابن عباس قيل معناه من في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو
في الآخرة أعمى وأشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة
أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته قوله عز وجل وإن كادوا ليفتنونك عن الذي
أوحينا إليك قيل سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا لا
ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدثت نفسه ما علي أن أفعل ذلك والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعوني أستلم
الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدثت نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس
قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هي قالوا لا
نجبي في الصلوة أي لا ننحني في الصلوة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم
وأما الطاغية يعني اللات والعزى فإني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا
ما لم تعط غيرنا فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم وطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله وإن كادوا أي وهموا ليفتنونك أي ليصرفونك عن الذي
أوحينا إليك لتفتري أي لتختلق علينا غيره أي ما لم نقله وإذا أي لو فعلت ما دعوك إليه
لاتخذوك خليلا أي والوك وصافوك ولولا أن ثبتناك أي على الحق بعصمتنا لقد كدت تركن أي تميل
إليهم شيئا قليلا أي قليلا من الفعل فإن قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب
ما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفى الله عن حديث النفس وكان بعد ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبته الله
فلم يركن إليهم إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات أي لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا أي ناصرا يمنعك من عذابنا
قوله عز وجل وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها قيل هذه الآية مدنية وذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه
بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء بالشام وهي الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبيا
مثلهم فأت الشام وإنما يمنعك الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت نبيه فعسكر النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم من المدينة وفي رواية إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه فيخرج فأنزل الله هذه الآية
والأرض ههنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة وهم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمرهم بالخروج
للهجرة فخرج بنفسه وهذا هو أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون
كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما
أملوه والاستفزاز الإزعاج وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا أي لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا
حتى يهلكوا قوله تعالى سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين
أظهرهم فسنة الله أن لا يهلكهم وأن لا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم
ولا تجد لسنتنا تحويلا أي تبديلا قوله عز وجل أقم الصلوة لدلوك الشمس روي عن ابن مسعود
أنه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال
الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر المفسرين والتابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك
الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به وإذا حملناه عليه
كانت الآية جامعة لمواقيت الصلوة كلها فدلوك الشمس يتناول صلوة الظهر والعصر إلى غسق الليل
أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشاء وقرآن الفجر يعني صلاة الفجر
يعني الصلوة قرآنا لأنها لا تجوز إلا بقرآن إن قرآن الفجر كان مشهودا أي يشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلوة الجمع على صلوة أحدكم
وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلوة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن
شئتم إن قرآن الفجر كان مشهودا وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على
أن الصلوة في أول الوقت أفضل من التنوير لأن الإنسان إذا شرع فيها في الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية
فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدت الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر
الضوء حضرت ملائكة النهار أما إذا ابتدأ بهذه الصلوة في وقت الإسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة
الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت أن قوله كان مشهودا دليل على أن الصلوة في أول وقتها أفضل
قوله تعالى ومن الليل فتهجد به أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والمراد
من الآية قيام الليل للصلوة وكانت صلوة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأمة في الابتداء لقوله تعالى
يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ثم نزل التخفيف فكان الوجوب منسوخا في حق الأمة في الصلوات الخمس
وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث هن فريضة علي وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل إن الوجوب صار منسوخا
في حقه كما في حق الأمة فصار قيام الليل نافلة لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فإن قلت
ما معنى التخصيص إذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص
أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت
له نافلة وزيادة في رفع الدرجات فصل في الأحاديث الواردة في قيام الليل عن المغيرة بن شعبة
قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهني أنه قال لأرمقن صلوة النبي صلى الله عليه وسلم
الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين

والآية مكية

كان في هذه صح

طويلتين طويلتين صح

دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابي داود ق
عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن انه سئل عايشة كيف كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما
كان يزيد في رمضان ولا في غيره اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلوة العشاء احدى عشرة ركعة يسلم في كل
ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقراء احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن
من صلوة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة
خ عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلوته بركعتين خفيفتين عن عوف
ابن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف
وسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت
والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا آل عمران ثم قرا سورة النساء
اخرجه ابو داود والنسائي عن عايشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن
ليلة اخرجه الترمذي ق عن الاسود قال سألت عايشة رضي الله عنها كيف كان صلوة النبي صلى الله عليه
وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ولا نشاء ان نريه نايما الا رايناه اخرجه النسائي زاد في رواية غيره
قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول ما يصوم من الشهر شيئا وقوله عز وجل
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قيل اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك ان لفظة عسى
تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم احرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما اطمعه
فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون ق عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعتي لامتي
فهي نايلة منكم ان شاء الله تعالى من مات ولا يشرك بالله شيئا ق عن عبد الله ابن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فمن صلى علي صلوة
صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي م عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت عليه شفاعتي يوم القيمة ق عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يجمع الله الخلايق يوم القيمة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد
لك ملايكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر
خطيئته التي اصاب فيستحي من ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم خليل الله الذي اتخذه خليلا فياتون ابراهيم فيقول
لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي من ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التورية قال فياتون
موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيقول لست
هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فياذن لي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد

ارفع

ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع قال فارفع راسي واحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد
لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القرآن اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا
المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة او شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه
من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال يزيد بن زريع
في حديث شعبة ذرة من ايمان مكان خير وفي رواية سعيد بن هلال عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار
فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه
فلم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثتكم ثم قال ثم اعود في الرابعة واحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال
لا اله الا الله قال ليس لك ذلك او قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله
وهو جميع اي مجتمع الرأي والذهن عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة
ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون آدم فيقولون انت ابونا فاشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا
عظيما فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن ائتوا ابراهيم
فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله ولكن
ائتوا موسى فياتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيقول اني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم قال فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فآخذ الحلقة بباب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا
فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع وقل يسمع لقولك
وهو المقام المحمود الذي قال عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فآخذ
بحلقة باب الجنة فاقعقعها اخرجه الترمذي فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا قوله
ما حل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه السلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الالفاظ
التي صدرت عنه وقوله فاقعقعها اي فاحركها حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترسة وغيرهما
مما له صوت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم على الله ولا فخر اخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي
وانا مستشفعهم اذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي الف خادم كانهن بيض مكنون او لؤلؤ منثور
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع رواه الترمذي قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش فليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال ان الشمس تدنو يوم
القيمة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع
ليقضي بين الخلايق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب يومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم عن زيد

فاخر ساجدا فيلهمني الله الثناء والحمد الترمذي صح

ابن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله جالس إلى سارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثونا والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فما الذي يقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ ما قبله إنه في الكفار ثم قال فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبعثه فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة قال فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد كما قال والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي قوله عز وجل **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فإن ذا الوجهين عند الله لا يكون أمينا **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** أي حجة بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له وأجاب دعاءه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس قال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض قوله تعالى **وقل جاء الحق** يعني الإسلام والقرآن **وزهق الباطل** أي الشرك والشيطان **إن الباطل كان زهوقا** أي كان مضمحلا غير ثابت وذلك أن الباطل وإن كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الزوال م عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قوله عز وجل **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** من في قوله لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا القرآن الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة وذلك لأنها تنقسم على نوعين أحدهما الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وإبطال المذاهب الباطلة لا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني فالقرآن مشتمل على التنفير منها والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة وثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من

يوم الفتح

الباطلة والثاني الأخلاق المذمومة أما الاعتقادات فأشدها فساد الاعتقادات

الأمراض

الأمراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك أنها رقية ورحمة للمؤمنين لما كان القرآن شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين **ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارة للظالم وقيل لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارتهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا قوله عز وجل **وإذا أنعمنا على الإنسان** أي بالصحة والسعة **أعرض** أي عن ذكرنا ودعائنا **ونأى بجانبه** أي تباعد منا بنفسه وترك التقرب إلينا بالدعاء وقيل معناه تكبر وتعظم **وإذا مسه الشر** أي الشدة والضر **كان يؤوسا** أي آيسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضراء والشدة فإذا تأخرت الإجابة يئس فلا ينبغي للمؤمن أنه يدع الدعاء ولو تأخرت الإجابة قوله عز وجل **قل كل** أي كل أحد **يعمل على شاكلته** قال ابن عباس رضي الله عنه على ناحيته وقيل الشاكلة الطريقة التي يحمل عليها وفيه وجه آخر وفيه أن كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه فإن كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة ردية **فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** أي أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق قوله تعالى **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ق عن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه وفي رواية فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام حتى صعد الوحي وقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية ما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قراءتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس إن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا من اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فسألوهم عنه فقالوا سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان شأنهم فإنه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر يوما وخمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح قل الروح من أمر ربي واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه وفي كل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة وناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير خلق الله لم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرض ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يوم القيمة على يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم القيمة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ولولا أنه بينه وبين الملائكة سترا

من نوره لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران لانه سماه الله تعالى روحا ولان به حيوة القلوب وقيل
هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان وهو اصح الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم
الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو
عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء الا
ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل واقاويل الحكماء
والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها والاولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول
اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى قل الروح من امر ربي
اى علم ربي الذي استاثر به وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى في جنب علم ربي عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب
لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التورية وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله تعالى وقيل
ان القلة والكثرة مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان
ترك الاخبار به كان علما لنبوته والقول الاصح ان الله استاثر بعلم الروح قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه
من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
معناه بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك معناه
الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هذا المستثنى منقطع معناه لكن رحمة ربك تركته غير مذهوب
به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا فان قلت كيف يذهب بالقران وهو كلام الله تعالى قلت المراد
منه محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم
الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليهم ليلا فيرفع ما في
صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون فيما في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرجع القران من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب
ما لك فيقول اتلى ولا يعمل بي ان فضله كان عليك كبيرا اى بسبب بقاء العلم والقران عليك وجعلك
سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله اى لا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا اى عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقران معجز في النظم
والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق وهو غير مخلوق
ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل اى رددنا وكررنا
من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبرة والاحكام والوعد والوعيد والقصص
وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا يعني جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك اى لن نصدقك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه معجزات اخر وبينات ولزمتهم الحجة
وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر وابا البختري بن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود
والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها
ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى

بدون ان مع الاضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة صح

باد بو

تعذروا

تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن
ان قد بدا لهم في امره بدو وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنعذر فيك وانا
والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت
الالهة وفرقت الجماعة وما من قبيح الا وجئت به بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك
من انواع اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك
علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا نستطيع رده بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى نبريك
منه ونعذر فيك وكانوا يسمون الرئي التابع من الجن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون
ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل
علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من
الدنيا والاخرة وان تردوا علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل
منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل ربك الذي بعثك
فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا الانهار كانهار الشام والعراق
وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن معهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول احق هو ام
باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به
فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا ان لم تفعل هذا فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك
واسئله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ما نريك فانك تقوم بالاسواق
وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت لهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فقالوا فاسقط السماء كما زعمت
علينا ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله و
الملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن
عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك امورا لانفسهم
يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اؤمن
بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة
يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اهله حزينا لما راى من مباعدتهم فانزل الله تعالى او تكون لك جنة من نخيل وعنب يعني ارض مكة
فتفجر الانهار اى عيونا وبساتين فيها نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اى تشقيقا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قال ابن عباس كفيلا اى يكفلون
ما تقول وقيل هم جميع القبيلة اى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة
عيانا او يكون لك بيت من زخرف اى من ذهب واصله الزينة او ترقى اى تصعد في السماء
ولن نؤمن لرقيك يعني لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اى امرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله
ابن ابي امية قل اى يا محمد سبحان ربي امر بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب هل كنت الا بشرا رسولا
قيل اى كساير الرسل للامم وان كان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله من الايات فليس امر الايات اليهم
انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما يقترحه البشر وما انا الا بشر
وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم ان الله تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات والايات ما يغني

عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وما اشبهها من الايات وليست
بدون ما يقترحون بل هو اعظم مما اقترحوه والقوم كانوا كلهم متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل
ليرضوا فرد الله عليهم سؤالهم بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي الوحي والمعنى
وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان
يرسل الله البشر وهو قوله الا ان قالوا اي جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا وذلك ان الكفار كانوا يقولون
لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا فاجابهم الله بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
اي مستوطنين مقيمين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي من جنسهم لان الجنس الى الجنس
اميل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي على اني رسوله اليكم واني قد بلغت ما ارسلت به اليكم
وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده يعني المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا اي عالما باحوالهم
فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يكونوا مؤمنين ومن سبق منهم له حكم الله بالضلال والجهل
استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم ق عن انس ان رجلا قال يا رسول الله
قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امشاه
على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة ثلاث اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم
قيل يا رسول الله قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم
كل حدب وشوك اخرجه الترمذي الحدب ما ارتفع من الارض عميا وبكما وصما اي لا يبصرون ولا ينطقون
ولا يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا
هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع قلت فيه اوجه قال ابن عباس
يعني عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون
على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها
ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون مأواهم جهنم كلما خبت
اي سكن لهبها وقيل ضعفت وهدت من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم
وقيل معناه ارادت ان تخبو قوله زدناهم سعيرا اي وقودا وقيل المراد من خبت اي نضجت جلودهم
واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه ويزيد في سعير النار لتحرقهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا
لما ذكروا الوعيد المفسر قال ذلك جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله ورد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض
اي في عظمها وشدتها قادر على ان يخلق مثلهم اي في صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا اي وقتا
لعذابهم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه يأتيهم قيل الموت وقيل يوم القيمة فابى الظالمون الا كفورا
اي جحودا وعنادا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير
متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اي لبخلتم وحبستم
خشية الانفاق اي خشية الانفاق والفقر والنفاد وهذه مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح
وكان الانسان قتورا اي ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم

فكيف

فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لا بد ان يحب ما يدفع به ضرر الحاجة
ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجية مثل ان يحب المدحة او رجاء ثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان
البخل قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اي دلالات واضحات قال ابن عباس العصى واليد
البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل
عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص وقيل كان الرجل
منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرا وروي ان عمر بن عبد العزيز
سأل محمد بن كعب القرظي عن الايات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج
ذلك الجراب فاخرج فاذا فيه بيض مكسر بنصفين وجوز مكسر وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع
آيات هي آيات الكتاب وهي الاحكام يدل عليه ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال
حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمع لصار له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن هذه الاية
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا
ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنات ولا
تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبي قال فما منعكم
ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك تقتلنا اليهود فسئل
يا محمد بني اسرائيل يجوز الخطاب معهم والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم
مع قومهم اذ جاءهم يعني موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اي مسحورا وقيل معناه ساحرا فعطى علم السحر فهذه العجائب
التي تفعلها من سحرك قال لقد علمت خطابا لفرعون قال ابن عباس رضي الله عنه علمه فرعون ولكنه عاند
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض يعني الايات التسعة بصائر اي بينات يبصر بها واني لاظنك
يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم من الارض
معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اي اغرقنا
فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اي من بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل
اسكنوا الارض يعني ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الاخرة يعني القيمة جئنا بكم لفيفا اي جميعا
الى موقف القيمة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر
وقيل اراد بوعد الاخرة نزول عيسى من السماء قوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني
انا ما اردنا انزال القرآن الا بالحق المقتضي لانزاله وما انزل الا متلبسا بالحق باشتماله على الهداية الى كل خير
وما ارسلناك الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل
وقرآنا فرقناه اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه انزلناه نجوما لم ينزل
مرة واحدة بدليل قوله تعالى لتقرأه على الناس على مكث اي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه
تنزيلا اي بحسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله
قيل هم مؤمنو اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسلموا من بعد
مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني القرآن يخرون
للاذقان قال ابن عباس يريد به الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا ويقولون سبحان ربنا

أي تعظيما لربنا لا يجاوز وما وعدنا في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إن كان وعد ربنا لمفعولا أي كائنا واقعا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا أي خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي في منخري مسلم أبدا الوح الحول والمنخر الأنف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي قوله عز وجل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه أنهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم أو بهذا الاسم أيا ما تدعوا ما صلة ومعناه أي هذين الاسمين سميتم أو ذكرتم أو من جميع أسمائه فله الأسماء الحسنى يعني إذا حسنت أسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى لأنها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها نزلت في الدعاء وقيل كان أعرابي من بني تميم إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع بصوتك في قراءتك وبدعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت والسكون وابتغ أي اطلب بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا بين الجهر والإخفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال إني أسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت ترفع صوتك فقال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحمده على وحدانيته إذ من له ولد فهو يمسك على جميع النعم لولده وإن لم يكن له ولد فاض نعمه على عبيده وقيل إن الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله تعالى يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع المحامد ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله تعالى ولم يكن له ولي من الذل ومعناه أنه لم يذل فيحتاج إلى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا أي وعظمه عن أن يكون له ولدا وشريك أو ولي أو نصير وقيل إذا كان منزها عن الشريك والولد والولي كان مستوجبا لجميع أنواع المحامد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية

قوله عز وجل الحمد لله الذي أنزل على عبده أثنى الله على نفسه بإنعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم الكتاب ولم يجعل له عوجا أي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا روي عن ابن عباس في قوله قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما أي مستقيما وقال ابن عباس رضي الله عنهما قرآنا عربيا قيما أي عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرائعها لينذر بأسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا بأسا وهو قوله بعذاب بئيس من لدنه أي من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا يعني في الجنة أي مقيمين فيه وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه وقد يكون للجهل في نفسه محال ~~فكيف قيل ما لهم به من علم قلت~~ لا يستقيم تعلق العلم به ولا لآبائهم أي ولا لأسلافهم من قبل كبرت أي عظمت كلمة تخرج من أفواههم أي هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقولهم وفكرهم ألبتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد إن يقولون إلا كذبا أي ما يقولون إلا كذبا قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذي لا يطابق عليه المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيد باطل لأن الله وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذبا مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا أن كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب قوله تعالى فلعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك على آثارهم أي من بعدهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا يعني القرآن أسفا أي حزنا وقيل غيظا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والأنهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها فإن قلت أي زينة في العقارب قلت زينتها أنها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن نبلوه يجب أن لا يدخل فيه ومعنى لنبلوهم نختبرهم أيهم أحسن عملا أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها وإنا لجاعلون ما عليها أي من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله تعالى أم حسبت أي ظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من الرصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب الأحبار وهو اسم للقرية التي خرج

منها اصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه اصحاب الكهف ثم ذكر قصة اصحاب الكهف فقال عز من قايل اذ اوى الفتية
الى الكهف اى صاروا اليه وجعلوه ماويهم والفتية جمع فتى وهو الطرى من الشبان فقالوا ربنا اتنا من لدنك
رحمة اى رحمة من خزاين رحمتك وجلايل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والامن والنصر على الاعداء
وهيئ لنا اى اصلح لنا من امرنا رشدا اى حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل لنا امرنا
رشدا كله قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وابن يسار ذكر قصة اصحاب الكهف وسبب خروجهم اليه لما مرج
اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا قطعت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين
المسيح مستمسكين بعبادة الله تعالى وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس
عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه
عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى عنه اهل الايمان وهربوا في
كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم فجعل اوليك الشرط يتبعون اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم
الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحيوة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما
راى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم
على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت وراوا ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا
بالصيام والصلوة والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله
عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك
المومنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم
الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا
الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتى بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم
ان تشهدوا الذبح لالهتنا التى تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا
واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا
له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا فاصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع
ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سافرغ لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل
ذلك لكم الا انى اريكم شبانا حديثة اسنانكم فما احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون
الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما راى الفتية
خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه
فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي منها ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله
حتى اذا جاء دقيانوس اتوه ليصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقة فتصدق
منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب
فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني انى احب احباب الله عز وجل
فناموا حتى احرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب
فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلوة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء
لوجه الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم
واجلدهم وكان اذا دخل المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم رجع الى اصحابه

فلبثوا بذلك ما شاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك
وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل واخبرهم ان الجبار قد
دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون
من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك
عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون فبينما هم على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه
بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مومنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس
والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني شان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضبا
عليهم لجهلهم ما جهلوا من امرى ما كنت لاجهل عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهتي فقال عظماء المدينة ما كنت بحقيق
ان ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت اجلت ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك
غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى ابائهم فاتوا بهم فقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا اما نحن
فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا فاهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى
بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري ما يفعل بالفتية فالقى الله عز وجل في نفسه ان يامر بسد
باب الكهف عليهم واراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم
ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم فقال دعوهم
كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل ارواحهم وفاة نوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم
يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس
واسم الاخر روناس هما ان يكتبا شان هذه الفتية واسماءهم وانسابهم واخبارهم في لوحين من رصاص و
يجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوما مومنين
قبل يوم القيمة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات
هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف فتيانا مطوقين
مسورين ذوي ذوايب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب واخرجوا معهم الهتهم التي كانوا يعبدونها وكان
معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزير الملك فقذف الله الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في
نفسه اخرج من بين هؤلاء القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه
ثم خرج اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم خرج
اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم
قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد امره الى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف
في جبل قريبا منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد
فناموا ثلثمائة وثماني سنين وازدادوا تسعا وفقدهم قومهم وطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا
اسماءهم في لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في مملكة فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة
الملك وقالوا ليكونن لهؤلاء شان ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحق ثم ملك تلك البلاد رجل
صالح يقال له تندروس فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا احزابا منهم من يومن
بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا

شديدًا لما راى اهل الباطل يزيدون على اهل الحق ويقولون لا حيوة الا حيوة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد
وجعل تندوس الملك يرسل الى من يظن فيه خيرا وانهم ائمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالبعث حتى
كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا
وجعل تحته رمادا فجلس عليه وبات ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء
فابعث لهم اية تبين لهم ان الله الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف
ويبين للناس شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها وتستجيب لعبده الصالح
تندوسيوس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل ذلك البلد
الذي كان فيه الكهف وكان اسمه اوليا سران يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به حضيرة لغنمه
فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحضيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف
اذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان يحيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة
وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها
اذا اصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلوة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء
يكرهونه ولكنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلوتهم قالوا لتمليخا صاحب
نفقتهم انبئنا ماذا قال الناس في شاننا عشية امس عند هذا الجبار وانهم يظنون انهم قد رقدوا البعض
ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض
كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا
قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل
فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعيكم عدو الله ثم قال
لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بكم احد
وابتع لنا طعاما فاتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل
ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس
وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف وجد الحجارة منزوعة التي كانت بباب الكهف
فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى اتى المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان
امر الايمان ظاهرا فيها فلما راها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب ومضى الى
باب اخر فراى مثل ذلك فخيل له ان المدينة ليست بالتي كانت يعرف وراى اشخاصا اناسا محدثين لم يكن راهم
قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه
ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها
واليوم ظاهرة لعلي نائم ويرى انه ليس بنائم فاخذ كساءه فجعله على راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها
فسمع اناسا يحلفون بعيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجبا وراى انه حيران فقام مستندا الى جدار من جدران المدينة
ويقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل واما
اليوم اسمع كل انسان يذكر عيسى ابن مريم ثم قال في نفسه فلعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله لا اعرف
مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال افسوس فقال في نفسه
لعل بي مسا او امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فدنى الى الذين يبيعون

الطعام

الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال بعني بهذا الورق طعاما فاخذها الرجل ونظر الى
ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلا اخر من اصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل
ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ثم يقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا منذ زمان طويل فلما راهم تمليخا
يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وجعل يرعد وظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم
دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم افضلوا علي قد اخذتم ورقي فامسكوها
واما طعامكم فلا حاجة لي بها فقالوا له من انت يا فتى وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين
وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارنا وشاركنا به فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى
السلطان ونسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله لقد وقعت في كل شيء كنت احذر منه فقالوا له يا
فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف ولم يجر على لسانه اليهم شيئا
فلما راوه لا يتكلم اخذوا كساءه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها
وقيل قد اخذ رجل ومعه كنز واجتمع اليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من
اهل هذه المدينة وما راينا فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان مستيقنا
ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سياتونه اذا اسمعوا به فبينما هو قائم كالحيران
ينتظر متى ياتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به الى رؤساء المدينة ومدبريها الذين
يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا
انه انما ينطلق به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من
المجنون ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ علي اليوم صبرا واولج معي روحا
منك تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم
ياتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار وانا كنا قد تواثقنا على الايمان بالله ولا نشرك به شيئا ولا نفترق في حيوة
ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انه لم يذهب الى دقيانوس افاق وسكن عنه
البكى واخذ اريوس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا
ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما اقول لكم فقال
له احدهما ممن انت فقال لهم تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له فمن ابوك ومن يعرفك
بها فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا
ما يقول غير انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون ولكنه رجل احمق يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت
منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة
وضربها وله اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب انظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك
سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني
ساامر بك فتعذب عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما
اسئلكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل ما نكتمك فقال لهم ما فعل بالملك دقيانوس
فقالوا لا نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمن الاول وله زمن طويل وهلك بعده
قرون كثيرة فقال تمليخا اني اذا لحيران وما هو مصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة
الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل بنجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا

خرجت لاشترى طعاما لاصحابي واتجسس الاخبار فاذا انا معكم كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي قال فلما
سمع اريوس قول يمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله تعالى جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا
معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب
الكهف لينظروا اليهم فلما راى الفتية اصحاب الكهف ان يمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي
ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات
وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلوة وسلم
بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا يمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظر انا
متى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة واذا هم باريوس واصحابه وقوفا على باب الكهف
فسبقهم يمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سئلوه عن خبره فقص عليهم الخبر فعرفوا
انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا
ان الساعة اتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر يمليخا اريوس فراى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم فضة فوقف على
الباب ودعى جماعة من عظماء المدينة وامر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب
فيه مكسلمينا ومحسلمينا ويمليخا وارطونس وكسطونس وبيرونس وديموس ويطبونس وقالوش كانوا
فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم
امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قراوه عجبوا
وحمدوا الله الذي اراهم اية تدل على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية
الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجودا وحمدوا الله الذي
اراهم اية من ايات الله ثم كلم بعضهم بعضا واخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس
واصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح بيدروس ان عجل لعلك تنظر الى اية من ايات الله جعلها الله على ملكك
وللناس اية ولتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وكان توفاهم منذ
ثلثمائة سنة واكثر فلما اتى الخبر للملك رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك اللهم رب السموات
والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لابائي وللعبد الصالح
الملك ثم اخبر بذلك اهل المدينة فركب وركبوا معه حتى اتوا مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه
نحو الكهف فلما صعدوا الجبل وراى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك
قدامهم واعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس
الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس
والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم
وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في منامه وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا
من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى
فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل
عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان يؤتى في كل سنة وقيل
ان يمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ
ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم

مكتوبة على لوح في خزانته فدعى باللوح ونظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الاخرين فقال هم
يمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف قال لهم يمليخا دعوني حتى ادخل
على اصحابي وابشرهم فانهم ان راوكم بغتة رعبتموهم فدخل يمليخا وبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم
واعمى على الملك واصحابه اثره فلم يهتدوا اليهم فذلك قوله عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اي
صاروا الى الكهف واسمه جيرم فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي هداية في الدين
وهيئ لنا اي يسر لنا من امرنا رشدا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي مخرجا من الغار في سلامة قوله
عز وجل فضربنا على اذانهم اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم
فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه في الكهف سنين عددا اي انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل
على الكثرة ثم بعثناهم اي من نومهم لنعلم اي علم المشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم يزل عالما وانما
اراد ما يتعلق بالعلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا اي الحزبين اي الطائفتين
احصى لما لبثوا امدا اي يعني احفظ لما مكثوا نياما في كهفهم وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم
في الكهف قوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق اي بالصدق نقرا عليك خبر اصحاب الكهف
انهم فتية اي شبان امنوا بربهم وزدناهم هدى ايمانا وبصيرة وربطنا على قلوبهم اذ
اي شددنا على قلوبهم بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما
كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف فقالوا اي الفتية ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها اي قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله هؤلاء قومنا يعني اهل بلدهم
اتخذوا من دونه الهة اي من دون الله يعني اصناما يعبدونها لولا اي هلا ياتون عليهم اي على عبادة
الاصنام بسلطان بين اي بحجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة على عبادة الاصنام محال
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي وزعم ان له شريكا او ولدا ثم قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم
يعني قومكم وما يعبدون الا الله وذلك انهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذا اعتزلتموهم
وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته فاووا الى الكهف اي الجؤا اليه ينشر لكم اي يبسط لكم
ربكم من رحمته ويهيئ لكم اي يسهل من امركم مرفقا اي ما يعود اليه ويرفقكم قوله عز وجل وترى
الشمس اذا طلعت تزاور اي تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين اي جانب اليمين واذا غربت تقرضهم
اي تتركهم وتعدل عنهم ذات الشمال وهم في فجوة منه اي متسع من الكهف ذلك من ايات الله
اي من عجائب صنعه ودلالات قدرته وذلك ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا
لهم بالكرامة وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقادة ابدا لا تقع الشمس عليهم ابدا لا عند
الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا في متسع ينالهم فيه برد
الريح ونسيمها وتدفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون في معنى ذلك من ايات الله اي ان شانهم
وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتدي يعني مثل اصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم ومن يضلل
اي ومن يضلله الله لم يرشده فلن تجد له وليا مرشدا اي معينا مرشدا قوله تعالى وتحسبهم
خطاب لكل احد ايقاظا اي منتبهين لان اعينهم منفتحة وهم رقود اي نيام ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال قال ابن عباس كانوا يتقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم قيل كانوا

يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كانوا لهم في السنة تقليبتان وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس
رضي الله عنه كان كلبا اغر وعنه انه فوق القلطي ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل كان اصفر وقيل
كان شديد الصفرة يضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل ليس في الجنة دواب الا كلب
اصحاب الكهف وحمار بلعم بالوصيد يعني فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه
عليهم وقيل كان ينقلب مع اصحابه اذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمين ورقد عليها واذا انقلبوا
ذات الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا وذلك لما
البسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم ولملئت منهم
رعبا اي خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم
نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وتقليبهم من غير حس ولا اشعار وقيل ان الله تعالى منعهم
بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف
فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك فقيل له
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث
الله عليهم ريحا فاخرجتهم قوله عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم بعثناهم من النومة التي
تشبه الموت ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا قال قائل منهم وهو رئيسهم وكبيرهم
مكسلمينا كم لبثتم يعني اي في نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم وقيل انه راعهم ما
فاتهم من الصلوة فقالوا لذلك قالوا لبثنا يوما ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقي منها بقية فقالوا
او بعض يوم فنظروا الى طول شعورهم واظفارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم قالوا ربكم اعلم
بما لبثتم يعني وقيل ان مكسلمينا لما سمع الاختلاف فيما بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم اعلم بما لبثتم
فابعثوا احدكم يعني تمليخا بورقكم يعني الفضة كانت مضروبة او غير مضروبة هذه الى المدينة
قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الاول قبل الاسلام افسوس فلينظر ايها ازكى طعاما اي
احل طعاما وقيل امروه ان يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبح من يذبح لغير الله تعالى وكان فيهم مؤمنون
يخفون ايمانهم وقيل اجود طعاما واطيبه وقيل اكثر طعاما وارخصه فليأتكم برزق منه اي قوت
وطعام تاكلونه وليتلطف اي وليسترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان ولا
يشعرن اي ولا يعلمن بكم احدا اي من الناس انهم ان يظهروا عليكم اي يعلموا مكانكم يرجموكم
على معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو اخبث القتل
وقيل يعذبوكم او يعيدوكم في ملتهم اي بالكفر ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان عدتم اليه قوله
عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق يعني قوم بيذروسيس
الذي انكروا البعث وان الساعة لا ريب فيها اي لا شك فيها انها آتية اذ يتنازعون بينهم امرهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما في البنيان فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال
المشركون نبني بنيانا لانهم من اهل ديننا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الاجساد
والارواح وقال قوم تبعث الارواح فاراهم الله تعالى آية وان البعث للاجساد والارواح وقيل تنازعوا
في مدة لبثهم وقيل في عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا
على امرهم يعني بيذروس واصحابه لنتخذن عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة

رابعهم كلبهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر
اصحاب الكهف عندهم فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون وقال العاقب وكان
نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم
فحقق الله تعالى قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام
بعد ما حكى قول النصارى اولا ثم اتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب اي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة
وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى
في كونه رجما بالغيب وظنا ثم اتبعه بقوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل اي هذا
هو الحق لان العالم بتفاصيل كائنات العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل لا يحصل الا بالله تعالى
بذلك قال ابن عباس انا من اولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينونس وساريونس
وذونوانس وكشفيطيطيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم اي لا تجادل ولا تقل في
عددهم وشأنهم الا مراء ظاهرا اي الا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه ولا تستفت فيهم
اي في اصحاب الكهف منهم اي من اهل الكتاب احدا اي لا ترجع الى قول احد منهم بعد ان اخبرناك قصتهم
قوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا يعني اذا عزمت على فعل شيء غدا فقل الا ان يشاء الله
ولا تقله بغير استثناء وذلك ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزلت الآية وقد تقدمت القصة في سورة
بني اسرائيل واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وجوز ابن
عباس الاستثناء المنقطع وان كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان
فان بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى اذا ذكرت حيث تغضب
اذكر حيث اغضب وقيل الآية في الصلوة يدل عليه ما روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي
صلوة فليصلها اذا ذكرها اقم الصلوة لذكري متفق عليه زاد مسلم او نام عنها فكفارتها ان يصليها
اذا ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي يثبتني على طريق هو اقرب اليه وارشد
وقيل ان الله تعالى امره ان يذكره ويهديه لما هو خير له من ان يذكر ما نسي وقيل ان القوم لما سألوه عن قصة اصحاب
الكهف على وجه العناد امره الله تعالى ان يخبرهم ان الله تعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو اولى لهم من قصة
اصحاب الكهف وقد فعل حيث اتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو اصح واقرب الى الرشد من خبر اصحاب
الكهف وقيل هذا شيء امر ان يقوله مع قوله ان شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان
قوله ان شاء الله فتوبته من ذلك ان يقوله مع قوله ان شاء الله عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا قوله تعالى
ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا قيل هذا خبر عن قول اهل الكتاب لو كان خبرا من الله
عن قدر لبثهم لم يكن لقوله تسعا قل الله اعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله اعلم
بما لبثوا ان نازعوا والاصح انه اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف فقل ان شاء الله اعلم اي هو اعلم منكم
وقد اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو اجتماعهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله اعلم بما لبثوا اي بعد قبض ارواحهم
الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم
ثلاث مائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما اجمل في قوله فضربنا

على آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا قيل قالت نصارى نجران اما الثلثمائة فقد عرفناها واما التسع
فلا علم لنا بها فنزل قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان عند اهل الكتاب لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر
ثلثمائة سنة وتسع سنين قمرية والتفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة فيكون الثلثمائة
الشمسية ثلثمائة وتسع سنين قمرية له غيب السموات والارض يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوال
اهلها فانه العالم وحده به فكيف يخفى عليه حال اصحاب الكهف ابصر به واسمع معناه ما ابصر الله بكل
موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية
ما لهم اي ما لاهل السموات والارض من دونه اي من دون الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في حكمه احدا
قيل معناه لا يشرك في علم غيبه احدا وقيل في قضائه قوله عز وجل واتل يا محمد ما اوحي اليك من كتاب
يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به ربك لا مبدل لكلماته اي لا مغير للقرآن ولا يقدر احد على التطرق
اليه بتغيير او تبديل فان قلت موجب هذا ان لا يتطرق النسخ اليه قلت النسخ ليس بتبديل في الحقيقة لان
المنسوخ ثابت في وقته الى وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما وعد الله
بكلماته اهل معاصيه ولن تجد من دونه اي من دون الله ان لم تتبع القرآن ملتحدا اي ملجأ وحرزا تعدل اليه
قوله عز وجل واصبر نفسك الآية نزلت في عيينة بن حصين الفزاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم
وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة
للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا
من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى مع الذين اي احبس نفسك
يا محمد مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي النهار يريدون وجهه اي يريدون الله لا
يريدون به عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرجعون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون الى اخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله جعل في امتي من امرت ان اصبر معهم ولا تعد عيناك عنهم اي ولا تصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة
الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصين وقيل امية بن خلف واتبع هويه اي في طلب الشهوات
وكان امره فرطا ضياعا ضيع امره وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا وباطلا وقيل مخالفا للحق الحق واليه
التفويض والتوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال ليس الي من ذلك شيء وقل الحق من ربكم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقل الحق من
ربكم اي لا اطارد المؤمنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا
وان آمنتم فلكم ما وصف الله تعالى لاهل طاعته وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية من شاء الله له الايمان
آمن ومن شاء له الكفر كفر انا اعتدنا اي هيأنا من العتاد وهو العدة للظالمين اي للكافرين نارا احاط
بهم سرادقها السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو
عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وان يستغيثوا يغاثوا بماء
اي من شدته كالمهل يشوي الوجوه قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقط فروة وجهه منه

اخرجه الترمذي وقال رشدين من احد رواة الحديث وتكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم
والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب بئس الشراب اي يشوي الوجوه من حر ذلك النار اي ذلك الذي
يغاثون به وساءت مرتفقا منزلا وقيل مجتمعا واصل المرتفق المتكأ وانما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر
من احسن عملا كلام معترض تقديره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن
اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها تجري من تحتهم الانهار وذلك لان افضل المساكن
ما كان يجري فيه الماء يحلون فيها من اساور من ذهب قيل على كل انسان منهم ثلاثة اساور سوار
من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من
هو الديباج الرقيق سندس هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل الاستبرق المنسوج بالذهب
استبرق متكئين خص الاتكاء وهو هيئة المتنعمين فيها والملوك فيها اي في الجنة على الارائك
جمع اريكة وهو السرير في الحجال ولما وصف الله هذه الاشياء قال نعم الثواب اي نعم الجزاء وحسنت اي الجنات
مرتفقا اي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره من قوله وساءت مرتفقا
قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله
بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصين واصحابه وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني
اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهودا في قول ابن عباس وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قرطوس وهما اللذان
وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما ذكره ابن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان
لهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى
ارضا بالف دينار واني قد اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فانفق عليها
الف دينار فقال هذا اللهم اني اخطب اليك امرأة في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة
ثم قال لو اتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه فنظر اليه
صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعل مالك
وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا
فطرده فقضي لهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين وروي انه لما
اتاه اخذ بيده وجعل يطوف به ويريه امواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين
اي بستانين من اعناب وحففناهما اي طفناهما من جوانبهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا
اي وجعلنا بين النخيل والاعناب الزرع وقيل بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع كلتا الجنتين
آتت اكلها اي اعطت كل واحدة من الجنتين اتت اكلها اي ثمرها تاما ولم تظلم منه شيئا اي ولم
تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما اي شققنا وسطهما نهرا وكان له ثمر اي لصاحب البستان
قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما فقال
يعني صاحب البستان لصاحبه اي المؤمن وهو يحاوره اي يخاطبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا
اي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعني الكافر اخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به ويريه اياها
وهو ظالم لنفسه اي بكفره قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه يعني جنته ابدا وذلك انه

ذاقة حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث فقال وما اظن الساعة قائمة اى كائنة
ولئن رددت الى ربى فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر البعث قلت معناه ولئن رددت
الى ربى على ما تزعم من ان الساعة اتية لاجدن خيرا منها منقلبا اى يعطينى هنالك خيرا منها لانه
لم يعطنى الجنة فى الدنيا الا ليعطينى فى الاخرة خيرا منها قال له صاحبه يعنى المؤمن وهو يحاوره اكفرت بالذى
خلقك من تراب اى خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب فى خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك
رجلا اى عدلك بشرا سويا اى انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال لكنا هو الله ربى مجازه لكن انا هو الله ربى
ولا اشرك بربى احدا ولولا اى هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت
عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى
وفضله وان امرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله اى وقلت لا قوة الا بالله
اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالى ودفع شئ منه
الا بامر الله روى عن عروة بن الزبير انه كان اذا راى من ماله شيئا يعجبه او دخل حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا
بالله الحائط البستان ان ترن انا اقل منك مالا وولدا اى لاجل ذلك تكبرت على وتعظمت فعسى
ربى فلعل ربى ان يؤتينى فى الاخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها اى على جنتك حسبانا قال
ابن عباس نارا وقيل مرامى من السماء اى من الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا اى ارضا
جردا ملسا لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الاقدام وقيل رملا هايلا او يصبح ماؤها غورا اى غائرا ذاهبا
لا تناله الايدى ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا يعنى ان طلبته لم تجده واحيط بثمره يعنى احاط
العذاب بثمرة جنته وذلك ان الله تعالى ارسل من السماء نارا فاهلكتها وغار ماؤها فاصبح يعنى صاحبها
الكافر يقلب كفيه اى يصفق كفا على كف ويقلب كفيه ظهرا على بطن تاسفا وتلهفا على ما انفق فيها
المعنى فاصبح يندم على ما انفق فى عمارتها وهى خاوية على عروشها اى ساقطة سقوفها وقيل ان كرومها
المعرشة سقطت عروشها فى الارض ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا يعنى انه تذكر موعظة اخيه المؤمن
فعلم انه اتى من جهة شركه وعصيانه فتمنى انه لم يكن مشركا ولم تكن له فئة اى جماعة ينصرونه من
دون الله اى يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا اى ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب
منه قوله تعالى هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعنى السلطان فى القيمة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة
والنصرة يعنى انهم يتولونه يومئذ ويتبرؤن مما كانوا يعبدون فى الدنيا هو خير ثوابا اى افضل جزاء لاهل طاعته
ولو كان غيره يثيب وخير عقبا يعنى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير اثابة وعاقبة قوله تعالى
واضرب لهم اى يا محمد لقومك مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء يعنى المطر فاختلط به نبات الارض
اى خرج من كل لون وزهرة فاصبح اى عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا تذروه الرياح قال ابن عباس
تذريه وقيل تفرقه وتنسفه وكان الله على كل شئ مقتدرا اى قادرا قوله تعالى المال والبنون اى التى
يفتخر بها عيينة واصحابه الاغنيا زينة الحيوة الدنيا يعنى ليست من زاد الاخرة قال على بن ابى طالب المال والبنون
حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعها الله لاقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس رضى الله
عنهما هى قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر م عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس عن ابى
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هى يا رسول الله قال الملة

قيل وما هى يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال المساجد
قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اخرجه
الترمذى وقال حديث غريب عن ابن المسيب ان الباقيات الصالحات هى قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولا
اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله اخرجه مالك فى الموطا موقوفا عليه وعن ابن عباس ان الباقيات الصالحات
الصلوات الخمس وعنه انها الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا اى جزاء وخير املا اى ما
يؤمله الانسان قوله تعالى ويوم نسير الجبال اى نذهب بها وذلك ان تجعل هباء منثورا كما تسير
السحاب وترى الارض بارزة اى ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا ماء وقيل هو ما يرون عليها من الموتى
وغيرهم فيصير باطن الارض ظاهرها وحشرناهم يعنى جميعا الى موقف الحساب فلم نغادر منهم احدا
يعنى اى لم نترك منهم احدا وعرضوا على ربك صفا اى صفا صفا وفوجا فوجا لانهم صف واحد وقيل
قياما وقيل كل امة وزمرة صف ثم يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يعنى احياء وقيل
حفاة عراة غرلا بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعنى يوم القيمة يقول ذلك لمنكرى البعث م عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ان اول الخلائق يكسى يوم
القيمة ابراهيم عليه السلام وقال انه سيجاء برجال من امتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فيقول يا رب اصحابى
فيقول انك لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز
الحكيم قال فيقال انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم زاد فى رواية فاقول سحقا سحقا قوله غرلا اى
قلفا والغرلة القلفة التى تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اى بعدا قال بعض العلماء ان المراد
بهؤلاء اصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكوة بعده ق عن عائشة رضى الله عنها قالت
سمعت رسول الله عليه السلام يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا
ينظر بعضهم الى بعض قال الامر اهم من ذلك زاد النسائى فى رواية لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ووضع
الكتاب يعنى صحائف اعمال العباد توضع فى ايدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم وقيل توضع بين يدى الله تعالى
فترى المجرمين مشفقين مما فيه اى خائفين مما فيه من الاعمال السيئة ويقولون اذا راوها
يا ويلتنا اى يا هلاكنا وقيل من وقع فى هلكة دعا بالويل ما لهذا الكتاب لا يغادر اى لا يترك
صغيرة ولا كبيرة اى من ذنوبنا الا احصيها اى عدها وكتبها واثبتها فيه وحفظها قال ابن
عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والكبيرة الزنى عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن
واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وان محقرات الذنوب لموبقات المحقرات
الشئ الحقير الصغير التافه وقوله لموبقات اى مهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا قال اى مثبوتا
مكتوبا فى كتابهم ولا يظلم ربك احدا اى لا ينقص ثواب احد عمل خيرا وانه لا يؤاخذه بجرم لم
يعمله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فاخذ بيمينه واخذ
بشماله اخرجه الترمذى وقال لا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم

عن الحسن عن ابي موسى قوله تعالى واذ قلنا اى واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
ابليس كان من الجن قال ابن عباس كان حيا من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان
من الجن ولم يكن من الملائكة ولا اينا في كونه من الجن كما ان آدم اصل الانس ووجه كونه من الملائكة لا اينا في
كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك ان قريشا قالت الملائكة بنات الله فهذا يدل
والجن جنس مخالف للملائكة وقوله افتتخذونه وذريته اولياء فاثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم
واجيب عن الاستثناء انه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقيل
انه كان من الملائكة فلما خالف الامر مسخ وغير وطرد ولعن ففسق عن امر ربه افتتخذونه
يعني يا بني آدم افتتخذون ابليس وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو يعني اعداء روى مجاهد
عن الشعبي قال اني لقاعد يوما اذ اقبل جمال فقال اخبرني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك العرس ما شهدته
ثم ذكرت فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقلت يتوالدون كبني آدم وقيل انه يدخل
ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولها
وهو صاحب الطهارة والصلوة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو
والحلف الكاذبة ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب
والاعور وهو الذي ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه
الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم
يرفع او يحسن موضعه واذا اكل ولم يقل بسم الله اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر الله
ولم اسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكروا فقلت داسم داسم روى عن ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذي م عن عثمان
ابن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلوتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك
ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يلقي
عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء احدهم فيقول كذا ما تركته حتى فرق
بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه وقوله تعالى بئس للظالمين
بدلا يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى ما اشهدتهم يعني
ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
والمعنى ما اشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقهم واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين يعني
الشياطين الذين يضلون عضدا يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل ويوم يقول نادوا يعني يقول الله تعالى
يوم القيمة نادوا شركائي يعني الاصنام الذين زعمتم يعني انهم شركاء فدعوهم اى فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا
لهم اى فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا بينهم يعني بين الاصنام وعبدتها وقيل بين اهل الهدى واهل
الضلال موبقا مهلكا وقال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهرا يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم
وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ورأى المجرمون اى المشركون النار فظنوا انهم مواقعوها
اى داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اى معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل ان الملائكة

اى يقعوا بهم نسوقهم

تسوقهم اليها قوله تعالى ولقد صرفنا اى بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل اى ليذكروا
ويتعظوا وكان الانسان اكثر شيء جدلا اى خصومة في الباطل قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد النضر
بن الحارث وجداله في الباطل وقيل الآية على العموم وهو الاصح خ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله
انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيئا
ثم سمعته يقول وهو يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله عز وجل وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاحكام والاسلام والبيان من الله تعالى وقيل انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم والمعنى انه لا مانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة
والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم يقدموا على الايمان والاستغفار الا ان تأتيهم سنة الاولين
يعني سنتنا في هلاك الاولين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال او يأتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس
عيانا من المقابلة وقيل فجأة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اى بالثواب على الطاعة
ومنذرين اى بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين كفروا بالباطل اى هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم
للرسل ما انتم الا بشر مثلنا وشبه ذلك ليدحضوا اى ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا آياتي وما انذروا
فيه اضمار يعني اتخذوا ما انذروا به وهو القرآن استهزاء قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر اى وعظ بآيات
ربه فاعرض عنها اى تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ونسي ما قدمت يداه اى ما
عمل من المعاصي من قبل انا جعلنا على قلوبهم اكنة اى اغطية ان يفقهوه يعني يريد ان لا يفهموه وفي
آذانهم وقرا اى ثقلا وصمما وان تدعهم يا محمد الى الهدى اى الى الدين فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا
فيه اقوام علم الله منهم انهم لا يؤمنون وربك الغفور اى البليغ المغفرة ذو الرحمة اى الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم اى يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اى في الدنيا بل
لهم موعد يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اى ملجأ وتلك القرى يعني قرى
قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا اى كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا
اى اجلا لاهلاكهم قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه الآيات اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الآية
هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار انه
موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وقد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول الاول اصح بدليل ان الله عز وجل
لم يذكر في كتابه العزيز موسى الا اراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا
آخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة علمنا انه موسى بن عمران
صاحب التوراة واما فتاه فالاصح انه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي امره
بعد وفاته وقيل انه اخو يوشع وقيل فتى يعني عبده بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي
وليقل فتاي وفتاتي ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى
عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اى الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى
الله اليه ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيث
ما فقدت الحوت فهو ثمة فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا

الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا
وامسك الله عن الحوت الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية
يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى
النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا
قال رجعا يقصان اثرهما حتى انتهى الى الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك
السلام فقال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا
يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من عند الله علمك الله لا اعلمه فقال موسى ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا
يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ
الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة
فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا
من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه فاقتلعه
بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل فقال الخضر
بيده هكذا فاقامه قال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني
وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت
انه صبر حتى يقص علينا من اخبارهما قال سعيد ابن جبير وكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة
صالحة غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وفي رواية ابي ابن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله عليه السلام ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب
فادركه رجل فقال اي رسول الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله تعالى قيل بلى
قال يا رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد
الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة عين يقال لها الحيوة لا يصيب من مائها شيئا الا حيي فاصاب الحوت من ماء
تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل رجعنا الى التفسير لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين
قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا يعني او اسير دهرا طويلا والحقب
ثمانون سنة فحمل خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة
التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى ماء الحيوة لا تصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في
المكتل وعاشت ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا حوتهما اي
تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد
من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه المخصوصة على الوصول للمطلوب فاتخذ

الحالة صح

لانهما صح

اي الحوت

اي الحوت سبيله في البحر سربا اي مسلكا روى ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء
عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام قال ابن عباس جعل الحوت
لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب
الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق
فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني
ذلك الموضع وهو مجمع البحرين قال يعني موسى لفتيه آتنا غداءنا اي طعامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
اي تعبا وشدة وذلك انه القي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع
ارأيت اذ اوينا الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك
ان يوشع حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فنسي ان يخبره فلبثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد
ثم قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وما انسانيه ان اذكر لك امر الحوت الا الشيطان
قيل المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر
لان ذلك لا يصح الا من قبل الله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول يوشع يعني طفر الحوت الى البحر
فاتخذ فيه مسلكا وروي في الخبر كان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا وقيل اي شيء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا
ثم صار حيا بعد ما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى ذلك ما كنا نبغي اي نطلب فارتدا على
آثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جاءا منه ويتبعانه فوجدا عبدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة
والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته
ابو العباس قيل من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي به لذلك
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز
تحته خضراء الفروة قطعة من نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا
ان موسى راى الخضر مسجى ثوبا فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت
رشدا ومعنى مسجى ثوبا اي مغطى بثوب وقوله واني بارضنا السلام معناه من اين بارضك التي انت فيها الان السلام
وروي انه لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة اي نعمة
من عندنا وعلمناه من لدنا علما اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه
الآيات تدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه قلت لا يخلو ان
يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من امة موسى ولا يجوز ان يكون احد الامة افضل
من نبيها او اعلى شانا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين
اي على عالمي زمانكم قال له موسى هل اتبعك معناه جئتك لاصحبك واتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
اي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار قال الخضر لموسى كفى بالتورية علما وببني اسرائيل اتباعا قال
له موسى ان الله امرني بهذا [illegible] قال الخضر لموسى انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم
انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر
ولا اعصي لك امرا اي لا اخالفك فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن
جعل الاختيار اليه ثم شرط عليه شرطا فقال فلا تسئلني عن شيء اي مما اعلمه مما تنكره ولا تعترض

عليه حتى أحدث لك منه ذكرا معناه حتى ابتدئ بذكره فأبين لك شأنه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل
يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروهما بالخروج فقال صاحب
ما هم بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموهم
أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا منها
أي من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له أخرقتها لتغرق
أهلها لقد جئت شيئا إمرا أي أتيت شيئا عظيما منكرا روي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء
وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق قال العالم وهو الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي
صبرا قال يعني موسى لا تؤاخذني بما نسيت قال ابن عباس لم ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيئا
آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأولى
من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني اي ولا تغشني من أمري عسرا والمعنى
ولا تعسر علي متابعتك ويسرها بالإغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمري فانطلقا
حتى إذا لقيا غلاما فقتله في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر
غلاما ظريفا وضيء الوجه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى
عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث السبابة والإبهام والوسطى وقلع رأسه وروي
أنه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا و
قيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد
ويتأذى منه أبواه ق عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر
كان كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا لفظ مسلم قال يعني موسى أقتلت نفسا زكية أي
لم تذنب قط وقرئ زكية وهي التي أذنبت ثم تابت بغير نفس أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جئت
شيئا نكرا أي منكرا عظيما وقيل النكر أعظم من الإمر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف
الهلاك وقيل الإمر أعظم لأن فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا
يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه قال يعني الخضر ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا
قيل زاد في هذه قوله لك لأنه نقض العهد مرتين وقيل إن هذه اللفظة توكيد التوبيخ فعند هذا قال موسى
إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وقيل إن يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي كنت عليه قال موسى
إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي فارقني ولا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
قال ابن عباس قد اعتذرت فيما بيني وبينك وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة
من حيث أنه احتمله مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة ق عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحمة الله علينا وعلى موسى وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه
ذمامة فقال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب قوله ذمامة
هو بذال معجمة أي حياء وإشفاقا من الذم واللوم يقال أذممته ذمامة يعني لحقته ملامة وتشهد له قول الخضر
هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية قال ابن عباس يعني أنطاكية وقيل
الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هذه بلدة بالأندلس استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما قال أبي
بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجلس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما

وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة رضي الله
عنه قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعيا لنسائهم ولعنا رجالهم
وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي يسقط
وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر إلى دار فلان
إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الإرادة فأقامه أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه قال يعني موسى لو شئت
لتخذت عليه أجرا يعني على إصلاح الجدار جعلا والمعنى قد علمت أنا جياع وأن أهل القرية لم يطعمونا
فلو أخذت على عملك أجرا قال يعني الخضر هذا فراق بيني وبينك يعني هذا وقت فراق بيني وبينك
وقيل هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا سأنبئك بتأويل أي سأخبرك بتأويل ما لم تستطع
عليه صبرا وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لإخوة عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر أي يؤاجرون
ويكتسبون وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته
وأن حال الفقير في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لأن الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون
تلك السفينة فأردت أن أعيبها أي أجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقيل خلفهم وكان
رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح يأخذ كل سفينة غصبا أي كل سفينة صالحة فخرقها وعيبها
حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي أن الخضر
اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي مرت به أن يدعها
لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا فخفنا
والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلمنا أن يرهقهما أي
يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه أن يتبعاه على دينه
فأردنا أن يبدلهما ربهما الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه خيرا منه زكاة أي صلاحا وتقوى وقيل
هو في مقابلة قوله أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهم الله خيرا منه زكاة وأقرب رحما
أي يكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة بأبويه بأن يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبي من
الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت له سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل
إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد
بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله للمؤمنين فيما يكره خير من قضائه فيما يحب قوله تعالى وأما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة قيل كان اسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما وروى أبو الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم
وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب
عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله
محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله الذي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى
لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال
ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما وكان أبوهما صالحا

قيل كان اسمه كاشحا وكان من الاتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة
آباء قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهل دويرات حوله فما يزالون
في حفظ الله تعالى ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب انى اصلى فاذكر ولدى فازيد في صلوتى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
اى يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثمانية عشر سنة فان قلت كيف قال في الاولى فاردت وفي
الثانية فاردنا وفي الثالثة فاراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الالفاظ قلت انه لما اراد العيب
اضافه الى نفسه على سبيل الادب مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها ولما اراد القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع
تنبيها على انه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة وانه لم يقدم على مثل هذا القتل الا لحكمة عالية
ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابناء وصلاح
احوالهم لرعاية حق الاباء ليس ذلك الا الى الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ويستخرجا كنزهما
هي اذا بلغا وعقلا وقويا رحمة من ربك اى نعمة من ربك وما فعلته عن امرى اى باختيارى ورايى
بل فعلته بامر الله تعالى والهامه اياى لان تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون
ذلك الا بالنص وامر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله تعالى وما فعلته عن امرى انه الهام من الله تعالى له بذلك
وهذه درجة الاولياء وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى معنى
واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اى لم تطق
ان تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصنى قال له لا تطلب العلم لتحدث
به ولكن اطلبه لتعمل به واختلف العلماء في ان الخضر حى ام ميت فقيل انه حى وقيل ان الخضر والياس حيان
يلتقيان كل سنة بالموسم وكان السبب في حيوة الخضر فيما حكى انه شرب من ماء الحيوة وذلك ان ذى القرنين دخل
الظلمة لطلب عين الحيوة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب منها وصلى شكرا لله تعالى واخطأ
ذو القرنين الطريق فرجع وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله
عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على وجه الارض احد
ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وقوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قيل اسمه مرزبان بن مرزبة
اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل كان اسمه الاسكندر بن فيلقوس كذا صحح الرومى وكان من
ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام فخر الدين الرازى في تفسيره عن ابى ريحان السروري المنجم في كتابه المسمى بالآثار
الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو داود بن شمر بن عمرو بن افريقيس الحميرى وهذا الذى افتخر به بعض
شعراء حمير حيث يقول ❁ قد كان ذو القرنين عمى مسلما ❁ ملكا على الارض غير مفند ❁ وبلغ المشارق
والمغارب يبتغى ❁ اسباب ملك من كريم مرشد ❁ فراى مآب الشمس عند غروبها ❁ في عين ذى خلب وثاط حرمد
قوله فراى مآب اى ذهاب الشمس وقوله في عين ذى خلب اى حماة والثاطة الحماة ايضا والجمع ثاط والحرمد
الطين الاسود وقيل سمى ذى القرنين لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل
لانه دخل الظلمة والنور وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرنى الشمس وقيل لانه كان له ذوابتان حسنتان
وقيل له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على انه امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله
ثم بعثه فامرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الايسر فمات فاحياه الله تعالى واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا يدل عليه
قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله تعالى لا يكون الا مع الانبياء وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل
على عن ذى القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله تعالى فاحبه وناصح لله

فناصحه الله

ان الخضر كان نبيا لان هذا يدل على الوحى وذلك للانبياء والصحيح انه ولى الله وليس بنبى واجيب عن قوله وما فعلته عن امرى

وهو قول الاكثرين من العلماء ومتفق عليه عند مشايخ الصوفية واهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير اكثر من ان تحصر قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك هذا آخر كلامه

فناصحه الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال تسميتم باسماء الانبياء فلم ترضوا حتى
تسميتم باسماء الملائكة والاصح الذى عليه الاكثرون انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق
والمغرب والشمال وهذا هو القدر المعمور من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع له ملك الروم بعد ان دانت
له طوائف ثم مضى الى ملوك العرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب
وبنى السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى الى الهند والصين
وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان
عمره كان الفا وثلثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذى على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا
على وجه الارض فلذلك قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اى
خبرا يتضمن حاله قوله تعالى انا مكنا له في الارض اى وطأنا له والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر
له السحاب فحمل عليه ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير
في الارض وذلل له طرقها وآتيناه من كل شيء يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن
ومحاربة الاعداء سببا اى علما يتسبب به الى ما يريد ويسير به في اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد
وقيل قربنا له اقطار الارض فاتبع سببا اى سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة اى حارة وقرئ حمئة ذات حمأة وهى الطينة السوداء وسئل معاوية كعبا كيف
في التورية تغرب الشمس قال نجد في التورية انها تغرب في ماء وطين وقيل يجوز ان يكون في معنى عين حمئة او في
راى العين وذلك انه بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كانها تغرب في وهدة مظلمة
كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر ووجد عندها قوما اى عند العين امة قال ابن جريج مدينة
لها اثنى عشر الف باب يقال لها بالرومية جابرس وبالسريانية جرجيسا سكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح
لولا ضجيج اهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تغرب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا من يزعم
انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل يحتمل ان يكون
الخطاب على لسان غيره اما ان تعذب يعنى تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام واما ان تتخذ فيهم حسنا
يعنى تعفوا وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الامرين قال اما من ظلم اى كفر فسوف
نعذبه اى نقتله ثم يرد الى ربه اى في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا اى منكرا يعنى بالنار
لانها انكر من القتل واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اى جزاء اعماله الصالحة
وسنقول له من امرنا يسرا اى نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اى
سلك طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا قيل انهم في مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل وشجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا
طلعت الشمس دخلوا في اسرابهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل كانوا
اذا طلعت الشمس نزلوا في الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفترش احدهم
احدى اذنيه ويلتحف الاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية
مرقيسيا وهم مجاورون يأجوج ومأجوج قوله تعالى كذلك اى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل
معناه انه حكم في القوم الذى عند مطلع الشمس كما حكم في الذى عند مغربها وهو الاصح وقد احطنا بما لديه خبرا

أي علمنا بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات للحرب وقيل معناه ولقد علمنا حين ملكناه من الصلاحية لذلك
الملك والاستقلال به والقيام بأمره قوله عز وجل ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين هما هنا
جبلان في ناحية الشمال في منقطع أرض الترك حكي أن الواثق بعث بعض من يثق به من أتباعه إليه ليعاينوه فخرجوا
من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدودة بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل
وجد من دونهما قوما يعني أمام السدين قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس
لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا يا ذا القرنين فإن قلت كيف أثبت لهم القول وهم لا يفقهون
قلت يكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون يفهمون إلا بجهد ومشقة
من إشارة ونحوها كما يفهم قوله تعالى إن يأجوج ومأجوج أصلهما من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها
شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت فضرب ذو القرنين
السد فبقوا خارجه فسموا الترك بذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث
فسام أبو العرب وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال
ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا إن يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعة آلاف أمة
لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا قال
وهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف
منهم يفترش أحد أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام
وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال
كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج
فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم بن عجوز فلما بلغ
كان عبدا صالحا قال الله له إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس
يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الأرض في القطر الأيمن يقال لها هاويل والأخرى
في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكاثرهم
وبأي جمع أكاثرهم وبأي لسان أناطقهم قال الله تعالى إني سأطوقك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك
شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس
فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله وعبادته فمنهم من آمن
ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم ودخلوا في دعوته فجند من أهل
المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسكا
ففعل فيهم كفعله في الأمتين وجند منهم جندا ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل ففعل فيهم كما فعل فيمن قبلهم ثم عمد
إلى الأمم التي في وسط الأرض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين
الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض
وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا تشك أنهم سيملكون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل
بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال أعدوا إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم
فوجدهم على مقدار واحد يبلغ الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يواري أجسادهم
يتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة

يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر حتى بلغ الماء
فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض قيل فسادهم أنهم كانوا يخرجون
أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا
وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم فهل نجعل لك خرجا أي جعلا
وأجرا من الأموال على أن تجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا فلا يصلون إلينا قال لهم ذو القرنين
ما مكني فيه ربي خير أي ما قواني فيه ربي خير من جعلكم فأعينوني بقوة يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني
بأبدانكم وقوتكم أجعل بينكم وبينهم ردما أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء
والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني أي أعطوني وقيل جيئوني زبر الحديد أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب
فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى إذا ساوى بين الصدفين أي بين طرفي الجبلين قال انفخوا
يعني في النار حتى إذا جعله نارا أي صار نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا أي أصبب عليه النحاس
المذاب فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد قيل إن السد كالبرد المحبر طريقة سوداء و
طريقة حمراء وقيل إن عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم أن هذا السد معجزة عظيمة
ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب
فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه فما اسطاعوا أن
يظهروه أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته وما استطاعوا له نقبا من أسفله لشدته وصلابته قال يعني
ذو القرنين هذا أي السد رحمة من ربي أي نعمة من ربي فإذا جاء وعد ربي قيل هو يوم القيامة وقيل وقت
خروجهم جعله دكاء أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الأرض وكان وعد ربي حقا عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين قوله عقد تسعين هذا من موضوعات
الحساب وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها إلا خلل يسير
وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال ارجعوا فستحفرونه
غدا فيعيده الله تعالى كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا إن شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه
وتفر منهم الناس وفي رواية يتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا
من في الأرض وعلونا من في السماء فيزدادون قوة وقسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي
نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعلوا أي غلظة وفظاظة
وتكبرا والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم وقوله وتسكر يقال سكرت الشاة تسكر سكرا إذا امتلأ ضرعها
لبنا والمعنى أنها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن خ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج قوله سبحانه وتعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط
بعضهم في بعض ويختلط الناس بهم حيارى ونفخ في الصور فيه دليل على أن يأجوج ومأجوج من علامات
قرب الساعة فجمعناهم جمعا أي في صعيد واحد وعرضنا أي أبرزنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا أي يشاهدونها عيانا الذين كانت أعينهم في غطاء أي غشاء وستر عن ذكري أي عن الإيمان
والقرآن والهدى والبيان وقيل في رؤية الدلائل وتبصرها وكانوا لا يستطيعون سمعا أي سمع القرآن

والايمان لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون ان يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم
له قوله تعالى **افحسب** اى فظن **الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء** يعنى اربابا يريد
عيسى والملائكة بل هم اعداء ويتبرؤن منهم قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى الشياطين اطاعوهم من دون الله
والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا غيرى اولياء وانى لا اغضب لنفسى فلا اعاقبهم وقيل معناه افظنوا انه
ينفعهم ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء **انا اعتدنا** اى هيأنا **جهنم للكافرين نزلا** اى منزلا قال ابن
عباس رضى الله عنه هو مثويهم وقيل معدة لهم عندنا كالمنزل للضيف قوله سبحانه وتعالى **قل هل ننبئكم بالاخسرين**
يعنى الذين اتعبوا انفسهم فى عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود
والنصارى وقيل هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم فى الصوامع وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه هم
اهل حروراء يعنى الخوارج **الذين ضل سعيهم** اى بطل عملهم واجتهادهم **فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون**
اى يظنون **انهم يحسنون صنعا** اى عملا فقال تعالى **اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه**
يعنى انهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا بالنبى صلى الله عليه
وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء **فحبطت اعمالهم** اى بطلت **فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا**
وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما توضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز مقدار الطاعات
ومقدار السيئات قال ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه يأتى الناس باعمالهم يوم القيمة هى عندهم من العظم
كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا معناه نزدريهم فليس لهم
عندنا خطر ولا قدر ولا وزن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليأتى
الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة قال اقرؤا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
ذلك اشارة الى ما ذكر من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدأ فقال **جزاؤهم جهنم بما كفروا و
اتخذوا اياتى ورسلى هزوا** يعنى سخرية واستهزاء قوله تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا** خ عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه
الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس فى الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس
فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها
وقيل الفردوس هو البستان الذى فيه الاعناب وقيل هى الجنة الملتفة بالاشجار التى تنبت ضروبا من النبات
وقيل الفردوس بالرومية وقيل بلسان الحبش منقول الى العربية **نزلا** هو ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار
جنات الفردوس ونعيمها نزلا وقيل فى معنى كانت لهم اى فى علم الله تعالى قبل ان يخلقوا **خالدين فيها لا يبغون**
اى لا يطلبون **عنها حولا** اى تحولا الى غيرها قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل
الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى قوله تعالى **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى** قال ابن
عباس رضى الله عنه قالت اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل وما اوتيتم من العلم الا قليلا
قالت اليهود اوتينا علم التورية وفيها علم كل شئ فانزل الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا اى هى مدة وهى ما يستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد
رضى الله تعالى عنه لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون **لنفد البحر** اى لنفد ماؤه
قبل ان تنفد كلمات ربى اى علمه وحكمه **ولو جئنا بمثله مددا** والمعنى ولو كان الخلائق

يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات الله تعالى ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا او زيادة قوله
تعالى **قل انما انا بشر مثلكم** قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه علم الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله
عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول انى آدمى مثلكم الا انى خصصت بالوحى واكرمنى
الله به وهو قوله تعالى **يوحى الى انما الهكم اله واحد** لا شريك له فى ملكه **فمن كان يرجو لقاء ربه**
اى يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه **فليعمل عملا صالحا** اى من حصل له رجاء لقاء الله تعالى
والمصير اليه فليستعمل نفسه فى العمل الصالح **ولا يشرك بعبادة ربه احدا** اى لا
يرائى بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة
اعتبر فيه قيدان احدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثانى ان يكون مبرءا من جهات الشرك جميعا
ق عن جندب بن عبد الله البجلى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله
به قوله من سمع سمع الله به اى من عمل عملا مراءاة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيمة وقيل معنى سمع الله به اى
اسمعه المكروه م عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
تبارك وتعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته وشركه ولغير مسلم فانا
منه برئ هو الذى عمله عن سعيد ابن ابى فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك فى عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله
اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف
عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء م عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفى رواية من اخرها
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة مريم عليها السلام وهي مكية وهي ثمان وتسعون آية واثنان وثمانون وسبعماية
كلمة وثلاثة الاف وسبعماية حرف بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل هو قسم اقسم الله
تعالى به وعن ابن عباس ايضا قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هادي والياء من رحيم والعين من عليم و
الصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر اى
هذا الذكر الذي نتلوا عليك رحمت ربك عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته إذ نادى
اى دعى ربه في المحراب نداء خفيا اى دعاء سرا في قومه في جوف الليل وقيل داعى سنة الله في اخفاء دعائه
لان الجهر والاسرار عند الله سبحانه وتعالى سيان لكن الاخفاء اولى لانه ابعد عن الرياء وادخل في الاخلاص
وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله سبحانه
وتعالى قال رب اني وهن العظم مني اى ضعف من الكبر وقيل اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الرأس
اى الشعر شيبا اى شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا اى عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني
وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان امنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي من ورائي اى من بعد
موتي والموالي هم بنوا العم وقيل العصبة وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة فهب لي من لدنك وليا
اى اعطني وليا مرضيا يرثني ويرث من آل يعقوب اى وليا وارثا وقيل اراد به يرث من آل يعقوب
النبوة والحبورة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبورية لان زكرياء كان رأس الاحبار
والاولى ان تحمل على ميراث غير المال لان الانبيا لم يورثوا المال وانما ورثوا العلم ويبعد من زكريا وهو نبي
من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنوا عمه وانما خاف ان يضيع بنوا عمه دين الله ويغيروا احكامه
وذلك انه لما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبيا فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث
نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس واجعله رب رضيا اى برا تقيا قوله تعالى
يا زكريا المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اى بولد اسمه يحيى
لم نجعل له من قبل سميا اى لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبيها ومثلا وذلك
لانه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل ولم يرد الله تعالى بذلك
اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه قال رب
انى يكون لي غلام اى من اين يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا اى وامرأتي عاقر وقد بلغت من
الكبر عتيا اى يبسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد قال كذلك قال ربك هو علي
هين اى يسير وقد خلقتك من قبل اى من قبل يحيى ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية
اى دلالة على حمل امرأتي قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اى صحيحا
سليما من غير بأس ولا خرس وقيل ثلاث ليال متتابعات والاول اصح قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس
فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله عز وجل فخرج على قومه من المحراب اى من الموضع الذي
كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم فيدخلون ويصلون اذ خرج اليهم زكريا
متغيرا لونه فانكروا ذلك عليه وقالوا له ما لك فأوحى اى فأومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض
أن سبحوا اى صلوا لله بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيأمرهم بالصلوة

اشارة

اشارة قوله عز وجل يا يحيى فيه اضمار معناه وقلنا له يا يحيى او وهبنا له يحيى وقلنا خذ الكتاب
اى التورية بقوة اى بجد واجتهاد وآتيناه الحكم قال ابن عباس يعني النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين
وذلك ان الله احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبي
قلت لان اصل النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت هذا فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم
فهم الكتاب فقرأ التورية وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا
وحنانا من لدنا اى رحمة من عندنا قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه • تحنن علي هداك المليك
فان لكل مقام مقالا اى ترحم علي وزكوة ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا الى العباد
ليدعوهم الى طاعة ربهم وعملا صالحا في اخلاص وكان تقيا اى مسلما مخلصا مطيعا وكان من
تقويه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط وبرا بوالديه اى بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد
تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا الآية ولم يكن جبارا الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد
على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه من لا يلزمه قضا لاحد عصيا قيل هو ابلغ من العاصي والمراد
وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا معناه وامان له من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم
يموت امان له من عذاب القبر ويوم يبعث حيا اى من عذاب يوم القيمة وقيل احسن ما يكون للخلق في ثلثة
مواطن يوم يولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط ويوم
يبعث حيا لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها فخصه بالسلامة فيها
قوله تعالى واذكر في الكتاب اى القرآن مريم اذ انتبذت اى تنحت واعتزلت من اهلها اى عن قومها
مكانا شرقيا اى مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شديد البرد فجلست في مشرقة تفلي رأسها وقيل
ان مريم قد كانت طهرت من الحيض فذهبت تغتسل قيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت
اى فضربت من دونهم حجابا قال ابن عباس اى سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون
في المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض
قد تجردت اذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرد وضيء الوجه سوي الخلق فذلك قوله تعالى فارسلنا اليها
روحنا يعني جبريل فتمثل لها بشرا سويا اى سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئا وانما
مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر
على استماع كلامه وقيل المراد من الروح روح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما
رأت مريم صورة جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
اى مؤمنا مطيعا لله تعالى تعوذها من تلك الصورة الحسنة دل على عفتها وورعها فان قلت انما يستعاذ
من الظالم او الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني
اى ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك ههنا ينبغي معناه ان يكون تقواك مانعا لك من الفجور
قال انما انا رسول ربك لاهب أسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل
لك غلاما زكيا اى ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت مريم أنى يكون لي اى من اين يكون لي
غلام ولم يمسسني بشر اى ولم يقربني زوج ولم اك بغيا اى فاجرة تريد ان الولد انما يكون

من نكاح او سفاح ولم يكن ههنا واحد منهما قال جبريل كذلك قال ربك اى هكذا قال ربك هو على هين
اى خلق ولد بلا اب ولنجعله اية للناس اى علامة لهم ودلالة على قدرتنا ورحمة منا اى ونعمة لمن
تبعه على دينه الذى بعثه ودين محمد صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا اى محكوما مفروغا منه لا يغير
ولا يبدل قوله عز وجل فحملته اى قيل ان جبريل رفع درعها فنفخ فى جيبها نفخ من بعيد فوصل النفخ اليها فحملت
بعيسى فى الحال فانتبذت به اى فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت مكانا قصيا اى بعيدا من اهلها قال
ابن عباس اقصى الوادى وهو بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ليعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل و
الولادة فى ساعة واحدة وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل
كانت مدته تسعة اشهر كحمل ساير الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية اشهر وذلك اية اخرى لدلالة
انه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة اشهر وهى بنت عشر سنين وقيل
ثلاثة عشر سنة وقيل ستة عشر سنة وقيل كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قال وهب ان مريم لما حملت
بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكانا مريم ويوسف
يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة واجتهادا منهما واول من عرف بحمل مريم يوسف
فبقى متحيرا فى امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبريها راى
ما ظهر بها من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع فى نفسى من امرك شئ وقد حرصت على كتمانه فقالت قل قولا جميلا
قال اخبرينى يا مريم هل ينبت بذر بغير زرع وهل ينبت شجر بغير غرس وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم بان الله
انبت الشجرة بالقدرة من غير غيث او تقول ان الله تعالى لا يقدر على شئ ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا
ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكن اقول ان الله تعالى يقدر على كل شئ يقول له كن فيكون قالت له
مريم الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر وانثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة
المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنى ولادتها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجى من ارض قومك فذلك قوله تعالى
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض اى الجاها وجاء بها والمخاض وجع الولادة الى جذع النخلة
وكانت نخلة يابسة فى الصحراء فى شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت اليها لتستند اليها وتستمسك بها من شدة
الطلق ووجع الولادة قالت يا ليتنى مت قبل هذا تمنت الموت استحياء من الناس وخوفا للفضيحة وكنت
نسيا منسيا يعنى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انها تمنت
انها لم تخلق فناديها من تحتها قال ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناديها من
سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك انه لما خرج من بطن امه ناديها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا
اى نهرا قال ابن عباس رضى الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله فى الارض فظهرت عين ماء
عذب وجرى وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحسنت النخلة اليابسة فاورقت
واثمرت وارطبت وقيل معنى تحتك اى بامرك ان امرتيه ان يجرى جرى وان امرتيه بالامساك امسك وقيل معناه
ان عيسى كان عبدا سريا رفيعا وهزى اليك اى حركى بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل
الجنى الذى بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع ابن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من
العسل فكلى واشربى اى يا مريم كلى من الرطب واشربى من النهر وقرى عينا اى طيبى نفسا وقيل قرى
عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك فاما ترين من البشر احدا
معناه فيسئلك عن ولدك فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا قيل كان فى بنى اسرائيل من اراد

ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وقيل ان الله تعالى امرها ان تقول هكذا اشارة
وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وانما منعت عن الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى
عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون اقوى لحجتها فى ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثانى
كراهة مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت عن السفيه واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها كانت
تكلم الملائكة ولا تكلم الانس قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام
حملته فى الحال الى قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى الى غار فمكثت فيه اربعين يوما حتى طهرت
من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا اماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت
على اهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالحين قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
اى عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع يا اخت هرون اى يا شبيهة هرون قيل كان رجلا
صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها وليس المراد الاخوة فى النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات
اربعون الفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى ساير الناس عن المغيرة ابن شعبة قال لما قدمت نجران سالونى
فقالوا انكم تقرؤن يا اخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه و
سلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم والصالحين فيهم وقيل كان هرون اخا مريم لابيها
من افضل رجل فى بنى اسرائيل وقيل انما عنوا هرون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمى يا اخا تميم وقيل
كان هرون فى بنى اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فشبهوها به ما كان ابوك يعنى عمران امرا سوء قال ابن عباس
زانيا وما كانت امك بغيا يعنى حنة بغيا اى زانية فمن اين لك هذا الولد فاشارت اليه
اى اشارت مريم الى عيسى ان كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت
تسخرين بنا قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قيل اراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد واقبل عليهم و
اتكى على يساره وجعل يشير بيمينه وقال انى عبد الله قال وهب اتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى
انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد اقر على نفسه بالعبودية
لله تعالى اول ما تكلم لئلا يتخذ الها فان قلت ان الذى اشتدت اليه الحاجة فى ذلك الوقت نفى التهمة عن امه وان
عيسى لم ينص على ذلك وانما نص على اثبات عبودية نفسه لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن امه
فلهذا اول ما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية ليحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة
العظيمة من ولد فى زنا وان التكلم بازالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك اولى اتانى الكتاب
وجعلنى نبيا قيل معناه سيجعلنى نبيا ويؤتينى الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له فى اللوح المحفوظ
كما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال الاكثرون انه اوتى
الانجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه قال الهم التورية وهو فى بطن امه وجعلنى مباركا
اين ما كنت اى معناه نفاعا اينما توجهت وقيل معلما للخير ادعو الى الله بتوحيده وعبادته وقيل مباركا
على من تبعنى واوصانى بالصلوة والزكوة اى امرنى بهما وكلفنى فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلوة
والزكوة فى حال طفوليته وقد قال عليه السلام رفع القلم عن ثلاث الصبى حتى يبلغ الحنث قلت ان قوله واوصانى
بالصلوة والزكوة فى الوقت المعين لهما وهو البلوغ وقيل ان المراد ان الله تعالى صيره حين انفصل من امه بالغا
عاقلا وهذا اظهر فى سياق الاية ما دمت حيا فانه يفيد ان هذا التكليف متوجه اليه فى جميع زمان حياته
حين كان فى الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه وبرا بوالدتى اى جعلنى برا بوالدتى

ولم يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربي متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي انه قال قلبي لين وانا صغير في نفسي وقال بعض العلماء لا يوجد العاق الا جبارا شقيا وتلي هذه الاية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب عن الشرك والسلام علي يوم ولدت اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ويوم اموت اي عند الموت من الشرك ويوم ابعث حيا اي من اهوال يوم القيمة فلما كلمهم بذلك عيسى علموا براءة مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال ذلك عيسى ابن مريم اي الذي قال انا عبد الله هو عيسى ابن مريم قول الحق اي هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان من صفاته اتخاذ الولد ولا ينبغي له ذلك تعالى سبحانه اذا قضى امرا اي اذا اراد ان يحدث امرا فانما يقول له كن فيكون اي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي اراده وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا اخبار عن عيسى انه قال ذلك ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي اخبرتكم به ان الله امرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة فاختلف الاحزاب من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكية واليعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيمة اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة حتى لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في الاخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوؤهم ويصدع قلوبهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قيل اراد بالدنيا في خطاء بين وفي الاخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون اليوم في الاخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي قوله ان لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال المفسرين يعني يوم الحسرة حين يذبح الموت ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت على هيئة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيقول هذا الموت وكلهم قد راه ثم ينادي مناد اخر فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد راه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح المخالط بالبياض والسواد فيشرئبون يقال اشرأب الى الشيء اذا اتطلع ينظر اليه ومال نحوه بنفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم في صورة كبش او غيره فعلى هذا يتاول الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح ويموت فلا يبقى يرجى له حيوة ولا وجود وكذلك حال اهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا استقرار فيهما ولا انتقال ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يدخل الجنة احد الا راى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار احد الا راى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى اذ قضي الامر اي فرغ الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة اي عما يراد بهم في الاخرة وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم والينا يرجعون فنجزيهم باعمالهم قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا اي كثير الصدق وهو مبالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قرب رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل عن ذكر كونه صديقا الى نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني آزر وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يعني صوتا ولا ينظر شيئا ولا يغني عنك اي يكفيك شيئا وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح في الالهية وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها الا من له ولاية الانعام وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة غيره يا ابت اني قد جاءني من العلم بالله والمعرفة ما لم ياتك فاتبعني اي على ديني اهدك صراطا سويا اي مستقيما انجيك من ان تضل يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي عاصيا يا ابت اني اخاف اي اعلم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او يصر على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فانه قوله في مقدمة كل كلامه يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبه اولا على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم نبه ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها الشدة لشدة تعلق قلبه بصلاحية ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا بل لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى قال يعني اباه مجيبا له اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها لئن لم تنته لارجمنك اي ترجع وتسكت عن عيبك الهتنا وشتمك اياها قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم سلام عليك اي سلمت مني بمكروه وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه ساستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد ويغفر له معناه ساسأل ربي لك توبة تنال بها المغفرة انه كان بي حفيا اي برا لطيفا والمراد انه يستجيب لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي افارقكم وافارق ما تعبدون من دون الله وذلك انه لما فارقهم وهاجر من كوثا الى الارض المقدسة وادعوا ربي اي اعبد الذي خلقني وانعم علي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون بعبادة الاصنام ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي ذهب مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحق ويعقوب آنسنا وحشته من فراقهم باولاد

اكرم على الله من ابيه وكلا جعلنا نبيا معناه اى انعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا اى معهم
ووهبنا لهم من النبوة ووهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الاولاد وجعلنا
لهم لسان صدق عليا يعنى ثناء حسنا رفيعا فى اهل كل دين حتى ادعاهم اهل الاديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم
قوله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام اى اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراى
وقرئ بالفتح اى مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذان وصفان مختلفان
فكل رسول نبى ولا عكس وناديناه من جانب الطور الايمن اى من ناحية يمين موسى والطور جبل بين معروف
بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين اقبل من مدين ورأى النار فقال يا موسى انى انا الله رب العالمين
وقربناه قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل
معناه رفع قدره ومنزلته وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى نجيا اى مناجيا ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لى وزيرا من اهلى هرون ولذلك سماه هبة له وكان هرون
اكبر من موسى قوله عز وجل واذكر فى الكتاب اسمعيل هو اسمعيل بن ابرهيم وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع الرجل وقيل
انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف سئل الشعبى عن الرجل يعد ميعادا
الى اى وقت ينتظر فقال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك
فقال ان وعده فى وقت صلوة ينتظر الى وقت صلوة اخرى وكان رسولا الى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن
نزلوا على هاجر ام اسمعيل بوادى مكة حين خلفهم ابرهيم وهو جرهم بن يقطن وهو قحطان بن عامر وقحطان ابو
قبائل اليمن نبيا اى مخبرا من الله تعالى وكان يأمر اهله اى قومه وجميع امته بالصلوة والزكوة
قال ابن عباس يريد بالصلوة المفروضة عليهم وهى الحنيفية التى فرضت علينا وقيل كان يبدأ باهله فى الامر بالصلوة
والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم وكان عند ربه مرضيا اى قائما بطاعته وقيل مرضيا نبوته
وبرسالته وهذا نهاية فى المدح لان المرضى عند الله هو الفائز فى كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل واذكر
فى الكتاب ادريس هو جد ابى نوح واسمه اخنوخ سمى ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط
بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول
من نظر فى علم الحساب انه كان صديقا نبيا وذلك ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلثين صحيفة ورفعناه
مكانا عليا قيل هى الرتبة فى الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روى عن انس بن مالك عن مالك
بن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس فى السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب
رفع ادريس الى السماء الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب انى مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها
فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففتنى حر الشمس فما الذى قضيت فيه
قال ان عبدى سألنى ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه
خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان ادريس يسئله فكان مما يسئله انه قال انى اخبرت انك اكرم الملائكة وامكنهم
عند ملك الموت فاشفع لى اليه ليؤخر اجلى لعلى ازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها
وانا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة صديق لى
من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر اجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم

لنفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك تكلمنى فى انسان ما يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال انى تركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقى من اجل
ادريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل
الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة
بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى الطعام فابى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلث
ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استأذنت ربى ان
اصحبك فقال لى اليك حاجة قال وما هى قال تقبض روحى فقبض روحه وردها الله تعالى اليه بعد ساعة فقال
له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون اشد استعدادا له
ثم قال له ادريس لى اليك حاجة اخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله
له فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما هى قال اريد ان تسأل مالكا ان يرفع ابوابها فاردها
ففعل ثم قال فكما اريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له
ملك الموت اخرج الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله تعالى اليه ملكا حكما بينهما فقال له الملك
ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته ثم قال وان منكم الا واردها فانا
وردتها وقال وما هم منها بمخرجين قال اخرج فاوحى الله تعالى الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو
حى هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا واختلفوا فى انه حى فى السماء ام ميت فقال قوم هو ميت
وقال قوم هو حى وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنين فى الارض وهما الخضر والياس واثنين فى السماء وهما ادريس
وعيسى قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اولئك اشارة الى المذكورين
فى هذه السورة انعم الله عليهم من النبيين وغيرهما مما تقدم وصفه من ذرية آدم يعنى ادريس ونوحا
وممن حملنا مع نوح اى من ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة يريد ابرهيم لانه سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم
يعنى اسحق واسمعيل ويعقوب واسرائيل اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى
وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى احوال الانبياء الذين ذكرهم الله تعالى على هذا الترتيب منبها بذلك
على انهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا واجتبينا اى هؤلاء ممن ارشدنا
واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
جمع ساجد وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبياء عليهم السلام كانوا اذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا
خضوعا وخوفا وحذرا والمراد وما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ما خصهم به من
الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد ففيه استحباب البكاء وخشوع
القلوب عند سماع القرآن فصل وسجدة سورة مريم من عزائم سجود القرآن ينبغى للقارى والمستمع
ان يسجدا عند تلاوة القرآن عند هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة
فان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وان سجد سجدة
الم السجدة قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن
امرك قوله تعالى فخلف من بعدهم اى من بعد النبيين المذكورين خلف اى قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق
بهم وتابعهم وقيل هم فى هذه الامة اضاعوا الصلوة اى تركوا الصلوة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها
وهو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اى آثروا شهوات انفسهم

على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشربوا الخمور وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض
في الاسواق والازقة **فسوف يلقون غيا** قال ابن عباس الغي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره
اعد للزاني المصر عليه والشارب المدمن عليه ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل
هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر يسمى
البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكا وقيل عذابا وليس معنى
يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية قوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل صالحا** يعني
الا من تاب من التقصير في الصلوة والمعاصي وآمن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى **فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيئا** اي لا ينقصون ثوابا ثم وصف الجنة فقال تعالى **جنات عدن** اي بساتين اقامة وصفها بالدوام
بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** اي انهم يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون
عنها **انه كان وعده مأتيا** اي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مأتيا اي يأتيه اولياء الله واهل طاعته **لا
يسمعون فيها لغوا** اي باطلا وفحشا وهو فضول من الكلام **الا سلاما** يعني بل يسمعون سلاما والسلام
اسم جامع للخير لانه معنى السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤثمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل
هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** قال
اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور ابدا ولكنهم يؤتون بارزاقهم
على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب
وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف من افضل الذي
يؤتى به بالبكرة او العشي فوصف الله تعالى الجنة **تلك الجنة التي نورث من عبادنا** اي نعطي وننزل وقيل
يورث من عباده المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا **من كان تقيا** اي المتقين من عباده
قوله عز وجل **وما نتنزل الا بامر ربك** خ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل
ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك **له ما بين ايدينا وما خلفنا** قال
كان جوابا لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ايام فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال له جبريل اني اشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا
بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل
اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا وما خلفنا اي هو المدبر
لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل معناه له ما بين ايدينا من امر الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا
وما بين ذلك اي من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك هو ما بين النفختين وهو مقدار اربعين
سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حيوتنا **وما كان ربك نسيا**
اي ناسيا اي ما نسيك ربك وما تركك **رب السموات والارض وما بينهما** اي من يكون كذلك
لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد ان يدبر احوالهما كلها وفيه دليل على ان فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات
والارض وكان لله تعالى **فاعبده واصطبر لعبادته** اي اصبر على امره ونهيه **هل تعلم له سميا** قال
ابن عباس مثلا هل تعلم احدا تسمى الله غيره قوله **ويقول الانسان** اي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين
انكروا البعث وقيل هو ابي ابن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث **ائذا ما مت لسوف اخرج حيا** قاله استهزاء
وتكذيبا للبعث قال الله تعالى **اولا يذكر الانسان** اي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث **انا خلقناه من قبل**

ولم

ولم يك شيئا والمعنى اولا يتذكر هذا الجاحد في بدو خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق
على ايراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم
بنفسه فقال تعالى **فوربك** وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم **لنحشرنهم** اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين
للبعث **والشياطين** اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا**
قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل
فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة
المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما كان فيه من القلق لما يدهمهم من شدة الامور التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا **ثم لننزعن** اي لنخرجن **من كل شيعة** اي من كل امة واهل
دين من الكفار **ايهم اشد على الرحمن عتيا** قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم
في الشرك والمعنى نقدم في ادخال النار الاعتى والاعتى ممن هو اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون
جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر فالاكفر ممن كان اشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب اعظم
واشد لان عذاب الضال المضل وجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز
التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا**
ولا يقال اولى الا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية انهم احق بدخول النار قوله عز وجل **وان منكم
الا واردها** اي وما منكم الا واردها وقيل القسم فيه مضمر اي والله ما منكم من احد الا واردها والورود
هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هاهنا وفي ما ينصرف اليه الكناية في قوله واردها فقال ابن
عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ننجي الذين
اتقوا منها يدل عليه ما روي ان نافع ابن الازرق روى عن ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال
ابن نافع ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء
ام لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك
فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يدفع عن
المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله تعالى يخمد النار فيدخلها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى
يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين
بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين لا يجدون المها فان قلت
اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا
علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم
باقون وثالثها انهم اذا شاهدوا العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة
وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية
لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها
ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم الا واردها يوم القيمة والكناية راجعة اليها
والقول الاول اصح وعليه اهل السنة فانهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله تعالى منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المؤمنون والنجاة انما يكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة
القسم وفي رواية فيلج النار إلا تحلة القسم أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها عن
أم ميسر الأنصارية أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب
الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وإن منكم إلا واردها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال خالد بن سعدان
يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث يقول النار للمؤمن
جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين
فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار ق عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحمى من فيح جهنم أي وهجها وحرها وقوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا أي كان ورود
جهنم لازما قضاه الله تعالى عليكم وأوجبه ثم ننجي الذين اتقوا أي الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا
أي جميعا وقيل جاثين على الركب قال المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق
يخلد في النار بدليل أن الله تعالى بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق
لا يكون متقيا فيبقى في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقوله لا إله إلا الله ويشهد لصحة
ذلك من آمن بالله ورسوله صح أن يقال إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق
لأن المتقي جزء من المتقي عن الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت أن صاحب الكبيرة متق
وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الآية التي توهموها دليلا
لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث على إخراج المؤمن
الموحد من النار خ عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه
وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من في قلبه مثقال برة من خير ويخرج من النار من في قلبه مثقال برة من خير
ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من خير وفي رواية من إيمان ق عن أبي هريرة أن الناس
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله
قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة
فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى
هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم
الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيأتيهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل
بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان قالوا نعم
قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله
ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله
فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا
فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين
الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار
فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك
فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت

ما شاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تعالى أليس قد أعطيت المواثيق والعهود
أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه
إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول
يا رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق
أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول
الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته قال تمن من كذا وكذا ومثله معه قال أبو سعيد الخدري
لأبي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله
معه قال أبو سعيد رضي الله عنه سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير
الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا عرفناه فيأتيهم
الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام
على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيمة ونتكلم ههنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان
هو نبت له شوك ضعيف وهو من أجود مراعي الإبل وقوله فمنهم من يوبق بعمله يقال أوبقته الذنوب أي أهلكته
والمخردل المرمي المصروع وقيل المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا
أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلد وتبدي العظم قوله كما تنبت الحبة من حميل السيل الحبة بكسر الحاء هي
البزورات جميعا وحميل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني ريحها أي آذاني وأنتنني والقشب السم
فكأنه قال قد سمني ريحها قوله وأحرقني ذكاؤها أي اشتعالها ولهبها قوله رأى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة
والبهجة ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل
الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل له أنها ملأى فيرجع فيقول
يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له تعالى اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وإن لك مثل عشرة
أمثالها فيقول أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه أي أضراسه
وأنيابه وقيل هي أخر الأسنان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من أهل التوحيد في النار
حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء
فينبتون كما ينبت الغثاء في حمائل السيل أخرجه الترمذي الحمم الفحم والغثاء كلما جاء به السيل فدلت الآية
الأولى على أن الكل دخلوا النار ودلت الآية الثانية والأحاديث أن الله أخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك
فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات أي دلائل واضحات
قال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث ومن دونه من قريش للذين آمنوا يعني فقراء أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم بذاذة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم
ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أفخر ثيابهم أي الفريقين خير مقاما أي منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة
وأحسن نديا أي مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا
أي متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا ورئيا أي منظرا من الرؤية قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره حتى إذا رأوا ما يوعدون
أي الأسر والقتل في الدنيا إما العذاب وإما الساعة يعني القيامة فيخلدون النار فسيعلمون
أي ذلك من هو شر مكانا أي منزلا وأضعف جندا أي ناصرا والمعنى فسيعلمون أيهم خير وهم في النار

يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره صح

أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى لك ذلك صح

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لك ذلك صح

آتانا صح

ام المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله عز وجل ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى اي ايمانا وايقانا على انفسهم والباقيات الصالحات اي الاذكار والاعمال الصالحة
التي تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا وخير مردا اي عاقبة ومرجعا قوله تعالى افرايت الذي كفر بآياتنا
الاية ق عن خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية وكان لي على العاص بن وايل السهمي دين فاتيته اتقاضاه وفي رواية
فعملت للعاص بن وايل سيفا فجئته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر حتى يميتك الله ثم تبعث
قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى فساوي مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين
مالا وولدا الى قوله فردا القين الحداد ثم رد عليهم بقوله اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقيل
اعلم علم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال لا اله الا الله وقيل يعني عمل عملا
صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة كلا رد عليه يعني لم يفعل ذلك سنكتب ما يقول اي سنحفظ
عليه ما يقول فنجازيه به في الاخرة وقيل نامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده
عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول معناه اي ما عنده من المال والولد فلا يعود
اليه الارث الى من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله ويأتينا فردا يعني يوم القيمة فردا بلا مال
ولا ولد فلا يصح ان يعطى في الاخرة بمال وولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة يعني مشركي قريش
اتخذوا الاصنام آلهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا اي منعة يعني يكونوا شفعاء ويمنعونهم من العذاب كلا اي ليس
الامر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم يعني يجحدون الاصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤن
منهم ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداء لهم وكانوا اولياءهم في الدنيا
قوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم تؤزهم ازا اي تزعجهم
ازعاجا من الطاعات الى المعصية والمعنى تحثهم وتحركهم على المعاصي تحريكا شديدا وفي الاية دليل على ان الله مريد
لجميع الكائنات فلا تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور
والاعوام وقيل الانفاس التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لهم لعذابهم قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا اي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس
ركبانا قال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها
من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ونسوق المجرمين اي الكافرين
الى جهنم وردا اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا
بعد العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء ق عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان
على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث
باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قالوا
كيف يمشون على وجوههم يا رسول الله قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم
كل حدب وشوك اخرجه الترمذي قوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله اي لا يشفع الا للمؤمنين
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب لقد جئتم شيئا ادا

قال

قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما تكاد السموات يتفطرن منه من الانفطار وهو التشقق
وتنشق الارض اي تخسف بهم وتخر الجبال هدا اي تسقط وتنطبق عليهم ان دعوا اي من اجل ان جعلوا
للرحمن ولدا فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في
الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول للشيء كن فيكون كدت افعل كذا بالسموات والارض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده قال ابن عباس رضي الله عنه فزعت
السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة واسعرت جهنم حين
قالوا لله ولدا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما
يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لانه اي الولد لا بد ان يكون الولد شبيها للوالد ولا شبيه لله تعالى ولان
اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح في الله تعالى من سروره به واستعانته وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله
تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا اي آتيه يوم القيمة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى
ان الخلائق كلهم عبيده لقد احصيهم وعدهم عدا اي عد انفاسهم وايامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء
من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي وحيدا ليس له من اموال
الدنيا شيء قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة قيل
يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله
سبحانه وتعالى العبد دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في اهل السماء
ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال له اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا دعا
جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله يبغض فلانا
فابغضوه ثم يوضع له البغضاء في الارض قال هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه على الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين
اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها
على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك
اي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المؤمنين وتنذر به اي بالقرآن قوما لدا
اي شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا
قبلهم من قرن ختم الله هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا وايقنوا انه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك
العاقبة في الاخرة فكانوا الى الحذر من المعاصي اقرب لذلك فقال تعالى هل تحس منهم اي هل ترى وقيل هل
تجد منهم اي من القرون من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا
اثر والله اعلم

تفسير سورة طه عليه السلام

مكية وهي مائة واربعة وقيل خمس وثلثون
آية والف وثمانمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى
واعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة الزائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طه قيل هو قسم

أقسم الله بطوله وهدايته وقيل معناه يا رجل والمراد به الانسان وهو النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان
وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا انسان
بلغة عك وعك قبيلة من قبايل العرب وقيل معناه طى الارض بقدميك يريد به التهجد وذلك لما انزل الوحى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلوة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله
هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه **ما انزلنا عليك القرآن لتشقى** وقيل لما راى المشركون اجتهاده
في العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقايك فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعنى وتتعب
الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون بها **تنزيلا
ممن خلق الارض والسموات العلى** اى من الله الذى خلق الارض والسموات العلية الرفيعة التى لا يقدر على
خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى **الرحمن على العرش استوى** تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف
مستوفى **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما** يعنى الهوى **وما تحت الثرى** اى انه مالك
لجميع ما في الاربعة اقسام والثرى هو التراب الندى وقيل معناه ما وارى الثرى من شئ وقال ابن عباس ان الارضين على
ظهر الثور والثور على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرت السماء منها وهى الصخرة
التى ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن الثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى الا الله تعالى
وذلك الثور فاتح فاه اذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى
وان تجهر بالقول اى تعلن به **فانه يعلم السر واخفى** قال ابن عباس السر ما تسر في نفسك واخفى من السر
ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم
وما تسر به غدا وعنه ان السر ما اسر به ابن آدم في نفسه واخفى ما عليه مما هو فاعله قبل ان يعمله وقيل السر ان الله
يعلم ما اسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره في نفسه وقيل السر هو العمل الذى يسر من الناس واخفى هو الوسوسة
وقيل السر ان يعلم الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سر من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف
عن القبايح ظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغى ان يحمل السر والاخفاء على ما فيه ثواب او عقاب قال السر هو الذى يسره
المرء في نفسه من الامور التى عزم عليها والاخفاء هو الذى لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى **الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى** تانيث الاحسن والذى فضلت به اسماؤه في الحسن ساير الاسماء دلالتها على معانى
التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية في الحسن قوله تعالى **وهل اتيك حديث موسى**
اى وقد اتيك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسى به في تحمل اعباء
النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود **اذ رأى نارا**
وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع يريد ان يرجع من مدين الى مصر لينزور والدته واخاه فاذن له فخرج باهله
وماله وكانت ايام الشتاء فاخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا يدرى اليلا تضع ام نهارا
فسار في البرية غير عارف بطريقها فالجأه السير الى جانب الطور الغربى الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية
شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فابصر نارا من بعيد
من يسار الطريق من جانب الطور **فقال لاهله امكثوا** اى اقيموا **انى آنست نارا** يعنى ابصرت نارا
لعلى آتيكم منها بقبس اى شعلة من نار في طرف عود **او اجد على النار هدى** اى من اجد عند النار
من يدلنى على الطريق **فلما اتيها** اى اتى النار راى شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اضاءت بنار بيضاء تتقد باضوء
ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قيل كانت الشجرة سمرة خضراء

وقيل

وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت من العناب روى ذلك عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن
الذى رآه موسى نارا بل كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس رضى الله عنهما
هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هى النار بعينها وهى احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن ابى موسى
الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
اخرجه مسلم قيل ان موسى اخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى دنت
فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك **نودى يا موسى انى انا ربك** قال وهب
نودى من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدرى من دعاه فقال انى اسمع صوتك ولا ادرى مكانك فاين انت
فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغى الا لله تعالى فايقن به وقيل انه
سمعه بكل اجزائه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا وقوله **فاخلع نعليك** كان السبب فيه ما روى عن ابن مسعود
مرفوعا في قوله **فاخلع نعليك** قيل كانتا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادى
المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما
موسى فالقاهما من وراء الوادى **انك بالواد المقدس** اى المطهر **طوى** اسم للوادى الذى حصل فيه وقيل
طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته **وانا اخترتك** اى اصطفيتك برسالاتى وبكلامى **فاستمع لما
يوحى** فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب له **اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى**
ولا تعبد غيرى **واقم الصلوة لذكرى** اى لتذكرنى فيها وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى وقيل الاخلاص ذكرى
وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلوة ثم ذكرتها فاقمها ق عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من نسى صلوة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلى قتادة واقم الصلوة لذكرى وفى رواية اذا
رقد احدكم عن الصلوة او غفل عنها فليصليها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلوة لذكرى **ان الساعة آتية
اكاد اخفيها** قال اكثر المفسرين اكاد اخفيها من نفسى فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب
اذا بالغوا في الكتمان للشئ يقولون كتمت سرك في نفسى اى اخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شئ والمعنى
في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت
الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله اشتغل بالمعاصى الى ان يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل
فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى
او يتوب عنها في كل وقت مخافة معاجلة الاجل قوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** اى بما تعمل من خير وشر
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اى فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها **واتبع
هويه** اى مراده وخالف امر الله **فتردى** اى فتهلك قوله عز وجل **وما تلك بيمينك يا موسى** سؤال التقرير والحكمة
فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصى حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة **قال هى عصاى** قال كان لها
شعبتان وفى اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة **اتوكؤا عليها** اى اعتمد عليها اذا مشيت واذا اعييت
وعند الوثبة **واهش بها على غنمى** اى اضرب الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم **ولى فيها
مآرب اخرى** اى حاجة ومنافع اخرى واراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد
بها الحبل ويستقى بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروى عن ابن عباس
ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها

فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتفصن غصن تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا
اراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج واذا ظهر له
عدو كانت تحارب وتناضل له قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول
ارفضها فالقيها اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة فاذا هي حية صفرا من اعظم ما يكون من
الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في
موضع اخر كانها ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر
والانثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت
ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحق نظر موسى فاذا العصا
حية من اعظم ما يكون وصارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان
كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لاسنانها
صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل وارجع حيث
كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي آدم من الحية وقيل
لما قال له ربه لا تخف بلغ طمانينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها
الاولى اي الى هيئتها فنردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله
تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيئا
قال لا ولكني ضعيف من ضعف خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبها
في الموضع الذي كان يضعها اذا توكا قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه من الاية التي لا يقدر عليها
مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك اي الى ابطك
وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء اي من غير عيب والسوء هاهنا البرص قال ابن عباس
كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر اية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا
لنريك من اياتنا الكبرى قال ابن عباس كانت يد موسى اكبر اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى
اي جاوز الحد في العصيان والتمرد وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية
وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره اولى وقال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي
وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك
الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت
بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وقل له
قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يتنفس الا بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب
ربك قال يعني موسى رب اشرح لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك
ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة فرعون وحده
فسئل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف
من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون
واحلل عقدة من لساني وذلك ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ
بلحيته فقال فرعون لامراته اسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل وقيل ان موسى لما

فطمته امه ردته الى فرعون فنشا في حجره وحجر امراته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون
وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به راس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت اسية ايها
الملك انه صبي لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين في احدهما جمرة وفي الاخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى
فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه
وصارت فيه عقدة يفقهوا قولي اي احلل العقدة كي يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي
اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال هرون اخي
وكان هرون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان موسى اقنى جعدا اشدد
به ازري اي اقو به ظهري واشركه في امري اي في امر النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا
اي نصلي لك كثيرا ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا
بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت جميع ما سألته
ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله عز وجل اذ اوحينا الى امك وحي الهام
ما يوحى اي ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعده نعمة عليك فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها
ان اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل الساحل
يعني شاطئ البحر ياخذه عدو لي وعدو له اي يعني فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه
موسى وقيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس
على البركة مع امراته اسية اذا بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه
فاذا ابصبي من اصبح الناس وجها فلما راه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فعند ذلك قال الله تعالى
والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه وحببه الى خلقه قيل ما راه احد الا احبه لملاحة كانت
في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك وانا راعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه
اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك فتقول واسمها مريم متعرفة خبره هل ادلكم على من يكفله
اي على امراة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام
فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها اي بلقائك ورؤيتك ولا تحزن
اي وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثنتي
عشرة سنة فنجيناك من الغم اي من الغم اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس
اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها
اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه
من الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله فرعون ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله
القبطي وخروجه الى مدين خائفا فلبثت سنين اي مكثت في اهل مدين هي بلدة شعيب على ثمان
مراحل من مصر هرب اليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمان وعشرون سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر
زوجته صفيرا ابنت شعيب وثمانية عشر اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثنتي عشرة سنة هاربا
ثم جئت على قدر يا موسى اي جئت على القدر الذي يوحى للانبيا فيه واصطنعتك لنفسي اي اخترتك
واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته
وقيل معناه اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم

اذهب انت واخوك باياتي اي بدلائلي قال ابن عباس يعني الايات التسع التي بعث بها موسى عليه السلام ولا تنيا في
ذكري اي لا تضعفا وقيل لا تفترا ولا تقصرا عن ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام عليكما
ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي دارياه وارفقا به قال ابن عباس
لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين هل لك الى ان تزكى وقيل
امرهما باللطافة لما له في حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت
ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه
وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه
فقال له هامان كنت ارى ان لك عقلا ورايا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون
صواب ما قلت فغلبه على رايه وكان هرون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هرون واوحى الله الى هرون وهو بمصر ان يتلقا موسى
فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحى الله اليه وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف فيسلم
فان قلت لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما
وقضاء الله وراء امركما وقيل هو الزام الحجة وقطع المعذرة لقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر
او يخشى خاش اذا راى بري والطافي بمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد
تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه التذكرة والخشية وذلك حين الجمه الغرق وقرا رجل عند يحيى بن معاذ الرازي
فقولا له قولا لينا الاية فبكى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا
يعني موسى وهرون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس ان يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان
يطغى يجاوز الحد في الاساءة علينا قال الله تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس
دعاكما فاجيبه واري ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فاتياه فقولا انا رسولا ربك
اي ارسلنا اليك فارسل معنا بني اسرائيل اي خل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا
تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وقطع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك قد
جئناك باية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة
وبرهان يدل على صدقنا على ما ادعيناه من الرسالة والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام
التحية انما معناه سلم من العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما
يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي فمن الهكما الذي
ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقيل اعطى
كل شيء صلاحه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر
والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المراة والبعير
الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرة والحمار الاتان ثم هداه اي الهمه كيف ياتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما بال
القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية في الامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فانها كانت تعبد
الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الماضية فحينئذ قال فرعون فما بال
القرون الاولى قال يعني موسى علمها عند ربي اي علمها محفوظ عند الله يجازي بها وقيل انما رد موسى علم ذلك
الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التورية انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل

كيف قال ع

يحيى م

ربي اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء ولا ينسى اي فيذكر وقيل لا ينسى ما كان من اعمالهم حتى يجازيهم بها الذي جعل
لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض لاجلكم طرقا
وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء ماء يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا به
اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من نبات شتى اي مختلف الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها
ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات بالانتفاع بالاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكر
لايات لاولي النهى اي لذوي العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم اي من الارض
خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة
وفيها نعيدكم اي عند الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى اي يوم القيمة والبعث والحساب
قوله تعالى ولقد اريناه يعني فرعون اياتنا كلها يعني الايات التسع التي اعطاها الله موسى فكذب وابى
يعني فرعون وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال يعني فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا
موسى تريد ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا
وبينك موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا
عدلا وقال ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه ليستوي هذا المكان قال يعني موسى موعدكم يوم
الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم النيروز وقال ابن عباس يوم عاشورا
وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعد من الريبة فتولى فرعون فجمع كيده يعني فرعون
كيده يعني مكره وسحره وحيلته ثم اتى اي يوم الميعاد قال لهم موسى يعني للسحرة التي جمعهم فرعون وكانوا
اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصى وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب اي فيهلككم ويستاصلكم وقد خاب من افترى اي خسر من ادعى مع الله الها اخر وقيل هلك و
خسر من كذب على الله تعالى قوله تعالى فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى
سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض
ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة قالوا اي قال بعضهم لبعض سرا ان هذان لساحران يعني موسى
وهرون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم يعني من مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
قال ابن عباس يعني وسيرة قومكم واشرافكم وقيل يصرفان وجوه الناس عنكم وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل
يعني يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي لا
تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل امركم
ثم ائتوا صفا اي جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود وقد افلح اليوم
من استعلى اي فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك واما ان نكون اول من القى
اي عصاه قال يعني موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى
موسى كان الارض امتلات حيات وكانت قد اخذت ميلا في ميل من كل جانب وراوا انها تسعى فاوجس اي اضمر
وقيل وجد في نفسه خيفة موسى قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم
ان يلتبس عليهم فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اي قال الله لموسى لا تخف انك انت الاعلى
اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك والمعنى لا تخف قيل لكثرة حبالهم

وعصيهم فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها تلقف ما صنعوا معناه اي تلقم وتبتلع ما صنعوا انما صنعوا
كيد ساحر قيل معناه اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي من الارض وقال ابن عباس
لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى قال صاحب الكشاف سبحان الله
ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين
وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم
التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم اي لرئيسكم وعظيمكم
واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اقطع اليد
اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا
اي على ايمانكم به انا ورب موسى على ترك الايمان به وابقى اي ادوم قالوا يعني السحرة لن نؤثرك
اي نختارك على ما جاءنا من البينات يعني على الدلالات الواضحات قيل هي اليد البيضاء والعصى وقيل انهم لما سجدوا
راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثرك على الله الذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما
تقضي هذه الحيوة الدنيا انما امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤا مختارين غير مكرهين قلت
كان فرعون اكرههم في الابتداء على تعلمهم السحر لكيلا يذهب اصله وقيل كانت السحرة اثنين
وسبعين اثنين من القبط وسبعين من بني اسرائيل وكان فرعون اكره الذين من بني اسرائيل اذ هو نام فراهم موسى
نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم عليه
ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير
منك ان اطيع وابقى عذابا ان اعصى وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما
قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على [illegible] الشرك فان له جهنم
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا اي من مات على الايمان قد عمل
الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكوة نفسه وقال لا اله
الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من
تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي قوله وانعما يقال
احسن فلان الى فلان وانعم اي افضل وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزاد وتناهيا الى غايته قوله
تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي اسر بهم ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا
اي اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا يبسا اي يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس
الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرقك
البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم فرعون بجنوده اي اصابهم فغشيهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق
وقيل علاهم وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فغرقهم فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل
فرعون قومه وما هدى اي وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
قوله عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا

عليكم المن والسلوى ذكرهم الله تعالى النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من
المناجات بجانب الطور وكتب التورية في الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت
منافعها اليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيما افاض الله عليهم من ساير نعمه وارزاقه كلوا من طيبات ما
رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا كافرين اي طاغين وقيل
لا تنفقوا ولا تنتفعوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا فيحل عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن
يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس تاب عن الشرك
وامن اي وحد الله وصدقه وعمل صالحا اي ادى الفرائض ثم اهتدى قال ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله
تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله عز وجل وما اعجلك
اي وما حملك على العجلة عن قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه
الى الطور لياخذوا التورية فسار بهم ثم عجل بهم موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان
يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى له وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه قال هم اولاء على اثري اي هم
بالقرب مني ياتون على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل
عن الجواب فقال هم اولاء على اثري قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير ثم اعقبه بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى اي لتزداد رضى
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة الف فافتتنوا بالعجل
غير اثني عشر الفا من بعدك واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى الضلال وهو عبادة العجل اضاف
الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المسببات تضاف الى منشيها في الظاهر وان كان الموجد
لها في الاصل هو الله تعالى فذلك قوله ههنا قيل كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة
وقيل كان من القبط وكان نجار الموسى وامن به وقيل كان علجا من علوج كرمان دفع الى مصر وكان من قوم يعبدون
البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا اي صدقا انه يعطيكم التورية افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم
ان يحل عليكم غضب من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي يعني
ما وعدوه من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ونحن نملك امرنا وقيل
باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي
حملنا مع انفسنا ما كنا قد استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل
الاوزار والاثام اي حملنا اثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم
الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق فرعون نبذ البحر حليهم فاخذها بنوا اسرائيل فكانت غنيمة ولم
تكن الغنائم تحل لهم فقذفناها اي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى
يرجع موسى فيرى رايه فيها وقيل ان هرون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي ما كان معه
من الحلي فيها قال ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل ان هرون مر على السامري وهو يصوغ العجل
فقال له ما هذا قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هرون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه فالقى السامري
ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا فكان كذلك بدعوة هرون فذلك قوله تعالى فاخرج
لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة

على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارق بحيث اذا دخل فيها الريح صوت كصوت
العجل الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله موسى يعني قال ذلك السامري ومن
تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول السامري
اى ان موسى نسي الهه وتركه ههنا وذهب يطلبه وقيل معناه ان موسى انما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق
آخر فاخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كأنه اخبر عن السامري انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان
الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون الا يرجع اليهم
قولا اى ان العجل لا يرد لهم جوابا اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ
لهم اذ اعبدوا ما لا يملك ضرا من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني اسرائيل
قوله عز وجل ولقد قال لهم هرون من قبل اى من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اى ابتليتم
بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني اى على ديني في عبادة الله واطيعوا امري اى في ترك عبادة العجل
اعلم ان هرون عليه السلام سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم
به ثم دعى الى معرفة الله بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع بقوله
واطيعوا امري فهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله
تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن فخص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم
على انهم متى تابوا اقبل الله توبتهم لانه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اى لن
نزال عليه اى على عبادة العجل عاكفين اى مقيمين حتى يرجع الينا موسى كأنهم قالوا لن نقبل حجتك
ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم هرون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا فلما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون
حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله قال
له يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا اى اشركوا الا تتبعني اى تتبع امري ووصيتي وهلا
قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم
فتكون مفارقتك زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري اى خالفت امري قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي اى بشعر رأسي وكان قد اخذ ذوائبه اني خشيت ان تقول اى لو انكرت عليهم لصاروا حزبين
يقتل بعضهم بعضا فرقت بين بني اسرائيل اى خشيت اذا فارقتهم واتبعتك ان يصيروا احزابا يتقاتلون
فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اى لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وارفق
بهم ثم اقبل موسى على السامري قال فما خطبك اى فما امرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت يا
سامري قال يعني السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول اى من تراب حافر فرس
جبريل فنبذتها اى فقذفتها في فم العجل فخار فان قلت كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر
الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعته في
كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه لما قضى الله عليه اى على يديه من الفتنة الوجه
الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور فرآه السامري من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا
شأنا فقبض القبضة من اثر تربة موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاءك
للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه
وهو قوله وكذلك سولت اى زينت لي نفسي وقيل انه من التسويل والمعنى انه لم يدعني الى ما فعلت غيري

واتبعت فيه هواي قال يعني موسى للسامري فاذهب فان لك في الحيوة اى ما دمت حيا ان تقول لا مساس
اى لا تخالط احدا فعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بني اسرائيل ان لا
يخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس لا مساس لك
ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع او مسه احد حما جميعا فتحامى الناس وتحاموه
وكان يصيح لا مساس حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان لك اى يا سامري موعدا اى بعذابك في الآخرة
لن تخلفه قرئ بكسر اللام معناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيمة وقرئ بالفتح اى لن تكذبه
ولن يخلفك الله بل يكافيك على فعلك وانظر الى الهك اى الذي تزعم الذي ظلت عليه عاكفا اى دمت
عليه مقيما تعبده لنحرقنه اى بالنار ثم لننسفنه اى لنذرينه في اليم اى في البحر نسفا روي ان موسى
اخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه اى لنبردنه فعلى هذا التأويل
لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد
حيث صارت بحيث يمكن نسفها في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب السامري رجع الى بيان الدين
الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل انما الهكم الله اى المستحق للعبادة والتعظيم الذي لا اله الا هو وسع
كل شيء علما اى وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل كذلك نقص عليك من انباء يعني من اخبار
ما قد سبق يعني من الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد اتيناك من لدنا ذكرا وهو القرآن
من اعرض عنه اى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اى حملا ثقيلا
من الاثم خالدين فيه اى مقيمين في عذاب الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس ما حملوا على انفسهم
من الاثم يوم ينفخ في الصور فقيل هو قرن ينفخ يدعى به الناس للحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية
لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اى نحشر المجرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا
وقيل عطاشا يتخافتون اى يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ان لبثتم اى مكثتم في الدنيا الا عشرا
اى عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك ان العذاب رفع عنهم بين النفختين
فاستقصروا امدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال الله تعالى ويتخافتون اى يتشاورون بينهم نحن اعلم بما يقولون
اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما قصر ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم في يوم القيمة
وقيل مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال الكلبي
سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيمة فانزل الله هذه الآية
والنسف هو القلع اى يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا صفصفا اى ارضا
ملساء لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى لا انخفاضا ولا ارتفاعا اى لا ترى واديا ولا رابية
يومئذ يتبعون الداعي اى صوت الداعي الذي يدعوهم الى موقف يوم القيمة وهو اسرافيل وذلك انه يضع
الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة والشعور واللحوم
المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن لا عوج له اى لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا
وخشعت الاصوات للرحمن اى سكنت وذلت وخضعت والمراد به اصحاب الاصوات وقيل خفضت الاصوات
من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد
بالهمس صوت الاقدام في مشيها الى المحشر كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة لاحد من الناس
الا من اذن له الرحمن اى الا من اذن له ان يشفع ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله

وفيه دليل على انه لا يشفع غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع درجة عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يؤذن له فيها وكان
عند الله مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم الله
ما قدموا من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع
الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية
ترجع الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى وقيل اي ولا يحيطون
بالله علما وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه
واراد بها المكلفين لان عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر
وقوله تعالى للحي القيوم تقدم تفسيره وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله تعالى
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ابن عباس اي لا يخاف ان يزاد على سيئاته ولا ينقص من
حسناته وقيل لم يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل عنه حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما
بينا في هذه السورة هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله كذلك وقوله قرآنا عربيا اي بلسان
العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد الذي
كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد فيما يتعلق فتكريره
وتصويغه يقتضي بيان الاحكام فكذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم وترك
الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انما انزلنا القرآن لاجل ان يصيروا متقين مجتنبين ما لا ينبغي وقيل معناه يجدد
لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله للامم السالفة قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق اي جل الله
وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده
وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه
ولا تعجل بالقرآن اراد النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل ان يفرغ
جبريل مما يريه من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقرآن اي ولا
تعجل بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تلقه الى اصحابك
ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما
الى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في
العلم وقيل كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله عز وجل ولقد عهدنا الى آدم
يعني امرناه واوصينا اليه ان لا يأكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا
وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا اليه من الاحتراز عن اكل
هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما اي صبرا عما نهي عنه و
حفظا لما امر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل معناه
لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك اي حوى وسبب
العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند
الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى
تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط

٥ وهم لا يعلمون والمعنى ان العباد لا يحيطون بما بين ايديهم وما خلفهم ع
٥ وانما خص الوجوه بالذكر ع
٥ ويحدث لهم القرآن ذكرا يعتبرون فلا يفعلون ما لا ينبغي ع

الى

الى آدم ثورا احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاه فان قلت اسند الشقا الى آدم دون
حوى قلت فيه وجهان احدهما ان في ضمن شقاء الرجل شقا اهله كما ان في سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم الثاني
اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على زوجته ان لك الا تجوع
فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها اي لا تعطش ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لانه
ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن من الامور التي يدور عليها كفاف
الانسان فذكر الله تعالى حصول هذه الاشيا في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية ولا الى كسب كما يحتاج اليه اهل
الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة واسر اليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة التي ان اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى
اي لا يبيد ولا يفنى رغبة في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبه ابليس فيه الا ان الله
تعالى وقفه ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها وآدم مع كمال علمه بان الله
تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل
هذا السر عرف انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل آدم وحوى
من الشجرة فبدت لهما سوآتهما اي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت
عوراتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان بسوآتهما من ورق التين
وعصى آدم ربه اي باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل اخطأ طريق الحق وضل حيث
طلب الخلد باكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة
يجوز ان يقال عصى آدم ولا يجوز ان يقال آدم عاص لانه يقال لمن عاد الى المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط
ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا ويعتاده ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال آدم يا
موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قدره الله تعالى علي قبل ان يخلقني
باربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم قال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال قبل ان
اخلق باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على امر عملت عملا كتبه الله علي ان
اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى الكلام على معنى الحديث
وشرحه قوله احتج آدم وموسى المحاجة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اي جادلته فغلبته قال ابو
سليمان الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر
للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج آدم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه الاخبار
عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها
والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضا في هذا معناه الخلق واذا كان الامر كذلك فقد
بقي عليهم من وراء علم الله افعالهم واكسابهم ومباشرتهم الامور وملابستهم اياها عن قصد وتعمد
وتقديم ارادة واختيار فالحجة انما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا
انهما امران لا ينفك احدهما عن الآخر لان احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما
فقد رام هدم البناء ونقضه وانما موضع الحجة لآدم على موسى ان الله تعالى لما كان قد علم من آدم انه يتناول
الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه ان يرد علم الله فيه وان يبطله بعد ذلك وانما كان تناوله الشجرة سببا

٧ كاسب ع
٧ انت ع
٥ قال ع
الله نعم قال ع
٥ المجادلة ع

لنزوله الى الارض التي خلق لها وانما ادلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لايمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني
على امر قدره الله علي من قبل ان يخلقني باربعين سنة

فصل في بيان عصمة الانبياء عليهم السلام

ومما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الانبياء وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة
احدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني هو ما يتعلق بالتبليغ
فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك
لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه غير ممكن
الثالث ما يتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم على سبيل السهو
الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلفت الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكباير الثاني
قول من منع الكباير وجوز الصغاير على جهة العمد وهو قول اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة
ولا كبيرة البتة بل على جهة التاويل وهو قول الجبائي الرابع ان لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء
الخامس انه لا يقع منهم لا صغيرة ولا كبيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل وهو
قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت
الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب
الى انه لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا وابي الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام والمختار عندنا
انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل على وجوه احدها لو صدر الذنب عنهم
لكانوا اقل درجة من عصاة الامة وذلك غير جائز ايضا لان درجة الانبيا في غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه
وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان اقل حالا من عدول الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة
والرسالة هو انه يشهد على الله انه شرع هذا الحكم وايضا فانه يوم القيمة شاهد على الكل الثالث لو صدر
من النبي صلى الله عليه وسلم ذنب وجب الاقتداء به وذلك محال الرابع ثبت ببديهة العقل انه لا شيء اقبح من رفع
الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفة على عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم عليه
ترجيحا لغرضه واجمعت الامة على ان الانبيا كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى فلو لم يطيعوه
لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الخامس قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظة للعموم فيتناول
الكل فيدخل فيه فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبيا كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي
عنه وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال
الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين وقال في حق موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الايات التي تدل على
كونهم موصوفين بالاصطفا والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما المخالف
فقد تمسك باية قصة آدم هذه والجواب عنها ان تقول ان كلامهم انما يتم ان لو بينوا بالدلالة ان ذلك حال
النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز ان يقال ان آدم حال ما صدرت عنه هذه الاشيا ما كان نبيا وان هذه الواقعة
كانت قبل النبوة وان الله قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة آدم وقوله و
عصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطى وندم وقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي

ولم

ولم نجد له عزما اي ثبتا على عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم نجد له قصد المخالفة استخفافا لها واهمالا ولكنه اغتر
بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال
ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة وقيل لم يجد له كل الحزم وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول
نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل ان الله
تعالى نهاه عنها نهي تحريم فان قلت اذا انتفت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى
وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكايهم على ما سلف
منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ
غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها فاتوها على وجه التاويل او السهو او تزيدوا من
امور الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها فهم خايفون وجلون
وهي ذنوب بالنسبة الى علي منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل
فيه ان شاء الله الى قوله تعالى ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه فتاب عليه
اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهدى كما هداه الى التوبة حتى رجع الى الندم والاستغفار قال اهبطا منها
جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا لاشتمال الكل
على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوى لانهما اصل البشر بعضكم
لبعض عدو وقيل في تقوية هذا الظاهر ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس ويحتمل ان يكون
بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول فمن اتبع هداي اي
الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة
ووقاه الله يوم القيمة سوء الحساب وذلك بانه تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل اي في الدنيا ولا
يشقى اي في الآخرة ومن اعرض عن ذكري يعني القرآن فلم يومن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا
روي عن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط
في القبر حتى تختلف اضلاعه وفي بعض المسانيد مرفوعا يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا
يزال يعذب حتى يبعث وقال الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث
وقال ابن عباس الشقا وعنه ايضا قال كل ما اعطي العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك
في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة في الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا
وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من سو ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة
حتى لا يشبع قوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن
الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي بصير العين او بصيرا بالحجة قال كذلك اتتك
اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل
تنسى من الرحمة ولم تنسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف اي اشرك
ولم يومن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى اي مما نعذبهم به في الدنيا
والقبر او ابقى اي ادوم قوله تعالى افلم يهد لهم اي افلم يبين لهم القرآن لكفار مكة كم اهلكنا

قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يعني في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون
الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى
اي لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم لكان لزاما واجل مسمى
تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو يوم القيمة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون
الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون فنسختها اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك
قبل طلوع الشمس يعني صلوة الفجر وقبل غروبها اي صلوة العصر ومن اناء الليل اي ساعاته
فسبح يعني فصل المغرب والعشا قال ابن عباس يريد اول الليل واطراف النهار يعني صلوة الظهر
سمي وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الاخير ابتداء
لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد ومعناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرئ ترضى بضم التاء اي تعطى ثوابه وقيل
يرضاك ربك ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلوة
قبل الفجر وقبل غروبها فافعلوا وقرئ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله لا تضامون بتخفيف
الميم من الضيم الظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته والكاف في قوله كما ترون القمر
كاف التشبيه للرؤية لا للمرئي وهو فعل الرائي ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر
ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل ولا تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله
عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق
او اسلفني الى هلال رجب فقلت له ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فقال والله لئن باعني او اسلفني لقضيته واني لامين في السماء امين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه
فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اي لا تنظر نظرا الا يكاد ترده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا له الى
ما متعنا به اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وبهجتها
لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيد لهم النعمة فيزدادوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي في
المعاد في الجنة خير وابقى اي احسن وادوم قال ابي بن كعب من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع
بصره ما في ايدي الناس طال حزنه ومن ظن ان نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه
قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان في دينك بالصلوة اي بالمحافظة واصطبر عليها اي اصبر
على الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان
القول لا نسئلك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن
نرزقك بل نحن نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة للتقوى اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين
صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض الاسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلوة وتلا هذه الاية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي بالاية المقترحة
فانه كان قد اتاهم بايات كثيرة اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران
لانه اقوى دلالة واوضح اية وقيل معناه ما في الصحف التورية والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات
فلما اتتهم لم يؤمنوا بها فعجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم ان تاتيهم الاية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل
بينة ما في الصحف الاولى وهي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله

اي من قبل

اي من قبل ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيمة لولا ارسلت
الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب والهوان والافتضاح قل كل متربص
اي منتظر دوائر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله فتربصوا
اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جاء امر الله وقامت القيمة من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم
ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام انتم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانبياء عليهم السلام

مكية وعددها مائة واثنا عشر اية والف ومائة وستون كلمة واربعة الاف وثمانمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم يوم القيمة نزلت
في منكري البعث وانما ذكر الله الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونوا اقرب الى التاهب له والمراد
بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه
وهم في غفلة معرضون اي عن التاهب له وقيل معناه انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون
في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسنين والمسيئين اذا انتبهوا عن سنة الغفلة بما يتلى
عليهم من الايات والنذر اعرضوا عنه ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني ما يحدث الله من تنزيل
شيء من القران يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله يحدث الامر بعد الامر فينزل الاية بعد الاية والسورة بعد
السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور والوقايع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه
وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القران واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية
قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله واسروا النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في اخفاء
التناجي وهم الذين اشركوا ثم بين الله سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى هل هذا الا بشر مثلكم
يعني انهم انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر لان الانسان الى القبول من
اشكاله قريب افتاتون السحر اي تحضرون السحر وتقبلونه وانتم تبصرون اي تعلمون انه سحر
قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء وهو السميع لاقوالهم العليم
بافعالهم قوله عز وجل بل قالوا اضغاث احلام يعني اباطيل واهاويل راها في النوم بل
افتريه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك ان المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله
فقال بعضهم اضغاث احلام وقال بعضهم بل فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فليأتنا يعني
النبي صلى الله عليه وسلم باية ان كان صادقا كما ارسل الاولون اي من النبي صلى الله عليه وسلم والرسل
بالايات قال الله تعالى مجيبا لهم ما امنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اتتهم الايات
اهلكناها بالتكذيب افهم يؤمنون اي اذا جاءتهم والمعنى اولئك لم يؤمنوا بالايات لما جاءتهم افيؤمن
هؤلاء قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم
والمعنى لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا يوحى اليهم مثلك فاسئلوا اهل الذكر يعني اهل
التورية والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم امر المشركين بمسئلة اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى تصديقهم من تصديق من امن بالنبي صلى الله

عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القرآن اى فسئلوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن ان كنتم لا تعلمون
قوله عز وجل وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى
لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا بل يموتون كغيرهم
ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم اى المؤمنين الذين صدقوهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اى
المشركين لان المشرك مسرف على نفسه قوله عز وجل لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم
اى شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم
وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد افلا تعقلون فيه بعث على التدبر
لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا اى اهلكنا من قرية كانت ظالمة اى كافرة
نعد هلاك اهلها وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اى عذابنا بحاسة البصر اذا هم
منها يركضون اى يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب لا تركضوا اى قيل لهم لا تهربوا
وارجعوا الى ما اترفتم فيه اى نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسئلون
قال ابن عباس عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية في اهل حضورا وقرية باليمن وكان اهلها عربا فبعث الله اليهم نبيا
يدعوهم اليه فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت
لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا اى لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم
فتعطون من شئتم وتمنعون فانكم اهل ثروة ونعمة فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء
يا ثارات الانبياء فلما رأوا ذلك اقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
اى لانفسنا حين كذبنا الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب وقالوا ذلك على سبيل الندامة
ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعويهم يعني الكلمة وهي يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا
خامدين اى بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين اى ميتين قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما
من العجائب للعب واللهو وانما سويناهما لفائدة منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي
لا تعد ولا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اى من عندنا من الحور العين لا من عندكم
من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ويستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك
ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد
الرجل وزوجته يكونا عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين اى ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل
ذلك لانه لم يليق بالربوبية بل اى دع ذلك الذي قالوه فانه كذب وباطل نقذف اى نرمي ونسلط
بالحق اى بالايمان على الباطل اى على الكفر وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا
فيدمغه اى فيهلكه فاذا هو زاهق اى ذاهب والمعنى انما نبطل كذبهم بما تبين من الحق حيث يذهب
ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم الويل يا معشر الكفار مما تصفون الله تعالى بما لا
يليق به من الصاحبة والولد وله من في السموات والارض اى عبيدا وملكا فهو الخالق لهم والمنعم
عليهم باصناف النعم ومن عنده يعني الملائكة وانما خص الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات
لكرامتهم وقربهم لاعتنائهم لا يستكبرون عن عبادته اى لا يأنفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون
اى لا يعيون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون

اى لا يضعفون ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او شغل
آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم ام اتخذوا آلهة من الارض يعني الاصنام من الحجارة والخشب
وغيرهما من المعادن وهو من الارض هم ينشرون اى يحيون الاموات لا يستحق الالهية الا من يقدر على
الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل لو كان فيهما اى في السموات
والارض آلهة الا الله لفسدتا اى غير الله لفسدتا اى لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الالهة
لان كل امر صدر عن الاثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون بوجود الالهين
فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات لو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد
وتسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو محال لان
المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو
امتنعا معا والهذا او وجدا معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين
احدهما انه لما كان كل واحد منهما دون الثاني قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لا بد
وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما انه اذا وقع
مراد احدهما دون الآخر الذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الله
محال ولو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع نقض فعل الآخر وهو على الله محال ولو فرضنا المقدورات
فيفضي الى وقوع قادرين مقدورين مستقلين من وجه واحد منهما لان اسناد الفعل الى الفاعل انما كان
لامكانه قادرا على واحد منهما مستقلا بالايجاد وبالفعل لكونه مع هذا اوجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا
لكنه حاصل منهما جميعا فيلزم استغناؤه عنهما واحتياجه اليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة
التوحيد فنقول القول بوجود الالهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما واذا كان كذلك وجب ان لا يقع
البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا او نقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء
الواحد فذلك المقدور الواحد مقدورهما ومرادهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا
يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الثاني والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كل التقديرات
واعلم انا اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات
والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن
واعلم ان كل من طعن في دلالة التمانع فسر الآية بان المراد لو كان في السماء والارض آلهة يقول بالهيتها
عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا
اولى لانه تعالى حكى عنهم ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان
يختص الدليل به واما قوله عز وجل فسبحان الله رب العرش عما يصفون ففيه تنزيه الله سبحانه
وتعالى عما يصفه به المشركون من الشرك والولد لا يسئل عما يفعل اى لا يسئل الله عما يفعله
او يقضيه في حكمه تعالى وهم يسئلون اى والناس يسئلون عن اعمالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم
في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون
سؤال التوبيخ يقال لهم يوم القيمة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه
احد يقول له لشيء فعله قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه آلهة لما ابطل الله تعالى ان يكون
آلهة سواه بقوله لو كان فيهما آلهة لفسدتا انكر عليهم اتخاذهم الآلهة فقال ام اتخذوا من دونه آلهة

وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اى حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مستانفا هذا يعنى القرآن ذكر من معى فان فيه خبر من معى على دينى ومن يتبعنى الى يوم القيمة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اى خبر من قبلى اى من الامم السالفة وما فعل بهم فى الدنيا وما يفعل بهم فى الآخرة قال ابن عباس ذكر من معى من القرآن وذكر من قبلى التورية والانجيل والمعنى راجعوا القرآن والتورية والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله تعالى اتخذ ولدا او كان معه آلهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اى فوحدونى وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اى عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت فى خزاعة المشركين حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد مكرمون اى اكرمهم الله تعالى واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اى لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس الا لمن قال لا اله الا الله وقيل لمن رضى الله عنه وهم من خشيته مشفقون اى خائفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم انى اله من دونه قيل عنى به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل انى اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين اى الواضعين الالهية والعبادة فى غير موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اى يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اى فصلنا بينهما بالهواء قال كعب الاحبار خلق الله السموات والارض بعضهما على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذا الارض وقيل كانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السموات بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الماء كل شئ حى اى واحيينا بالماء الذى ينزل من السماء كل شئ من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب الحياة كل شئ وقال المفسرون معناه ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء وقيل يعنى النطفة فان قلت قد خلق الله تعالى بعض ما هو مخلوق حى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعنى ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الماء او بقاؤه بالماء افلا يؤمنون اى افلا يصدقون وجعلنا فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت ان تميد بهم اى لئلا تميد بكم قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله تعالى واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اى الرواسى فجاجا اى طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا هو تفسير الفجاج لعلهم يهتدون اى الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا اى من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعنى الكفار عن آياتها معرضون اى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون اى يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجرى والفلك مدار النجوم الذى يضمها وهو فى كلام العرب كل شئ مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك السماء الذى فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وقيل الفلك استدارة

السما

السماء وقيل قال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار الصادقة فسبحان الخالق المدبر بخلقه بالحكمة والعدل والقدرة القاهرة غير متناهية قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعنى الدوام والبقاء فى الدنيا أفإن مت فهم الخالدون نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد فى الدنيا بشرا لا انت ولا هم فان انت مت افيبقى هؤلاء وفى المعنى قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فان الله حى لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة عن مقدمات الموت والآلام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اى نختبركم بالشر والخير اى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اى ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اى للحساب والجزاء قوله تعالى واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اى سخريا قيل نزلت هذه الآية فى ابى جهل مر به النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبى بنى عبد مناف اهذا الذى يذكر آلهتكم اى يقول بعضهم لبعض هذا الذى يعيب آلهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظر الى ثمار الجنة فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلما دخل فوقع فقيل خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل فى خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شئ فى آخر النهار يوم الجمعة فاسرع فى خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيى الروح راسه قال يا رب عجل خلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير قياس خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق الانسان من عجل اى من طين قال الشاعر

والنبع فى الصخرة الصماء منبته فالنخل تنبت بين الماء والعجل

اى بين الماء والطين وقيل اراد بالانسان النوع الانسانى اى بدل عليه قوله تعالى سأوريكم آياتى فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت فى النضر بن الحرث ومعنى سأريكم آياتى اى مواعيدى فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فأراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيمة فلذلك قال تعالى ويقولون اى المشركون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين الله تعالى انهم يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما لهؤلاء المستهزئين فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اى لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون اى لا يمنعون من العذاب والمعنى لو يعلموا ما اقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تأتيهم اى الساعة بغتة اى فجاة فتبهتهم اى تحيرهم فلا يستطيعون ردها اى صرفها ودفعها عنهم ولا هم ينظرون اى لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزئ بك قومك فحاق اى فنزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون اى عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فلذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم قوله تعالى قل من يكلؤكم اى يحفظكم بالليل اذا نمتم والنهار ومعناه اذا انصرفتم فى معايشكم من الرحمن قال ابن عباس معناه يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى عن القرآن

ومواعظه لا يتأملون في شيء منها أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا معناه ألهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر أنفسهم أي لا يقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل معناه فلا يصحبون من الله بخير بل متعنا هؤلاء يعني الكفار وآباءهم أي في الدنيا بأن أنعمنا عليهم وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر أي امتد بهم الزمان فاغتروا أفلا يرون يعني هؤلاء المشركين أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها يعني ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتحه ديار المشركين أرضا فأرضا وقرية فقرية والمعنى أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله المستعجلون بالعذاب آثار قدرتنا في إتيان الأرض من جوانبها بأخذ الواحد بعد الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وندخلها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم ونميت رؤساء المشركين المتنعمين بالدنيا أما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويعلموا أنهم لا يقدرون على الامتناع منا وإرادتنا فيهم أفهم الغالبون استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد إنما أنذركم بالوحي يعني أخوفكم بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون أي يخوفون ولئن مستهم أي أصابتهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين دعوا على أنفسهم بالويل ما أقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين القسط أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها ليوم القيمة أي لأهل يوم القيمة قيل أراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقة ويزن بها أعمال العباد كلها وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه ثم أفاق فقال إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحايف الأعمال فتوضع صحايف الحسنات في كفة وصحايف السيئات في كفة والثاني أن تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فإن قلت ما معنى قوله نضع مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قلت هذا في حق الكفار لأن ليس لهم أعمال توزن مع الكفر قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها معناه أنه لا ينقص من إحسان المحسن ولا يزداد في إساءة مسيء وأراد بالحبة الجزء اليسير من الخردلة ومعنى أتينا بها أي أحضرناها لنجازي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول الله له ألك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تبارك وتعالى له بلى لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي السجل الكتاب الكبير وأصله من السجل أنه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة وهو ما يجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على أن صحايف الأعمال توزن لأن الأعمال تتجسد جواهر فتوزن والله تعالى أعلم قوله تعالى

وكفى

وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه وروي عن الشبلي أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبونا فدققوا • ثم منوا فأعتقوا • وكذا كل مالك • بالمماليك يرفق • قوله عز وجل ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التورية وقيل الفرقان النصر على الأعداء فعلى هذا يكون وضياء يعني التورية ومن قال الفرقان هو التورية جعل الواو زائدة والمعنى وآتينا موسى التورية ضياء وذكرا للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافونه ولا يرونه وقيل يخافونه في الخلوات إذا غابوا عن أعين الناس وهم من الساعة مشفقون أي خائفون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أي كما آتينا موسى الفرقان فهذا ذكر مبارك لمن آمن به يتبرك به ويطلب منه الخير أفأنتم يا أهل مكة له منكرون أي جاحدون قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده أي صلاحه وهداه من قبل أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين أي أنه من أهل الهداية والنبوة إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل يعني صور الأصنام التي أنتم لها عاكفون أي مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم قال يعني إبراهيم لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين يعني في خطأ بين بعبادتكم إياها قالوا أجئتنا بالحق أي بالصدق أم أنت من اللاعبين يعنون أجاد أنت أم لاعب فيما تقول قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي خلقهن وأنا على ذلكم من الشاهدين أي على أنه الإله الذي يستحق العبادة وقيل على أنه خالق السموات والأرض وتالله لأكيدن أصنامكم أي لأمكرن بها لكم بعد أن تولوا مدبرين أي منطلقين إلى عيدكم قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج إبراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشتكي رجلي فتركوه ومضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم صغير والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه كذلك إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا بين أيديهم طعاما أي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأعظم علق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا أي كسرا وقطعا إلا كبيرا لهم أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل ربطه في يديه وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورصاص ونحاس وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله تعالى لعلهم إليه يرجعون قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم وإلى دينه وإلى ما يدعوهم

اليه اذا علموا ضعف الالهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون الى الصنم فيسئلونه ما لهؤلاء مكسرين وانت
صحيح والفاس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم راوا اصنامهم مكسرة قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين اي في تكسيرها واجترائه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم
ويسبهم يقال له ابراهيم اي هو الذي يظن انه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه قالوا فأتوا
به على اعين الناس اي جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس قاله نمرود لعلهم يشهدون اي عليه بانه فعل
ذلك كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما اتوا به قالوا أأنت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال يعني ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبدوا معه هذه
الصغار وهو اكبر منها فكسرهن واراد ابراهيم بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك قوله فاسئلوهم ان كانوا
ينطقون اي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه ان قدروا على النطق
قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم
هذا وقوله لسارة هذه اختي لفظ الترمذي وقيل في قوله اني سقيم اي سأسقم وقيل سقيم القلب مغتم
بضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فانه علق على خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على
سبيل التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه اختي اي في الدين والايمان قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة
فكل هذه الالفاظ صدق في نفسها فان قلت قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب
ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم
عليه السلام منها ومؤاخذته بها قال البغوي وهذه التاويلات لنفي الكذب عن ابراهيم والاول هو الاولى للحديث
فيه ويجوز ان يكون الله اذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف حتى امر مناديه
فقال ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال الامام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل
القاطع انه جاز ان يكذب لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبر الانبياء عنه وذلك
يبطل الوثوق بالشرائع ويطرق التهمة الى كلها وهذا الحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب
قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم
انتم الظالمون يعني تفكروا في قلوبهم بعبادتهم من لم يتكلم وقيل معناه انتم الظالمون لهذا الرجل في سؤالكم
اياه وهذه آلهتكم حاضرة فسئلوها ثم نكسوا على رؤسهم قال اهل التفسير اجرى الله تعالى الحق
على السنتهم في القول الاول وهو اقرارهم على انفسهم بالظلم ثم ادركتهم الشقاوة فرجعوا الى حالهم الاول
وهو قوله ثم نكسوا على رؤسهم اي ردوا على الكفر وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف
تسئلهم فلما اتجهت الحجة لابراهيم عليهم قال لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا اي
ان عبدتموه ولا يضركم اي ان تركتم عبادته اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله
والمعنى انه حقرهم وحقر عبادتهم افلا تعقلون اي ليس لكم عقل تعلمون به ان هذه الاصنام لا تستحق
العبادة فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم يعني انكم لا
تنصرونها الا بتحريق ابراهيم لانه يعيبها ويطعن عليها ان كنتم فاعلين اي ناصرين آلهتكم قال
ابن عمر الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم

القيمة

القيمة وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ذكر القصة
في ذلك فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا
له اصلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم
وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيه فلما
جمعوا ما ارادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى اذا كان الطير يمر بها
فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف
يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فالقوه مغلولا مقيدا فصاحت السماء والارض ومن فيهما
من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة اي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك
احد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الهه ليس له اله غيري
فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا
بينه وبيني فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهوى
وقال ان شئت طيرت النار في الهوى فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل وروي
عن ابي بن كعب ان ابراهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك
لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اليك فلا قال جبريل فسل
ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي خ عن ابن عباس في قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها
ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار ق
عن ام شريك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري قال كان ينفخ على نار ابراهيم قلنا
اي قال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات
ابراهيم من بردها وفي الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم
يقل على ابراهيم بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع
سبعة ايام قال المنهال بن عمرو وقال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم من الايام التي كنت في النار قيل وبعث الله
ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة
وطنفسة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما
علمت ان النار لا تضر احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك
قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فنادى يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار
يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قمت قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم
يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك مثلك في صورتك
قاعدا الى جنبك قال ذاك ملك الظل ارسله الي ربي ليؤنسني فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى ربك
قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده واني ذابح له اربعة آلاف بقرة
قال ابراهيم اذا لن يقبل الله منك شيئا ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك ملكي
ولكن سوف اذبحها فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله عز وجل عنه قوله عز وجل

وأرادوا به كيدا أي أرادوا أن يكيدوه فجعلناهم الأخسرين قيل معناه إنهم خسروا السعي
والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل إن الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت
دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته قوله عز وجل ونجيناه ولوطا يعني من نمرود وقومه
إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين يعني إلى أرض الشام بارك الله فيها وسماها مباركة لأنه ما من ماء
عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل إن أكثر الأنبياء منها عن أبي قتادة أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لكعب ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب إني وجدت
في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين إن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم
أخرجه الترمذي وأبو داود وأراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لأهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول الله قال لأن الملائكة باسطة أجنحتها
عليها أخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ههنا ونحا بيده
إلى الشام أخرجه الترمذي قال محمد بن إسحق استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من
جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود لإبراهيم وآمنت به سارة بنت هاران الأكبر وهو أخو إبراهيم
وكان لهما أخ ثالث اسمه ناحور فقال ثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجرا
إلى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله
ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة
وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا إلى أهلها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي
باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أي عطية من عطاء الله وقال ابن عباس النافلة
هو يعقوب لأن الله تعالى أعطى إبراهيم إسحق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو
ولد الولد وكلا جعلنا صالحين يعني إبراهيم وإسحق ويعقوب وجعلناهم أئمة أي يقتدى بهم في
الخير يهدون بأمرنا أي يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات أي العمل
بالشرائع وإقام الصلوة يعني المحافظة عليها فيه أن الصلوة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكوة
أفضل العبادات المالية ومجموعها التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله تعالى وكانوا لنا عابدين
أي موحدين قوله عز وجل ولوطا آتيناه حكما أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة
وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث
إتيان الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات إنهم كانوا
قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل هو الثواب إنه من الصالحين أي من الأنبياء
قوله تعالى ونوحا إذ نادى من قبل أي من قبل إبراهيم ولوط فاستجبنا له أي أجبنا دعاءه فنجيناه
وأهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل إنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم
بلاء والكرب أشد الغم ونصرناه أي منعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا من أن يصلوا إليه
بسوء وقيل من بمعنى على إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين قوله عز وجل وداود وسليمان
إذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان
زرعا وهو أشبه بالعرف إذ نفشت فيه غنم القوم أي رعته ليلا فأفسدته وكانت بلا راع وكنا

لحكمهم شاهدين أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان
لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره إن رجلين دخلا على داود أحدهما
صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فأفسدته ولم يبق
منه شيء فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت
أمركما لقضيت بينكما بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف
تقضي ويروى أنه قال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين قال أدفع الغنم إلى صاحب
الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل زرعه فإذا صار الحرث
كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك وكان لسليمان
يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة وحكم الإسلام في هذه المسئلة أن ما أفسدت الماشية المرسلة من مال
الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدت بالليل ضمنه ربها لأنه عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه
بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعيد بن محيصة
أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على
أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل زاد في رواية وأن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم
بالليل أخرجه أبو داود وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك إذا لم يكن مع الماشية فلا ضمان عليه فيما أتلفت
ليلا كان أو نهارا ففهمناها سليمان أي علمناه وألهمناه حكم القضية وكلا يعني داود وسليمان
آتينا حكما وعلما أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن
الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاد أم بنص وكذلك
حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد
في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطأوا فلا إثم عليهم ق عن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد
فأخطأ فله أجر واحد وقال قوم إن داود عليه السلام وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال
بهذا يقول لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد لأنهم مستغنون بالوحي واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر
هذه الآية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد مصيبا بل إذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا
بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام إذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر
على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهده ووجه
الاجتهاد في هذا الحكم أن داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب
في ذلك الضرر قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم إلى المجني عليه وأما سليمان فإن اجتهاده أدى إلى أنه يجب مقابلة الأصول
بالأصول والزوائد بالزوائد فغير جائز ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازنة لمنافع الحرث فحكم به ومن أحكام
داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت امرأتان معهما
ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى
به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله
هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير أي يسبحن مع داود
إذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك يسمعه تسبيح الجبال والطير لينشط

في التسبيح ويشتاق وكنا فاعلين يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير وعلمناه صنعة
لبوس لكم اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع في سردها واتخذها حلقا
داود وكانت صفايح قالوا ان الله الان الحديد لداود فكان يعمل منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة
والحصانة وهو قوله عز وجل لتحصنكم اي يمنعكم من بأسكم اي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح
فيكم وقيل ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي يقول ذلك لداود واهل بيته قوله تعالى ولسليمان
الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس
بحركته ويخفى عن البصر بلطفه عاصفة اي شديدة الهبوب فان قلت قد وصفها بالرخا وهي الريح اللينة
قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت وان اراد ان تلين لانت تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها يعني الشام وذلك انها كانت تجري لسليمان واصحابه الى حيث يشا سليمان ثم يعود الى منزله
بالشام وكنا بكل شيء عالمين اي بصحة التدبير فيه وعلمنا انما نعطي سليمان من تسخير الريح
وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير
وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرؤ اذا غزا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من
الارض بملك الا اتاه حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على
الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب واله الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت
تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخا فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد
وكان يمر بعسكره الريح الرخا وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طايرا قال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية
دجلة مكتوب فيه كتبه بعض اصحاب سليمان اما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر
فقلناه ونحن رايحون منه ان شاء الله فبايتون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين بساطا فرسخا في فرسخ من ذهب
في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد
الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين تظله الطير باجنحتها
حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله
سليمان الخيل حتى فاتته صلوة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف
شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بابل وروي ان سليمان سار من ارض العراق
فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف
يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض القندهار وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى اتى ارض
فارس فنزلها واياما وغدى منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام فكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه
الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة حيث يقول الا سليمان
اذ يقول المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد قوله
عز وجل ومن الشياطين من يغوصون له اي وسخرنا له الشياطين يدخلون تحت الما فيخرجون له الجواهر من قعر
البحر ويعملون عملا دون ذلك اي دون الغوص وهو اختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوزون في ذلك الى اعمال المدن والقصور من الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير
والصابون وغير ذلك وكنا لهم حافظين حتى لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم
كانوا اذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان

يعمل

ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى وايوب اذ
نادى ربه اي دعا ربه وسأله ذكر قصة ايوب عليه السلام قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو
ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هرون وكان الله قد اصطفاه
ونباه وبسط له في الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقا من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها
وكان له من اصناف المال فيها كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه في العدة والكثرة
وكان له خمسماية فدان يتبعها خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد وكان يحمل له كل فدان اتان لكل اتان
من الولد اثنين او ثلاثة او اربع او خمسا وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من الرجال والنساء
وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان لانعم
الله مؤديا لحق الله قد امتنع منه عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة و
التشاغل عن الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد امنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن
يقال له اليفن وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللاخر صافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب
عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيث ما اراد حتى رفع عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلوة على ايوب
وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف في السماء حيث كان
يقف وقال الهي نظرت في امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته
بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك
على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم
من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهي من المصيبة الفادحة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت
من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء اتيت عليه فقال ابليس
اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت روسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض
اعصار من نار فاحرقت الابل ورعاتها حتى اتى الى اخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قيمه على قعود الى ايوب
فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري فقال ايوب الحمد لله الذي
اعطانيها وهو اخذها وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها ان شاء تركها وان شاء نزعها وقديما كنت
وطنت نفسي ومالي على الفنا قال ابليس ان ربك ارسل عليها نارا من السما فاحترقت فتركت الناس مبهوتين
متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب
يقدر على ان يصنع شيئا لمنع وليه منه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويخزي
صديقه قال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اعود
الى التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته
الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه
علم بك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اهله خاسئا ذليلا فقال لهم ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه قال
عفريت من الجن عندي من القوة ما اذا شيت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس
فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجثمت امواتا من عند اخرها ومات رعاتها
فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الغنم فوجده يصلي فقال له يا ايوب ماتت الغنم والرعاة فقال له مثل القول الاول

الى ايوب

فرد عليه أيوب مثل الرد الأول فرجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه فقال عفريت
عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء أتى عليه قال فأت الفدادين والحرث
فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادين في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء
تأتي عليه من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل
قوله الأول فرد عليه مثل الرد الأول وجعل إبليس يصيف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى إليه هلاك
مال من أمواله حمد الله وأثنى عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال
فلما رأى إبليس أنه أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا إلى الموقف الذي يقف فيه وقال إلهي إن أيوب
يرى أنك ما متعته بولده وأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها المصيبة التي لا تقوم لها
قلوب الرجال قال الله عز وجل اذهب فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله لنبي الله أيوب وهم في قصرهم
فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل يضرب جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والحجارة
فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه فصاروا منكبين وانقلب إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة
وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا فكبتوا فكانوا منكبين على
رؤوسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم
فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها وقال يا ليت أمي لم تلدني
فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء
وصبر وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله تعالى وهو أعلم فوقف
إبليس خاسئا ذليلا وقال إلهي إنما هون على أيوب المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل
انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به فلم يسلطه
عليه إلا رحمة منه ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا
به في الصبر وطلب الثواب فانقض عدو الله إبليس سريعا فوجده ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه من قبل
وجهه فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه
حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتسلخ وانقطع
وتغير وأنتن وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته
رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف إليه بما يصلحه وتكرمه ولما رأى الثلاثة من أصحابه
وهم اليفن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به رفضوه واتهموه من غير أن يتركوا دينه فلما طال ما به انطلقوا
إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضره معهم فتى حديث السن
قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى إنكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن
تركتم من القول ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ووصفتم فهل تدرون
أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب
نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من الكرامة
التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو
الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين
والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة

وخيرتهم ولو كان أيوب من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ اجتبيتموه على وجه الصحبة فكان لا يجمل بالحليم ولا
يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر
له ويحزن بحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول وقد كان
في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم الخشية من
غير عي ولا بكم وإنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون اقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت
قلوبهم وعقولهم إعظاما لله وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم
من الظالمين والخاطئين وإنهم لهم الأبرار برآء ومع المقصرين المفرطين وإنهم أكياس أقوياء قال أيوب عليه السلام إن
الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فإذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون
الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء
يرون من الله سبحانه وتعالى عليه من نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أتيتموني غضابا رهبتم قبل أن
تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني وقربوا عني قربانا
لعل الله أن يتقبله ويرضى عني وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم بإحسانكم ولو نظرتم فيما
بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني
وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم كنتم علي أشد
من مصيبتي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه وقال أي رب لأي شيء خلقتني ليتني
إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني
فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما إلهي أنا
عبدك إن أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي
من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني وإن سلطانك
هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي فأدلي بعذري
وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه
ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا
أيوب إن الله تعالى يقول ها أنا قد دنوت منك قريبا قم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد
إزارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لقد منتك نفسك
يا أيوب أمرا ما تبلغ بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها
هل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء
غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك أن تجري نورها أو تسير نجومها أين كنت مني يوم أنبعت الأنهار وسجرت البحار أبسلطانك حبس أمواج
البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأنهار حتى بلغت مدتها أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت
شوامخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع يطيق حملها أم
تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أين أنشأت السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين
جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار أم أين خزانة النهار بالليل وأين خزانة الرياح وبأي لغة تتكلم الأشجار
ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق الأسماع والأبصار ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته

وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل على انا لا نقدر ان نذكرها لايوب فعند ذلك بكى ايوب وقال الهي صغر شاني وكل لساني
وعقلي ورايي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك
واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية الهي اوهنتني البلايا فتكلمت ولم
املك فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك رب وليتني
مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود
وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد
البلاء فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امرك فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم
بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى له يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت
رحمتي غضبي قد غفرت لك ورددت اليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلاء
وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم
قد عصوني فيك روي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما
وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهر يختلف فيه
الدود ولا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك
لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة جمع فيها وقال لما اجتمعوا عليه اعياني هذا
العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا ولا عافية ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى
على كناسة لم يقربه غير امراته رحمة فاستعنت بكم لتعينوني فقالوا اين مكرك الذي اهلكت به من مضى قال
بطل ذلك كله في ايوب فاشيروا علي قالوا من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من زوجته قالوا فشانك
من قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امراة
ايوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان
في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال ايوب
وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح
لي هذا ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن
اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها عند ذلك ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت
ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال
فمنذ كم ابتليت قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت على البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني
الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك علي حرام الذي تاتيني به ان اذوق منه شيئا
بعد ان قلت لي هذا اعزبي عني فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب
ولا صديق خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك
فقد استجبت لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق
في بدنه من درن وداء ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين
اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان
عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد اضعفه الله حتى والله لقد ذكر لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير
من صدره جراد من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركة من بركاتك

فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت ان كان طردني الى من اكله ادعه
يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف
واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حول الكناسة وتبكي ورات ذلك يعني ايوب وهابت صاحب الحلة ان تاتيه
فتسال عن ايوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلي الذي كان منبوذا على
الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت كان بعلي قال فهل تعرفينه اذا رايتيه
قالت وهل يخفى على احد راه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا
قال فاني انا ايوب الذي امرتيني ان اذبح لابليس واني اطعت الله وعصيته اي عصيت ابليس ودعوت الله فرد علي
ما ترين قال وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امراته في هيئة
ليس كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت صاحبة
ايوب هذا الرجل المبتلي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت
لانه عبد اله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة لرددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندي
ثم اراها اولادها ببطن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب القديمة ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى ارد
عليك المال والولد واعافي زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك
عن دينك ثم اقسم لئن عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياي واياها الى الكفر ثم ان الله رحم رحمة امراة ايوب بصبرها معه على
البلاء وخفف عليها واراد ان يبر ايوب يمينه فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة
واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن ذكر الله تعالى والفكر
وقيل لم يدع الله تعالى بالكشف عنه حتى ظهر له ثلاثة اشياء احدها ما قيل في حقه لو كان لك منزلة عند الله
تعالى ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوائبها واتته بطعام والثالث
قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت شفيتني وقيل اني مسني الضر من شماتة الاعداء حتى روي انه قيل له بعد
ما عوفي ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى
والضجر والجزع بقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا بشكاية وانما هو دعاء بدليل قوله فاستجبنا
له والشكوى انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قوله قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان
ابن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا بدليل ما روي ان جبريل
عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا
وقال لعائشة حين قالت وا راساه قال بل انا وا راساه قوله عز وجل فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه
فكشفنا ما به من ضر وذلك انه قال له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ماء
فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض فضرب
فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان وآتيناه
اهله ومثلهم معهم قال ابن عباس وابن مسعود واكثر المفسرين رد الله اهله واولاده وعياله رواية اخرى
ان الله تعالى رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات
وعن انس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح
الذهب وعلى اندر الشعير الورق حتى فاضا وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال له ان الله يقريك السلام بصبرك

فاخرج الى اندرك فخرج اليهما فارسل الله اليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال هذه بركة
من بركات ربي ولا اشبع من بركته عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا
خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنا لي عن بركتك
وقيل اوتي ايوب مثل اهله الذين هلكوا وقال عكرمة قيل لايوب ان اهلك الذين هلكوا فان شئت عجلناهم لك في الدنيا
وان شئت كانوا لك في الاخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية وآتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم
في الدنيا واراد بالاهل الاولاد **رحمة من عندنا** اي نعمة من عندنا **وذكرى للعابدين** اي عظة وعبرة
لهم قوله عز وجل **واسمعيل** هو ابن ابراهيم عليه السلام **وادريس** هو اخنوخ **وذا الكفل كل من الصابرين**
اي على ما امر الله به لما ذكر الله تعالى ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد
والعبادة وايضا اسمعيل صبر على الانقياد للذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل
انه كان نبيا من انبياء بني اسرائيل وكان ملكا يوحى اليه فاوحى الله اليه اني اريد ان اقبض روحك فاعرض ملكك على بني
اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويحكم بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك
اليه ففعل ذلك فقام اليه شاب فقال انا اتكفل لك ووفا فشكر الله له ونباه فسمي ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال
لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل فيهم في حيوتي انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني ثلثا استخلفه يصوم
النهار ويقوم الليل ولا يغضب اذا قضا فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر
فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان
لا ينام بالليل والنهار الا تلك القائلة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني
وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فأتني حتى اخذ حقك فانطلق
وراح فكان من الغد فجعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره المظلوم ففتح له فقال الم اقل لك اذا قعدت فأتني قال
انهم اخبث قوم اذا قعدت قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال انطلق فاذا جلست فأتني وفاتته القائلة فلما
جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان في اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب
حتى انام فانه قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعة نام جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة
في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم آمرك قال اما من قبلي
فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم
ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمه الله فسمي ذا الكفل
لانه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو ذكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم
يكن نبيا **وادخلناهم في رحمتنا** يعني ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه في الجنة من الثواب **انهم
من الصالحين** قوله تعالى **وذا النون** اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس
ابن متى **اذ ذهب مغاضبا** قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك
فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم
ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال
فمن ترى وكان في مملكته خمسة انبياء قال يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل
امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا غيري اقوى من الانبياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا
للنبي وللملك ولقومه فاتى بحر الروم وركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم

واستحيا منهم

فاستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي دفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم
الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد
فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة فقال الامر اعجل من ذلك
فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان رجلا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة
تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولي العزم من الرسل
فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت **فظن ان لن
نقدر عليه** اي لن نقضي عليه العقوبة قال ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل
معناه افظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن انه لن
يقدر عليه وكان له سلف وعبادة فابى ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين يوما وقيل
سبعة ايام وقيل ثلثة ايام وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه
في بطن الحوت **فنادى في الظلمات** اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت **ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين** اي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم اعبد غيرك فاخرجه الله
من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه فلا تخدش له لحما ولا تكسر له
عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا
فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا
نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا في مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته
في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد منه في كل يوم وليلة اليك عمل صالح قال نعم فشفعوا
له عند ذلك فامر الحوت ان يقذفه في الساحل فذلك قوله عز وجل **فاستجبنا له ونجيناه من الغم** اي من
تلك الظلمات **وكذلك ننجي المؤمنين** اي من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت فما تمسك
بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبياء وقوله اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله
اني كنت من الظالمين قلت اما الجواب عن الكل فقد اختلف في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال
ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة
ومنعها بعد النبوة واما الجواب التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك اولى بحال الانبياء
واما قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه فحمله انه لقومه فقد تقدم ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان يونس
ظن انه مخير ان شاء اقام وان شاء خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدرة
واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير محله موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه اما
ان يكون لخروجه من قومه بغير اذن ربه او لضعف عما حمله او لدعائه بالعذاب لقومه وفي هذه الاشياء ترك الافضل
مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة كما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز وجل
وزكريا اذ نادى ربه اي دعا ربه **رب لا تذرني فردا** اي وحيدا لا ولد لي يساعدني وارزقني
وارثا **وانت خير الوارثين** هو ثناء على الله تعالى بانه الباقي بعد فناء الخلق كلهم وانه الوارث لهم وهذا
على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الوارثين **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى** اي ولدا

وأصلحنا له زوجه أي وجعلناها بعد ما كانت عقيماً ولوداً وقيل كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى بأن رزقها حسن
الخلق إنهم كانوا يسارعون في الخيرات يعني الأنبياء المذكورين في هذه السورة وقيل زكريا وأهل بيته والمسارعة في الخير
من أكبر ما يمدح به المرء لأنه يدل على حرص عظيم في طاعة الله تعالى قوله ويدعوننا رغباً ورهباً يعني أنهم ضموا
إلى فعل الخيرات أمرين أحدهما الفزع إلى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه والثاني الخشوع وهو قوله وكانوا لنا
خاشعين وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفاً من الوقوع في الإثم قوله تعالى
والتي أحصنت فرجها أي أحصنته كلياً من الحلال والحرام جميعاً كما قالت لم يمسسني بشر ولم أك بغياً وهي مريم بنت
عمران فنفخنا فيها من روحنا أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف
الروح إليه تشريفاً لعيسى كبيت الله وناقة الله وجعلناها وابنها آية للعالمين أي دلالة على كمال قدرة
الله تعالى على خلق ولد من غير أب فإن قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية
واحدة لأن ولادتها إياه من غير أب آية قوله تعالى إن هذه أمتكم أي ملتكم ودينكم أمة واحدة
أي ديناً واحداً وهو الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان والأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد وأنا ربكم فاعبدون
أي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني وتقطعوا أمرهم بينهم يعني اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً
وأحزاباً حتى لعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض كل إلينا راجعون فنجزيهم بأعمالهم فمن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا كفران أي لا يجحد ولا يبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه لسعيه وإنا له كاتبون أي لعمله
حافظون له وقيل الشكر من الله تعالى المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل وحرام على قرية
أهلكناها أنهم لا يرجعون قال ابن عباس معناه حرام على أهل قرية أهلكناها أن يرجعوا بعد الهلاك وقيل
معناه أنه واجب على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى الدنيا وقيل معناه وحرام على أهل قرية أهلكنا أهلها وحكمنا
بإهلاكهم أن تتقبل أعمالهم لأنهم لا يتوبون قوله عز وجل حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج يريد فتح السد وذلك أن الله
يفتحه ابتداء عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم وهم من كل حدب ينسلون
أي يسرعون النزول من الآكام والقلاع وفي هذه الكناية وجهان أحدهما أن المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الأصح بدليل
ما روي عن نواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة الدجال فخفض فيه ورفع حتى ظنناه أنه في طائفة
النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت
حتى ظنناه أنه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج و
لست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن
فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا
قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله
فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال
كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت
فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه
قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه
كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية ثم يدعوه فيقبل
ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين
واضعاً كفيه على أجنحة الملائكة إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد

ريح

ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام قوم
عصمهم الله فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم
أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب
ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى
وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله وأصحابه فيرسل الله تعالى
عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون
في الأرض شبراً إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم
فتطرحهم في البحر إلى حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها
كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها
ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة
من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم
ومؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة أخرجه مسلم شرح غريب ألفاظه قوله
حتى ظنناه في طائفة النخل أي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع أي خفض
صوته ورفع من شدة ما تكلم به في أمره وقيل إنه خفض تهويناً له ورفع من شدة فتنته والتخويف من أمره قوله إنه
شاب قطط أي جعد الشعر وقوله طافية أي خارجة عن حدها وقوله إنه خارج خلة أي إنه يخرج قصداً وطريقاً
بين جهتين والخلل التخلل في الشيء قوله إنه يخرج فعاث أي أفسد قوله فاقدروا له أي قدروا يوماً من أيامكم
المعهود وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعاته قوله فتروح عليهم سارحتهم أي ماشيتهم قوله فيصبحون ممحلين أي مقحطين
قد أجدبت كل شيء في أرضهم وغلت أسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله
فيقطعه جزلتين رمية أي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين روي بالدال المهملة
وبالمعجمة أي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرود الصبغ الأصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لأحد بقتالهم أي لا قدرة
ولا قوة بقتالهم قوله والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم أي ريحهم المنتنة
قوله كالزلفة أي كالمرآة وجمعها زلف وروي بالقاف وأراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة أي
الجماعة قيل يبلغون أربعين وقحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن
والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون أي يختلفون والتهارج الاختلاط وأصله
القتل الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم إلى موضع الحساب
عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون
قالوا نتذاكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم قوله عز وجل واقترب الوعد الحق أي القيامة
قال حذيفة لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر فإذا
هي شاخصة أبصار الذين كفروا قيل إن معنى الآية أن القيامة إذا قامت شخصت أبصار الذين كفروا من
شدة الأهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني
في الدنيا حيث كذبنا به وقلنا إنه غير كائن بل كنا ظالمين أي بوضعنا العبادة في غير موضعها

قوله عز وجل انكم الخطاب للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي حطبها
ووقودها وقيل يرمون بهم في النار كما يرمى بالحطب واصل الحصب الرمي انتم لها واردون اي فيها داخلون قل
لو كان هؤلاء آلهة يعني الاصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها
وكل فيها خالدون اي العابدون والمعبودون لهم فيها زفير قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس
وقيل هو شدة ما نالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون قال ابن عباس ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار
من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها
مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم في النار احدا يعذب غيره قوله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
قال العلماء ان ههنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والسعادة العدة الجميلة بالجنة اولئك عنها اي
عن النار مبعدون قيل الآية عامة في كل من سبقت له السعادة من الله تعالى وقال اكثر المفسرين يعني بذلك كل من عبد
من دون الله وهو لله طايع ولعبادة من يعبد كارها وذاك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر ابن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه
ثم تلى عليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله
ابن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد ابن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما انت قلت
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنوا مليح يعبدون
الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
وزعم قوم ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس
لقال انكم ومن تعبدون من دون الله لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون حسيسها اي صوتها وحركة
تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي من النعيم والكرامة
خالدون اي مقيمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو
حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو ان يطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد
ان يخرجه وتتلقيهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنؤنهم ويقولون هذا يومكم
الذي كنتم توعدون اي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال ابن عباس
السجل الصحيفة والمعنى كطي الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك
يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير
لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بدانا هم في بطون امهاتهم عراة
غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس
انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني الاعادة والبعث
بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبيا
والذكر هو ام الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب ينسخ جميع الكتب ومعنى من بعد اي ما كتب في اللوح المحفوظ وقال
ابن عباس الزبور والتورية وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القران وبعد ههنا بمعنى قبل ان الارض يرثها
عبادي الصالحون يعني ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب
في اللوح المحفوظ في كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراضي الكفار

يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد بالارض المقدسة يرثها
الصالحون بعد من كان فيها ان في هذا اي القران لبلاغا اي وصولا الى البغية يعني من اتبع القران وعمل بما فيه
وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية الى ما فيه كفاية من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغة والقران زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين اي مؤمنين يعبدون الله تعالى
وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون
قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين
كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الثواب والفوز فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام
وميز الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعني المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فهو رحمة لهم في الدنيا بتاخير العذاب عنهم ورفع المسخ
والخسف والاستيصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد فهل انتم مسلمون اي منقادون الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله تعالى والمراد بهذا الاستفهام الامر
اي اسلموا فان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا فقل آذنتكم اي اعلمتكم بالحرب وان لا صلح بيننا على سواء
اي انذار بيننا يستوي علمه لا استاثر انا به دونكم لتتاهبوا لما يراد بكم والمعنى اذنتكم على وجه يستوي نحن
وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان ادري اي وما
اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون يعني يوم القيمة لا يعلمه الا الله انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون اي لا يغيب عن علمه شيء منكم في علانيتكم وسركم وان ادري لعله فتنة لكم اي لعل
تاخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم ومتاع الى حين اي تتمتعون الى انقضاء
آجالكم قوله تعالى قل رب احكم اي افصل بيني وبين من كذبني بالحق اي بالعذاب كانه استعجل العذاب
لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بيني وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرني عليهم والله يحكم بالحق
طلب او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
اي من الشرك والكفر والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى ربي احكم بالحق وقل متوعد الكفار وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون والله اعلم بمراده وتفسير كتابه والله اعلم

تفسير سورة الحج

وهي مكية غير ست آيات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى الطيب الى صراط الحميد وهي ثمان
وسبعون آية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة آلاف وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا عقابه واعملوا بطاعته ورضاه ان زلزلة الساعة
شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء اعظم مما عظمه الله تعالى قيل
هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها يعني
الساعة وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى كل مرضعة عما ارضعت
اي كل امراة معها ولد ترضعه وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل قال
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام فعلى هذا تكون الزلزلة في الدنيا لان بعد البعث
لا يكون حبل ومن قال تكون الزلزلة في القيمة قال هذا على وجه تعظيم الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول اصابنا

امر فيه يشيب الوليد به بشدته وترى الناس سكارى اى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن
ما دهمهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
ولكن عذاب الله شديد عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيمة
يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى
النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زاد فى رواية قالوا
يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم
فى الناس كالشعرة السوداء فى الثور الابيض او كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار
وانى لارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا لفظ البخارى
وفى حديث عمران بن حصين وغيره ان هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس ما بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث
ابى سعيد الخدرى وزاد فيه قم ثم قال يدخل من امتى سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع
كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم نزلت فى النضر بن الحرث
كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ويتبع
اى من جداله فى الله بغير علم كل شيطان مريد اى المتمرد المستمر فى الشر وفيه وجهان احدهما انهم
الشياطين وهم رؤساء الكفر الذين يدعونهم الى الكفر والثانى انه ابليس وجنوده كتب عليه اى قضى على الشيطان
انه من تولاه اى اتبعه فانه يعنى الشيطان يضله اى يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه الى عذاب
السعير وفى الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يضل فانه فى ضلال ثم الزم الحجة منكرى البعث
فقال عز وجل يا ايها الناس ان كنتم فى ريب اى فى شك من البعث اى بعد الموت فانا خلقناكم من تراب
اى اباكم آدم لانه هو اصل النسل ثم من نطفة يعنى ذريته من المنى واصلها الماء القليل ثم من علقة
اى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ثم من مضغة وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ مخلقة
وغير مخلقة قال ابن عباس اى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة
الولد الذى تاتى به لوقته وغير مخلقة يعنى السقط فكانه تعالى قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة
والحواس والتخطيط والقسم الثانى وهو الناقص عن هذه الاحوال كلها روى عن علقمة ابن مسعود موقوفا عليه
قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم اخذها الملك فى كفه وقال اى رب مخلقة او غير مخلقة فان قال مخلقة قذفها فى
الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال غير مخلقة قال الملك اى رب ذكر ام انثى شقى ام سعيد ما الاجل وما العمل وما الرزق
باى ارض يموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيه كل ذلك فيذهب فيجدها فى ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه
حتى ياتى على آخر صفته والذى اخرجاه فى الصحيحين فيه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا
يكتب رزقه وعمله واجله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل

النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى لنبين لكم اى كمال
قدرتنا وحكمتنا فى تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته فى ابتداء الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين لكم ما
تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه فى العبادة وقيل لنبين لكم ان تغير المضغة الى الخلقة هو اختيار الفاعل
المختار وان القادر على هذه الاشياء كيف يكون عاجزا عن الاعادة قوله تعالى ونقر فى الارحام ما نشاء
اى لا نسقطه ولا نمجه الى اجل مسمى الى وقت خروجها من الرحم تام الخلقة ثم نخرجكم طفلا اى وقت
الولادة طفلا اى صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا اشدكم اى كمال
القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اى قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اى الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فيصير
كما كان فى اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى وترى الارض
هامدة اى يابسة لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء يعنى المطر اهتزت يعنى تحركت بالنبات
وربت اى ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت فاضيف الى الارض
توسعة من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن نضير والبهيج هو الشئ المبهج وهو الشئ المشرق الجميل
وهو ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ذلك اى لتعلموا بان الله هو الحق
اى حدوث هذه الاشياء دالة على وجود الصانع وانه يحيى الموتى اى انه اذا لم يستبعد منه ايجاد الاشياء
فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شئ قدير اى من كان قادرا على جميع الممكنات وان الساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اى ما ذكر من الدلايل ليعلموا ان الساعة كائنة
لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله عز وجل ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم
يعنى النضر بن الحرث ولا هدى اى ليس معه شئ من الله تبارك وتعالى ولا ارشاد ولا كتاب منير اى ولا كتاب
من الله له نور ثانى عطفه اى لاوى جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا
ليضل عن سبيل الله اى عن دين الله له فى الدنيا خزى اى عذاب وهوان وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة
ابن ابى معيط ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك اى يقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله
ليس بظلام للعبيد اى فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اى وجه اراد تصرف فى عبده فحكمه عدل وهو
غير ظالم قوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف نزلت هذه الآية فى قوم من الاعراب كانوا
يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت
امرأته وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت امرأته جارية
ولم تلد فرسه وقل ماله فقال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين خيرا الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة
فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على شك واصله من حرف الشئ وهو طرفه الذى هو القائم عليه نحو حرف
الجبل والحائط الذى غير مستقر فقيل للشاك فى الدين انه يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن
وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والضراء
لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اى صحة فى بدنه وسعة فى
معيشته اطمان به اى رضى به وسكن اليه وان اصابته فتنة اى بلاء فى جسده وضيق فى معيشته انقلب
على وجهه اى ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الاول الذى كان عليه فى الكفر خسر الدنيا والآخرة اى خسر فى الدنيا
العز والكرامة ولا يبقى دمه مصونا وقيل خسر فى الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود فى النار ذلك

هو الخسران المبين اى يعنى الظاهر يدعوا من دون الله ما لا يضره ان عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه
اى اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اى عن الحق والرشد يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال فى الاية
الاولى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال فى هذه الاية يدعو لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع
بينهما قلت اذا حصل المعنى زال هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال فى الاول لما لا يضره اى لا يضر ترك عبادته وقوله
لمن ضره اى ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها
وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع
به وقيل الاية فى الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا وحجة هذا القول ان الله تعالى
بين فى الاية الاولى الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضى كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور فى هذه الاوثان
لزم التناقض فثبت انهم الرؤساء بدليل قوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير اى الناصر والمصاحب
المعاشر قوله عز وجل ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله
يفعل ما يريد اى باوليائه واهل طاعته من الكرامات وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان
لن ينصره الله يعنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا اى باعلاء كلمة الحق واظهار دينه والاخرة اى فى الاخرة
باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اى بحبل الى السماء اى سقف البيت على قول الاكثرين
والمعنى ليشد حبلا فى سقف بيته فليختنق حتى يموت ثم ليقطع اى الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل
ويقطع حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اى صنيعه وحيلته ما يغيظ اى
فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه على سبيل لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال
للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المرفوعة والمعنى من كان يظن ان لن ينصره الله نبيه ويكيد فى
امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله فى السماء فليطلب سببا يصل به الى السماء ثم ليقطع عن النبى
صلى الله عليه وسلم الوحى الذى ياتيه فلينظر هل يتهيأ له الوصول الى السماء بحيلته وهل يقدر على ذهاب
غيظه فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفائدة وفى الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه
روى ان الاية نزلت فى قوم من بنى اسد وغطفان دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الايمان وكان بينهم وبين اليهود
حلف فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميرونا
ولا يأوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله فى الدنيا والاخرة فليبلغ غاية الجزع
وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرنى نصره الله اى من يعطنى اعطاه الله وكذلك
انزلناه ايات يعنى القران بينات وان الله يهدى من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا قيل معناه اى يعنى
عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم
اى يحكم بينهم يوم القيمة وقيل يفصل بينهم فى الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت
ولا يجمعهم فى موطن واحد ان الله على كل شىء شهيد اى انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجرى
فى ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام فى معنى هذه الاية فى تفسير سورة البقرة قوله عز وجل
الم تر اى الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود
هذه الاشياء تحول ظلالها وقيل ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حتى يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له

فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الطاعة فانه جماد الا وهو مطيع لله تعالى خاشع مسبح
لله كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض
التى خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت بطاعتها اعمال المكلف وهو السجود الذى كل خضوع
دونه فان قلت هذا التاويل يبطله قوله وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذى ذكر عام فى الناس
كلهم فاسناده الى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذى ذكرته وان كان عاما فى حق
الناس الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود فى الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته وبظاهره فلاجل
الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الاية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس
فيكون السجود الاول بمعنى الانقياد والثانى بمعنى الطاعة والعبادة فان قلت لو اقتصر على ما تقدم اولا
لاوهم ان كل الناس يسجدون قلت فبين ان كثيرا من الناس يسجدون تطوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم وكثير
حق عليه العذاب وهم الكفار اى حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود مع كفرهم وامتناعهم من
السجود يسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم اى ومن يذله الله فلا يكرمه احد
ان الله يفعل ما يشاء اى يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذى يصح
منه الاكرام والهوان يوم القيمة بالثواب والعقاب فصل هذه السجدة من عزائم سجود القران فيسن
للقارى والمستمع ان يسجدوا عند تلاوتها قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا فى ربهم اى جادلوا
فى دينه وامره واختلفوا فى هذين الخصمين فروى عن قيس ابن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية نزلت
فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة ابن الحرث وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد ابن عتبة اخرجاه
فى الصحيحين عن على ابن ابى طالب قال انا اول من يجثوا للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيمة قال قيس بن عباد نزلت فيهم هذه
الاية هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة ابن الحرث وشيبة
ابن ربيعة وابن اخيه الوليد ابن عتبة قال محمد ابن اسحق خرج يوم بدر عتبة ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وابن
اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما
عفرا وعبد الله ابن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى
مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة ابن الحرث ويا
حمزة ابن عبد المطلب ويا على ابن ابى طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم قال فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام
فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان قتل
وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر حمزة وعلى فدففا عليه واحتملا
عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ودمها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الست
شهيدا يا رسول الله قال نعم فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق منه بما قال حيث يقول
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل وقال ابن عباس نزلت فى المسلمين واهل الكتاب
قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم امنا
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم حسدا
فهذا خصومتهم فى ربهم وقيل المؤمنون والكافرون من اى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل هما
الجنة والنار (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين فقالت الجنة فما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد فى رواية وغرتهم فقال الله

عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تعالى
رجله فيقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم ربك أحداً من خلقه وأما الجنة فإن الله تعالى
ينشئ لها خلقاً وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول ضعيف والأقوال الأول أصح وأولى بالصحة لأن حمل الكلام
على ظاهره أولى وهذا إنما هو الإشارة إلى سبب تقدم ذكره وهو أهل الأديان الستة وأيضاً فإنه ذكر صنفين أهل طاعته
وأهل معصيته وذكرهما بالخصمين فقال تعالى **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار** قال سعيد بن جبير ثياب
من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حراً منه وسمي باسم الثياب لأنه يحيط بهم كإحاطة الثياب وقيل
يكسى أهل النار مقطعات **يصب من فوق رؤوسهم الحميم** أي الماء الحار الذي انتهت حرارته
يصهر به ما أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم **في بطونهم والجلود** من الشحوم والأحشاء والجلود
(م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما
في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **ولهم مقامع
من حديد** أي سياط من حديد وهي الجرز من الحديد وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان لم يقلوه
من الأرض **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** أي كلما حاولوا الخروج
من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفاسهم أي ردوا إليها بالمقامع قيل إن جهنم لتجيش بهم فتلقيهم إلى
أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفاً **وذوقوا عذاب الحريق**
أي تقول لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق فهذا حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى في وصف الخصم الآخر وهم
المؤمنون قوله تعالى **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير**
وهو الإبريسم الذي حرم الله لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح (ق) عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه عن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي
وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قوله
تعالى **وهدوا** من الهداية أي أرشدوا **إلى الطيب من القول** هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله
أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده **وهدوا إلى صراط الحميد**
أي إلى دين الله وهو دين الإسلام والحميد هو الله المحمود في كل أفعاله قوله عز وجل **إن الذين كفروا** أي بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم **ويصدون عن سبيل الله** أي بالمنع من الهجرة والجهاد والإسلام **والمسجد الحرام** أي
ويصدون عن المسجد الحرام **الذي جعلناه للناس** أي قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً **سواء العاكف** أي
المقيم فيه قال بعضهم يدخل فيه الطارئ المنتاب إليه من غيره إذا جاوروا أقاموا ولزموا العبادة **فيه والباد** أي الطارئ
المنتاب من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به وإليه
ذهب مجاهد والحسن وجماعة المراد منه يعني المسجد الحرام ومعنى التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه
والطواف فيه وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت
وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقيل المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى

التسوية أن المقيم والبادي فيه سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعج أحداً إذا كان قد سبق
إلى منزل وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط
كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق من منزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم
في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها قالوا إن أرض مكة لا تملك لأنها لو ملكت لم يستوي
فيها العاكف والبادي فلما استويا ثبت سبيله سبيل المساجد وإليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد
الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول والأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن
دينار وإليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق أضاف الديار إلى مالكها
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فنسب الديار إليهم
نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فهذه النصوص دلت على جواز بيعها **ومن
يرد فيه بإلحاد** أي في المسجد الحرام **بظلم** أي يميل إلى الظلم قيل الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله تعالى وقيل كل
شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام وارتكاب شيء من محظورات
المحرم من قتل صيد وقطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك وتظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد
تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه أخرجه أبو داود وقال
عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم **نذقه من عذاب أليم** قال لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب
عليه ما لم يعملها ولو أن رجلاً هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله عذاباً أليماً قال السدي
إلا أن يتوب وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما بالحل والآخر بالحرم فإذا أراد أن يعاتب
أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نتحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله
تعالى **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وإنما ذكر البيت
لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أين
يبني فبعث الله ريحاً خجوجاً فكنست له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سبحانه وتعالى سحابة بقدر البيت
فقامت بحيال البيت فيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على قدري فبنى عليه **أن لا تشرك بي شيئاً** أي عهدنا إلى
إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً **وطهر بيتي** أي من الشرك والأوثان والأقذار **للطائفين** أي الذين
يطوفون بالبيت **والقائمين** أي المقيمين به **والركع السجود** أي المصلين قوله عز وجل **وأذن** أي أعلم
وناد والأذان في اللغة الإعلام **في الناس** قال ابن عباس أراد بالناس أهل القبلة **بالحج** فقال إبراهيم عليه السلام
وما يبلغ صوتي فقال الله عز وجل عليك الأذان وعلينا البلاغ فقام إبراهيم على المقام حتى صار كأطول الجبال
وأدخل إصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً
وكتب عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لبيك اللهم
لبيك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى وزعم
الحسن أن المأمور بالأذان هو محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا **يأتوك رجالاً**
أي مشاة على أرجلهم جمع راجل **وعلى كل ضامر** أي ركباناً على الإبل المهزولة من كثرة السير وبدأ بذكر
المشاة تشريفاً لهم **يأتين** أي جماعة الإبل **من كل فج عميق** أي من كل طريق بعيد فمن أتى مكة حاجاً فكأنه
قد أتى إبراهيم لأنه مجيب نداءه قوله تعالى **ليشهدوا منافع لهم** قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة
وقال ابن عباس الأسواق وقيل ما يرضي الله به من أمر الدنيا والآخرة **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات** يعني

عشرة ايام ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل وقت الحج في اخرها وعن ابن
عباس انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها يوم النحر وثلثة ايام بعده **على ما رزقهم من بهيمة الانعام**
يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي **فكلوا منها** امر اباحة ليس بواجب وذلك ان الجاهلية كانوا لا
ياكلون من لحوم هداياهم شيئا فامر الله بمخالفتهم اتفق العلما على ان الهدي اذا كان تطوعا يجوز للمهدي ان ياكل
منه وكذلك اضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق
رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلثا وستين ونحر علي ما غبر
اي ما بقي واشركه في بدنه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكل من لحمها وشرب من مرقها اخرجه
مسلم قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلما في الهدي الواجب في الشرع مثل دم التمتع
والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان ياكل من لحمه شيئا ام لا قال الشافعي
لا ياكل من لحمه شيئا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا ياكل من جزاء الصيد والنذر وياكل مما سوى
ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك ياكل من هدي المتمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد
والمنذور وعند اصحاب الراي انه ياكل من دم المتمتع والقران ولا ياكل من واجب سواهما وقوله تعالى **واطعموا
البائس الفقير** يعني الزمن الذي لا شيء له قوله **ثم ليقضوا تفثهم** اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد
منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج
اشعث اغبر اذا لم تزل عنه هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس التفث مناسك الحج كلها **وليوفوا نذورهم**
اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء اي ليتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو ظاهره
وقيل المراد به الخروج عما وجب عليه نذره او لم ينذره **وليطوفوا بالبيت العتيق** اراد به طواف الواجب وهو
طواف الافاضة ووقته من يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلثة طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت
سبعا يرمل ثلثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه ق عن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلثا ومشى اربعا زاد في رواية ثم يصلي ركعتين يعني
بعد الطواف بالبيت ثم يسعى بين الصفا والمروة ولفظ ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف
في الحج والعمرة اول ما يقدم فانه يسعى ثلثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو طواف الافاضة
وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق ق عن عايشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما اراني الا حابستكم
قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله اي
اصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشومة موذية ولم يرد به الدعا عليها وانما هو شيء على السنة العرب
كقولهم لا ام لك وتربت يمينك وفيه دليل على ان من لم يطف يوم النحر طواف الافاضة لا يجوز له ان ينفر والطواف
الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه
فعليه دم الا المراة الحايض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن ابن عباس قال امر الناس ان يكون اخر عهدهم
بالبيت الا انه رخص للمراة الحايض متفق عليه والرمل سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع
قوله بالبيت العتيق قال ابن عباس وغيره لان الله اعتقه من ايدي الجبابرة ان يصلوا الى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط
وقيل لانه اول بيت وضع للناس وقيل لان الله اعتقه من الغرق فانه رفع ايام الطوفان وقيل انه لم يملك **ذلك**
اي الامر ذلك يعني ما ذكر من اعمال الحج **ومن يعظم حرمات الله** اي ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك
ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات

هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم
بانه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها **فهو خير له عند ربه** اي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند ربه في الاخرة
واحلت لكم الانعام اي ان تاكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم **الا ما يتلى عليكم** اي تحريمه وهو قوله
في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الاية **فاجتنبوا الرجس من الاوثان** اي اتركوا
عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمي الاوثان رجسا لان عبادتها اعظم من التلوث بالنجاسات
واجتنبوا قول الزور اي الكذب والبهتان وقال ابن عباس وابن مسعود شهادة الزور وروي عن ايمن بن خريم
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال ايها الناس عدلت شهادة الزور اشراكا بالله ثم قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور اخرجه الترمذي وقال وقد اختلفوا في روايته
ولا نعرف لايمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود عن خريم فاتك بنحوه وقيل هو قول
المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى **حنفاء لله** اي مخلصين له غير
مشركين به فدل ذلك على ان المكلف ينوي بما ياتيه من العبادات والاخلاص لله بهما لا غيره وقيل كانوا في الشرك
يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اي حجاجا مسلمين
موحدين ومن اشرك لا يكون حنيفا **ومن يشرك بالله فكانما خر** اي سقط **من السماء** الى الارض
فتخطفه الطير اي تستلبه وتذهب به **او تهوي به الريح** اي تميل وتذهب **في مكان سحيق** اي بعيد
ومعنى الاية ان بعد من اشرك بالله على الحق والايمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الريح او هوت به الريح
فلا يصل اليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لانه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث
يسقطه الريح فهو هالك لا محالة اما باستلاب الطير لحمه او بسقوطه من المكان السحيق وقيل معنى الاية
من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه اهلاك فان صورة حاله تصور حال من خر من السماء فاختطفته
الطير فتفرقت اجزاؤه في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة وقيل شبه
الايمان بالسماء في علوه والذي ترك الايمان بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة
والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهالك المتلفة قوله
تعالى **ذلك** يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب**
وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي واصلها من الاشعار وهي العلامة
التي تعرف بها انها هدي وتعظيمها من تقوى القلوب **لكم فيها** اي في البدن **منافع** قبل ان تسميها الهدي
في درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها الى اجل مسمى اي الى ان يسميها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شيء من
منافعها وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وفي رواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد
ايجادها وتسميتها هديا بان تركبوها وتشربوا من البانها عند الحاجة الى اجل مسمى يعني الى ان تنحروها وهو
قول عطا واختلف العلما في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي واسحق يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر
بها لما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال
اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية او الثالثة اخرجاه في الصحيحين وكذلك
يجوز له ان يشرب لبنها بعدما يفضل عن ري ولدها وقال اصحاب الراي لا يركبها الا ان يضطر اليه وقيل
اراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع اي بالتجارة والاسواق الى اجل مسمى اي الى الخروج
من مكة وقيل لكم فيها منافع اي بالاجر والثواب في قضاء المناسك الى انقضاء الحج **ثم محلها الى البيت**

العتيق اى منحرها عند البيت العتيق ويريد ارض الحرم وروى عن جابر في حديث حجة الوداع ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها اى محل الناس
من احرامهم الى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة وقوله تعالى ولكل امة اى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم
جعلنا منسكا قرئ بكسر السين اى مذبحا وهو موضع القربات ومنسكا بفتح السين وهو اراقة الدم وذبح
القرابين ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اى عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة الانعام لانها لا تتكلم
وقيد بالانعام لان ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وان جاز اكله قوله تعالى فالهكم اله واحد اى سموا على
الذبح اسم الله وحده فان الهكم اله واحد فله اسلموا اى اخلصوا وانقادوا واطيعوا وبشر المخبتين
قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين الى الله وقيل الخاشعين لرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا
لا ينتصرون ثم وصفهم الله تعالى فقال الذين اذا ذكر الله وجلت اى خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع
والتواضع لله تعالى قوله قلوبهم والصابرين على ما اصابهم اى من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى
ومما كان من غير الله تعالى فله ان يصبر عليه وكذا ان ينتصر لنفسه والمقيمي الصلوة اى في اوقاتها والمحافظة
عليها ومما رزقناهم ينفقون اى يتصدقون قوله تعالى والبدن جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها ويريد
الابل الصحاح الاجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها جعلناها لكم من شعائر الله اى من اعلام دينه
وقيل لانها تشعر وهو ان تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك انها هدى لكم فيها خير اى نفع في الدنيا وثواب
في العقبى فاذكروا اسم الله عليها اى عند نحرها صواف اى قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها
ويدها اليمنى واخرى معقولة فينحرها كذلك خ عن زياد ابن جبير قال رايت ابن عمر اتى على رجل قد اناخ ناقة بدنة
ينحرها قال ابعثها قياما مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وجبت جنوبها اى سقطت بعد النحر و
وقع على الارض جنبها فكلوا منها امر اباحة واطعموا القانع والمعتر قيل القانع الجالس في بيته المتعفف
يقنع بما يعطى ولا يسئل والمعتر الذي يتعرض ولا يسال وقيل المعتر هو الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسئل وقيل القانع
هو المسكين والمعتر هو الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجي القوم فيتعرض لهم لاجل لحمهم كذلك اى مثل من نحرها
قياما سخرناها لكم اى لتتمكنوا من نحرها قياما لعلكم تشكرون اى من انعام الله عليكم لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها وذلك ان الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان ذلك قربة الى الله تعالى
فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اى لن ترفع الى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
اى ولكن ترفع الى الله تعالى الاعمال والاخلاص وهو ما اريد به وجه الله تعالى كذلك سخرها لكم يعني البدن
لتكبروا الله على ما هديكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا و
الحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا
اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اى خوان في
امانة الله كفور بنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته
وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اى اذن الله لهم بالجهاد
ليقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركي اهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون
يجيئون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم
اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال وقيل نزلت
هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا

الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة صح

اى

اى بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذى وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله تعالى بنصر المؤمنين
ثم وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم اخرجوا بغير موجب سوى
التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
اى بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع وبيع اى معابد الرهبان المتخذة في الصحراء وبيع وهي معابد النصارى في
البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا ومساجد
يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت في شريعة
كل نبي مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد
ولينصرن الله من ينصره اى ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي عزيز اى على نصر من ينصر دينه ونبيه عزيز اى لا
يضام ولا يمنع مما يريده قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اى نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا في البلاد
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم هم جميع هذه الامة وقيل هم جميع المهاجرين وهو الاصح لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم
ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق وهم المهاجرون ولله عاقبة الامور اى اخر امور الخلق
مصيرها الى الله تعالى وذلك انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور كلها اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك
فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل
قوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط
الثاني كانه قيل بعد تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظيم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت
للكافرين اى امهلتهم واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اى عاقبتهم فكيف كان نكير اى انكاري عليهم
ما فعلوا من التكذيب والعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل
فكاين من قرية اهلكتها وقرئ اهلكناها على التعظيم وهي ظالمة اى واهلها ظالمون فهي خاوية اى
ساقطة على عروشها اى سقوفها وبئر معطلة اى وكم من بئر معطلة اى متروكة مخلاة عن اهلها
وقصر مشيد اى رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل والبئر
في سفحه ولكل منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل ان هذه البئر كانت
بحضرموت في بلدة يقال لها حاضورا وذلك ان اربعة الاف نفر ممن امن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب
اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضورا
وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام فارسل الله
عليهم نبيا يقال له حنظلة ابن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب
قصورهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية
فتكون لهم قلوب يعقلون بها اى يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من اخبار القرون
الماضية فيعتبرون فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان عمى القلب هو الضار في
امر الدين لا عمى البصر لان البصر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر
ابن الحرث ولن يخلف الله وعده اى انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال
ابن عباس يعني يوما من الايام الاخرة يدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا

السنة التي خلق الله فيها السموات والارض وقيل يوما من ايام صح

يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقداره خمسمائة
سنة اخرجه ابو داود وبزيادة فيه واخرج الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام
عذابهم في الاخرة كالف سنة فكيف تستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة في الامهال سواء لانه قادر
متى شاء اخذهم لا يفوته شيء بالتاخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتاخيره وهذا معنى قول
ابن عباس وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي انزلت
بهم العذاب والي المصير يعني مصيرهم في الاخرة هذه وعيد وتهديد قوله عز وجل قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين لما امر الله رسوله بان يديم لهم التخويف والانذار وانما يقول لهم انما بعثت منذرا فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما امر الرسول صلى الله عليه وسلم انما انا نذير مبين اردف ذلك بان امره بوعد
من امن ووعيد من عصى فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي ستر لصغاير ذنوبهم وقيل للكباير ايضا
مع التوبة ورزق كريم لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة قوله تعالى والذين سعوا في اياتنا اي عملوا في ابطال اياتنا معجزين
اي مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معاجزين اي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا
ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نارا اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه
ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله عز وجل سورة
والنجم اذا هوى فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرا افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما رات قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرا السورة كلها وسجد في اخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين
ولم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء
ورفعاها الى جبهتهما لانهما كانا شيخين كبيرين ولم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر الهتهم
ويقولون قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده
فان جعل لها محمد صلى الله عليه وسلم نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال
يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم اتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا
وخاف من الله خوفا كثيرا فانزل الله تعالى هذه الاية يعزيه بقوله عز وجل وكان رحيما وسمع بذلك من كان في ارض الحبشة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم الى
عشايرهم واصحابهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا الى مكة فبلغهم ان الذي كانوا يتحدثون به من اسلام
اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الاية قالت قريش ندم محمد على ذكر منزلة
الهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك
فازدادوا شركا الى ما كانوا عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
الرسول هو الذي ياتيه جبريل بالوحي عيانا والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل
نبي رسولا الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي احب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به القى الشيطان
في امنيته اي في مراده قال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في حديثه ووجد اليه سبيلا والمعنى ما من نبي تمنى
ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال اكثر المفسرين

معنى تمنى قراه وتلا كتاب الله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته وقال حسان في عثمان حين قتل
تمنى كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقادر • فان قلت قد قامت الدلايل على صدقه واجمعت الامة
فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا
غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء على الاشكال اجوبة
احدها توهين اهل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها بسند صحيح او سليم متصل
وانما رواها المفسرون والمورخون والمولفون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على
ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها فقايل يقول ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان في الصلوة واخر يقول قراها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدثته نفسه بها فجرى في لسانه ذلك
واخر يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقراتك
الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا اخذ كفا من حصا او تراب فرفعه الى جبهته
قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا اخرجه البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء
في الصحيح لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قراها والذي ذكره المفسرون
عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا فهذا توهين هذه القصة الجواب الثاني
هو من حديث المعنى وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان ينزل عليه مدح اله غير الله وان يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس فيه حتى ينبهه جبريل عليه السلام عن ذلك وهذا كله ممتنع في حقه
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الاية
الجواب الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا القران
يرتله ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا كما صح عنه في قراته فيحتمل ان الشيطان ترصد لتلك السكتات فدس فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا الصوت النبي صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح
ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها
الله عز وجل الجواب الرابع في تفسير الاية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس ومعنى التلاوة فعلى الاول يكون
معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو
في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو في اسقاط اية او ايات او كلمة او نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان
الغرض من هذه الاية ان الانبياء والرسل وان كان عصمهم الله تعالى عن الخطا فلم يعصمهم عن جواز النسيان عليهم بل
حالهم في جواز ذلك كحال ساير البشر والله اعلم وقوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه
ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي محنة وبلية
والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق والقاسية قلوبهم اي الجافية

قلوبهم عن سماع الحق وهم المشركون وان الظالمين لفي شقاق بعيد اى فى خلاف شديد قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا
العلم اى التوحيد والقران والتصديق بنسخ الله ما يشا انه الحق من ربك اى الذى احكم الله من ايات القران هو الحق
من ربك فيؤمنوا به اى يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اى تسكن اليه وان الله لهادى الذين
امنوا الى صراط مستقيم اى طريق قويم وهو الاسلام قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه اى فى شك من القران
وقيل من الدين الذى هو صراط مستقيم حتى تاتيهم الساعة بغتة اى فجاة وقيل اراد بالساعة الموت او ياتيهم
عذاب يوم عقيم اى عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيمة وقيل هو يوم بدر سمى عقيما لانه لم يكن فى ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم
لا ياتى بخير وقيل لانه لا مثل له لعظم امره لقتال الملائكة فيه الملك يومئذ يعنى يوم القيمة لله وحده من غير
منازع فيه ولا مشارك يحكم بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات
فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
قوله تعالى والذين هاجروا فى سبيل الله اى فارقوا اوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله تعالى وطلب رضاه ثم قتلوا
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا اى لا ينقطع ابدا وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وان الله لهو
خير الرازقين فان قلت الرزاق فى الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله لهو خير الرازقين
قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اى اعطاهم ارزاقهم وان الرزاق
فى الحقيقة هو الله تعالى وقيل لان الله تعالى يعطى من الرزق ما لا يقدر عليه غيره ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعنى
الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله لعليم بنياتهم حليم عليهم قوله عز وجل ذلك اى الامر ذلك
الذى قصصناه عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى جازى الظالم بمثل ما ظلمه وقيل يعنى قاتل
المشركين كما قاتلوه ثم بغى عليه اى ظلم باخراجه من منزله يعنى ما اتاه المشركون من البغى على المسلمين
حتى احوجوهم الى مفارقة اوطانهم نزلت فى قوم من المشركين اتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم
فابى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم وثبت المسلمون فنصرهم الله فذلك قوله تعالى لينصرنه الله ان الله لعفو
اى عن مساوى المؤمنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله اى ذلك النصر بانه القادر على ما يشاء فمن قدرته
انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل فى معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل
مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس القول الثانى هو ما يزيد من احدهما وينقص من الاخر من الساعات
وذلك لا يقدر عليه الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اى ذو الحق فى قوله وفعله ودينه
حق وعبادته حق وان ما يدعون من دونه يعنى المشركين من دونه هو الباطل يعنى الاصنام التى ليس عندها
ضر ولا نفع وان الله هو العلى الكبير اى العالى على كل شئ العظيم فى قدرته وسلطانه قوله تعالى الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله اى باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان
وخبير بما فى قلوب العباد اى اذا تاخر عنهم المطر له ما فى السموات وما فى الارض اى عبيدا وملكا وان الله
لهو الغنى الحميد اى الغنى عن عباده والحميد فى افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض اى الدواب التى تركب
فى البر والفلك اى وسخر لكم السفن تجرى فى البحر بامره اى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك لما جرت
ويمسك السماء ان تقع اى لكيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم اى انه انعم بهذه
النعم الجامعة لمنافع الدين والدنيا وقد بلغ الغاية فى الانعام والاحسان فهو اذا رؤف رحيم بكم وهو الذى
احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم اى انشاكم ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم اى عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم اى يوم البعث
للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اى لجحود لنعم الله عز وجل قوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا

قال ابن عباس شريعة هم ناسكوه اى عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع
عبادة فلا ينازعنك فى الامر اى فى امر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون مما قتله الله وقيل معناه لا
تنازعهم انت وادع الى ربك اى الى الايمان به والى دينه انك لعلى هدى مستقيم اى على دين واضح مستقيم
وان جادلوك اى خاصموك فى امر الذبح وغيره فقل الله اعلم بما تعملون اى من التكذيب الله يحكم بينكم
يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون اى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيمة يتردد بين جنة وثواب لمن قبلوا
وبين نار وعقاب لمن ردوا قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الامة
ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب اى فى اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اى ذلك علمه
بجميعه وذلك ان كتبه الحوادث مع انها من الغيب على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
اى من حجة ظاهرة من دليل سمعى وما ليس لهم به علم اى انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل
عقلى وما للظالمين اى المشركين من نصير اى مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
يعنى القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين الحلال والحرام تعرف فى وجوه الذين
كفروا المنكر اى الانكار والكراهية يتبين ذلك فى وجوههم يكادون يسطون اى يقعون ويبسطون اليهم
ايديهم بالسوء وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اى بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه من شدة
الغيظ قل لهم يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم اى بشر لكم واكره اليكم من هذا القران الذى تسمعون
النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
فان قلت الذى جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت لما كان المثل فى الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان
يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال صاحب الكشاف قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم مستحسنة مستغربة فاستمعوا له
اى تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع ومعنى الاية جعل لى شبيه وشبه بى الاوثان
اى جعل المشركون الاصنام شركاى يعبدونها ثم بين حالها ووصفها فقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله
يعنى الاصنام لن يخلقوا ذبابا اى واحدا فى صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له
اى لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام ولو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف
يليق بالعاقل جعلها معبودا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس
كانوا يطلون الاصنام بالزعفران فاذا جف جاءت الذباب فاستلبت منه وقيل كانوا يضعون الطعام
بين يدى الاصنام فيقع الذباب عليه وياكل منه ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب
يطلب ما يسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب اى لو طلب
الصنم ان يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ما قدروا الله حق قدره
اى ما عظموا الله حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع
من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوى لا يقهر عزيز لا يغلب قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا
اى يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ومن الناس اى ويختار الله
من الناس رسلا مثل ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين
نزلت حين قالت المشركون اانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان الاختيار اليه يختار من يشاء من عباده

لرسالته إن الله سميع أي لأقوالهم بصير أي لأفعالهم لا يخفى عليه خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين أيديهم
قال ابن عباس ما قدموا وما خلفهم أي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته
ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم وإلى الله ترجع الأمور قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا أي صلوا لأن الصلوة لا تكون إلا بالسجود واعبدوا ربكم أي وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة
وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي
هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى ويدخل فيه
البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر لعلكم تفلحون أي لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة

فصل

في أحكام سجود التلاوة لم يختلف العلماء في السجدة الأولى من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية
وروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء وأبي موسى أنهم قالوا في الحج سجدتان وبه
قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفي الحج
سجدتان قال نعم ولم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي وأبو داود وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة
الحج فسجد فيها سجدتين قال إن هذه السورة فضلت بسجدتين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم إلى أن في الحج
سجدة واحدة وهي الأولى وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري
وأبو حنيفة ومالك بدليل أنه قرن السجود بالركوع فدل ذلك على أنها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة واختلف
العلماء في عدد سجود التلاوة فذكر الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم أنها أربعة عشر سجدة لكن الشافعي
قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجدات خمسة
عشر سجدة وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود ويروى ذلك عن علي وابن عباس وأبي بن كعب وبه قال مالك
فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشر سجدة يدل عليه ما روي عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في القرآن إحدى عشر سجدة أخرجه أبو داود ودليل من قال في القرآن خمسة عشر سجدة ما روي عن عمرو
بن العاص قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة
الحج سجدتان أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ وإذا
السماء انشقت أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة
أنه واجب قوله عز وجل وجاهدوا في الله حق جهاده أي جاهدوا في سبيل أعداء الله ومعنى حق جهاده
هو استفراغ الطاقة فيه قال ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق عمله
واعبدوه حق عبادته وقيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون
بنية صادقة خالصة لله ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهي في سبيل الله أخرجه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى
هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا
من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ذكره البغوي بغير سند وقيل أراد بالأصغر جهاد الكفار وبالأكبر جهاد
النفس هو اجتباكم أي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وطاعته وعبادته فأي رتبة أعلى من هذا
وأي سعادة قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى
بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منها مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات
من الأمراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن

العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في أوقات سرودكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الضرورات
كقصر الصلوات في السفر والتيمم عند عدم الماء وأكل الميتة عند الضرورة والفطر في السفر ووقت الحج وإذا
التبس عليكم وسع ذلك حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات والصلوة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض
ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله تعالى على عباده قيل أعطى الله هذه الأمة خصلتين لم يعطهن أحد غيرهم جعلهم
شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس الحرج ما كان على بني إسرائيل من الإصار التي
كانت عليهم وضعها الله عن هذه الأمة ملة أبيكم إبراهيم لأنها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم
فإن قلت إبراهيم لم يكن أبا للأمة كلها فكيف سماه بأبيكم إبراهيم قلت إن كان الخطاب للعرب فهو أبو
العرب وإن كان الخطاب لكل المسلمين فمعناه أن وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الأب فهو كقوله
وأزواجه أمهاتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم كالوالد وفي قوله عز وجل هو سماكم المسلمين
من قبل قولان أحدهما أن الكناية ترجع إلى الله تعالى يعني أن الله تعالى سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل نزول
القرآن القول الثاني أن الكناية راجعة إلى إبراهيم يعني أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت
وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله تعالى دعاءه فينا وفي هذا أي وفي
القرآن سماكم المسلمين ليكون الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيمة أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء
على الناس أن رسلهم قد بلغتهم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله أي ثقوا بالله وتوكلوا عليه وقيل
تمسكوا بالله أي بدين الله وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم عن كل ما يكره وقيل معناه سلوا أي ادعوا الله أن يثبتكم
على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم أي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى
ونعم النصير والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة المؤمنون

وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وحرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي
النحل فأنزل الله عليه يوما فمكث ساعة ثم سري عنه فقرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام
هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا
ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي قوله عز وجل قد أفلح المؤمنون
قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة الذين هم في صلوتهم خاشعون
قال ابن عباس مخبتون أذلاء وقيل خائفون متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من أفعال
الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع من أفعال القلب والجوارح وهو الأولى والخاشع في
صلوته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فهو نهاية الخضوع والتذلل للمعبود
ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا إلى موضع سجوده
وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلوة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلوة العبد الاختلاس الاختطاف عن أبي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلوته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف وفي رواية
أعرض عنه أخرجه أبو داود والنسائي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء خ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في الصلوة إلى السماء فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن

أبصارهم وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلوة
فلما نزل الذين هم في صلوتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من
جسده في الصلوة روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب
هذا الرجل خشعت جوارحه ذكره البغوي بغير سند عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا قام أحدكم
إلى الصلوة فلا يمسح الحصا فإن الرحمة تواجهه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع هو جمع
الهمة والإعراض عما سوى الله والتدبر فيما يجري الله تعالى على لسانه من القراءة والذكر قوله عز وجل والذين هم
عن اللغو معرضون قال ابن عباس عن الشرك وقيل عن المعاصي وقيل كل باطل ولهو وما لا يحل من القول والفعل وقيل
هو معارضة الكفار بالشتم والسب والذين هم للزكوة فاعلون أي الزكوة الواجبة مؤدون فعبر
عن التأدية بالفعل لأنه فعل وقيل الزكوة ههنا هو العمل الصالح والأول أولى والذين هم لفروجهم حافظون
الفرج اسم لسوءة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم على بمعنى
من يعني الإماء والجواري والآية في الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها فإنهم غير ملومين
يعني يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك وإنما يلام فيما إذا كان على وجه يخالف فيه الشرع دون
الإتيان في غير المأتى وفي حال الحيض والنفاس فإنه محظور لا يجوز ومن فعله فهو ملوم فمن ابتغى وراء ذلك
أي التمس وطلب سوى الأزواج والولائد وهن الجواري المملوكة فأولئك هم العادون أي الظالمون
المجاوزون من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سئل عطاء عنه
فقال مكروه سمعت أن قوما يحشرون وأيديهم حبالى وأظن أنهم هؤلاء وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا
يعبثون بمذاكيرهم قوله تعالى والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي حافظون يحفظون ما ائتمنوا
عليه والعهود التي عاهدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والأمانات تختلف فمنها ما يكون بين العبد
وبين الله عز وجل كالصلوة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها الله تعالى على العبد فيجب الوفاء
بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع والصنائع وغير ذلك فيجب الوفاء بها أيضا والذين هم على صلواتهم
يحافظون أي يداومون ويراعون أوقاتها وإتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فإن قلت
كيف كرر ذكر الصلوة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم أولا بالخشوع في الصلوة
وآخرا بالمحافظة عليها قوله تعالى أولئك يعني أهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل
أهل النار من الجنة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في
الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث منزله أهل الجنة وذلك قوله هم الوارثون ذكره البغوي
بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول الميراث إلى الوارث قوله تعالى
الذين يرثون الفردوس هو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة
مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة تفجر أنهار الجنة الأربعة
منها ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي هم فيها خالدون
يعني لا يخرجون منها ولا يموتون قوله عز وجل ولقد خلقنا الإنسان يعني ولد آدم لأن الإنسان اسم جنس
من سلالة من طين قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هو المني نطفة لأن النطفة تسل من الظهر
من طين يعني من طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد منه بالإنسان هو آدم وقوله من
سلالة أي تسل من كل تربة ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة في قرار مكين

أي في حرز وهو الرحم مكين وهو الاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة ثم خلقنا النطفة علقة أي صيرنا
النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة مضغة أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما وذلك أن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له وقيل بين كل خلق وخلق أربعين يوما ثم أنشأناه
خلقا آخر مباينا للخلق الأول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا وكان
أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطرته وعن ابن عباس
قال إن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى القعود والقيام إلى المشي إلى الفطام
إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها فتبارك الله أحسن الخالقين أي استحق
التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال أحسن الخالقين المصورين والمقدرين فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية
وبين قول الله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله قلت الخلق له معان منها الإيجاد والإبداع
ولا موجد ولا مبدع إلا الله تعالى ومنها التقدير كما قال الشاعر • ولأنت تفري ما خلقت • وبعض القوم يخلق
ثم لا يفري • معناه أنت تقدر الأمور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن
المقدرين وجواب آخر وهو أن عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله أني أخلق لكم من الطين
كهيئة الطير فقال تبارك أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون أي بعد ما ذكر من تمام الخلق لميتون
أي عند انقضاء آجالكم ثم إنكم يوم القيمة تبعثون معناه أي للحساب والجزاء قوله تعالى ولقد خلقنا
فوقكم سبع طرائق أي سبع سموات طرائق لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق في الصعود والهبوط
وما كنا عن الخلق غافلين أي بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم
سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم بغير أمر ونهي وقيل معناه إنما خلقنا السماء فوقهم
لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أقوالهم وأعمالهم وضمائرهم
لا يخفى علينا خافية وأنزلنا من السماء ماء بقدر أي بعلمه الله من حاجتهم إليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم
في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة فأسكناه في الأرض يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع
الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناه في الأرض ثم أخرجناه منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ما في الأرض
من السماء وإنا على ذهاب به لقادرون وصح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان
والفرات والنيل من أنهار الجنة أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال إن الله أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون
ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي
جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه
في الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع القرآن من الأرض والعلم كله والحجر الأسود
من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك كله إلى السماء فذلك قوله
وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث
في تفسيره البغوي قال روى هذا الحديث حسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني
عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنبت بالماء فقال تعالى فأنشأنا
لكم به يعني أي بالماء جنات أي بساتين من نخيل وأعناب إنما أفردهما لكثرة منافعهما فإنهما يقومان
مقام الطعام والإدام والفواكه رطبا ويابسا لكم فيها أي في الجنات فواكه كثيرة ومنها
تأكلون أي شتاء وصيفا وشجرة أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء أي من

جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل هو بالسريانية ومعناه الجبل الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينا وسينين وقيل هو من السنا وهو الارتفاع الذى نودى منه موسى بين مصر وايليا وقيل هو جبل فلسطين وقيل سينا اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان تنبت بالدهن اى بثمر الدهن وهو الزيت وصبغ للآكلين يعنى الصبغ الادام الذى يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله فى هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشا وقيل ان اول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل ان شجرة الزيتون تبقى فى الارض نحو ثلاثة آلاف سنة قوله عز وجل وان لكم فى الانعام لعبرة اى آية تعتبرون بها نسقيكم مما فى بطونها اى من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شىء فيستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة والطبع ويصير غذاء وقد تقدم بسط الكلام بما فيه كفاية فى سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يعنى كما تنتفعون بها وهى حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل يعنى بحى ونبتلى لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل على الابل فى البر وعلى الفلك فى البحر قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اى ما لكم معبود سواه افلا تتقون اى افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم آدمى مثلكم مشارك لكم فى جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اى انه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعنى بابلاغ الوحى ما سمعنا بهذا اى الذى يدعونا اليه نوح فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة اى جنون فتربصوا به حتى حين اى الموت فتستريحوا منه قال رب انصرنى بما كذبون اى اعنى باهلاكهم بتكذيبهم اياى فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اى بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل بحفظنا وبعلمنا لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها فاذا جاء امرنا اى عذابنا وفار التنور قيل التنور هو وجه الارض والمعنى انك اذا رايت الماء يفور من التنور فاسلك اى فادخل فى السفينة فيها من كل زوجين اثنين اى من كل حيوان ذكرا وانثى واهلك اى وسائر من آمن بك الا من سبق عليه القول اى وجب عليه العذاب منهم يعنى الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة والذى سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون قوله عز وجل فاذا استويت اى اعتدلت انت ومن معك على الفلك اى فى السفينة فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين اى الكافرين وقل رب انزلنى منزلا مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة من الغرق وكثرة النسل بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من الله فحسن ان يقول وانت خير المنزلين لانه يحفظ ويكلأ فى سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل الضيف فانه لا يقدر على ذلك ان فى ذلك اى الذى ذكر من امر نوح والسفينة واهلاك اعداء الله لآيات اى دلالات على قدرتنا وان كنا اى وما كنا لمبتلين يعنى الا مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم قوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين يعنى عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعنى هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اى هذه الطريقة التى انتم عليها مخافة العذاب وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اى بالمصير اليها واترفناهم اى نعمناهم

وترفناهم فى الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون اى مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون اى لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اى من قبوركم احياء هيهات هيهات قال ابن عباس اى بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم مبعثهم بعد الموت اغفالا منهم للتفكر فى مبدإ امرهم وقدرة الله تعالى على ايجادهم وارادوا بهذا الاستبعاد انه لا يكون ابدا ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى قيل معناه نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ويحيى الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم وما نحن بمبعوثين اى بعد الموت ان هو يعنون رسولهم الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اى بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن اى ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعنى صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا اى الزمنا بعدا من الرحمة للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين اى اقواما آخرين ما تسبق من امة اجلها اى وقت هلاكها وما يستأخرون اى عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا تترى اى متراترين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمن طويل كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اى بالهلاك فاهلكنا بعضهم فى اثر بعض وجعلناهم احاديث اى سيرا وقصصا يتحدث من بعدهم بشأنهم فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين اى بحجة بينة كالعصا واليد وغيرهما الى فرعون وملائه فاستكبروا اى تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين اى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم فقالوا يعنى فرعون وقومه انؤمن لبشرين مثلنا يعنون موسى وهرون وقومهما لنا عابدون اى مطيعون متذللون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اى المغرقين ولقد آتينا موسى الكتاب اى التورية لعلهم يهتدون اى لكى يهتدى بها قومه قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية اى دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين قلت جعلنا شأنهما آية لان عيسى وجد من غير ذكر وكذلك مريم ولدته من غير ذكر فاشتركا فى هذه الآية فكانت آية واحدة وآويناهما الى ربوة اى الى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل هى ارض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الايواء وقوله ذات قرار يعنى اى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ومعين اى الماء الجارى الذى تراه العيون قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى عليه الصلوة والسلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال واعملوا صالحا اى استقيموا على ما يوجبه الشرع انى بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فان يكون تحذيرا لغيرهم اولى لما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم وان هذه امتكم

اى ملتكم وشريعتكم التى انتم عليها اى ملة واحدة وهى الاسلام امة واحدة وانا ربكم فاتقون اى فاحذرون
وقيل امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون قوله تعالى فتقطعوا اى تفرقوا فصاروا
فرقا يهودا ونصارى ومجوسا وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم اى دينهم بينهم زبرا اى فرقا وقطعا
مختلفة وقيل معنى زبرا اى كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب فامنهم فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب
كل حزب بما لديهم فرحون اى مسرورون معجبون بما عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
فى غمرتهم قال ابن عباس فى كفرهم وضلالتهم وقيل فى عمايتهم وغفلتهم حتى حين اى الى ان يموتوا ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين اى نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا نسارع
لهم فى الخيرات اى نجعل لهم ذلك فى الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون اى
ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
اى خائفون والمعنى ان المؤمنين بما هم عليه من خشية الله تعالى خائفون من عقابه وقال الحسن البصرى المؤمن جمع
احسانا وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا والذين هم بايات ربهم يؤمنون اى يصدقون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا اى يعطون ما اعطوا من الزكوة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا
من اعمال البر وقلوبهم وجلة اى خائفة ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى ربهم
راجعون اى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا ان
ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الذين يشربون الخمر قال لا
يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون فى الخيرات اخرجه
الترمذى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات اى يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اى اليها
وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها
اى طاقتها من الاعمال فمن لا يستطيع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض ولدينا كتاب
هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق اى يبين الصدق والمعنى قد اثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به
ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التى يكتبها الحفظة وهم لا يظلمون اى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد
على سيئاتهم فقال تعالى بل قلوبهم فى غمرة اى فى غفلة وجهالة من هذا اى القران ولهم اعمال
اى للكفار اعمال خبيثة من المعاصى والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعنى من دون اعمال المؤمنين
التى ذكرها الله تعالى فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم يعنى هم الكفار لها اى لتلك الاعمال
الخبيثة عاملون اى لا بد لهم ان يعملوها فيدخلون بها النار لما سبقت لهم فى الازل من الشقوة حتى اذا اخذنا
مترفيهم اى رؤسائهم واغنيائهم بالعذاب قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع يوم دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف فابتلاهم الله
تعالى بالقحط حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة اذا هم يجأرون اى يضجون ويستغيثون ويجزعون
لا تجأروا اليوم اى لا تجزعوا ولا تضجوا انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون ولا ينفعكم تضرعكم
قد كانت اياتى تتلى عليكم يعنى القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اى ترجعون القهقرى وتتاخرون عن الايمان
مستكبرين به قال ابن عباس اى بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور متعظمين بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون
نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر احد علينا ولا نخاف احدا فيأمنون فيه وسائر الناس فى الخوف وقيل
مستكبرين به اى بالقران فلم يؤمنوا به والقول الاول اظهر سامرا يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكانوا

معناه صح
انهم صح
ثم ذكر الكفار صح
من صح
سنين

عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا او شعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى
تهجرون من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون اى تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان
به وبالقران وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح اى تهذون وتقولون ما لا تعلمون افلم يدبروا القول يعنى يتدبروا ما جاءهم
من القران فيعتبرون بما فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين
يعنى فانكروا يريد انا قد بعثنا من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم ام لم يعرفوا
رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه
وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون
به جنة اى جنون وليس هو كذلك بل جاءهم بالحق اى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته وحسنه على
عاقل واكثرهم للحق كارهون قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم قيل الحق هو الله تعالى والمعنى
ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القران اى لو نزل بما
يحبون وبما يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اى لفسد العالم بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس
بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القران فهم عن ذكرهم اى عن شرفهم معرضون ام تسألهم على ما جئتهم
به اى خرجا فخراج ربك خير اى يعطيك الله من رزقه وثوابه خيرا وهو خير الرازقين تقدم تفسيره
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اى الى دين الاسلام وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط اى عن
دين الحق لناكبون اى لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اى قحط وجدوبة
للجوا فى طغيانهم يعمهون يعنى لتمادوا فى طغيانهم يعمهون اى لم ينزعوا عنه ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبى
صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم قد اكلوا
القد والعظام وشكى اليه الضر فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فانكشف عنهم فانزل الله تعالى هذه
الاية فما استكانوا لربهم اى فما خضعوا وما ذلوا لربهم وما يتضرعون اى لم يتضرعوا الى ربهم
بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل
هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اى ايسون من كل خير قوله عز وجل وهو الذى انشا
لكم السمع والابصار والافئدة اى لتسمعوا بها وتبصروا بها وتعقلوا قليلا ما تشكرون اى لم تشكروا هذه النعم
وهو الذى ذرأكم فى الارض اى خلقكم واليه تحشرون اى تبعثون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار اى تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان
فى السواد والبياض افلا تعقلون اى ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون معناه اى
كذبوا كما كذب الاولون وقيل معناه انكروا البعث كما انكر الاولون مع وضوح الادلة قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون اى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والانكار والتعجب لقد وعدنا اى
نحن هذا الوعد واباؤنا هذا من قبل اى وعد اباؤنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم نر له حقيقة ان هذا
الا اساطير الاولين اى اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اى يا محمد لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق
ان كنتم تعلمون اى خالقها ومالكها سيقولون لله اى لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله فقل
لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون اى فتعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم
بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اى عبادة

غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وهو يجير أي يؤمن من يشاء
ولا يجار عليه أي لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من أراده بسوء إن كنتم
تعلمون أي فأجيبوا سيقولون لله قل فأنى تسحرون أي فأنى تخدعون وتخضعون وتصرفون عن توحيده
وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل أتيناهم بالحق أي بالصدق وإنهم لكاذبون أي فيما يدعون من الشرك
والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله أي من شريك إذا لذهب كل إله بما خلق أي لانفرد
كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ومنع كل إله الآخر عن الاستيلاء
على ما خلقه هو ولعلا بعضهم على بعض أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم وإذا
كان كذلك فاعلموا إنما هو إله واحد بيده ملكوت كل شيء ويقدر على كل شيء ثم نزه نفسه فقال تعالى
سبحان الله عما يصفون أي من إثبات الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
أي تعظم من أن يوصف بما لا يليق به قوله عز وجل قل رب إما تريني ما يوعدون أي ما وعدتهم من العذاب
رب أي يا رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي لا تهلكني بهلاكهم وإنا على أن نريك ما نعدهم
أي من العذاب لقادرون قوله عز وجل ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح
والإعراض والصبر السيئة يعني أذاهم أمره بالصبر على المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها بآية السيف
قوله نحن أعلم بما يصفون أي يكذبون من الشرك قوله عز وجل وقل رب أعوذ بك أي أمتنع وأعتصم
بك من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل وساوسهم وقيل نفخهم ونفثهم وقيل دفعهم بالإغواء
إلى المعاصي وأعوذ بك رب أن يحضرون أي في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان يوسوس له عن
جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر
كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه
وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء في تفسير هذه الألفاظ في متن الحديث
ونزيده إيضاحا قوله نفثه الشعر لأن الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق قوله ونفخه الكبر
وذلك أن المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى أن ينفخ وقوله وهمزه الموتة الجنون لأن المجنون ينخسه
الشيطان ثم أخبر الله عز وجل أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة
الموت فقال تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد به الله المفرد وهو على عادة العرب فإنهم يخاطبون
الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه إنه
استغاث بالله أولا ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا وقيل ذكروا الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة
بحق الله ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت أي ضيعت وقيل تركت وخلفت من التركة والمعنى أقول لا إله
إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا
ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر إذا رأى العذاب
كلا كلمة ردع وزجر أي لا يرجع إليها إنها يعني سؤاله الرجعة كلمة هو قائلها أي لا ينالها ومن
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي أمامهم وبين أيديهم حاجز إلى يوم القيامة ومعناه أنه بينهم وبين الرجعة حجاب
ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم
البعث إلا إلى الآخرة قوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم قال ابن عباس إنها النفخة الأولى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى

فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود إنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والأمة
يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى
حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده أو زوجته وأخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس إنها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفاخرون بالأنساب
يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا ولا يتساءلون سؤال التواصل كما يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة
أنت ولم يرد أن الأنساب تنقطع فإن قلت قد قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قلت قال ابن عباس إن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم
الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون قوله تعالى فمن ثقلت
موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا
أنفسهم في جهنم خالدون تلفح أي تسفع وقيل تحرق وجوههم النار وهم فيها كالحون أي عابسون وقد
بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوط على النار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى
حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم
يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا أي التي
كتبت علينا فلم نهتد وكنا قوما ضالين أي عن الهدى ربنا أخرجنا منها أي من النار فإن عدنا
أي لما تكره فإنا ظالمون قال اخسؤوا فيها أي ابعدوا فيها كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ ولا تكلمون
أي في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج وقال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل
النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي
عن عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم
ثم يقول إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا
مرتين ثم يرد عليهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فما ييأس القوم بعد ذلك بكلمة إلا إن كان الزفير والشهيق ذكره
البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء وقوله فما ييأس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا
ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه
بعض وأطبقت عليهم جهنم إنه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين يقولون ربنا آمنا فاغفر
لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا يعني تسخرون منهم وتستهزئون
بهم حتى أنسوكم ذكري أي حتى أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري وكنتم منهم تضحكون
نزلت في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وصهيب وعمار
وخباب رضي الله عنهم ثم قال تعالى إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا
أنهم هم الفائزون أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال يعني إن الله قال للكفار يوم البعث
كم لبثتم في الأرض أي في الدنيا وفي القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم
معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فاسأل العادين يعني الملائكة
الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم قال إن لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا
سماه قليلا لأن الواحد وإن طال لبثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لو أنكم كنتم تعلمون

اى قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل أفحسبتم انما خلقناكم عبثا اى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله تعالى وانكم الينا لا ترجعون اى في دار الآخرة للجزاء روى البغوي بسنده عن حنش ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في اذنه الآية أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في اذنه فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال تعالى فتعالى الله الملك الحق اى هو التام الملك الجامع لاصناف المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اى الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به اى لا حجة ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل عن آلهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك فانما حسابه اى جزاؤه عند ربه اى هو يجازيه بعمله انه لا يفلح الكافرون اى لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النور

وهي مدنية وهي اثنتان وقيل اربع وستون ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سورة انزلناها وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الاحكام والحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها آيات بينات اى واضحات لعلكم تذكرون اى تتعظون قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الزنا هو من الكبائر وموجب للحدود اى الحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اى فاضربوا يقال جلده اذا ضرب ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اى الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام قال الشافعي وابو حنيفة التغريب الى راى الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب وتجلد المراة ولا تغرب وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة اى رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطا وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة ان تخففوا الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف في حد الشرب في دين الله اى في حكم الله روى عن عبد الله بن مسعود جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت فاوجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر معناه ان المؤمن لا تاخذه الرافة اذا جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود وليشهد اى وليحضر عذابهما اى حدهما اذا اقيم عليهما طائفة اى نفر من المؤمنين قيل اقله رجل واحد فصاعدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا هن اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك

فنزلت هذه الآية فحرم على المسلمين ان يتزوجوا بتلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطا وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السائب بن ابي السائب المخزومي وكانت في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها ماكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على هذه الصفة فاستاذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها اخرجه الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق اولئك دون ساير الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة لا تمنع يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فامسكها اذا وروى هذا الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه احد الرواة قال ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجر الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اى صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفائف فهذا محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى والذين يرمون اى يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم ياتوا باربعة شهداء اى يشهدون على الزنا فاجلدوهم ثمانين جلدة بيان لحكم الآية وذلك ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا فقال له يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا وان كان عبدا اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنا في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنا واقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر او يا خبيث او يا مواجر او قال لامراتي لا ترد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا ان يريد ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت او ليس امراتي زانية فليس بقذف عند الشافعي وابي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضى وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة

أبدا وأولئك هم الفاسقون فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفسق لا يقع إلا على صاحب
الكبيرة قوله تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا فإن الله غفور رحيم اختلف العلماء
في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس
القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد
عليه أو قبله لقوله تعالى إلا الذين تابوا وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا
تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء و
طاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي
وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون
وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه
حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حاليه ويقبلونها في شر حاليه وذهب الشعبي إلى أن حد القذف
يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه
المقذوف فيسقط كالقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة فإن قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى
قوله أبدا قلت معنى قوله أبدا ما دام مصرا على القذف لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل
شهادة الكافر أبدا يراد به ما دام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون
أي يقذفون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء أي يشهدون على صحة ما قالوا إلا أنفسهم أي غير أنفسهم
فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين سبب نزول هذه الآية ما روي عن سهل بن سعد
الساعدي أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال له يا عاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله
فيقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال لك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها فقال عويمر والله
لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت
رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله
فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا
من تلاعنهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجاه في الصحيحين زاد في رواية ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا
إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أي أسود والأدعج
الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خدلج الساقين غليظهما وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة
كالعظاءة تلصق بالأرض وأراد بهذا الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف
امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك
فقال يا رسول الله إذا رأى على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة

وإلا حد في ظهرك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل
جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ إن كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله
عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال بن أمية فشهد ~~بين يديه~~ والنبي صلى الله عليه وسلم ~~فقام~~ النبي يقول الله يعلم
إن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال
ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انظروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن وفي رواية غير البخاري عن
ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن
لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت إن في ظهري لثمانين جلدة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فإنه رجل غيور
ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يا رسول الله بأبي أنت
وأمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فإن الله يأبى إلا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال
ابن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت بأذني
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله
إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم إني لصادق وما قلت إلا حقا وإني لأرجو أن يجعل
لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضربه قال واجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد
هلال وتبطل شهادته فإنهم لذلك ورسول الله يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه
عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم إلى آخر الآيات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله
تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال يا رسول الله قد
صدقت وما قلت إلا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع
شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب
الآخرة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال
والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد والخامسة أن لعنة الله
إن كان من الكاذبين ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين
فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله فإن الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت
ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي ثم شهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين
ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به
غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدرى من أبوه وروى ابن عباس أن عويمرا

لما لاعن زوجته خولة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلوة جامعة فصلى العصر
ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت
شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها لحبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال
في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر
يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد بالله ما انا بزانية
وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين
ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله انه ما راني
قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة ان كان من الصادقين ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرهما راي ثم قال تحينوا الولادة فان
جاءت به اصهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك ابن سحما وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين
فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق لشريك بيان حكم الاية في ذلك ان الرجل اذا قذف امراته
فموجبه موجب قذف الاجنبية في وجوب الحد عليه ان كانت محصنة او التعزير اذا كانت غير محصنة غير ان المخرج
منهما مختلف فاذا قذف اجنبية او اجنبيا يقام عليه الحد الا ان ياتي باربعة شهدا يشهدون بالزنا او يقر المقذوف
بالزنا فيسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة فان الرجل اذا راى مع امراته رجلا ربما لا يمكنه
اقامة البينة ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هي سقط الحد عنه واللعان الا ان يكون
هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لينفيه واذا اراد الامام ان يلاعن بينهما بدا بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات
اللعان فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بالزنا وان كان قذفها برجل بعينه
سماه في اللعان ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولد او حمل يريد نفيه فيقول وان هذا الولد وهذا الحمل لمن الزنى
ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله ان كنت لمن الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا اتى بكلمة من كلمات
اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه
على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط عنه الحد ووجب على المراة حد الزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان
الزوج قوله تعالى ويدرؤا اي يدفع عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن وجب على المراة
حد الزنا فاذا ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه
لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق
بلعانها الا هذا الحكم الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط عنها باللعان وعند اصحاب
الراي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن فاذا لاعن الزوج وامتنعت المراة
من اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان ونفي النسب وهما لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضا
القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو كذب الرجل نفسه
يقبل ذلك فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابيد التحريم وعند ابي حنيفة فرقة اللعان فرقة
طلاق فاذا اكذب نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى
باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد

ابن

ابن المسيب وسليمان ابن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم وقال
الزهري والاوزاعي واصحاب الراي لا يجري اللعان الا بين مسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين رقيقا
او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القران حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لان الله تعالى قال
والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيرهما ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه
ويغلظ اللعان باربعة اشيا بتعدد الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد
الالفاظ فيجب ولا يجوز الاخلال بشي منها واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف المكان فان كان بمكة فبين
الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي ساير البلاد في الجامع عند المنبر
واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب فلو لاعن الحاكم بينهما
وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم
بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد باللعان وان الله تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي
بالرحمة حكيم اي فيما فرض من الحدود وقوله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الايات سبب
نزولها ما روى عن ابن شهاب قال حدثني عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة ابن ابي وقاص وعبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا
وكلهم حدثني طايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى من حديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت
عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عايشة رضي الله تعالى عنها وبعض حديثهم يصدق بعضه بعضا قالوا
قالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه فايتهن
خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها
فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة
بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري
فاذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوه قالت واقبل الرهط الذي
كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النسا اذ ذاك
خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام لم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه
وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجيت منازلهم
وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما انا جالسة
في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح
عند منزلي فراى سواد انسان نايم فاتاني فعرفني حين راني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه
حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته
فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية موغرين في
نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله ابن ابي ابن سلول فقدمنا المدينة
فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا ارى
من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم
ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا
لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغايط

وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم ابن عبد المطلب ابن عبد مناف و
امها بنت صخر ابن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح ابن اثاثة ابن عباد ابن عبد المطلب حين فرغنا من شاننا
نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه
الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي وانا اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك
فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد
تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب واسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت
فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله والذي يعلم لهم من نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله
ولا نعلم والله الا خيرا واما علي ابن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية
تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت فيها شيئا يريبك فقالت له بريرة
لا والذي بعثك بالحق نبيا ان رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين
اهلها فياتي الداجن فياكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله ابن ابي
ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي وفي رواية في اهل بيتي
فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت
فقام سعد ابن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال انا والله يا رسول الله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه
وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد ابن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان
بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد ابن معاذ كذبت لعمري والله لا تقتله
ولا تقدر على ذلك فقام اسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد ابن عبادة كذبت والله لنقتلنه
فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك
لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي قالت
فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك
اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه
في شاني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك
كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه
ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس منه قطرة وقلت
لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي
اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية
حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت والله اني قد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم
وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لم تصدقوني والله ما اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي

ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في شاني بامر
يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام من مجلسه ولا خرج
احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق
في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة
تكلم بها برآك الله فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم ولا احمد الا الله هو الذي
انزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر ايات فلما انزل الله هذا في براءتي بالافك
قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح ابن اثاثة لقرابته منه وفقره وقال والله لا انفق على مسطح شيا ابدا بعد
ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت
عايشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن امري فقال يا زينب ما علمت ما رايت
فقالت يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة وهي التي كانت تساميني من
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب لها حتى هلكت
فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية فقالت عايشة
والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قالت ثم قتل بعد
في سبيل الله فهذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عايشة
والذي تولى كبره منهم عبد الله ابن ابي ابن سلول وقال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه
قال عروة لم يسم لي من اهل الافك ايضا الا حسان ابن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين
لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب عندها حسان ابن ثابت
وتقول انه الذي قال • فان ابي ووالدتي وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء • واخرجاه من حديث مسروق
قال دخلت على عايشة وعندها حسان ينشدها شعرا يشبب بابيات فقال • حصان رزان ما تزن بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل • فقالت له عايشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها اتاذنين له ان يدخل
عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه
كان ينافح او يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • شرح غريب الفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة
اي قطعة من حديثها قوله وكان اوعى اي احفظ له قوله اذن اي اعلم بالرحيل قولها فقدت عقدا لي من جزع
اظفار وهو نوع من الخرز وهو الجزع اليماني المعروف وقولها لم يهبلن اي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قولها
انما ياكلن العلقة هي بضم العين اي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قولها ليس بها منهم داع
ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يجيب ولا من يرد جوابا قولها فتيممت اي قصدت ~~قولها للراحة~~
~~والادلاج التشديد مصير~~ قولها قد عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في اخر الليل للراحة والادلاج
بالتشديد سير اخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه وهو قول القائل انا لله وانا اليه راجعون
قولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي اي ازاري قولها موغرين في نحر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة
اي اوله قولها والناس يفيضون اي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء يريبني اي شككت
فيه قولها ولا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف اي الرفق بها واللطف في الافعال الرفق وفي الاقوال
لين الكلام قولها حتى نقهت اي افقت من المرض والمناصع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول

واصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف او خز قولها تعس مسطح اي عثر وفي الدعاء على الانسان اي سقط
بوجهه قولها يا هنتاه يا بلهاء كأنها تنسبها الى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لي دمع اي لا ينقطع وقول بريرة
ان رأيت بمعنى النفي اي ما رأيت منها امرا اغمصه بالصاد المهملة اي اعيبه والداجن الشاة التي تألف
البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي يقوم بعذري ان انا كافيته على سوء صنيعه ان عاقبت
او عاقبت فاحتاموني على ذلك قولها وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه اي من قبيلته قولها ولكن احتملته
الحمية اي حملته الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة قولها فثار الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال
والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم اي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم ان كنت المت قيل هو من اللمم
وهو من صغار الذنوب وقيل معناه مقاربة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام اي ما
برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمان الدرة وجمعها جمان قوله سري عنه اي كشف عنه وقول زينب احمي
سمعي وبصري اي امنعهما من ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر وقولها وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو
والغلبة فعصمها الله اي منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف اي ستر انثى قوله ويستوشيه
اي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان ابن ثابت في عائشة رضي الله عنها حصان بفتح الحاء يقال
امرأة حصان اي متعففة حصينة رزان اي ثابتة ما تزن بها اي ترمى ولا تتهم بريبة اي بامر يريب الناس وتصبح
غرثى اي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل عن مثل هذا
الفعل وقول عائشة في حسان انه كان ينافح اي يناظر ويخاصم عن الله ورسوله واما التفسير فقوله تعالى ان الذين
جاءوا بالافك عصبة منكم اي بالكذب والافك اسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك ان عائشة كانت تستحق
الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل
وجاءوا بالافك عصبة منكم اي جماعة منكم اي عبد الله ابن ابي ابن سلول ومسطح ابن اثاثة وحسان ابن ثابت وحمنة
بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيد الله فان قلت عبد الله ابن ابي ابن سلول كان راس المنافقين فكيف قال منكم قلت كان
ينتسب الى الايمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الاغلب فان حسان ابن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة كانوا من
المؤمنين المخلصين قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم يعني الافك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة
وابويها وللنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني ان الله يؤجركم على ذلك ويظهر براءتكم
ويشهد بكذب العصبة واوجب لهم الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم لكل امرئ منهم اي من العصبة
الكاذبة ما اكتسب من الاثم اي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم
اي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وقام باشاعته وهو عبد الله ابن ابي ابن سلول منهم من العصبة له عذاب عظيم
يعني عذاب النار في الآخرة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد ثمانين قوله
عز وجل لولا اذ سمعتموه اي الحديث الكذب وقول اهل الافك ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
اي باخوانهم واهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المؤمنين اذا سمعوا قول اهل الافك ان يكذبوه ويحسنوا
الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة المؤمنين وقالوا هذا افك
اي كذب بين لا حقيقة له لولا يعني هلا جاءوا عليه اي على ما زعموا باربعة شهداء اي يشهدون
بذلك فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب
الزواجر فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين اذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء اتى
بالشهادة او لم يات بها قلت هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فاولئك هم الكاذبون

قيل

في غيبي وعلمي وقيل معناه فاولئك عند الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف
ان لم يات بالشهود يجب زجره قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم
فيه عذاب عظيم معناه لولا اني قضيت ان الفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال بالتوبة وان اترحم
عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الافك والخطاب للقذفة وهذا الفضل
هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب اذ تلقونه بالسنتكم اي يرويه بعضكم عن بعض وذلك ان الرجل
منهم يلقى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم اي من غير ان تعلموا انه حق وتحسبونه هينا اي وتظنون انه سهل لا اثم
فيه وهو عند الله عظيم اي في الوزر ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
قيل للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا يعني بهتان عظيم اي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمه روي ان ام
ايوب قالت لابي ايوب الانصاري اما بلغك ما تقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية
على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مؤمنين ويبين الله لكم الآيات في الامر والنهي والله عليم اي بامر عائشة وصفوان حكيم اي حكم ببراءتهما
قوله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي يظهر الزنا ويذيع في الذين آمنوا
قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وصفوان وقيل الآية على العموم فكل من احب
ان تشيع الفاحشة وتظهر على احد فهو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين لهم عذاب
اليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والآخرة اي وفي الآخرة لهم النار والله يعلم اي كذبهم وبراءة
عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون وقيل معناه يعلم ما في قلب من يحب ان تشيع الفاحشة
فيجازيه على ذلك وانتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا انعامه عليكم
لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان ابن ثابت وحمنة وان الله رؤوف رحيم قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان
فانه يامر بالفحشاء اي بالقبائح والمنكر من الاقوال والافعال وكل ما يكرهه الله عز وجل والآية عامة في حق
كل احد لان كل مكلف ممنوع من ذلك ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
اي ما ظهر وما صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا اخبر الله تعالى انه لولا فضله
ورحمته بالعصمة ما صلح منكم احد وقيل الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من الذنب ولا صلح
امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا ولكن الله يزكي اي يطهر
من يشاء من الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم قوله
ولا يأتل اي لا يحلف من الالية وهو القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنى يعني ابو بكر
الصديق رضي الله عنه ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحا وكان مسكينا
مهاجرا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه فانزل الله هذه الآية وليعفوا
وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر عائشة الا تحبون يخاطب ابا بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته
التي كان ينفقها عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الآية دليل على فضل ابي بكر لان الفضل المذكور
في الآية ذكره الله تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله ولا يأتل اولوا الفضل منكم وقوله الا تحبون

ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان
ينفقه عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل على ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على ان من حلف يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر
عن يمينه وفيه الحديث الصحيح ومن حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه
قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اى العفايف الغافلات اى عن الفواحش وعن الفاحشة اذ لا يقع
في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عايشة رضي الله عنها المؤمنات وصفها بالمؤمنات لعنوا اى عذبوا
في الدنيا بالحد والاخرة اى ولهم في الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم وهذا في حق عبد الله ابن ابي ابن سلول
المنافق وروى عن حصيف انه قال قلت لسعيد ابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة قال ذلك
لعايشة خاصة وقال ابن عباس هذه الاية في شان عايشة ~~خاصة~~ وازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة
دون ساير المؤمنات ليس فيها توبة ومن قذف امراة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات
الغافلات الى قوله تابوا فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للاية يوم تشهد عليهم
السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي
والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله عز وجل بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
اى جزاؤهم الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اى الموجود الظاهر الذي
بقدرته وجود كل شيء وقيل معناه بين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله ابن ابي
ابن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيمة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين
قال اكثر المفسرين معنى الخبيثات يعني الكلمات والقول الخبيث من الناس ومثله والخبيثون اى من الناس
للخبيثات من القول والطيبات اى من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول لا يليق الا بالخبيث من الناس
والطيب من القول لا يليق الا بالطيب من الناس وعايشة رضي الله عنها لا يليق بها الخبيث من القول لانها طيبة
فيضاف اليها طيب القول من الثناء والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم بالخبيث الا الخبيث من الرجال
والنسا وهذا ذم للذين قذفوا عايشة ولا يتكلم بالطيب من القول الا الطيب من الرجال والنسا وهذا مدح للذين
برؤها بالطاهر والمدح لها وقيل معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال
للخبيثات من النساء امثال عبد الله ابن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النسا للطيبين والطيبون
للطيبات يريد عايشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اولئك مبرؤن يعني عايشة وصفوان
ذكرهما الله تعالى بلفظ الجمع منزهون مما يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة اى عفو لذنوبهم ورزق
كريم يعني الجنة وروى عن عايشة كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل اتى
بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروى انه اتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يتزوج بكرا غيرها وقبض عليه الصلوة والسلام في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي
معه في اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت
طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق
حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا اى تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا ويقول تستانسوا

خطا

خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة الاستيذان وقيل الاستيناس
طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيوذنه اني داخل وقيل هو من انست اى ابصرت وقيل هو ان يتكلم
بتسبيحة او تنحنح حتى يعرف اهل البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل بيتا لغيره الا بعد الاستيذان
والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستيذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام
عليكم ادخل وتقدير الاية حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كلدة ابن حنبل
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم استاذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم اادخل
اخرجه ابو داود والترمذي وعن ربعي ابن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل
السلام عليكم اادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم اادخل فاذن له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود ق عن ابي سعيد وابي ابن كعب وابي موسى قال ابو سعيد كنت
في مجلس من مجالس الانصار اذ جاء ابو موسى كانه مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم ياذن لي فرجعت
قال استاذنت ثلاثا فلم يوذن لي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن
له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم قال ابي ابن كعب
فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استيذان بالرجوع عن عبد الله ابن بسر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من تلقاء ركنه الايمن او الايسر
ويقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك اذن له اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام
والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة يستاذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء
ابن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على امي قال نعم فقال الرجل في البيت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم استاذن عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم استاذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا
قال فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا مرسلا ذلكم خير لكم اى فعل الاستيذان خير لكم واولى بكم
من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اى هذه الاداب فتعملوا بها قوله تعالى فان لم تجدوا فيها اى في
البيوت احدا اى ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى يوذن لكم اى في الدخول وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
يعني اذا كان في البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا له ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما هو ازكى
لكم اى الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم في تلك الاحوال واذا
حضر الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس ياتي دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب
ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج وراه قال يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني بمكانك فيقول هكذا امرنا
ان نطلب العلم واذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه اذا كان الباب مردودا ق عن سهل ابن سعد قال اطلع
رجل من جحر في باب النبي صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به وفي رواية يرجل به راسه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن من اجل البصر ق
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية
للنسائي قال لو ان امرا اطلع عليك بغير اذن فخذفته ففقات عينه ما كان عليك حرج وفي مرة اخرى جناح والله

بما تعملون عليم اى من الدخول بالاذن ولما نزلت اية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اى اثم ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استيذان فيها متاع لكم اى منفعة لكم قيل ان هذه البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويأووا امتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استيذان والمنفعة المنزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل بيوت التجار وحوانيتهم فى الاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها فليس فيها استيذان وقيل هى جميع البيوت التى لا ساكن فيها لان الاستيذان انما جعل لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اى عما لا يحل النظر اليه قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر وانما امروا ان يغضوها عما لا يحل النظر اليه م عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فقال اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذى م عن ابى سعيد الخدرى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل فى ثوب واحد ولا تفضى المرأة الى المرأة فى ثوب واحد وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم اى عما لا يحل قال ابو العالية كل ما فى القران من حفظ الفرج فهو من الزنا الا فى هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف ادخل من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات فى البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة الى ذلك واما امر الفروج فمضيق وكفاك ان ابيح النظر الى ما استثنى منه فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراس منه ذلك ازكى لهم اى اطهر معناه اى غض البصر وحفظ الفرج ان الله خبير بما يصنعون اى انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن اى عما لا يحل لهن روى عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذى وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن اى لا يظهرن زينتهن اى لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب فى الرجل والسوار فى المعصم والقرط فى الاذن والقلائد فى العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة النظر الى مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اى من الزينة وقال ابن مسعود هى الثياب وقال سعيد بن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن عباس هى الكحل والخاتم والخضاب فى الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبى النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضروريات اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص فى هذا القدر للمرأة ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه فى الصلوة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن اى ليلقين بمقانعهن على جيوبهن اى موضع الجيب وهو النحر والصدر اى ليسترن بذلك شعورهن واعناقهن واقرطتهن وصدورهن ق عن عايشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط كساء من صوف او خز او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن يعنى الخفية التى لم يبح لهن كشفها فى الصلوة ولا للاجانب

وهى

وهى ما عدا الوجه والكفين الا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او اباءهن او اباء بعولتهن او ابناءهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظرون الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نساءهن اى المؤمنات من اهل دينهن اراد به انه لا يجوز للمرأة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية والكافرة لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية والكافرة ليست من نسائنا ولانها اجنبية فى الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة ابن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز ان تتكشف للمرأة المسلمة لانها من جملة النساء او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى مولاته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر القران يروى ذلك عن عايشة وام سلمة وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فلما راى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الاية الاماء دون العبيد او التابعين غير اولى الاربة من الرجال قرئ بنصب الراء من الرجال منهن فانهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة والمراد بالتابعين غير اولى الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم فى النساء وقال ابن عباس هو الاحمق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجبوب والخصى وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عايشة رضى الله عنها قالت كان يدخل على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير اولى الاربة فدخل رسول الله عليه السلام يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فحجبوه زاد ابو داود فى رواية واخرجوه الى البيداء يدخل فى كل جمعة فيستطعم قوله اقبلت باربع اى ان لها فى بطنها اربع عكن فهى تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان اطراف العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اى لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر ولم يطيقوا امر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل ان الطفولية اسم للصبى ما لم يحتلم ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او يتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النساء اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له فى مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذى لاجله نهى عنه ان يعلم به ما عليهن من الحلى وغيره وتوبوا الى الله جميعا اى من التقصير الواقع فى امره ونهيه وراجعوا طاعته فيما امركم به ونهاكم من الاداب المذكورة فى هذه السورة وقيل ان اوامر الله ونواهيه فى كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعدوا بالفلاح اذا تابوا واستغفروا فذلك قوله ايها المؤمنون لعلكم تفلحون عن الاغر المزنية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى تبارك وتعالى مائة مرة فى اليوم عن ابن عمر قال كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس رب اغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم مائة مرة اخرجه عبد الرحمن بن حميد المكى ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده من احدكم

سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس
من مغربها تاب الله عليه قال قوله عز وجل وأنكحوا الأيامى منكم جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى
وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم أي من عبيدكم وإمائكم بيان
حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن اشتاقت نفسه إلى النكاح
ووجد أهبته أن يتزوج وإن لم يجد أهبته يكسر شهوته بالصوم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح ويكنى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو وهو رض الأنثيين نوع من الخصاء
شبه به الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجاء الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيمة أخرجه أبو داود والنسائي ق عن عبد الله
ابن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا تتوق نفسه إلى
النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل
قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال سيدا وحصورا وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد ولم يندبهن
إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزويج الأيامى إلى الأولياء وهو أن الله تعالى خاطبهم به كما أن تزويج العبيد والإماء
إلى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود و
عبد الله بن عباس وأبي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز وإليه ذهب
الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزويج نفسها
وقال مالك إن كانت المرأة دنية يجوز لها تزويج نفسها وإن كانت شريفة فلا والدليل على أن الولي شرط في النكاح
ما روي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي أخرجه أبو داود والترمذي
ولهما عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا
فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له وقوله تعالى إن
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله قيل الغنى ههنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة
وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال
بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى يغنهم الله من فضله وقال تعالى وإن يتفرقا يغني الله
كلا من سعته والله واسع أي إنه ذو الإفضال والجود عليم أي بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى
وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا أي لطلب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به
من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله أي يوسع عليهم من رزقه والذين يبتغون الكتاب
سبب نزول هذه الآية أن غلاما لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية
فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الآية
وكيفية المكاتبة وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يؤدي ذلك في نجمين
أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أديت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فإذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه
بعد الكتابة وإذا أعتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة
في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ الكتابة ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده
لما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم

أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى فكاتبوهم أمر إيجاب يجب على السيد أن يكاتب عبده
الذي علم فيه خيرا إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر من قيمته وإذ سأل سأل أنس بن مالك وكان كثير المال فانطلق
ابن سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالدرة وتلا فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا
فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر ندب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي
لأنه عقد جوز إرفاقا بالعبد ومن تتمة الإرفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود
وجوز أبو حنيفة الكتابة إلى نجم واحد وحالة واحدة واختلفوا في المعنى قوله إن علمتم فيهم خيرا
فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي أن عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني
قال ألك مال قال لا قال تريد أن تطعمني أوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيرا
وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الأمانة فأحب أن لا يمتنع من
الكتابة إذا كان هكذا وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي
يريد الأداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله أخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير أن يكون
العبد بالغا عاقلا أما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي
المراهق قوله عز وجل وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد أن يحط
عن مكاتبه من مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدر ما يحط
فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه
أن يحط ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع وكاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من
آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع
شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ويضع عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر
استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم الذي جعله لهم من
الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث
لجميع الناس على معونتهم واختلف العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم إلى أنه يموت
رقيقا وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك مالا وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد
العزيز والزهري وقتادة وإليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء بما بقي عليه من مال الكتابة كان حرا
وإن فضل له مال كان لأولاده الأحرار وقال وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري
وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد ويتبعه أولاده
واكتسابه كما في حال الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء
النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم أي إماءكم على البغاء أي الزنا إن أردن تحصنا
الآية م عن جابر قال كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له اذهبي فابغينا شيئا قال فأنزل الله ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا وفي رواية أخرى كان لعبد الله بن أبي أمة جارية يقال لها مسيكة وأخرى
يقال لها أميمة وكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا إلى قوله غفور رحيم قال المفسرون نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق
كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لأجل ضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا
يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا

يخلوا من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية ويروى
ان احدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل فقد جاء الاسلام
وحرم الزنا فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف العلماء في معنى قوله
ان اردن تحصنا على اقوال احدها ان الكلام ورد على سبيل سبب وهو الذي ذكره في سبب نزول الآية فخرج النهي
على صفة السبب فان لم يكن شرطا فيه والثاني انما شرط ارادة التحصين فاما اذا لم ترد المراة التحصين فانها
تبغي بالطبع طوعا الثالث ان بمعنى اذ اي اذ اردن تحصنا كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذا
كنتم مؤمنين القول الرابع ان في هذه الآية تقديم وتاخير تقديره وانكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء **لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا** اي لتطلبوا من اموال الدنيا يريد كسبهن
وبيع اولادهن **ومن يكرههن** يعني على الزنا **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** يعني للمكرهات والوزر
على المكره وكان الحسن اذا قرا هذه الآية قال لهن والله لهن قوله تعالى **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات**
اي من الحلال والحرام **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** اي شبها من حالكم بحالهم ايها المكذبون
وهذا تخويف لهم ان يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين **وموعظة للمتقين** اي المؤمنين الذين يتقون
الشرك والكبائر قوله عز وجل **الله نور السموات والارض** قال ابن عباس معناه الله هادي السموات والارض
فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهدايته من حيرة الضلالة ينجون وقيل معناه الله منور السموات والارض نور السماء
بالملائكة ونور الارض بالانبياء وقيل معناه مزين السموات والارض بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء
والمؤمنين ويقال زين الارض بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر بهذا اللفظ على طريق المدح
كقول الشاعر ۝ اذا سار عبد الله عن مرو ليلة ۝ فقد سار عنها نورها وجمالها ۝ **مثل نوره** اي مثل
نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل نوره الذي اعطى المؤمن وقيل الكناية
عائدة الى المؤمن اي مثل نور قلب المؤمن وقيل اراد بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة
سمى طاعة الله نورا واضاف هذه الانوار الى نفسه تشريفا وتفضيلا **كمشكاة فيها مصباح** هي الكوة التي
لا منفذ لها قيل هي بلغة الحبشة فيها مصباح اي سراج واصله من الضوء **المصباح في زجاجة** يعني القنديل وانما
ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها ابين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال **الزجاجة**
كانها كوكب دري من درا الكوكب اذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال والوقت وقيل هو من
درا النجم اذا طلع وارتفع وقيل دري اي شديد الانارة نسب الى الدر في صفائه وحسنه وان كان اضوء من الدر لكنه
يفضل الكواكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري احد الكواكب السيارة الخمسة التي هي زحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالقمر والشمس لانهما يلحقهما الكسوف بخلاف
الكواكب **توقد** اي المصباح **من شجرة مباركة زيتونة** اي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع
كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو اصفى الادهان واضوؤها وقيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان
وقيل اراد به زيتون الشام لانها هي الارض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن اسيد بن ثابت او ابي اسيد
الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة اخرجه الترمذي
لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا
تصيبها الشمس بالغداة اذا طلعت بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون
شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه انها ليست في صفاة لا

لا يصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا يضرها شمس ولا ظل وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق
يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل هذه
الشجرة ليست من اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله
لنوره **يكاد زيتها يضيء** اي من صفائه **ولو لم تمسسه نار** اي قبل ان تمسه النار **نور على نور** اي المصباح
على نور الزجاجة **فصل** في بيان التمثيل المذكور في الآية اختلف اهل العلم في معنى هذا التمثيل المذكور
فقيل المراد به الهدى ومعناه ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال الى اقصى الغايات وصار ذلك
بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفا والرقة
والبياض فاذا كان كذلك كان كاملا في صفائه يصلح ان يجعل مثلا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل
لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا
مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة
توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم به
انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد
صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني
توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي
المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين سماه الله تعالى محمد مصباحا
كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان اكثر النبيين من صلبه صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان
اليهود تصلي الى الغرب والنصارى تصلي الى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله
عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد صلى الله عليه وسلم على نور ابراهيم وقيل
وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال ابي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح
ما جعل الله فيه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده فمثله كمثل شجرة قد التفت
بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس ان يصيبه
شيء من الفتن فهو بين اربع خصال ان اعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء اي
يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل ان يتبين له لموافقته اياه نور على نور قال ابي المؤمن يتقلب في خمسة انوار قوله نور
وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيمة وقال ابن عباس هذا مثل ضربه
الله لنوره وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء
فكذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور قال
الكلبي نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقيل نور الايمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن
فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة
المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء اي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسسه النار وقيل يكاد حجة القرآن تتضح وان
لم يقرا نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك
نورا على نور قوله تعالى **يهدي الله لنوره من يشاء** قال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة **ويضرب الله**
الامثال للناس اي يبين الله الامثال للناس تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك **والله بكل شيء عليم**

قوله عز وجل في بيوت اي ذلك المصباح توقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت
الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي
صلى الله عليه وسلم الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان
ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وعليهم اجمعين ومسجد قبا اسس على التقوى وبناه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر من الانجاس
والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه يسبح له فيها اي يصلي له فيها بالغدو والاصال
اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلوة المفروضة التي تؤدى بالغداة صلوة الفجر والتي تؤدى
بالاصال صلوة الظهر والعصر والعشائين لان اسم الاصال يقع على هذا الوقت كله وقيل اراد به الصبح والعصر
ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة واراد
بالبردين صلوة الصبح وصلوة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو والاصال صلوة الضحى وصلوة العصر قال
ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا الى صلوة مكتوبة كان اجره كاجر الحاج المحرم
ومن خرج الى المسجد الى تسبيح الضحى لا يعنيه الا ذلك كان اجره كاجر المعتمر وصلوة على اثر صلوة لا لغو بينهما كتاب
في عليين اخرجه ابو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا
جماعة لا تلهيهم تجارة اي لا تشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لانها من اعظم ما يشتغل الانسان بها عن الصلوة
والطاعات واراد بالتجارة الشرا وان كان اسم التجارة يقع على البيع والشرا جميعا لانه ذكر البيع بعده وقيل خص
التجارة بالذكر لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يده ولا بيع اي ولا يشغلهم بيع عن ذكر الله اي حضور المساجد
لاقامة الصلوات واقام الصلوة يعني اقامة الصلوة في وقتها لان من اخر الصلوة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلوة
روى سالم عن ابن عمر انه كان في السوق فاقيمت الصلوة فقام الناس واغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر
نزلت فيهم هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وايتاء الزكوة يعني المفروضة قال ابن عباس اذا حضر
وقت اداء الزكوة فلا يحبسوها يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار معناه ان هؤلاء الرجال وان
بالغوا في ذكر الله والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ما عبدوا الله سبحانه وتعالى حق عبادته
وقيل ان القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الابصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين
وتنفتح الابصار من الاغطية وقيل تتقلب القلوب بين الرجا والخوف فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الابصار
من هول ذلك اليوم من اي ناحية يؤخذ بهم امن ذات اليمين ام من ذات الشمال ومن اين يؤتون كتبهم امن قبل اليمين ام من
قبل الشمال وقيل تتقلب القلب في الجوف فيرتفع الى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج وتتقلب البصر فيشخص من هول الامر وشدته
ليجزيهم الله احسن ما عملوا يعني انهم اشتغلوا بذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة ليجزيهم الله احسن ما عملوا
والمراد بالاحسن الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها وذكر الاحسن تنبيها على انه لا يجازيهم على مساوي اعمالهم
بل يغفرها وقيل انه تعالى يجزيهم جزاء احسن من اعمالهم على الواحد من عشرة الى سبعماية ضعف ويزيدهم من فضله
يعني انه تعالى يجزيهم باحسن اعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه وفضله قوله عز وجل والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
لما ضرب الله مثلا لحال المؤمن وانه في الدنيا والاخرة في نور وانه فائز بالنعيم المقيم اتبعه بضرب مثل لاعمال الكفار
وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فاذا قرب منه انفش فلم
ير شيئا والبقيعة القاع وهو المنبسط من الارض وفيه يكون السراب يحسبه اي يتوهمه الظمان اي العطشان

ماء حتى اذا جاءه اي جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء الى موضع السراب لم يجده شيئا اي لم يجد على ما قدره و
ظنه ووجه التشبيه ان الذي ياتي به الكافر من اعمال البر وهو يعتقد ان له ثوابا عند الله وليس كذلك فاذا وافى
عرصة القيمة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم عظمت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله
بحال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فاذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال
الكافر يحسب ان عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده اغنى عنه شيئا ولا نفعه ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد
وقيل قدم على الله فوفاه حسابه اي جزاء عمله والله سريع الحساب معناه انه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة
واحد عن واحد ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى او كظلمات اعلم ان الله سبحانه وتعالى علم ان اعمال الكفار
وان كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وان كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه ان مثل اعمالهم في فسادها وجهالتهم
فيها كظلمات في بحر لجي اي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه اي يعلوه موج من فوقه موج اي متراكم
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه ان البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء
فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان بين الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية القصوى اذا اخرج يده
لم يكد يريها اي لم يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب شيء
يراها الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه ان الله تعالى ذكر ثلثة انواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الامواج
وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي
قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب الكافر يتقلب
في خمسة من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيمة في النار
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له نورا اي دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم
يهده الله فما له من هاد قيل نزلت هذه الاية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح فلما
جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الاية عامة في حق جميع الكفار قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في
السموات والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتهن في الهوى قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون
بين السما والارض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلوته وتسبيحه قيل
ان الصلوة لبني ادم والتسبيح لساير الخلق وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلوته وتسبيحه وقيل معناه ان كل مسبح
ومصل علم الله صلوته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلوة نفسه وتسبيحه والله عليم
بما يفعلون ولله ملك السموات والارض اي ان جميع الموجودات ملكه وفي تصرفه وعنه نشات ومنه
بدات فهو واجد الوجود وقيل معناه ان خزاين المطر والرزق بيده ولا يملكها احد سواه والى الله المصير اي والى الله
مرجع العباد بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي اي يسوق سحابا اي بامره الى حيث يشاء من ارضه
وبلاده ثم يؤلف بينه اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل من السما
من جبال فيها من برد قيل معناه وينزل من جبال من السما تلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر الله تعالى ان في السما
جبالا يقال له البرد من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من برد فان قلت ما الفرق بين من الاولى
والثانية والثالثة قلت من الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السما والثانية للتبعيض لانه ما ينزل الله
من بعض تلك الجبال التي في السماء والثالثة للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد فيصيب به اي بالبرد من يشا
فيهلكه وامواله ويصرفه عن من يشاء اي فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب

بالابصار أي من شدة ضوئه وبريقه يقلب الله الليل والنهار أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل ويذهب
بالنهار ويذهب بالليل ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا
الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أن العرب كانت تقول عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر وتذمه
في أشعارهم فقيل لهم لا تسبوا الدهر فإن فاعل ذلك هو الله تعالى والدهر مصرف يقع فيه التأثيرات كما يقع بكم وقوله تعالى
إن في ذلك أي الذي ذكرت من هذه الأشياء لعبرة لأولي الأبصار ح وقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء
أي من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا فلا تدخل فيه الملائكة والجن لأنا لا نشاهدهم وقيل إن أصل جميع الخلق
من الماء وذلك أن الله تعالى خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل
بعضه طينا فخلق منه آدم فمنهم من يمشي على بطنه أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك ومنهم من
يمشي على رجلين يعني مثل بني آدم والطير ونحو ذلك ومنهم من يمشي على أربع يعني كالبهائم والسباع ونحو ذلك فإن قلت
كيف قال خلق كل دابة من ماء مع أن كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق الذي من غير نطفة لا بد أن
يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء فإن قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير العقلاء قلت
ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لأن جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى فإن قلت
لم قدم من يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات قلت قدم الأعجب والأعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهو
الأرجل والقوائم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على أربع فإن قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشي على
أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاء وما له أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان
ملحقا بالأغلب وقيل إن هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي والباقي تبع لها يخلق الله ما يشاء أي مما لا يعقل
ولا يعلم إن الله على كل شيء قدير أي هو القادر على الكل العالم بالكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع
لقد أنزلنا آيات مبينات يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته قوله تعالى ويقولون يعني المنافقين
آمنا بالله وبالرسول وأطعنا أي يقولون بألسنتهم من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم
معناه أي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك أي من بعد قولهم آمنا ويدعوا إلى غير حكم الله تعالى وما
أولئك بالمؤمنين نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد
صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف فأنزل الله هذه الآية وإذا دعوا إلى الله
ورسوله ليحكم أي الرسول لحكم بحكم الله بينهم إذا فريق منهم معرضون يعني عن الحكم وقيل
عن الإجابة وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين يعني مطيعين منقادين لحكمه إذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا
إلى حكمه لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا أفي قلوبهم مرض أي كفر ونفاق أم ارتابوا
أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله أي يظلم
بل أولئك هم الظالمون أي لأنفسهم بإعراضهم عن الحق قوله عز وجل إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله
أي إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو
أن يقولوا سمعنا أي الدعاء وأطعنا أي الإجابة وأولئك أي من هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله
قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخش الله أي على ما عمل من الذنوب ويتقه أي فيما بعد فأولئك هم الفائزون أي الناجون
قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم قيل جهد اليمين أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لئن أمرتهم ليخرجن
وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا معك وإن أقمت أقمنا وإن أمرتنا

بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو أمرتنا أن نخرج
من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى قل لا تقسموا أي لا تحلفوا وتم
الكلام ثم ابتدأ فقال تعالى طاعة معروفة أي هذه طاعة بالقول باللسان دون الاعتقاد بالقلب
وهي معروفة أمر عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل
وأمثل من يمين باللسان لا يوافقها الفعل إن الله خبير بما تعملون أي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فإن تولوا أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله
فإنما عليه أي على الرسول ما حمل أي ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم أي ما كلفتم من
الإجابة والطاعة وإن تطيعوه تهتدوا أي تصيبوا الحق والرشد في طاعته وما على الرسول إلا
البلاغ المبين أي التبليغ الواضح المبين قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار
فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد
منهم سلاحه فقال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم
والله ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم
أي كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وكما استخلف بني إسرائيل وأهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم
أرضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم أي اختاره لهم قال ابن عباس ما يوسع لهم في البلاد حتى
يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني أي آمنين لا يشركون
بي شيئا فأنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أولياءه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض خ عن
عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه
قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة
ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد
ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل
يخرج ملء كفه ذهبا أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد من يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيمة وليس بينه
وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يا رب ألم أعطك مالا وأفضل
عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة
ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة
لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا وفي الآية دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق
والخلفاء بعده لأن في أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الأمن والتمكين
وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا
ثم قال أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي ستة قال علي
قلت لحماد القائل لسعيد أمسك سفينة قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي بنحو هذا اللفظ قلت كذا ورد هذا الحديث
بهذا التفصيل وفيه إجمال وتفصيله أن خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشر سنين
وستة أشهر وخلافة عثمان كانت اثنتي عشرة سنة كما ذكر في الحديث وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وهذا

جاء في بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا التفصيل تكون مدة خلافة الائمة الاربعة
تسعة وعشرين سنة وستة اشهر وكملت ثلثين بخلافة الامام الحسن وكانت ستة اشهر ثم نزل عنها والله اعلم
وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة ولم يرد به الكفر هنا بالله فاولئك هم الفاسقون اي
العاصون قال اهل التفسير اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم
وانزل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخي عبد الله ابن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء
عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت في نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عني فانك خارج خير لي منك داخل
فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة
وليسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيمة قالوا اقتلوا اليهودي وقتلوا عثمان اخرجه الترمذي زاد في
رواية غير الترمذي فما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه الاشيا على رجاء الرحمة لا تحسبن
الذين كفروا معجزين اي فائتين عنا في الارض ومأويهم النار ولبئس المصير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له
مدلج ابن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فانزل الله هذه الاية
وقيل نزلت في اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت
اللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثاني انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم
يعني العبيد والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء
بل المراد الذين عرفوا امر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على ان الاحتلام
بلوغ واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة وقال ابو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ويستكملها والجارية
سبع عشرة سنة وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد واحمد في الغلام والجارية خمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري
عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلث مرات اي ليستاذنوا في ثلاث اوقات من قبل صلوة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة اي وقت المقيل ومن بعد صلوة العشاء وانما خص هذه الثلاثة اوقات لانها ساعات
الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستيذان
في هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان يستاذن في جميع الاوقات ثلث عورات لكم سميت هذه الاوقات
عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم جناح يعني العبيد والخدم والصبيان
بعدهن اي حرج عليكم في الدخول بغير استيذان طوافون اي بعد هذه الاوقات الثلاثة عليكم اي العبيد والخدم
يترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض
كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكي ذلك
عن سعيد ابن المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الاية التي امرنا بها ولا
يعمل بها احد قول الله عز وجل يا ايها الذين ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم
بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على
اهله فامرهم الله تعالى بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك بعد اخرجه

ابو داود والترمذي وفي رواية عنه نحوه وزاد فراى ان ذلك اغنى عن الاستيذان في تلك العورات وذهب قوم
الى انها غير منسوخة وروى سفيان عن موسى ابن ابي عايشة قال سالت الشعبي عن هذه الاية ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم امنسوخة هي قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد ابن جبير
في هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها والله مما تهاون بها الناس قيل ثلاث ايات ترك الناس
العمل بهن هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم والناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى
الاية وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا
اي يستاذنوا في جميع الاوقات في الدخول كما استاذن الذين من قبلهم اي الاحرار الكبار كذلك يبين
الله لكم اياته اي دلالته وقيل احكامه والله عليم اي بامور خلقه حكيم بما دبر لهم وشرع
قال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت الاية في ذلك وسئل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته
قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره والقواعد من النساء يعني اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر
فلا يلدن ولا يحضن اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجائز اللواتي اذا
راهن الرجال استقذرهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل تحت حكم هذه الاية
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي
فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اي من غير
ان يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن والتبرج اي فلا يلقين الجلباب والرداء والاظهار وهو ان
تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اي فلا يلقين الجلباب والرداء خير
لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلماء في هذه الاية فقال ابن عباس لما انزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج
وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام
الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفي
من الطعام حقه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل تكون على بمعنى في ليس في الاعمى والمعنى ليس عليكم في مواكلة
الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لان الناس
يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقول الاعمى ربما اكل اكثر من ذلك ويقول الاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت
هذه الاية وذلك ان هولاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شي ذهب بهم الى بيت ابيه
او بيت امه او بعض من سمى الله تعالى فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله
هذه الاية وقيل كان المسلمون اذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم الى الزمنى ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا
مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها واصحابها غيب فانزل الله هذه الاية رخصة لهم وقيل
نزلت رخصة لهولاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا
ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم
قيل اراد من اموالكم اموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المرأة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم
نسب بيوت الاولاد الى الاباء كما جاء في الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم

معناه قال ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمرة ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل هو يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده
والمفاتيح الخزائن ويجوز ان يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملكت الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشئ
اليسير وقيل او ما ملكتم مفاتحه اى ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه **او صديقكم** الصديق هو الذى صدقك فى
المودة قال ابن عباس نزلت فى الحارث ابن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك ابن زيد
على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه
الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هؤلاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا
وتحملوا **ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا** نزلت فى بنى ليث ابن عمرو وهم حى من كنانة كان
الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح
وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس
كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته ويدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح ان اتحرج ان اكل
معك وانا غنى وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا
مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاؤوا جميعا اى مجتمعين او اشتاتا متفرقين **فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم** اى ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن فى بيته قال قتادة اذا
دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا ان الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس فى قوله
اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين
تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب ههنا لما فيه من الثواب
والاجر **كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون** معناه اى عن الله امره ونهيه واراد به قوله
عز وجل **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه** اى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على امر جامع اى يجمعهم من حرب حضرت او صلوة او جمعة او عيد او جماعة او تشاور فى امر نزل **لم يذهبوا**
اى يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له **حتى يستاذنوه** قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن يشاء منهم قال مجاهد واذن الامام يوم
الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه
الا بالاذن فاذا استاذن فللامام ان شاء اذن له وان شاء لم ياذن له وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من القيام
فاذا حدث سبب يمنعه من القيام بان تكون فى المسجد فتحيض امراة منهم او يجنب رجل منهم او يعرض له مرض فلا يحتاج
الى الاستيذان **ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم** اى امرهم **فاذن لمن شئت منهم** اى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن
واستغفر لهم الله اى ان رايت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة **ان الله غفور رحيم** قوله تعالى **لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** قال ابن عباس يقول احذروا دعاء الرسول اذا اسخطتموه فان دعاءه
موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه
وشرفوه فقولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا** اى يستتر

بعضهم

بعضهم ببعض ويرفع فى خفية فيذهب قيل كان هذا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مختفين وقال ابن عباس لواذا اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد
يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار
وقد يعلم فيه التهديد بالمجازاة **فليحذر الذين يخالفون عن امره** اى يعرضون عن امره وينصرفون
عنه بغير اذنه **ان تصيبهم** اى لئلا يصيبهم **فتنة** اى بلاء فى الدنيا **او يصيبهم عذاب اليم** اى وجيع
فى الاخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى **الا ان لله ما فى السموات والارض** اى ملكا وعبيدا **قد يعلم ما انتم عليه**
من الايمان والنفاق **ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا** اى من الخير والشر **والله بكل شئ عليم** عن عائشة
رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن
الغزل وسورة النور اخرجه ابو عبد الله ابن البيع فى صحيحه والله اعلم بمراده واسرار كتابه تم تفسير سورة النور

تفسير سورة الفرقان بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **تبارك الذى** تفاعل قيل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وقيل معناه تعظم **نزل الفرقان**
اى القرآن سماه فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل لانه نزل مفرقا فى اوقات كثيرة ولهذا
قال نزل بالتشديد لتكثير التفريق **على عبده** يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم **ليكون للعالمين** اى للانس والجن
نذيرا قيل هو القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم **الذى له ملك السموات والارض** اى هو المتصرف
فيها كيف يشاء **ولم يتخذ ولدا** اى هو الفرد فى وحدانيته وفيه رد على النصارى **ولم يكن له شريك فى الملك**
اى هو المنفرد بالالهية وفيه رد على الوثنية وعباد الاصنام **وخلق كل شئ** معناه اى مما يطلق عليه صفة المخلوق
فقدره تقديرا يعنى اى سواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت وقيل قدر كل شئ تقديرا من الاجل والرزق
فجرت المقادير على ما خلق قوله تعالى **واتخذوا** يعنى عبدة الاوثان **من دونه آلهة** يعنى الاصنام **لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا** اى دفع ضر ولا جر نفع **ولا يملكون موتا** يعنى اماتة **ولا
حيوة** اى احياء **ولا نشورا** اى بعثا بعد الموت **وقال الذين كفروا** يعنى النضر ابن الحارث واصحابه **ان هذا** اى ما هذا
القرآن **الا افك** اى كذب **افتريه** اى اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه قوم آخرون** قيل يعنى
اليهود وقيل عبيد ابن الحضر الكاهن الحبشى وقيل جبر ويسار وعداس ابن عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون
ان محمدا ياخذ منهم فقال الله تعالى **فقد جاؤوا** اى قائلى هذه المقالة **ظلما وزورا** اى بظلم وزور وهو نسبتهم
كلام الله الى الافك والافتراء **وقالوا اساطير الاولين** يعنى النضر ابن الحارث كان يقول ان هذا القرآن ليس
من الله انما هو مما سطره الاولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى **اكتتبها** انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم
من جبر ويسار وعداس وطلب ان يكتب له لانه كان لا يكتب **فهى تملى عليه** اى تقرا عليه ليحفظها لا ليكتبها
بكرة واصيلا يعنى غدوة وعشيا قوله تعالى ردا عليهم **قل** يا محمد **انزله** يعنى القرآن **الذى يعلم السر**
اى الغيب **فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما** اى لولا ذلك لعاجلكم بعذابه **وقالوا ما لهذا الرسول**
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم **ياكل الطعام** اى كما ناكل نحن **ويمشى فى الاسواق** اى يلتمس المعاش كما نمشى
نحن واذا كان كذلك فمن اين له الفضل علينا ولا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لانك
بشر مثلنا والملك لا ياكل الطعام لان الملك لا يتسوق وانت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لان اكله الطعام
لكونه آدميا ولم يدع انه ملك ومشيه فى الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته فى التوراة ولم يكن سخابا فى الاسواق
وليس شئ من ذلك ينافى النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك **لولا انزل اليه ملك** معناه اى يصدقه

ويشهد له فيكون معه نذيرا اى داعيا او يلقى اليه كنز اى ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج الى التصرف
فى طلب المعاش او تكون له جنة اى بستان ياكل منها اى هو فان اقل من ذلك وان لم يكن له كنز وقال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا اى مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر اى يا محمد كيف ضربوا لك الامثال
اى الاشباه التى لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج فضلوا اى عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اى الى الهدى ومخرجا
عن الضلالة قوله تعالى تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اى من الذى قالوا وافضل من البستان
الذى ذكروا وقال ابن عباس يعنى خيرا من المشى فى الاسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجرى من
تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اى بيوتا مشيدة عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل
لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو ذلك هذا فاذا جعت تضرعت اليك
وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معى
جبال مكة ذهبا جاءنى ملك ان حجزته لتساوى الكعبة فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا
وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاشار الى ان ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قال فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا يقول انا اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البغوى بسنده
قوله تعالى بل كذبوا بالساعة اى القيمة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اى نارا مسعرة اذا رأتهم من مكان
بعيد قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فان قلت كيف تتصور الرؤيا من النار وهو قوله اذا رأتهم
قلت يجوز ان يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا اى غليانا
كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب وزفيرا اى صوتا فان قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها
تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر ورأيت زوجك فى الوغا • متقلدا سيفا ورمحا • اى وحاملا رمحا
وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير ان جهنم يوم القيمة زفرة فلا يبقى ملك
مقرب ولا نبى مرسل الا خر لوجهه واذا القوا منها مكانا ضيقا قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج
فى الرمح مقرنين اى مصفدين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل دعوا
هنالك ثبورا معناه قال ابن عباس ويلا وقيل هلاكا وفى الحديث ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها
على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادون
يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوى
بغير سند وقيل معناه هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة فادعوا ادعية كثيرة قوله عز وجل قل اذلك خير
اى الذى ذكرت من صفة النار واهلها ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا
اى ثوابا ومرجعا لهم قال تعالى لهم فيها ما يشاؤن اى ان جميع المرادات لا تحصل الا فى الجنة لا فى غيرها
فان قلت قد يشتهى الانسان شيئا ولا يحصل فى الجنة كما انه يشتهى الولد ونحوه وليس هو فى الجنة قلت ان الله يزيل
ذلك الخاطر عن اهل الجنة بل كل واحد من اهل الجنة مشتغل بما هو فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات الى غيره
خالدين اى فى نعيم الجنة ومن تمام النعيم ان يكون دائما اذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وانشد فى المعنى فقال
اشد الغم عندى فى سرور • تيقن صاحبه عنه انتقالا • كان على ربك وعدا مسئولا اى مطلوبا وذلك
ان المؤمنين سألوا ربهم فى الدنيا حين قالوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك يقول كان اعطاء الله المؤمنين الجنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك الوعد
وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم قوله تعالى ويوم يحشرهم

وما

وما يعبدون من دون الله يعنى من الملائكة والانس والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعنى الاصنام ثم يخاطبهم فيقول ءانتم
اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اى اخطأوا الطريق قالوا يعنى المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان
يكون معه آلهة ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يعنى ما كان ينبغى لنا ان نوالى اعداءك
بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك ولكن متعتهم وآباءهم
اى بطول العمر والصحة والنعماء فى الدنيا حتى نسوا الذكر معناه اى تركوا المواعظ والايمان بالقرآن
وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا قوما بورا معناه اى هلكى اى غلب عليهم الشقاء والخذلان فقد
كذبوكم هذا خطاب مع المشركين اى كذبكم المعبودون بما تقولون اى انهم آلهة فما تستطيعون
يعنى الآلهة صرفا اى صرف العذاب عن انفسهم ولا نصرا اى ولا نصر انفسهم وقيل لا يضركم ايها العابدون
بدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اى يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك
اى يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق قال ابن عباس لما عير
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق انزل الله
تعالى هذه الآية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا
رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا مثلى ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة اى بلية قال ابن عباس اى جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون وترون من خلافهم
وتتبعون انتم الهدى وقيل نزلت فى ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم رأى الوضيع
قد اسلم قبله يانف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيكون مقيما على كفره ويمتنع من الاسلام
فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت فى ابى جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمى والنضر بن الحارث
وذلك انهم رأوا ابا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة ودونهم قد اسلموا قبلهم
فقالوا انسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت فى ابتلاء فقراء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا
الى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين
اتصبرون اى على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان المعنى فتنة الفقير يقول ما لى لم اكن مثله
والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان ربك بصيرا اى بمن صبر وبمن جزع ق عن ابى هريرة يبلغ
به النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه
فى المال والجسد لفظ البخارى ولمسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان
لا تزدروا نعمة الله عليكم قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا اى لا يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف
لغة تهامة لولا انزل علينا الملائكة فيخبرونا ان محمدا صادق او نرى ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا اى تعظموا
فى انفسهم بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا اى طغوا وقيل عتوا فى الكفر وهو اشد الكفر وعتوهم
طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى يوم يرون الملائكة اى عند الموت وقيل يوم القيمة
لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك ان الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيمة ويقولون للكفار لا بشرى لكم
وقيل لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمن ويقولون حجرا محجورا قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما
ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة حرام
محرم عليكم ان يكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة وذلك ان العرب كانت اذا نزلت بهم شدة
او رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا

من عمل يعني من أعمال البرية التي عملوها في حال الكفر فجعلناه هباء منثورا أي باطلا لا ثواب لهم لأنهم لم
يعملوه لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار إذا وقعت
الشمس فيها فلا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب
وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير من الغبار قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ
أي يوم القيمة خير مستقرا أي من هؤلاء المشركين المستكبرين وأحسن مقيلا أي موضع القايلة وذلك
أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيمة إلا قدر أول النهار إلى وقت القايلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن
مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقيلولة الاستراحة
نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب
في ذلك اليوم في أوله ويروى أن يوم القيمة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس قوله تعالى ويوم
تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم ونزل
الملائكة تنزيلا قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الإنس والجن
ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تشقق السماء
السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش الملك
يومئذ الحق للرحمن أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة قال ابن عباس يريد أن
يوم القيمة لا ملك يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا أي شديدا وفيه دليل على أنه لا يكون على
المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث أنه يهون يوم القيمة على المؤمنين حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا قوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه أراد بالظالم عقبة ابن أبي معيط وذلك أنه كان لا يقدم
من سفر إلا صنع طعاما ودعى إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر
وصنع طعاما ودعى الناس إليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي ابن خلف فلما أخبر أبي ابن خلف
قال له يا عقبة صبأت قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج
من بيتي ولم أشهد له ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل
ذلك عقبة فقال عليه الصلوة والسلام لا أراك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا
وأما أبي ابن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل كان عقبة ابن أبي خليل أمية ابن خلف
فأسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام إن بايعت محمدا فكفر وارتد فأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم يعني
عقبة ابن أبي معيط ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه
بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطا يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما
هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل تحسرا وندامة يقول يا ليتني اتخذت أي في الدنيا مع
الرسول سبيلا أي يا ليتني اتبعت محمدا واتخذت معه طريقا إلى الهداية يا ويلتا دعى على نفسه بالويل
ليتني لم أتخذ فلانا خليلا قيل يعني أبي ابن خلف لقد أضلني عن الذكر أي عن الإيمان والقرآن
بعد إذ جاءني يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله

من الجن والإنس للإنسان خذولا أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم الآية عام
في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله ق عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس
الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه
ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي قوله عز وجل وقال الرسول
يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا يعني أي متروكا وأعرضوا عنه
ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا أنه سحر وشعر والمعنى أن
محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى الله عز وجل يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا فعزاه الله تعالى
فقال وكذلك جعلنا أي وكما جعلنا لك أعداء من مشركي مكة وهم قومه كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فإني
ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة أي كما أنزلت التورية على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله
عليهم أجمعين قال الله تعالى كذلك فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك أي أنزلناه مفرقا ليقوى به قلبك
فتعيه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرأون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ
ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور حدثت منها في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون
أوعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأيسر على العامل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا
والترتيل التبيين في ترتيل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية ولا يأتونك يعني يا محمد هؤلاء المشركين
بمثل أي يضربونه لك في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق أي بما يردون به ما جاؤوا به من المثل ويبطله فسمى
ما يردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا وأحسن تفسيرا أي أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر
مآل هؤلاء المشركين فقال تعالى الذين أي هم الذين يحشرون على وجوههم أي يساقون ويجرون على
وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا يعني أي منزلا ومصيرا وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا
أي معينا وظهيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه إضمار
أي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا أي أهلكناهم إهلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أي رسولهم ومن كذب رسولا
واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع أغرقناهم وجعلناهم للناس آية أي عبرة
لمن بعدهم وأعتدنا للظالمين في الآخرة عذابا أليما أي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا
وعادا وثمودا أي أهلكنا عادا وثمودا وأصحاب الرس قال وهب ابن منبه كانوا أهل بئر قعودا
عليها وكانوا أصحاب مواشي يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم
وأذى شعيب فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر بفلج
اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال ابن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة ابن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله
وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود والرس
الأخدود وقرونا بين ذلك كثيرا أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وأصحاب الرس وكلا ضربنا

لَهُ الأمثالَ أي الأشباه في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار وكلًّا تبّرنا تتبيرًا أي
أهلكناهم إهلاكًا كقوله تعالى ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط
وهي خمس قرى أهلك الله منها أربعًا ونجت واحدة وهي الصغر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث أفلم يكونوا
يرونها يعني إذا مرّوا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لأن مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند
ممرّهم إلى الشام بل كانوا لا يرجون نشورًا أي لا يخافون بعثًا قوله تعالى وإذا رأوك إن يتخذونك إلا
نزلت في أبي جهل كان إذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئًا أهذا الذي بعث الله رسولًا إن كاد ليضلنا
أي قد قارب أن يضلنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا عليها أي على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها
لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب أي في الآخرة عيانًا من أضل سبيلًا أي أخطأ طريقًا أرأيت
من اتخذ إلهه هواه وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد حجرًا فإذا رأى حجرًا أحسن منه رماه وأخذ
الأحسن منه وعبده قال ابن عباس من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرًا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى إله يعبد
أفأنت تكون عليه وكيلًا أي حافظًا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست
كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أي ما تقول سماع طالب الإفهام
أو يعقلون أي ما يعاينون من الحجج والأعلام وهذه مذمة أعظم من التي تقدمت لأنهم لشدة عنادهم لا
يسمعون القول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا سمع لهم ألبتة فعند ذلك شبههم فقال تعالى
إن هم أي ما هم إلا كالأنعام أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكر ثم
قال تعالى بل هم أضل سبيلًا لأن البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها الذين يتعاهدونها و
هؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولأن الأنعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون
ذلك قوله عز وجل ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدودًا
لأنه ظل لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنًا أي دائمًا ثابتًا لا يزول ولا تذهبه الشمس ثم جعلنا الشمس
عليه دليلًا معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء
تعرف بأضدادها ثم قبضناه يعني الظل إلينا قبضًا يسيرًا أي بالشمس التي تأتي عليه والمعنى أن الظل
يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءًا فجزءًا قبضًا خفيفًا وهو الذي جعل
لكم الليل لباسًا أي سترًا تستترون به والمعنى أن ظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل
على لابسه والنوم سباتًا أي راحة لأبدانكم وقطعًا لأعمالكم وجعل النهار نشورًا أي يقظة وزمانًا
تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلبًا للاشتغال وهو الذي أرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته
يعني المطر وأنزلنا من السماء ماء طهورًا الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر
به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود و
الترمذي والنسائي وأراد به المطر والماء المطهر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة فثبت أن
التطهير مختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات
الطاهرة مثل الخل والريق ونحوهما ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن
الطهور ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء إذا توضأ به مرة وإن وقع في الماء شيء
غيّر طعمه أو لونه أو ريحه هل يزول طهوريته نظر إن كان الواقع شيئًا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب
وأوراق الأشجار فيجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن

يصب فيه فيتروح الماء برائحته يجوز الطهارة به لأن تغيره للمجاورة لا للمخالطة وإن كان شيئًا يمكن صون
الماء عنه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وإن لم يتغير أحد أوصاف
نظر إن كان الواقع شيئًا طاهرًا لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلًا أو كثيرًا وإن
كان الواقع شيئًا نجسًا نظر فيه فإن كان الماء أقل من قلتين تنجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر
يجوز الوضوء به والقلتان خمسمائة رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والدواب في الفلاة فقال إذا كان الماء قلتين
لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحق وجماعة من أهل الحديث أن
الماء إذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه وذهب جماعة إلى أن الماء
القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهو قول الحسن وعطا والنخعي والزهري
واحتجوا بما روي عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله إنه يستقى لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب
وخرق الحيض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء وفي رواية
قال قلت يا رسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال رسول الله عليه
الصلوة والسلام الماء طهور لا ينجسه شيء وقوله تعالى لنحيي به أي بالمطر بلدة ميتًا قيل أراد به
موضع البلدة ونسقيه مما خلقنا أي نسقي من ذلك الماء أنعامًا وأناسي كثيرًا أي بشرًا كثيرًا والأناسي
جمع أناسي وقيل جمع إنسان قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم يعني المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة أخرى
وقال ابن عباس ما عام بأمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية وهكذا كما روي مرفوعًا ما من
ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وروي عن ابن مسعود يرفعه قال ليس
من سنة بأمطر من سنة أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر
ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعًا
صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وابلًا وطشًا ورذاذًا ونحوها وقيل
التصريف راجع إلى الريح ليذكروا أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى فأبى أكثر الناس إلا كفورًا
أي جحودًا وكفرهم هو أنهم إذا أمطروا قالوا مطرنا بنوء كذا ق عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون
ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته
فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب قوله تعالى
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا أي رسولًا ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك
ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع الكافرين أي
فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به أي بالقرآن جهادًا كبيرًا أي شديدًا
قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين أي خلطهما وأفاض أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما
هذا عذب فرات أي شديد العذوبة يميل إلى الحلاوة وهذا ملح أجاج أي شديد الملوحة وقيل
مر وجعل بينهما برزخًا أي حاجزًا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب وحجرًا محجورًا
أي سترًا ممنوعًا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء
من النطفة بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا أي جعله ذا نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه

وَالصِّهْرُ مَا يَحِلُّ نِكَاحُهُ وَالنَّسَبُ مَا يُوجِبُ الْحُرْمَةَ وَالصِّهْرُ مَا لَا يُوجِبُهَا وَقِيلَ النَّسَبُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصِّهْرُ
الْخُلْطَةُ الَّتِي تُشْبِهُ الْقَرَابَةَ وَهُوَ النَّسَبُ الْمُحَرِّمُ لِلنِّكَاحِ وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ بِالنَّسَبِ سَبْعًا وَبِالسَّبَبِ سَبْعًا وَجَمَعَهَا فِي قَوْلِهِ
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ الْآيَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَبَيَانُهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
عَلَى مَا أَرَادَ حَيْثُ خَلَقَ مِنَ النُّطْفَةِ الْوَاحِدَةِ نَوْعَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ يَعْنِي هَؤُلَاءِ
الْمُشْرِكِينَ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ أَيْ إِنْ عَبَدُوهُ وَلَا يَضُرُّهُمْ إِنْ تَرَكُوهُ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا أَيْ مُعِينًا أَعَانَهُ
الشَّيْطَانُ عَلَى رَبِّهِ بِالْمَعَاصِي لِأَنَّ عِبَادَتَهُمُ الْأَصْنَامَ مُعَاوَنَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَقِيلَ مَعْنَى ظَهِيرًا هَيِّنًا ذَلِيلًا مِنْ
قَوْلِكَ ظَهَرْتُ بِفُلَانٍ إِذَا جَعَلْتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَافِرِ أَبَا جَهْلٍ وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ عَامٌّ
فِي كُلِّ كَافِرٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا أَيْ بِالثَّوَابِ عَلَى الْإِيمَانِ وَنَذِيرًا أَيْ مُنْذِرًا بِالْعِقَابِ
عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَيْ عَلَى تَبْلِيغِ الْوَحْيِ مِنْ أَجْرٍ أَيْ فَتَقُولُونَ إِنَّمَا يَطْلُبُ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَنَا بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ فَلَا نَتَّبِعُهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا مَعْنَاهُ لَكِنْ
مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ بِإِنْفَاقِهِ مَالَهُ سَبِيلًا إِلَى رَبِّهِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى لَا أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي أَجْرًا وَلَكِنْ لَا أَمْنَعُ مِنْ إِنْفَاقِ
الْمَالِ فِي طَلَبِ مَرْضَاةِ اللهِ وَاتِّخَاذِ السَّبِيلِ إِلَى جَنَّتِهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ مَعْنَاهُ
أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ لَا يَطْلُبَ مِنْهُمْ أَجْرًا الْبَتَّةَ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِ وَإِنَّمَا قَالَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ لِأَنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى حَيٍّ يَمُوتُ انْقَطَعَ تَوَكُّلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ بِمَوْتِهِ وَأَمَّا اللهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ فَلَا يَنْقَطِعُ تَوَكُّلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَلَا يَضِيعُ الْبَتَّةَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ أَيْ صَلِّ
لَهُ شُكْرًا عَلَى نِعَمِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ قُلْ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ
بِجَمِيعِ ذُنُوبِ عِبَادِهِ فَيُجَازِيهِمْ بِهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ لِأَنَّهُ خَبِيرٌ عَالِمٌ قَادِرٌ عَلَى مُكَافَاتِهِمْ وَفِيهِ
وَعِيدٌ شَدِيدٌ كَأَنَّهُ قَالَ إِذَا أَقْدَمْتُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ كَفَاكُمْ عِلْمُهُ فِي مُجَازَاتِكُمْ بِمَا تَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِهِ قَوْلُهُ
عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا
أَيْ فَاسْأَلِ الْخَبِيرَ بِذَلِكَ يَعْنِي بِمَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا تَرْجِعْ
فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِهَذَا إِلَى غَيْرِي وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَاسْأَلْ عَنْهُ خَبِيرًا وَهُوَ اللهُ تَعَالَى وَقِيلَ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَيْ مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ يَعْنُونَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ كَانُوا يُسَمُّونَهُ
رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَزَادَهُمْ أَيْ قَوْلُ الْقَائِلِ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ نُفُورًا أَيْ عَنِ الْإِيمَانِ
وَالسُّجُودِ

فَصْلٌ

وَهَذِهِ السَّجْدَةُ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ فَيُسَنُّ لِلْقَارِئِ وَالسَّامِعِ أَنْ يَسْجُدَ عِنْدَ سَمَاعِهَا وَقِرَاءَتِهَا
قَوْلُهُ تَعَالَى تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا قِيلَ الْبُرُوجُ هِيَ النُّجُومُ الْكِبَارُ سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظُهُورِهَا
وَقِيلَ الْبُرُوجُ قُصُورٌ فِيهَا الْحَرَسُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ الْبُرُوجُ الِاثْنَا عَشَرَ الَّتِي هِيَ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ
وَهِيَ الْحَمَلُ وَالثَّوْرُ وَالْجَوْزَاءُ وَالسَّرَطَانُ وَالْأَسَدُ وَالسُّنْبُلَةُ وَالْمِيزَانُ وَالْعَقْرَبُ وَالْقَوْسُ
وَالْجَدْيُ وَالدَّلْوُ وَالْحُوتُ سُمِّيَتْ بِالْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ لِأَنَّهَا لِلْكَوَاكِبِ كَالْمَنَازِلِ لِسُكَّانِهَا
وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا يَعْنِي الشَّمْسَ وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ خَلَفًا وَعِوَضًا يَقُومُ أَحَدُهُمَا مَقَامَ صَاحِبِهِ فَمَنْ فَاتَهُ عَمَلُهُ فِي أَحَدِهِمَا قَضَاهُ فِي الْآخَرِ قَالَ
شَقِيقٌ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ فَاتَتْنِي صَلَاةُ اللَّيْلِ اللَّيْلَةَ قَالَ أَدْرِكْ مَا فَاتَكَ مِنْ لَيْلَتِكَ فِي نَهَارِكَ
فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ وَقِيلَ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُخَالِفًا لِصَاحِبِهِ
فَجَعَلَ هَذَا أَسْوَدَ وَهَذَا أَبْيَضَ وَقِيلَ يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ إِذَا ذَهَبَ هَذَا جَاءَ هَذَا فَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ فِي الضِّيَاءِ

وَالظُّلْمَةِ

وَالظُّلْمَةِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَيْ يَتَذَكَّرَ وَيَتَّعِظَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا يَعْنِي شُكْرَ نِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْهِ
فِيهِمَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ قِيلَ هَذِهِ الْإِضَافَةُ لِلتَّخْصِيصِ وَالتَّفْضِيلِ وَإِلَّا فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللهِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا يَعْنِي بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ مُتَوَاضِعِينَ غَيْرَ أَشِرِينَ وَلَا مَرِحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ بَلْ
عُلَمَاءَ حُلَمَاءَ أَصْحَابَ وَقَارٍ وَذَوِي عِفَّةٍ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ يَعْنِي السُّفَهَاءَ بِمَا يَكْرَهُونَهُ قَالُوا
سَلَامًا أَيْ سَدَادًا مِنَ الْقَوْلِ يَسْلَمُونَ فِيهِ لَا يَسْفَهُونَ وَإِنْ سُفِهَ عَلَيْهِمْ لَا يَسْفَهُونَ وَحَلُمُوا وَلَمْ يَجْهَلُوا وَلَيْسَ الْمُرَادُ
مِنْهُ السَّلَامَ الْمَعْرُوفَ وَقِيلَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالْقِتَالِ ثُمَّ نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ وَيُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ هَذَا وَصْفُ نَهَارِهِمْ ثُمَّ إِذَا قَرَأَ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا قَالَ هَذَا وَصْفُ
لَيْلِهِمْ وَالْمَعْنَى يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ فِي اللَّيْلِ بِالصَّلَاةِ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَقِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَنْ صَلَّى بَعْدَ
الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فَقَدْ بَاتَ لِلهِ سَاجِدًا وَقَائِمًا م عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي
جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا مُلِحًّا دَائِمًا لَازِمًا غَيْرَ مُفَارِقٍ مِنْ عَذَابِ الْكُفَّارِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ سَأَلَ اللهُ الْكُفَّارَ عَنْ نِعَمِهِ
فَلَمْ يُؤَدُّوهَا فَأَغْرَمَهُمْ فَبَقُوا فِي النَّارِ وَقِيلَ كُلُّ غَرِيمٍ مُفَارِقٌ غَرِيمَهُ إِلَّا جَهَنَّمَ وَقِيلَ الْغَرَامُ الشَّرُّ اللَّازِمُ وَالْهَلَاكُ
الدَّائِمُ إِنَّهَا يَعْنِي جَهَنَّمَ سَاءَتْ بِئْسَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا أَيْ مَوْضِعَ قَرَارٍ وَإِقَامَةٍ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا قِيلَ الْإِسْرَافُ النَّفَقَةُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَإِنْ قَلَّتْ وَالْإِقْتَارُ مَنْعُ حَقِّ اللهِ
تَعَالَى وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ الْإِسْرَافُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي الْإِنْفَاقِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي حَدِّ التَّبْذِيرِ وَالْإِقْتَارُ التَّقْصِيرُ
عَمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَهُوَ أَنْ لَا يُجِيعَ عِيَالَهُ وَلَا يُعَرِّيَهُمْ وَلَا يُنْفِقَ نَفَقَةً يَقُولُ النَّاسُ قَدْ أَسْرَفَ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا أَيْ مَوْضِعَ قَصْدٍ وَوَسَطًا بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالْإِقْتَارِ حَسَنَةً بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ قِيلَ هَذِهِ الْآيَةُ فِي صِفَةِ
أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ لِلتَّنَعُّمِ وَاللَّذَّةِ وَلَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا لِلْجَمَالِ وَلَكِنْ
كَانُوا يُرِيدُونَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَسُدُّ عَنْهُمُ الْجُوعَ وَيُقَوِّيهِمْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ وَمِنَ الثِّيَابِ مَا يَسْتُرُ وَأَبِهِ الْعَوْرَةَ
وَيَقِيهِمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَفَى سَرَفًا أَنْ لَا يَشْتَهِيَ شَيْئًا إِلَّا اشْتَرَاهُ فَأَكَلَهُ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ق عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا فَأَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُونَا إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَنَزَلَ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ق عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ ~~قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ~~ جَاءَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ
أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ قَالَ أَنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ
قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَهُ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ الْآيَةَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا وَمَعْنَى الْآيَةِ
وَمَنْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّمَا يُرِيدُ جَزَاءَ الْإِثْمِ وَقِيلَ عُقُوبَةً وَقِيلَ الْأَثَامُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ وَرُوِيَ
فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْغَيَّ وَالْأَثَامَ بِئْرَانِ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَقِيلَ سَبَبُ تَضْعِيفِ الْعَذَابِ أَنَّ الْمُشْرِكَ إِذَا ارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ مَعَ الشِّرْكِ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ عَلَى شِرْكِهِ وَمَعْصِيَتِهِ
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا أَيْ ذَلِيلًا قَوْلُهُ تَعَالَى إِلَّا مَنْ تَابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَآمَنَ بِرَبِّهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
أَيْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَرَأْنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنِينَ وَالَّذِينَ

لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبى صلى الله عليه وسلم قط فرح بشىء
مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله تعالى
فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس يبدلهم الله بقبايح اعمالهم فى
الشرك محاسن الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين وبالزنا عفة و
احصانا وقيل يبدل الله سياتهم حسنات التى عملوها فى الاسلام حسنات يوم القيمة عن ابى ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم اخر رجل يخرج من النار يوتى به يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه
صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا
فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة
حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها هنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك
حتى بدت نواجذه وقيل ان يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب وعمل
صالحا قيل هذا فى التوبة من غير ما سبق ذكره فى الاية الاولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك
وعمل صالحا يعنى ادى الفرايض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله متابا اى يعود اليه بعد الموت
متابا اى حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانى
رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا فى التوبة عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة
وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله خبر بمعنى الامر اى تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته
ومصيره الى الله تعالى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعنى الشرك وقيل هى شهادة الزور
ق عن ابى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته
سكت وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به فى الاسواق وقيل لا
يشهدون الزور يعنى اعياد المشركين وقيل الكذب وقيل النوح وقيل يساعد اهل الباطل وقيل الزور اللهو
واللعب والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور تحسين
الشىء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم انه حق واذا مروا باللغو مروا كراما
وهو كل ما يجب ان يلغى ويترك مروا كراما يعنى اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى
هذا التفسير تكون الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصى كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل
مروا كراما اى مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة والذين اذا
ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قيل معناه انه ليس فيه نفى الخرور
انما هو اثبات له ونفى الصمم والعمى والمعنى اذا ذكروا بها اكبوا على استماعها باذان واعية واقبلوا على
المذكر بها بعيون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اى لم يسقطوا ولم يقفوا عليها صما وعميانا كانهم باذانهم
صم وباعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه قوله عز وجل والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اى ابرارا اتقياء صالحين فتقر اعيننا
بذلك قيل ليس شىء اقر لعين المومن ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه
فى الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند
الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان يصادف قلبه

من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره واجعلنا للمتقين اماما اى ائمة يقتدون فى الخير بنا وقيل معناه
يقتدى بالمتقين ويقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى وقيل معناه انهم سئلوا الله ان يبلغهم
فى الطاعات المبلغ الذى يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة فى الدين مطلوبة
مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم اولئك
يجزون اى يثابون الغرفة اى الدرجة العالية الشريفة فى الجنة وقيل يريد غرف الذهب والزبرجد واللؤلؤ
والياقوت فى الجنة بما صبروا اى على طاعة الله واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات
ويلقون فيها تحية اى ملكا وقيل بقاء دائما وسلاما اى يسلم بعضهم على بعض ويرسل الرب عز وجل اليهم بالسلام
وقيل سلاما اى سلامة من الآفات قوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اى موضع قرار
واقامة قوله تعالى قل ما يعبؤا بكم ربى اى ما يصنع وما يفعل بكم وجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه اى
وزن ومقدار لكم عنده لولا دعاؤكم اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل لولا ايمانكم وقيل لولا
دعاؤه اياكم الى الايمان واذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر وقيل معناه ما يعبؤ بخلقكم ربى لولا عبادتكم
وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبؤ اى ما يبالى
بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه الهة وقيل معناه ما خلقتكم ولى اليكم حاجة الا ان تسئلونى فاعطيكم
وتستغفرونى فاغفر لكم فقد كذبتم يعنى ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعنى ان الله دعاكم
الى توحيده وعبادته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه الى الايمان
فسوف يكون لزاما هذا تهديد لهم اى يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا
وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقيل معناه
عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفنيا يلحق بعضكم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون واسر
سبعون وهو قول عبد الله ابن مسعود وابى ابن كعب يعنى انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الاخرة لازما
لهم ق عن عبد الله ابن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وفى رواية
الدخان والقمر والروم واللزام والبطشة والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الشعراء

مكية الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وهى مائتان وسبع
وعشرون اية والف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة الاف وخمسمائة واربعون حرفا وروى
عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل طسم قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفى رواية اخرى عنه انه
قسم وهو من اسماء الله تعالى وقيل اسم من اسماء القران وقيل اسم السورة وقيل اقسم بطوله وسنائه وملكه
تلك ايات اى هذه الايات ايات الكتاب المبين قيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد والاعجاز
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع فثبت بذلك ان ايات القران كافية مبينة لجميع
الاحكام لعلك باخع نفسك اى قاتل نفسك الا يكونوا مومنين اى ان لم يومنوا وذلك حين
كذبه اهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على ايمانهم فانزل الله هذه الاية ان نشا ننزل
عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى لو شاء الله لانزل عليهم اية يذلون بها فلا

يلوي احد منهم عنقه الى معصية الله سبحانه وتعالى وقيل لو شاء الله لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده
معصية فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا من الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين
وقيل اراد اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم اي فظلت كبراؤهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات
يقال جاء عنق من الناس اي جماعة قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث اي وعظ وذكر محدث اي
محدث انزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو احدث من الاول الا كانوا عنه معرضين
عن الايمان به فقد كذبوا فسيأتيهم اي فسوف يأتيهم انباء اي اخبار وعواقب ما كانوا به يستهزءون
اولم يروا الى الارض يعني المشركين كم انبتنا فيها اي بعد ان لم يكن فيها نبات من كل زوج كريم
اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو
كريم ومن دخل النار فهو لئيم ان في ذلك اي الذي ذكرت لاية تدل على انه واحد اي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا
كما قيل • وفي كل شيء له آية • تدل على انه واحد • وما كان اكثرهم مؤمنين اي سبق علمي
فيهم ان اكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون وان ربك لهو العزيز اي المنتقم من اعدائه الرحيم
ذو الرحمة لاوليائه قوله تعالى واذ نادى واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى اي حين رأى الشجرة والنار
ان ائت القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم
سوء العذاب قوم فرعون يعني القبط الا يتقون اي يصرفون عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والايمان به
قال يعني موسى رب اي يا رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري اي بتكذيبهم اياي ولا ينطلق
لساني اي للعقدة التي كانت على لسانه فارسل الى هرون ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة
ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب وهو قتل القبطي فاخاف ان يقتلون اي به قال الله عز وجل كلا
اي لن يقتلوك فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت كيف ذكرهما
بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب فأتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول كما في قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول
قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن في تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة
فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذو رسالة كما قال كثير
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم • بشيء ولا ارسلتهم برسول • اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما
في الرسالة والشريعة والاخوة فصارا كأنهما رسول واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين ان
ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون
قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلثين الفا فانطلق موسى برسالة
ربه الى مصر وهرون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف وفي يده
عصاة والمكتل معلق في رأس العصاة وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هرون ان الله قد ارسلني الى
فرعون وارسل اليك تدعو فرعون الى الله تعالى فخرجت امهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك
فاذا ذهبتما اليه قتلاك فلم يستمع لقولها وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون
وقالوا من بالباب فقال انا موسى رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم
انه رسول رب العالمين فترك حتى اصبح ثم دعاهما وقيل انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن له سنة

في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا
نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته قال له الم نربك
فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك سنين اي ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني قتلت القبطي وانت من الكافرين قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك
فينا فكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس وقيل ان فرعون لم يكن يعلم
الكفر بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه وانت من الكافرين
بفرعون والهيته قال يعني موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يؤدي
الى قتله لانه فعل الوكزة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل
من المخطئين ففررت منكم لما خفتكم اي الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم
والفهم وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها موسى
نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل فيكون
معنى الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الانكار ومعنى
الاية او تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة • لم انس يوم الرحيل وقفتها
وطرفها من دموعها غرق • وقولها والركاب واقفة • وتركتني هكذا وتنطلق • اي تتركني
والمعنى اتمن علي ان ربيتني وتنسى جناياتك على بني اسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة او يريد كيف
تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيدك بني اسرائيل قد احبط حسناتك
الي ولو لم تستعبدهم ولم تقتل اولادهم لما دفع الي احتى تربيني وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم
يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين يقول اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك رسوله الي يستوصفه
الهه الذي ارسله اليه وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى
عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التي يعجز الخلائق عن الاتيان بمثله قال رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين اي خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته لكم فان ايقنتم
بذلك لزمكم ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني اي كما توقنون
هذه الاشياء التي تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها واوجدها فلما قال ذلك موسى
تحير فرعون في جواب موسى قال لمن حوله اي من اشراف قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم
الاسورة الا تستمعون وانما قال فرعون ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني انما طلبت منه الماهية
وخصوصية الحقيقة وهو يجيبني بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم
زادهم موسى في البيان قال ربكم ورب آبائكم الاولين يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم فقال
ربكم يعني انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني
المقصود من السؤال طلب الماهية وهو يجيب بآثار الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة
مجنون لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يعقله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا
يعتقد ما يعتقدونه ليس بعاقل فزاد في البيان قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون
فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني ومعناه ان كنتم تعقلون فقد عرفتم انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت
قال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبرا على الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من

قيل كان سجن فرعون أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي به إلى الأرض وحده فردا
لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين توعده بالسجن أولو جئتك بشيء مبين أي بآية بينة والمعنى
أتفعل ذلك إن جئتك بحجة بينة وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف
والإجابة إلى الحق بالبيان قال يعني فرعون فأت به أي أنا لن نسجنك حينئذ إن كنت من الصادقين
فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين قيل إنها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى
فرعون فقال يا لذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فعادت عصى كما كانت فقال وهل غيرها قال
نعم وأراه يده ثم أدخلها جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس
وهو قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين فعند ذلك قال فرعون للملإ حوله إن هذا يعني موسى
لساحر عليم وكان زمان السحر فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال يريد أن يخرجكم من أرضكم
بسحره قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى فماذا تأمرون يعني ما رأيكم فيه
وما الذي أعمله فعند ذلك قالوا أرجه وأخاه أي أخره وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك
بكل سحار عليم قيل إن فرعون أراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فإنك إن قتلته دخلت الناس شبهة في أمره
ولكن أخره واجمع له سحرة ليقاوموه ولا يثبت له عليك حجة قوله تعالى فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وقيل
للناس هل أنتم مجتمعون أي لتنظروا ما يفعل الفريقان ولمن تكون له الغلبة لعلنا نتبع السحرة إن كانوا
هم الغالبين لموسى وقيل أرادوا بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون ذلك الجزاء وهو إما بذل المال والجاه فبذل لهم
ذلك كله وأكده بقوله قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون أي بعظمة فرعون إنا لنحن الغالبون
فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون أي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل عصى موسى صارت
حية وابتلعت كلما رموه من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فإذا هي كما كانت أول مرة فألقي السحرة
ساجدين قيل إنهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا أنه ليس بسحر ثم لم يتمالكوا أن خروا ساجدين ثم إنهم
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وإنما قالوا رب موسى وهرون لأن فرعون كان يدعي الربوبية
فأرادوا عزله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف
تعلمون فيه وعيد مطلق وتهديد شديد قال ثم بين ذلك الوعيد فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون أي لا ضرر
علينا فيما ينالنا من الدنيا لأنا ننقلب ونصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين منقلبين مؤملين غفرانه وهو قولهم
إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أي الكفر والسحر أن أي لأن كنا أول المؤمنين أي من أهل زماننا
وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي
إنكم متبعون أي يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج قيل وحى الله إلى موسى أن اجمع
بني إسرائيل كل أهل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر
الملائكة فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأمرهم أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فإنه
أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي البحر فيأتيك أمري ففعل ذلك موسى ثم إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون

إن لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جهة البحر فلما سمع فرعون
ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا وأخذوا فأرسل فرعون في المدائن حاشرين
يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن ألف مدينة واثني عشر ألف قرية وأرسل فرعون في أثر موسى
وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم في مائة ألف ملك مسومين ومع كل ملك
ألف فلذلك قال إن هؤلاء لشرذمة قليلون قال أهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة
ألف مقاتل لم يعدوا دون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين
ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون وإنهم لنا لغائظون الغيظ الغضب يعني أنهم أغضبونا
بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا
وإنا لجميع حاذرون أي خائفون من شرهم وقرئ حاذرون أي ذو قوة وأداة شاكون السلاح وقيل
الحاذر الذي يحذرك الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه إلا خائفا فأخرجناهم
من جنات وعيون قيل كانت البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية وكنوز
يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنه لم يؤد حق الله تعالى منها فكل مال لم يعط
ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في
عنق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى ومقام كريم أي مجلس حسن قيل أراد مجالس الأمراء والرؤسا
التي كانت لهم وقيل إنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف
من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى إنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها
العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك أي كما وصفنا وأورثناها بني إسرائيل وذلك
أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه
من الأموال والأماكن الحسنة فأتبعوهم مشرقين أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق
الشمس وهو إضاءتها فلما تراءى الجمعان أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال أصحاب موسى إنا لمدركون
أي سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى لثقته بوعد الله إياه كلا أي لن يدركونا
إن معي ربي سيهدين أي يدلني على طريق النجاة فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق
أي ضربه فانشق فكان كل فرق أي قطعة من الماء كالطود أي الجبل العظيم وقيل لما انتهى موسى
ومن معه إلى البحر هاجت الرياح وصار البحر يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا
فرعون من خلفنا والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته وقال الذي يكتم
إيمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء
وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب
بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وأزلفنا ثم الآخرين
أي قربنا فرعون وقومه إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون
يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم أولكم ويقول للقبط رويدا ليلحق آخركم أولكم فكان بنو إسرائيل يقولون
ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما رأينا أحسن رعة من هذا الرجل وأنجينا موسى ومن
معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين يعني أنه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون
وقومه وذلك لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فأغرقهم إن في ذلك لآية يعني ما حدث في البحر من انفلاقه

آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام وما كان أكثرهم مؤمنين يعني
أهل مصر قيل لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ماموشا التي دلت
على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى واتل عليهم نبأ
إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون أي أي شيء تعبدون وإنما قال إبراهيم ذلك مع علمه بأنهم عبدة الأصنام
ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين
أي نقيم على عبادتها وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
أي يسمعون دعاءكم إذ تدعون أو ينفعونكم يعني بالرزق أو يضرون إن تركتم عبادتها وإذا كانوا
كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
المعنى أنها لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك وفي الآية دليل على
إبطال التقليد في الدين وذمه ومدح الأخذ بالاستدلال قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
أي الأولون فإنهم عدو لي أي أعداء لي وإنما كلمه وحده على إرادة الجنس فإن قلت كيف وصف
الأصنام بالعداوة وهي جماد لا تعقل قلت معناه فإنهم عدو لي يوم القيمة لو عبدتهم في الدنيا وقيل
إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل
هو من المقلوب أراد فإني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك إلا رب العالمين أي لكن رب العالمين
فإنه ربي ووليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل من تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين
ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي خلقني فهو يهدين إلى طريق النجاة والذي هو
يطعمني ويسقين أي يرزقني ويغذيني أي بالطعام والشراب وإذا مرضت أصابني مرض أضاف المرض
إلى نفسه استعمالا للأدب وإن كان المرض والشفاء من الله فهو يشفين أي يبريني ويعافيني من المرض
والذي يميتني ثم يحيين أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة والذي أطمع أي أرجو أن يغفر
لي خطيئتي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب وقيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم الكلام
عليها م عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين
أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج
من إبراهيم على قومه أنه لا يصح للإلهية إلا من يفعل هذه الأفعال فقال رب هب لي حكما قال ابن عباس
معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم والفهم وألحقني بالصالحين أي بمن سلف قبلي من الأنبياء
في المنزلة والدرجة العالية واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا وذكرا جميلا وقبولا
عاما في الأمم التي تجيء بعدي فأعطاه الله ذلك وجعل أهل كل الأديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني
من ورثة جنة النعيم أي ممن تعطيه جنة النعيم لأنها السعادة الكبرى واغفر لأبي إنه
كان من الضالين قيل دعا لأبيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ولا
تخزني أي ولا تفضحني يوم يبعثون وهو يوم القيمة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
أي خالص من الشك والشرك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح
وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة
وأزلفت الجنة أي قربت للمتقين وبرزت الجحيم أي أظهرت للغاوين أي للكافرين وقيل
لهم يعني يوم القيمة أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أي معناه يمنعونكم

من عذاب الله أو ينتصرون لأنفسهم فكبكبوا قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض
وقيل ألقوا على رؤوسهم فيها أي في جهنم هم والغاوون يعني الآلهة والعابدين وقيل الجن و
الكافرين وجنود إبليس أجمعون يعني أتباعه من الإنس والجن وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون
يعني العابدين والمعبودين والمعنى أنهم قالوا تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم أي نعدلكم
برب العالمين فنعبدكم وما أضلنا يعني دعانا إلى الضلال إلا المجرمون يعني من دعاهم إلى عبادة
الأصنام من الجن والإنس وقيل الأولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني إبليس وابن آدم الأول هو قابيل وهو أول من
سن القتل وأنواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا يعني كما للمؤمنين شافعين من الملائكة
والأنبياء ولا صديق حميم أي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون
والصديق وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل
أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي بإسناد
الثعلبي وقال الحسن استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيمة فلو أن لنا كرة
أي رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين أي أنهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين أي مع هذه الدلائل والآيات وإن ربك لهو العزيز الرحيم
أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين
أي كذبت قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة فإن قلت كيف قال المرسلين وإنما هو
رسول واحد وكذلك باقي القصص قلت لأن دين الرسل واحد وإن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول
فمن كذب واحدا من الأنبياء فقد كذب جميعهم إذ قال لهم أخوهم نوح يعني أخاهم في النسب
لا في الدين ألا تتقون أي ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي إني لكم رسول أمين أي على الوحي
وكان معروفا عندهم بالأمانة فاتقوا الله أي بطاعته وعبادته وأطيعون أي فيما أمرتكم به من
الإيمان والتوحيد وما أسألكم عليه من أجر أي من جعل وجزاء إن أجري أي ثوابي إلا على
رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قيل كرره ليؤكد عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل
ليس فيه تكرار ومعنى الأول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقوا
الله في مخالفتي وأنا لست آخذ منكم قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي السفلة قال ابن
عباس القافة وقيل هم الحاكة والأساكفة قال يعني نوحا وما علمي بما كانوا يعملون أي
وما أعلم أعمالهم وصنايعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت
أن أدعوهم إلى الله تعالى وما لي إلا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في
الديانات وقيل معناه إني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم إن حسابهم
إلا على ربي لو تشعرون أي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنايعهم وما أنا بطارد المؤمنين
أي عني وقد آمنوا إن أنا إلا نذير مبين معناه أي أخوف من كذبني فمن آمن فهو القريب مني
ومن لم يؤمن فهو البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح أي عما تقول لتكونن من المرجومين
أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين قال رب إن قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا أي احكم بيني وبينهم حكما ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن

معه في الفلك المشحون اي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجاء نوح ومن معه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين اي امين على الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع قال ابن عباس اي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المكان المرتفع اية اي علامة وهي المعلم تعبثون اي بمن مر بالطريق والمعنى انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وقيل انهم كانوا ابنوا بروج الحمام فانكر عليهم هود اتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس ابنية وقيل قصورا مشيدة وحصونا مانعة وقيل ماخذ الماء يعني الحياض لعلكم تخلدون اي كانكم تبقون فيها خالدين لا تموتون واذا بطشتم اي واذا اخذتم وسطوتم بطشتم جبارين اي قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس اي ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان جوابهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا الا خلق الاولين وقرئ بفتح الخاء اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ خلق بضم الخاء واللام عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم وما نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما ههنا امنين في الدنيا من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها اي ثمرها الذي يطلع منها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو وقيل متهشم يتفتت اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج والنعومة وقيل هو المدرك وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين وقرئ فرهين قيل الفاره الحاذق بنحتها والفره قال ابن عباس الاشر والبطر وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين وقيل هم التسعة الذين عقروا الناقة الذين يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون الله فيما امرهم قالوا انما انت من المسحرين اي من المسحورين المخدوعين قال ابن عباس اي من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك فات باية يعني على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الينا قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء اي بعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما راوا العذاب فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون

اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال من بني ادم وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني تتركون العضو المباح من النسوان وتميلون الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم من القالين اي من التاركين المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا اي امراته في الغابرين اي بقيت في المهلكين ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين اي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هي اسم البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وارسل اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كان دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين حقوق الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة والامم المتقدمة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا اي قطعا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي وما علي الا الدعوة والتبليغ فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وذلك انهم اصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها احر من ذلك فيخرجون فاصابتهم سحابة واجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فاغنى عن الاعادة ههنا والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل وانه يعني القران لتنزيل رب العالمين يعني ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين نزل به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من روح وسماه امينا لانه مؤتمن على وحيه لانبيائه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين ومن المعقول ان موضع الفرح والسرور والغم هو القلب فاذا فرح القلب او حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين اي المخوفين بلسان عربي مبين

قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وانه يعني ذكر القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته
لفي زبر الاولين اي كتب اولم يكن لهم آية يعني ولو لم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق
محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني اسرائيل قال ابن
عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسئلوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا الزمانه
وانا نجد في التورية نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا خمسة عبد الله
بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن على بعض الاعجمين
جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب ومعنى الآية لو انزلنا القرآن على
رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين اي قالوا لا نفقه قولك
وقيل معناه لما طلبوا منه انفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس
يعني ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي بالقرآن حتى يروا العذاب الاليم
فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون
اي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا يستعجلون
قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فانزل الله افبعذابنا
يستعجلون افرأيت ان متعناهم سنين اي لكفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون يعني العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي في تلك السنين الكثيرة والمعنى انهم
وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع عنهم شيئا ويكونوا كانهم لم يكونوا
في نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي رسل ينذرونهم ذكرى اي تذكرة
وما كنا ظالمين اي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين انهم يعني
الشياطين المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى
عليهم ذلك وما ينبغي لهم اي ان ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون اي ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب
ذلك فقال انهم عن السمع لمعزولون اي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق علي ولو اتخذت الها غيري لعذبتك
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين روى محمد بن اسحق بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين
فضقت بذلك ذرعا وعرفت اني متى اباديهم لهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءني
جبريل فقال يا محمد انك لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة واملأ
لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني ثم دعوتهم له وكانوا
يومئذ نحو اربعين رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب
فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به فلما تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذبة
من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا بسم الله فاكل القوم حتى ما لهم
بشيء من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم
بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الغد يا علي فان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعته من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا
من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل
بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخيري الدنيا
والآخرة وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم اليه فايكم يؤازرني على امري هذا ويكون اخي ووصيي
وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا رسول الله اكون وزيرك
عليه فاخذ برقبتي ثم قال هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون
ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلي وتطيعه ق عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين
صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا
فجعل الذي لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا
بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية
قد تب وفي رواية للبخاري لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر نحوه ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك الاقربين
قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب
لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و
سلم سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا م عن قبيصة وزهير بن عمرو
قالا لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة جبل فعلا
اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير لكم انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق
يربأ اهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الآية ان الانسان اذا بدأ بنفسه اولا و
بالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله انفع وكلامه انجع واخفض
اي لين جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من المؤمنين قلت
لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم وهم المنافقون
فان عصوك اي فيما تامرهم به فقل اني بريء مما تعملون اي من الكفر والمخالفة وتوكل على العزيز
الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى
العزيز الذي يقهر اعداءك بعزته الرحيم الذي ينصرك عليهم برحمته الذي يراك حين تقوم اي
الى صلوتك وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك وتقلبك في الساجدين
قال ابن عباس اي يرى تقلبك في صلوتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين
في الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك في المصلين فانه
صلى الله عليه وسلم كان يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني اراكم من وراء

وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك في احوالك كما كانت الانبياء
من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة انه هو
السميع اي لقولك ودعائك العليم اي بنيتك وعملك قل يا محمد هل انبئكم اي اخبركم
على من تنزل الشياطين هذا جواب لقولهم تنزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى
تنزل على كل افاك اي كذاب اثيم اي فاجر وهم الكهنة وذلك ان الشياطين يسترقون السمع ثم يلقون
ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله تعالى يلقون السمع اي ما يسمعون من الملائكة فيلقونه
الى الكهنة واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون به كذبا كثيرا والشعراء يتبعهم الغاوون قال اهل
التفسير اراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله ابن الزبعرى
السهمي وهبيرة ابن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عمرو وابن عبد الله الجمحي وامية بن ابي
الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم
غواة قومهم يسمعون اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون
عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاوون هم الرواة الذين هجا المسلمين وقيل الغاوون
هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفي رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه
الاية الم تر انهم في كل واد اي من اودية الكلام يهيمون يعني حائرين وعن طريق الحق جائرين
والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل
ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلبون الحق والصدق فالوادي
مثل لفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي وانهم يقولون ما لا يفعلون
اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه
ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا
ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعراء الكفار ويهجون وينافحون عن محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله انزل في الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد
بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل عن انس بن مالك ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ۝ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ۝ ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه
الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عن بعض اهل الحديث لان عبد الله ابن رواحة

يروون صح

يوم

كانت

يوم موته وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم
موته سنة ثمان والله اعلم ق عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان
اهج المشركين فان جبريل معك خ عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال
اهجهم فهجاهم فلم يرض فارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان
قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي
بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش
بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فقال فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا
لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان
ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان هجوت محمدا فاجبت عنه ۝ وعند الله في ذاك
الجزاء ۝ هجوت محمدا برا تقيا ۝ رسول الله شيمته الوفاء ۝ فان ابي ووالدتي وعرضي ۝
لعرض محمد منكم وقاء ۝ ثكلت بنيتي ان لم تروها ۝ تثير النقع من طرفي كداء ۝ يبارين
الاعنة مصعدات ۝ على اكتافها الاسد الظماء ۝ تظل جيادنا متمطرات ۝ تلطمهن بالخمر
النساء ۝ فان اعرضتمو عنا اعتمرنا ۝ وكان الفتح وانكشف الغطاء ۝ والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء ۝ وقال الله قد ارسلت عبدا ۝ يقول الحق ليس به خفاء ۝ وقال الله قد يسرت جندا
هم الانصار عرضتها اللقاء ۝ لنا في كل يوم من معد ۝ سباب او قتال او هجاء ۝ فمن يهجو رسول الله
منكم ۝ ويمدحه وينصره سواء ۝ وجبريل رسول الله فينا ۝ وروح القدس ليس له كفاء ۝

فصل في مدح الشعر خ عن ابي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة
عن ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان
سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود م عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت وراء النبي
صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية ابن ابي الصلت قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا
فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد يسلم في شعره
عن جابر ابن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح
وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر منهما وروي عن ابن عباس انه
كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فيروى انه دعا عمر وابن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة
التي قالها فقال امن آل نعم انت غاد فمبكر ۝ غداة غد ام رائح فمهجر ۝ فانشده القصيدة الى آخرها
وهي قريب من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرة واحدة قوله تعالى
وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا

اى انتصروا من المشركين فقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا اى اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الطاهر المطهر من الهجاء اى منقلب ينقلبون اى مرجع يرجعون اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم و
بئس المصير والله اعلم بمراده واسرار كتابه • تفسير سورة النمل
مكية وهى مائتان وثلثون وست ايات والف وثلثمائة وسبع عشرة كلمة واربعة الاف وسبعمائة وتسعة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل طس تلك ايات القرآن اى هذه ايات القرآن وكتاب مبين اى وايات كتاب
مبين هدى وبشرى للمؤمنين اى هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة الذين يقيمون الصلوة
اى الخمس بشرائطها ويؤتون الزكوة اى اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم وهم بالاخرة هم يوقنون
يعنى ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم
اى القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله فى القلب العلم بما فيه من المنافع واللذات
ولا يخلق بما فيه من المضار والافات فهم يعمهون اى يترددون فيها متحيرين اولئك الذين لهم سوء
العذاب اى اشده وهو القتل والاسر وهم فى الاخرة هم الاخسرون اى انهم خسروا انفسهم واهليهم
وساروا الى النار وقوله تعالى وانك لتلقى القرآن اى تؤتاه وتلقنه وحيا من لدن حكيم عليم
اى حكيم عليم بما انزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هى العلم بالامور
العلمية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم النظرية اشرف اذ قال
اى واذكر يا محمد موسى لاهله اى لمسيره لاهله من مدين الى مصر انى انست نارا اى ابصرت
سآتيكم منها بخبر اى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق او آتيكم بشهاب قبس
الشهاب الشعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذى فى احد طرفيه نار لعلكم
تصطلون اى تستدفئون من البرد وكان فى شدة الشتاء فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار
اى بورك على من فى النار وقيل البركة راجعة الى موسى والملائكة والمعنى من فى طلب النار وهو موسى ومن
حولها وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور
ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا ومن فى النار هم الملائكة وذلك ان النور الذى رآه موسى كان فيه
ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى النار قال ابن
عباس معناه بوركت النار والمعنى بورك فى النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى روى عن ابن عباس فى قوله بورك
من فى النار قدس من فى النار وهو الله تعالى عنى به نفسه على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها لما روى انه
مكتوب فى التورية جاء الله من سيناء واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سينا بعثه
موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح ومن جبال فاران بعثه محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة
وقيل كانت النار بعينها وهى احدى حجب الله عز وجل كما صح فى الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب
فقال تعالى وسبحان الله رب العالمين ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى يا موسى انه انا الله العزيز
الحكيم قيل معناه ان موسى قال من المنادى قال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يده من
المعجزات والمعنى انا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله والق عصاك
تقديره فالقاها فصارت حية فلما رآها تهتز اى تتحرك كأنها جان وهى الحية الصغيرة التى يكثر

اذ قال

يعنى

اضطرابها

اضطرابها ولى مدبرا اى هرب من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى يا موسى لا تخف
انى لا يخاف لدى المرسلون يريد اذا امنتهم لا يخافون اما الخوف الذى هو شرط الايمان فلا يفارقهم
قال النبى صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم بالله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم
قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون المراد منه التعريض بما وجد من موسى
من قتل القبطى وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى انى ظلمت نفسى ثم انه خاف من ذلك
فتاب قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى لموسى انى اخفتك لقتلك النفس
ومعنى الاية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل
يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة وفى
الاية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى
غفور رحيم وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثناء
من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو الاستثناء المنقطع
معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم
اى اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا معناه ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا
من بعد سوء يعنى تاب من ظلمه فانى غفور رحيم ثم ان الله تعالى اراه آية اخرى فقال تعالى
وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء قيل كانت مدرعة صوف لا كم لها ولا ازار فادخل يده فى جيبها
واخرجها فاذا هى تبرق مثل شعاع الشمس او البرق من غير سوء اى من غير برص فى تسع ايات
اى اية مع تسع ايات انت مرسل بهن فعلى هذا تكون الايات احدى عشرة العصا • واليد البيضاء
والفلق • والطوفان • والجراد • والقمل • والضفادع • والدم • والطمس • والجدب
فى بواديهم • والنقصان فى مزارعهم • وقيل فى بمعنى من اى من تسع ايات فتكون اليد البيضاء من
التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الطاعة فلما
جاءتهم آياتنا مبصرة اى بينة واضحة يبصر بها قالوا هذا اى الذى نراه سحر مبين
اى ظاهر وجحدوا بها اى انكروا الايات ولم يقروا انها من عند الله تعالى واستيقنتها انفسهم
اى علموا انها من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم
ظلما وعلوا اى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
يعنى الغرق قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما اى علم القضاء والسياسة وعلم داود
عليه السلام تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان عليه السلام منطق الطير والدواب وقالا
الحمد لله الذى فضلنا اى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على كثير من عباده المؤمنين
اراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما او لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير
وفضل عليهما الكثير وقيل انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى
وورث سليمان داود يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطى
لسليمان ما اعطى داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا
من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى وقال يعنى سليمان
يا ايها الناس علمنا منطق الطير سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم منه وروى عن كعب الاحبار قال

ثم ليه صح

صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت
فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول
هذا قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول من لا
يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال إنه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاح
طيطوى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا
قال إنها تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال
إنها تقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحداة تقول كل شيء هالك إلا وجهه
والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربي القدوس
والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح
دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فإنه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد
السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا قالوا
الله ونبيه أعلم قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وروي أن جماعة من اليهود قالوا
لابن عباس إنا سائلوك عن سبعة أشياء إن أخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا
قالوا أخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه
والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم أما القنبر فإنه يقول اللهم العن مبغض
محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين وأما الضفدع فإنه يقول سبحان المعبود في البحار
وأما الحمار فإنه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فإنه يقول إذا التقى الجمعان سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وأما الزرزور فإنه يقول اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رازق وأما
الدراج فإنه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم أولئك اليهود وحسن إسلامهم وروي عن جعفر
الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال إذا صاح النسر قال ابن آدم
عش ما شئت آخره الموت وإذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس وإذا صاح القنبر قال
اللهم العن مبغض محمد وآل محمد وإذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد العالمين كما يمد
القاري وقوله تعالى **وأوتينا من كل شيء** أي مما أوتي الأنبياء والملوك قال ابن عباس من أمر
الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين **إن هذا لهو الفضل
المبين** أي الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا وروي أن سليمان أعطي مشارق الأرض ومغاربها
فملك ذلك أربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والإنس والشياطين والطير والدواب والسباع
وأعطي مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع العجيبة **وحشر** أي وجمع
لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير من الأماكن المختلفة في مسير له **فهم يوزعون** أي يحبسون
حتى يرد أولهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أولها إلى آخرها لئلا يتقدموا
في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد
ثمانية وأربعون ألف خطوة وهو أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له

بساطا

بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة
والعلماء على كراسي الفضة ومن حولهم الناس فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والوحوش حولهم وتظله الطير
بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة يعني حرة و
سبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم تأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء
والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح وأخبرتك به قوله تعالى
حتى إذا أتوا على وادي النمل أي أشرفوا على وادي النمل روي عن كعب الأحبار قال كان سليمان إذا
ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل
قدر عشرة من الإبل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب
فتجري بين يديه والريح تهوي به فسار من إصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة
رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله تعالى إليه ما يبكيك قال
يا رب أبكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي والأصنام
تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فإني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث
منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني وأفرض عليهم فريضة يدفون
إليك دفيف النسور إلى وكرها ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من
الأوثان والأصنام والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي
النمل كذا قال كعب وقيل إنه بالشام وهو واد تسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل إن تلك النمل
أمثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور أنه النمل الصغير **قالت نملة** قيل كانت عرجاء وكانت ذات
جناحين وقيل اسمها طاحية وقيل جرمي **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم** ولم يقل ادخلن
لأنه جعل لهم عقولا كالآدميين فخوطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها عقلا
ونطقا فإنه قادر على ذلك **لا يحطمنكم** أي يكسرنكم **سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**
قال أهل التفسير علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا
وطئوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد منهم إلا حملته
الريح حتى تلقيه إلى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم فإن
قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم فوق البساط على متن الريح قلت كأنهم
أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم ما دامت
الريح تحملهم لا يخاف حطمهم **فتبسم ضاحكا من قولها** قيل أكثر ضحك الأنبياء تبسم وقيل معنى
ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك ق عن عائشة رضي الله عنها قالت ما
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم عن
عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه
الترمذي فإن قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئان أحدهما ما دل من قولها على
ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا ما يفعلوا الثاني
سروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحدا من إدراكه سمعه ما قالته النملة وقيل الإنسان إذا رأى وسمع

ما لا عهد له تعجب وضحك ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم به عليه وقال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد مع ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة مع عبادك الصالحين قوله عز وجل
وتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه طلب ما فقد من الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
وكان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا اظله وجنده
الطير من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فرآه خاليا وروي عن ابن عباس انه كان دليله
على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه من بعده فينقر الارض
فتجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق
يا وصاف انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع
في عنقه قال له ابن عباس ويحك اذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية اذا نزل القضاء والقدر ذهب
اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج الى الماء فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد ليدل سليمان
على الماء فقال ما لي لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم ادركه الشك فقال ام كان
من الغائبين اي اكان وقيل بل كان من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا
قيل هو ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه
القفص او لاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين
اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت
المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش
فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة
ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن يحضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي
عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده
في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لائم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال بدين الحنيفية وطوبى لمن ادركه
وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه
سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن
فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنا تزهو خضرتها فاحب النزول بها
ليصلي ويتغدى فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى طول الدنيا
وعرضها فبينما هو ينظر يمينا وشمالا اذ رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم
هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت
من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان بن داود قال ملك الانس والجن والشياطين
والطير والوحوش والرياح فمن اين انت يا عفير قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة
يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت
يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها
ولها اثنا عشر الف قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال

اخاف

اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه
بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء
الجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك
ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا العقاب وهو اشد الطير
فقال له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهوى حتى رأى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم
ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم الهدهد ان العقاب
يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب
وقال ويحك ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او ان يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان
فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك اين ذهبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله
واخبروه بما قال نبي الله سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال او ليأتيني بسلطان
مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد
اتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان
فلما دنى منه اخذ براسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفى عنه ثم قال ما الذي ابطاك عني فقال الهدهد ما اخبر الله
عنه قوله تعالى فمكث غير بعيد معناه اي غير طويل فقال احطت بما لم تحط به اي علمت بما لم تعلم
وبلغت ما لم تبلغ انت ولا جنودك الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبيها على ان ادنى
خلق الله قد احاط علما بما لم يحط به ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه من
جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم وجئتك من سبا قيل هو اسم للبلد وهي مارب والاصح انه اسم
رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا
فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة بنبا يقين اي بخبر يقين فقال سليمان
وما ذاك فقال اني اي الهدهد وجدت امراة تملكهم هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان
وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول
لملوك الاطراف ليس احد منهم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم امراة يقال لها
ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فتصيد يوما فربما
اصطاد الجن وهم على صورة الظباء فخلى عنهم وظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب
ابنته فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على
البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فافاقت واطلقها فلما رجع الى داره جلس وحده
منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه فقال لا تخف انا الحية البيضاء التي احييتني والاسود الذي قتلته
هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها
فزوجه ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك
وطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال انه ابن اخ الملك
وكان خبيثا سيء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا
عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني

ان ابتديك بالخطبة الا اني ايست منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفؤ كريم فاجمع رجالي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها
فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت في فذكروا ذلك لها قالت نعم فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت
في اناث كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر وحزت رأسه وانصرفت الى منزلها من الليل
فلما اصبحت ارسلت الى وزرائه واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يأنف لكريمته او كرائم عشيرته
ثم اريتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك فملكوها وعلموا ان ذلك
النكاح كان مكرا وخديعة منها عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس ملكوا
عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة قوله تعالى **واوتيت من كل شيء** يعني ما تحتاج اليه
الملوك من المال والعدة **ولها عرش عظيم** اي سرير ضخم عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها
مع ما رأى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان
مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت والزمرد وعليه سبعة ابيات
في كل بيت مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا طوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل
كان طوله ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا
قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** وذلك
انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس **وزين لهم الشيطان اعمالهم** المزين هو الله لانه الفعال لما يريد
وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغواء **فصدهم عن السبيل** اي عن طريق الحق الذي هو
دين الاسلام **فهم لا يهتدون الا يسجدوا** اي الى الصواب وقرئ بالتخفيف ومعناه الا يا ايها الناس اسجدوا
وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا **لله الذي
يخرج الخبء** يعني الخفي المخبأ **في السموات والارض** قيل خبء السموات المطر وخبء الارض النبات **ويعلم ما تخفون
وما تعلنون** والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة
الا من هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات **الله لا اله الا هو رب العرش العظيم**
اي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره **فصل** وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للقارئ
والمستمع ان يسجد عند قراءتها فان قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما
قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة
الى جميع المخلوقات من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه **قال سليمان سننظر
اصدقت** اي فيما اخبرت **ام كنت من الكاذبين** ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب
ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام
على من اتبع الهدى اما بعد ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين قيل فلم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء
كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم انما قال اليهم بلفظ الجمع ولم يقل اليها لانه جعله جوابا لقول
الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم **ثم تول عنهم** اي تنح عنهم
فكن قريبا منهم **فانظر ماذا يرجعون** اي يردون من الجواب وقيل تقدير الاية فالقه اليهم
فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب من اليمن
على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها

وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فاتى الهدهد والقى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف
على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس رأسها فالقى الكتاب
في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء
الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة
اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه
وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت
على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع بلقيس مائة قيل مع كل قيل مائة
الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم
على عشرة الاف فلما جاؤا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس **قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم**
قيل سمته كريما لانه كان مختوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه
قال ابن عباس كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت **انه من سليمان** وبينت المكتوب
فيه فقالت **وانه بسم الله الرحمن الرحيم**
فان قلت لم قدم انه من سليمان على بسم الله قلت ليس هو كذلك بل ابتدأ سليمان ببسم الله
الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه
بسم الله الرحمن الرحيم **الا تعلوا علي** قال ابن عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة
فان ترك الاجابة من العلو والتكبر **واتوني مسلمين** اي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو
الانقياد **قالت يا ايها الملأ افتوني في امري** اي اشيروا علي فيما عرض لي **ما كنت قاطعة امرا**
اي قاضية وفاصلة **حتى تشهدون** اي تحضرون **قالوا** يعني الملأ مجيبين لها **نحن اولوا قوة** اي في
الجسم على القتال **واولوا بأس شديد** اي عند الحرب وقيل اراد بالقوة كثرة العدد والبأس والشجاعة
وهذا تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا **والامر اليك** ايتها الملكة اي في القتال وتركه
فانظري ماذا تأمرين اي تجدينا مطيعين لامرك **قالت** بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يؤول
اليه امره **ان الملوك اذا دخلوا قرية** اي عنوة **افسدوها** اي خربوها **وجعلوا اعزة
اهلها اذلة** اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك مسير سليمان اليهم ودخوله
بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله تعالى قولها فقال تعالى **وكذلك يفعلون** اي كما قالت
هي يفعلون وقيل هي من قولها وهو للتاكيد لما قالت ثم قالت **واني مرسلة اليهم بهدية** اي الى
سليمان وقومه اصانعه بها على ملكي واختبره بها املك هو ام نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان
كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه في دينه وهو قولها **فناظرة بم يرجع المرسلون**
وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجربتها فاهدت وصفاء ووصائف
قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية
فالبست الجواري لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجواري وجعلت في ايديهم اساور
الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري
على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج
وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت بالمسك

والعنبر والعود الانجوج وعمدت الى حقة جعلت فيها درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب
ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل ورأي
وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف واخبرنا بما في الحق
قبل ان تفتحها وانقب الدرة ثقبا مستويا وادخل في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس
الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلموه
بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت فان نظر اليك نظرا فيه غضب
فاعلم انه ملك ولا يهولنك امره ومنظره فانا اعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه
نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر
فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرشوا
فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا مقدار تلك اللبنات التي معهم وان يعملوا حائطا مشرفا من الذهب والفضة
ففعلوا ثم قال اي دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا احسن من دواب في البحر احسن من دابة يقال
لها كذا وكذا مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فاتوه بها قال شدوها عن يمين
الميدان وشماله ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد
سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله ثم قعد سليمان على سريره وامر
الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنى القوم
الى الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما
رأوا ذلك تقاصرت انفسهم وخبوا ما معهم من الهدايا وقيل ان سليمان فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة
وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا
خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم ذلك
ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش
والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقا حسنا وسألهم عن حالهم
فاخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه واعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحق فاوتي بها فحركها فجاء
جبريل فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب قال الرسول
صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل الجن والانس فلم يكن عندهم
علم ثم سأل الشياطين فقالوا ارسل الى الارضة فلما جاءت الارضة اخذت شعرة من الجانب الاخر فقال لها
سليمان ما حاجتك قالت يصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء
انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان
ما حاجتك فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بان امرهم ان يغسلوا
وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب به الاخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء
بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهره فميز بين الغلمان
والجواري ثم رد سليمان الهدية كما اخبر الله تعالى فقال تعالى **فلما جاء سليمان قال اتمدونني بمال**
فما آتاني الله اي ما اعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك **خير** اي افضل
مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون معناه انكم انتم اهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا تفرحون باهداء

في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب صح

بذلك صح

بعضكم

بعضكم بعضا واما انا فلا افرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لان الله قد اعطاني منها ما لم يعط احدا ومع ذلك
اكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد **ارجع اليهم** اي بالهدية **فلنأتينهم بجنود لا**
قبل لهم اي لا طاقة لهم بها **ولنخرجنهم منها** اي من ارض سبا **اذلة وهم صاغرون**
اي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتاب لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وبلغوها ما قال
سليمان قالت والله قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك
قومي حتى انظر ما امرك وما الذي تدعوا اليه من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة ابيات بعضها داخل
بعض ثم اغلقت عليه سبعة ابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على ملكها احتفظ بما
قبلك وسرير ملكي لا يخلص اليه احد ثم امرت مناديا ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وشخصت الى سليمان في
اثني عشر قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدئ بشيء
حتى هو يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه قال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان
فكان على مسيرة فرسخ من سليمان فاقبل سليمان على جنوده وقال **قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني بعرشها قبل**
ان يأتوني مسلمين قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين وقيل غرض سليمان في احضار عرشها ليريها قدرة الله
تعالى واظهار معجزة دالة على نبوته وقيل اراد ان ينكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل ان سليمان علم
انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه لانه اعجبه وصفه لما وصفه له الهدهد
وقيل اراد ان يعرف قدر ملكها لان قدر السرير على قدر المملكة **قال عفريت من الجن** وهو المارد القوي قال ابن عباس
العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه
انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له غداة مجلس يقضي فيه الى متسع
النهار وقيل نصفه **واني عليه** اي على حمله **لقوي امين** اي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد
اسرع من ذلك **قال الذي عنده علم من الكتاب** قيل هو جبريل وقيل هو ملك ايد الله به سليمان وقيل
هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل هو سليمان نفسه
لانه اعلم بني اسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فاراد سليمان اظهار
معجزة فتحداهم اولا ثم بين للعفريت انه يتأتى له من سرعة الاتيان بالعرش ما لا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذي دعا به
يا ذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة ~~وروي عن عائشة~~ وروي عن الزهري قال دعاء الذي
عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها قال ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين
صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير
يحدرون به تحت الارض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغاب العرش تحت الارض
حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال له ما قال **انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك** قال سليمان هات
قال انت النبي ابن النبي وليس احد عند الله اوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت
فلما رآه يعني رأى سليمان العرش **مستقرا عنده** اي محمولا اليه من مأرب الى الشام في قدر ارتداد
الطرف **قال هذا من فضل ربي ليبلوني** يعني ليختبرني **أأشكر** اي نعمته علي
ام اكفر فلا اشكرها **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** اي يعود نفع شكره اليه وهو ان يستوجب به تمام
النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة **ومن كفر فان ربي غني** اي عن شكره
لا يضره ذلك الكفران **كريم** اي بالافضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة **قال نكروا**

الى صح

الف صح

لها عرشها يعني غيروا سريرها الى حال تنكره اذا رأته قيل هو ان يزاد فيه او ينقص منه وقيل ان يجعل اسفله اعلاه
وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر ومكان الاخضر احمر ننظر أتهتدي الى معرفة عرشها أم تكون من الذين
لا يهتدون اي الى معرفته وانما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها
سليمان فتفشي اليه اسرار الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده
فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاراد
سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت قيل لها أهكذا عرشك
قالت كأنه هو قيل انها عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من الكذب
ولا قالت لا خوفا من التكذيب ايضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها بحيث لم تقر ولا تنكر وقيل اشتبه عليها
امر العرش لانها تركته في بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب
ثم قال وأوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان صلى الله عليه وسلم بالآيات المتقدمة من امر الهدهد
والرسل من قبلها اي من قبل الآية في الدين وكنا مسلمين اي منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان وقيل قوله تعالى
وأوتينا العلم من قبلها اي من قبل سليمان ومعناه وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا
مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله عليه ان خصه بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها
ومجيئها طايعة من قبل مجيئها طايعين وكنا مسلمين لله تعالى قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله
اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها
وبينه انها كانت من قوم كافرين اخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا
عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح وذلك ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش واراد ان ينظر الى
قدميها وساقيها من غير ان يسألها كشفها لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر الحمار وهي شعراء الساقين فامر الشياطين
فعملوا لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك والضفادع
وغيرهما من دواب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفا
والوصايف فلما جلس على السرير دعا بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة اي ماء عظيما وكشفت
عن ساقيها لتخوض الماء الى سليمان فاذا هي احسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر
سليمان ذلك صرف بصره عنها قال انه صرح ممرد اي مملس من قوارير اي زجاج وليس بماء فحينئذ سترت
ساقيها وعجبت من ذلك وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة قالت رب اني
ظلمت نفسي بعبادة غيرك وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له التوحيد والعبادة وقيل انها لما
بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف
ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها اسلمت لله
رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى
من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة اني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى
وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء
فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها
وامر الجن فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وبينون وغمدان ثم كان
سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت

يذلك صح

فلما جاءت صح

فنظر سليمان صح

له

له فيها ولدا ذكرا قال وهب زعموا ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه
فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك
ولا ينبغي لكي ان تحرمي ما احل الله قالت فان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن
وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعى زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له
ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى
صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك
ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد القهار وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن
ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه
لا تشركوا به شيئا فاذا هم فريقان اي مؤمن وكافر يختصمون اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا قال يعني
صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة
اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون الله اي بالتوبة اليه من الكفر لعلكم ترحمون
اي لا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قيل انما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم
وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك قال طائركم
عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طائرا لانه لا شيء اسرع من نزول القضاء المحتوم
وقال ابن عباس الشؤم الذي اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم اي عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى
السماء بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى
وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط يعني من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض
اي بالمعاصي ولا يصلحون اي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن
سالف قالوا تقاسموا بالله يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه اي لنقتلنه
ليلا واهله يعني قومه الذين امنوا معه ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك
اهله اي ما ندري من قتله ولا هلاك اهله وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك ومكروا مكرا
اي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح وناقته ومكرنا مكرا اي جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب
وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم اي التسعة
قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم
وسيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة
وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لآية اي لعبرة
لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون يقال ان الناجين كانوا اربعة آلاف قوله تعالى
ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة
وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم أئنكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده انتم
قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلية وتعلمون انها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل
اراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يعني من ادبار الرجال

وهو صح

فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين أي قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب
وأمطرنا عليهم مطرا أي الحجارة فساء أي فبئس مطر المنذرين قوله عز وجل قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم
الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين آلله خير أما يشركون
فيه تبكيت للمشركين وإلزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار والمعنى الله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها
فإن الله خير لمن عبده وآمن به من الهلاك والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر
أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع الأول قوله تعالى أمن خلق السموات والأرض
ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته والمعنى الأصنام خير أم الذي خلق السموات والأرض ثم ذكر نعمه
فقال وأنزل لكم من السماء ماء يعني المطر فأنبتنا به حدائق أي بساتين جمع حديقة وهي البستان
المحيط عليها فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة ذات بهجة أي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يعني ما ينبغي لكم لأنكم لا تقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول للشجرة بأن أغرسها
وأسقيها الماء فأزال الله تعالى هذه الشبهة بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف
والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يتأتى لأحد وإن تأتى لغيره محال
أإله مع الله يعني هل معه معبود أعانه على صنعه بل يعني ليس معه إله ولا له شريك هم قوم يعني كفار مكة
يعدلون يشركون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل النوع الثاني قوله عز وجل أمن جعل الأرض قرارا
أي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تميد بأهلها وجعل خلالها أنهارا أي وسطها بأنهار
تطرد بالمياه وجعل لها رواسي أي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين يعني العذب والملح حاجزا
أي مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أي توحيد ربهم وقدرته وسلطانه
النوع الثالث قوله تعالى أمن يجيب المضطر أي المكروب المجهود وقيل المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو من
نازلة الدهر إذا نزلت بأحد بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى وقيل هو المذنب إذا استغفر إذا دعاه يعني فيكشف
ضره ويكشف السوء أي الضر لأنه لا يقدر على تغيير حال من فقر إلى غناء ومن مرض إلى صحة ومن ضيق إلى سعة
إلا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع ويجعلكم خلفاء الأرض أي سكانها وذلك أنه ورثهم
سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن وقيل يجعل أولادكم خلفا لكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الأرض أإله مع الله
قليلا ما تذكرون أي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر أي يهديكم
بالنجوم والعلامات إذا جن عليكم الليل مسافرين في البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
أي قدام المطر أإله مع الله تعالى الله عما يشركون النوع الخامس قوله تعالى أمن يبدأ الخلق
أي نطفا في الأرحام ثم يعيده أي بعد الموت ومن يرزقكم من السماء والأرض أي من السماء بالمطر
ومن الأرض بالنبات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم أي حجتكم على قولكم أن مع الله إلها آخر إن كنتم
صادقين قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله نزلت في المشركين حين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة
وما يشعرون أيان يبعثون يعني أن من في السموات وهم الملائكة ومن في الأرض بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون
والله تعالى تفرد بعلم ذلك بل ادارك علمهم أي بلغ ولحق علمهم في الآخرة هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه

كان مع

أنا المنبت صح

ذلك صح

الله صح

وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله تعالى بل هم في شك منها أي هم
اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عم وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية أن الله أخبر عنهم أنهم إذا بعثوا
يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا
قوله تعالى وقال الذين كفروا أي مشركو مكة أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون أي من قبورنا
أحياء لقد وعدنا هذا معناه أي هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل أي من قبل محمد صلى الله عليه
وسلم وليس ذلك بشيء إن هذا أي ما هذا إلا أساطير الأولين أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا
في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم أي بتكذيبهم إياك وإعراضهم عنك
ولا تكن في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة ويقولون متى هذا
الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف أي دنا وقرب لكم وقيل معناه ردفكم
بعض الذي تستعجلون أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل وإن ربك لذو فضل على الناس
يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ولكن أكثرهم لا يشكرون أي ذلك وإن ربك ليعلم
ما تكن صدورهم أي تخفي وما يعلنون معناه أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من
غائبة أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشيء غائب في السماء والأرض إلا في كتاب مبين
يعني في اللوح المحفوظ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أي يبين لهم أكثر الذي هم فيه
يختلفون أي من أمر الدين وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل
القرآن ببيان ما اختلفوا فيه وإنه يعني القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم أي يفصل
ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة بحكمه أي الحق وهو العزيز الذي لا يرد له أمر العليم أي بأحوالهم
فلا يخفى عليه شيء منها فتوكل على الله أي فثق به إنك على الحق المبين أي البين إنك لا تسمع الموتى
يعني موتى القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين أي معرضين فإن قلت
ما معنى مدبرين والأصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر قلت هو تأكيد ومبالغة للأصم وقيل إن الأصم
إذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية أنه لفرط إعراضهم
عما يدعون إليه كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه وكالأصم الذي لا يسمع ولا يفهم وما أنت بهادي العمي عن
ضلالتهم معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان إن تسمع إلا من يؤمن
بآياتنا فهم أي إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله مسلمون أي مخلصون قوله تعالى وإذا وقع القول
عليهم يعني إذا وجب عليهم العذاب وقيل إذا غضب الله عليهم وقيل إذا وجبت الحجة عليهم وذلك أنهم لم يأمروا
بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة أخرجنا لهم
دابة من الأرض م عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ستا طلوع الشمس
من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة
على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم
حتى إن أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى
البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا

خويصة: تصغير خاصة بسكون الياء لأن ياء التصغير لا يكون إلا ساكنة
والمراد حادثة الموت التي تخص الإنسان وصغرت لاستصغارها
في جنب سائر العظائم من بعث وحساب وغيرهما وقيل هي ما يخص
الإنسان من الشواغل المقلقة في نفسه وماله وما يهتم به

باقصى اليمن فيفشوا ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى
قريبا من مكة فيفشوا ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة
واكرمها على الله يعني مكة المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود
الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت
عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها
طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلوة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي فيقبل
عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاورا الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر
من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وباسناد الثعلبي عن حذيفة ابن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدابة قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
اذ تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا اول ما يخرج اي يبدو منها راسها ملمعة
ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه
كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه
كافر وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر
قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب
شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين
الخافقين وروي عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل
وقرنها قرن ايل وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم
بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب اجياد فتمس راسها السحاب
ورجليها في الارض وروي عن علي قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وساير
خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون **تكلمهم** اي بكلام فصيح فتقول
هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول ما اخبر الله تعالى **ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** تخبر الناس
عن اهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقران والبعث وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي
سئل ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى
ويوم نحشر من كل امة فوجا اي نحشر من كل قرن جماعة **ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون**
اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار **حتى اذا جاؤا** يعني يوم القيمة **قال** الله تعالى لهم
اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اي ولم تعرفوها حق معرفتها **اماذا كنتم تعملون** اي حين
لم تتفكروا فيها وقيل معنى الاية اكذبتم باياتي غير عالمين بها ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين
ووقع القول اي وجب العذاب **عليهم بما ظلموا** اي بما اشركوا **فهم لا ينطقون** اي بحجة وقيل ان افواههم
مختومة **الم يروا انا جعلنا** اي انا خلقنا **الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا** اي مضيئا
يبصرون فيه وفي الاية دليل على البعث بعد الموت لان القادر على تقليب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة
بعد الموت **ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** اي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى **ويوم ينفخ في الصور** و
هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هو القرن ومعنى كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب
في الاجساد فتحيى بها الاجساد **ففزع** اي فصعق **من في السموات ومن في الارض** اي ماتوا والمعنى انه

يلقى عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام الى رب
العالمين **الا من شاء الله** وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن قوله الا من شاء الله قال هم
الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع
وقيل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول
لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا
ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي الملائكة جبرائيل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل
فياخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال
والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موته فيقع ساجدا يخفق
بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع هؤلاء الاربعة
حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حملة العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق
احد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد
فيقول الله تعالى لله الواحد القهار ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور فيصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى اخذ بقائمة من قوائم العرش
فلا ادري اكان ممن استثنى الله تعالى ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب وقيل الذين
استثنى الله تعالى هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله تعالى **وكل** اي الذين احيوا بعد الموت **اتوه** اي جاؤه
داخرين اي صاغرين قوله تعالى **وترى الجبال تحسبها جامدة** اي قائمة واقفة **وهي تمر مر السحاب**
اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه
البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه فهو في حسباننا للناظر واقف وهو ساير كذلك الجبال يوم القيمة لا يرى
لعظمها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه **صنع الله الذي اتقن كل شيء** يعني انه تعالى لما قدم هذه
الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي اتقنها واحكمها واتى بها على وجه الحكمة
والصواب **انه خبير بما تفعلون** قوله تعالى **من جاء بالحسنة** اي بكلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا
اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله عز وجل **فله خير منها** قال ابن
عباس فيها يصل الى الخير يعني انه له من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون
له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله وقيل هو جزاء الاعمال والطاعات الثواب
والجنة وجزاء الايمان والاخلاص رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان من الله وقيل معنى خير منها الاضعاف
اعطاه الله بالواحدة عشر اضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل من الرب تبارك وتعالى
وهم من فزع يومئذ امنون فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات
ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب
وهيبة وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم امنون
منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد **ومن جاء بالسيئة** يعني
بالشرك **فكبت وجوههم في النار** عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار
هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك
قوله عز وجل **انما امرت** يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت **ان اعبد رب هذه البلدة** يعني

امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر
لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه
الذي حرمها اي جعلها الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا
يختلى خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر انه هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة
وان تحريمها من الله لا من الاصنام وله كل شيء اي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين
لله المطيعين له وان اتلو القرآن اي وامرت ان اتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به
اتم قيام على ما امر به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي نفع اهتدائه يرجع اليه ومن ضل اي
عن الايمان واخطأ طريق الهدى فقل انما انا من المنذرين اي من المخوفين وما علي الا البلاغ نسختها
آية القتال وقل الحمد لله اي على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة والانذار سيريكم
آياته الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم
وادبارهم وقيل آياته في السموات والارض وفي انفسكم فتعرفونها اي فتعرفون الآيات والدلالات وما ربك
بغافل عما تعملون فيه وعيد لهم بالجزاء على اعمالهم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القصص

وهي مكية الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة
وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي ثمان وثمانون آية واربعمائة واحدى واربعون كلمة
وخمسة آلاف وثمانمائة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم تلك آيات اشارة الى آيات السورة الكتاب المبين قيل هو اللوح المحفوظ
وقيل هو الكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه بين فيه الحلال والحرام
والحدود والاحكام نتلو عليك من نبإ اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق
لقوم يؤمنون اي يصدقون بالقرآن ان فرعون علا اي تكبر وتجبر في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها
شيعا اي فرقا في انواع الخدم والتسخير يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم سمى هذا استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن انفسهم انه كان من المفسدين
اي بالقتل والتجبر في الارض ونريد ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني بني
اسرائيل ونجعلهم ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة ملوكا ونجعلهم الوارثين يعني
املاك فرعون وقومه بان نجعلهم في مساكنهم ونمكن لهم في الارض اي نوطن لهم ارض مصر والشام
ونجعلها لهم سكنا ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي يخافون وذلك انهم اخبروا
ان هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون قوله تعالى واوحينا الى
ام موسى هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوحانذ من نسل لاوي بن يعقوب ان ارضعيه
قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها
فاذا خفت عليه اي الذبح فالقيه في اليم اي في البحر واراد به نيل مصر ولا تخافي اي عليه
من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني اي على فراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال ابن
عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن
المنكر سلط الله تعالى عليهم القبط فاستضعفوهم الى ان انجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام

ذكر القصة في ذلك قال ابن عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي

وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل
فلينفعني حبك اليوم اياي فعالجت قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها
ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل ولدك ولكن وجدت لابنك
حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض
العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا الى ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفته بخرقة والقته
في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا ام موسى
لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا
من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت
اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب
الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت
الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت
ابن لي اخبأه في التابوت وكرهت الكذب قال ولم تقل اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت
وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه
فلم يطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم تدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه
واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم
فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه وبقي حيران فجعل لله عليه ان رد
عليه لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه فيحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد الله
عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فآمن به وصدقه قال وهب لما حملت
ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله
تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الامين ففتش
النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينبو بطنها فكانت القوابل لا تتعرض
لها فلما كانت التي ولد فيها بعث فرعون القوابل فلم تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب
عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله تعالى اليها ان ارضعيه فاذا خفت
عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم وهو البحر
ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها
كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا
في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به
برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى
مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست
على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ اقبل النيل بالتابوت فضربته الامواج
فقال فرعون ان هذا لشيء في البحر قد تعلق ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه
فعالجوه في فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت
نورا لم تره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل

الله تعالى رزقه في إبهامه يمص منه لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون
فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من أشداقه من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فقبلته وضمته
إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا
رمي به في البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه
خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية
سميه قالت سميته موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر لأن مو هو الماء وشا هو الشجر فذلك قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون اللام لام الالتقاط وجود الشيء من غير طلب **ليكون لهم عدوا وحزنا** أي عاقبة
أمرهما إلى ذلك لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين**
أي آثمين وقيل هو من الخطاء ومعناه أنهم لا يشعرون أنه الذي يذهب بملكهم **وقالت امرأت فرعون قرت
عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون** قال وهب لما نظر
إليه فرعون قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون
من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة
إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت أن تذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل
إنها قالت إنه أتانا من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل فاستحيا فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن
عباس لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذي
كتبه الله عليه قوله تعالى **وأصبح فؤاد أم موسى فارغا** أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه
وقيل معناه ناسيا للوحي الذي أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
والعهد الذي عهد إليها أن نرده إليها ونجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون
ولدك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته في البحر وأغرقته ولما أتاها الخبر بأن فرعون
أصابه في النيل قالت إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها
إن كادت لتبدي به أي لتصرخ بأنه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما
رأت التابوت ترفعه موجة وتحطه أخرى خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقتها عليه
وقيل كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل
كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أن يرده عليها **لولا أن ربطنا على قلبها** أي بالعصمة
والصبر والتثبت **لتكون من المؤمنين** أي من المصدقين بوعد الله إياها **وقالت لأخته** أي لمريم
أخت موسى **قصيه** أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره **فبصرت به عن جنب** أي عن بعد قال قيل كانت
تمشي جانبا وتنظره اختلاسا ترى أنها لا تنظره **وهم لا يشعرون** أنها أخته وأنها ترقبه
وحرمنا عليه المراضع المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس إن امرأة فرعون
كان همها من الدنيا أن تجد من ترضعه كلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم **من قبل**
أي قبل مجيء أم موسى وذلك لما رأت أخت موسى أرسلتها أمه في طلب ذلك **فقالت** يعني أخت موسى **هل أدلكم
على أهل بيت يكفلونه لكم** أي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد
صغيرا ترضعه **وهم له ناصحون** أي لا يمنعونه ما ينفعه من تربيته وغذائه والنصح إخلاص العمل من شوائب

الفساد وقيل لما قالت وهم له ناصحون قالوا إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن
قلت وهم للملك ناصحون وقيل إنها قالت إنما قلت ذلك رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل قالوا
من هم قالت أمي قالوا أو لأمك ولد قالت نعم هرون وكان هرون ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالوا صدقت
فأتينا بها فانطلقت إليها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل
يمصه حتى امتلأ جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى **فرددناه إلى
أمه كي تقر عينها** أي برد موسى إليها **ولا تحزن** أي لئلا تحزن **ولتعلم أن وعد الله حق**
أي برده إليها **ولكن أكثرهم لا يعلمون** أن الله وعدها أن يرده إليها **ولما بلغ أشده** قيل الأشد
ما بين الثمانية عشر إلى ثلاثين سنة وقيل الأشد ثلاثة وثلاثون سنة **واستوى** أي بلغ أربعين سنة
قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل **آتيناه حكما وعلما** أي عقلا وفهما في الدين فعلم حكم موسى
قبل أن يبعث نبيا **وكذلك نجزي المحسنين** قوله تعالى **ودخل المدينة** يعني موسى والمدينة قيل هي منف
من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها خانين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس **على حين
غفلة من أهلها** قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء
وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه
فركب فرعون يوما وموسى غائبا فلما جاء قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض
منف فدخلها وليس في طرقها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف
ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان
لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصى في صغره فأراد
فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر
وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره حتى بعد عهدهم به وعن علي أنه كان
يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم **فوجد فيها رجلين يقتتلان** أي يتخاصمان ويتنازعان
هذا من شيعته أي من بني إسرائيل **وهذا من عدوه** أي من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي
كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فليثون وكان القبطي يريد أن يسخر
الإسرائيلي فيحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل
بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد
موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط **فاستغاثه الذي من شيعته** يعني الإسرائيلي
على الذي من عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره
عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس
إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه
فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة **فوكزه موسى**
أي ضربه بجمع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع بأطراف الأصابع **فقضى عليه** أي قتله
وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل ودفنه في الرمل **قال هذا من عمل الشيطان إنه
عدو مضل مبين** أي بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه والمعنى
أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل

وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه **قال رب اني ظلمت نفسي** اي بقتل القبطي
من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك
ذنب وقوله تعالى **فاغفر لي** اي اترك هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت
هذا فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي اي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون **فغفر له** اي
فستره عن الوصول الى فرعون **انه هو الغفور الرحيم قال رب بما** اي بالمغفرة والستر **انعمت علي فلن
اكون ظهيرا للمجرمين** معناه فانا لا اكون معاونا لاحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل
على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي فلم يقل فلم اكن
ان شاء الله ظهيرا للمجرمين **فاصبح في المدينة** اي التي قتل فيها القبطي **خائفا يترقب** اي ينتظر
سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به **فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه**
اي يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال
اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك
الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاث على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي
قال له موسى للاسرائيلي **انك لغوي مبين** اي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك
وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه **فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما** وذلك ان موسى اخذته
الغيرة والرقة للاسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به لما رأى من غضب
موسى وسمع قوله انك لغوي مبين **قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس**
معناه انه لم يكن علم احد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه
القبطي فاتى فرعون فاخبره بذلك **ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض** اي بالقتل ظلما وقيل الجبار
هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى **وجاء رجل
من اقصى المدينة يسعى** اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره وانذره
بما سمع **قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك** اي يتشاورون فيك ليقتلوك وقيل يأمر
بعضهم بقتلك **فاخرج** اي من المدينة **اني لك من الناصحين** اي في الامر بالخروج **فخرج منها**
يعني موسى **خائفا** اي على نفسه من آل فرعون **يترقب** اي ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ الى الله تعالى
لعلمه انه لا ملجأ الا اليه **قال رب نجني من القوم الظالمين** اي الكافرين قوله تعالى **ولما توجه تلقاء مدين**
اي قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم
وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام
قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا احذاء ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رؤي
خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله تعالى لموسى
قال يعني موسى **عسى ربي ان يهديني سواء السبيل** اي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن يعرف
الطريق اليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل **ولما ورد ماء مدين**
هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم **وجد عليه** اي على الماء **امة** اي جماعة **من الناس يسقون** مواشيهم
ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة اي تحبسان وتمنعان
اغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقيل يكفان الغنم من ان تختلط باغنام الناس وقيل

وما تريد ان تكون من المصلحين

ذلك المقتول لموسى قال الفرعون ... فرعون ... ذلك من شيعة موسى ... فقال ... ولو ... فرعون ... وقيل ... سمعان وهو ...

تمنعان اغنامهما عن ان تشذ وتذهب والقول الاول اولى لما بعده وهو قوله **قال** يعني موسى **ما خطبكما** اي ما شانكما
لا تسقيان مواشيكما مع الناس **قالتا لا نسقي** اي اغنامنا **حتى يصدر الرعاء** اي حتى يرجع الرعاء
عن الماء والمعنى انا امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا اسقينا نحن مواشينا من فضل ما بقي منهم
في الحوض **وابونا شيخ كبير** اي لا يقدر ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه السلام
وقيل يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما
رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم
الناس ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة
نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرووا فذلك قوله تعالى **فسقى
لهما ثم تولى الى الظل** اي عدل الى ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع **فقال رب اني لما انزلت
الي من خير فقير** معناه انه طلب الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها
صلبه وعن ابن عباس قال لقد قال موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة
وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا
رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الي فقال الله تعالى **فجاءته احداهما تمشي
على استحياء** قيل هي الكبرى واسمها صفورا وقيل صفوريا وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا قال
عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن قد جاءت مستترة قد وضعت كم درعها على
وجهها وقيل استحيت منه لانها دعته ليكافيه وقيل لانها رسول ابيها **قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما
سقيت لنا** قيل لما سمع موسى ذلك كره ان يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى
موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي وامري ودليني
على الطريق اذا اخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى
اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت
لا نطلب على عمل من اعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف
ونطعم الطعام فجلس موسى واكل فذلك قوله تعالى **فلما جاءه** موسى **وقص عليه القصص** اي اخبره بامره
اجمع من خبره ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** يعني من
فرعون وقومه وانما قال ذلك لانه لم يكن لفرعون سلطان على مدين **قالت احداهما يا ابت استأجره**
اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا **ان خير من استأجرت القوي الامين** يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل وادى
الامانة فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه الا عشرة
نفر وقيل اربعون رجلا واما امانته فانه قال اذهبي خلفي لئلا تصف الريح بدنك **قال** شعيب عند ذلك **اني اريد
ان انكحك** اي ازوجك **احدى ابنتي هاتين** قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه زوجه الصغرى منهما واسمها
صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى **على ان تأجرني ثماني حجج** اي تكون لي اجيرا الى ثمان سنين **فان اتممت
عشرا فمن عندك** اي فان اتممت عشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك **وما اريد ان اشق
عليك** اي الزمك تمام العشرة الا ان تتبرع قال **ستجدني ان شاء الله من الصالحين** اي في حسن الصحبة والوفاء
بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة ولين الجانب وانما قال ان شاء الله للاتكال على توفيقه ومعونته
قال ذلك بيني وبينك اي ما شرطت علي وما شرطت من تزويج احداهما فلي والامر بيننا على ذلك **ايما**

عليك

الاجلين قضيت اى الاجلين اتممت وفرغت منه الثمان او العشرة فلا عدوان على اى لا اظلم على بان اطالب
باكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال ابن عباس شهيد بيني وبينك ق عن سعيد ابن جبير قال سألني يهودي
من اهل الحيرة اى الاجلين قضى موسى قلت لا ادرى حتى اقدم على حبر العرب فاسئله فقدمت فسألت ابن عباس فقال
قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل وروى عن ابى ذر مرفوعا اذا سئلت اى الاجلين
قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يا ابت استأجره
فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وروى شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب النبى صلى الله عليه
وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال
الله ما هذا البكاء تشوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه ان يكن
ذلك فهنيئا لك اللقاء يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى
عصا يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا ياخذها
غير نبى الا اكلته فصارت من آدم الى نوح الى ابرهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى لما قضى الاجل سلم
شعيب اليه ابنته قال لها موسى اطلبى من ابيك ان يعطينا ويجعل لنا بعض الغنم وطلبت من ابيها ذلك فقال لكما
كلما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازى موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته
فقال انى وهبت لك من ولد اغنامى كل ابلق وبلقاء فى هذه السنة فاوحى الله الى موسى فى النوم ان اضرب بعصاك
الماء فاسق منه الغنم ففعل ذلك فما اخطأت واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك
رزق الله تعالى لموسى وابنته فوفى له بشرطه فاعطاه الاغنام قوله عز وجل فلما قضى موسى الاجل اى اتمه
وفرغ منه وسار باهله وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين اخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر
فاذن له وسار باهله اى قاصدا الى مصر آنس اى ابصر من جانب الطور نارا وذلك انه كان فى شدة
البرد فى ليلة مظلمة فى البرية واخذ امرأته الطلق قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها
بخبر اى عن الطريق لانه كان قد اخطأ الطريق او جذوة من النار اى قطعة وشعلة من النار
وقيل الجذوة العود الذى اشتعل بعضه لعلكم تصطلون اى تستدفئون فلما اتيها نودى من شاطئ
الوادى الايمن يعنى من جانب الوادى الذى عن يمين موسى فى البقعة المباركة جعلها الله
مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة من الشجرة اى من ناحية
الشجرة قال ابن عباس وابن مسعود كانت شجرة خضراء تورق وقيل كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس
انها العناب ان يا موسى انى انا الله رب العالمين قيل ان موسى لما راى النار فى الشجرة الخضراء
علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل ان الله تعالى
خلق فى نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله وان ذلك الكلام كلامه وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه
نداء الله تعالى قال انى سمعته بجميع اجزائى فلما وجد السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه احد
الا الله تعالى وان الق عصاك اى فالقاها فلما راها تهتز اى تتحرك كانها جان يعنى الحية
الصغيرة والمعنى انها لسرعة تحركها كالحية السريعة الحركة ولى مدبرا اى هاربا منها ولم يعقب اى
لم يرجع قال وهب انها لم تدع صخرة ولا شجرة الا بلعتها حتى ان موسى سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر
الصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودى عند ذلك يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين
قوله تعالى اسلك يدك اى ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اى برص والمعنى انه

ادخل يده فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس واضمم اليك جناحك من الرهب اى من الخوف والمعنى
اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها فى جيبك تعد الى حالتها الاولى قال ابن عباس امره الله تعالى
ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده
على صدره زال خوفه وقيل المراد من ضم الجناح السكون اى سكن روعك واخفض عليك جاشك لان من
شان الخائف ان يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم اليك يدك واخرجها
من كمك لانه تناول العصا ويده فى كمه فذانك يعنى العصا واليد البيضاء برهانان اى آيتان من ربك
الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الحق قال رب انى قتلت منهم نفسا
يعنى القبطى فاخاف ان يقتلون به واخى هرون هو افصح منى لسانا اى بيانا وانما قال
ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من موضع الجمرة فى فيه فارسله معى ردءا اى عونا يصدقنى يعنى
فرعون وقيل تصديق هرون هو ان يلخص الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المفيد
انى اخاف ان يكذبون يعنى فرعون وقومه سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به وكان
هرون بمصر ونجعل لكما سلطانا اى حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما اى بقتل ولا سوء بآياتنا
وقيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون اليكما انتما ومن اتبعكما الغالبون اى لكما و
لاتباعكما الغلبة على فرعون وقومه فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اى واضحات قالوا ما
هذا الا سحر مفترى اى مختلق وما سمعنا بهذا اى بالذى تدعونا اليه فى آبائنا الاولين
وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده اى انه يعلم المحق من المبطل ومن تكون له عاقبة الدار
اى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة انه لا يفلح الظالمون اى الكافرون وقال فرعون يا ايها الملأ
ما علمت لكم من اله غيرى فيه انكار لما جاء به موسى من توحيد الله تعالى وعبادته فاوقد لى يا هامان
على الطين اى اطبخ لى الآجر قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به فاجعل لى صرحا اى قصرا عاليا
وقيل منارة قال اهل التفسير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى
اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير وامر بالبناء
فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق واراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما
فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت
اله موسى وكان فرعون يصعده راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه
فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت منهم الف الف ووقعت قطعة منها فى البحر وقطعة
فى المغرب فلم يبق احد عمل شيئا فيه الا هلك فذلك قوله تعالى لعلى اطلع الى اله موسى اى انظر اليه
واقف على حاله وانى لاظنه يعنى موسى من الكاذبين اى فى زعمه ان للارض وللخلق الها غيرى
فانه ارسله واستكبر هو وجنوده فى الارض اى تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل
بالباطل والظلم بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون اى للحساب والجزاء فاخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم اى فالقيناهم فى البحر وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
يعنى حين صاروا الى الهلاك وجعلناهم ائمة اى قادة ورؤساء يدعون الى النار اى الكفر
والمعاصى التى يستحقون بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيمة لا ينصرون اى لا يمنعون
من العذاب واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى خزيا وبعدا وعذابا ويوم القيمة هم

من المقبوحين اى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله عز وجل
ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعنى قوم نوح وعاد وثمود
وغيرهم كانوا قبل موسى بصائر للناس اى ليبصروا بذلك فيهتدوا به وهدى اى من الضلالة لمن عمل به ورحمة
اى لمن آمن به لعلهم يتذكرون اى بما فيه من المواعظ وما كنت الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى وما
كنت يا محمد بجانب الغربى اى بجانب الجبل الغربى قال ابن عباس يريد حيث ناجى موسى ربه اذ قضينا الى موسى
الامر اى عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وما كنت من الشاهدين اى الحاضرين
ذلك المقام الذى اوحينا الى موسى فيه فتذكر من ذات نفسك ولكنا انشانا قرونا اى خلقنا بعد موسى
امما فتطاول عليهم العمر اى طالت عليهم المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله عهد الى
موسى وقومه عهودا فى محمد والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا
الوفاء بها وما كنت ثاويا اى مقيما فى اهل مدين اى كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم آياتنا
اى تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم ولكنا كنا مرسلين
يعنى ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتقرأها عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم
بها انت وما كنت بجانب الطور اى بناحية الجبل الذى كلم الله عليه موسى اذ نادينا اى يعنى يا موسى خذ الكتاب
بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارنى محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته واسمعتك
صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم وقال ابن عباس قال الله تعالى يا امة
محمد فاجابوا من اصلاب الآباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك
قال الله تعالى يا امة احمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد اعطيتكم قبل ان تسألونى وقد
اجبتكم قبل ان تدعونى وقد غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة من ربك اى رحمناك
رحمة بارسالك والوحى اليك والاطلاع على الاخبار الغائبة عليك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير
من قبلك لعلهم يعنى اهل مكة يتذكرون واعلم ان الله تعالى لما بين قصة موسى لرسوله صلى الله
عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاث العظيمة التى اتفقت لموسى عليه السلام فالمراد بقوله اذ قضينا
الى موسى الامر هو انزال التورية حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين
اول امر موسى والمراد بقوله اذ نادينا ليلة المناجاة فهذه اعظم احوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن
فى هذه الاحوال حاضرا بين الله انه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته
كانه قال فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك قوله تعالى ولولا
ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم يعنى من الكفر والمعاصى فيقولوا ربنا لولا
اى هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ومعنى الآية ولولا انهم
يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكن
بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فلما جاءهم الحق من عندنا يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم قالوا يعنى كفار مكة لولا اى هلا اوتى مثل ما اوتى موسى يعنى من الآيات كالعصا واليد
البيضاء وقيل اوتى كتابا جملة واحدة كما اوتى موسى التورية قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل
قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش يسئلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتى موسى من قبل فقال الله تعالى

اولم

محمد صلى الله عليه وسلم

اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى اليهود الذين استخرجوا هذا السؤال قالوا سحران تظاهرا
يعنى التورية والقرآن يقوى كل واحد الآخر وقرئ ساحران يعنى محمدا وموسى قيل ان مشركى مكة بعثوا الى رؤس اليهود
بالمدينة يسئلوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته فى كتابهم التورية فرجعوا فاخبروهم بما
قالت اليهود فقالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون يعنى بالتورية والقرآن وقيل بمحمد وموسى قل
يا محمد فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما يعنى من التورية والقرآن اتبعه يعنى الكتاب الذى
يأتوا به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك
اى فان لم يأتوا بما طلبت فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعنى انما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه انما
آثروا فى اتباعهم ما هم فيه الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى
القوم الظالمين قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول قال ابن عباس بينا وقيل انزلنا آيات القرآن يتبع بعضها
بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما فى القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم
خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة فى الدنيا لعلهم يتذكرون اى يتعظون الذين آتيناهم
الكتاب من قبله اى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن هم به يؤمنون نزلت فى
مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبى
صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة
والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين
فنزلت فيهم هذه الآيات الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس فى ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران
واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى بقوله واذا يتلى عليهم اى القرآن
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا وذلك ان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا عندهم فى التورية
والانجيل انا كنا من قبله مسلمين اى من قبل القرآن مخلصين لله التوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
انه نبى حق اولئك يؤتون اجرهم مرتين يعنى بايمانهم بالكتاب الاول والكتاب الآخر بما صبروا
قيل اى على دينهم وعلى اذى المشركين ق عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق
مواليه ورجل كانت عنده امة يطأها فادبها واحسن تاديبها وعلمها واحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها
فله اجران ويدرؤن بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون
ما سمعوا من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون اى فى الطاعة واذا
سمعوا اللغو اى القول القبيح اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل الكتاب ويقولوا
تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لنا
ديننا ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد منه سلام التحية ولكن سلام المتاركة والمعنى
سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم لا نبتغى الجاهلين يعنى لا نحب دينكم الذى انتم عليه وقيل لا نريد
ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال قوله تعالى
انك لا تهدى من احببت اى هدايته وقيل احببته لقرابته ولكن الله يهدى من يشاء وذلك
ان الله تعالى يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للايمان وهو اعلم بالمهتدين اى بمن
قدر له الهدى خ عن ابى هريرة انك لا تهدى من احببت نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث راود

أنزلت هو

أهليهم

الله هو

عمه ابا طالب على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم قل لا اله الا الله
اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد
ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا
ولكن على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الآية وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا يعني من مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق ولكنا ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارض
مكة فقال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض
ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة آمنون حيث كانوا لحرمة الحرم ومن المعروف انه كان يأمن فيه الظبا من الذئاب
والحمام من الحداة يجبى اليه اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن ثمرات كل
شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه يعني اهل مكة لا يعلمون ذلك لقوله تعالى وكم اهلكنا من قرية
اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل
لم يعمر منها الا قليلا واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين يعني لم يخلفهم فيها احد بعد اهلاكهم وصار
امرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلائق وما كان ربك مهلك القرى اي الكافرة اهلها حتى يبعث في
امها رسولا اي في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم وخص الام ببعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان
المدن وقيل يبعث في ام القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء يتلوا
عليهم آياتنا يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا وما كنا مهلكي
القرى الا واهلها ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
اي تتمتعون بها ايام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء وما عند الله خير وابقى لان منافع الآخرة
خالصة من الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا بالقياس كالذرة الى البحر العظيم افلا تعقلون
اي ان الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي من اوصى بثلث ماله
لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما
هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه معناه اي مصيبه
وصائر اليه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا اي وتزول عنه عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين
اي النار قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل
في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اي في الدنيا انهم شركائي قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب وهم رؤس
الضلالة ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم
كما ضللنا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون معناه برئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء وقيل
يعني الكفار ادعوا شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
اي لم يجيبوهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون اي لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب
في الآخرة ويوم يناديهم يعني اي يسأل الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين اي ما كان جوابكم
لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم الانباء اي خفيت واشتبهت اي الاخبار والاعذار والحجج

أم أنهم ...

يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون اي لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا
فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين اي من السعداء الناجين
وعسى من الله واجب قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة او عروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى
انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه الملك المطلق وله ان يخص من يشاء ولا اعتراض عليه البتة ما كان لهم
الخيرة اي ليس لهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه
نفسه فقال تعالى سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما
يعلنون اي يظهرون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة اي يحمده اولياؤه
في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة وله الحكم اي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس يحكم لاهل طاعته
بالمغفرة ولاهل المعصية بالشقاوة واليه ترجعون قوله عز وجل قل يا محمد لاهل مكة ارأيتم اي اخبروني
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دائما الى يوم القيمة لا نهار فيه من اله غير الله
يأتيكم بضياء اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي سماع فهم وقبول قل ارأيتم ان
جعل الله عليكم النهار سرمدا اي لا ليل فيه الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل
تسكنون فيه افلا تبصرون اي ما انتم عليه من الخطأ وقيل انه من نعمة الله
تعالى على الخلق ان جعل الليل والنهار يتعاقبان لان المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب
ليحصل ما يحتاج ولا يتم ذلك الا بالراحة والسكون الا بالليل فلا بد منهما فاما في الجنة فلا تعب ولا نصب
فلا حاجة لهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء ابدا فبين الله تعالى انه القادر ليس على ذلك غيره ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار اي يتعاقبان بالضياء والظلمة لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا
من فضله اي بالنهار ولعلكم تشكرون اي نعم الله عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون كرر ذلك النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل
ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم
المكذبة لرسلهم هاتوا برهانكم اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد لله وضل
عنهم ما كانوا يفترون اي يختلقون في الكذب على الله قوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى
قيل كان ابن عم موسى لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل
كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه في التورية ولكن نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل
كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم لكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثيابه خيلاء اخرجاه
في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي يفتح
الباب به وقيل مفاتحه يعني خزائنه لتنوء بالعصبة اولي القوة معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها
قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى الاربعين وقيل
الى السبعين وقيل كان قارون يحمل مفاتحه اربعين رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون اينما ذهب
يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر
كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر

بما يشاء

الدنيا من ...

ولا تأسوا ولا تمرح إن الله لا يحب الفرحين أي الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل إنه لا يفرح
بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها فأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال
أشد الغم عندي في سرور تيقن صاحبه انتقالا وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة أي اطلب
فيما أعطاك الله من الأموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله بما أنعم عليك وتنفقه في رضى الله تعالى ولا تنس نصيبك
من الدنيا أي لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا
أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة
عن عمرو بن ميمون الأودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس
شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحيوتك قبل موتك
هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم وأحسن كما أحسن الله إليك
أي أحسن بطاعته كما أحسن الله إليك بنعمته وقيل أحسن إلى الناس ولا تبغ أي ولا تطلب الفساد في الأرض
وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال يعني قارون إنما أوتيته على
علم عندي أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره وقيل
هو علم الكيميا فكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلث ذلك العلم وعلم قارون
ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما مع علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهبا وكان سببا
لأمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب فقال عز وجل أولم يعلم
أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد قوة وأكثر جمعا أي للأموال ولا
يسئل عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه أن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة إلى سؤالهم لأنه عالم بحالهم
وقيل لا يسألون سؤال الاستعلام وإنما يسألون سؤال التوبيخ وتقريع وقيل لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم
قوله تعالى فخرج على قومه في زينته وقيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفا عليهم الثياب الحمر والصفر
والمعصفرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب
وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثمائة جارية بيضا عليهن الحلي
والثياب الحمر وهن على البغال الشهب قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون إنه لذو حظ عظيم أي من المال وقال الذين أوتوا
أي بما وعد الله في الآخرة وقال
ابن عباس يعني الأحبار من بني إسرائيل الذين تمنوا مثله مثل ما أوتي قارون العلم ويلكم ثواب الله أي ما عند الله
من الثواب والجزاء خير لمن آمن أي لمن صدق بتوحيد الله وعمل صالحا أي ذلك خير مما أوتي قارون في الدنيا
ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يؤتى الأعمال الصالحة إلا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله
ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون أي على طاعة الله تعالى وعن زينة الدنيا قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض
ذكر قصة قارون قال أهل العلم بالسير والأخبار كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتورية
وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه
أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرون إذا نظروا إلى السماء ويعلموا أني منزل
منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فإن بني إسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له
ربه يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فإذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال
إن الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعل بنوا إسرائيل ما أمرهم

به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما تفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا
بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة لهرون وهي رياسة المذبح فكان بنوا إسرائيل
يأتون بقربانهم إلى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك في نفسه فأتى إلى موسى
فقال له يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التورية لا صبر لي على هذا فقال
أما أنا ما جعلتها لهرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤسا بني
إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها وألقاها في قبته التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا
فأصبحت عصا هرون قد اهتزت لها ورق أخضر وكان من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال له قارون
والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه
كل وقت ولا يزيد إلا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنا دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح
الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس
فلما نزلت الزكوة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينارا وعلى كل ألف درهم عنها درهما وكل
ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني
إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال
آمركم أن تجيئوا فلانة البغي فتجعل عليكم لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنوا
إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أمولك
وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا إذا حضر بنوا إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى
فقال إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى وهم في مرج من الأرض فقام فيهم فقال
يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنا
وله امرأة رجمناه إلى أن يموت فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت
بفلانة البغي فقال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التورية إلا صدقت فتداركها
الله بالتوفيق فقالت في نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله ولكن
قارون جعل لي جعلا على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله
تعالى إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني
إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال موسى
يا أرض خذيهم فأخذتهم بأقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض
خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق
وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده أربعين مرة وقيل سبعين
مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله تعالى إلى موسى
ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته
وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل
لا يبلغ قرارها إلى يوم القيمة. وأصبحت بنوا إسرائيل تقول فيما بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره و
كنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله أي جماعة وما كان أي يمتنعون من الله من المنتصرين

أي مشتغلين مما نزل به من الخسف وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس أي صاروا أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله
من الأموال والزينة يندمون على ذلك التمني يقولون ويكأن الله أي ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقرير معناها
أما ترى صنع الله وإحسانه وقيل في بيان معنى ويك اعلم أن الله وروي أن وي مفصولة من كأن والمعنى أن القوم تندموا فقالوا
متندمين على ما سلف منهم وكأن معناها أظن ذلك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال ابن عباس
أي يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء لولا أن من الله علينا أي بالإيمان لخسف بنا ويكأنه لا
يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض
أي استكبارا عن الإيمان وقيل علوا أي استطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطان
وعن علي أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ولا فسادا قيل الذين يدعون إلى غير عبادة الله
تعالى وقيل أخذ أموال الناس بغير حق وقيل العمل بالمعاصي والعاقبة للمتقين أي العاقبة المحمودة لمن اتقى
عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من جاء بالحسنة فله خير منها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون
تقدم تفسيره قوله إن الذي فرض عليك القرآن أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن
لرادك إلى معاد قال ابن عباس إلى مكة أخرجه البخاري عنه قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه ينصرف فيعود
إلى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب
فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها فأتاه جبريل عليه
السلام وقال له أتشتاق إلى بلدك قال نعم قال فإن الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد
وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس لرادك إلى الموت وقيل إلى القيمة وقيل إلى الجنة
قل ربي أعلم من جاء بالهدى هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لفي ضلال مبين
فقال الله تعالى قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين ومعناه هو
أعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب أي يوحى إليك القرآن
إلا رحمة من ربك فأعطاك القرآن فلا تكونن ظهيرا أي معينا للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه
إلى دين آبائه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن آيات الله
يعني القرآن بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك إلى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين
قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم
ولا تدع مع الله إلها آخر معناه واجب على الكل إلا أنه خاطبه به خصوصا لأجل التعظيم فإن قلت النبي
صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدع مع الله إلها آخر فما فائدة هذا النهي قلت الخطاب معه والمراد به غيره
وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره لا إله إلا هو كل شيء هالك أي فان
إلا وجهه أي إلا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه إلا ما أريد به وجهه لأن عمل كل شيء أريد به غير الله
فهو هالك له الحكم أي فصل القضاء بين الخلق وإليه ترجعون أي تردون في الآخرة فيجزيكم
بأعمالكم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة العنكبوت

مكية وآياتها تسع وستون آية وكلماتها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم أحسب الناس أي ظن الناس أن يتركوا أي بغير اختبار ولا ابتلاء أن أي بأن

يقولوا آمنا وهم لا يفتنون أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق و
الصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم أنه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار
فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام
وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن
عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع
وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى
ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الأنبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلي بنو إسرائيل
بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا أي في قولهم وليعلمن الكاذبين
والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه
وقيل إن آثار الأفعال الحق صفة يظهر فيها كلما يقع وما هو واقع قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات
يعني الشرك أن يسبقونا أي يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم ساء ما يحكمون قال ابن عباس من كان
يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله فإن أجل الله لآت يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب
وقيل يوم القيمة لكائن والمعنى أن من يخشى الله ويؤمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم وهو السميع العليم
أي نعلم ما يعمله العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم أو يعاقبهم أو يعفو قوله تعالى ومن جاهد فإنما يجاهد
لنفسه أي له ثوابه وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فإن الكريم إذا وعد وفى والجهاد هو الصبر
على الأعداء والشدة وقد يكون في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس إن الله لغني عن العالمين
أي عن أعمالهم وعباداتهم وفيه بشارة وتخويف أما البشارة لأنه إذا كان غنيا عن الأشياء فلو أعطى جميع
ما خلقه لعبد من عباده لا شيء عليه لاستغنائه عنه وهذا يوجب الرجاء التام وأما التخويف فلأن الله
إذا كان غنيا عن العالمين فلو أهلكهم بعذابه فلا شيء عليه لاستغنائه عنهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم أي لنبطلنها حتى تصير بمنزلة من لم يعملها والتكفير إذهاب السيئة
بالحسنة ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة وقيل نعطيهم
أكثر ما عملوا قوله عز وجل ووصينا الإنسان بوالديه حسنا معناه برا بهما وعطفا عليهما
والمعنى ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والأحقاف
في سعد بن أبي وقاص وهو أبو إسحق سعد بن مالك الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس لما
أسلم وكان من السابقين الأولين وكان بارا بأمه قالت له أمه ما هذا الذي أحدثت والله ما آكل ولا أشرب
حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ويقال يا قاتل أمه ثم إنها مكثت ليلة لم تأكل ولم
تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما آخر وليلة فجاءها فقال يا أماه لو كانت لك
مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت
فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالبر لوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى
وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وفي الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الله
ثم أوعد بالمصير إليه فقال تعالى إلي مرجعكم فأنبئكم أي فأخبركم بما كنتم تعملون أي بصالح أعمالكم
وسيئاتها فأجازيكم عليها والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في زمرة الصالحين

وهم الانبياء والاولياء وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
فاذا اوذي يعني اصابه بلاء من الناس افتتن في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل اذى الناس
وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف من
عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر ولئن جاء نصر من ربك اي فتح ودولة للمؤمنين
ليقولن اي هؤلاء المنافقين للمؤمنين انا كنا معكم اي على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا
فاكذبهم الله تعالى فقال اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي من الايمان والنفاق وليعلمن
الله الذين آمنوا اي صدقوا فثبتوا على الايمان والاسلام عند البلاء وليعلمن المنافقين اي بترك الاسلام
عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في اناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصيبة
في انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم الى بدر وهم الذين نزلت فيهم الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الآيات العشر من اول السورة الى ها هنا مدنية وباقي السورة مكية
وقال الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل قاله ابو سفيان للذين آمنوا اي من قريش اتبعوا سبيلنا
يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله ولنحمل خطاياكم
اي اوزاركم والمعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل فقال وليحملن اثقالهم
اي اوزار اعمالهم التي عملوها بانفسهم واثقالا مع اثقالهم في قولهم نحمل خطاياكم اي اوزار من
اضلوا وصدوا عن سبيل الله واوزار انفسهم فان قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم
من شيء وقال ها هنا وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون
عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب
اضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
الى يوم القيمة من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء رواه مسلم وليسألن يوم القيمة عما كانوا
يفترون اي سؤال توبيخ وتقريع لانه تعالى عالم باعمالهم وافترائهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث اي اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده الف سنة الا خمسين عاما
فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان
احدهما الاستثناء يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش فلان مائة سنة
فقد يتوهم السامع انه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فان قلت فاذا قال مائة سنة الا شهرا او الا
سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا
واعلى مراتب العدد الف سنة وكان المراد التكثير فلذلك اتى بعقد فقال الالف لانه اعظم وافخم وهذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اعلم ان الانبياء قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث في قومه الف سنة الا خمسين
عاما يدعوهم فصبر في الدعا ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن
بك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان
ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين عاما وقيل في عمره غير ذلك قوله تعالى
فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم ظالمون معناه قال ابن عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة
يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة آية اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة
مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة قوله تعالى وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله

واتقوه

واتقوه اي اطيعوا الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم
ولكنكم لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا وقيل تصنعون
اصناما بايديكم وتسمونها آلهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون ان
يرزقوكم فابتغوا اي فاطلبوا عند الله الرزق فانه القادر على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا
له لانه المنعم عليكم بالرزق اليه ترجعون اي في الآخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
اي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم اي فاهلكهم الله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله
تعالى اولم يروا قيل هذه الآيات الى قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها
وقعت معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا يعلموا كيف يبدئ الله الخلق
اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده اي في الآخرة عند البعث ان ذلك على الله يسير
اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق اي انظروا الى ديارهم
وآثارهم كيف بدأ خلقهم ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اي ثم ان الله الذي خلقهم ينشئهم
نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه انشاؤهم فهو معيدهم بعد الموت ثانيا ان الله على كل شيء قدير
اي من البداءة والاعادة يعذب من يشاء عدلا منه ويرحم من يشاء تفضلا واليه تقلبون اي تردون
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قيل معناه ولا من في السماء بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض
في الارض ولا اهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء اي لو كنتم فيها وما لكم من دون الله من ولي
اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين كفروا بآيات الله يعني القرآن ولقائه اي البعث
اولئك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واولئك لهم عذاب اليم فهذا آخر الآيات في تذكير اهل مكة ثم عاد
الى قصة ابراهيم عليه السلام قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
قال ذلك بعضهم الى بعض وقيل قال الرؤساء للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها عليه
بردا وسلاما قيل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يصدقون وقال يعني ابراهيم
لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة
وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا تتبرأ الاوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الاتباع ويلعن الاتباع
القادة ومأواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا وما لكم من ناصرين اي مانعين من عذابه
فآمن له لوط اي صدقه برسالته لما رأى معجزاته وهو اول من صدق ابراهيم واما في اصل التوحيد فانه كان
مؤمنا لان الانبياء لا يتصور فيهم الكفر وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني ربي فهاجر
من كوثى وهو من سواد الكوفة الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو اول من هاجر
الى الله تعالى وترك بلده وسار الى حيث امره الله تعالى بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة
انه هو العزيز اي الذي لا يغلب والذي يمنعني من اعدائي الحكيم اي الذي لا يأمرني الا بما يصلحني قوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
يقال ان الله تعالى لم يبعث نبيا من بعد ابراهيم الا من نسله وآتيناه اجره في الدنيا وهو الثناء الحسن لكل
اهل الاديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلوة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح قوله عز وجل

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة اى الفعلة القبيحة ما سبقكم بها من احد من العالمين
اى لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال ائنكم لتاتون الرجال يعنى اينكم تقضون الشهوة من
الرجال وتقطعون السبيل وذلك انهم كانوا ياتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم
لاجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء وتاتون فى ناديكم المنكر اى مجالسكم
والنادى مجلس القوم ومتحدثهم عن ام هانى بنت ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وتاتون فى ناديكم المنكر
قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمى الحصا بين
الاصابع وقيل انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه
فايهم اصابه قال انا اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون
بعضهم بعضا فى مجالسهم وقيل انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض
وقيل كان اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحناء وحل الازرار والصفير والحذف والرمى
بالجلاهق واللوطية فما كان جواب قومه اى لما انكر عليهم لوط ما ياتونه من القبايح الا ان قالوا
يعنى استهزاء ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال رب انصرنى
على القوم المفسدين اى بتحقيق قولى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
يعنى من الله باسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعنى قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها
كانوا ظالمين قال يعنى ابراهيم اشفاقا على لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالت الملائكة قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى من الباقين فى العذاب
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم اى ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم
ذرعا اى عجز عن تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اى من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك
اى انا منجوك واهلك ومهلكوهم الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
اى عذابا من السماء قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها اى قريات لوط اية
بينة اى عبرة ظاهرة لقوم يعقلون يعنى افلا يتدبرون الايات تدبر ذوى العقول قال ابن عباس
الاية البينة اثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة التى اهلكوا بها ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوائل هذه
الامة وقيل هى ظهور الماء الاسود على وجه الارض قوله تعالى والى مدين اى وارسلنا الى مدين ومدين اسم
رجل وقيل اسم للمدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين واولاده وعلى القول الثانى وارسلنا
الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر
اى افعلوا فعل من يرجوا اليوم الاخر وقيل معناه اخشوا اليوم الاخر وخافوه ولا تعثوا فى الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض رجفة
فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا اى واهلكنا عادا وثمودا وقد
تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اى من منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان اعمالهم اى عبادتهم
لغير الله فصدهم عن السبيل اى عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين اى عقلاء ذوى بصائر وقيل كانوا
معجبين فى دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين
وقارون وفرعون وهامان اى اهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات اى بالدلالات الواضحات فاستكبروا
فى الارض وما كانوا سابقين اى فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا

فيها بيننا بيت العنكبوت فكذلك
اضعف الاديان اذا استقريه

عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهى الحصا الصغار ومنهم من اخذته الصيحة يعنى ثمود ومنهم من
خسفنا به الارض يعنى قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعنى قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم
اى بالهلاك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى بالشرك مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
يعنى الاصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوى اليه وان بيتها فى غاية
الضعف والوهاء لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل
ان المشرك الذى يعبد الاصنام بالقياس الى المؤمن الذى يعبد الله تعالى مثل عنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى
رجل يبنى بيتا باجر وجص او ينحته من صخر فكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اديانا عبادة الاوثان لانها
لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه فان الريح اذا هبت عليه
او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان
لو كانوا يعلمون اى ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ان الله يعلم ما يدعون من
دونه من شئ هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعنى ان الذين تدعون من دونه ليس بشئ وهو العزيز الحكيم معناه
كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة الله العزيز الحكيم القادر على كل شئ ويشتغل بعبادة ما ليس بشئ اصلا
وتلك الامثال اى الاشباه يعنى امثال القران التى شبه بها احوال الكفار من هذه الامة باحوال الكفار
الامم السابقة نضربها اى نبينها للناس اى لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون يعنى ما يعقل
الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله
عليه وسلم تلى هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق اى للحق واظهار الحق ان فى ذلك لاية اى دلالة
للمؤمنين على قدرته وتوحيده وقوله تعالى اتل ما اوحى اليك من الكتاب يعنى القران واقم الصلوة
فان قلت لما امر بهذين الشيئين تلاوة الكتاب واقامة الصلوة فقط قلت لان الصلوة العبادة
المختصة بالعبد ثلاثة قلبية وهى الاعتقاد الحق ولسانية وهى الذكر الحسن وبدنية وهى العمل الصالح
لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقى
الذكر والعبادة البدنية ممكن التكرار فلذلك امر بهما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء اى ما قبح من الاعمال
والمنكر اى ما لا يعرف فى الشرع قال ابن مسعود وابن عباس فى الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تامره
صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزده صلوته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته
عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وقيل من داوم على الصلوة جره ذلك الى ترك المعاصى والسيئات
كما روى عن انس قال كان فتى من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش
شيئا الا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلوته تنهاه يوما فلم يلبث الا ان تاب
وحسنت حالته وقيل معنى الاية انه ما دام فى صلوته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان فى الصلوة
لشغلا وقيل اراد بالصلوة القران وفيه ضعف لتقدم ذكر القران وعلى هذا فيكون معناه ان القران ينهاه عن الفحشاء
والمنكر كما روى عن جابر قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرأ القران الليل كله فاذا اصبح سرق قال
ستنهاه قراته وفى رواية انه قيل يا رسول الله ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وعلى
كل حال فان المراعى للصلوة لا بد وان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ولذكر الله اكبر اى انه افضل
الطاعات عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم

وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله والغازي في سبيل الله
فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب في سبيل الله دما لكان الذاكرون الله كثيرا في سبيل
الله افضل منه درجة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون
يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات يروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد
اشهر يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعيا للامر والنهي وقيل هم المتخلفون
عن الناس بذكر الله لا يخالطون به غيره خ عن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا ولسانك
رطب بذكر الله وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطا ولذكر الله اكبر اي لن يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون
اي لا يخفى عليه شيء من امركم قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي ولا تخاصموهم الا بالتي
هي احسن اي القرآن والدعاء الى الله تعالى باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية منهم الا الذين ظلموا
منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية فجادلوهم بالسيف او يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين ظلموكم
لان جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الاية منسوخة باية السيف وقولوا امنا اي للذين
قبلوا الجزية اذا احدثوكم بشيء مما في كتبكم بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال النبي عليه
الصلوة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل وكذلك
اي كما انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني مؤمني
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن هؤلاء يعني باهل مكة من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا
الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة
وما كنت تتلوا يا محمد من قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك الكتاب ولا تخطه بيمينك
اي ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي اذا لارتاب المبطلون معناه لو كنت تقرأ او تكتب
قبل الوحي اليك لارتاب المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقوله من كتب الاولين او ينسخه منها وقيل المبطلون هم
اليهود ومعناه اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعته في التورية لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك
النعت بل هو ايات بينات يعني القرآن في صدور الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن
وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم
يجدون نعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني اليهود وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه
ايات من ربه اي كما انزل على الانبياء من قبل وقيل اراد بالايات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك
قل انما الايات عند الله اي هو القادر على انزالها اذا شاء انزلها وانما انا نذير مبين اي انما كلفت الانذار
وليس انزال الايات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه قال اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء لان معجزة

ونصبوا الحرب لهم

آخرهم

القران

القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني القرآن لرحمة
وذكرى لقوم يؤمنون اي تذكرة وعظة لمن آمن به وعمل صالحا به قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا قال ابن عباس معناه يشهد لي اني رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة الله اثباته
المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض اي هو المطلع على امري وامركم ويعلم حقي
وباطلكم لا تخفى عليه خافية والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان
وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل وكفروا بالله فان قلت من امن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا
العطف فائدة غير التاكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل
وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح اولئك هم الخاسرون اي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر
بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حيث قال فامطر علينا حجارة
من السماء ولولا اجل مسمى قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم واخر عذابهم الى يوم القيمة
وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب وليأتينهم
يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب اعاده تاكيدا
وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد الا دخلها يوم يغشيهم العذاب اي يصيبهم
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون قيل نزلت في ضعفاء مسلمي اهل مكة يقول الله تعالى ان
كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها الى ارض المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة
وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل معنى فهاجروا
فيها اي فجاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عملوا في الارض بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي
فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى بلد
تتهيأ له فيها العبادة وقيل معنى ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة الموت
اي كل احد ميت خوفهم بالموت لتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا ابدا بالشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون
فنجزيكم باعمالكم قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا
اي عالية لي جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين اي لله تعالى
بطاعته الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان
وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون
على الله في جميع امورهم قوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا
بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزل الله وكاين من دابة اي ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا ترفع
رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير الله يرزقها واياكم حيث كنتم وهو السميع
اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه
انها تذهب اول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح اخر النهار الى اوكارها شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال
سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفارة والنملة عن ابن عباس وابن مسعود عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرتكم به وليس شيء يقربكم
من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان الروح الامين نفث في روعي الروع بضم الرا والعين المهملة هو القلب
والعقل وبفتح الرا هو الخوف قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته قوله عز وجل
ولئن سالتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ذكر امرين احدهما
اشارة الى اتحاد الذات والثاني الى اتحاد الصفات وهي الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون قيل معناه
انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن عبادة الله مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وكمال بقاء الخلق بالرزق فالله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق
فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ويقدر له اي يضيق عليه اذا شاء ان الله بكل شيء عليم
اي يعلم مقادير الحاجات ومقادير الارزاق ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من
بعد موتها ليقولن الله ذكر سبب الرزق وموجد السبب وموجد المسبب لهذه الاشياء فالرزق من الله تعالى
قل الحمد لله اي على ان الفاعل لهذه الاشياء هو الله تعالى وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة لهم وعليهم بانه الخالق
لهم بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشياء قوله تعالى
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه
وما لا يهمه واللعب هو العبث وفي هذا تصغير الدنيا وازدراؤها ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا عن اهلها وتقلبهم
فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدائمة
الخالدة التي لا موت فيها لو كانوا يعلمون فناء الدنيا وبقاء الاخرة لما اثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل
فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق دعوا الله
مخلصين له الدين اي تركوا الاصنام ولجؤوا الى الله تعالى بالدعاء فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا الاصنام فاذا اشتد الريح
القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم ومعناه التهديد
والوعيد وليتمتعوا معناه لا فائدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة
فسوف يعلمون يعني عاقبة امرهم ففيه تهديد ووعيد قوله عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما امنا و
يتخطف الناس من حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا واهل مكة امنون افبالباطل يعني الشيطان
والاصنام يؤمنون وبنعمة الله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام يكفرون ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا اي فزعم ان له شريكا وانه سبحانه وتعالى منزه عن الشركاء او كذب بالحق
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه اما لهذا الكافر المكذب
ماوى في جهنم قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم
سبلنا اي لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل
الى رضى الله تعالى قال سفيان ابن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل ابن عياض والذين جاهدوا
في طلب العلم لنهدينهم سبل العلم وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة
وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وان الله لمع المحسنين اي بالنصرة والمعونة

في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الاخرة وثوابهم الجنة والله اعلم بمراده

تفسير سورة الروم

مكية وهي ستون اية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة واربع وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض سبب نزول هذه الاية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم
قتال وكان المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم
اهل الكتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريران وبعث قيصر رجالا وجيشا وامر عليهم
رجلا يدعى يحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين
بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من
اهل فارس على اخوانكم من الروم فانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الايات فخرج ابو بكر الصديق
الى كفار مكة فقال لقد فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا محمد عليه
الصلوة والسلام فقام اليه ابي ابن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك على عشر قلايص مني وعشر قلايص منك فان ظهرت
الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى النبي عليه
الصلوة والسلام واخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين
الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال ازايدك
في الخطر وامادك في الاجل فاجعلهما مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي ابن خلف
ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فقم لي ضامنا كفيلا فكفله ابنه عبد الله
ابن ابي بكر فلما اراد ابي ابن خلف
ان يخرج الى احد اتاه عبد الله ابن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد قال ثم رجع ابي ابن خلف الى مكة ومات بها من جراحته
التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على راس سبع
سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية
فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل ان يحرم القمار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهريران لما غلب
الروم ولم يزل يطؤهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه
لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهريران اذا اتاك كتابي هذا فابعث الي براس فرخان
فكتب اليه ايها الملك انك لم تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال فارس
خلفا عنه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد عزلت عنكم شهريران
واستعملت عليكم فرخان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهريران وقال اذا ولي فرخان الملك
وانقاد له اخوه فاعطه الصحيفة فلما وصل البريد الى شهريراز وعرض عليه كتاب كسرى فلما قراه قال سمعا وطاعة
ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان فدفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما قراها استدعا باخيه شهريران
وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه واعطاه ثلاث صحائف منه وقال
كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد ان تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه شهريران فكتب الى قيصر ملك
الروم اما بعد ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا يبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك في خمسين

فارسا فاقبل قيصر في خمسماية الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة قيصر ان يمكر به حتى اتاه عيونه فاخبروه
انه ليس معه الا خمسون فارسا فلما التقيا ضربت لهما قبة فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعيا بترجمان يترجم
بينهما فقال شهريراز ان الذين خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد ان اقتل اخي فابيت عليه ثم امر
اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال قد اصبتما واشار احدهما لصاحبه ان السر بين اثنين
فاذا جاوزهما فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فادلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء
الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت
الروم في ادنى الارض يعني قرب ارض الشام الى فارس وقيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة وهم من بعد غلبهم
اى فارس عليهم سيغلبون اى الروم بفارس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع وقيل الى التسع وقيل
ما دون العشرة لله الامر من قبل ومن بعد اى من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بامر الله تعالى
وقضائه وقدره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اى للروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب على اهل الشرك ينصر من يشاء اى بيده النصر
ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب الرحيم اى بالمؤمنين قوله تعالى وعد الله اى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ان الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون قال الحسن ان احدهم لينقد الدرهم
بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطي وهو لا يحسن يصلي وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها
ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها وهم عن الاخرة هم غافلون
اى ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون بها قوله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاقامة الحق واجل مسمى اى لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم
القيمة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض اى يسافروا
فيها فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض اى حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني الامم الخالية اكثر مما عمروها
يعني اهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات اى فلم يؤمنوا فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم اى لينقص حقوقهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ببخس حقوقهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا اى اساؤا العمل فاستحقوا
السوأى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم ومعنى الاية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار ان
كذبوا اى لانهم كذبوا وقيل معنى الاية ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا بايات الله وكانوا
بها يستهزؤن قوله تعالى الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء ثم
اليه ترجعون اى فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قيل معناه انه ييأس من كل خير وقيل ينقطع
كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم يعني اصنامهم التي عبدوها شفعاء اى يشفعوا لهم وكانوا
بشركائهم كافرين اى جاحدين متبرئين يتبرؤن منها وتتبرأ منهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
اى يتميز اهل الجنة من اهل النار وقيل يتفرقون بعد الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار فلا يجتمعون ابدا فهو
قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اى في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو
في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع
في الجنة قال الاوزاعي ليس احد في خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلوتهم و

تسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة الا وردت وسال ابا هريرة رجل هل لاهل الجنة من سماع فقال نعم
شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة واثمارها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فتحاك بعضها بعضا
فما سمع احد احسن منه واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى البعث يوم القيمة فاولئك
في العذاب محضرون قوله تعالى فسبحان الله يعني اى فسبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اى تدخلون
في المساء وهو صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون اى تدخلون في الصباح وهو صلوة الصبح وله الحمد
في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له وعشيا اى وصلوا لله عشيا يعني صلوة
العصر وحين تظهرون اى تدخلون في الظهيرة وهي صلوة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوة الخمس
في القران قال نعم وقرا هاتين الايتين وقال جمعت الصلوة الخمس ومواقيتها واعلم انما خص هذه الاوقات بالتسبيح وذلك
ان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول
ومشروب وغير ذلك فخفف الله تعالى عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره وفي اول الليل
واخره فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا
صلى الانسان الصلوة الخمس في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات
في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح والعبادة

فصل في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم
ماية مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين
يمسي سبحان الله وبحمده ماية مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليها
اخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه في
صحيح البخاري م عن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج ذات غداة من عندها وهي في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت
نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلث مرات لو وزنت بكلمات لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته م عن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب
في كل يوم الف حسنة فساله سائل من جلسائه قال كيف الف حسنة قال يسبح الله ماية تسبيحة فيكتب له الف
حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفي رواية غير مسلم يحط عنه اربعين الفا قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي اى يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة
من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ويحيي الارض بعد موتها اى بالمطر واخراج
النبات منها وكذلك تخرجون اى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور للبعث والحساب ومن
اياته ان خلقكم من تراب اى خلق اصلكم وهو ادم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
اى تنبسطون في الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اى من جنسكم من بني ادم وقيل خلق
حوى من ضلع ادم لتسكنوا اليها اى لتميلوا الى الازواج وتالفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة
اى جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة ولا معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب
التعاطف وما شيء احب الى احدهما من الاخر من غير تراحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
اى في عظمة الله وقدرته ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم

يعني اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينهما حتى لا يكاد يسمع منطقين
متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حايط يعرف كل منهما نطقه ولغته لا يشبه صوت آخر صوت الآخر والوانكم
اى اسود وابيض واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو آدم
عليه السلام والحكمة في اختلاف الاشكال والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته وعورته وصورته
فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت صوتا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف
صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق والقرابة من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل
على سعة القدرة وكمال العظمة ان في ذلك لايات للعالمين اى لعموم العلم فيهم ومن اياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله اى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة
بالنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اى سماع تدبر واعتبار ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا
اى للمسافر ليستعد للمطر وينزل اى المطر للمقيم ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع من السماء
ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اى قدرة الله وانه القادر عليه ومن
اياته ان تقوم السماء والارض بامره قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض قال ابن عباس من القبور اذا انتم تخرجون اى منها وقيل معنى الاية ثم
اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون اى مطيعون قال
ابن عباس كل له مطيعون له في الحيوة والبقا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده
اى يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو اهون عليه اى هو هين عليه وما من شيء عليه بعزيز وقيل معناه
وهو ايسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان الاعادة تكون اهون من الانشاء وقيل هو اهون على الخلق وذلك لانهم يقومون
بصيحة واحدة فيكونون اهون عليه من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغة الى ان يصيروا رجالا ونساء وهو رواية عن ابن
عباس وله المثل الاعلى اى الصفة العليا قال ابن عباس ليس كمثله شيء وقيل هو الذي لا اله الا هو في السموات
والارض وهو العزيز اى في ملكه الحكيم اى في خلقه قوله عز وجل ضرب لكم مثلا اى بين لكم شبها
بحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم اى عبيدكم واماءكم
من شركاء فيما رزقناكم اى المال فانتم فيه سواء اى هل يشارككم عبيدكم في اموالكم التي اعطيناكم
تخافونهم كخيفتكم انفسكم اى تخافون ان يشاركوكم في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في
المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامره دون شريكه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس
تخافونهم ان يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولا ترضونه لانفسكم فكيف ترضون ان
تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي كذلك نفصل الايات اى الدلالات والبراهين والامثال
لقوم يعقلون اى ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم بل اتبع الذين ظلموا يعني اى اشركوا بالله
اهواءهم اى في الشرك بغير علم جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي من اضل الله اى عن طريق الهدى وما
لهم من ناصرين اى مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى فاقم وجهك للدين يعني اخلص دينك لله وقيل
سدد عملك والوجه ما يتوجه الى الله تعالى به الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه ليسدده قوله تعالى حنيفا اى مايلا
اليه مستقيما عليه فطرت الله اى دين الله والمعنى الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها قال ابن عباس
خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الاسلام ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود
الا يولد على الفطرة ثم يقول اقرؤوا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

زاد البخاري

زاد البخاري فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو
هريرة اقرؤوا فطرة الله الاية ولهما في رواية قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله
ما من مولود يولد الا على الفطرة يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم
على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وان عبد غير الله تعالى قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعي المامور
به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى الى قوله فابواه يهودانه وينصرانه فهو مع وجود الايمان الفطري فانه محكوم
له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي
حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحكي عن عبد الله ابن المبارك انه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته
اي خلقته التي خلقه الله عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها
وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه
على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبتداء الخلقة على الفطرة اى على الجبلة السليمة والطبع المتهيء
لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه
من عدل الى غيره لافة من افات النشو والتقليد فمن سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود
والنصارى واتباعهم لابائهم والميل الى اديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة والحجة المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعاء اى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء وقوله هل تحسون فيها من جدعاء يعني هل تشعرون او تعلمون
فيها من جدعاء وهي المقطوعة الاذن او الانف وقوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اى لا تبدلوا دين الله وقيل
معنى الاية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل لا تبديل لخلق الله هو ما جبل عليه الانسان من السعادة
والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الاية في تحريم اخصاء البهايم ذلك الدين القيم اى
المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين اليه اى فاقم وجهك انت وامتك منيبين
اليه لان خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الامة والمعنى راجعين الى الله تعالى بالتوبة ومقبلين اليه بالطاعة
واتقوه اى ومع ذلك خافوه واقيموا الصلوة اى داوموا على ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اى صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة
كل حزب بما لديهم فرحون اى راضون بما عندهم قوله تعالى واذا مس الناس ضر اى قحط وشدة
دعوا ربهم منيبين اليه اى مقبلين اليه بالدعاء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اى خصب ونعمة اذا فريق منهم
بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم اى ليجحدوا نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه تهديد ووعيد خاطب بها الكفار
فسوف تعلمون اى حالكم في هذه الاخرة ام انزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا
فهو يتكلم اى ينطق بما كانوا به يشركون اى بشركهم ويامرهم به واذا اذقنا الناس رحمة اى الخصب
وكثرة المطر فرحوا بها اى فرحوا وبطروا وان تصبهم سيئة اى جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء
بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون اى ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر
ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون تقدم تفسيره قوله عز وجل فآت ذا القربى حقه اى من البر والصلة والمسكين
اى حقه وهو التصدق عليه وابن السبيل اى المسافر وقيل هو الضيف ذلك خير للذين يريدون وجه
الله اى يطلبون ثواب الله بما يعملون واولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما آتيتم اى اعطيتم

لشقاوتهم

عنه

السليمة

من ربا ليربو في اموال الناس اى في اسلاب اموال الناس واجتذابها قيل في معنى الاية هو الرجل يعطي غيره العطية
ليثيبه اكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيمة وهذا قوله تعالى فلا يربو عند الله وكان هذا حراما
على النبي خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه او قريبه
ليكثر ماله لا يريد به وجه وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله
تعالى فلا يربوا عند الله لانه لم يرد بعمله وجه الله وما آتيتم من زكوة اى اعطيتم من صدقة تريدون وجه الله
اى بذلك الصدقة فاولئك هم المضعفون اى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر امثالها فالمضعف ذو الاضعاف
من الحسنات قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
اى بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن
والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الارض
الامصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللؤلؤ
وذلك لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وتفتح افواهها فما وقع فيه المطر صار لؤلؤا بما كسبت
ايدي الناس اى بسبب شوم ذنوبهم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد بني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجائر
السفينة قيل كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يصيد
البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت بالكا فصار لها شوك الاشجار وصار ماء البحر ملحا
زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل ان الارض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ليذيقهم بعض الذي عملوا اى عقوبة
الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون اى عن الكفر واعمالهم الخبيثة قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبل اى لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية كان اكثرهم مشركين اى فاهلكوا
بكفرهم قوله عز وجل فاقم وجهك للدين القيم اى لدين الاسلام من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
يعني يوم القيمة لا يقدر احد على رده من الخلق يومئذ يصدعون اى يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى
من كفر فعليه كفره اى وبال كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يوطئون المضاجع
ويسوونها في القبور ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله قال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا
اكثر من اعمالهم انه لا يحب الكافرين فيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات
اى تبشر بالمطر وليذيقكم من رحمته اى بالمطر وهو الخصب ولتجري الفلك اى بهذه الرياح
بامره ولتبتغوا من فضله معناه اى لتطلبوا رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون اى هذه النعم
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات اى بالدلالات
الواضحات على صدقهم فانتقمنا من الذين اجرموا يعني اى عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر
المؤمنين اى مع انجائهم من العذاب ففيه تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الاعداء
عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخرجه الترمذي ولفظه
من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيمة وقال حديث حسن قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا اى تنشره فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني مسيرة يوم او يومين او اكثر على ما يشاء

ويجعله كسفا اى قطعا متفرقة فترى الودق اى المطر يخرج من خلاله اى من وسطه فاذا اصاب به
اى بالودق من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اى يفرحون بالمطر وان كانوا اى وقد كانوا من قبل ان ينزل
عليهم من قبله لمبلسين اى آيسين فانظر الى آثار رحمت الله اى المطر والمعنى انظر الى حسن تأثيره
في الارض وهو قوله تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان الذي احيى الارض بعد موتها
قادر على احياء الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا اى الزرع بعد الخضرة لظلوا
من بعده اى من بعد اصفرار الزرع يكفرون اى يجحدون ما سلف من النعمة والمعنى انهم يفرحون عند الخصب
ولو ارسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم
مسلمون تقدم تفسيره قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف اى مبدؤكم ومنشؤكم على ضعف
وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو اشارة الى احوال الانسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه احوال
غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة اى من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا اى هرما وشيبة وهو تمام النقصان يخلق ما يشاء اى من الضعف والقوة والشباب
والشيبة ليس ذلك من افعال الطبيعة بل بمشيئة الله تعالى وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما
يشاء قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اى يحلف المشركون ما لبثوا اى في الدنيا غير
ساعة معناه انهم استقلوا اجل الدنيا لما عاينوا الاخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك
كانوا يؤفكون اى يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك انهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
ان لا بعث والمعنى ان الله تعالى اراد ان يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك
بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اى فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الاية وقال الذين
اوتوا العلم في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم الى يوم البعث اى في قبوركم فهذا
يوم البعث اى الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون اى وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم
الآن بدليل قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون اى لا تطلب منهم العتبى
والرجوع في الاخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم قوله تعالى ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل فيه اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار
ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم
الا على باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله
ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن ان
يقال معناه انكم كلكم ايها الرسل مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اى توحيد الله تعالى
فاصبر ان وعد الله حق اى في نصرك واظهارك على عدوك ولا يستخفنك اى لا يحملنك
على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك وحلمك الذين لا يوقنون اى بالبعث والحساب والله اعلم بمراده

تفسير سورة لقمان

مكية وهي اربع وثلاثون آية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان
ومائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين اى الذين يعملون الحسنات

كانوا به
وقيل معنى كتاب الله في حكم الله
أي عذرهم

ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث
الآية قيل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى اخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم
بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن
فانزل الله هذه الآية وقيل هو شرى القينات والمغنيين ومعنى الآية ومن الناس من يشترى ذات لهو او ذا لهو الحديث
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن و
اثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون
هو الذي يسكت اخرجه الترمذي وهذا لفظه عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات
المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت ومن الناس من يشترى
لهو الحديث الآية وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشترى جارية
ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن الناس من يشترى لهو الحديث
الآية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى
يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وقال ابو الصهباء سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال
هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وقيل هو كل لهو ولعب
وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اى عن دين الاسلام وسماع القرآن بغير علم اى يفعله عن جهل وحسب
المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق ويتخذها هزوا اى يتخذ آيات الله مزحا اولئك
يعني الذين هذه صفتهم لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا اى لا يعبأ بها
ولا يرفع بها رأسا كأن لم يسمعها اى يشبه حاله في ذلك بحال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه وقرا
اى ثقلا ولا وقر فيها فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد وهو العزيز
الحكيم قوله تعالى خلق السموات بغير عمد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كصحفة مستوية وهو قول
المفسرين وهي في الفضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعض دون بعض ليس ذلك الا بقدرة قادر مختار واليه
الاشارة بقوله بغير عمد ترونها اى ليس هي شيء يمنعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرة الله
تعالى وفي قوله تعالى ترونها وجهان احدهما انه راجع الى السموات اى ليس بعمد انتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني
انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى في الارض رواسي ان تميد بكم اى لئلا تتحرك بكم وبث
فيها اى في الارض من كل دابة اى يسكنون فيها وانزلنا من السماء ماء يعني المطر وهو من انعام الله
تعالى على عباده وفضله فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى من كل صنف حسن هذا يعني الذي
ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اى آلهتكم التي تعبدونها بل الظالمون
في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد آتينا لقمان الحكمة قيل هو لقمان بن باعورا بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل
كان ابن اخت ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك داود وقيل انه كان قاضيا في بني اسرائيل
واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة
فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف الليل فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس

في القلب صح
وقيل الغناء رقية الزنى وقيل لهو
الحديث هو الطبل صح

فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان الله ان فعل
بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم
من كل مكان ان عدل فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا
على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم
بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان
لقمان يوازر داود بحكمته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطا وقيل راعي غنم وروى انه لقي رجل وهو
يتكلم بالحكمة فقال الست فلان الراعي قال بلى قال فيما بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني
وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى
عمر ولقمان والنجاشي رابعهم واوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما
وقيل الحكمة المعرفة والاصابة في الامور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر وقيل
غير ذلك وقوله ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه وذلك
لان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ومن كفر عليه يعود وبال كفره فان الله غني اى غير محتاج الى شكر
الشاكرين حميد اى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل
مشكم وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا
لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى التكميل لغيره وبدا بالاقرب
اليه وهو ابنه وبدأ الى وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم لان التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها
قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة
وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والشغف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع
ضعف والرضاعة ضعف وفصاله في عامين اى فطامه في سنتين ان اشكر لي ولوالديك
الي المصير لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما
فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال والي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة
وقيل لما امر بشكره وشكر الوالدين قال على الجزاء وقت المصير الي قال سفيان ابن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات
الخمس فقد شكر ومن دعى للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين وان جاهداك على ان تشرك بي
ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما واجبة قال النخعي فان افضى ذلك الى
الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا
اى بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة واتبع سبيل من اناب الي اى اتبع دين من اقبل الى طاعتي
وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل من اناب الي يعني ابا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم
اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت
به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا
بارشاد ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد فكيف يعلمها الله قال يا بني انها
اى الخطيئة ان تك مثقال حبة من خردل اى في الصغر فتكن اى مع صغرها في صخرة قال ابن عباس صخرة تحت

اخطاء صح

قال صح

الارضين السبع وهي التي يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو النون والحوت
في الماء والماء على ظهر صفات والصفات على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على صخرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الارض
ولا في السماء فلذلك قال او في السموات او في الارض والصخرة على متن الريح على القدرة **او في السموات** معناه عالم بها
قادر على استخراجها وهو قوله **او في الارض** اي باستخراجها **يأت بها الله** اي بمكانها ومعنى الاية هو الاحاطة بالاشياء
صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة قالها لقمان فانشقت مرارته من هيبتها وعظمتها فمات **ان الله لطيف**
خبير يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من الاذى **ان ذلك من عزم الامور**
يعني اقامة الصلوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر الله بها **ولا تصاعر**
وقرئ تصعر **خدك للناس** قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل الذي
يكون بينك وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقراء
فيكن الفقير والغني عندك سواء **ولا تمش في الارض مرحا** اي خيلاء **ان الله لا يحب كل مختال** في مشيه
فخور اي على الناس **واقصد في مشيك** اي ليكن في مشيتك قصدا بين الاسراع والتاني اما الاسراع فهو من
الخيلاء واما التاني فهو ان يرى في نفسه الضعف تزهدا فكلا الطرفين مذموم بل يكون مشيتك بين السكينة والوقار
واغضض اي اخفض وقيل انقص **من صوتك ان انكر** اي اقبح **الاصوات لصوت الحمير** لان اوله زفير واخره
شهيق وهما صوت اهل النار وعن الثوري في هذه الاية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في معنى الاية هي العطسة
القبيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته
قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب
ثم دفع اليه اخرى وقال له اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب
منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي
لا يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله عز وجل **الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ**
اي اتم واكمل **عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن
والباطنة ما ستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد
بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة
ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي
صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته بغير علم **ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا**
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا قال الله تعالى **اولو كان الشيطان يدعوهم** معناه فيتبعونه وان كان الشيطان
يدعوهم **الى عذاب السعير** قوله عز وجل **ومن يسلم وجهه الى الله** اي يخلص لله دينه له ويفوض اليه **وهو**
محسن اي في عمله **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه
ويرتقي بسببه الى اعلى المراتب والغايات **والى الله عاقبة الامور** اي مصير جميع الاشياء اليه **ومن كفر فلا**
يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم **بذات الصدور** قوله تعالى **نمتعهم**
قليلا اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء اجالهم **ثم نضطرهم** اي نلجئهم ونردهم **الى عذاب غليظ**
الى النار في الاخرة **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون**
لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره قوله تعالى **ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام**

والريح

بذات الصدور

قال

قال المفسرون لما نزلت بمكة ويسئلونك عن الروح الاية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار
اليهود وقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا اتعنينا ام قومك فقال عليه الصلوة والسلام
كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التورية فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي في علم الله قليل وقد اتاكم الله بما ان عملتم به انتفعتم قالوا كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فانزل الله هذه الاية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش
ان يسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن وما ياتي
به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي قبريت اقلاما وقيل بعدد كل
شجرة قلم **والبحر يمده** اي يزيده وينصب اليه **من بعده سبعة ابحر** اي مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله
ما نفدت كلمات الله لانها لا نهاية لها **ان الله عزيز حكيم** قوله تعالى **ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة**
اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء **ان الله سميع** لاقوالكم **بصير** اي لاعمالكم **الم**
تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اي الذي هو قادر على
هذه الاشياء الذي ذكر هو الحق المستحق للعبادة **وان ما يدعون من دونه الباطل** لانه لا يستحق العبادة
وان الله هو العلي الكبير اي في صفاته له الصفات العليا والاسماء الحسنى الكبير في ذاته لانه اكبر من كل
كبير قوله تعالى **الم تر ان الفلك** اي السفن والمراكب **تجري في البحر بنعمت الله** اي ذلك من نعمة الله عليكم
ليريكم من اياته اي من عجايب صنايعه **ان في ذلك لايات لكل صبار** اي على ما امر الله **شكور** اي
لانعامه **واذا غشيهم موج كالظلل** اي كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها **دعوا الله**
مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله تعالى بالدعاء وترك كل ما عداه ونسي جميع
ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى **فلما نجاهم الى البر**
فمنهم مقتصد اي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الايمان وقيل نزلت
في عكرمة ابن ابي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذه لارجعن
الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم وحسن اسلامه ومنهم
من لم يف بما عاهد وهو المراد بقوله **وما يجحد باياتنا الا كل ختار** اي غدار **كفور** اي جحود
لانعمنا عليه قوله تعالى **يا ايها الناس اتقوا ربكم** اي خافوا ربكم **واخشوا** اي وخافوا **يوما لا يجزي** اي لا يقضي
ولا يغني **والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا** وقيل معنى الاية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة
والمحبة وهو الوالد والولد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته عليه والولد
يجزي عن والده لما له من حق تربيته وغيرها فاذا كان يوم القيمة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهتم بقريب ولا
بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه **ان وعد الله حق** قيل انه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه
وهو كائن لوعد الله به ووعده حق وقيل الاية تحقيق لعدم الجزاء يعني لا يجزي والد عن ولده في ذلك اليوم والقول
الاول احسن واظهر **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا** اي لانها فانية **ولا يغرنكم بالله الغرور** يعني الشيطان
قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة قوله تعالى **ان الله عنده علم الساعة** الاية نزلت في الحارث بن عمرو
ابن حارثة ابن حفصة من اهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا اجدبت
فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فمتى تلد ولقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت فانزل الله هذه الاية ح عن ابن عمر

عليه

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير معنى الآية إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس
متى تقوم الساعة في أي سنة أو أي شهر أو يوم ليلا أو نهارا وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا
إلا الله ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلقة أم ناقص وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا من خير أو شر وما تدري نفس بأي أرض تموت أي ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الأرض في بر أو بحر
في سهل أو جبل إن الله عليم أي بهذه الأشياء وبغيرها خبير ببواطن الأشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل
علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفى فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه
فإنه كفر بالقرآن لأنه خالفه والله أعلم بمراده

تفسير سورة السجدة

مكية قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمنا وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلثون آية وثلثمائة وثمانون كلمة وألف
وخمسمائة وثمانية عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه من رب العالمين أم يقولون أي بل يقولون
يعني المشركين افتريه ~~يعني بل يقولون يعني المشركين افتراه~~ يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه بل هو الحق
يعني القرآن من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك يعني العرب كانوا أمية وقال ابن عباس ذلك في الفترة
التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت إذا لم يأتهم رسول
لم تقم عليهم حجة قلت قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا من جهة النبي المرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله
وتوحيده فنعم لأن معهم أدلة العقل الموصلة إلى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني تنذرهم راجيا اهتداهم
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى
يدبر الأمر أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يعرج أي يصعد
إليه جبريل بالأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يعني أن مسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة
فيكون مقدار نزوله إلى الأرض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار
يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية أنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا
ثم يعرج إليه أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة
وهو يوم القيمة فإن قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
فكيف الجمع بينهما قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض إلى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه
السلام يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها
في القيمة فيكون على بعضهم كألف سنة وعلى بعضهم كخمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك
كما جاء في الحديث أنه يكون على المؤمنين كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال إبراهيم التيمي لا يكون على المؤمنين إلا كما
بين الظهر والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا إخبارا عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن
فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس أيام
سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك
صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب من خلقه لا يخفى عليه خافية والشهادة يعني
ما حضر وظهر العزيز أي المنيع المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه وأهل طاعته قوله تعالى الذي أحسن

يوم صح

كل

كل شيء خلقه قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض
على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه
ألهم خلقه ما يحتاجون إليه وعلمهم إياه وقيل معناه أحسنهم ذلك وقيل معناه أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين
يعني آدم ثم جعل نسله يعني ذريته من سلالة أي من نطفة تتنسل من الإنسان من ماء مهين أي ضعيف ثم
سواه أي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه أضاف إليه الروح إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما
يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال وجعل لكم أي خلق بعد أن كنتم نطفا أمواتا السمع والأبصار والأفئدة
قيل قدم السمع لأن الإنسان يسمع أولا كلاما فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يتفكر في قلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه
ووحد السمع لأن الإنسان يسمع الكلام من أي جهة كان قليلا ما تشكرون يعني أنكم لا تشكرون رب هذه النعمة
فتوحدونه قوله تعالى وقالوا يعني منكري البعث أئذا ضللنا هلكنا في الأرض والمعنى صرنا ترابا أئنا لفي خلق
جديد استفهام إنكاري قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون أي بالبعث بعد الموت قل يتوفيكم
أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى ممن كتب عليه الموت ملك الموت وهو عزرائيل عليه السلام الذي وكل بكم أي بأنه لا
يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا شغل له إلا ذلك روي أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد
يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من الملائكة
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الأرض
مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل إن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فينزع أعوانه روح الإنسان
فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت عن معاذ بن جبل قال إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو
يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب
رأسه بتلك الحربة وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت وقوله ثم إلى ربكم ترجعون أي تصيرون إلى ربكم
أحياء فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل ولو ترى إذ المجرمون أي المشركون ناكسوا رؤوسهم أي مطأطئوها
حياء من ربهم وندما على ما فعلوا عند ربهم يقولون ربنا أبصرنا أي ما كنا به مكذبين وسمعنا
يعني منك تصديق ما أتتنا به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل فيها فارجعنا أي فارددنا إلى الدنيا
نعمل صالحا إنا موقنون أي في الحال آمنا ولكن لا ينفع ذلك الإيمان ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
أي رشدها وتوفيقها للإيمان ولكن حق القول مني أي وجب القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
أي كفار الجن والإنس فذوقوا أي إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا
أي تركتم الإيمان في الدنيا إنا نسيناكم أي تركناكم بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعل الناسي قطعا
لرجائكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون أي من الكفر والتكذيب قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الذين
إذا ذكروا بها أي وعظوا بها خروا سجدا أي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم أي صلوا
بأمر ربهم وقيل سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون أي عن الإيمان به والسجود له ق عن ابن عمر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا مكانا لموضع جبهته
في غير وقت الصلوة م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي ويقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار وهذه
من عزائم سجود القرآن فيسن للقاري وللمستمع قوله تعالى تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتنبو عن
المضاجع معناه جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلوة

وقال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلوة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب صحيح وفي رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون وهو قول ابي حازم ومحمد بن
المنكدر وقال هي صلوة الاوابين وروي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء
وهي صلوة الاوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلون العشاء الاخرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما قام الليل كله اخرجه
مسلم من حديث عثمان بن عفان ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح
لاتوهما ولو حبوا واشهر الاقاويل ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة

فصل في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت
يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير
على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال
الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلوة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن
المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله
قال راس الامر الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله
قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم اخرجه الترمذي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة
عن الاثام ومطردة الداء عن الجسد اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب
ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه واهله الى الصلوة فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا الى عبدي
ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه واهله الى الصلوة رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزى في سبيل الله
فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا
الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى اهريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل
ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تفطرت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة
غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها اعدها الله لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى
بالليل والناس نيام اخرجه الترمذي خ عن الهيثم بن ابي سنان انه سمع ابا هريرة في قصة يذكر النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ان اخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال شعرا ۝ وفينا رسول الله يتلو كتابه ۝
اذا انشق معروف من الفجر ساطع ۝ ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ۝ به موقنات ما اذا قال واقع ۝
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ۝ اذا استثقلت بالكافرين المضاجع ۝ اخرجه البخاري وليس لهيثم
ابن سنان عن ابي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا قال ابن عباس
خوفا من النار وطمعا في الجنة ومما رزقناهم ينفقون قيل اراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام
في الواجب والمندوب والتطوع قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي مما تقر به اعينهم

فلا يلتفتون الى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم جزاء بما كانوا يعملون
اي من الطاعات في دار الدنيا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة
ابن ابي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فانك صبي وانا شيخ والله انا ابسط منك لسانا
واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله هذه
الاية وقوله لا يستوون اراد جنس المؤمنين وجنس الفاسقين ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا اما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى اي التي ياوي اليها المؤمنون
نزلا هو ما يهيأ للضيف عند نزوله بما كانوا يعملون يعني من الطاعات في دار الدنيا واما الذين فسقوا
فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اي سوى العذاب الاكبر قال ابن عباس العذاب الادنى مصائب
الدنيا واسقامها وعنه انه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود
هو القتل بالسيف يوم بدر والاكبر هو عذاب جهنم لعلهم يرجعون اي الى الايمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد
بدر ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بدلائل وحدانيته وانعامه عليه ثم اعرض عنها
اي ترك الايمان بها انا من المجرمين يعني المشركين منتقمون معناه انهم لما لم يرجعوا بالعذاب الادنى فانا منهم منتقمون
بالعذاب الاكبر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التورية فلا تكن في مرية اي في شك
من لقائه اي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة
اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والى البياض
سبط الشعر ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه ق عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة المعراج ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره
فان قلت قد صح في حديث المعراج انه راه في السماء السادسة ومراجعته في الصلوات فكيف الجمع بين هذين الحديثين
قلت يحتمل ان تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الاحمر كان قبل صعوده الى السماء وذلك في طريقه الى بيت المقدس
ثم صعد الى السماء السادسة فوجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فان قلت كيف يصح
منه الصلوة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الاخرة وليست دار عمل وكذلك راى النبي صلى الله عليه
وسلم جماعة من الانبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا قلت عنه اجوبة كثيرة احدها ان الانبياء كالشهداء بل هم افضل
منهم والشهداء احياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا وان
كانوا قد ماتوا الا انهم بمنزلة الاحياء في هذه الدار التي هي دار العمل الى ان تفنى ثم يرحلوا الى دار الجزاء التي هي الجنة
الجواب الثاني انه صلى الله عليه وسلم راى حالهم الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا اليه كما كيف كانوا وكيف كان
حجهم وصلوتهم الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله
تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فالعبد
يعبد ربه في الجنة كما يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وغاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله اعلم وقيل في قوله

فلا تكن في مرية من لقائه اي من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم
اي من بني اسرائيل ائمة اي قادة بالخير يقتدى بهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء يهدون
بامرنا اي يدعون الناس الى طاعتنا لما صبروا اي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر وكانوا باياتنا يوقنون
اي انها من الله تعالى ان ربك هو يفصل اي يقضي ويحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
قيل هم الانبياء وامهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى اولم يهد لهم اي يتبين لهم كم اهلكنا اي كثرة من اهلكنا
من قبلهم من القرون اي الامم الخالية يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم اذا
سافروا ان في ذلك لايات افلا يسمعون اي ايات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله تعالى اولم يروا انا
نسوق الماء الى الارض الجرز اي الارض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس هي ارض باليمن وقيل هي ابين فنخرج به
اي بذلك الماء زرعا تاكل منه انعامهم اي العشب والتبن وانفسهم اي من الحبوب والاقوات افلا يبصرون
اي فيعتبرون قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قيل اراد بيوم الفتح يوم القيمة الذي فيه الحكم والقضا
بين العباد وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار ان لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا
وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح اي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح قل يوم
الفتح يعني يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اي لا يقبل منهم الايمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة او
القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون
ليتوبوا ويعتذروا فاعرض عنهم قال ابن عباس نسختها اية السيف وانتظر اي موعدي لك بالنصر عليهم
انهم منتظرون اي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا اياهم فانهم منتظرون ذلك ق عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل اتى على الانسان
عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي
وقال طاوس تفضلان على كل سورة في القران بسبعين حسنة اخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون اية والف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة الاف وسبعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين نزلت في ابي سفيان ابن حرب وعكرمة ابن ابي جهل
وابن الاعور عمرو وابن سفيان السلمي وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله ابن ابي ابن سلول راس المنافقين
بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله ابن سعد ابن ابي سرح و
طعمة ابن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر ابن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومنات وقل
ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم
فقال اني اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة
فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل
الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته ولا تطع الكافرين يعني من اهل مكة يعني ابا سفيان وعكرمة والاعور
والمنافقين يعني من اهل مكة يعني سفيان وعكرمة والاعور والمنافقين يعني من اهل المدينة عبد الله ابن ابي وعبد الله
ابن سعد وطعمة ان الله كان عليما اي بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما اي فيما دبره لهم واتبع ما يوحى اليك

من ربك اي من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله
اي ثق بالله وكل امرك اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر حميد ابن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت
قريش ما حفظ ابو معمر هذه الاشيا الا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما
هزم الله المشركين يوم بدر انهزم ابو معمر فيهم فلقيه ابو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا
معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال احدى نعليك واحدة في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت
الا انهما في رجلي فعلموا انه يومئذ لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن ابي ظبيان قال قلنا لابن عباس ارايت
قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة
فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للانسان في صلوته
وقيل في معنى الاية انه لما قال تعالى يا ايها النبي اتق الله فكان ذلك امرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها ان لا يكون
في قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله باحدهما وبالاخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى
للمظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لانه لا يخلوا اما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالاخر
من افعال القلوب فالاخر فضلة غير محتاج اليه واما ان يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك فذلك يودي الى اتصاف الجملة
بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان فكذلك لا يكون امراة المظاهر
امه حتى تكون له اما ولا يكون ولد واحد ابن رجلين قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون
منهن امهاتكم وصورة الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي يقول الله وما جعل نساءكم
اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كامهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله
في سورة المجادلة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم يعني الذي تتبنونه ابناءكم وفيه نسخ التبني وذلك ان الرجل
كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اعتق زيد ابن حارثة ابن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة ابن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد ابن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس
عن ذلك فانزل الله هذه الاية ونسخ بها النبي صلى الله عليه وسلم ذلكم قولكم بافواهكم يعني لا حقيقة له يعني
قولهم زيد ابن محمد وادعى النسب لا حقيقة له والله يقول الحق اي قوله الحق وهو يهدي السبيل اي يرشد
الى سبيل الحق ادعوهم لابائهم اي الذين ولدوهم فقولوا زيد ابن حارثة هو اقسط عند الله اي اعدل
عند الله ق عن عمر ان زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد ابن محمد حتى نزل ادعوهم لابائهم
هو اقسط عند الله الاية فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومواليكم اي كانوا محررين
وليسوا بنيكم اي فسموهم باسماء اخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم اولياؤكم في الدين وليس عليكم جناح
فيما اخطاتم به اي قبل النهي فنسبتموه الى غير ابيه ولكن ما تعمدت قلوبكم اي من دعاهم الى غير ابائهم
بعد النهي وقيل فيما اخطاتم به ان تدعوه الى غير ابيه وهو يظن انه كذلك وكان الله غفورا رحيما ق
عن سعد ابن ابي وقاص وابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة
عليه حرام قوله عز وجل النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب
طاعته قال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم

اولى بهم من طاعة انفسهم وهذا صحيح لان انفسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم
الى ما فيه نجاتهم وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى الجهاد
فيقول قوم نذهب فنستاذن من آبائنا وامهاتنا فنزلت الاية ق عن ابي هريرة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما
مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى
من له فرض مقدر وقوله او ضياعا اي عيالا واصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وان كسرت الضاد كان جمع ضائع
وقوله تعالى وازواجه امهاتهم يعني امهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر
اليهن والخلوة بهن فانه حرام في حقهن كما في حق الاجانب ولا يقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين ولا لاخوانهن واخواتهن
هن اخوال المؤمنين وخالاتهن قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت عايشة ام المؤمنين ولم يقل هي خالة
المؤمنين وقيل ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كن امهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنسا وقيل كن امهات
الرجال دون النسا بدليل ما روي عن مسروق ان امراة قالت لعايشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم
فبان بذلك ان معنى الامومة انما هو تحريم نكاحهن واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض يعني في الميراث قيل كان
المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما
ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى بميراث بعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم
والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر في كتاب الله اي في حكم الله من المؤمنين الذين اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم والمهاجرين يعني ان ذوي القرابات اولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الاية الموارثة بين المواخاة والهجرة وصارت الموارثة
بينهم في القرابة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الوصية الذين يتولونه من المعاقدين وذلك ان الله
تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخا والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصر وحفظ
الحرمة بحق الايمان والهجرة وقيل معناه الا ان توصوا الى قراباتكم بشيء وان كانوا من غير اهل الايمان والهجرة كان ذلك
اي الذي ذكرت من اولى الارحام بعضهم اولى ببعض في الكتاب اي في اللوح المحفوظ وقيل في التورية مسطورا اي مكتوبا
مثبتا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي على الوفا بما عملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم
ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم ومنك يعني يا محمد ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم خص هؤلاء الخمسة بالذكر من النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرايع واولوا العزم من الرسل
وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال قتادة وذلك قول الله تبارك وتعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدا به صلى الله عليه وسلم واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا
على الوفا بما حملوا من تبليغ الرسالة ليسئل الصادقين عن صدقهم يعني اخذ ميثاقهم لكي يسال الصادقين
يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا اليهم
وقيل ليسال الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم في قلوبهم واعد
للكافرين عذابا اليما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم وذلك حين حوصر المسلمين
مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ايام الخندق اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير فارسلنا عليهم ريحا يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انصري رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا ق عن ابن عباس عن النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون الا ذهب حزنه
قوله تعالى وجنودا لم تروها يعني الملايكة ولم تقاتل الملايكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة
فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملايكة
في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان النجا النجا هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاة النجاة فانهزموا
من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا ذكر غزوة الخندق وهي الاحزاب
قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع من الهجرة وروى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم
في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو
عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا
حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله
فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد افديننا خير ام دينه
قالوا دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعوهم
اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على ذلك ثم خرج اوليك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان
وقيس وعيلان فاجتمعوا على ذلك واخبروهم انهم سيكونوا معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم
وخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزاره
والحارث بن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعود بن رحيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه من اشجع
فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الاحزاب ثم قطع
لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون
سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف
كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا تحت
ذوباب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره بخبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيها امره فانا
لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله
خرجت علينا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها شي قليل ولا
كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واستند على
شقة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وضربها ضربة صدعها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبير فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية كذلك وبرق منها برق حتى اضاء
ما بين لابتيها حتى كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون
معه واخذ بيد سلمان ورقا فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال أرأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء
منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق
الذي رأيتم أضاءت منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت
ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعا كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها
فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن
تبرزوا قال فنزل القرآن وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وأنزل الله قل اللهم
مالك الملك الآية ق عن أنس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في
غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال • اللهم إن العيش عيش الآخرة • فاغفر
للأنصار والمهاجرة • فقالوا مجيبين له • نحن الذين بايعوا محمدا • على الجهاد ما حيينا أبدا • ق عن البراء بن عازب
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول • والله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
فأنزلن سكينة علينا • وثبت الأقدام إن لاقينا • والمشركون قد بغوا علينا • إذا أرادوا فتنة أبينا • ويرفع بها صوته
وفي رواية قد وارى التراب بياض إبطيه رجعنا إلى حديث ابن إسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت
قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل
تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم
وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام وخرج عدو الله حيي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب
عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك فلما سمع كعب ابن أخطب أغلق دونه
حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح فقال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤم إني قد عاهدت محمدا
فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني
إلا على جشيشتك أن آكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على
قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة وبغطفان من قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد
قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه قال له كعب جئتني والله بذل الدهر
وبجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بن
أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمع له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا
محمدا أن أدخل معه في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد
ابن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما
عبد الله بن رواحة أخو الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا من هؤلاء
القوم أحق أم لا فإن كان حقا فالحنوا إلي لحنا ولا تفتوا أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به
للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه
ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم
أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر

عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل
منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد
يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا حتى قال أوس
ابن قيظي أحد بني حارثة يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملإ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا
فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم
يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة
ابن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم
أمر تحبه فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم
عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء
القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا
فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله
بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال
ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش
عمرو بن عبد ود ابن عوف أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله
وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم فمروا على بني كنانة فقالوا
تهيئوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله
هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة
بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان
تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما
ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال علي يا عمرو إنك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلا أخذت منه
أحدهما فقال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام فقال لا حاجة لي بذلك فقال فإني أدعوك إلى
النزال فقال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه
ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو
رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي
وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه علي فقتله فغلب
المسلمون على جسده فسألوا رسول الله أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه فشأنكم به فخلى بينهم وبينه قالت عائشة كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحصن حصون المدينة
وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد
خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول لبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل
فقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت قالت عائشة فقلت يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه

حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فاصاب منه الاكحل فقطعه رماه حبان ابن قيس ابن العرقة احد بني عامر
ابن لوي فلما اصابه قال خذها وانا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب
قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي من ان اجاهدهم من قوم اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه واخرجوه
وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه
في الجاهلية قال محمد ابن اسحق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان ابن ثابت قالت وكان حسان
معنا مع الصبيان والنساء قالت صفية فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت
ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذ اتانا
آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود
وقد اشتغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد
عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم ار عنده شيئا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته
بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لا يمنعني من سلبه الا انه رجل
فقال ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف
والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم ابن مسعود ابن عامر ابن غطفان اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما انت رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم ابن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما
لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم
ان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اهلكم و
اموالكم واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا عنه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم ونساؤهم وابناؤهم
بغيره وان راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل
ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة
لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان ابن حرب
ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا فقد بلغني امر رايت حقا على ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا
علي قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه ان قد
ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم
نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا
منكم واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني
قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت
من شوال سنة خمسة وكان مما صنع الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفين ورؤس غطفان الى بني
قريظة عكرمة ابن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا
للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه وقد احدث فيه بعضنا
حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا
ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالوا بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان

الذي

الذي حدثكم به نعيم ابن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم
تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر اليكم نعيم ابن مسعود
لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم
وبين هذا الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل
الله عز وجل بينهم وبعث الريح عليهم في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفؤا قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم دعا حذيفة ابن اليمان وبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا
وروى محمد بن اسحق عن يزيد ابن زيادة عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال فتى من اهل
الكوفة لحذيفة ابن اليمان يا ابا عبد الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف
كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على
اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا قال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة الاحزاب مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من يقوم فيذهب الى هذا القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي
في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لي يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته وان جنبي ليضطربان
فمسح براسي ووجهي بطرفه ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال
اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله فاخذت سهمي وشددت
على اسلابي ثم انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم فارسل الله عليهم ريحا وجنودا
وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدور ولا نار ولا بناء قالوا وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته
في كبد القوس فاردت ان ارميه ولو رميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا
حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدور ولا نار ولا بناء
فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقال سبحان الله ما تعرفني

فقلت من انت

انا فلان ابن فلان من هوازن فقال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع
والخف واختلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام
الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت
قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو
قائم يصلي فلما سلم اخبرته فضحك حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء
فادناني النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والزق صدري ببطن قدميه فلم ازل نائما
حتى اصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله تعالى **اذ جاؤكم من فوقكم** اي من فوق الوادي من قبل المشرق
وهم اسد وغطفان وعليهم مالك ابن عوف النضري وعيينة ابن حصن الفزاري في الف من غطفان ومعهم
طليحة ابن خويلد الاسدي من بني اسد وحيي ابن اخطب من يهود قريظة **ومن اسفل منكم** يعني في بطن الوادي
من قبل المغرب وهم قريش وكنانة وعليهم ابو سفين ابن حرب من قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو ابن سفيان السلمي
من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم

وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ أي مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت من كل شيء فلم تنظر إلى عدوها وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبّر به عن شدة الخوف وقيل معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت رئته رفعت القلب إلى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا أي اختلف الظنون بالله فظن المنافقون استيصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون الظفر والنصر لهم هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ أي عند ذلك تصبر المؤمنون للحصر والقتال ليتبين المخلصون من المنافقين وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا أي حركوا حركة شديدة وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ يعني معتب ابن قشير وقيل عبد الله بن أبي وأصحابه وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أي شك وضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا أي هو قول أهل النفاق يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يفارق رحله هذا هو الغرور وقوله تعالى وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أي من المنافقين وهم أوس بن قيظي وأصحابه يَا أَهْلَ يَثْرِبَ يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقيل هي طائفة كانت تكره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لَا مُقَامَ لَكُمْ أي لا مقام لكم تنزلون وتقيمون فيه فَارْجِعُوا إلى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يعني من بني حارثة وبني سلمة يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ أي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى فقال وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا أي إنهم لا يخافون ذلك إنما يريدون الفرار من القتال وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب من نواحي المدينة وجوانبها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ يعني الشرك لَآتَوْهَا أي لجاؤوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا أي ما احتبسوا عن الفتنة إِلَّا يَسِيرًا أي لأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ أي من قبل غزوة الخندق لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ أي لا ينهزمون قيل هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقيل هم أناس غابوا عن غزوة بدر فلما رأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله تعالى قتالا لنقاتلن فساق الله إليهم ذلك وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا أي كان عنه في الآخرة قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ يعني الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ أي بعد الفرار إِلَّا قَلِيلًا أي مدة آجالكم قوله تعالى قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ أي يمنعكم إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أي هزيمة أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً معناه أي نصرا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا أي ناصرا يمنعهم قوله تعالى قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ أي المثبطين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا أي ارجعوا إلينا ودعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك قيل هم أناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك وما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أي ابتلعهم أبو سفيان وأصحابه وقيل نزلت في المنافقين وقيل إن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا وإنا نشفق عليكم فأنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا فأقبل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحدا ما ترجون عن محمد

وهم قليل

ما عنده

ما عنده خير ما هؤلاء إلا أن يقتلنا ههنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا قوله تعالى وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ يعني الحرب إِلَّا قَلِيلًا أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ أي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله تعالى بالبخل والجبن فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ أي تدور أعينهم كدوران كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيته أسبابه فإنه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ أي زال سَلَقُوكُمْ أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإنا شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا يكون المراد بالخير المال أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا أي لم يؤمنوا حقيقة الإيمان وإن أظهروا الإيمان لفظا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا أي إحباط أعمالهم مع أن كل شيء على الله يسير قوله عز وجل يَحْسَبُونَ أي هؤلاء المنافقين الْأَحْزَابَ يعني قريشا وغطفان واليهود لَمْ يَذْهَبُوا أي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا وفرقا وقد انصرفوا عنهم وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ أي يرجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية مع الأعراب من الجبن والخوف يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ أي عن أخباركم وما آل إليه أمركم وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ يعني هؤلاء المنافقين مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم قيل رميا بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب قوله عز وجل لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أي قدوة صالحة أي قد اقتدوا به اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما أصابكم كما فعل هو إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذي بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ معناه يعني أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال ابن عباس يرجو ثواب الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا أي في جميع المواطن في السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال تعالى وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أي قالوا ذلك تسليما لأمر الله وتصديقا بوعده وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أي وعده في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله ليس إشارة إلى ما وقع لأنهم كانوا يعترفون بصدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل إنهم وعدوا أن تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما نالهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا أي تصديقا بالله وَتَسْلِيمًا أي لأمره قوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فمات على الوفاء قيل يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء وَمَا بَدَّلُوا أي يعني عهدهم تَبْدِيلًا ق عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين

ليريني الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ
إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر
إني لأجد ريحها من دون أحد فقال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة
بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم فوجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس
كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية ق
عن خباب بن الأرت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مات
ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا
غطينا بها رجلاه بدت رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي بها رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر
ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه
استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهدبها أي يجتنيها ويقطعها عن أبي موسى بن طلحة قال دخلت على معوية
فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب
خ عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قوله عز وجل ليجزي الله
الصادقين بصدقهم أي جزاء صدقهم وهو الوفاء بالعهد ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم أي
فيهديهم إلى الإيمان ويشرح لهم صدورهم إن الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا من قريش
وغطفان بغيظهم يعني لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا لم ينالوا خيرا أي ظفرا وكفى الله المؤمنين القتال
أي بالملائكة والريح وكان الله قويا أي في ملكه عزيزا أي في انتقامه قوله تعالى وأنزل الذين ظاهروهم
من أهل الكتاب أي عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو
قريظة من صياصيهم أي من حصونهم ومعاقلهم واحدها صيصة وقذف في قلوبهم الرعب أي الخوف
فريقا تقتلون أي الرجال يقال كانوا ستمائة وتأسرون فريقا أي النساء والذراري يقال كانوا
سبعمائة قيل وخمسين وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها يعني قيل هي خيبر
ويقال إنها كانت مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل أرض تفتح على المسلمين إلى يوم القيمة وكان الله على كل
شيء قديرا ذكر غزوة بني قريظة قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق
عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف
الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان
الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة
عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه
فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل يا رسول الله قد عفى الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح
منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال إن الله تعالى يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة
فانهض إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا
فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب
برايته إليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى إذا دنى من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث

قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا رسول الله ما كنت جهولا ومر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية
ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى
بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها
في ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد صلوة العشاء الآخرة لم يصلوا العصر بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العلماء وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب
ابن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد
يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيما شئتم قالوا وما هي قال
نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دياركم
وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التورية أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهلم
فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى
يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء
قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فإن أبيتم هذه فالليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون
محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا فلعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن
أحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه
حازما ليلة من الدهر قال ثم إنهم بعثوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني
عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه
قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد صلى الله
عليه وسلم قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله
ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال
والله لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد خنت
الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو جاءني لاستغفرت
له فأما إذا فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله أنزل بتوبة أبي لبابة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت
مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى إن شئت
قال فقامت في باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال
فثار الناس إليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه
خارجا إلى الصبح أطلقه قال ثم إن ثعلبة بن سعيد ~~وأسيد بن سعية~~ وأسيد بن عبيد وهم نفر من هذيل ليسوا من بني
قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم

محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن السعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة
في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام فخلى سبيله
فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن
أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة والله أعلم قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب
الأوس وقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول
فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا
بلى قال فذاك إلى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها رفيدة
وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار قد وطؤوا له وسادة من أدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا
معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه
من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى عليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه
فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن
الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل
الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله
تعالى من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بهم خندقا ثم بعث إليهم
فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم أرسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم
وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة إلى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد
وهو يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون
الداعي لا ينزع وأن من يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله
عليه وسلم وأتي بحيي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة
أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما
لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب
وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروي عن عائشة قالت لم تقتل من نساء بني قريظة إلا
امرأة واحدة قالت والله لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم
بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قلت ويلك ما لك قالت أقتل قلت ولم قالت حدثا

أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل
قال الواقدي كان اسم المرأة نباتة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني
قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك وروى محمد بن إسحق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى أبا
عبد الرحمن وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء يوم
بني قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني وهل يجهل مثلي مثلك قال إني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال
إن الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن للزبير عندي يدا وله علي
منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال إن رسول الله عليه
الصلوة والسلام قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ما يصنع بالحيوة فأتى ثابت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني
امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت
ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قلت قتل قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا
وحاميتنا إذا كررنا عزال بن سموأل قلت قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة
قلت قتلوا قال فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا
بصابر لله حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى ألقى الأحبة قال يلقاهم
والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم
أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج الخمس فكان للفارس
ثلاثة أسهم وللفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم فكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا
وكان أول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله عليه الصلوة والسلام سعد بن زيد الأنصاري أخا بني الأشهل
بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع لهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه
من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب
فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت
إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع
نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني بإسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة
فسره ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال
اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش
على رسولك شيئا فأبقني لها وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
وعمر فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله فيهم رحماء بينهم
خ عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا
نحن نسير إليهم ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعز جنده
ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ولا شيء بعده قوله عز وجل **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن**

الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن أي متعة الطلاق وأسرحكن سراحا جميلا
أي من غير ضرار وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما
سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة
وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا
ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت فقمت فناديت على باب المسجد بأعلى صوتي
لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت
أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية
بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤي الفرح في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله تعالى ذلك وقصره عليهن فقال
لا يحل لك النساء من بعد م عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا
ببابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وحوله
نساؤه واجما ساكتا قال المصنف قال فقال لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رأيت
بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي يسألنني
النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها وكلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك حتى بلغ
للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري
أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار
الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني
معنتا ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما أي مهتما والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن
قوله فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة م عن الزهري أن النبي صلى الله عليه
وسلم أقسم أن لا يدخل على نسائه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسعة وعشرون ليلة
أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك
دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر تسع وعشرون

فصل

في حكم الآية اختلف العلماء في هذا
الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه
لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن
بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور وأنه قال لا تعجلي حتى تستشيري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور
وذهب قوم إلى أنه إذا كان تفويض الطلاق ويكون الجواب ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا التفريع على حكم الآية اختلف
أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت

نفسها فواحدة وعند الآخرين يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي
يقع طلقة بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة
وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة
وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر أهل العلم أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء ق عن مسروق قال ما أبالي
خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أفكان طلاقا وفي رواية فاخترناه فلم يعد ذلك علينا شيئا قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن
بفاحشة مبينة أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك لأن ليس منهن من أتت بفاحشة
فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس النشوز وسوء الخلق يضاعف لها العذاب
ضعفين أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وذلك لأن نسبة النبي
صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الرجال كنسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه
بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة وكان ذلك على الله يسيرا أي عذابها ومن يقنت منكن
لله ورسوله أي تطع الله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين أي مثلي أجر غيرها قيل
الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين وأعتدنا
لها رزقا كريما يعني الجنة قوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي
مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي إن اتقيتن يعني الله فأطعنه
فإن الأكرم عند الله هو الأتقى فلا تخضعن بالقول أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن بالكلام فيطمع الذي
في قلبه مرض أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا إلى الطمع
فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن وقلن قولا معروفا
أي يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى قوله عز وجل
وقرن في بيوتكن أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون ولا تبرجن قيل التبرج التكسر
والتغنج والتبختر وقيل إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الأولى قيل الجاهلية الأولى
هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقيل هي زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من
الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان ذلك في زمن نمرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ
فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الأولى فيما بين
نوح وإدريس عليهما السلام وكانت ألف سنة وقيل إن بطنين من ولد آدم عليه السلام كان أحدهما يسكن السهل
والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة
وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل وآجره نفسه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء بصوت
لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوه يستمعون إليه واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة فتتبرج
النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى
أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الأولى وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل
قد يذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى وأقمن الصلوة أي الواجبة وآتين الزكوة أي المفروضة وأطعن
الله ورسوله أي فيما أمر وفيما نهى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت أي الإثم

اي الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى وقيل الرجس الشك وقيل السوء اهل البيت
قيل هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وهو رواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد
وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهما يدل عليه ما روي عن عايشة ام المومنين
قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي
فادخله فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكسا والمرحل بالحاء المنقوش صور الرحال وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال
عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت
وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير انت من ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجللهم بكساء وقال اللهم
هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن انس ابن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلوة الفجر يقول الصلوة يا اهل البيت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقال زيد ابن ارقم اهل البيت
من حرم الصدقة بعده قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
آيات الله يعني القرآن والحكمة قيل هي السنة وقيل هي احكام القرآن ومواعظه ان الله كان لطيفا
اي باوليائه واهل طاعته خبيرا اي بجميع خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك
ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به
انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة الانصارية قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت ما ارى كل شيء الا للرجال وما ارى للنساء يذكرن بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وقيل ان ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال
ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه وتخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الاية وروي ان اسماء بنت عميس
لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر ابن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء
من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسارة قال ومم ذلك
قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكرهن عشر مرات مع الرجال لمدحهن بها
معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد
به امر الله وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله والمومنين والمومنات الثالثة
الطاعة وهو قوله والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال وهو قوله تعالى والصادقين
والصادقات الخامسة الصبر على ما امر الله وفيما ساء وسر وهو قوله تعالى والصابرين والصابرات السادسة
الخشوع في الصلوة وهو ان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله تعالى والخاشعين والخاشعات السابعة
الصدقة مما رزقه الله وهو قوله والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله والصايمين
والصايمات التاسعة العفة وهو قوله والحافظين فروجهم والحافظات العاشرة كثرة الذكر وهو قوله
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم ذاكرا حتى يذكر الله قايما وقاعدا ومضطجعا وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات

وقال عطا ابن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا رسوله ولم
يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمومنين والمومنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل
في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر
على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه
ومن عن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله
والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر ايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في
قوله والصايمين والصايمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات
ومن صلى صلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
اي بمحو ذنوبهم واجرا عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله و
رسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله
ابن جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب
زينب على مولاه زيد ابن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فاعتقه وتبناه
فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت
انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى
وما كان لمومن يعني عبد الله ابن جحش ولا مومنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا يعني نكاح زيد لزينب
ان تكون لهم الخيرة من امرهم الاختيار على ما قضى والمعنى ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن
يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا اي اخطا طريقا ظاهرا فلما سمعت زينب واخوها رضيا وسلما
وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر قوله عز وجل واذ
تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية نزلت في زينب وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا
ذات يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش فوقعت في نفسه واعجبه
حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد والقي في نفسه كراهيتها في الوقت
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال له ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله
ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك
عليك زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام و
انعمت عليه اي بالاعتاق وهو زيد ابن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله اي فيها
ولا تفارقها وتخفي في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك ما الله مبديه اي مظهره وكان في قلبه لو فارقها
تزوجها وقال ابن عباس حبها وقيل وده انه طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم ان يقولوا
امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشيه قال عمر وابن مسعود وعايشة ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عايشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فصل

فان قلت ما ذكره في تفسير هذه الاية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما رآها واراد

طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا قلت
هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته
ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا الباب ما روي
عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك وكان الله سبحانه
وتعالى عز وجل قد أعلمه أنها ستكون زوجته من أزواجه وأن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال إني أريد أن أطلقها قال
أمسك عليك زوجك فعاتبه الله وقال له لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك
وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها
منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك
لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته
وإنما أخفى ذلك استحياء أن يقول لزيد إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وكم من شيء يتحفظ
منه الإنسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان
الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات تعظم أثرها في الدين وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله
عليه وسلم لها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وقال تعالى
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا
بإمساكها قلت هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى
في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك
لأمته وقيل كان في أمره بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون
وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه
من مثل هذه الأشياء وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسانه للحسن ونظرة
الفجأة معفو عنها ما لم يقصد فيها مأثما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله أمسك عليك زوجك
واتق الله فأمر بالمعروف وهو خشية لا إثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه
الصلوة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق
بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجته منها
ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن
زوجة المتبني تحل بعد الدخول زوجناكها قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول
زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم
إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل
عليه السلام م عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال
فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت

ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها
بغير إذن قال فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى
امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل
يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو غيري
قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ق عن أنس قال ما أولم النبي
صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر ما أولم على زينب قال ثابت بما أولم قال
أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه وقوله عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أدعيائهم
جمع دعي وهو المتبنى إذا قضوا منهن وطرا يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم
أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب وكان أمر الله
مفعولا أي كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل الله له من النكاح وغيره سنة الله في الذين خلوا
من قبل معناه سنة الله في الأنبياء وهو أنه لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره
فإنه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية فكذلك
سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان أمر الله قدرا مقدورا
أي قضاء مقضيا أنه لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله تعالى على الأنبياء بقوله الذين يبلغون رسالات الله
أي فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ويخشونه أي يخافونه ولا يخشون أحدا إلا الله
أي لا يخافون قالة الناس ولا لومتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا أي حافظا لأعمال خلقه و
محاسبهم قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب
قال الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى أنه لم يكن
أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح فإن قلت قد كان له أبناء
القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال الحسن إن ابني هذا سيد قلت قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء
لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلده ولكن رسول الله أي إن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى
وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبي بعده
ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون نبيا بعده قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت
له ابنا يكون نبيا بعده وعنه قال إن الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شيء
عليما أي دخل في علمه أن لا نبي بعده فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت قد صح
أن عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا إلى قبلته
كأنه بعض أمته ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا وأحسنه
وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا
اللبنة وأنا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الأنبياء ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما م عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي
لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة والمقفي هو المولى الذاهب يعني آخر الأنبياء

المتبع لهم فاذا فقد فلا نبي بعده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل
على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا
في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال الله تعالى اذكروا الله
ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل الذكر الكثير لا ينساه ابدا **وسبحوه**
معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء **بكرة واصيلا** فيه اشارة
الى المداومة لان ذكر الطرفين يفهم منه الوسط ايضا وقيل معنى صلوا له بكرة واصيلا صلوة الصبح واصيلا يعني صلوة
العصر وقيل صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشا وقيل معنى وسبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها
الطاهر والجنب والحايض والمحدث **هو الذي يصلي عليكم وملائكته** فالصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة
الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلوة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل من عباده والثناء عليه قال انس لما نزلت
ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله تعالى هذه الاية
ليخرجكم من الظلمات الى النور يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور
الايمان **وكان بالمؤمنين رحيما** فيه بشارة لجميع المسلمين والمؤمنين واشارة الى قوله يصلي عليكم
غير مختص بالسامعين وقت الوحي بل هو عام لجميع المسلمين **تحيتهم** يعني تحية المؤمنين **يوم يلقونه** اي يرون الله
يوم القيمة **سلام** اي تسليم الرب تعالى عليهم وسلمهم من جميع الافات وروى عن البرا ابن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه
سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن قال ربك يقريك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم
تبشرهم **واعد لهم اجرا كريما** يعني الجنة قوله تعالى **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا** اي للرسل
بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيمة **ومبشرا** اي لمن امن بالجنة **ونذيرا** اي لمن كذب بالنار **وداعيا**
الى الله اي الى توحيده وطاعته **باذنه** اي بامره **وسراجا منيرا** سماه الله تعالى سراجا منيرا لانه جلى به ظلمات الشرك
واهتدى به الضالون كما يجلي الظلام بالليل بالسراج المنير وقيل معناه امد بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج
نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضي فان قلت سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من
السراج وانور قلت لان نور الشمس لا يمكن ان يوخذ منه شي بخلاف نور السراج فانه يوخذ منه انوار كثيرة **وبشر المؤمنين**
بان لهم من الله فضلا كبيرا اي ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل هو تفضيل
هذه الامة على ساير الامم **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم** قال ابن عباس اصبر على اذيهم وقيل لا تجازيهم عليه
وهذا منسوخ باية القتال **وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** اي حافظا قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا**
اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن ففي الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح
غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق او قال كل امراة انكحها
فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعايشة وبه قال سعيد ابن المسيب وعروة وشريح
وسعيد ابن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطا وسليمان ابن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم
وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم والنخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي
ان عين امراة يقع وان عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم
في الرجل ان يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق والله تعالى يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم
نكحتموهن روى عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا يملك ولا عتق فيما لا يملك

ولا

ولا بيع فيما لا يملك اخرجه ابو داود والترمذي بمعناه خ عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري
في ترجمة باب بغير اسناد عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل النكاح **فما لكم عليهن من عدة**
تعتدونها اي تحصونها بالاقرا والاشهر اجمع العلما انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب
احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق **فمتعوهن** اي اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن
سمى لها صداقا فلها المتعة وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة الاية منسوخة بقوله
فنصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية **و**
سرحوهن سراحا جميلا اي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل **يا ايها النبي**
انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن **وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك**
اي من السبي اي فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم **وبنات عمك وبنات**
عماتك يعني نساء قريش **وبنات خالك وبنات خالاتك** يعني نساء بني زهرة **اللاتي هاجرن**
معك اي الى المدينة فمن لم يهاجر منهن لم يحل له نكاحها عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة للتحليل **وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان**
اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا اي احللنا لك امراة
مؤمنة وهبت نفسها لك من غير صداق فاما غير المؤمنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية بالمهر فذهب
جماعة الى انه لا تحل له لقوله وامراة مؤمنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصايصه صلى الله عليه
وسلم النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين قالوا والزيادة
على اربع ووجوب تخيير النسا واختلفوا بعقد النكاح في لفظ الهبة في حق الامة فذهب اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ
الانكاح والتزويج وهو قول سعيد وابن المسيب والزهري ومجاهد وعطا وقال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي
واهل الكوفة تنعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وذهب
آخرون الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح او التزويج كما في حق ساير الامة لقوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها وكان اختصاصه
في ترك المهر لا في لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امراة منهن فقال
ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده الا امراة بعقد نكاح او ملك
يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الشرط والجزا وقال آخرون بل كانت موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب
بنت خزيمة الانصارية الهلالية ام المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي ابن الحسين والضحاك ومقاتل
هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة ابن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم وقوله تعالى **ما**
فرضنا اي اوجبنا على المؤمنين **عليهم في ازواجهم** اي من الاحكام وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا
بولي وشهود ومهر **وما ملكت ايمانهم** اي ما اوجبنا من الاحكام في ملك اليمين **لكيلا يكون عليك حرج**
وهذا يرجع الى اول الاية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكيلا يكون عليك ضيق **وكان الله**
غفورا اي للواقع في الحرج **رحيما** اي للتوسعة على عباده قوله تعالى **ترجي** اي تؤخر **من تشاء منهن وتؤوي اليك**
اي تضم اليك **من تشاء** قيل هذا في القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الاية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض امهات المؤمنين على النبي

صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا
فارقها ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المؤمنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي اليه من يشاء منهن ويرجي من يشاء
فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض او فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل
كيف يشاء وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا في انه هل اخرج احدا منهن عن القسم
فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها
رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة وقيل اخرج بعضهن وروي عن ابي رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان
يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى اليه عايشة وحفصة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن
ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء
امتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها ق عن عروة قال
كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها
للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك **ومن ابتغيت ممن عزلت**
اي طلبت ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن عن القسمة **فلا جناح عليك** اي لا اثم عليك فاباح الله
له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها ويطا من يشاء منهن في غير نوبتها ويرد الى فراشه من عزل
عزلها منهن تفضيلا له على ساير الرجال **ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن** اي ذلك التخيير الذي خيرتك
في صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ذلك من الله تعالى **ويرضين بما اتيتهن**
اي اعطيتهن **كلهن** من تقريب وارجاء وعزل وايواء **والله يعلم ما في قلوبكم** من امر النساء والميل
الى بعضهن **وكان الله عليما** اي بما في ضمايركم **حليما** اي عنكم قوله تعالى **لا يحل لك النساء من بعد** اي من
بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خيرهن اخترن الله ورسوله شكر الله لهن
ذلك وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس واختلفوا هل ابيح له
النساء بعد ذلك فروي عن عايشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وللنسايي عنها حتى احل له ان يتزوج من النساء ما شاء الله وقال انس مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم على التحريم وقيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه
عن ذلك قيل له قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما احل له ضروبا من النساء فقال تعالى يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النساء من بعد وقيل معنى الاية لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد
المسلمات **ولا ان تبدل بهن من ازواج** اي بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكون امهات المؤمنين
يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت
العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي فانزل الله تعالى
ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته فحرم الله ذلك الا ما
ملكت يمينك اي لا باس ان تبادل بجاريتك ما شئت فاما الحراير فلا **ولو اعجبك حسنهن** يعني ليس لك
ان تطلق احدا من نسايك وتنكح بدلها ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي
طالب فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك **الا ما ملكت يمينك**

تعالى

قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية **وكان الله على كل شيء رقيبا** اي حافظا وفي الاية دليل على جواز النظر الى
من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم امراة
فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج
امراة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا قال الحميدي هو الصغر
عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة من الانصار فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال انظر اليها
فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم** الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب بنت جحش
حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة قال فكانت امهاتي تواظبني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي
رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى
النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا
دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عتبة عايشة
وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب
زاد في رواية قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام الى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عايشة ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم
كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امراة
طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء
الحاجة من البول والغايط والصعيد وجه الارض والافيح الواسع ق عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث
قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على
نسايك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمعت نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة
فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وقال ابن عباس انها نزلت في ناس من المسلمين
كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك فياكلون ولا يخرجون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم يعني
الا ان تدعوا **الى طعام** فيؤذن لكم فتاكلونه **غير ناظرين اناه** غير منتظرين نضجه ووقت ادراكه
ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اي اكلتم الطعام **فانتشروا** اي فاخرجوا من منزله وتفرقوا
ولا مستانسين لحديث اي لا تطلبوا الجلوس ليستانس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون
فنهوا عن ذلك **ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم** اي فيستحيي من اخراجكم **والله لا يستحيي من الحق**
اي لا يترك تاديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه
ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وقال حسبك من الثقلاء ان الله لم يحتملهم **واذا سالتموهن
متاعا** اي واذا سالتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة **فاسالوهن من وراء حجاب** اي من وراء

ستر فهذه آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ذلكم
أطهر لقلوبكم وقلوبهن أي من الريب وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء
ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنكحن عائشة قيل هو
طلحة بن عبيد الله فأخبر الله تعالى أن ذلك محرم حرام وقال إن ذلكم كان عند الله عظيما أي ذنبا عظيما وهذا من إعلام
تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستغزر شكره
فإن من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده إن تبدوا شيئا أي من أمر نكاحهن على
ألسنتكم أو تخفوه أي في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما أي يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن أضمر
نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه
الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا يا رسول الله نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله عز وجل
لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن
أي لا إثم عليهن في ترك الحجاب عن هؤلاء الأصناف من الأقارب ولا نسائهن قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز
للكتابيات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام في المسلمات والكتابيات وإنما قال ولا نسائهن
لأنهن من أجناسهن ولا ما ملكت أيمانهن اختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم
يكون محرما لها لقوله تعالى ولا ما ملكت أيمانهن وقال قوم العبد كالأجانب والمراد من الآية الإماء دون العبيد واتقين
الله أي أن يراكن أحد غير هؤلاء إن الله كان على كل شيء من أعمال العباد شهيدا قوله عز وجل إن الله
وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس أراد أن يرحم النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة يدعون له وعنه أيضا
يصلون يتبركون وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وصلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند ملائكته
وصلاة الملائكة الدعاء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما
أي حيوه بتحية الإسلام قال

فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها

اتفق العلماء
على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد
الأخير وهو مذهب الشافعي وأحد الروايتين عن أحمد وقيل تجب في كل ما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من
الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا
أهدي لك هدية إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ق عن أبي حميد الساعدي
قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم
وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد م عن ابن مسعود البدري قال أتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا أن نصلي عليك يا رسول الله
فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك
حميد مجيد والسلام كما قد علمتم م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله
عليه بها عشرا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر
وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات أخرجه النسائي وله عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا إنا لنرى البشرى في وجهك فقال إنه أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك

أنه لا يصلي عليك أحد صلاة واحدة إلا صليت عليه بها عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا وله عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام عن ابن مسعود
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح غريب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا
أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد
مجيد أخرجه أبو داود وقوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد
لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا
إن الله فقير وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والأصنام
شركاؤه خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني
ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه
إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث أنه
كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم أن الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى
أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في
أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاوير ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى
ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة وقيل يؤذون الله أي يؤذون أولياءه كما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لأن الله تعالى
منزه عن أن يلحقه أذى من أحد وأما إيذاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر
معلم مجنون والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي من غير أن عملوا ما أوجب
أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا قيل نزلت في علي بن أبي طالب
كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء
إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة فإن سكتت اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون
إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والأمة في درع وخمار فشكوا ذلك
إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر
أن يتشبهن بالإماء فقال تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
أي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار
وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب
إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي لا يتعرض لهن وكان الله
غفورا رحيما لما سلف منهن قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع أتتشبهين بالحرائر
ألقي القناع لكاع كلمة يقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون أي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض أي فجور وهم الزناة

والمرجفون في المدينة اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون
في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتيكم العدو ونحو ذلك من الاراجيف وقيل كانوا يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا ويفشوا الاخبار لنغرينك بهم اى لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا اى لا يساكنونك في المدينة الا قليلا اى حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم
المدينة ملعونين اى مطرودين اينما ثقفوا اى وجدوا وادركوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اى الحكم فيهم
على هذا الامر به سنة الله اى كسنة الله في الذين خلوا من قبل اى في المنافقين والذين فعلوا مثل
فعل هولاء ان يقتلوا حيث ما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل يسئلك الناس عن
الساعة قيل ان المشركين كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزو
وكان اليهود يسئلونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التورية فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما علمها عند الله يعنى ان الله تعالى قد استاثر به ولم يطلع عليه ملكا ولا نبيا
وما يدريك اى اى شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها لعل الساعة تكون قريبا اى انها
قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتحنين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار اى تقلب ظهرا
لبطن حين يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول اى في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبرانا يعنى رؤساء الكفار الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فاضلونا السبيل يعنى
عن سبيل الهدى ربنا اتهم يعنون السادة والكبراء ضعفين من العذاب يعنى ضعفى عذاب غيرهم والعنهم
لعنا كبيرا اى لعنا متتابعا قوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا
اى فطهره الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اى كريما ذا جاه وقدر وقال ابن عباس كان حظيا عند الله
لا يسئل الله شيئا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما اوذى به موسى فروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنوا اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام
يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه
فجمح موسى باثره يقول ثوبي حجر حتى نظرت بنوا اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه
قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخارى ومسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جسده شيئا استحياء منه فاذاه من اذاه
من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما افة وان الله اراد ان يبرئه مما
قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه لياخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى
العصاة وطلب الحجر وجعل يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بنى اسرائيل فراوه عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون
وقام الحجر فاخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر ندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم الخصية
لنفخة فيها وقوله فجمح اى اسرع وقوله ثوبي حجر اى دع ثوبي يا حجر وقوله وطفق اى جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون
والدال وهو الاصح واصله اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه ندبا بسكون الدال وقيل
في معنى الاية انهم اذاهم اياه انه لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى مروا به على بنى اسرائيل
فعرفوا انه لم يقتله فبراه الله مما قالوا وقيل ان قارون استاجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على راس الملاء فعصمها الله

ولعنا كبيرا

وبرى

وبرى موسى من ذلك واهلك قارون ق عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة
فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصين مثل ذلك واعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم في القسمة فقال رجل
والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته
فاخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال رحم الله موسى قد اوذى باكثر من
هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر يصبغ به الاديم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم قال ابن عباس
يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اى ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة
والفرائض التى فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم
وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين
والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا كله الودايع وقيل جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هو الصوم وغسل
الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال هذه الامانة استودعكها
فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفى رواية عن ابن
عباس هى امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا في كثير
فعرض الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف فقال لهن اتحملن
هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا ربنا نحن مسخرات لامرك لا نريد
ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض
عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله تعالى مطيعة لامره ساجدة له
قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الخطاب واجبن بما اجبن وقيل المراد من العرض
على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها والقول الاول اصح وهو قول العلماء فابين ان يحملنها
واشفقن منها اى خفن من الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعنى ادم قال الله
عز وجل لادم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال
ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم فقال بين اذنى وعاتقى قال الله تعالى اما اذا تحملت فساعينك
واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان لا تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلقا فاذا
خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان يخرج
من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر وقيل انما كلف الانسان حمله ما بلغ من عظمة الله وثقل محمله انه عرض
على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله واشفق منه وحملها الانسان
على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وما تحمل
من الامانة وقيل ظلوما حين عصى ربه جهولا اى لا يدرى ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة
ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانتها وقيل في تفسير الاية قول اخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال
على شيء وائتمن ادم واولاده على شيء فاما الامانة في حق الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله فابين
ان يحملنها اى ادين الامانة ولم يخن فيها واما الامانة في حق بنى ادم هو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرايض وقوله و
حملها الانسان اى خان فيها وعلى هذا القول حكى عن الحسن انه قال الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا

امانة مستى عقلين

فيها والقول الأول هو قول السلف وهو الأولى

فصل

في الأمانة ق عن حذيفة ابن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم قال حدثنا عن رفع الأمانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا قوله نزلت في جذر قلوب الرجال الجذر الشيء أصله والوكت الأثر اليسير كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أثر العمل وقيل إنما هي النفطات في الجلد وقد فسره الحديث والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء خ عن أبي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أي بما خانوا الأمانة ونقضوا العهد ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة وقيل عرضنا الأمانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة وإن حصل منه تقصير في بعض الطاعات وكان الله غفورا رحيما والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة سبأ

مكية وهي أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنا عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض معناه أن كل نعمة فمن الله فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الأرض أي ملكا وخلقا وله الحمد في الآخرة أي كما هو له في الدنيا لأن النعم في الدارين كلها منه فكما أنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس وهو الحكيم أي الذي أحكم أمور الدين الخبير أي بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج في الأرض أي من المطر والكنوز والأموات وما يخرج منها أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والأموات إذا بعثوا وما ينزل من السماء أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة وما يعرج فيها أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد وهو الرحيم الغفور أي للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة معناه أنهم أنكروا البعث وقيل استبطؤوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية قل بلى وربي لتأتينكم يعني الساعة عالم الغيب لا يفوت علمه شيء من الخفيات وإذا كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وأنها آتية لا يعزب عنه أي لا يغيب عنه مثقال ذرة أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك أي من الذرة ولا أكبر إلا في كتاب مبين أي في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة أي لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في آياتنا أي في إبطال أدلتنا معاجزين

أي

أي يحسبون أنهم يفوتوننا أولئك لهم عذاب من رجز أليم قيل الرجز سوء العذاب ويرى الذين أوتوا العلم يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي أنزل إليك من ربك يعني القرآن هو الحق يعني أنه من عند الله ويهدي يعني القرآن إلى صراط العزيز الحميد أي إلى دين الإسلام وقال الذين كفروا يعني المنكرين للبعث المتعجبين منه هل ندلكم أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب وهو أنكم إذا مزقتم كل ممزق أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا إنكم لفي خلق جديد أي يقول إنكم تبعثون وتنشؤون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا أفترى على الله كذبا أي هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنة أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل الذين لا يؤمنون بالآخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد أي من الحق في الدنيا أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أي فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن سمائي وأرضي محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم إن نشأ نخسف بهم الأرض أي كما خسفنا بقارون أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي كما فعلنا بأصحاب الأيكة إن في ذلك أي فيما ترون من السماء والأرض لآية أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت لكل عبد منيب أي تائب راجع إلى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد آتينا داود منا فضلا يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما أوتي من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به يا جبال أوبي معه أي وقلنا يا جبال سبحي معه إذا سبح وقيل رجعي معه إذا رجع ونوحي إذا ناح والطير أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود إذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال وعكفت عليه الطير من فوقه وقيل كان الطير إذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له وألنا له الحديد يعني كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب نزول ذلك أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكرا فإذا رأى إنسانا لا يعرفه تقدم عليه ويسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود وإليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم إليه على عادته وسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدرع وإنه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فيأكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا يأكل إلا من عمل يده أن اعمل سابغات أي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الأرض قيل كان يعمل كل يوم درعا وقدر في السرد أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل في السرد أي اجعله على القصد وقدر الحاجة واعملوا صالحا يريد داود وآله إني بما تعملون بصير قوله تعالى ولسليمان الريح أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر معناه مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل إنه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند وأسلنا له عين القطر أي أذبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه أي بأمر ربه

قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم بطاعته فيما يامرهم به **ومن يزغ** اى يعدل **منهم** اى من الجن **عن امرنا** اى الذى
امرنا به من طاعة سليمان **نذقه من عذاب السعير** قيل هذه فى الآخرة وقيل هذا فى الدنيا وقيل ان الله تعالى وكل بهم
ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته قوله عز وجل **يعملون له ما يشاء
من محاريب** اى مساجد وقيل هى الابنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت
المقدس وذلك ان داود ابتداه ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه سليمان
اقضى اتمامه على يديه فلما توفى داود استخلف سليمان لحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل
طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح
وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدا فى بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من اماكنها ومنهم من ياتيه
بالمسك والعنبر والطيب من اماكنه فاتى بشىء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار وتصييرها
الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقب اليواقيت واللآلى فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور
الصافى وسقفه بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلى واليواقيت وسائر الجواهر وبسط ارضه بالواح الفيروزج
فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد فكان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه
جمع اليه احبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شىء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيدا روى عبد الله بن
عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل حكما يوافق حكمه
فاوتيه وسال الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسال الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه
الا الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اخرجه النسائى ولغير النسائى سال ربه ثلاثا فاعطاه اثنتين
وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه اى لا ينهضه الا الصلوة فيه قالوا فلم يزل بيت المقدس
على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر الجواهر وحمله
الى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخور قوله عز وجل **وتماثيل**
اى ويعملون له تماثيل اى صورا من نحاس ورخام وزجاج وقيل كانوا يصورون السباع والطيور وغيره وقيل كانوا
يصورون صور الملائكة والانبياء والصالحين فى المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة وقيل يحتمل ان اتخاذ الصور
كان مباحا فى شريعتهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرايع لانه ليس من الامور القبيحة فى العقل كالقتل والظلم والكذب
ونحوه مما يقبح فى كل الشرايع وقيل عملوا له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما
واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له كالطواويس والعقبان والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه
لكى يهابه من اراد الدنو منه **وجفان** اى قصاع **كالجواب** اى كالحياض التى يجبى فيها الماء اى يجمع قيل كان يقعد
فى الجفنة الواحدة الف رجل ياكلون منها **وقدور راسيات** اى ثابتات قيل كان اثافيها منها لا يتحركن ولا
يبرحن عن اماكنهن لعظمهن ولا يعطلن وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن **اعملوا آل داود شكرا**
اى وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكرا على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل آل داود سليمان واهل بيته
قال ثابت البنانى كان داود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتى ساعة من ليل ولا نهار
الا وانسان من آل داود قائم يصلى **وقليل من عبادى الشكور** اى قليل العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قوله
تعالى **فلما قضينا عليه الموت** اى على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة
والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله فى المرة التى مات فيها وكان

سبب

سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول ولاى شىء
خلقت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت لغرس امر بها فغرست وان كان لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة
فقال لها ما انت قالت انا الخروبة قال ولاى شىء خلقت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حى انت
التى على وجهها هلاكى وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم
الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء ويعلمون ما فى غد ثم دخل المحراب وقام
يصلى على عادته متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الاعمال
الشاقة التى كانوا يعملونها فى حيوة سليمان وينظرون اليه يحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى
الناس لطول صلوته وانقطاعه قبل ذلك فمكثوا يدابون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصى سليمان
فخر ميتا فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين الى جوف الخشب فذلك قوله
تعالى **ما دلهم على موته الا دابة الارض** يعنى الارضة **تاكل منساته** قال البخارى يعنى عصاه
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين معناه
علمت الجن وايقنت انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت ويظنونه
حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل فى معنى الآية انه ظهر امر الجن
وانكشف للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر اهل التاريخ ان سليمان ملك وهو
ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى الملك مدة اربعين سنة وشرع فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه
وتوفى وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل **لقد كان لسبا فى مسكنهم آية** عن فروة بن مسيك
المرادى قال وانزل فى سبا ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا امراة ولكنه
رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما
الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم
وبجيلة اخرجه الترمذى مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان فى مساكنهم اى بمارب
من ارض اليمن آية اى دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى **جنتان** اى هم بستانان **عن يمين
وشمال** اى عن يمين الوادى وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله قيل كان لهم واد قد احاطت به الجنتان
كلوا اى قيل لهم كلوا **من رزق ربكم** اى من ثمار الجنتين قيل كانت المراة تحمل مكتلها على راسها وتمر على الجنتين
فيمتلى المكتل من انواع الفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا **واشكروا له** اى على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته
بلدة طيبة اى ارض مارب وهى سبا بلدة طيبة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى فى بلدتهم بعوضة ولا ذباب
ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفى ثيابه القمل فيموت القمل من طيب الهوى **ورب غفور**
اى وربكم ان شكرتم على ما رزقكم رب غفور لمن شكره قوله تعالى **فاعرضوا** قال وهب ارسل الله تعالى اليهم ثلاثة
عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله تعالى علينا من نعمة
فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة علينا ان استطاع فذلك اعراضهم **فارسلنا عليهم سيل العرم** اى الذى
لا يطاق وقيل كان ماء احمر ارسله الله عليهم من حيث شاء وقيل العرم المسناة الذى يحبس الماء وقيل العرم الوادى قال ابن عباس
ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار
بين الجبلين وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض وبنت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة انهارهم
يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا عنه سدوها فاذا جاءهم المطر اجتمع اليهم ماء اودية اليمن فاحتبس

السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا اسلط
الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء جناتهم وخرب ارضهم قال وهب فيما يزعمون ويجدون
في علمهم ان يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى بهم من التغريق
اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت
عندها فتغلغلت في السد وحفرت حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى اقلع
السد وفاض الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا امثالا عند العرب يقولون ذهبوا ايدي
سبا وتفرقوا ايادي سبا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم **وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط** قيل هو شجر الاراك وثمرة البرير وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقيل
هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به **واثل** قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء الا انه
اعظم منه **وشيء من سدر قليل** هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما
ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وهو قوله
تعالى **ذلك جزيناهم بما كفروا** اي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم **وهل نجازي الا الكفور**
اي هل يكافى بعمله الا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يكافى بسيئاته **وجعلنا بينهم و
بين القرى التي باركنا فيها** اي بالماء والشجر وهي قرى الشام **قرى ظاهرة** اي متواصلة
تظهر الثانية من الاولى لقربها منها وقيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون
الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام **وقدرنا
فيها السير** اي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم
وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك **سيروا** اي وقلنا لهم سيروا **فيها ليالي واياما**
اي في اي وقت شئتم **آمنين** اي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم
يصبروا على العافية وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه وطلبوا الكد والتعب في الاسفار
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ بعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب فيها الرواحل
ونتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة **وظلموا انفسهم** اي بالبطر والطغيان **فجعلناهم
احاديث** اي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم **ومزقناهم كل ممزق** اي فرقناهم في كل وجه من البلاد
كل التفريق فلما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس
والخزرج الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ولحق آل جذيمة بالعراق **ان في
ذلك لآيات** اي لعبرا ودلالات **لكل صبار** اي عن المعاصي **شكور** اي لله على نعمه قيل المؤمن صبور على البلاء
شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله عز وجل **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه**
قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم **فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين** قال ابن عباس يعني المؤمنين كلهم
لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقيل هو خاص في المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله ولا يعصونه قال ابن قتيبة ان ابليس
لما سأل الله تعالى النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم
يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم
بسوط وانما وعدهم ومناهم فاغتروا **وما كان له عليهم من سلطان** اي ما كان تسليطنا اياه عليهم

الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي لنرى ونميز المؤمن من الكافر واراد علم الوقوع والظهور
اذ كان معلوما عنده لانه عالم الغيب **وربك على كل شيء حفيظ** اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى
قل اي يا محمد لكفار مكة **ادعوا الذين زعمتم** انهم آلهة **من دون الله** والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم
الضر الذي نزل بكم من سني الجوع ثم وصف عجز الآلهة فقال **لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض** يعني من خير وشر ونفع وضر **وما لهم** اي الآلهة **فيهما** اي في السموات والارض **من شرك** اي شركة **وما له**
اي لله **منهم** اي من الآلهة **من ظهير** اي عون **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له**
اي اذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله
ان يشفع له **حتى اذا فزع عن قلوبهم** معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب ذلك من غشية
تصيبهم عند سماع كلام الله خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء
ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم **قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير**
وللترمذي اذا قضى الله امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه صلصلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد
والمطمئن الصفوان الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كجر
السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل
ماذا قال ربكم فيقول الحق اخرجه ابو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وقيل انما يفزعون
حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة سنة او ستمائة سنة لم تسمع
الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما
سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا
مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول
بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وذلك
اذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحجة عليهم قالوا الحق
فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير اي ذو العلو والكبرياء قوله عز وجل **قل من يرزقكم من
السموات والارض** يعني المطر والنبات **قل الله** يعني ان لم يقولوا ان رازقنا هو الله فقل انت
ان رازقكم هو الله **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** معناه ما نحن وانتم على امر واحد بل
احد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس هو على طريق الشك بل على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول القائل
احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال
فكذبهم من غير ان يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان رضي الله عنه ؞ اتهجوه ولست له بكفء ؞ فشركما لخيركما الفداء
وقيل او بمعنى الواو ومعنى الآية انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين **قل لا تسألون عما اجرمنا** اي لا تؤاخذون
ولا نسأل عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل
الكفر والمعاصي العظام **قل يجمع بيننا ربنا** يعني يوم القيامة **ثم يفتح** اي يقضي ويحكم **بيننا بالحق**
اي بالعدل **وهو الفتاح** اي القاضي **العليم** اي بما يقضي **قل اروني** اي اعلموني **الذين الحقتم به** اي بالله
شركاء يعني الاصنام معه في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء
بالله **كلا** كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون **بل هو الله العزيز** اي الغالب

ويقولون الحق الحق صح

على امره الحكيم اى فى تدبير خلقه فانى يكون له شريك فى ملكه قوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس
اى للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم وعربيهم وعجميهم وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد ق عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى ادركته الصلوة فليصل واحلت لى الغنايم
ولم تحل لاحد قبلى واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فى الحديث بيان الفضايل
التى خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم دون ساير الانبياء وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبياء
وفيه اختصاصه بالرسالة العامة الى كافة الخلق الانس والجن وكان النبى قبله يبعث الى قومه او الى اهل بلده فعمت
رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون ساير الانبياء وقيل فى معنى كافة اى
كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الها للمبالغة بشيرا اى لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
يعنى يوم القيمة قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون معناه
لا يتقدمون على يوم القيمة وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون بان يزاد فى اجالكم او ينقص منه وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه يعنى التورية والانجيل ولو ترى اى يا محمد
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى فى الآخرة موقفهم وهم
يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرايت العجب يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع
للذين استكبروا وهم القادة والاشراف لولا انتم لكنا مؤمنين اى انتم منعتمونا عن الايمان
بالله ورسوله قال الذين استكبروا اى اجابوا المتبوعين فى الكفر للذين استضعفوا انحن صددناكم
اى منعناكم عن الهدى اى عن الايمان بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اى بترك الايمان وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اى مكركم بنا فى الليل والنهار وهو طول السلامة وطول
الامل فيهما اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اى هو قول القادة للاتباع ان ديننا حق وان
محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار اذ تصير طاعة بعضهم لبعض فى الدنيا سبب عداوتهم فى الآخرة واسروا
الندامة اى اظهروها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال فى اعناق
الذين كفروا اى فى النار الاتباع والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى من الكفر والمعاصى
فى الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها اى رؤساؤها واغنياؤها انا بما ارسلتم به
كافرون وقالوا يعنى المترفين والاغنياء للفقراء الذين آمنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعنى لو لم يكن
الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اى ان الله
قد احسن الينا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخرة قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يعنى انه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضى الله تعالى ولا التضييق على سخطه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اى انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى اى بالتى
تقربكم عندنا تقريبا الا اى لكن من آمن وعمل صالحا قال ابن عباس يريد وعمله يقربه منى فاولئك لهم
جزاء الضعف بما عملوا اى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة الى عشر الى سبعماية وهم فى الغرفات
آمنون والذين يسعون فى آياتنا اى يعملون فى ابطال حججنا معاجزين اى معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا
اولئك فى العذاب محضرون قوله عز وجل قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له

مترفوها

ايماننا

وما

وما انفقتم من شىء فهو يخلفه اى يعطى خلفه اذا كان فى غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه
اما عاجلا بالمال او بالقناعة التى هى كنز لا ينفد واما الثواب فى الآخرة الذى كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم
من صدقة وانفقتم فى خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق
مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر ولا يتاولن
وما انفقتم من شىء فهو يخلفه فان هذا فى الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه ق عن ابى هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن آدم انفق انفق عليك ق عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما
زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله تعالى الا رفعه الله وهو خير الرازقين اى خير من يعطى
ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق مملوكه او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله
اجراه الله على ايدى هؤلاء وهو الرزاق الحقيقى الذى لا رازق سواه وقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا
يعنى هؤلاء الكفار ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اى فى الدنيا وهذا استفهام
تقرير وتقريع للكفار فتبرا منهم الملائكة من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اى تنزيها لك
انت ولينا من دونهم اى نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا
بعبادتهم لهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون يعنى الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة
فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن قلت اراد ان الشياطين زينوا عبادة الملائكة فاطاعوهم
فى ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون فى اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون اى يصدقون الشياطين قال الله تعالى
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اى بالشفاعة ولا ضرا اى بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم
ولا ضر ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا
افك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم
يعنى هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها اى يقرؤونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
اى لم يات العرب قبلك نبى ولا انزل عليهم كتابا وكذب الذين من قبلهم اى من الامم السالفة رسلنا
وما بلغوا يعنى هؤلاء المشركين معشار اى عشر ما آتيناهم اى اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول
الاعمار فكذبوا رسلى فكيف كان نكير اى انكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية
قوله عز وجل قل انما اعظكم اى آمركم واوصيكم بواحدة اى بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال
ان تقوموا لله اى لاجل الله مثنى اى اثنين اثنين وفرادى اى واحدا واحدا ثم تتفكروا اى تجتمعون
جميعا فتنظرون وتتحاورون وتتفكرون فى حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلمون ان ما بصاحبكم من جنة
ومعنى الآية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهى ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على
القدمين ولكن هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله
عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه نظر متصادقين
متصادقين لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر فى نفسه ايضا بعدل ونصفة هل راينا فى هذا الرجل جنونا

قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم
حلما واحدهم ذهنا واثبتهم رايا واصدقهم قولا وازكيهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا علمتم
ذلك كفاكم ان تطالبوه باية فاذا جاء بها تبين انه نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اى
في السموات والارض فتعلموا ان خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد قل ما سألتكم اى على تبليغ الرسالة من اجر اى جعل فهو لكم اى لم اسالكم شيئا
ان اجري اى ثوابي الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اى بالوحي من السماء
فيقذفه الى الانبياء علام الغيوب اى خفيات الامور قل جاء الحق اى القرآن والاسلام وما يبدئ الباطل
وما يعيد اى ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدئ شيئا او يعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا ابتداء
ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون
له انك قد ضللت حين تركت دين ابائك فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسي اى اثم ضلالي على
نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي اى من القرآن والحكمة انه سميع قريب قوله عز وجل
ولو ترى اى يا محمد اذ فزعوا اى عند البعث حين يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا فوت اى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم
واخذوا من مكان قريب قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه
ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الاية ولو ترى اذ فزعوا لرايت
امرا تعتبر به وقالوا امنا به اى حين عاينوا العذاب قيل هو عند الياس وقيل هو عند البعث وانى لهم التناوش
اى التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه وقال ابن عباس
يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اى من الاخرة الى الدنيا وقد كفروا به من قبل
اى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يعاينوا العذاب واهوال يوم القيمة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد
قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا
يعلمون ويقولون انه شاعر كاهن ساحر لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم
وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها وزهرتها كما فعل باشياعهم اى بنظرائهم
ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل اى لم يقبل منهم التوبة والايمان في وقت الياس انهم كانوا في شك
اى من البعث ونزول العذاب بهم مريب اى موقع الريبة والتهمة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة

وهي مكية وهي خمس واربعون اية وتسعماية وسبعون كلمة وثلاثة الاف وماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض اى خالقها ومبدعها على غير مثال سبق جاعل الملائكة رسلا
اى الى الانبياء اولي اجنحة اى ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة
اجنحة وبعضهم له اربعة اجنحة يزيد في الخلق ما يشاء اى يزيد في خلق الاجنحة ما يشاء قال ابن مسعود في قوله
لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل على صورته له ستماية جناح وقيل في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن
الصوت وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ان الله على كل شيء قدير
اى مما يريد ان يخلقه قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة قيل هو المطر وقيل من خير ورزق فلا ممسك
لها اى لا يستطيع احد على حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى لا يقدر احد على فتح ما امسك

وهو العزيز الحكيم اى فيما امسك الحكيم اى فيما ارسل ق عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول في دبر كل صلوة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد الغنى والبخت اى لا ينفع المبخوت والغني حظه وغناه لانهما منك
انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم قيل الخطاب
لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم هل من خالق غير الله اى لا خالق الا الله
وهو استفهام تقرير وتوبيخ يرزقكم من السماء يعني المطر والارض اى النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون
اى من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم والى الله ترجع الامور اى فيجزي المكذب
من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني وعد القيمة فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا اى لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
اى لا يقول لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا اى عادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه فيما يامركم به من الكفر والمعاصي
انما يدعو حزبه اى اشياعه واولياءه ليكونوا من اصحاب السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال
تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في اصحاب
الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم
لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله فراه حسنا
وفي الاية حذف مجازه افمن زين له سوء عمله فراه الباطل حقا كمن هداه الله فراى الحق حقا والباطل باطلا
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل مجاز الاية افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ان الله
عليم بما يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
اى تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به فسقناه اى فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
كذلك النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات روى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت
نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك اية في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قيل معناه
من كان يريد ان يعلم لمن العزة فالعزة لله جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى وهو دعاء الى
طاعة من له العزة اى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله
تعالى ان لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه والمؤمنين اليه اى الى الله يصعد الكلم الطيب قيل هو قول لا اله
الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم
حديثا انباتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن
حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله تعالى قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على
ابن مسعود وفي اسناده الحجاج ابن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد اى يقبل الله الكلم

الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس اى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح
اداء الفرائض فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته
الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفى الحديث لا يقبل الله تعالى قولا الا بعمل ولا قولا ولا عملا الا بنية وقيل الهاء
فى يرفعه راجعة الى العمل الصالح اى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل الا ان يكون صادرا عن توحيد
وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيئات
اى يعملون السيئات يعنى الشرك وقيل يعنى الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وقيل هم اصحاب الريا
لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور اى يبطل ويهلك فى الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم
من تراب يعنى آدم ثم من نطفة يعنى ذريته ثم جعلكم ازواجا يعنى اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم
ببعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اى لا يطول عمر احد ولا ينقص من عمره
اى عمر آخر وقيل ينصرف الى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب فى ام الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك
ذهب يوم ذهب يومان حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا فى كتاب قال كعب الاحبار
حين حضر عمر الوفاة والله لو دعى الله عمر ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان الله تعالى يقول فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وقرأ هذه الاية الا فى كتاب
يعنى اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اى كتابة الاجال والاعمال على الله هين قوله تعالى وما
يستوى البحران يعنى العذب والملح ثم وصفهما فقال هذا عذب فرات اى طيب يكسر العطش سائغ
شرابه اى سهل فى الحلق هنىء مرىء وهذا ملح اجاج اى شديد الملوحة يحرق الحلق بملوحته وقيل هو المر
ومن كل يعنى من البحرين تاكلون لحما طريا يعنى السمك وتستخرجون اى من الملح دون العذب
حلية تلبسونها يعنى اللؤلؤ والمرجان وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون فى البحر الملح عيون عذبة فتمتزج
بالملح فيكون اللؤلؤ منهما وترى الفلك فيه مواخر اى جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا
من فضله اى بالتجارة ولعلكم تشكرون اى تشكرون الله على نعمته يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين
تدعون من دونه اى الاصنام ما يملكون من قطمير اى هو لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة التى تكون على النواة
ان تدعوهم يعنى الاصنام لا يسمعوا دعاءكم يعنى انهم جماد ولو سمعوا اى على سبيل الفرض والتمثيل
ما استجابوا لكم اى ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم اى يتبرؤن
منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبئك مثل خبير يعنى نفسه اى لا ينبئك احد مثلى لانى عالم بالاشياء
قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اى الى فضله واحسانه والفقير المحتاج الى من سواه والخلق
كلهم محتاجون الى الله فهم فقراء والله هو الغنى اى عن خلقه لا يحتاج اليهم الحميد اى المحمود فى احسانه
اليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه ان يشأ يذهبكم اى لاتخاذكم اندادا وكفركم باياته ويأت
بخلق جديد اى بخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا وما ذلك على الله بعزيز اى بممتنع ولا تزر
وازرة وزر اخرى يعنى كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤاخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع
بين هذه الاية وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية فى الضالين وتلك فى المضلين
انهم يحملون اوزار من ضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله من كسبهم وان تدع مثقلة الى حملها

معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى اى ولو كان
المدعو ذا قرابة له كالاب والام والابن والاخ قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا
استطيع حسبى ما على انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخافون ربهم اى لم يروه والمعنى وانما ينفع انذارى
الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى اى اصلح وعمل خيرا فانما يتزكى لنفسه اى لها ثوابه
والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير اى الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير الهدى
وهو المؤمن ولا الظلمات ولا النور يعنى الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعنى الجنة والنار وقال ابن عباس
الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوى الاحياء ولا الاموات يعنى المؤمنين والكفار
وقيل العلماء والجهال ان الله يسمع من يشاء يعنى حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من فى القبور يعنى الكفار شبههم
بالاموات فى القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اى ما انت الا منذر تخوفهم بالنار انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر وان من امة اى من جماعة كبيرة فيما
مضى الا خلا اى سلف فيها نذير اى نبى منذر فان قلت كم من امة فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه
السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية الى يوم القيمة لانه لا نبى بعده وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الدالة على نبوتهم وبالزبر
اى الصحف وبالكتاب المنير اى الواضح قيل اراد بالكتاب التورية والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تاكيدا
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السماء ماء يعنى المطر
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعنى اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها
وقيل يعنى الوانها فى الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعنى
الخطط والطرائق فى الجبال مختلف الوانها يعنى منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو اصفر و
غرابيب سود اى شديدة السواد كما يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه اى خلق مختلف الوانه كذلك اى كاختلاف الغراب والجبال وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال
انما يخشى الله من عباده العلماء قال ابن عباس انما يخافنى من خلقى من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا
قدره واخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية ق عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم اثنى فقال ما بال اقوام يتنزهون
عن الشىء اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه اى تباعد
عنه وكرهه قوم ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو
البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى
افتنى ايها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع
ابن انس من لم يخش الله فليس بعالم ان الله عزيز اى فى ملكه غفور اى لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه
المثيب المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب الله يعنى داوموا
على قراءته ويعملون به واقاموا الصلوة اى ويقيمون الصلوة فى اوقاتها وانفقوا مما رزقناهم اى فى سبيل الله
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور اى لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب

ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن إنه غفور شكور
قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم والذي أوحينا إليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق
مصدقا لما بين يديه أي من الكتب إن الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب
أي أوحينا الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكمنا بتوريثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه الذين اصطفينا من عبادنا
قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بكرامته بأن جعلهم أتباع سيد الرسل
وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى فيهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات بإذن الله وروي عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الأمة ذكره البغوي
بغير سند وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل
يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت أن رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق
إلي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه
الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال أما السابق
بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله
الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت
عائشة عن قول الله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة أما السابق
فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره
من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي
والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وقيل الظالم أصحاب
المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته
على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا
من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن
ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر
والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين
إخبارا أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم
بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم على هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس
ثلاثة معصية ثم غفلة ثم توبة ثم قربة فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين
فإذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظالم وغلبته ثم
المقتصد قليل بالإضافة إلى الظالمين والسابق أقل من القليل فلهذا أخرهم ومعنى سابق بالخيرات أي بالأعمال الصالحة
إلى الجنة أو إلى رحمة الله بإذن الله أي بأمر الله وإرادته ذلك هو الفضل الكبير يعني إيراثهم الكتاب ثم اصطفاءهم
ثم أخبر بثوابهم فقال تعالى جنات عدن يدخلونها يعني الأصناف الثلاثة يحلون فيها من

أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا
الحزن قال ابن عباس حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات وأنهم لا يدرون
ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقيل هم الحرص والمعيشة في الدنيا
وقيل ذهب عن أهل الجنة كل حزن ما كان منها لمعاش أو معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم
يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الآية إن ربنا لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من
الأعمال الذي أحلنا أي أنزلنا دار المقامة أي الإقامة من فضله أي لا بأعمالنا لا يمسنا فيها نصب
أي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب أي إعياء من التعب قوله عز وجل والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا أي فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم من عذابها أي من عذاب النار
كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها أي من النار أي يستغيثون ويصيحون فيها يقولون ربنا أخرجنا
منها أي من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أي من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخا لهم
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس
ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أعذر الله إلى كل امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وعنه بإسناد الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي
ما بين الستين إلى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى
أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا
أي يقال للظالمين ذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه إن الله عالم غيب
السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور يعني أنه إذا علم ذلك وهو أخفى ما يكون فقد علم غيب
كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الأرض أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت
من قبلها من الأمم ورأت ما ينبغي أن تعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملككم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر أي جحد هذه النعمة وغمطها فعليه كفره أي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم إلا مقتا أي غضبا وقيل المقت أشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا أي في الآخرة
قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام جعلتموها شركائي بزعمكم أروني ماذا
خلقوا من الأرض يعني أي جزء استبدوا بخلقه من الأرض أم لهم شرك في السموات أي في
خلق السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه أي على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بل إن يعد
الظالمون بعضهم يعني الرؤساء بعضا إلا غرورا يعني قولهم هؤلاء الأصنام شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل
إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أي لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جديرتين
بأن تزولا وتهدا لهذا العظم كلمة الشرك ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده أي ليس يمسكهما
أحد سواه إنه كان حليما غفورا أي غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانتا قد همتا بعقوبة الكفار
لولا حلمه وغفرانه وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا رسول لكنا أهدى منهم دينا وذلك قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزل الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير
أي رسول ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير يعني محمدا ما زادهم

أي مجيئه إلا نفورا أي تباعدا عن الهدى استكبارا في الأرض أي تكبرا وعتوا عن الإيمان به ومكر السيئ يعني عمل
القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أي لا يحل ولا
يحيط إلا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك فهل ينظرون أي ينتظرون إلا سنة
الأولين يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا أي تغييرا ولن تجد
لسنت الله تحويلا أي تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم معناه أنهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله
ليعجزه أي ليفوت عنه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا أي من الجرائم ما ترك على ظهرها أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان
في زمن نوح بالطوفان إلا من كان في السفينة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى يعني يوم القيمة فإذا جاء أجلهم
فإن الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة
وبمن يستحق الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة يس عليه السلام

هي مكية وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا
وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده شيخ
مجهول وعن معقل ابن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طي يعني محمدا وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم
للقرآن والقرآن الحكيم أي ذي الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه إنك لمن المرسلين
أي أقسم بالقرآن أن محمدا لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم
معناه وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم
أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم يعني لم ينذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم
نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب فهم غافلون أي عما يراد بهم
من الإيمان والرشد لقد حق القول أي وجب العذاب على أكثرهم فهم لا يؤمنون فيه إشارة إلى إرادة الله
تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون بما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا نزلت
في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي
ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه أثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر
فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه
فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل
يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد
منعناهم عن الإيمان بموانع فجعل الأغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال وقيل إنها
موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل إنها وصفت في الحقيقة وهي ما سينزله الله بهم في النار فهي يعني الأيدي
إلى الأذقان جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لأن الغل يجمع اليد إلى العنق فهم مقمحون أي رفعوا رؤسهم مع غض
البصر وقيل أراد أن الأغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرؤس برفع الأغلال إياها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
معناه منعناهم عن الإيمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد

وقيل

وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فأغشيناهم أي فأعميناهم فهم لا
يبصرون يعني سبيل الهدى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من يرد الله إضلاله
لم ينفعه الإنذار إنما تنذر من اتبع الذكر يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه وخشي الرحمن
بالغيب أي خافه في السر والعلن فبشره بمغفرة أي لذنوبه وأجر كريم يعني الجنة قوله تعالى إنا نحن
نحيي الموتى أي للبعث ونكتب ما قدموا أي من الأعمال من خير وشر وآثارهم أي ونكتب ما سنوا من سنة
حسنة أو سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الإسلام سنة
حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وقيل نكتب خطاهم إلى المسجد
عن أبي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية إنا
نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب خ عن أنس قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن تعرى المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا قوله تعرى يعني تخلى فتترك عراء وهو الفضاء من الأرض
الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا إلى قرب المسجد فقالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك
فقال بني سلمة دياركم تكتب آثاركم فقالوا ما يسرنا إذا تحولنا قوله بني سلمة أي يا بني سلمة وقوله دياركم أي الزموا
دياركم ق عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أجرا في الصلوة أبعدهم فأبعدهم
ممشى والذي ينتظر الصلوة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي وينام وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه
أي حفظناه وعددناه وأثبتناه في إمام مبين يعني اللوح المحفوظ قوله عز وجل واضرب لهم مثلا
أي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية يعني أنطاكية إذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى
عليه السلام ذكر القصة قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية
فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فلما سلما عليه قال الشيخ لهما من أنتما فقالا
رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله
قال الشيخ إن لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله
صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام يسمى أنطيخس وكان من ملوك الروم
فانتهى خبرهما إليه فدعاهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا
يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما
فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطال
مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة
جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر
حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك
حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك
قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى ههنا قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما

الشيخ لهما

آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق
موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك
أنت سئلت إلهك حتى يصنع لك مثل هذا كان لك الشرف ولإلهك فقال الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذي
نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم
فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك
هاهنا ميت قد مات منذ سبعة أيام ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير
فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال إني ميت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت
النار في سبعة أودية وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع
لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة قال شمعون وهذان وأشار بيده إلى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم
شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك
وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين
فذلك قوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب
صادق ومصدوق فعززنا بثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل سلوم وإنما أضاف الله الإرسال
إليه لأن عيسى إنما بعثهم بإذن الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لأهل أنطاكية إنا إليكم مرسلون
قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء أي لم يرسل رسولا
إن أنتم إلا تكذبون أي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون أي وإن كذبتمونا
وما علينا إلا البلاغ المبين أي بالآيات الدالة على صدقنا قالوا إنا تطيرنا بكم أي تشاءمنا
بكم وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا أي تسكتوا عنا لنرجمنكم أي
لنقتلنكم قيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أي شؤمكم معكم بكفركم
وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر أئن ذكرتم معناه أطيرتم لئن ذكرتم
ووعظتم بل أنتم قوم مسرفون أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند
أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فإذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصف فلما
بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه
فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فأقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم
فيحصل لكم خيري الدنيا والآخرة فلما قال لهم ذلك قالوا له وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن
بإلههم فقال وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع
إليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكان عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأي شيء لي
إذا لم أعبد خالقي وإليه تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم أأتخذ من دونه آلهة أي لا أتخذ من دونه
آلهة إن يردن الرحمن بضر أي بسوء ومكروه لا تغن عني أي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا
أي لا شفاعة لها فتغني عني ولا ينقذون أي من ذلك المكروه وقيل من العذاب إني إذا لفي ضلال مبين أي خطأ
ظاهر إني آمنت بربكم فاسمعون أي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب

لقومه فلما قال ذلك وثب عليه القوم وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه
من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى هلكوه وقبره بأنطاكية فلما لقي الله قيل ادخل الجنة
فلما أفضى إلى الجنة ورأى نعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى أن يعلم قومه
أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه السلام فصاح
بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة
وما كنا منزلين أي ما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى
إن كانت إلا صيحة واحدة قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة وصاح بهم صيحة فإذا هم خامدون
أي ميتون يا حسرة على العباد يعني يا لها حسرة وندامة وكآبة على العباد إذ الحسرة أن يركب الإنسان من شدة
الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا العذاب حيث لا يؤمنوا بالرسل الثلاثة
فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة إذا لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد
يوم القيمة حين لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما يأتيهم من رسول إلا كانوا
به يستهزءون قوله تعالى ألم يروا أي ألم يخبروا والخطاب لأهل مكة كم أهلكنا قبلهم من القرون
أي من الأمم الخالية والقرون أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود أنهم إليهم لا يرجعون أي لا يعودون
إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم وإن كل لما جميع لدينا محضرون يعني أن جميع الأمم يحضرون يوم القيمة
وآية لهم يعني تدلهم على كمال قدرتنا على إحياء الموتى الأرض الميتة أحييناها أي بالمطر
وأخرجنا منها حبا أي من الأرض يعني الحنطة والشعير وما أشبههما فمنه يأكلون أي من الحب
وجعلنا فيها أي في الأرض جنات أي بساتين من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا
من ثمره أي من الثمر الحاصل بالماء وما عملته أيديهم أي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت
بغيرها وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون
والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل والفرات ودجلة أفلا يشكرون أي نعمة الله سبحان
الذي خلق الأزواج كلها يعني الأصناف كلها مما تنبت الأرض أي من الثمار والحبوب
ومن أنفسهم أي الذكر والأنثى ومما لا يعلمون يعني مما خلق الله من الأشياء في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل
وآية لهم يعني تدلهم على قدرتنا الليل نسلخ أي ننزع منه ونكشط منه النهار فإذا هم مظلمون
فنجيء بالظلمة وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة
والشمس تجري لمستقر لها أي إلى مستقر لها قيل إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل
سيرها في منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك قوله مستقرها وقيل مستقرها نهاية
ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وعن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها أي لا قرار لها
ولا وقوف فهي جارية أبدا إلى يوم القيمة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت النبي
صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه
وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش
فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع
من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي
الدين النواوي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم

استقرّت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجرى الى وقتها واصل الانتهاء وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا
واما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم **ذلك** اى الذى ذكر من جرى الشمس على ذلك التقدير
والحساب الذى يكلّ النظر عن استخراجه وتحيّر الافهام عن استنباطه **تقدير العزيز** اى الغالب بقدرته
على كل مقدور **العليم** اى المحيط علما بكل شئ قوله تعالى **والقمر قدّرناه منازل** اى قدّرنا له منازل
وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة فى منزل منها لا يتعدّاه يسير من الليلة المستهلّ الى الثمانية والعشرين
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان آخر منازله رقّ وتقوّس فذلك قوله تعالى **حتى عاد كالعرجون
القديم** وهو العود الذى عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذى اتى عليه الحول فاذا قدم عتق
ويبس وتقوّس واصفرّ فشبّه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله **لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر**
اى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى **ولا الليل
سابق النهار** اى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل احدهما فى سلطان الآخر فلا تطلع
الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس
لا تجتمع مع القمر فى فلك واحد ولا يتصل ليل بليل الا يكون بينهما نهار فاصل **وكلّ فى فلك يسبحون** اى الشمس
والقمر فى فلك يسيرون قوله تعالى **وآية لهم انّا حملنا ذرّيّتهم** يعنى اولادهم **فى الفلك المشحون**
اى المملوّ **وخلقنا لهم من مثله** اى من مثل الفلك **ما يركبون** اى من الابل وهى سفائن البرّ وقيل اراد بالفلك
المشحون سفينة نوح ومعنى الآية ان الله حمل آباءهم الاقدمين فى اصلاب الذين كانوا فى السفينة فكانوا ذرية لهم ومنه
قول العباس ❁ بل نطفة تركب السفين وقد ❁ الجم نسرا واهله الغرق ❁ وانما ذكر ذراريهم دونهم لانه ابلغ فى
الامتنان عليهم وابلغ فى التعجب من قدرته فعلى هذا القول يكون قوله من مثله اى من مثل ذلك الفلك ما يركبون اى من السفن
والزوارق فى الانهار الكبار والصغار **وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم** اى لا مغيث لهم **ولا هم ينقذون**
اى ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابى **الا رحمة منا ومتاعا الى حين** يعنى الا ان يرحمهم الله ويمتّعهم
الى انقضاء آجالهم **واذا قيل لهم اتّقوا ما بين ايديكم وما خلفكم** قال ابن عباس ما بين ايديكم يعنى الآخرة
فاعملوا لها وما خلفكم يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغترّوا بها وقيل ما بين ايديكم يعنى وقائع الله بمن كان قبلكم من الامم
وما خلفكم يعنى الآخرة **لعلكم ترحمون** اى لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم هذا
اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** اى دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اى مما اعطاكم الله نزلت
فى كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من
حروثهم وانعامهم **قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم** اى انرزق **من لو يشاء الله اطعمه** اى رزقه وقيل
كان العاص بن وائل السهمى اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى منى بك ويقول قد منعه الله افاطعمه انا ومعنى
الآية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به
البخلاء يقولون لا نعطى من حرمه الله وهذا الذى يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا
من الفقير لا بخلا واعطى الغنى لا استحقاقا وامر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير فيما فرض له من
مال الغنى ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله تعالى وحكمته فى خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء
ان انتم الا فى ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمؤمنين معناه ما انتم الا فى خطأ بيّن باتّباعكم محمدا وترك
ما نحن عليه وقيل هو من قول الله للكفار لما ردّوا من جواب المؤمنين **ويقولون متى هذا الوعد** يعنى يوم القيمة والبعث

ان كنتم

ان كنتم صادقين قال الله تعالى **ما ينظرون** اى ينتظرون **الا صيحة واحدة** قال ابن عباس يريد النفخة
الاولى **تأخذهم وهم يخصّمون** اى فى امر الدنيا من البيع والشرى ويتكلمون فى الاسواق والمجالس وفى متصرّفاتهم فتأتيهم الساعة
اغفل ما كانوا عنها وقد صحّ من حديث ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا
يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا
يسقى فيه ولتقومنّ الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخارى وطرف من حديث لمسلم من حديث عمر بن عبد الله
ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا فاول من يسمعه رجل يلوط
حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه
يعنى يطيّنه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله من اللصوق وقوله اصغى ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعنى امال
عنقه يسمع وقوله **فلا يستطيعون توصية** اى لا يقدرون على الايصاء اى عجزوا عن الوصية فماتوا **ولا الى
اهلهم يرجعون** يعنى لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم لشئ **ونفخ فى الصور** هذه النفخة الثانية
وهى نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ق عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون
قيل اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من
الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركّب الخلق يوم القيمة **فاذا هم من الاجداث** اى القبور **الى ربهم
ينسلون** اى يخرجون منها احياء **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله
يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون واذا بعثوا فى الثانية وعاينوا اهوال القيمة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار
جهنم وانواع عذابها وعذاب القبر فى جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**
اقرّوا حين لا ينفعهم الاقرار وقالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون **ان كانت الا صيحة واحدة** يعنى النفخة الاخيرة **فاذا هم جميع لدينا محضرون** اى للحساب
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل** قال ابن عباس
فى افتضاض الابكار وقيل فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله عز وجل وقيل فى السماع وقيل شغلوا بما فى الجنة من النعيم
عما فيه اهل النار من العذاب الاليم **فاكهون** **هم وازواجهم فى ظلال** يعنى اكنان القصور **على الارائك متكئون**
يعنى على السرر فى الحجال **متكئون** اى ذوو اتكاء تحت تلك الظلال **لهم فيها فاكهة** اى فى الجنة **ولهم ما يدّعون**
يعنى ما يتمنّون ويشتهون والمعنى ان كل ما يدّعون اهل الجنة يأتيهم **سلام قولا من رب رحيم** يعنى يسلّم الله
عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ
سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه
حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلّم عليهم الملائكة من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة
من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية **وامتازوا اليوم
ايها المجرمون** اى اعتزلوا وانفردوا وتميّزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل فى النار
بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض قوله عز وجل
الم اعهد اليكم يا بنى آدم يعنى الم آمركم واوصكم يا بنى آدم **ان لا تعبدوا الشيطان** يعنى لا تطيعوه
فيما يوسوس لكم ويزين لكم من معصية الله تعالى **انه لكم عدو مبين** اى ظاهر العداوة **وان اعبدونى** اى
اطيعونى ووحّدونى **هذا صراط مستقيم** اى لا صراط اقوم منه قوله تعالى **ولقد اضلّ منكم جبلا كثيرا**

أي خلقا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون يعني ما أتيكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم
التي كنتم توعدون يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل اليوم نختم
على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون معنى الاية ان الكفار يجحدون وينكرون
كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التي كانت عونا
لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد
كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل
اقرار على نفسه بما فعل م عن أبي هريرة قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيمة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون في رؤية الشمس
عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما قال
فيلقى العبد ربه فيقول أي عبدي ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب
فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول ألم أكرمك وأسودك وأزوجك
وأسخر لك الخيل والابل وأذرك تربع وترأس فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول واني اليوم أنساك كما
نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى
يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول أي ربي آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع
فيقول هاهنا اذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه
انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق والذي يسخط الله عليه قوله أي فل
يعني يا فلان قوله أسودك أي جعلتك سيدا قوله وأذرك أي واتركك ترأس أي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم
وتربع تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروي ترتع بتاءين أي تتنعم وتنبسط من الرتع
قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة أعضائه عليه م عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم
قال يقول بلى فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني فقال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا
قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل
قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا تبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا
أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم فاستبقوا الصراط أي فبادروا الى الطريق فأنى يبصرون أي كيف
يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق
حينئذ وقال ابن عباس معنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى
فأبصروا رشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يعني ولو نشاء لجعلناهم
قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا روح فيها فما استطاعوا مضيا أي لا يقدرون على أن يبرحوا
ولا يرجعون الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ومن نعمره ننكسه في الخلق أي نرده
الى أرذل العمر كشبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحهم بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك ان الله تعالى خلق الانسان
من ضعف من جسده وخلي من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده ويستكمل
قوته وعقله ويعلم ما له وعليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الأول فذلك ننكسه

في الخلق أفلا يعقلون أي فيعتبروا ويعلموا ان الذي يقدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل
وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل ان كفار مكة قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم
وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي ما يسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أميا
لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على
لسانه متكسرا كما روي عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت • كفى بالاسلام والشيب
للمرء ناهيا • فقال أبو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا • أشهد أنك رسول الله هذا
حديث مرسل وروي عن عائشة وقيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن
رواحة ويقول • ويأتيك بالأخبار من لم تزود • أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره ان عائشة سئلت هل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل الا ببيت أخي بني قيس طرفة
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا • ويأتيك بالأخبار من لم تزود • فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر
ليس هكذا يا رسول الله فقال اني لست بشاعر ولا ينبغي لي فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فعثر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله
ما لقيت أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
فأكرم الأنصار والمهاجره ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال • أنا النبي لا كذب • أنا ابن عبد المطلب •
قلت ما هذا الا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وانجاء موزونا
كما يتفق من كثير في انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا يدخل في وزن البحر ومع ذلك فان
الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى ان هو الا ذكر يعني ما هو الا
ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن ليس بشعر لأنه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره وقرآن مبين أي كتاب سماوي
يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه الحدود والأحكام وبيان الحلال والحرام فكم
بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين لينذر أي يا محمد وقرئ بالياء
أي القرآن من كان حيا يعني مؤمنا حي القلب لأن الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ويحق القول أي يجب
حجة العذاب على الكافرين قوله عز وجل أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أي تولينا خلقه
بابداعنا له من غير اعانة أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا انفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا
وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو أنعاما انما خص الأنعام بالذكر وان كانت الأشياء كلها
من خلق الله وايجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم فهم لها مالكون أي خلقناها لأجلهم فملكناهم اياها
يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك
رأس البعير ان نفرا أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها
بل خلقناه مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم أي الابل ومنها يأكلون أي الغنم
ولهم فيها منافع ومشارب أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها ومشارب من ألبانها أفلا
يشكرون أي رب هذه النعم واتخذوا من دون الله آلهة يعني الأصنام لعلهم ينصرون أي لتمنعهم
من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب
وهم لهم جند محضرون أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع
لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون

في النار فلا يحزنك قولهم يعني قول كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمائرهم من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله لانه يتصدى بمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكرون في بدء خلقه وانه من نطفة ويدعي الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الآيات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يعني بدء امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشاها اي خلقها اول مرة وابتدا خلقها وهو بكل خلق اي من الابتداء والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبدا والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر وذلك ان هذين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو القادر على ذلك وهو الخلاق يعني يخلق خلقا بعد خلق العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيئا اي احداث شيء وتكوينه ان يقول له كن اي يكونه من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء اي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه واليه ترجعون اي تردون بعد الموت والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصافات

وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلوة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهوى واقفة حتى يامرها الله تعالى بما يريد وقيل اراد بالصافات الطير تصف اجنحتها في الهوى فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم اقسم الله بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما اقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما يعني انه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله تعالى ورب المشارق قيل اراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب فان قلت قد قال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين الآيات قلت اراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس

فهو

فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من احسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزهر مشرقة متلألئة على سطح ازرق فهو غاية الزينة وحفظا من كل شيطان مارد اي حفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى يعني الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله ويقذفون اي يرمونها من كل جانب اي من آفاق السماء دحورا اي يبعدونهم عن مجالس الملائكة ولهم عذاب واصب اي دائم يخرجون ويختلفون الا من خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب اي كوكب مضيء قوي لا يخطيه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل فاستفتهم يعني سل اهل مكة اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اي هذه الاشياء اشد خلقا وقيل ام من خلقنا يعني من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مما خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن بل عجبت وقرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشيء وتعظيمه والعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما جاء في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا وعظوا لا يتعظون واذا راوا آية قال ابن عباس يعني انشقاق القمر يستسخرون اي يستهزئون وقيل يدعو بعضهم بعضا الى ان يسخر وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي بين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون اي صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي نفخة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون يعني احياء وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يعني يوم الحساب والجزاء هذا يوم الفصل اي القضاء وقيل بين المحسن والمسيء الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا احشروا اي اجمعوا الذين ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وازواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل طائفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل ازواجهم اي قرناؤهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل ازواجهم المشركات

وما كانوا يعبدون من دون الله اى في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده فاهدوهم الى صراط الجحيم
قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقفوهم اى احبسوهم انهم مسئولون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط
للسؤال قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم ويروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن ابى برزة الاسلمى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تزول قدما امرئ يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن عمله ماذا عمل به وعن ماله من اين
اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شيء الا كان موقوفا يوم القيمة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم
انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون اى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب
لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس خاضعون
وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع يتساءلون
اى يتخاصمون قالوا يعني لرؤسا للاتباع انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا
ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤسا يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم كنتم تحلفون لنا
فنثق بايمانكم وقيل عن اليمين اى عن القوة والقدرة والقول الاول اصح قالوا يعني الرؤسا للاتباع بل لم تكونوا
مؤمنين اى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر وما كان لنا عليكم من سلطان اى من قوة
وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اى ضالين فحق علينا اى وجب علينا جميعا قول ربنا
يعني كلمة العذاب وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين انا لذائقون يعني ان الضال والمضل
في النار جميعا فاغويناكم اى فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اى ضالين
قال الله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤسا والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين
قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم بين الله تعالى انهم انما وقعوا في ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون
ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله ردا عليهم بل جاء بالحق
وصدق المرسلين يعني انه اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك انكم لذائقوا العذاب
الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى في الدنيا من الشرك والتكذيب الا اى لكن استثناء منقطع
عباد الله المخلصين اى الموحدين اولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون يؤتون به وقيل انه
معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة وهي الثمار
كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون
عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك مع الاكرام
والتعظيم فقال وهم مكرمون اى بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم على سرر متقابلين
يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء كل اناء فيه شراب
يسمى كأسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كأسا قال الشاعر وكأس شربت على لذة ومعنى
معين اى من خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون بيضاء يعني ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة اى لذيذة
للشاربين لا فيها غول اى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق
في خفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الراس والقيء والبول
والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ولا هم عنها ينزفون اى لا تغلبهم على عقولهم

ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اى حابسات
الاعين غاضات العيون قصرن اعينهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم عين اى حسان الاعين عظامها
كانهن بيض مكنون اى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون
لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النساء وهو ان تكون المراة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبه النساء
ببيض النعام وتسميهن بيضات الخدود قوله تعالى فاقبل بعضهم يعني اهل الجنة في الجنة على بعض يتساءلون
اى يسال بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قائل منهم اى من اهل الجنة اني كان لي قرين اى في الدنيا
ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه فطروس
والاخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك
لمن المصدقين اى بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار
قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون اى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من اهل الجنة فهل انتم
مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقول اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع اى المؤمن قال ابن عباس ان في
الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار فرآه في سواء الجحيم اى فرأى قرينه في وسط النار سمي وسط الشيء سواء لاستواء
الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين اى والله لقد كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا فقد ارداه
واهلكه ولولا نعمة ربي اى رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اى معك في النار افما نحن
بميتين الا موتتنا الاولى اى في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت
فتقول الملائكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم
في انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم ليسوا بميتين ولا معذبين
ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله
تعالى لمثل هذا اى المنزل والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم فليعمل العاملون
هذا ترغيب في ثواب الله وما عنده بطاعته قوله تعالى اذلك اى الذي ذكره لاهل الجنة من النعيم خير نزلا اى رزقا
ام شجرة الزقوم اى التي هي نزل اهل النار والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه
على اشد كراهة وقيل شجرة تكون بارض تهامة من اخبث الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين اى للكافرين و
ذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم
بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر
فقال ابو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اى في قعر النار
واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اى ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رؤس الشياطين قال ابن عباس
هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشيء لم يشاهد فكيف وجه التشبيه
قلت انه قد استقر في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشياء في الوهم والخيال
رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح المنظر والعرب اذا رات منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس
اتقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين
مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة
المنظر شيطانا فانهم لآكلون منها اى من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك انهم يكرهون على اكلها
حتى تمتلئ بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اى خلطا ومزاجا من حميم اى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا اكلوا

الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم فصار شوبًا لهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الحميم
بعد شرب الحميم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون اى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر
الاولين اى الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى وارسلنا فيهم رسلا منذرين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين اى الكافرين وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين اى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف
اهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل ولقد نادانا نوح اى دعا ربه على قومه وقيل دعا ان ينجيه
من الغرق فلنعم المجيبون اى نحن دعانا فاجبناه واهلكنا قومه ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغم
الذى لحق قومه وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين يعنى الناس كلهم من ذرية نوح وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة
مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساؤهم عن سمرة ابن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل
وجعلنا ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية اخرى سام ابو العرب
وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج
ومأجوج وما هنالك وتركنا عليه فى الاخرين اى ابقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم
الى يوم القيمة سلام على نوح فى العالمين اى سلام عليه لنا فى العالمين وقيل تركنا فى الاخرين ان يصلى عليه الى يوم
القيمة انا كذلك نجزى المحسنين اى جزاه الله باحسانه الجزاء الحسن فى العالمين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا
الاخرين يعنى الكفار قوله عز وجل وان من شيعته اى من شيعة نوح لابراهيم يعنى انه على دينه
وملته ومنهاجه وسنته اذ جاء ربه بقلب سليم اى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد
يحب للناس ما يحب لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ ائفكا الهة دون الله تريدون
اى اتافكون افكا وهو اسوء الكذب وتعبدون الهة سوى الله فما ظنكم برب العالمين يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم
غيره انه يصنع بكم فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث
كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى انها غير
معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لها القربان ويضعون بين ايديهم الطعام
قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر
فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس اى مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم
وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه
وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتولوا عنه مدبرين اى الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى فراغ
اى مال الى الهتهم ميلة فى خفية فقال اى للاصنام استهزاء بها الا تاكلون يعنى الطعام الذى بين ايديكم ما لكم
لا تنطقون فراغ اى مال عليهم ضربا باليمين اى ضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة
عليهم وقيل اراد باليمين القسم وهو قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى الى ابراهيم يزفون اى
يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم بالهتهم فاسرعوا اليه لياخذوه قال لهم ابراهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما
تنحتون اى بايديكم من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بايديكم من الاصنام
وفى الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم قيل انهم بنوا له حائطا
من الحجر طوله فى السماء ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب واوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله
وارادوا به كيدا اى شرا وهو ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين اى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم
وقال لهم يعنى ابراهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين اى مهاجر الى ربى واهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار

سيهدين اى الى حيث امرنى بالمصير اليه وهو ارض الشام فلما اتى الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لى
من الصالحين اى هب لى ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن
وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ معه السعى قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل
وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم والمعنى انه بلغ ان ينصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله وهو
العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك قيل انه لم يره
فى منامه انه ذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل راى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا راوا شيئا
فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى كان امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين
على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار
وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الرواية عن ابن عباس فروى عنه
انه اسحق وروى عنه انه اسمعيل ومن ذهب اليه انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام وروى عن سعيد ابن جبير راى
ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى اتى به المنحر من منى فلما امر الله بذبح الكبش
ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله
ابن سلام والحسن وسعيد ابن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع ابن انس ومحمد ابن كعب القرظى والكلبى ورواية عطاء ابن ابى رباح
ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المقدسى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب
الى ان الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى امر بذبح من بشر به وليس فى القران انه بشر بولد سوى اسحق
كما قال تعالى فى سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين عقب البشارة بعد قصة الذبح يدل على انه
تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد فى قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الاية واخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح
ومما ذكروا ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واحتج
من ذهب ان الذبيح هو اسمعيل بان الله ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين دل على ان المذبوح غيره وايضا فان الله تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
فكيف يامره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل وادريس و
ذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفا له بذلك وقال القرظى سأل عمر ابن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان اسلم وحسن اسلامه اى
ابنى ابراهيم امر الله بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على ان
يكون اباكم هو الذى امره الله بذبحه ويدعون انه اسحق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرنى الكبش كانا معلقين على الكعبة
فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير قال الشعبى رايت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس
والذى نفسى بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش معلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس وقال الاصمعى
سألت ابا عمرو ابن العلاء عن الذبيح اسحق كان او اسمعيل فقال يا اصيمع اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان بمكة اسمعيل
وهو الذى بنى البيت مع ابيه ذكر الاشارة الى قصة الذبح قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال
رب هب لى من الصالحين وبشره قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعى قيل له اوف بنذرك هذا هو السبب فى امر الله
اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت
افعل ما تؤمر وقال محمد ابن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل
بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى بلغ اسمعيل معه السعى واخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه

اى بنى انا ابنك فقال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال صح

وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح
روى نفسه اى فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم يوم التروية فلما امسى رأى
في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي بذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمي
ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك اخبر به ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى اى من الرأي
على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر قد علم انه حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه
وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه ويصبره
ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله فان قلت
لم كان ذلك في المنام ولم يكن في اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح
فورد في المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك اقوى في الدلائل له ورؤيا
الانبياء وحي وحق قال يا أبت افعل ما تؤمر اى قال الغلام لابيه افعل ما امرت به قال ابن اسحق وغيره لما امر
ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وننطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره
بما امر الله تعالى به قال افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين انما علق ذلك بمشيئة الله على سبيل التبرك
وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله تعالى الا بتوفيق الله تعالى فلما اسلما يعني
انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اى صرعه على
الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي كيلا اضطرب واكفف عني ثيابك
حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون
علي فان الموت شديد واذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون
اسلى لها عني فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله ففعل ابراهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله
وهو يبكي وقد ربطه والابن يبكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يحك شيئا ثم انه شحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك
لا يستطيع ان يقطع شيئا قيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال
الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت لوجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا
فلا انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم
افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين
اين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد
حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من
عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب
قال لا والله ما يريد الا ان يذبحك قال ولم قال ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه سمعا وطاعة فلما امتنع
الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك
في منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس
بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا مما اراد وامتنعوا عنه بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام
لما اراد ان يذبح ابنه عرض عليه الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان
فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة

الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه اى نودي من
الجبل ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اى حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة والانقياد لامر الله
وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح
قلت جعله مصدقا لانه بذل وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو استسلامهما
لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يعني جزاه الله
باحسانه في طاعتنا العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا
لهو البلاء المبين اى الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ولده وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم
فاذا هو بجبريل ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر
الكبش فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا
وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما
لانه من عند الله وقيل في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدي اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من
ثبير وتركنا عليه في الآخرين اى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده سلام على ابراهيم كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين اى بوجود اسحق وهذا على
قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق
قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روي عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه
يعني على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق اى بكون اكثر الانبياء من نسله ومن ذريتهما محسن اى مؤمن وظالم
لنفسه اى كافر مبين اى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل
ولقد مننا على موسى وهرون اى انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرائيل
من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى
وهرون وقومهما فكانوا هم الغالبين اى على القبط وآتيناهما الكتاب المستبين يعني التوراة
اى المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اى دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما في الآخرين اى الثناء
الحسن سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه
وقال اكثر المفسرين هو نبي من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشير بن فنحاص
ابن العيزار بن هرون بن عمران ذكر الاشارة الى قصته قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله
عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها
من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام
التورية وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمه بعلبك ونواحيها وهم الذين
بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب
طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم
ابناءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم
اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه آمن
به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب

فغضب من رجل مؤمن له جنينة كان يعيش منها وقتله فبعث الله تعالى الياس الى الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد
غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآل على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول ان يهلكهما
في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان بها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحى اليه
في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا
اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج هاربا عنه ورجع الملك الى عبادة بعل
والياس يشتد في شواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض
وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره عنهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال
عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذي
انت فيه الست انت اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي في خلقي سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم
قال يا رب تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا باليوم الذي اعري منك الارض
واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك قال الياس ان لم تمتني فاعطني
ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل واي شيء تريد ان اعطيك قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتي
ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين
قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكني اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل
خزائن المطر بيدك قال الياس فباي شيء اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك وشرابك من الريف والارض
التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس
على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن عباس اصاب بنو اسرائيل ثلاث سنين القحط
فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا لهما ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ
جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته
بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امراة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع
ابن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب
معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق
ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون ان الياس قال دعني اكون انا الذي ادعو لهم واتيهم بالفرج
مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال انكم قد
هلكتم جوعا وجهدا وهلكت الدواب والبهائم والطير والهوام بخطاياكم وانتم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك
فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم
ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا لالياس
انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعى الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت
نحوهم وطبقت الآفاق ثم ارسل الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا
عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا
فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس
من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني فقذف اليه
الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من

بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والملبس وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا وسلط الله على اجب الملك وقومه
عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اجب وامراته ازبيل في الجنينة التي اغتصبها امراة الملك من ذلك
المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبئ الله اليسع وبعثه رسولا الى بني
اسرائيل واوحى اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وروى السدي
عن يحيى بن عبد العزيز عن ابي داود قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس
موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين **اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا**
يعني اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة اهل اليمن **وتذرون**
اي وتتركون عبادة **احسن الخالقين** فلا تعبدونه **الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون**
اي في النار **الا عباد الله المخلصين** اي من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب **وتركنا عليه في الآخرين**
سلام على آل ياسين تروى آل ياسين بالقطع قيل اراد آل محمد وقيل آل القرآن لان ياسين من اسماء القرآن وفيه بعد
وقرئ الياسين بالوصل معناه الياس واتباعه من المؤمنين **انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين**
قوله تعالى **وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين** اي الباقين في العذاب
ثم دمرنا اي اهلكنا **الآخرين وانكم** اي يا اهل مكة **لتمرون عليهم** اي على آثارهم ومنازلهم
مصبحين اي في وقت الصباح **وبالليل** اي وبالليل في اسفاركم **افلا تعقلون** اي فتعتبرون بهم قوله تعالى
وان يونس لمن المرسلين اي من جملة رسل الله **اذ ابق** اي هرب **الى الفلك المشحون** اي المملوء قال ابن عباس ووهب
كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال
الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا فتقع على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه
في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امراته وابنان له فجاء مركب فاراد ان يركب معهم فقدم امراته ليركب بعدها
فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقي فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم
فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة ما نراه من غير ريح
ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك
قوله **فساهم** اي فقارع **فكان من المدحضين** يعني من المقترعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس
والانبياء **فالتقمه الحوت** اي ابتلعه **وهو مليم** اي اتى بما يلام عليه **فلولا انه كان من المسبحين** اي الذاكرين
لله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه
قدم عملا صالحا وقيل شكر الله له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس
كان عبدا صالحا ذاكرا لله فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله ذلك فقال الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه كان يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين للبث في بطنه الى يوم يبعثون اي لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيمة قوله تعالى **فنبذناه**
اي طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى **بالعراء**
اي بالارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل **وهو سقيم** اي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي
لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة قيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل اربعين
وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية **وانبتنا عليه شجرة من يقطين** يعني القرع قيل كل نبت يمتد وينبسط
على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل انبتها الله له ولم تكن قبل ذلك وكانت مفرشة

ليحصل له الظل وفي شجرة القرع فائدة وهو أن الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة
على الأرض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره
وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة فأصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا فجعل يبكي فأرسل الله إليه جبريل
وقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا **وأرسلناه إلى مائة ألف** قيل أرسله
إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت
أمر أن يرجع إليهم ثانيا وقيل كان إرساله إليهم بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين
غير القوم الأولين **أو يزيدون** قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها والمعنى أو
يزيدون على تقدير المخلوقين والأصح هو قول ابن عباس الأول وأما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين ألفا يعضده ما روي
عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون
عشرين ألفا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا **فآمنوا**
يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب **فمتعناهم إلى حين** أي إلى انقضاء آجالهم قوله عز وجل
فاستفتهم أي فسل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ **ألربك البنات ولهم البنون** وذلك أن جهينة
وبني سلمة ابن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل
لأن العرب كانوا يستنكفون من البنات والشيء الذي يستنكف منه المخلوق فكيف ينسبونه للخالق **أم خلقنا
الملائكة إناثا وهم شاهدون** أي حاضرون خلقنا إياهم **ألا إنهم من إفكهم** من كذبهم
ليقولون ولد الله أي في زعمهم **وإنهم لكاذبون** أي فيما زعموا **أصطفى البنات** أي في زعمهم **على البنين**
وهو استفهام توبيخ وتقريع **ما لكم كيف تحكمون** أي بالبنات لله ولكم البنين **أفلا
تذكرون** أي أفلا تتعظون **أم لكم سلطان مبين** أي برهان بين على أن لله ولدا **فأتوا بكتابكم**
الذي لكم فيه حجة **إن كنتم صادقين** أي في قولكم **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** قيل أراد بالجنة
الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الأبصار قال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم
بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين
في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير من الله والشر من الشيطان **ولقد علمت الجنة إنهم**
يعني قائلي هذا القول **لمحضرون** أي في النار **سبحان الله عما يصفون** نزه نفسه عما يقولون **إلا عباد
الله المخلصين** هذا استثناء من المحضرين والمعنى أنهم لا يحضرون **فإنكم** يعني يا أهل مكة **وما تعبدون**
أي من الأصنام **ما أنتم عليه** أي على ما تعبدون **بفاتنين** أي بمضلين أحدا **إلا من هو صال الجحيم**
أي إلا من سبق له في علم الله الشقاوة أنه سيدخل النار قوله عز وجل إخبارا عن حال الملائكة
وما منا إلا له مقام معلوم يعني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وما منا معشر الملائكة إلا له مقام
معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك
واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذي وهو طرف من حديث قيل الأطيط أصوات الإبل وقيل أصوات الأقتاب
وحنينها ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة
وإن لم يكن ثم أطيط وقيل معنى إلا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة
كالخوف والرجا والمحبة والرضا **وإنا لنحن الصافون** يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله

كصفوف

كصفوف الناس في الصلاة في الأرض **وإنا لنحن المسبحون** أي المصلون لله وقيل المنزهون الله عن كل سوء يخبر جبريل
صلى الله عليه وسلم وأنهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا المعبودين كما زعمت الكفار قوله عز وجل **وإن كانوا
ليقولون** يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم **لو أن عندنا ذكرا من الأولين** يعني كتابا مثل كتاب الأولين
لكنا عباد الله المخلصين أي لأخلصنا العبادة لله **فكفروا به** أي فلما أتاهم الكتاب كفروا به **فسوف يعلمون**
فيه تهديد لهم قوله تعالى **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** يعني تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم **إنهم
لهم المنصورون** أي بالحجة البالغة **وإن جندنا** أي حزبنا المؤمنين **لهم الغالبون** أي لهم النصرة في العاقبة
فتول أي أعرض **عنهم حتى حين** قال ابن عباس يعني الموت وقيل إلى يوم بدر وقيل حتى أمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة
بآية القتال وقيل إلى أن يأتيهم العذاب **وأبصرهم** أي إذا نزل بهم العذاب **فسوف يبصرون** أي ذلك فعند ذلك
قالوا متى هذا العذاب قال الله تعالى **أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل** يعني العذاب **بساحتهم** أي بحضرتهم
وقيل بفنائهم ونفيس **فساء صباح المنذرين** أي وبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب ق عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى **وتول عنهم حتى حين** وقيل المراد من الآية
الأولى أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار **وأبصر** أي العذاب إذا نزل بهم **فسوف
يبصرون** ثم نزه نفسه فقال تعالى **سبحان ربك رب العزة** أي الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة
وأنه القادر على جميع الحوادث **عما يصفون** عن اتخاذ الشركاء والأولاد **وسلام على المرسلين** أي الذين بلغوا عن الله
التوحيد والشرائع لأن أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الأنبياء عليهم السلام فلا جرم يجب على كل أحد
الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم **والحمد لله رب العالمين** أي على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء وقيل الغرض من
ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه فلا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر
يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود

وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبع وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **ص** قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصبور وقيل
معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم **والقرآن ذي الذكر** قال ابن عباس أي ذي البيان وقيل
ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمدا لصادق وقيل جواب القسم
محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى **بل الذين كفروا** وقيل
بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا **في عزة وشقاق** والقرآن ذي الذكر
وقيل جوابه إن كل إلا كذب الرسل وقيل جوابه إن هذا لرزقنا وقيل إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لأنه تخلل
بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفي آخر ومجاز الآية أن الله تعالى أقسم بص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة في عزة أي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أي خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه
وسلم **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** يعني من الأمم الخالية **فنادوا** أي استغاثوا عند نزول العذاب وحلول
النقمة **ولات حين مناص** أي ليس حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطربوا في الحرب قال
بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل العذاب ببدر قالوا مناص فأنزل الله تعالى ولات حين مناص

أي ليس حين هذا القول وعجبوا يعني كفار مكة أن جاءهم منذر منهم يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قوله عز وجل أجعل الآلهة إلها واحدا وذلك أن عمر بن الخطاب أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا إلى أبي طالب فأتوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنما أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل إليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألون قالوا ارفض آلهتنا وندعك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا كيف يسع الخلق إله واحد إن هذا لشيء عجاب أي عجيب وانطلق الملأ منهم أي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب أن امشوا أي يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم إن هذا لشيء يراد أي لأمر يراد بنا وذلك أن عمر بن الخطاب لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الأرض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يملك علينا ما سمعنا بهذا أي بالذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد في الملة الآخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لأنها آخر الملل وإنهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه إن هذا إلا اختلاق أي كذب وافتعال أأنزل عليه الذكر أي القرآن من بيننا أي يقول أهل مكة ليس هو بأكبرنا ولا أشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري أي وحيي وما أنزلت بل لما يذوقوا عذاب أي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول أم عندهم خزائن رحمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من يشاءون العزيز أي في ملكه الوهاب الذي وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما أي ليس لهم ذلك فليرتقوا في الأسباب يعني إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء وليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون وقيل أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك مهزوم أي مغلوب من الأحزاب يعني أن قريشا من جملة الأجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الأنبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الأوتاد يريدون بذلك أنه دائم شديد قال الأسود بن يعفر بيت ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد وقيل ذو القوة وأصل هذا أن بيوتهم تثبت بالأوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني أنهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الأوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد منه كل طرف إلى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب الذين تحزبوا على الأنبياء فأعلم الله أن مشركي مكة قريش حزب من أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب يعني أن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين وما ينظر أي ينتظر هؤلاء يعني كفار مكة إلا صيحة واحدة ما لها من فواق أي رجوع والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل لنا

قطنا أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء قيل لما نزل في الحاقة فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط الكتاب بالجوائز قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون أي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داود ذا الأيد قال ابن عباس ذا القوة في العبادة ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود وأحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة في الملك إنه أواب أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله وقيل مسبح بلغة الحبش إنا سخرنا الجبال معه يسبحن أي بتسبيحه إذا سبح بالعشي والإشراق أي غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والإشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود قوله عز وجل والطير أي وسخرنا له الطير محشورة أي مجموعة إليه تسبح معه كل له أواب أي رجاع إلى طاعته مطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروي عن ابن عباس أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود فقال إن هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فأوحى الله إليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل إليه داود فقال إن الله أوحى إلي أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة يعني النبوة والإصابة في الأمور وفصل الخطاب قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب فصل الخطاب الشهود والأيمان وقيل فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل وهل أتاك أي وقد أتاك يا محمد نبأ الخصم أي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع إذ تسوروا المحراب إذ صعدوا وعلوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة والمعنى أنهما أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم أتبعه بفصل فيه نزاهة داود عما لا يليق بمنصبه لأن منصب النبوة أشرف

المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه
ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه قد كان قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم لنسائه
واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي
فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلاء لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب
بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلى
في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان في اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما
هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت
بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد
من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عنه فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت
من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل راها تغتسل
على سطح لها فرأى امرأة من اجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنفضت شعرها
فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا
مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم
التابوت لا يحل له ان يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه
ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي ام سليمان
عليه السلام وقيل ان داود عليه السلام احب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب
داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا
وازدياد من النساء وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه قد كان جزأ الدهر
اجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم فيه ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم
بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا
فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وامر ان لا يدخل عليه
احد واكب على قراءة الزبور فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله
اليه الملكين وقيل ان داود ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس
بهم قال اخبروني باي شيء انتم موكلون قالوا نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري
كيف اكون لو خلوت ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين يعني ليعلم انه لا غنى به عن الله تعالى فلما فقدهم
جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو
ما تقدم وقيل قال داود لبني اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن وقيل انه اعجبه عمله فابتلى فبعث الله اليه ملكين في صورة
رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسين
وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب **اذ دخلوا على داود**
ففزع منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذن فقال لهما ما ادخلكما علي **قالوا لا تخف خصمان**
اي نحن خصمان **بغى بعضنا على بعض** اي تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما
ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي
من احدهما والمعنى ارأيت خصمين بغى احدهما على الآخر **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اي لا تجر في حكمك

واهدنا

واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما **ان هذا اخي** اي على
ديني وطريقتي لا من جهة النسب **له تسع وتسعون نعجة** يعني امرأة **ولي نعجة واحدة** اي امرأة واحدة
والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي **فقال**
اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقيل معناه انزل عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها
وعزني في الخطاب يعني غلبني وقهرني في القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان ابطش مني لقوة ملكه
والمعنى ان الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة
التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا واحدة فضمها داود الى نسائه **قال** داود **لقد**
ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه اي بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول
الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول **وان كثيرا**
من الخلطاء اي الشركاء **ليبغي بعضهم على بعض** اي يظلم بعضهم بعضا **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
فانهم لا يظلمون احدا **وقليل ما هم** اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى
داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله تعالى
وظن داود اي ايقن داود وعلم **انما فتناه** اي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان
فقضى على نفسه فتحولا في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عني به داود روى
البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام
حين نظر الى المرأة فاهم فقطع على بني اسرائيل فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت لم يرجع
حتى يقتل او يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان قصته عليه ففطن داود فمكث اربعين ليلة
ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة ابعد
ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فجاءه جبريل
من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف
بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربي عن ذلك وان شئت لافعلن
قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال سألت الله تعالى يا داود عن الذي ارسلتني فيه
فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك
في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا هذه اقاويل السلف من اهل التفسير في قصة امتحان داود

فصل

في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به ولا ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته وشرفه
على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب
الى آحاد الناس لاستنكف منه او تحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء
ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضي عياض لا يجب اي لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون
من اهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي
نص عليه الله تعالى في قصة داود وظن داود انما فتناه وليس في قصة داود واوريا خبر صادق ثابت ولا يظن
بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعي
في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا وقال غيره

وكان التابوت هو ذلك الذي كان يستنصر به
ومن قدم بين يدي التابوت لم

ماهم صح

إن الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع
بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لا يستحسنه العقلاء ولقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه في أثناء
مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه القديم فإن قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود
أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك
وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها فإذا نزلوا من ذلك إلى
طبع عاتبهم الله على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى
الامتحان في الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود عليه السلام ما زاد أن قال للرجل انزل
لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل إن داود تمنى أن تكون امرأة
أوريا له فاتفق غزو أوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته
فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل إن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه
عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة
لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على أن الكلام كان بينهما في
الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثاني إظهار الحرص على تزوجها
مع كثرة نسائه وقيل إن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وإنما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لأحدهما
قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد
الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبتت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه السلام
مما نسب إليه والله أعلم قوله عز وجل **فاستغفر ربه** أي سأل ربه الغفران **وخر راكعا** أي ساجدا عبر بالركوع
عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا **فصل** اختلف العلماء في سجدة
ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي إلى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة وقال إنها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة
وقال أبو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على أن الركوع يدل على السجود وعن أحمد في سجدة ص روايتان
وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ قال مجاهد قلت لابن عباس أسجد في ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى
فبهداهم اقتده فقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود وسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي
عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة فنسجدها شكرا عن أبي سعيد الخدري
قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان
في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم
تشزنتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود وقوله تشزن الناس يعني تأهبوا أي تهيئوا واستعدوا للسجود عن ابن عباس
قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت
فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني
كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما أخبره
الرجل عن قول الشجرة أخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة
مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل
ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور إلهي أنت

في سجود التلاوة

خلقتني

خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور إلهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود
الخاطئ سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور
إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد
المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهي إني لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق
النور إلهي إني لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم
الذي أصاب داود سبحان خالق النور إلهي كيف تستتر الخطاة بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا
سبحان خالق النور إلهي قد تعلم سري فاقبل عذري سبحان خالق النور إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك
لهواي سبحان خالق النور إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور إلهي فررت إليك
بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود أربعين
يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى
أعار أنت فتكسى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب في غير ما طلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من
العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب إن داود أتاه نداء إني قد غفرت لك قال يا رب كيف
وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس
على قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال أسألك
أن تجعلني في حل مما كان مني إليك قال وما كان منك قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فأنت في حل فأوحى الله يا داود
ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فأجابه قال من هذا الذي قطع
علي لذتي قال أنا داود قال يا نبي الله أليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال
فسكت ولم يجبه ودعاه مرة أخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل
الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل
الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان
خالق النور فأتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب
كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له رضي عبدي فيقول
يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب الآن قد عرفت
أنك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا **وأناب** أي رجع **فغفرنا له ذلك** أي الذنب **وإن له
عندنا** أي يوم القيامة بعد المغفرة **لزلفى** أي لقربى ومكانة **وحسن مآب** أي حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه
إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ دمعته ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين
سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي
والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك
فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل
من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى يسيل
من بكائهم الأودية ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته ويبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فإذا أمسى رجع
فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي
فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم

العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفعوا اصواتهم معه فلا يزال يبكي
حتى يغرق الفرش في دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليهما السلام فيحمله ويأخذ داود من تلك
الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود بكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل عيني داود كالقربتين ينقطان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض
قال وهب لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيمة قال فوسم
الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها ولا قام خطيبا في الناس الا وبسط راحته
فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا استغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن كان داود
بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان
يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل
ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته
ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يشدها الا الاسر
واذا ذكر رحمة ربه تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته
وقيل انها قالت ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل **يا داود انا جعلناك خليفة في الارض**
اي لتدبر الناس بامرنا في الحكم فيهم **فاحكم بين الناس بالحق** اي بالعدل **ولا تتبع الهوى** اي لا تمل مع
ما تشتهي اذا خالف امر الله تعالى **فيضلك عن سبيل الله** اي عن دين الله وطريقه **ان الذين يضلون عن سبيل الله**
لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل
بترك العدل في القضاء قوله تعالى **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب
وقيل معناه ما خلقناهما عبثا لا لشيء **ذلك ظن الذين كفروا** يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شيء
وانه لا بعث ولا حساب **فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية
ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **كالفجار** يعني الكفار والمعنى لا نجعل
الفريقين سواء في الآخرة **كتاب انزلناه** اي هذا كتاب يعني القرآن انزلناه **اليك مبارك** اي كثير خيره ونفعه
ليدبروا آياته اي ليتدبروا ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في اوامره
ونواهيه **وليتذكر** اي وليتعظ **اولوا الالباب** اي ذوو العقول والبصائر قوله عز وجل **ووهبنا لداود سليمان**
نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل ان
سليمان غزى اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة
فصلى سليمان الصلوة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعماية فرس فتنبه لصلوة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلوة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها علي فاقبل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا
وبقي منها ماية فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انها من نسل تلك الماية فلما عقرها ابدلها الله خيرا منها واسرع وهي
الريح تجري بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي الخيل القايمة على ثلاث قوايم واقامت
الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القايم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ
مقعده من النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق **فقال اني**

يا داود

احببت

احببت حب الخير اي آثرت حب الخير واراد الخيل سميت به لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني
المال ومنه الخيل التي عرضت عليه **عن ذكر ربي** يعني صلوة العصر **حتى توارت** اي سترت الشمس **بالحجاب** اي ما
يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه **ردوها علي** اي ردوا الخيل
علي **فطفق مسحا بالسوق** جمع ساق **والاعناق** اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس
واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب وهو ترك الصلوة بذنب
آخر وهو عقر الخيل وقال ابن اسحق لم يعنفه الله على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل
انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي
في معنى قوله ردوها علي يقول بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها
قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك
في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل
الدنيا ونصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام
امر باعدائها وجريها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل عليه وهو قوله ردوها علي فلما
عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها لكونها من اعظم الاعوان
في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ انه يباشر الامور بنفسه
الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم
هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات
والمحذورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل الجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه
فنقول ههنا مقامات المقام الاول ان ندعي ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله
ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس
وان الدلايل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل **ولقد فتنا**
سليمان اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة
في جزيرة من جزاير البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله
قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا في بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح
على ظهرها على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن فقتل ملكها وسبا ما فيها واصاب فيمن بنتا لذلك الملك يقال لها
جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه واحبها
حبا ما لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها
ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت ان ابي اذكره واذكر ملكه وما كان فيه وما اصابه
فيحزنني فقال سليمان فقد ابدلك الله تعالى ملكا هو اعظم من ملكه وسلطانا اعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام
وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين فصوروا
لي صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك حزني وان يسلي عني بعض ما انا فيه وما
اجد في نفسي فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة ابيها في دارها حتى لا ينكر منه شيء فمثلوه لها حتى نظرت
الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه الذي كان يلبس ثم انها
كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولايدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت في ملكه وتروح كل عشية بمثل

أصابه

ذلك

فصنعوه

ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان
اي ساعة اراد دخول شيء من بيوته دخل حاضرا سليمان او غايبا فاتاه قال يا نبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد
حان مني الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله تعالى واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم
الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله
تعالى واثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك في صغرك واورعك في صغرك
وافضلك في صغرك واحكم امرك وابعدك من كل ما يكرهه الله في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان من ذلك في نفسه حتى ملاه
غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وفي كل
حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في آخر عمري
فقال آصف ان غير الله يعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه
راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة
وولايدها ثم امر بثياب الطهيرة فاتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار
ولا يمسها يد امراة قد رات الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى
حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل
كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امراة
من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما
ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمي يا امينة فناولته
اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان
فاتى الامينة وقد تغيرت حاله وهيئته عند كل من راه فقال يا امينة خاتمي قالت من انت قال سليمان ابن داود فقالت
كذبت قد جاء سليمان واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف على
الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان ابن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول
يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه سمكتين
فاذا امسى باع احد سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد الصنم في
داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل
هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم قال امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسالهن هل يكرن في خاصته
امرا ما انكرنا في عامة الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن اشده ما
يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان
على نساء نبيه عليه السلام قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد مما في العامة فلما مضى
اربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين
وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتيه فباع سليمان احدهما بارغفة وبقر بطن الاخرى ليشويها
فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن واقبل الناس عليه
لما كان احدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوا بصخر فطلبوه حتى اخذوه
فاتي به فادخل في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر وقيل سبب فتنة
سليمان جرادة كانت اثر نسائه عنده وكان ياتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب

ان تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده
فاعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان انك مفتون بذلك والخاتم
لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله هاربا واعطى
آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فقام آصف في ملك سليمان يسير به اربعة عشر يوما الى ان رد الله تعالى على سليمان
ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده وثبت فهو الجسد الذي القي على كرسيه وروى عن
سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور
عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من
المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه وان
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الانبياء عن مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجا
في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن
تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا
امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي
رواية لاطوفن بمائة امراة قال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل بشيء قال العلماء والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه
حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي ان
يستثني كما صح في الحديث لينفذ امر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد
فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم
بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشيطان فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ القي
ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله تعالى على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطايه فاستغفر
ربه فذلك قوله عز وجل **وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب** اي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل
اناب الى الاستغفار وهو قوله **قال رب اغفر لي** اي سال ربه المغفرة **وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي**
وقيل لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري **إنك أنت**
الوهاب فان قلت قول سليمان لا ينبغي لاحد من بعدي مشعر على الحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا
على طلب الدنيا ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا على قول من قال
ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سال ذلك ليكون علما واية لنبوته ومعجزة دالة على صورة رسالته ودلالة
على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه عليه وزيد فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه احب ان يخص
بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسال شيئا يختص به كما روي في
الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلوتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه في سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء**
اي لينة ليست بعاصفة **حيث أصاب** اي حيث اراد **والشياطين** اي وسخرنا له الشياطين **كل بناء**
اي يبنون له ما يشاء **وغواص** يعني يستخرجون له اللآلئ من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر
وآخرين اي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين **مقرنين في الأصفاد** اي مشدودين في القيود
سخروا له حين قرنهم في الاصفاد **هذا عطاؤنا** اي قلنا له هذا عطاؤنا **فامنن** اي احسن الى من شئت

أو أمسك أي عمن شئت بغير حساب أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله على أحد نعمة
إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين
عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه أو أمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما
تتعاطاه وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب لما ذكر الله ما أنعم عليه به في الدنيا أتبعه بما أنعم عليه به في
الآخرة قوله عز وجل واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب
أي بمشقة وعذاب أي وضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب اركض يعني أنه لما انقضت مدة بلائه
قيل له اركض أي اضرب برجلك يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب هذا مغتسل بارد فأمره أن
يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء
عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله تعالى وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم
رحمة منا أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم وذكرى لأولي الألباب
يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر
وخذ بيدك ضغثا أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان فاضرب به ولا تحنث وكان قد حلف
أن يضرب امرأته مائة سوط فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه في ضربها وسهل له الأمر وأمره بأن يأخذ ضغثا
يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لأيوب خاصة أم لا
فيه قولان أحدهما أنه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والثاني أنه خاص لأيوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء
فيمن حلف أن يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فأصابه كل سوط على حدة فجمعه وضربه
بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد وأحمد لا يبر وقال أبو حنيفة والشافعي إذا ضربه ضربة واحدة فأصابه
كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية إنا وجدناه صابرا أي على البلاء الذي ابتليناه به
نعم العبد إنه أواب قوله تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أي اذكر صبرهم فإبراهيم ألقي في النار
فصبر وإسحق ذهب بصره واضجع للذبح في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر أولي الأيدي
قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله والأبصار أي في المعرفة بالله وقيل باليد أكثر الأعمال وبالبصر أقوى الإدراكات
فعبر عن العمل باليد أكثر الأعمال وعن الإدراك بالبصر وللإنسان قوة عالمية وعاملية فأشرف ما يصدر عن القوة
العالمية معرفة الله وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالأيدي
والأبصار إنا أخلصناهم أي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة ذكرى الدار قيل معناه
أخلصناهم بذكر الآخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها
وقيل كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله تعالى وقيل أخلصوا بخوف الآخرة وهو الخوف الدائم في القلب وقيل أخلصناهم
بأفضل ما في الآخرة وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار يعني من الذين اختارهم الله واتخذهم صفوة وصفاهم
من الأدناس والأكدار واذكر إسمعيل واليسع وذا الكفل أي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم وكل من
الأخيار قوله عز وجل هذا ذكر أي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به وإن للمتقين
لحسن مآب أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون إليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى جنات عدن
مفتحة لهم الأبواب قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لها بيد بل بالأمر يقال لها انفتحي انغلقي متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب أي مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلثين
سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون ليوم الحساب أي قل للمؤمنين

هذا ما توعدون وقيل هذا ما يوعدون به المتقون إن هذا لرزقنا ما له من نفاد أي دائم ما له من فناء
وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شيء عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا أي الأمر الذي ذكرناه وإن
للطاغين يعني للكافرين لشر مآب يعني لشر مرجع يرجعون إليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها
أي يدخلونها فبئس المهاد أي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار
وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وبردها وقيل هو ما يسيل من القيح
والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين في جهنم وقيل هو البارد المنتن
والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه وآخر من شكله أي مثل الحميم والغساق أزواج أي أصناف
أخر من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع
قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعني جماعة الأتباع مقتحم معكم النار أي داخلوها كما دخلتموها أنتم وقيل إنهم
يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة لا مرحبا بهم أي بالأتباع
إنهم صالوا النار أي داخلوها كما صليناها نحن قالوا أي قال الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم أي لا رحبت
بكم الأرض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أي أتيت رحبا وسعة أنتم قدمتموه لنا يعني يقول الأتباع
للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم إيانا إلى الكفر
فبئس القرار فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الأتباع ربنا من قدم لنا هذا أي شرعه وسنه لنا فزده
عذابا ضعفا في النار أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن عباس حيات وأفاعي وقالوا يعني كفار قريش و
صناديدهم وأشرافهم وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم أي في الدنيا من الأشرار يعنون
بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وإنما سموهم أشرارا لأنهم كانوا على خلاف
دينهم أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار يعني أن الكفار إذا دخلوا النار فلم يروا فيها الذين
كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم
أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا
منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا إن ذلك أي الذي ذكر لحق ثم بين ذلك
فقال تعالى تخاصم أهل النار أي في النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للأتباع لا مرحبا بهم وقول الأتباع
للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل أي يا محمد لمشركي مكة إنما أنا منذر أي مخوف وما
من إله إلا الله الواحد أي الذي لا شريك له في ملكه القهار أي الغالب وفيه إشعار بالترهيب والتخويف ثم أردفه
بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا
يشعر بالتربية والإحسان وكونه غفارا يشعر بأنه يغفر الذنوب وإن عظمت ويرحم قل هو نبأ
عظيم يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني القيامة أنتم عنه معرضون أي لا تتفكرون فيه فتعلمون
في نبوتي وإنما جئت به لم أعلمه إلا بوحي من الله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون
يعني في شأن آدم حين قال الله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فإن قلت
كيف يجوز أن يقال إن الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله لا
تليق ولا تمكن قلت لا شك أنه جرى هنالك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة الجواز
لهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه إن يوحى إلي أي إنما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى
إلا أنما أنا نذير مبين يعني إلا إنما أنا نبي أنذركم وأبين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن عباس

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة قال أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى قلت لا قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوة والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء على المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد إذا صليت فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون قال والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

فصل في الكلام على معنى هذا الحديث وفي أمثاله من حديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب السلف إمراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويله والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على إسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في إسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن ابن عايش عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم ابن عبد الله عن يحيى ابن أبي كثير عن زيد ابن سلام عن عبد الرحمن ابن عايش عن مالك ابن عامر عن معاذ ابن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى ابن خلف العمي عن يحيى ابن زيد عن جده ممطور وهو ابن سلام عن ابن السكسكي عن مالك ابن عامر وقيل فيه غير ذلك ورواه أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس وقال فيه أحسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد ابن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن ابن عايش الحضرمي له حديث واحد إلا أنهم يضطربون وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من وجه كلها ضعاف وفي ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم ابن عبد الله ثم رواية موسى ابن خلف وفيهما ما يدل على أن ذلك كان في المنام فأما تأويله فإن الصورة هي التركيب والمصور هو المركب ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مصورا ولا أن يكون له صورة لأن الصورة مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز إضافة ذلك إليه فاستحال أن يكون مصورا وهو الخالق الباري المصور فقوله أتاني ربي في أحسن صورة يحتمل وجهين أحدهما وأنا في أحسن صورة كأنه زاده كمالا وجمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا أن الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وإنما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني أن الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك إلى الله تعالى والمعنى أنه رآه في أحسن صفاته من الإنعام عليه والإقبال والاتصال إليه وأنه تلقاه بالإكرام والإعظام والإجمال وقد يقال في صفات الله تعالى إنه جميل ومعناه أنه مجمل في أفعاله وذلك نوع من الإحسان والإكرام فذلك حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع إلى صفاته العلية من التناهي في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فأخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله عليه الصلوة والسلام فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتأويله أن المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شايع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الإخبار بإكرام الله إياه وإنعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة في قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما في السموات وما في الأرض بإعلام الله تعالى إياه وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو اللائق بتنزيهه وحمل الحديث عليه وإذا حملنا الحديث على المنام فإن ذلك

كان في المنام فقد زال الإشكال وحصل الغرض ولا حاجة لنا إلى التأويل لأن رؤية الباري عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائي وسبب اختصام الملأ الأعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في أنها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وإنما سماها مخاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه والله أعلم قوله عز وجل **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين** يعني آدم **فإذا سويته** أي أتممت خلقه **ونفخت فيه من روحي** أضاف الروح إلى نفسه إضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولأن الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار في الفحم **فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر** أي تعظم **وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** أي توليت خلقه **استكبرت** أي تعظمت بنفسك عن السجود له **أم كنت من العالين** أي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فأجاب إبليس بقوله **قال أنا خير منه** يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين قوله خير منه فقال **خلقتني من نار وخلقته من طين** والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس في القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالإنسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وقيل هب أن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف النسب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة **قال فاخرج منها** أي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك أن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته **فإنك رجيم** أي مطرود **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين** فإن قلت إذا كان الرجيم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء ويحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون أبلغ وحصل الفرق وزال التكرار فإن قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية وقوله إلى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين قلت معناه أن اللعنة باقية عليه في الدنيا فإذا كان يوم القيمة زيد له مع اللعنة أنواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه **قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم** يعني النفخة الأولى **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول** أي أنا أقول الحق وقيل الأول قسم أي فبالحق وهو الله أقسم بنفسه **لأملأن جهنم منك** أي بنفسك وذريتك **وممن تبعك منهم أجمعين** يعني من بني آدم **قل ما أسألكم عليه** أي على تبليغ الرسالة **من أجر** أي جعل **وما أنا من المتكلفين** أي من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له ق عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخاري **إن هو** يعني القرآن **إلا ذكر** أي موعظة **للعالمين** أي للخلق أجمعين **ولتعلمن** يعني أنتم يا أهل مكة **نبأه** أي خبر صدقه **بعد حين** قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيمة وقيل من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الزمر

مكية نزلت بمكة الا قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله نزل احسن الحديث كتابا وقيل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل احسن الحديث وقيل فيها ثلاث ايات مدنيات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى قوله لا يشعرون وهي اثنان وقيل خمس وسبعون اية والف ومائة واثنان وسبعون كلمة واربعة الاف وتسعمائة وثمانية احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي لم ننزله باطلا لغير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني قربى وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي لا يرشد لدينه من هو كاذب اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه هو الله الواحد اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد القهار اي الغالب الكامل القدرة قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشي هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الاخر ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من النهار زاد في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمسة عشر ساعات وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر احدهما على الاخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيمة الا هو العزيز الغفار معناه ان خالق هذه الاشياء العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم جعل منها زوجها يعني حوى ولما ذكر الله تعالى ايات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ثم عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه وقيل ان الانزال هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذي يعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت في الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الحيوان والانسان وهي كونها مخلوقة في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشياء ربكم له الملك اي لا لغيره لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى فانى تصرفون اي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضرا وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصا والله تعالى

منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا واصروا عليه فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده بالكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته لان الرضى عبارة عن مدح الشيء والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد لا يرضى ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضى وان تشكروا اي تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى ربكم مرجعكم اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان ضر اي شدة وبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا له مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعوا اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اي في الدنيا الى انقضاء اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة وقيل في ابي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير ام من هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك انك من اصحاب النار يا من هو قانت انت من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في ابي بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القران وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي ساعات الليل اوله واخره واوسطه ساجدا وقائما اي في الصلوة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلي وهو الخشوع في الصلوة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر الاخرة اي يخاف الاخرة ويرجوا رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهو انه قام في مقام الخوف يحذر الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقام في مقام الرجاء ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال ارجوا الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب قوله تعالى قل يا عباد الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني امنوا واحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل الصحة والعافية في الدنيا وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من امر بالمعاصي في بلد فليهرب منه وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت

في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم من البلاء وهاجروا وصبروا إنما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فإنهم يحثى لهم حثيا وروي أنه
يؤتى بأهل البلاء فلا يوزن لهم ولا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب حتى يتمنى
أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد
إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أي مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا وأمرت لأن أكون أول المسلمين
أي من هذه الأمة وقيل أمره أولا بالإخلاص وهو من عمل القلب ثم أمره ثانيا بعمل الجوارح ولأن شرائع الله لا تستفاد
إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيه وإنما خص الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بهذا الأمر لينبه على أن غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم
عظيم وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا به إلا لتنظر إلى ملة
أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فأنزل الله هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره
وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفا حذرا من المعاصي فغيره أولى بذلك قل الله أعبد مخلصا
له ديني فإن قلت ما معنى التكرار في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله
أعبد مخلصا له ديني قلت ليس هذا بتكرار لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإتيان بالعبادة
والإخلاص والثاني أنه إخبار بأنه أمر أن يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لأن قوله
أمرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه ثم أتبعه بقوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس بأمر بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله قل إن
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يعني أزواجهم وخدمهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك أن الله تعالى جعل
لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار
وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار
وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار
أي أطباق وسرادقات ومن تحتهم ظلل أي فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات من جميع
الجوانب فإن قلت الظلة ما فوق الإنسان فكيف سمى ما تحته بالظلة قلت فيه وجوه الأول أنه من باب إطلاق
اسم أحد الضدين على الآخر الثاني أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لأنها دركات الثالث
أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة
والمشابهة ذلك يخوف الله به عباده أي المؤمنين لأنهم إذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا
فأخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو قوله يا عباد فاتقون أي خافون قوله تعالى والذين اجتنبوا
الطاغوت أي الأوثان أن يعبدوها وأنابوا إلى الله أي رجعوا إلى عبادة الله بالكلية وتركوا ما كانوا
عليه من عبادة غيره لهم البشرى أي في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم
وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز
الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة
والروح والريحان فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون أحسنه أي
أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو
أحسن الأمرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من

الكلام

الكلام فيتبعون القرآن لأنه كله حسن وقال ابن عباس لما أسلم أبو بكر الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف
وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم زيد
بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسي أولئك الذين هداهم الله أي إلى عبادته وتوحيده وأولئك
هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن عباس سبق في علم الله أنه في النار وقيل كلمة العذاب
قوله لأملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي أفأنت تنقذ من في النار أي لا تقدر عليه قال
ابن عباس يريد أبا لهب وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية أي منازل في الجنة
رفيعة وفوقها منازل هي أرفع منها تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد أي وعدهم الله
تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه ق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة
يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا
يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر
أي الباقي في الأفق أي في ناحية المشرق والمغرب قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه أي أدخل ذلك الماء
ينابيع في الأرض أي عيونا وركايا ومسالك ومجاري في الأرض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الأرض فمن السماء
نزل ثم يخرج به أي بالماء زرعا مختلفا ألوانه أي مثل أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير
وسائر أنواع الحبوب ثم يهيج أي ييبس فتراه أي بعد خضرته ونضرته مصفرا ثم يجعله حطاما أي فتاتا
متكسرا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب قوله عز وجل أفمن شرح الله صدره أي وسعه للإسلام وقبول الحق
كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه أي على يقين وبيان وهداية وروى البغوي بإسناد الثعلبي
عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف
انشراح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب
فإن قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت إنه كلما يتلى عليهم ذكر الله الذي يكذبون به قست
قلوبهم عن الإيمان به وقيل إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها
إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين إلا
قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة أولئك في
ضلال مبين قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل قوله عز وجل الله نزل أحسن الحديث يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين
أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الأول فلأن القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس
الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه وأما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن
الحديث لأجل المعنى فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الأولين وعلى أخبار
الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار كتابا متشابها أي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه
بعضا مثاني أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام تقشعر أي تضطرب وتشمئز منه
جلود الذين يخشون ربهم والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل
المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي لذكر الله تعالى

وقيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الله بالوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله تعالى اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذي نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم لذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي اسما بنت ابي بكر الصديق كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر مر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن واسمع ذكر الله سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسط رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في اوله واذا ذكر الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد **ذلك** اي القرآن الذي هو احسن الحديث **هدى الله يهدي به من يشاء** اي هو الذي شرح الله صدره لقبول الهداية **ومن يضلل الله** اي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية **فما له من هاد** اي يهديه قوله تعالى **افمن يتقي بوجهه سوء العذاب** اي شدته **يوم القيمة** قيل يخر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شيء تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يده وفي عنقه ومعنى الآية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب **وقيل للظالمين** اي تقول لهم الخزنة **ذوقوا** اي وبال **ما كنتم تكسبون** في الدنيا من المعاصي **كذب الذين من قبلهم** اي قبل كفار مكة كذبوا الرسل **فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني وهم غافلون آمنون من العذاب **فاذاقهم الله الخزي** اي العذاب والهوان **في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون** قوله عز وجل **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون** اي يتعظون **قرآنا عربيا** اي فصيحا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته **غير ذي عوج** اي منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك ابن انس وحكي عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق **لعلهم يتقون** اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقدم التذكرة في الآية الاولى على التقوى في هذه الآية قلت سبب تقدم التذكرة ان الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشيء واختلط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون** اي متنازعون مختلفون نسيئة اخلاقهم والشكس السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف **ورجلا سالما** اي خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى

واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في مهن شتى فاذا عنت له حاجة يتدافعونه فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته فاي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي يعبد الله وحده فكان حال المؤمن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهة شتى وهو قوله **هل يستويان مثلا** وهذا استفهام انكار لا يستويان في الحال والصفة فقال تعالى **الحمد لله** اي الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات **بل اكثرهم لا يعلمون** ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له لا غيره قوله تعالى **انك ميت** اي ستموت **وانهم ميتون** اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى اليه نفسه واليكم انفسكم والمعنى انك واياهم ميتون وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى **ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون** قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد الله ابن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر مكثنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انه نزلت فينا وعن ابي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا **خ** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم وان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه **م** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله عز وجل **فمن اظلم ممن كذب على الله** اي فزعم ان له ولدا او شريكا **وكذب بالصدق اذ جاءه** اي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه **اليس في جهنم مثوى** اي منزل ومقام **للكافرين** قوله تعالى **والذي جاء بالصدق وصدق به** اي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله ايضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلوة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق اهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيمة وقد ادوا حقه فهم يعني الذين صدقوا به **اولئك هم المتقون** الذين اتقوا الشرك **لهم ما يشاؤن عند ربهم** اي من الجزاء والكرامة **ذلك جزاء المحسنين** اي في اقوالهم وافعالهم **ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا** اي يسترها عليهم بالمغفرة **ويجزيهم** بمحاسن اعمالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل

ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ع

أليس الله بكاف عبده يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعني الأنبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم بعبدة الأوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز أي منيع في ملكه ذي انتقام أي منتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله يعني أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فإن فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك أنها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير ودفع ضر وهو قوله تعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله يعني الأصنام إن أرادني الله بضر أي بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة أي بنعمة وخير وبركة هل هن ممسكات رحمته فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون أي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم أي اجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع إني عامل أي فيما أمرت به من إقامة الدين فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي أنا أو أنتم ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم وهو تهديد وتخويف إنا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس بالحق أي ليهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه أي يرجع فائدة هدايته عليه ومن ضل فإنما يضل عليها أي يرجع وبال ضلالته عليه وما أنت عليهم بوكيل أي لم توكل بهم ولم تؤاخذ بهم قيل هذا منسوخ بآية القتال قوله تعالى الله يتوفى الأنفس أي الأرواح حين موتها أي فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وهو موت الأجساد والتي لم تمت في منامها والنفس التي يتوفاها عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل إنسان نفسان نفس هي التي يكون بها الحيوة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحيوة والنفس الأخرى هي التي يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس فيمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى جسدها ويرسل الأخرى أي ويرد النفس التي لم يقض عليها الموت إلى جسدها إلى أجل مسمى أي إلى أن يأتي وقت موتها وقيل إن للإنسان نفساً وروحاً فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وقال علي بن أبي طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عادت الروح إلى الجسد بأسرع من لحظة وقيل إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها إلى حين انقضاء مدة آجالها ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الأنفس وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح بإذن الله ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أي في البعث وذلك أن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل إن في ذلك دليلاً على قدرتنا حيث لا نغلط في إمساك ما نمسك من الأرواح وإرسال ما نرسل منها قوله تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء يعني الأصنام قل يا محمد أولو كانوا يعني الآلهة لا يملكون شيئاً أي من الشفاعة ولا يعقلون أي إنكم تعبدونهم وأنتم تعبدونهم وإن كانوا بهذه الصفة قل لله الشفاعة جميعاً

أي لا يشفع أحد إلا بإذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لأنه هو الشفيع في الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك السموات والأرض أي لا ملك لأحد فيهما سواه ثم إليه ترجعون أي في الآخرة قوله تعالى وإذا ذكر الله وحده اشمأزت أي نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قيل إذا اشمأزت القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأصنام إذا هم يستبشرون أي يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سروراً حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي من أمر الدين م عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلوته إذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم قوله عز وجل ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم في الآخرة وقيل ظنوا أنها حسنات فبدلت لهم سيئات والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا روي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي ما لم أحتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي مساوي أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله وحاق أي نزل بهم ما كانوا به يستهزؤون فإذا مس الإنسان ضر أي شدة دعانا ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم أي من عند الله أني له أهل وقيل على خير علمه الله بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني أنه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فإنه قال إنما أوتيته على علم عندي فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي فما أغنى الكفر من العذاب شيئاً فأصابهم سيئات ما كسبوا أي جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أي بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق أي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر أي يقتر ويقبض على من يشاء إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله روي عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتهكوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم إيماناً وزناهم إحصاناً ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي وعن ابن عباس أيضاً قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيمة وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا فأنزل الله قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فأسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآيات في عياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً

وعذبوا فافتتنوا

ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا فيه فانزل الله هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش فقال فكنا اذا راينا من اصاب شيئا منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب شيئا من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له وقوله اسرفوا على انفسهم اي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تيأسوا من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها اغراء بالمعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فيه فان شاء غفر له وعفى عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل احد وخوف العقاب قائم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله اعلم

فصل في ذكر احاديث تتعلق بالآية

روي عن ابن مسعود انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأله فاتى راهبا فسأله فقال له الى توبة فقال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الله الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجدا اقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما فيك ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال يا رب او قال مخافتك (خشيتك) فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب للمجتهد اكنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي

وقال

وقال للاخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة تكلم والله بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو انك اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتاخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون وانتم غافلون عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا ان تقول وقيل خوفا ان تصيروا الى حال ان تقول نفس يا حسرتى اي يا ندما ويا حزنا والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب الله اي على ما قصرت في طاعة الله وقيل في امر الله وقيل في حق الله وقيل على ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضاء الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله والمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله هداني اي ارشدني الى دينه وطاعته لكنت من المتقين اي الشرك او تقول حين ترى العذاب اي عيانا لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اي الموحدين ثم اجاب الله هذا القائل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي يعني القرآن فكذبت بها اي قلت ليست من الله تعالى واستكبرت اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله اي فزعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم المكروه ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء اي مما هو كائن او يكون في الدنيا والآخرة وهو على كل شيء وكيل اي ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح خزائن السموات والارض واحده مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز لم يؤذها الديك بصوت تغريد ولم يعالج غلقا باقليد والمعنى الله تعالى مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات والذين كفروا بآيات الله اي جحدوا بآيات الله الظاهرة الباهرة اولئك هم الخاسرون قوله عز وجل قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه ولذلك وصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بانه المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اي الذي قد عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين اي لانعامه عليك قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حين

أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن عبد الله ابن مسعود قال
جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السما على اصبع والارضين على اصبع والجبال على
اصبع والشجر والانهار على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما
قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية ق عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين
الجبارون اين المتكبرون ثم الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية ثم يقول
انا الله ويقبض اصابعها ويبسطها ثم يقول اين الجبارون اين المتكبرون وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه
ويبسطها انا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم
لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيمة الارضين ويكون السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين
ملوك الارض قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص
والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على
ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة
والجماعة قال سفيان ابن عيينة كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى الا من
شاء الله تقدم تفسيره في سورة النمل وتفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه أخرى
الصور مرة أخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من قبورهم ينظرون اي ينتظرون امر الله فيهم
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما قال ابيت
قالوا اربعون شهرا قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت
البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة قوله تعالى وأشرقت
الأرض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما يتضارون
في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيمة ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل
اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدء الى المنتهى وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على اممهم والشهداء
قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي
بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس
ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب
ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا يعني سوقا عنيفا اي افواجا اثرهم على اثر بعض
كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك
مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا ألم يأتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى اي وجبت على الكافرين وهي قوله
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

يطوي

ولكن حقت كلمة العذاب على

قوله

قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق
فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس
او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانهم لا يذهبون الا راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة
والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فان قلت قال في اهل النار فتحت
بغير واو وهنا زاد الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زايدة والثاني انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها
فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو في الاية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة
قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا ابوابها مفتحة حصل السرور والفرح
بذلك واهل النار اذا راوها مغلقة كان نوع ذل وهوان الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت
هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو وهو ما فوق السبعة تقول ستة سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا
جاؤ فاين الجواب قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا
يمكن ذكره والثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين
فحذف دخولها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ابشروا بالسلامة من كل الافات
طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وقال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج
من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على
ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
اي بالجنة وأورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله
نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي ننزل من الجنة حيث نشاء فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوء احدهم مكان غيره
قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوء من جنته حيث يشاء ولا يحتاج
الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم
فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة
حافين من حول العرش اي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحافته وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا
تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف في ذلك اليوم يزول وقضي بينهم بالحق اي قضي بين اهل الجنة واهل
النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتداء الله ذكر الخلق بالحمد
في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على
تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة غافر

وهي مكية غير آيتين وهما قوله الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون آية والف ومائة وتسع وتسعون
كلمة واربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله ابن مسعود قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله
منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه واعجب
فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن وعن ابن عباس
قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات اتأنق فيهن وقال
سعد بن ابراهيم كن آل حم يسمين العرائس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف للرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة
وقيل الحاء افتتاح اسمائه حكيم وحميد وحي وحليم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم
الحاء اي قضي ما هو كائن به تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب القادر وقيل الذي لا مثل له العليم اي بكل المعلومات
غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال
لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل ذي الفضل والنعم
واصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره
اليه المصير اي مصير العباد اليه في الآخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويحاجج في آيات الله اي في دفع آيات الله
بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال ابو العالية آيتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في آيات الله الا
الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في
القرآن كفر واخرجه ابو داود وقال المراء في القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله قوما يتمارون
فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما انزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فما علمتم منه
فقولوه وما جهلتم فكلوه الى عالمه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان
قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم
فان عاقبة امرهم العذاب كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم
بالتكذيب من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه وجادلوا
اي خاصموا بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي جاءت به فأخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت
بهم من الهلاك ما هموا بانزاله بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مستأصلا مهلكا وكذلك
حقت اي وجبت كلمت ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك
انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم
القيمة ايدهم عز وجل باربعة اخر كما قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله
عز وجل وهم على صورة الاوعال وجاء في الحديث ان لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد
منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفوا بهما في الهوى ليس لهم كلام
غير التسبيح والتحميد والتكبير ما بين اظلاف وهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين
كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسماية عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم
وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا
من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التي تليها والتي تليها اشد خوفا من التي تليها وروى
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة
اذنه الى عاتقه مسيرة سبعماية عام اخرجه ابو داود واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من اعظم المخلوقات
خلقا روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان
الطير المسرع ثلثين الف عام ويكسى العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله
والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور

وحجاب

وحجاب ظلمة وحجاب وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما ان الكعبة قبلة لاهل الارض قوله تعالى ومن حوله يعني الطائفين
به وهم الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعون الف صف من الملائكة صف خلف
صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون
الف صف قيام ايديهم على اعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا
سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق اليك كلهم راجعون ومن وراء
هؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين
جناحي احدهم مسيرة ثلثماية عام وما بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه اربعة ماية عام واحتجب الله من الملائكة
الذين حول العرش بسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا
من ياقوت احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد
وما لا يعلمه الا الله عز وجل يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق بجلاله والتحميد هو الاعتراف
بانه هو المنعم على الاطلاق ويؤمنون به اي يصدقون بانه لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت
الذين يسبحون بحمد ربهم يؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه
على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان
به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني آدم
ويستغفرون للذين آمنوا اي يسئلون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوا بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم
فيجب على كل من تكلم في احد بشيء يكره ان يستغفر له ربنا اي ويقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما
اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء
على الله عز وجل قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف
انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت
العزيز الحكيم قيل اذا دخل المؤمن الجنة قال اين ابي واين امي وولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان اكمل لسروره ولذته
وقهم السيئات اي عقوبات السيئات بان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي توجب العقاب ومن تق
السيئات اي تقه في الدنيا يومئذ فقد رحمته اي في القيمة وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم الذي
لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون
اي يوم القيمة وقد مقتوا انفسهم حين عرض عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اي اياكم في الدنيا
اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها
ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهذه موتتان وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسؤال ثم اميتوا في قبورهم
ثم احيوا للبعث في الآخرة وذلك بانهم عددوا في اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحيوة في القبر ثم
الموتة الثانية فيه ثم الحيوة للبعث فاما الحيوة الاولى التي هي في الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من اقسام البلاء وقيل

فتكفرون

ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحيوة القيمة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حيوة السؤال
ولم يعتدوا حيوة السؤال لقصر مدتها **فاعترفنا بذنوبنا** يعني انكا هم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث
اعترفوا بذنوبهم ثم سئلوا الرجعة بقولهم **فهل الى خروج** اي من النار **من سبيل** والمعنى فهل من رجوع
الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط من الخروج وانما
قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار
بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله انكرتم ذلك **وان يشرك به** اي غيره **تؤمنوا** اي تصدقوا
ذلك الشرك **فالحكم لله العلي** اي الذي لا اعلى منه **الكبير** اي الذي لا اكبر منه قوله عز وجل **هو الذي يريكم اياته**
اي عجايب مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته **وينزل لكم من السماء رزقا** يعني المطر الذي هو سبب الارزاق
وما يتذكر اي يتعظ بهذه الايات **الا من ينيب** اي يرجع الى الله في جميع اموره **فادعوا الله مخلصين له الدين**
اي الطاعة والعبادة **ولو كره الكافرون** قوله تعالى **رفيع الدرجات** اي رافع درجات الانبياء والاولياء
والعلماء في الجنة وقيل معناه المرتفع اي انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته
المستغني عمن سواه وكل الخلق فقراء اليه **ذو العرش** اي خالقه ومالكه والفايدة في تخصيص العرش بالذكر لانه
اعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان اعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى
يلقي الروح يعني ينزل الوحي سماه روحا لانه به تحيى الارواح كما تحيى الابدان بالارواح **من امره** قال ابن عباس من
قضايه وقيل بامره وقيل من قوله **على من يشاء من عباده** يعني الانبياء **لينذر يوم التلاق** يعني لينذر النبي صلى الله
عليه وسلم بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيمة والمعنى تلتقي اهل السماء واهل الارض وقيل يلتقي الخلق والخالق وقيل
يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل يلتقي الظالم والمظلوم **يوم هم بارزون** اي خارجون
من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء **لا يخفى على الله منهم شيء** اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى
لا يخفى عليه شيء في ساير الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان
والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم سايرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون
فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا **لمن الملك اليوم** اي يقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم
فلا احد يجيبه فيجيب نفسه بنفسه تعالى فيقول **لله الواحد القهار** اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا حضر الاولون
والاخرون في يوم القيمة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلايق في يوم القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا
حيث كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة
حيث لم يقولونه في الدنيا **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت** يعني يجزى المحسنون باحسانهم والمسيئون باساتهم
لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك اليوم من الظلم لان الله ليس بظلام للعبيد **ان الله سريع الحساب**
اي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قوله تعالى **وانذرهم يوم الازفة** يعني
يوم القيمة سميت ازفة لقرب وقتها وكل ما هو ات قريب **اذ القلوب لدى الحناجر** وذلك انها تزول عن اماكنها
من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا ويستريحوا **كاظمين** اي مكروبين
ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه **ما للظالمين من حميم** اي من قريب ينفعهم **ولا شفيع** اي يشفع لهم
يطاع اي فيهم **يعلم خاينة الاعين** اي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله
عنه **وما تخفي الصدور** اي يعلم مضمرات القلوب **والله يقضي بالحق** اي يحكم بالعدل **والذين يدعون**

من دونه يعني الاصنام **لا يقضون بشيء** لانها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء **ان الله هو السميع** اي لاقوال الخلق **البصير**
لافعالهم **اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم**
اشد منهم قوة واثارا في الارض اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة
من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم **فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق** اي يدفع عنهم العذاب
ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم **بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه**
قوي شديد العقاب قوله عز وجل **ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان**
وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه
اقتلوا ابناء الذين امنوا معه قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون قد امسك عن قتل الولدان فلما
بعث موسى اعاد القتل عليهم فمعناه اعيدوا عليهم القتل **واستحيوا نساءهم** اي استحيوا النساء لكي يصدوهم بذلك
عن متابعة موسى ومظاهرته **وما كيد الكافرين** اي وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم **الا في ضلال** اي يذهب كيدهم
باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى **وقال فرعون** اي لملايه **ذروني اقتل موسى** وانما قال فرعون هذا لانه كان
في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوا عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا
لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه
فقتلوه **وليدع ربه** اي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله الينا فيمنعه منا **اني اخاف ان يبدل دينكم**
يعني يقول فرعون يغير دينكم الذي انتم عليه **وان يظهر في الارض الفساد** يعني بذلك تبديله الدين وتغييره
وعبادة غيره **وقال موسى** لما تواعده فرعون بالقتل **اني عذت بربي وربكم** يعني ان موسى لم يات في دفع
شره الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه من كل بلية **من كل متكبر** اي متعظم عن الايمان **لا**
يؤمن بيوم الحساب قوله تعالى **وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه** قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من
القبط وقيل كان من بني اسرايل فعلى هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا الرجل
خربيل عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب **اتقتلون رجلا ان يقول** اي لان يقول
ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله **وقد جاءكم بالبينات من ربكم** فيه اشارة الى
تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه **وان يك كاذبا فعليه كذبه** اي لا يضركم ذلك
انما يعود وبال كذبه عليه **وان يك صادقا** فكذبتموه **يصبكم بعض الذي يعدكم** قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان
قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على اصلها ومعناه كانه قال على طريق الاحتجاج اقل ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم
وفيه هلاككم وذكر البعض ليوجب الكل **ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** اي على الله **خ** عن عروة
ابن الزبير قال سالت عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه
في عنقه وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله تعالى **يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض**
اي غالبين في الارض اي ارض مصر **فمن ينصرنا** اي يمنعنا **من باس الله ان جاءنا** والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا
لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم **قال فرعون ما اريكم** يعني من الراي والنصيحة
الا ما ارى اي لنفسي **وما اهديكم الا سبيل الرشاد** اي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى
ان مؤمن ال فرعون رد على فرعون بهذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله **وقال الذي امن يا قوم**

إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب وما الله يريد ظلما للعباد
أي لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يعني يوم القيمة وسمي يوم التناد
لأنه يدعى فيه كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة
وينادى فيهم بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان ابن فلان شقي شقاوة
لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم
اقرؤوا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يوم التنافر من ند البعير إذا نفر وهرب وفي ذلك أنهم إذا
سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان الذي
كانوا فيه يوم تولون مدبرين أي منصرفين من موقف الحساب إلى النار ما لكم من الله من عاصم أي يعصمكم من هذا
ومن يضلل الله فما له من هاد أي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب من قبل أي من قبل موسى
بالبينات يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل إن فرعون
يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك
له والمعنى أنهم بقوا شاكين في نبوته فلم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى إذا هلك يعني مات قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل
التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم
لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى التكذيب
برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف أي في شركه وعصيانه مرتاب أي في دينه الذين يجادلون في آيات الله
قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في إبطال آيات الله بالتكذيب بغير سلطان أي بغير حجة وبرهان أتاهم
من الله كبر مقتا أي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على قوله عز وجل وقال
فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا أي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وإن بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص
لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات أي طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه
يعني موسى كاذبا فيما يدعي ويقول إن له ربا غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله قال ابن عباس صده الله
عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب أي وما كيده
في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك وقوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
أي طريق الهدى يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع أي متعة ينتفعون بها مدة وتنقطع وإن الآخرة هي دار القرار
أي التي لا تزول والمعنى أن الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها وإن الآخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض
العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف والآخرة ذهب
باق من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي فجزاؤه
العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب أي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير
تقتير ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار معناه أنا أدعوكم إلى الإيمان بالله الذي يوجب النجاة من
النار وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما
ليس لي به علم أي لا أعلم أن هذا الذي تدعونني إليه بإله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا للإله الحق ولما

كل قلب متكبر جبار

النار

وقيل ليس له دعوة إلى عبادته في الدنيا

بين أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله وأنا أدعوكم إلى العزيز أي في انتقامه
ممن كفر الغفار أي لذنوب أهل التوحيد لا جرم يعني حقا أنما تدعونني إليه يعني الصنم ليس له دعوة في الدنيا
ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة لأحد في الدنيا ولا في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها
وفي الآخرة تتبرأ من عابديها وأن مردنا إلى الله أي مرجعنا إلى الله تعالى فيجازي كلا بما يستحقه وأن المسرفين يعني المشركين
هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر وأفوض أمري إلى الله
أي أرد أمري إلى الله وذلك أنهم توعدوه بمخالفة دينهم إن الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن
من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا أي ما أرادوا به من الشر قيل
إنه نجا مع موسى وكان قبطيا وحاق أي نزل بآل فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله
تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف
طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل
تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه
بمنه وكرمه ق عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة
والعشي فيقال إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه
يوم القيمة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيمة فقال تعالى ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أي يقال لهم
أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب قال ابن عباس لون العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا قوله تعالى وإذ يتحاجون
أي اذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا
أي في الدنيا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء والقادة
إنا كل فيها يعني نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد أي قضى علينا وعليكم وقال الذين في النار يعني حين
اشتد عليهم العذاب لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا قال يعني الخزنة أولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر لكم بعد مجيء الرسل قالوا بلى أي اعترفوا بذلك قالوا فادعوا
يعني أنتم إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال
يعني يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا قال ابن عباس بالغلبة
والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم
تارة وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم وإهلاك أعدائهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعين
ألفا ويوم يقوم الأشهاد يعني وينصرهم يوم القيمة يوم يقوم الأشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون
للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم أي إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم
ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد آتينا موسى الهدى يعني النبوة وقيل التورية
وأورثنا بني إسرائيل الكتاب يعني التورية وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم هدى وذكرى لأولي الألباب
قوله تعالى فاصبر أي يا محمد على أذاهم إن وعد الله حق أي في إظهار دينك وإهلاك أعدائك قال الكلبي
نسختها آية القتال آية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الأنبياء وقيل يعني على ترك
الأولى والأفضل وقيل على ما كان قد صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الأنبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة وليصير سنة لغيره من بعده وذلك لأن مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة
عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والأول مقدم وهو التوبة من الذنوب والاشتغال بالطاعات وهو قوله وسبح بحمد

ربك أي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والإبكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر
وقال ابن عباس الصلوات الخمس إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم يعني كفار قريش إن في صدورهم أي ما
في قلوبهم إلا كبر قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه أي ما هم ببالغي
مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه إن في صدورهم إلا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل
نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح ابن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان
فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك إلينا قال الله تعالى فاستعذ بالله من فتنة الدجال إنه هو السميع أي لأقوالهم
البصير أي لأفعالهم قوله تعالى لخلق السموات والأرض أي مع عظمها أكبر من خلق الناس أي من إعادتهم
بعد الموت والمعنى أنهم مقرون أن الله خلق السموات والأرض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون
بالبعث بعد الموت ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حين لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم
معنى أكبر من خلق الناس أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال فصل
في ذكر الدجال م عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر
من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال ق عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال إنه
أعور عين اليمين كأنها عنبة طافية ولأبي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله
بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني أنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه
قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور ق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم
مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيتي فذكر الدجال فقال إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء
ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات
ضرس من البهائم إلا هلك ومن أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أني ربك
قال فيقول بلى فيمثل له نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعا وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت
إن أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه قالت ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء قلت يا رسول الله
لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله
والله إنا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس
وفي رواية عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة
والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله
ما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي
كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح وفي
رواية أبي داود عنه فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل عيسى عليه
السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا فالذي يرى الناس أنه نار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق فمن أدرك
ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا

ثلثي

احدثكم

أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجيء بمثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار
وإني أنذركم كما أنذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر ما
سألته وإنه قال لي ما يضرك قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران
ابن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن
فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد
إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم
ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق م عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك
يهلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج بأرض بالمشرق يقال
لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية
الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الأحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب
الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من المقدورات من إحياء الميت والخصب
معه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته
ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ابن مريم عليه السلام ويثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج
والجهمية وبعض المعتزلة قبحهم الله وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح
الوجود ولكن الذي يأتي به مما زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا لو كانت حقا لضاهت معجزات الأنبياء
وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الربوبية وهي في نفس دعواه
مكذبة لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينه وعن إزالة
الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به إلا رعاع من الناس لشدة الحاجة والفاقة في سد الرمق
أو خوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته فأما أهل
التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه
ما ازددت فيك إلا بصيرة قوله قلت يا رسول الله إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله
من ذلك معناه هذا أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم
بل إنما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه أنه ليس معه
شيء من ذلك لأنه ثبت في الحديث أنه معه ماء ونار فماؤه نار وناره ماء بارد والله أعلم قوله عز وجل
وما يستوي الأعمى والبصير أي الجاهل والعالم والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء لا يستوون
قليلا ما تتذكرون إن الساعة يعني القيامة لآتية لا ريب فيها أي لا شك في قيامها ومجيئها
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابة عن النعمان
ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب

أكثر منه صح

الله صح

أو قال لما يبعث به من الشبهات صح

الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا صح

إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذي وقال حديث
غريب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذي وقال حديث غريب فإن قلت كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد
يدعو الإنسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الإخلاص في الدعاء وأن لا يدعو وقلبه لاه
مشغول بغير الدعاء وأن يكون الدعاء مصلحة الإنسان وأن لا يكون فيه قطيعة رحم فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيق
الإجابة فإما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه
من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي
فما استجاب لي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل الدعاء الذكر والسؤال إن الذين يستكبرون عن عبادتي أي عن
توحيدي وقيل عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين ذليلين قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه أي لتحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار مبصرا أي لتحصل لكم فيه مكنة التصرف
في حوائجكم ومهماتكم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم
أي ذلكم المميز بالأفعال الخاصة الذي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أي هو الجامع
لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وخلق الأشياء كلها وأنه لا شريك له في ذلك فأنى تؤفكون أي فأنى تصرفون
عنه كذلك أي كما أفكتم عن الحق بإقامة الدلائل كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي
جعل لكم الأرض قرارا أي فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحيوة وبعد الموت والسماء بناء أي سقفا
مرفوعا كالقبة وصوركم فأحسن صوركم أي خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل
ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من المآكل والمشارب
من غير رزق الدواب ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي هذا يفيد الحصر أي لا حي إلا هو وحيث أن يحمل
ذلك على الذي يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله الذي لا يوصف بالحيوة الكاملة إلا هو والحي هو المدرك الفعال
لما يريد وهذه إشارة إلى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية بقوله
لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين أي فادعوه واحمدوه قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله
فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين وذلك حين دعي إلى الكفر أمره الله تعالى أن يقول ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم
من تراب يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل أن كل إنسان مخلوق من تراب لأنه خلق من النطفة وهي من الأغذية والأغذية
من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم
لتكونوا شيوخا يعني أن مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث مراتب الطفولية وهي حال النمو والزيادة
إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل
أي من قبل أن يصير شيخا ولتبلغوا أي جميعا أجلا مسمى أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحيوة إلى الموت
ولعلكم تعقلون أي ما في هذه الأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته هو الذي يحيي
ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي من غير كلفة ولا معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال القدرة على
الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته فإنه قال من الاقتدار إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه

قوله

قوله تعالى ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله يعني القرآن أنى يصرفون أي عن دين الحق وقيل نزلت في
القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم
به فقال إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون أي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في
النار يسجرون أي توقد بهم النار ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله يعني الأصنام قالوا ضلوا عنا
أي فقدناهم فلم نرهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا قيل إنهم أنكروا عبادتها وقيل لم نكن ندعو شيئا ينفع
ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين أي كما أضل هؤلاء
ذلكم أي العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون أي تبطرون وتأشرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
أي تختالون وتفرحون ادخلوا أبواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين أي عن الإيمان قوله تعالى
فاصبر إن وعد الله حق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينصر على الأعداء فإما نرينك بعض الذي نعدهم
أي من العذاب في حياتك أو نتوفينك أي قبل أن يحل ذلك بهم فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك أي خبره وحاله في القرآن ومنهم من لم نقصص عليك أي ولم نذكر لك حال الباقين
وليس منهم أحد إلا أعطاه الله آيات ومعجزات إلا وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا
وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أي بأمره وإرادته فإذا
جاء أمر الله أي قضاؤه بين الأنبياء والأمم قضي بالحق أي بالعدل وخسر هنالك المبطلون أي الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون ولكم فيها منافع أي في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم أي تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد في أسفاركم وحاجاتكم وعليها وعلى
الفلك تحملون أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر ويريكم آياته أي دلائل قدرته فأي آيات الله تنكرون يعني أن هذه
الآيات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن إنكاره قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض
يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في آثار الأرض لعرفوا أن عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار
مع أنهم كانوا أكثر عددا وعددا وأموالا من هؤلاء فما أغنى عنهم أي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون أي شيء
أغنى عنهم كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا أي رضوا بما عندهم من العلم قيل هو قولهم
لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون فلما رأوا بأسنا أي عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا
به مشركين أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله
التي قد خلت في عباده يعني أن سنة الله قد جرت في الأمم الخالية بعدم قبول الإيمان عند معاينة البأس وهو العذاب
يعني بتلك السنة أنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك
الكافرون أي بذهابها بالدارين قيل إن الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه إذا رأى العذاب والله
سبحانه وتعالى أعلم تفسير سورة حم السجدة وتسمى فصلت وسورة المصابيح
وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته أي بينت وميزت جعلت معاني مختلفة

من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد قرآنا عربيا أي باللسان العربي لقوم يعلمون أي إنما
أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقرآن أي
بشيرا لأولياء الله بالثواب ونذيرا لأعدائه بالعقاب فأعرض أكثرهم أي عنه فهم لا يسمعون أي لا يصغون
إليه تكبرا وقالوا يعني مشركي مكة قلوبنا في أكنة أي أغطية مما تدعونا إليه أي فلا نفقه ما تقول وفي
آذاننا وقر أي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى إنا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ومن بيننا وبينك
حجاب أي خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول فاعمل أي أنت على دينك إننا عاملون أي على
ديننا قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم أي كواحد منكم يوحى إلي أي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع
أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه أي توجهوا إليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه
أي من ذنوبكم وشرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة قال ابن عباس رضي الله عنه لا يقولون لا إله إلا الله
لأنها زكوة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكوة المفروضة ولا يرون إيتاءها
واجبا يقال الزكوة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا
يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم وهم بالآخرة هم كافرون أي جاحدون بالبعث بعد الموت إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب
قيل نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه خ
عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول إذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله
عنه مرض أو سفر كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل أإنكم استفهام بمعنى الإنكار
وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وثانيهما
وتجعلون له أندادا إثبات الشركاء والأنداد له والمعنى كيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة أندادا لله مع أنه
تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين يعني الأحد والاثنين ذلك رب العالمين أي هو رب العالمين وخالقهم المستحق
للعبادة لا الأنداد المنحوتة من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت من فوقها أي من
فوق الأرض وبارك فيها أي في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار
والثمار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج إليه وقدر فيها أقواتها أي قسم في الأرض أرزاق العباد
والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لأهل قطر من الأرض
والتمر لأهل قطر آخر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك سائر الأقوات قيل إن الزراعة أكثر الحرف
بركة لأن الله تعالى وضع الأقوات في الأرض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين
الأولين فخلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء والأربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الأول
في الذكر سواء للسائلين معناه سواء لمن سأل عن ذلك فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل
في كم خلقت الأرض والأقوات ثم استوى إلى السماء أي عمد إلى خلق السماء وهي دخان يعني أن ذلك الدخان
كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والأرض أمر الريح
فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم أيبس منه الماء فخلق الأرض واحدة ثم فتقها فجعلها
سبعا فإن قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن
خلق الأرض قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما
قلت الجواب المشهور أنه تعالى خلق الأرض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدها وجواب

آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين ليس الخلق عبارة عن
الإيجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء فعلى هذا
يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها أي ائتيا ما أمرتكما أي افعلاه
وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا وإلا كرها وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع قالتا أتينا
طائعين معناه أتينا بما أمرنا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا
ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي
أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك وقوله فقضاهن سبع سموات أي أتمهن وفرغ من خلقهن في يومين
وهما الخميس والجمعة وأوحى في كل سماء أمرها قال ابن عباس خلق في كل سماء خلقا من الملائكة وخلق ما فيها
من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي وزينا السماء
الدنيا أي التي تلي الأرض بمصابيح أي بكواكب تشرق كالمصابيح وحفظا أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا
للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع ذلك أي الذي ذكر من صنعه وخلقه تقدير العزيز أي في ملكه
العليم أي بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم قوله تعالى فإن أعرضوا يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان
بهذا البيان فقل أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي هلاكا مثل هلاكهم
والصاعقة المهلكة من كل شيء إذ جاءتهم الرسل يعني إلى عاد وثمود من بين أيديهم يعني الرسل الذين أرسلوا
إلى آبائهم ومن خلفهم يعني ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم وهم هود وصالح
وإنما خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على بلادهم ألا أي بأن لا تعبدوا إلا الله قالوا لو
شاء ربنا لأنزل ملائكة يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل فإنا بما أرسلتم به كافرون
روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو
التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت علما من ذلك وما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما خرج إليه قال أنت
يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما
بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشرة نسوة تختار من أي أبناء
قريش وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم
فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
آياته إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده
الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا
إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك
عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام
محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت
عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب
فخفت أن ينزل بكم وقال محمد بن كعب القرظي حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس
في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه

واعرض عليه امورا فلعله يقبل منها بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين اسلم حمزة وراوا ان اصحاب محمد يزيدون
ويكثرون قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك
منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت
احلامهم وعبت الهتهم وكفرت من مضى من ابائهم فاستمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا
مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل
هذا شعر جاش بصدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا نقدر عليه حتى اذا فرغ فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته ثم مضى فيها يقرؤها فلما سمعها عتبة انصت له والقى يديه خلف
ظهره معتمدا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال اسمعت يا ابا
الوليد فانت وذلك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه
الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط
ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وما هو فيه واعتزلوه
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم
وعزه عزكم وانتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا
لكم قوله عز وجل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة وذلك ان هودا هددهم
بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم
اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربع
منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات
والمرسلات والذاريات قيل ارسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا في ايام نحسات اي نكدات
مشؤومات ذات نحوس وقيل ذات غبار وتراب يثار لا يكاد يبصر فيه وقيل امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين
ودابت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزي اي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله
فاستكبروا في الارض بغير الحق في الحيوة الدنيا اي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحيوة الدنيا
ولعذاب الاخرة اخزى اي اشد اهانة وهم لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم
قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا
الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اي ذي الهوان بما كانوا يكسبون اي من الشرك
ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن امن معه من قومه قوله تعالى
ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اي يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق اخرهم حتى اذا ما
جاءوها يعني النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اي بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون
معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم م عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك
فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم
فيقول بلى قال فاني لا اجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين

عليك

وانا صح

عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا
لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقالوا يعني الكفار الذين يحشرون على النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء معناه ان القادر الذي خلقكم اول مرة في الدنيا وانطقكم ثم اعادكم
بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
وقيل تم الكلام عند قوله الذي انطق كل شيء ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقيل
لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون اي تستخفون وقيل معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكنه
يعلم ما يظهر ق عن عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير
شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا
وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد يا ليل والقرشيان ختناه
ربيعة وصفوان ابن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اي ظنكم ان الله لا يعلم ما تعملون
ارداكم اي اهلككم وقال ابن عباس طرحكم في النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله
فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي مسكن وان يستعتبوا اي يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو
الذي قبل عتابه واجيب الى ما سأل فما هم من المعتبين اي المرضيين وقيضنا اي بعثنا ووكلنا
وقيل سببنا لهم قرناء اي نظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر
الدنيا حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم اي فدعوهم الى التكذيب بالاخرة وانكار البعث وقيل حسنوا
لهم اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اي وجب في امم اي مع امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه قال ابن عباس يعني والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم
يوصي الى بعض اذا رايتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل
والغوا فيه بالمكاء والتصفير وقيل صيحوا في وجهه لعلكم تغلبون يعني محمدا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا
عذابا شديدا ولنجزينهم اسوء يعني باسوء الذي كانوا يعملون اي في الدنيا وهو الشرك ذلك
اي الذي ذكر من العذاب جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد اي دار الاقامة
لا انتقال لهم عنها جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا اي في النار ربنا اي يقولون ربنا
ارنا الذين اضلانا من الانس والجن يعنون ابليس وقابيل ابن ادم الذي قتل اخاه لانهما سنا المعصية نجعلهما
تحت اقدامنا اي في النار ليكونا من الاسفلين اي في الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا
اشد عذابا منا قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف
الحق لذاته لا لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا
الله ورأس الاعمال الصالحة ان يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون
الاستقامة في امر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة
فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم في الامر والنهي ولا تروغ

زوغان الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ادوا الفرائض وهو قول
ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله
حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلى هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة
قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث
الا تخافوا اي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا اي على ما خلفتم من اهل
وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون نحن اولياؤكم اي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اي انصاركم وقيل
تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم في الحيوة الدنيا ونحن اولياؤكم وفي الاخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة
ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم اي من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون اي تتمنون
نزلا اي رزقا والنزل رزق النزيل وهو الضيف من غفور رحيم قال اهل المعاني كل هذه الاشياء
المذكورة في هذه الاية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذه النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة
قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله اي الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وقيل هو المؤمن اجاب الله فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب الله
وعمل صالحا في اجابته وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها هذه الاية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله
بطريق من الطرق فهو داخل في الاية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله تعالى بالمعجزات
وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبياء المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله
بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة
المجاهدين الى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلون في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين
الى الصلوة فهم ايضا دعاة الى الله والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال
القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو ساير الطاعات وقيل عمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان
والاقامة ق عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلوة قال في الثالثة
لمن شاء عن انس بن مالك قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن
وقال انني من المسلمين قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ
به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة ادفع
بالتي هي احسن قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم اي الصديق القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وذلك لانه لان للمسلمين
بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة
وما يلقيها اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا اي على تحمل
المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب
وقيل الحظ العظيم الجنة يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه
النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه اي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم
باحوالك قوله تعالى ومن اياته اي ومن دلايل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار

والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود
عبارة عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق للسجود والتعظيم هو خالق الليل
والنهار والشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود لهذه
الوسايط وامروا بالسجود لله تعالى الذي خلق هذه الاشياء كلها فان استكبروا اي عن السجود لله فالذين
عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يفترون ولا يملون فصل
وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي احدهما
عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد لان ذكر
السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا نقله الرافعي انه عند قوله وهم لا يسأمون وهو قول
ابن عباس وابن عمر وسعيد ابن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي
الموتى انه على كل شيء قدير قوله تعالى ان الذين يلحدون اي يميلون عن الحق في اياتنا
في ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون في اياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا
فيه تهديد ووعيد قيل نزلت في ابي جهل افمن يلقى في النار هو ابو جهل خير ام من ياتي امنا يوم القيمة
والمعنى الذين يلحدون في اياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون باياتنا امنين يوم القيمة قيل هو حمزة وقيل عثمان
وقيل عمار ابن ياسر اعملوا ما شئتم امر تهديد ووعيد انه بما تعملون بصير اي انه عالم باعمالكم
فيجازيكم بها ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القران وفي جواب ان وجهان احدهما انه محذوف
تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف
الذكر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق
عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ
من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل
الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل
لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم
من الزمان ولا فيما تاخر تنزيل من حكيم اي في جميع افعاله حميد اي الى جميع خلقه بسبب نعمه
عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل ما يقال لك اي من الاذى والتكذيب
الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعني انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ان ربك
لذو مغفرة اي لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل
ولو جعلناه اي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس قرانا اعجميا اي بغير لغة العرب لقالوا لولا
فصلت اياته اي هلا بينت اياته بالعربية حتى نفهمها ااعجمي وعربي يعني اكتاب اعجمي ورسول
عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربي والمنزل
عجمي وقيل في الاية معنى انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى قوم
العرب وصح قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه انا لما انزلنا هذا
القران بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون إنما يعلمه
يسار فضربه سيده وقال إنك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فأنزل الله هذه الآية قل يا محمد هو يعني القرآن
للذين آمنوا هدى أي من الضلالة وشفاء أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من
الأوجاع والأسقام والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أي صموا عن استماع
القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به أولئك ينادون من مكان بعيد أي كما أن من دعي من مكان بعيد
لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك
ولولا كلمة سبقت من ربك أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن لقضي بينهم أي لفرغ
من عذابهم وعجل إهلاكهم وإنهم لفي شك منه مريب أي من كتابك وصدقك من عمل
صالحا فلنفسه أي يعود نفع إيمانه وعمله على نفسه ومن أساء فعليها أي ضرر إساءته وكفره يعود على
نفسه أيضا وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب غير المسيء قوله عز وجل إليه يرد علم الساعة
يعني إذا سئل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ولا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك وما
تخرج من ثمرات من أكمامها أي من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق وما تحمل من أنثى ولا
تضع إلا بعلمه أي يعلم عدد أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ذكر أم أنثى ومعنى الآية
كما يرد إليه علم الساعة فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره فإن قلت الرجل
الصالح من أصحاب الكشف يقول قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف إذا
قالوا قولا فهو من إلهام الله واطلاعه إياهم عليه فكان من علمه الذي يرد إليه وأما الكهان والمنجمون
فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وإنما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قل ما يصيب وعلم الله
هو اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد ويوم يناديهم أي ينادي الله المشركين فيقول أين شركائي
أي التي زعمتم أنها آلهة قالوا يعني المشركين آذناك أي أعلمناك ما منا من شهيد أي شاهد أن لك شريكا وذلك
لما رأوا العذاب تبرءوا من الأصنام وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل أي يعبدون في الدنيا
وظنوا ما لهم من محيص أي مهرب قوله تعالى لا يسأم الإنسان أي لا يمل الكافر من دعاء الخير يعني لا
يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة وإن مسه الشر أي الشدة والفقر فيؤوس أي من روح الله
قنوط أي من رحمته ولئن أذقناه رحمة منا أي آتيناه خيرا وعافية وغنى من بعد ضراء مسته
أي من بعد شدة وبلاء أصابه ليقولن هذا لي أي استحقه بعملي وما أظن الساعة قائمة أي وكنت
على يقين من البعث ولئن رجعت إلى ربي يقول هذا الكافر فإن كان الأمر على ذلك ورددت إلى ربي إن لي عنده
للحسنى أي الجنة والمعنى كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي أعمالهم ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان
أعرض ونأى بجانبه أي ذهب بنفسه وتعظم وتكبر وإذا مسه الشر أي الشدة والفقر فذو دعاء عريض
أي كثير قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم إن كان من عند الله يعني هذا القرآن ثم كفرتم به أي جحدتموه
من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم سنريهم
آياتنا في الآفاق قال ابن عباس يعني منازل الأمم الخالية وفي أنفسهم أي بالبلاء والأمراض وقيل ما نزل
بهم يوم بدر وقيل في الآفاق وهو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفي أنفسهم وهو فتح مكة حتى

يتبين لهم أنه الحق يعني دين الإسلام وقد تبين القرآن أنه من عند الله وقيل يتبين لهم أن محمدا صلى الله
عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار
والأنهار والنبات وفي أنفسهم يعني من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم أنه الحق يعني لا يقدر على هذه
إلا الله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد يعني يشهد أن القرآن من عند الله وقيل ولم يكفهم
هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى لهم على التوحيد وأنه شاهد لا يغيب عنه شيء ألا إنهم في مرية
من لقاء ربهم أي في شك عظيم من البعث والقيامة ألا إنه بكل شيء محيط أي عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة شورى

وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس إلا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم
عليه أجرا وقيل فيها من المدني ذلك الذي يبشر الله به عباده إلى قوله بذات الصدور وقوله والذين إذا
أصابهم البغي هم ينتصرون إلى قوله من سبيل وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة
آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم عسق سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع المص والمر وكهيعص
فقال لأنها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لأن حم عسق عدة
آيتين وعدة أخواتها التي لم تقطع آية وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف
التهجي واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم أي قضي وبقي عسق
على أصله وقال ابن عباس معناه أي مفتح ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته أقسم الله بها
وقيل إن العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب في قريش يعز فيها الذليل ويذل
فيها العزيز م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سني كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه
وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود
والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس ليس من نبي صاحب
كتاب إلا وقد أوحي إليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك
وقيل معناه كذلك يوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى الذين من قبلك الله العزيز في ملكه الحكيم
في صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى له
ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
أي من فوق الأرضين وقيل تنفطر كل واحدة من فوق التي قبلها من قول المشركين اتخذ الله ولدا
والملائكة يسبحون بحمد ربهم أي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم ويستغفرون لمن في الأرض
أي من المؤمنين دون الكفار لأن الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل أن تكون لجميع من في
الأرض أما في حق الكفار فبواسطة طلب الإيمان لهم ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب
وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن
والكافر ألا إن الله هو الغفور الرحيم يعني أنه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم إليها منته وكرمه
والرحمة التامة الشاملة قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء أي جعلوا له شركاء وأندادا
الله حفيظ عليهم أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم وما أنت عليهم بوكيل أي لم توكل بهم

حتى تؤخذ بهم إنما أنت نذير وكذلك أي ومثل ما ذكرنا أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى يعني مكة
والمراد أهلها ومن حولها يعني قرى الأرض كلها وتنذر يوم الجمع أي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيمة يجمع الله
فيه الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين لا ريب فيه أي لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد ذلك
الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا
يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم
قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقيل قبل أن يستقروا نطفا في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس
بزائد فيهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيمة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء
أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الأصلاب وقيل أن يستقروا نطفا
في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ينقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيمة فقال
عبد الله بن عمرو ففيم العمل إذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة
وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير
عدل من الله أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة قال ابن عباس
على دين واحد وقيل على ملة الإسلام ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي في دين الإسلام والظالمون
أي الكافرون ما لهم من ولي أي يدفع عنهم العذاب ولا نصير أم اتخذوا يعني الكفار من دونه أولياء فالله هو الولي
قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني يكون
بهذه الصفة فهو الحقيق بأن يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شيء
أي من أمر الدين فحكمه إلى الله أي يقضي فيه ويحكم يوم القيمة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه إلى الله
تعالى وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره
على حكومته ذلكم الله أي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت أي في جميع أموري وإليه أنيب
أي وإليه أرجع في كل المهمات فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أي من جنسكم أزواجا
أي حلائل وقيل إنما قال من أنفسكم لأن الله خلق حواء من ضلع آدم ومن الأنعام أزواجا أي أصنافا
ذكرانا وإناثا يذرؤكم أي يخلقكم وقيل يكثركم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقد تقدم ذكر الأزواج
وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكرانهم وإناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطب
من الناس والأنعام إلا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الأنعام وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به
أي يكثركم بالتزويج ليس كمثله شيء المثل صلة أي كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال
ابن عباس ليس له نظير فإن قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الأعلى في السموات والأرض
يقتضي إثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية
فقوله ليس كمثله شيء فمعناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى
مثل وقوله تعالى وله المثل الأعلى فمعناه وله الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد
فقد ظهر بهذا التفصيل معنى الآية وحصل الفرق بينهما وهو السميع أي لسائر المسموعات البصير
أي لسائر المبصرات له مقاليد السموات والأرض أي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الأرض
يعني النبات ويدل عليه قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني أنه يوسع على من يشاء ويضيق على

أي يمنعهم من العذاب

من يشاء لأن مفاتيح الرزق بيده إنه بكل شيء عليم أي من البسط والتضييق قوله عز وجل شرع لكم
من الدين أي بين لكم وسن لكم طريقا واضحا من الدين أي دينا تطابقت على صحته الأنبياء وهو قوله تعالى ما وصى به نوحا
يعني أنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يا محمد دينا واحدا والذي أوحينا إليك أي من القرآن
وشرائع الإسلام وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى إنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر
الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولو العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام
من رسله بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من إقامة الدين هو توحيد الله والإيمان به وبكتبه
ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي
مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل
الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الأمهات والبنات والأخوات فإنه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا
إلا وصاه بإقام الصلوة وإيتاء الزكوة والإقرار لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله تعالى الأنبياء كلهم بإقامة الدين
والألفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم إليه أي من التوحيد ورفض الأوثان الله يجتبي
إليه من يشاء أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده ويهدي إليه من ينيب أي يقبل إلى طاعته وما
تفرقوا يعني أهل الأديان المختلفة وقال ابن عباس يعني أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم أي بأن
الفرقة ضلالة بغيا بينهم أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا
كلمة سبقت من ربك أي في تأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى يعني إلى يوم القيمة لقضي بينهم
أي بين من آمن وكفر يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وإن الذين أورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
من بعدهم أي من بعد أنبيائهم وقيل من الأمم الخالية لفي شك منه أي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين شاكين فيه فلذلك أي إلى ذلك فادع أي إلى ما وصى الله به الأنبياء
من التوحيد وقيل ولأجل ما حدث من الاختلاف في الدين الكثير فادع أنت إلى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم
كما أمرت أي اثبت على الدين الذي أمرت به ولا تتبع أهواءهم أي المختلفة الباطلة وقل آمنت
بما أنزل الله من كتاب أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لأن المتفرقين آمنوا ببعض الكتب
وكفروا ببعض وأمرت لأعدل بينكم قال ابن عباس أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم
من الأحكام وقيل لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء وقيل لأعدل بينكم في الحكم إذا تخاصمتم وتحاكمتم
الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن إله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وإن
اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة أي لا خصومة بيننا وبينكم خصومة الله يجمع بيننا
أي في المعاد لفصل القضاء وإليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله أي يخاصمون في دين الله
قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له
أي من بعد ما استجاب الناس لدين الله وأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
حجتهم داحضة أي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
أي في الآخرة الله الذي أنزل الكتاب بالحق أي الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والأحكام والميزان
أي العدل سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية قال ابن عباس أمر الله تعالى بالوفاء ونهى
عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب أي وقت إتيانها قريب وذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى الساعة فأنزل يستعجل بها الذين

لا يؤمنون بها أي ظناً منهم أنها غير آتية والذين آمنوا مشفقون منها أي خائفون منها ويعلمون
أنها الحق أي أنها آتية لا شك فيها ألا إن الذين يمارون أي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون
فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده أي كثير الإحسان إليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل
رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم يدل عليه يرزق من يشاء يعني أن الإحسان
والبر أنعام في حق كل العباد وهو إعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء
أن الله يرزقه وقيل اللطيف في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليك
مرة واحدة وهو القوي أي القادر على كل ما يشاء العزيز أي الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الآخرة
أي كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه أي بالتضعيف بالواحدة إلى عشرة إلى ما شاء
الله من الزيادة وقيل إنا نزيد في توفيقه وإعانته وإرادته وتسهيل سبيل الطاعات والخيرات عليه ومن كان
يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا مؤثراً لها على الآخرة نؤته منها أي ما قدر وقسم له منها وما له
في الآخرة من نصيب يعني لم يعمل بها عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسنا
والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ذكره في جامع الأصول ولم يعزه
إلى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي بإسناده قوله تعالى أم لهم يعني كفار مكة شركاء يعني الأصنام وقيل
الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام ما لم يأذن به الله يعني أن
تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله الذي أمر به وذلك أنهم زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا
يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني أن الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم
أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا وإن الظالمين يعني المشركين لهم عذاب أليم أي في الآخرة ترى
الظالمين يعني يوم القيامة مشفقين أي وجلين خائفين مما كسبوا أي من الشرك والأعمال الخبيثة وهو واقع بهم
أي جزاء كسبهم واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كأن هذه الروضات أطيب بقاع
الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على أن في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون
هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أهل القبلة لهم ما يشاؤون عند ربهم أي من الكرامة ذلك
هو الفضل الكبير أي الذي ذكر من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات قوله عز وجل قل لا أسألكم عليه أي على تبليغ الرسالة أجراً أي جزاء
إلا المودة في القربى خ عن ابن عباس أنه سئل عن قوله إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن
عباس عجلت إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من
القرابة وعن ابن عباس أيضاً في قوله إلا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي وإليه ذهب
مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك خ عن ابن عمر أن أبا بكر الصديق قال ارقبوا محمداً في أهل بيته
واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل أهل بيته من حرم عليهم الصدقة من أقاربه
وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام م عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله
ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين
من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته فقال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة
بعده قال ومن هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس فإن قلت طلب الأجر على تبليغ الرسالة والوحي

لا يجوز

لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الأنبياء وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين قلت لا نزاع
في أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله إلا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الأول معناه لا
أطلب منكم إلا هذا وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول الشاعر ۞ ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۞ بهن فلول من
قراع الكتائب ۞ معناه إذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولأن المودة بين المسلمين أمر واجب
وإذا كان كذلك في حق جميع المسلمين فكان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسألكم عليه أجراً
إلا المودة في القربى والمودة في القربى ليست أجراً في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم
فثبت أن لا أجر ألبتة والوجه الثاني أن هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله لا أسألكم عليه أجراً ثم ابتدأ
فقال إلا المودة في القربى أي لكن أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم في الدين فهم قرابتكم فلا تؤذوهم
وقيل إن هذه منسوخة وذلك لأنها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه
الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه
أحب الله أن يلحقه بإخوانه من النبيين فأنزل الله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وصارت هذه الآية ناسخة
لقوله قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وإليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية
غير مرضي لأن مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا
يجوز المصير إلى نسخ هذه الآية وروي عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته وهو قول
الحسن قال هو القربى إلى الله يقول إلا التقرب إلى الله والتودد إليه والعمل الصالح وقوله تعالى ومن يقترف حسنة
أي يكتسب طاعة نزد له فيها حسناً أي بالتضعيف إن الله غفور للذنوب شكور أي للقليل من الأعمال
حتى يضاعفها أم يقولون أي بل يقول كفار مكة افترى على الله كذباً فيه توبيخ لهم معناه أيقع في قلوبهم ويجري على لسانهم
أن ينسبوا مثله إلى الكذب فإنه افترى على الله كذباً وهو أقبح أنواع الكذب فإن يشأ الله يختم على قلبك
أي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن
وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذباً لفعل به ما أخبر في هذه الآية ويمح الله الباطل أي أخبر الله
تعالى أنما يقولونه باطل والله يمحوه ويحق الحق بكلماته أي يحق الإسلام بما أنزل الله من كتابه وقد
فعل الله ذلك فمحى باطلهم وأعلى كلمة الإسلام إنه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا أسألكم
عليه أجراً إلا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فأخبره أنهم
اتهموه وأنزل هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده قال ابن عباس يريد أولياءه وأهل طاعته ويعفو عن السيئات في ذكر التوبة وحكمها قال العلماء
التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط أحدها
أن يقلع عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً فإذا حصلت هذه الشروط
صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة
والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلاً والإقبال على
الطاعة وفعلاً وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة
خ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين
مرة م عن الأغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه
في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن

فصل

نية صح

من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ
وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه
فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله اشد
فرحا من توبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اشد فرحا من توبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس من راحلته فبينا هو كذلك
اذ هو بها قايمة عنده ثم اخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن
صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين
عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا الآية
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل
ويعفوا عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا ويعلم ما تفعلون يعني من خير او شر فيجازيهم عليه ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المؤمنين الله فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين امنوا اذا
اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين امنوا ويزيدهم من فضله اي سوا ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس
يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل
ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة و
النضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا اي لطغوا وعتوا في الارض قال ابن
عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا
وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة و
التواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر اقل ومع البسط والغنى لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة
لآلاتها كان الشر اقل واذا كانت واجدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان ولكن ينزل بقدر
ما يشاء يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى انه بعباده خبير بصير والمعنى انه تعالى
عالم باحوال عباده وبطبايعهم وعواقب امورهم فيقدر ارزاقهم على قدر مصالحهم يدل على ذلك ما روى عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وان دعاني اجبته وان سالني اعطيته
وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي
المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادة فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح
ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر فلو اغنيته لافسده
ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير اخرجه البغوي

باسناده قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل
حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح حصول النعمة بعد الشدة
اتم وينشر رحمته اي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وهو الولي اي لاهل طاعته
الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته ومن آياته خلق السموات والارض وما بث اي اوجد
فيهما اي في السموات والارض من دابة فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت
الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به
الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير يعني يوم القيامة وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يعني المراد بهذه المصائب
الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك فبما كسبت ايديكم
من الذنوب والمعاصي ويعفوا عن كثير قيل لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابي سخيلة قال قال علي رضي الله عنه الا اخبركم بافضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما اصابكم
من مصيبة اي من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في
الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا والله احلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا
فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها ق عن عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة
وما انتم بمعجزين في الارض اي بفائتين هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير قوله تعالى ومن آياته الجوار يعني السفن وهي السيارة في البحر كالاعلام
اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم ان يشا يسكن الريح اي التي تجري بها السفن
فيظللن يعني السفن الجواري رواكد اي ثوابت على ظهره اي على ظهر البحر لا تجري ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء او يوبقهن اي يغرقهن
ويهلكهن بما كسبوا اي بما كسبت ركابها من الذنوب ويعف عن كثير اي من ذنوبهم فلا يعاقب
عليها ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا
الى الله ما لهم من مهرب من عذابه فما اوتيتم من شيء اي من زينة الدنيا فمتاع الحيوة
الدنيا اي ليس هو من زاد المعاد وما عند الله اي من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الدنيا فاذا صاروا الى الله تعالى كان ما عند الله من
الثواب خير وابقى للمؤمن والذين يجتنبون كبائر الاثم يعني كل ذنب يعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة
وشبه ذلك والفواحش يعني ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واذا ما غضبوا هم يغفرون يعني
يكظمون الغيظ ويحلمون والذين استجابوا لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته واقاموا
الصلوة يعني المفروضة وامرهم شورى بينهم يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون
برأي ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا الى رشد امرهم ومما رزقناهم ينفقون والذين
اذا اصابهم البغي يعني الظلم والعدوان هم ينتصرون يعني ينتقمون من ظالمهم من غير

تعتد قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى وإذا ما غضبوا
هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا
أنفسهم فإذا قدروا عفوا وقيل إن العفو إغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة
وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى أن شريعة الانتصار مشروطة برعاية
المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل
لأن الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح إذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد وإذا شتمك
فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص والجراحات والدماء يقتص بمثل ما جنى عليه وقيل إن الله لم يرغب
في الانتصار بل بين أنه مشروع ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى فمن عفا أي عمن ظلمه وأصلح
أي بالعفو بينه وبين الظالم فأجره على الله قال الحسن إذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على
الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا ثم قرأ هذه الآية إنه لا يحب الظالمين قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم
ولمن انتصر بعد ظلمه أي بعد ظلم إياه فأولئك يعني المنتصرين ما عليهم من سبيل أي بعقوبة
ومؤاخذة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس أي يبدؤن بالظلم ويبغون في الأرض بغير الحق
أي يعملون فيها بالمعاصي أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر أي لم ينتصر وغفر أي تجاوز عن ظالمه
إن ذلك أي الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور يعني تركه الانتصار لمن عزم الأمور الجيدة التي أمر الله
بها وقيل إن الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزم ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده يعني ما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذابه يقولون هل إلى مرد من سبيل
يعني أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين من الذل أي خاضعين
متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل ينظرون
بطرف خفي أي ضعيف من الذل وقيل ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي وقال الذين
آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يعني بأن صاروا إلى النار وأهليهم يوم القيمة يعني خسروا
أهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم أي أجيبوا داعي الله
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيمة
وقيل هو يوم الموت ما لكم من ملجأ يومئذ أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت وما لكم من نكير
أي منكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئا فإن أعرضوا أي عن الإجابة
فما أرسلناك عليهم حفيظا أي تحفظ أعمالهم إن عليك إلا البلاغ أي ليس عليك إلا البلاغ
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة
فرح بها وإن تصبهم سيئة أي قحط بما قدمت أيديهم أي من الأعمال الخبيثة فإن الإنسان
كفور أي لما تقدم من نعمة الله عليه قوله عز وجل لله ملك السموات والأرض يعني له التصرف فيهما
بما يريد يخلق ما يشاء أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته يهب لمن يشاء إناثا
أي فلا يولد له إلا الأنثى ويهب لمن يشاء الذكور أي فلا يولد له الأنثى أو يزوجهم ذكرانا
وإناثا أي يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث ويجعل من يشاء عقيما أي فلا يولد له ولد وقيل

هذا في الأنبياء عليهم السلام فقوله يهب لمن يشاء إناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء
الذكور يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع
بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني عيسى ويحيى عليهما السلام لم يولد لهما وعلى هذا هو على وجه التمثيل
وإلا فالآية عامة في جميع الناس إنه عليم أي بما يخلق قدير أي على ما يريد أن يخلق قوله تعالى وما
كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قيل سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فقال لم ينظر موسى إلى الله فأنزل الله وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي يوحي إليه في المنام أو بالإلهام كما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده وهو وحي
وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر أو من وراء حجاب أي يسمع كلامه من وراء حجاب ولا يراه
كما كلم موسى أو يرسل رسولا يعني من الملائكة إما جبريل أو غيره فيوحي بإذنه ما يشاء يعني
يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشرا إلا من وراء
حجاب في الدنيا ويأتي بيان هذه الآية في سورة النجم إن شاء الله إنه علي أي عن صفات المخلوقين حكيم
أي في جميع أفعاله قوله عز وجل وكذلك أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا إليك روحا من أمرنا
قال ابن عباس نبوة وقيل قرآنا لأنه به حياة الأرواح وقيل رحمة وقيل جبريل ما كنت تدري
أي قبل الوحي ما الكتاب يعني القرآن ولا الإيمان اختلف العلماء في هذه الآية مع اتفاقهم
على أن الأنبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الإيمان ومعالمه
فقال محمد بن إسحق وابن خزيمة الإيمان في هذا الموضع الصلوة دليله وما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلوتكم
ولم يرد به الإيمان الذي هو الإقرار بالله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله ويحج
ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين إبراهيم عليه السلام ولم
يتبين له شرائع دينه إلا بعد الوحي إليه ولكن جعلناه نورا قال ابن عباس يعني الإيمان
وقيل القرآن لأنه يهتدى به من الضلالة وهو قوله نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي أي لتدعو
إلى صراط مستقيم يعني دين الإسلام صراط الله يعني الذي شرعه لعباده الذي له ما في السموات
وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور يعني أمور الخلائق في الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء
والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية وهي تسع وثمانون
آية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين
أقسم بالكتاب وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة
وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين وجواب القسم إنا جعلناه أي صيرنا قراءة هذا الكتاب
عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون يعني معانيه
وأحكامه وإنه يعني القرآن في أم الكتاب أي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره
أن يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وإنه في أم الكتاب لدينا فالقرآن مثبت عند الله في اللوح
المحفوظ لعلي أخبر عن علوه وشرفه وعلو منزلته والمعنى إن كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فإنه عندنا
لعلي رفيع شريف وقيل علي على جميع الكتب حكيم أي محكم لا يتطرق إليه الفساد والبطلان قوله تعالى
أفنضرب عنكم الذكر صفحا معناه أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا

نبهاكم من اجل انكم اسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى ان اي لان كنتم قوما مسرفين والمعنى لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء الله وقيل معناه افنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه افنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على كفركم وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم بطشا اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل ولئن سألتهم اي سألت يا محمد قومك من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم يعني انهم اقروا بان الله تعالى خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال الذي جعل لكم الارض مهدا معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا اي طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به بلدة اي بالمطر ميتا اي كما احيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره اي على ظهور الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون اي لمنصرفون في المعاد عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك ان يعود من سفره حزينا كئيبا ويصادف ما يحزنه في اهل ومال عن علي بن ربيعة قال شهدت علي ابن ابي طالب وقد اتي بدابته ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله عليه السلام فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني قولهم ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفيكم اي اخلصكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن

شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل اي صار وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولد له انثى فهجر بيت امرأته الذي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شئنا وانما نأخذ ما اعطينا قوله عز وجل اومن ينشأ يعني او من يتربى في الحلية يعني الزينة والنعمة والمعنى او يجعل للرحمن من ولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولا نقصانها لما احتاجت الى تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله وهو في الخصام اي في المخاصمة غير مبين للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله ويسألون اي عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها في الآخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياه لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتها وقيل يكذبون في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله فهم به مستمسكون اي يأخذون بما فيها بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اي على دين وملة وانا على آثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اي بهم قال اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه آباءكم فابوا ان يقبلوا وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء مما تعبدون الا الذي فطرني معناه اني اتبرأ مما تعبدون الا من الذي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني الى دينه وجعلها اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة وآباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق اي القرآن وقيل الاسلام ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام وقيل مبين الرسالة واوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة

من مكة وكنانة ابن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد ابن المغيرة من مكة ومن الطائف
حبيب ابن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم **اهم يقسمون رحمت ربك** معناه ابايديهم مفاتيح
الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعراضهم وتحكمهم وان يكونوا
هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثالا فقال تعالى **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا**
اى نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا
وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض
في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا
بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا
ثم قال **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** يعني لو
انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر منهم احد مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم
وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل
فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا
بالملك **ورحمت ربك** يعني الجنة **خير** للمؤمنين **مما يجمعون** اى يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف
الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الاباد قوله عز وجل **ولولا ان يكون الناس امة واحدة**
اى لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا راوا الكفار في سعة من الخير والرزق
لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا**
من فضة ومعارج يعني مصاعد ودرجات من فضة **عليها يظهرون** يعني يصعدون ويرتقون
عليها **ولبيوتهم ابوابا** اى من فضة **وسررا** اى وجعلنا لهم سررا من فضة **عليها يتكئون**
وزخرفا اى وجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شيء **وان كل ذلك لما متاع**
الحيوة الدنيا يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال **والاخرة عند ربك للمتقين**
يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن
شداد احد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال
صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا
عند الله اهون من هذه على اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن قتادة ابن النعمان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
قوله تعالى **ومن يعش** اى يعرض **عن ذكر الرحمن** اى فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه وقيل يول ظهره عن
القران **نقيض له شيطانا** اى نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه **فهو له قرين** يعني لا
يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى **وانهم** يعني الشياطين **ليصدونهم عن السبيل** يعني يمنعونهم
عن الهدى **ويحسبون انهم مهتدون** يعني ويحسب كفار مكة بني ادم انهم على الهدى **حتى اذا جاءنا** يعني
الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة واحدة **قال** الكافر لقرينه
الشيطان **يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين** يعني بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كما يقال

للشمس

للشمس والقمر القمران ولابي بكر وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول
اصح **فبئس القرين** يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه
حتى يصير الى النار **ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم** يعني اشركتم **انكم في العذاب مشتركون** يعني لا ينفعكم
الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا ان لكل احد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل
لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين حقت عليهم
كلمة العذاب انهم لا يؤمنون قوله عز وجل **فاما نذهبن بك** اى بان نميتك قبل ان نعذبهم **فانا**
منهم منتقمون اى بالقتل بعدك **او نرينك** اى في حياتك **الذي وعدناهم** اى من العذاب **فانا عليهم**
مقتدرون اى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد بهم مشركي مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا
يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام منهم اما حال الحياة او بعد وفاته وهذا قول اكثر
المفسرين وقيل عنى به ما يكون في امته وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم
الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله تعالى **فاستمسك**
بالذي اوحي اليك يعني القران **انك على صراط مستقيم** اى على دين مستقيم لا يميل عنه الا ضال
وانه يعني القران **لذكر لك** اى لشرف عظيم لك **ولقومك وسوف تسئلون** يعني عن حقه واداء شكره
وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك فلم يجب بشيء حتى نزلت
هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان خ عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقران
لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم
وقيل ذكر لك اى ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله
به وسوف تسئلون يعني عن القران وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى **واسئل من ارسلنا من قبلك**
من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اختلف في هؤلاء المسئولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه
لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله له ادم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال
يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلوة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اسئل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له
الرسل ليلة اسري به وامر ان يسئلهم فلم يشك ولم يسئل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت
المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلت
اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة و
الضحاك والسدي والحسن ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى **ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني**
رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اى استهزاء **وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها**
اى من قرينتها التي قبلها **واخذناهم بالعذاب**

أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى وعذابا
لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون أي عن كفرهم وقالوا يعني لموسى لما عاينوا العذاب
يا أيها الساحر أي العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لأن السحر كان عندهم علما عظيما
وصفة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بما أخبرتنا
من عهده إليك إنا إذا آمنا كشف عنا العذاب فسله أن يكشف عنا إننا لمهتدون أي لمؤمنون فدعى
موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون
أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك
مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني أنهار النيل
الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري أفلا تبصرون
أي عظمتي وشدة ملكي أم أنا أي بل أنا خير وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه أفلا
تبصرون أم لا تبصرون ثم ابتدأ قال أنا خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد
يبين يفصح بكلامه للثغة التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين
حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له على الكلام فلولا ألقي عليه أي إن كان صادقا
أساورة من ذهب قيل إنهم كانوا إذا سوروا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب
يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان سيدا تجب طاعته
أو جاء معه الملائكة مقترنين أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره
قال الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فأطاعوه
أي على تكذيب موسى إنهم كانوا قوما فاسقين يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا أي
أغضبونا وهو في حق الله تعالى إرادة العقاب وهو قوله انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا
ومثلا للآخرين يعني المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء بعدهم قوله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله ابن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره
في سورة الأنبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى
إياه إذا قومك يعني قريشا منه أي من المثل يصدون أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون محمد ما يريد منا
إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى وقالوا آلهتنا خير أم هو يعنون محمدا صلى الله عليه
وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى قالوا إن محمدا زعم أن كل ما عبد من دون الله في النار
فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل
لك إلا جدلا أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام
بل هم قوم خصمون أي بالباطل عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ثم ذكر عيسى فقال إن هو أي ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه
مثلا أي آية وعبرة لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب ولو نشاء لجعلنا منكم
الخطاب لأهل مكة ملائكة معناه لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي يكونون

خلفا

خلفا منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وإنه يعني عيسى لعلم للساعة يعني نزوله
من أشراط الساعة يعلم به قربها ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن
أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية
أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل
مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ويهلك الله تعالى في زمانه الملل كلها
إلا الإسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ق قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب فأمكم بكتاب الله
ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي
بيت المقدس والناس في صلوة العصر فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل في معنى الآية وإنه أي
وإن القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها فلا تمترن بها أي لا تشكون فيها
وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون أي على التوحيد هذا أي الذي أنا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم
أي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي أمر به إنه يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى
بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة أي بالنبوة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه
أي من أحكام التورية وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا في أمر عيسى عليه السلام وقيل الذي جاء به عيسى الإنجيل
إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم عيسى في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه فاتقوا الله وأطيعون أي فيما
أمركم به إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم
أي اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون أي ينتظرون
إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أي فجأة والمعنى أنها تأتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الأخلاء
أي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيمة بعضهم لبعض عدو أي أن الخلة إذا كانت كذلك
صارت عداوة يوم القيمة إلا المتقين أي الموحدين المتحابين في الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي عن علي ابن
أبي طالب في الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك
وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاق يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني
وأكرمه كما أكرمتني فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الأخ ونعم الخليل
ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني
بالسوء وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الأخ وبئس الخليل
وبئس الصاحب قوله عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون قيل إن الناس
حين يبعثون ليس أحد منهم إلا فزع فينادي مناديا يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم
فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبرون أي تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة
وهي القصعة الواسعة وأكواب جمع كوب وهو إناء مستدير بلا عروة وفيها أي في الجنة ما تشتهيه الأنفس
وتلذ الأعين عن عبد الرحمن ابن سابط قال قال رجل يا رسول الله هل في الجنة خيل فإني أحب الخيل قال إن يدخلك الله الجنة
فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت وسأله آخر فقال يا رسول الله هل في الجنة

فعولهم

من ابل فاني احب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك
ولذت عينك اخرجه الترمذي وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم
تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ورد في الحديث انه
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعني المشركين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اي ايسون من رحمة الله تعالى
وما ظلمناهم اي وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اي لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا
يا مالك يعني يدعون ملكا خازن النار ويستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك اي ليمتنا
ربك فنستريح والمعنى انه توسلوا به ليسئل الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قال ابن عباس وقيل بعد مائة
سنة وروي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم بعد اربعين عاما ثم يرد عليهم
قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون في العذاب لقد جئناكم
بالحق يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا اي احكموا فانا
في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم مبرمون انا محكمون امرا في مجازاتهم ان كادوا وان شرا كدناهم بمثله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم اي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه
ورسلنا يعني الحفظة من الملائكة لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فانا اول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس
ان كان اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين اي انا اول الجاحدين لما قلتم فانا
اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشري في معنى الاية ان كان للرحمن ولد ان يقال له ولد وصح وثبت ببرهان صحيح تودون
وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد
على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك
انه علق العبادة بكينونة الولد وهو محال في نفسه فكان المعلق بها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون اي عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا اي في باطلهم
ويلعبوا اي في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيمة وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله اي هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو وهو الحكيم اي الذي يدبر خلقه العليم اي بمصالحهم
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن
نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة
بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة
فان الله تعالى لا يملك لاحد من هولاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له
وهو قوله وهم يعلمون اي بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان الله خلق عيسى والعزير والملائكة ويعلمون انهم عباده
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله يعني انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة
غيره فانى يؤفكون اي يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى
ربه يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال ابن عباس شكى الى الله تخلف قومه فاصفح عنهم اي اعرض عنهم وفي ضمنه
منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم فسوف يعلمون

اي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق وقال مقاتل نسختها اية السيف والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة الدخان

وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلثمائة وست واربعون
كلمة والف واربعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم والكتاب المبين اي المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام
انا انزلناه في ليلة مباركة قيل هي ليلة القدر انزل الله فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل
به جبريل نجوما على حسب الوقائع في عشرين سنة وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من شعر غنم كلب اخرجه الترمذي
انا كنا منذرين اي مخوفين عقابنا فيها اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي يفصل كل امر حكيم اي محكم قال
ابن عباس يكتب في ام الكتاب في ليلة القدر ما كان كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان
ويحج فلان وقيل هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امور السنة وينسخ فيها الاحياء من الاموات وروى البغوي بسنده ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن ابن عباس
ان الله يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها في ليلة القدر امرا اي انزلناه امرا من عندنا
انا كنا مرسلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء رحمة من ربك قال ابن عباس رافة
مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا عليهم من الرسل وقيل انزلناه في ليلة مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اي
لاقوالهم العليم اي باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اي ان الله رب السموات
والارض وما بينهما لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين قوله تعالى بل هم في شك
يعني من هذا القرآن يلعبون اي يهزؤن به لاهون عنه فارتقب اي يا محمد يوم تاتي السماء بدخان مبين
يغشى الناس هذا عذاب اليم ق عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله ابن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل
فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجيء فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمنين
كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا ايها الناس اتقوا الله من علم منكم فليقل به ومن لا يعلم فليقل
الله اعلم فان من العلم ان تقول لما لا تعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه
من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى من الناس ادبارا قال اللهم سبع كسبع يوسف وفي رواية
لما دعى قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى اكلوا الجلود
والميتة من الجوع وينظر الى السماء احدهم كهيئة الدخان فاتاه ابو سفيان وقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة
الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله تعالى عائدون قال
عبد الله افيكشف عذاب الاخرة ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقيل له ان كشفنا عنهم فعادوا فقد
عادوا ربك فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين الى قوله انا
منتقمون قوله حصت كل شيء بالحاء والصاد المهملتين اي حلقت واهلكت واستاصلت كل شيء ق عن عبد الله ابن مسعود
قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وذلك ان في سنة
القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء
قبل يوم الساعة ولم يات بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون رأسه كالرأس الحنيذ يعني المشوي
ويعتري منه المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن ويدل عليه
ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول

يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية البخاري فالعا صح

عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان
فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه
كهيئة الزكام واما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره انى لهم الذكرى اى كيف يتذكرون
ويتعظون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الظاهرات والبينات الباهرات ثم تولوا عنه اى اعرضوا عنه وقالوا
معلم اى يعلمه بشر مجنون اى يلقون اليه الجن هذه الكلمات حالما يعرض له الغشي انا كاشفو العذاب
اى الجوع قليلا اى زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر انكم عائدون اى الى كفركم يوم نبطش البطشة الكبرى هو يوم بدر
انا منتقمون اى منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيمة قوله تعالى
ولقد فتنا قبلهم اى قبل هؤلاء قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اى على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام
ان ادوا الى عباد الله اى اطلقوا الى بني اسرائيل ولا تعذبوهم انى لكم رسول امين اى على الوحي وان لا
تعلوا على الله اى لا تتجبروا عليه بترك الطاعة انى آتيكم بسلطان مبين اى ببرهان بين على صدق قولي فلما قال
ذلك توعدوه بالقتل فقال وانى عذت بربي وربكم ان ترجمون اى تقتلوني وقال ابن عباس تشتموني وتقولون
هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اى فاتركوني لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي
باليد واللسان فلم يؤمنوا فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اى مشركون فاسر بعبادى ليلا
اى اجاب الله دعاءه وامره ان يسري ببني اسرائيل بالليل انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اى
اذا قطعته انت واصحابك رهوا اى ساكنا والمعنى لا تأمره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه
وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل
لموسى اترك البحر كما هو انهم جند مغرقون يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما هو كم تركوا
اى بعد الغرق من جنات وعيون وزروع ومقام كريم اى مجلس شريف حسن ونعمة اى وعيش لين رغيد
كانوا فيها اى في تلك النعمة فاكهين اى ناعمين وقرئ فكهين اى اشرين بطرين كذلك اى افعل بمن عصاني
واورثناها قوما آخرين يعني بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض وذلك ان المؤمن اذا مات
تبكي عليه السماء والارض اربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض
عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب
يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا
منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة اطرافها قال مجاهد
ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا فقيل او تبكي قال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع
والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد اهل السماء واهل الارض
وما كانوا منظرين اى لم يمهلوا حين اخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني
اسرائيل من العذاب المهين اى من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اى جبارا
من المسرفين ولقد اخترناهم على علم اى علمه الله تعالى فيهم على العالمين اى على عالمي زمانهم وآتيناهم من
الآيات ما فيه بلاء مبين اى نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي انعمنا بها
عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ان هؤلاء يعني مشركي مكة ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى
اى لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله وما نحن بمنشرين اى بمبعوثين بعد

موتتنا هذه فأتوا بآبائنا اى الذين ماتوا قبل ان كنتم صادقين اى انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى اهم خير ام قوم تبع
اى ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة وقيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه
وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فاسلم
ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه
قد كان اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبعا كان نبيا
او غير نبي وعن عائشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره وذكر عكرمة
عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع
من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال
اهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من امره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل
فاعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من احبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم احدهما
كعب والآخر اسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل
بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده
بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي انت فيه يكون به من القتال والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله
وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما
واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل
وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اى بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه
لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للحبرين فقالا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت
الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط
الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما يصنعه اهله فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم
وسمل اعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهي برود تصنع باليمن وهو
اول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام بها ستة ايام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها
حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم
قالوا فحاكمنا الى النار وكان باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم
قال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار
عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت حتى غشيتهم واكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من
رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التورية تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها
الذي تخرج منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن قال الرقاشي كان ابو كرب اسعد
الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه
قوله تعالى والذين من قبلهم اى من الامم الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق اى بالعدل وهو الثواب
على الطاعة والعقاب على المعصية ولكن اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل الذي يفصل الله
فيه بين العباد ميقاتهم اجمعين اى يوافي يوم القيمة الاولون والآخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا

اى لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله الا من رحم الله يعنى المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اى فى انتقامه من اعدائه الرحيم اى باوليائه المؤمنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اى ذوى الاثم وهو ابو جهل كالمهل اى كدردى الزيت الاسود تغلى فى البطون اى فى بطون الكفار كغلى الحميم يعنى كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كالمهل قال كعكر الزيت اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه الترمذى وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى خذوه اى يقال للزبانية خذوه يعنى الاثيم فاعتلوه اى ادفعوه وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم اى الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره ثم يقال له ذق اى هذا العذاب انك انت العزيز الكريم اى عند قومك بزعمك وذلك ان ابا جهل كان يقول انا اهل الوادى واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى ان المتقين فى مقام امين اى فى مجلس امنوا فيه من الغير فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ وهو معرب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب متقابلين اى يقابل بعضهم بعضا كذلك اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم بان وزوجناهم بحور عين اى قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البياض وقيل يحار الطرف فى بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين يدعون فيها بكل فاكهة يعنى ارادوها واشتهوها امنين اى من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى لا يذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكان موتهم فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها ووقيهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعنى كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور لعلهم يتذكرون اى يتعظون فارتقب اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب انهم مرتقبون اى منتظرون بك قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخارى وهو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة غفر له اخرجه الترمذى وقال هشام ابو المقدام احد رواته انه ضعيف والله اعلم بمراده

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة

وهى مكية وهى سبع وثلاثون اية واربع مائة وثمنون كلمة والفان ومائة واحدى وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لايات اى ان فى خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله لايات للمؤمنين وفى خلقكم اى وفى خلق انفسكم من تراب ثم من نطفة الى ان يصير انسانا ذا عقل وتمييز وما يبث من دابة اى وما يفرق فى الارض من جميع الحيوانات على اختلاف اجناسها فى الخلق والشكل والصورة ايات دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه هو الاله الخالق المختار لقوم يوقنون يعنى انه لا اله غيره واختلاف الليل والنهار يعنى بالظلام والضياء والطول والقصر وما انزل الله من السماء من رزق يعنى المطر الذى هو سبب ارزاق العباد فاحيا به اى بالمطر الارض بعد موتها اى بعد يبسها وتصريف الرياح اى فى مهابها قبولا ودبورا وصبا وشمالا والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك ايات لقوم يعقلون فان قلت ما وجه هذا الترتيب فى قوله لايات للمؤمنين و لقوم يوقنون و يعقلون قلت معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعات وانه لا بد لها من صانع فامنوا به واقروا انه الاله القادر على كل شىء ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا فى زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده فى اسرار كتابه تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله اى بعد كتاب الله واياته يؤمنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحارث يسمع ايات الله يعنى ايات القرآن اتخذها هزوا اى سخر منها اولئك اشارة الى من هذه صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة النار ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا اى من الاموال شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يعنى ما عبدوا من دون الله من الالهة ولهم عذاب عظيم هذا يعنى القرآن هدى اى هو هدى من الضلالة والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله اى بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمته على ذلك وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث اننا ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اى لا يخافون وقايع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله هذه الاية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ثم نسخها باية القتال ليجزى قوما بما كانوا يكسبون اى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب يعنى التورية والحكم يعنى معرفة احكام الله والنبوة ورزقناهم من الطيبات اى من الحلالات وهو ما وسع عليهم فى الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم على العالمين اى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم واتيناهم بينات من الامر اى بيان الحلال والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم

ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء صح

اعز نعم

فى الدنيا كما انهم صح

العلم بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجيء العلم
سبب لحصول الاختلاف وذلك لانه لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة
والتقدم ثم انهم لما علموا عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة اى طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى من الامر اى من الدين
فاتبعها اى اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني مراد الكافرين وذلك انهم كانوا
يقولون له ارجع الى دين ابائك فانهم كانوا افضل منك على الله فقال تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
اى لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يعني ان الظالمين
يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الاخرة والله ولي المتقين اى هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الاخرة
هذا يعني القرآن بصائر للناس اى معالم في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون
ام حسب الذين اجترحوا السيئات اى اكتسبوا المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر
من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الاخرة كما فضلنا في الدنيا سواء محياهم ومماتهم
معناه احسبوا ان حيوة الكافرين ومماتهم كحيوة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته
في الدنيا والاخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والاخرة وشتان ما بين الحالتين في الحال والمال ساء
ما يحكمون اى بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك تميم الداري ولقد رايته
قام ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم الاية وخلق الله السموات والارض بالحق اى بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم
لا يظلمون ومعنى الاية المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيمة ليحصل التفاوت
بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هويه قال ابن عباس
اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما
تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا راوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه
وعبدوا الاخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه في النار واضله الله على علم اى على علم منه بعاقبة
امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اى فلم يسمع الهدى ولم
يعقله بقلبه وجعل على بصره غشاوة اى ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه من بعد الله اى من بعد ان
اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الاية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم
عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اى ما الحيوة
الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا اى يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل تقديره نحيى ونموت وما يهلكنا الا الدهر
اى وما يفنينا الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم اى لم يقولوه عن علم علموه
ان هم الا يظنون عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر
وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن ادم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن يا خيبة الدهر فاني انا الدهر
اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى الاحاديث
ان العرب كان من شانها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره
فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا الى
الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها

الى

معبوده هم

الى الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل قال لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر مصرف فيه يقع به التاثيرات
كما يقع بكم والله اعلم قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا
ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين معناه ان منكري البعث احتجوا بان قالوا ان صح ذلك فاتوا بابائنا الذين ماتوا ليشهدوا
لنا بصحة البعث قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
يعني في ذلك اليوم يظهر خسران اصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار وترى كل امة جاثية اى باركة
على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيمة ساعة هي عشر سنين يخر الناس
فيها جثيا على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا اسئلك الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها اى الذي فيه اعمالها
ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون اى من خير وشر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف
اضاف الكتاب اليهم اولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافه
اليهم لانه كتاب اعمالهم واضافه اليه لانه تعالى هو امر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق اى يشهد عليكم
ببيان شاف وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى نامر الملائكة بنسخ اعمالكم
وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ اى ناخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان
له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة
كل عام ما يكون من اعمال بني ادم والاستنساخ ما يكون الا من اصل فينسخ كتاب من كتاب فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اى جنته ذلك هو الفوز المبين اى الظفر
الظاهر واما الذين كفروا اى يقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم يعني ايات القران فاستكبرتم
اى عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين متكبرين قوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق
اى البعث كائن والساعة لا ريب فيها اى لا شك في انها كائنة قلتم ما ندري ما الساعة
اى انكرتموها وقلتم ان نظن الا ظنا اى ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين اى انها كائنة وبدا لهم
اى في الاخرة سيئات ما عملوا اى في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم وحاق بهم اى نزل بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم و
ماويكم النار وما لكم من ناصرين اى ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب ذلكم اى هذا الجزاء بانكم
اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها
اى من النار ولا هم يستعتبون اى لا يطلب منهم ان يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لا يقبل ذلك اليوم عذر
ولا توبة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب
كل شيء من السموات والارض والعالمين وان مثل الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل احد وله الكبرياء اى وكبروه
فان له الكبرياء والعظمة في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم
م عن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته
لفظ مسلم واخرجه البرقاني وابو مسعود عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئا منهما عذبته
ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما
قصمته او قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام خرج على عادة العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن
الصفة اللازمة بالثوب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا في انفراده

كأنه ينطق هو

بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما
وشبههما بالإزار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه احد فكذلك
الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما احد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به التي لا تليق بغيره والله تعالى اعلم بمراده واسرار
كتابه

تفسير سورة الأحقاف

وهي مكية قيل غير قوله قل ارايتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي اربع وقيل خمس وثلاثون اية وستمائة واربع وأربعون كلمة والفان وخمسمائة وخمس
وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
اي بالعدل واجل مسمى يعني يوم القيمة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض والذين كفروا عما انذروا
اي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب معرضون اي لا يؤمنون به قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام
اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا اي بكتاب
جاءكم من الله من قبل القرآن فيه بيان ما تقولون او اثارة من علم اي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم ويؤثر
عنهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض وهو العيافة
ان كنتم صادقين اي ان لله شريكا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له يعني الاصنام
لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها الى يوم القيمة يعني لا تجيب ابدا ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون
يعني انها جمادات لا تسمع ولا تفهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين
اي جاحدين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين
سموا القرآن سحرا ام يقولون افتراه اي اختلق محمد القرآن من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد ان افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا تقدرون ان تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف افتري على الله من اجلكم هو اعلم
اي الله بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم
اي ان القرآن جاء من عنده وهو الغفور الرحيم اي في تاخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور
لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا اي بديعا من الرسل اي لست باول مرسل قد بعث
قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلماء في معنى
هذه الاية فقيل معناه ما ادري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيمة فلما نزلت هذه الاية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى
ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي
بعثه بما يفعل به فانزل الله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله
قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وانزل
الله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا
انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما اخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة ابن زيد ابن ثابت
ان ام العلاء امراة من الانصار كانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته انه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا
عثمان ابن مظعون فانزلناه في ابياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في اثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك
ان الله اكرمه فقلت بابي انت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله
اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول الله ما يفعل بي قالت والله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت واريت لعثمان

في النوم عينا تجري فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية غير البخاري قالت لما قدم
المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان ابن مظعون وفيه والله ما ادري وانا رسول الله
ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من
كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه
متى تهاجر الى الارض التي رايت فسكت فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اأترك في مكاني ام اخرج وإياكم
الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبياء
من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الانبياء من قبلي واما انتم ايها المصدقون فلا ادري اتخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل
بكم وما ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام اي شيء يفعل بكم مما فعل
بالامم المكذبة ثم اخبر الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاعلمه ما يصنع به وبامته وقيل معناه ما ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر
دينه على الاديان وامته على سائر الامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير القرآن الذي
يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيئا وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب وابين لكم الشرايع قل
ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به ايها المشركون وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اي انه من عند الله فامن يعني الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان
به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا
الشاهد فقيل هو عبد الله ابن سلام امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا
يدل عليه ما روي عن انس ابن مالك قال بلغ عبد الله ابن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض
يخترف النخل فاتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل
الجنة ومن اي شيء ينزع الولد الى ابيه ومن اي شيء ينزع الولد الى اخواله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني
بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب
واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها
ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله ابن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال
فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه
زاد في رواية فقال يعني عبد الله ابن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه (ق) عن سعد
ابن ابي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله ابن سلام
قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي لا ادري قال لما لك الاية او في الحديث وقيل الشاهد
هو موسى ابن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت في عبد الله ابن سلام لان آل حم نزلت بمكة

وانما اسلم عبد الله ابن سلام بالمدينة ونزلت الاية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التورية فشهد موسى على التورية ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التورية التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتورية واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى **وقال الذين كفروا** يعني اليهود **للذين آمنوا لو كان خيرا** يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم **ما سبقونا اليه** يعني عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى **واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم** اي كذب متقدم **ومن قبله** اي من قبل القرآن **كتاب موسى** يعني التورية **اماما** اي جعلناه اماما يقتدى به **ورحمة** اي من الله لمن آمن به **وهذا كتاب** يعني القرآن **مصدق** اي للكتب التي قبله **لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا** يعني مشركي مكة **وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون** تقدم تفسيره قوله عز وجل **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة **حملته امه كرها** يعني حين ثقلت وثقل عليها الولد **ووضعته كرها** يريد شدة الطلق **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** يعني مدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا **حتى اذا بلغ اشده** اي نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى **وبلغ اربعين سنة** قيل نزلت هذه الاية في سعد ابن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك انه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال الراهب من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال هو محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر التصديق واليقين وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا في حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله بنبوته واختصه برسالته آمن به ابو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلثين فلما بلغ اربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال **قال رب اوزعني** اي الهمني **ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي** اي بالايمان والهداية وقال علي ابن ابي طالب في قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا في ابي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ان اسلم ابواه غيره اوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده **وان اعمل صالحا ترضاه** قال ابن عباس اجابه الله تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال **واصلح لي في ذريتي** فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع لابي بكر اسلام ابويه ابو قحافة عثمان ابن عمرو وامه ام الخير بنت صخر ابن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق محمد فهؤلاء اربعة ابو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير ابي بكر وقوله **اني تبت اليك** اي رجعت اليك الى كل ما تحب **واني من المسلمين** اي واسلمت بقلبي ولساني **اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا** يعني اعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن

والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها **ونتجاوز عن سيئاتهم** اي فلا نؤاخذهم بها **في اصحاب الجنة** اي مع اصحاب الجنة **وعد الصدق** اي الذي وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدقا وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة **الذي كانوا يوعدون** اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **والذي قال لوالديه** يعني اذا دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت **اف لكما** وهي كلمة كراهية **اتعدانني ان اخرج** اي من قبري حيا **وقد خلت القرون من قبلي** اي فلم يبعث منهم احد **وهما يستغيثان الله** اي يستصرخان بالله عليه ويقولان له **ويلك آمن ان وعد الله حق** اي بالبعث **فيقول ما هذا** اي الذي تدعوني اليه **الا اساطير الاولين** قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر الصديق قبل اسلامه وكان ابواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول احيوا لي عبد الله ابن جدعان وعامر ابن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن ابن ابي بكر **خ** عن يوسف ابن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معوية فخطب فجعل يذكر يزيد ابن معوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن ابن ابي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان ان هذا الذي انزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيئا من القرآن الا ما انزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح انه ليس المراد من الاية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فابى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى **اولئك الذين حق عليهم** اعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اي وجب عليهم العذاب **القول في امم** اي مع امم **قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا** قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيمة باعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب الى علو ودرج تذهب الى سفل **وليوفيهم اعمالهم** اي جزاء اعمالهم **وهم لا يظلمون** قوله عز وجل **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** اي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم **اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها** يعني ان كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء **فاليوم تجزون عذاب الهون** اي الذي فيه ذل وخزي **بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** علق هذا العذاب بامرين احدهما الاستكبار وهو الترفع وهو يحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهي المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة **ق** عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله **ق** عن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم **ق** عنها قالت كانت يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفي رواية اخرى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر

والمائه انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا م عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة
طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير اخرجه الترمذي وله عن انس قال قال رسول الله عليه السلام
لقد اخفت في الله ما لم يخف احد واوذيت في الله ما لم يوذ احد ولقد اتى على ثلاثون من يوم وليلة وما لي ولبلال
الا شيء يواري ابط بلال خ عن ابي هريرة قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما
ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان
ترى عورته خ عن ابراهيم ابن عبد الرحمن ان عبد الرحمن ابن عوف اتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب ابن عمير
وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه قال واراه قال قتل حمزة وهو
خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا
في حيوتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر ابن عبد الله راى عمر ابن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما
هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت ما تخاف هذه الاية اذهبتم
طيباتكم في حيوتكم الدنيا قوله تعالى واذكر اخا عاد يعني هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف
قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا اهل
عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقيل ان عادا كانوا احياء باليمن وكانوا
اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر والاحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة
الجبال ولم يبلغ ان يكون جبلا وقيل الاحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين
يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي من بعده الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
والمعنى ان هودا قد انذرهم بذلك واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره
قالوا اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا عن الهتنا اي عبادتها فاتنا بما تعدنا اي من العذاب
ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى ياتيكم العذاب
وابلغكم ما ارسلت به يعني من الوحي الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني اريكم قوما تجهلون
يعني قدر العذاب الذي بين لكم فلما راوه يعني راوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني
راوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء مستقبل اوديتهم وذلك
انه خرج عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وقد كان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما راوا تلك
السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني من
العذاب ثم بين ماهيته ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف تلك الريح فقال تعالى
تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد واموالهم قال ان تلك الريح كانت تحمل الفسطاط
وتحمل الظعينة حتى ترى كانها جرادة فلما راوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب
وصرعتهم وامر الله تعالى الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله
الريح فكشفت عنهم واحتملتهم فرمتهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس الريح خط على نفسه وعلى من معه
من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه
معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فاهلكهم الله
بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة ق عن عائشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا

حتى

حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا راى غيما عرف في وجهه الكراهة قالت يا رسول الله الناس
اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر واراك اذا رايت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني
ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه
فعرفته عائشة ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
الاية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها
وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل
واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال يا عائشة لعله كما قال قوم عاد فلما راوه
عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها
سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قرئ بالتاء
مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى الا مساكنهم يا محمد خاوية عاطلة من السكان ليس فيها
احد وقرئ يرى بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا اثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الاثار والمساكن معطلة
كذلك نجزي القوم المجرمين نخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل
مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها
فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم
العذاب ما اغنى عنهم ذلك شيئا اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب
لاهل مكة يعني اهلكنا ديار ثمود وهو الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن نخوف اهل مكة
بذلك وصرفنا الايات يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم
فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون
الله قربانا الهة يعني انهم اتخذوا الاصنام الهة يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى
بل ضلوا عنهم يعني بل ضلت الالهة عنهم فلم تشفعهم عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي
كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون بقولهم انها الهة وانها
تشفع لهم قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران ذكر القصة في ذلك قال المفسرون
لما مات ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حيوته يحفظه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروى محمد ابن اسحق
عن يزيد ابن زياد عن محمد ابن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم
يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد يا ليل ومسعود وحبيب بنو عمرو ابن عمير وعندهم امراة من قريش من بني
جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاءهم من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له
احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا
لان كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تبلغ قومه

فيزيدهم ذلك في تجريهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤف رحيم وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما راى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل راسه ويديه وقدميه فقال احد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك هذا الرجل فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وسادتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من اهل الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود وقال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى ادعو اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي انمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم

والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة الا وجدوا حبها فيها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت عليهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فدعا به فصببت على يده فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة راى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضي بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد قال ما صحبه احد منا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف منهم له اجنحة يطيرون بها في الهوى وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب **فلما حضروه** الضمير يعود الى القرآن يعني فلما حضروا لاستماع القرآن وقيل يحتمل ان يعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول عليه السلام لاجل استماع القرآن **قالوا انصتوا** يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته **ولوا** اي رجعوا **الى قومهم منذرين** يعني داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم وتصديقهم له **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا** قال عطاء كان فيهم اليهودية لذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا **لما بين يديه** يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوى الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب **يهدي الى الحق والى طريق مستقيم** وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة **يا قومنا اجيبوا داعي الله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا قال مقاتل لم يبعث الله تعالى نبيا الى الانس والجن قبله **وآمنوا به** فان قلت قوله تعالى اجيبوا داعي الله فان الله تعالى امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما اعاده لان الايمان اهم اقسام المامور به واشرفها فلذلك ذكره بلفظ التعيين فهو من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال تعالى

يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على
اصلها وذلك هو ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا اجرت عليهم احكام الاسلام فاذا اتى بذنب اخذ به ما لم
يتب منه او يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء اخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم
ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم واليه ذهب ابو حنيفة وحكى عن الليث
قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد قال اذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا
ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال آخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس والى هذا
هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة ابن المنذر
سألت ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر
ابن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض يعني لا يعجز الله فيفوته وليس له من دونه اولياء يعني انصارا يمنعونه من الله
اولئك يعني الذين لم يجيبوا داعي الله في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه
بقادر على ان يحيي الموتى هو ان اعادة الخلق واحيائه بعد الموت اهون عليه من ابتداعه وخلقه فالكل عليه هين
ابتداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير يعني في اماتة الخلق واحيائهم
لانه قادر على كل شيء ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق
يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق قالوا بلى وربنا هذا اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا
منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك يقال لهم قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر
على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل منهم فقال ابن زيد
كل الرسل كانوا اولي العزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال وعقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين
الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل
من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم اولي العزم الا يونس لعجلة
كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورين
في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين امروا
بالجهاد واظهروا المكاشفة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على
النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح
في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص
والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي
لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لآل محمد يا عايشة ان الله لا يرضى من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض
الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن
ولا قوة الا بالله قوله تعالى ولا تستعجل لهم يعني اصبر على اذيهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم

لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال
ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الآخرة لم يلبثوا
يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة
من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام
عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى بلاغ اي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله اليكم
بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم الفاسقون يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته
قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية اقوى
من هذه الآية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد
بالاعمال ما كانوا يفعلونه من اعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك
قال بعضهم اول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم اعمال
صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين
هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها من عند انفسهم
ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم
قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤساء كفار قريش منهم ابو جهل والحارث ابن هشام
وعتبة وشيبة ابني ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا
عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في دين الله وهو الاسلام او منعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها
لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
قال ابن عباس الذين كفروا مشركي قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله
وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين وآمنوا بما نزل على محمد يعني القرآن الذي انزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ
الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعظيما لشأن القرآن وتنبيها على انه
لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق
لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين آمنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه في شيء
كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم منها فغفرها لهم بذلك
ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشأنهم وامرهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر
على اعدائهم وقيل يصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال الحسن عصمهم ايام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح
يعود الى صلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يعني الشيطان وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن ومعنى الآية يعني ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار واتباع المؤمنين الحق من ربهم كذلك
يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم او انه راجع الى
الفريقين على انه تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال المؤمنين واعمال الاضلال
الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا وهو الحرب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل
لان المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك

فضرب الرقاب

من اللقاء

خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الرأس من اشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضا **فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم** يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشيء الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة **فشدوا الوثاق** يعني في الاسر والمعنى فاسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به **فاما منا بعد واما فداء** يعني بعد الاسر اما تمنوا عليهم باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء

فصل في حكم الاية اختلف العلما في هذه الاية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الراي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفدا بل اما القتل او الاسترقاق ايهما راى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية ان كانوا من اهل الذمة والمراد بالفدا ان يفادى باسراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه ان لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلما ان الاية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض او يفاديهم بالمال او باسرى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطا واكثر الصحابة والعلما وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد كلها الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم من عند النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال اسر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى **حتى تضع الحرب اوزارها** يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب يعني حين وضعوا اسلحتهم وامسكوا عن القتال واصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الاثام ومعناه حتى تضع المحاربون اوزارهم بان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الاية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا قال الفرا حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم **ذلك** يعني الذي ذكر وبين من حكم الكفار **ولو يشاء الله لانتصر منهم** يعني ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم امرهم **ولكن** يعني ولكن امركم بالقتال **ليبلو بعضكم ببعض** يعني فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب **والذين قتلوا في سبيل الله** يعني الشهدا وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله **فلن يضل اعمالهم** يعني فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل **سيهديهم** يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الدرجات العلى **ويصلح بالهم** ويرضي اعمالهم ويتقبلها **ويدخلهم الجنة عرفها لهم** بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كانهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله** يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه **ينصركم** يعني على عدوكم **ويثبت اقدامكم** يعني عند القتال وعلى الصراط **والذين كفروا فتعسا لهم** قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقا لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الاخرة التردي في النار يقال للعاثر اذا دعوا عليه ولم يريدوا اقامه وضده اذا دعوا له وارادوا اقامه وفي هذا اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال في حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه وقال في حق الكفار بصيغة الدعا عليهم **واضل اعمالهم** يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان **ذلك** يعني التعس والاضلال **بانهم كرهوا ما انزل الله** يعني القران الذي فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله تعالى **فاحبط اعمالهم** يعني فابطل اعمالهم التي عملوها في غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** يعني من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة **دمر الله عليهم** يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص به من انفسهم واموالهم واولادهم **وللكافرين** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **امثالها** يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون في الاخرة **ذلك** يعني الاهلاك والهوان **بان الله** اي بسبب ان الله **مولى الذين امنوا** يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم **وان الكافرين لا مولى لهم** يعني لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تنصر ولا تشفع ولا تبصر من عبدها ولا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله موليهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الايتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الاخرة فقال تعالى **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار** يعني هذا لهم في الاخرة **والذين كفروا يتمتعون** يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها **وياكلون كما تاكل الانعام** يعني ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك

لا هون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لانها جنته وهي سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من النعيم العظيم الدائم **والنار مثوى لهم** يعني مقام الكفار في الاخرة والمثوى المقام في المكان مع الاستقرار فيه والنار مثوى للكافرين ومستقرهم قوله تعالى **وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي** يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هي اشد قوة من اهل مكة اهلكهم الله يدل عليه قوله **اهلكناهم** ولم يقل اهلكناها **فلا ناصر لهم** يعني فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولو ان المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك فانزل الله هذه الاية **افمن كان على بينة من ربه** يعني على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه **كمن زين له سوء عمله** وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين **واتبعوا اهواءهم** يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل **مثل الجنة التي وعد المتقون** لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في هذه الاية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف ومعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مشابهة به وقيل الممثل به محذوف وغير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار **فيها** يعني الجنة التي وعد المتقون **انهار من ماء غير آسن** يعني غير متغير ولا منتن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه **وانهار من لبن لم يتغير طعمه** يعني كما يتغير البان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من المطعوم **وانهار من خمر لذة للشاربين** يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها اذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط **وانهار من عسل مصفى** يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله فهو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم ابن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تنشق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الاردن فسيحان نهر اردنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من الجنة ففيه تاويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه وقوله تعالى **ولهم فيها من كل الثمرات** في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ما كول اهل الجنة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة **ومغفرة من ربهم** فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه وقوله تعالى **كمن هو خالد في النار** يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يخرج من

حميمها وهو قوله **وسقوا ماء حميما** يعني شديد الحر قد اسعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا دني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة وجوههم فاذا اشربوه **فقطع امعاءهم** يعني فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب قوله تعالى **ومنهم من يستمع اليك** يعني ومن هؤلاء الكفار وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعوه ولا يفهموه تهاونا به وتغافلا عنه **حتى اذا خرجوا من عندك** يعني ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك **قالوا** يعني المنافقين **للذين اوتوا العلم** يعني من الصحابة **ماذا قال آنفا** يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر اي ابتدأته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سئلوا عبد الله ابن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس قد سئلت فيمن سئل **اولئك** يعني المنافقين **الذين طبع الله على قلوبهم** يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم **واتبعوا اهواءهم** يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل **والذين اهتدوا** يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بهداية الله اياهم الى الايمان **زادهم هدى** يعني انهم لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله عز وجل امنوا بما سمعوا به وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم **وآتاهم تقواهم** يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد ابن جبير اتاهم ثواب تقواهم وقيل اتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل **فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة** يعني ان الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة آتيتهم بغتة تفجاهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيمة ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن وقوله تعالى **فقد جاء اشراطها** اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة امرا مستنبطا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقال فكانه قال قائل متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن سهل ابن سعد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باصبعه هكذا الوسطى والتي تليها الى الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعه يمدهما ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد ما بين مبعثه وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة ق عن انس قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكم به احد بعدي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لا تقوم الساعة أو قال من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم ويظهر الفتنة ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع العلم ويثبت الجهل أو قال ويظهر الجهل خ عن أبي هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وقوله تعالى **فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم** يعني فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب منهم الإيمان في ذلك الوقت **فاعلم أنه لا إله إلا الله** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى وأنه لا إله إلا هو فما فائدة هذا الأمر وأجيب عنه بأن معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أي دم على ما أنت عليه من الجلوس أو يكون معناه ازدد علما إلى علمك وقيل إن هذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من أمته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم فاعلم أنه لا ملجأ ولا منجا ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله الذي لا إله إلا هو وقيل معناه فاعلم أنه لا إله إلا الله وأن جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا لله الذي لا إله إلا هو **واستغفر لذنبك** أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع أنه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به في ذلك م عن الأغر المزني أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله مائة مرة وفي رواية قال توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم خ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة قوله إنه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر أي يلبس على قلبي ويغطى وسبب ذلك ما أطلعه الله عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل إنه لما كان يشغله النظر في أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى أنه قد شغل بذلك وإن كان من أعظم طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقيل هو مأخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب استغفاره لها إظهارا للعبودية والافتقار إلى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي عن القاضي عياض أن المراد به الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فإذا فتر وغفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وإجلال وإن كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل أن هذا الغين حالة حسنة وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك أي لذنوب أهل بيتك **وللمؤمنين والمؤمنات** يعني من غير أهل بيته وهذا إكرام من الله عز وجل لهذه الأمة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم إلى الجنة أو إلى النار وقيل متقلبكم في أشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل إلى مضاجعكم وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا

وفي القبور

القبور والمعنى أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وإن دق وخفي قوله تعالى **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة** وذلك أن المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله وقالوا فهلا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكيما نجاهد **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال** قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين **رأيت الذين في قلوبهم مرض** يعني نفاقا وهم المنافقون **ينظرون إليك** شزرا كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو **نظر المغشي عليه من الموت** يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت **فأولى لهم** فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدأ بقوله **طاعة وقول معروف** فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا فهو أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالإجابة والمعنى لو أطاعوا الله وأجابوا لكانت الطاعة والإجابة أولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه **فإذا عزم الأمر** فيه حذف تقديره فإذا عزم صاحب الأمر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الأمر ودنا الوقت وهذا الأمر متوقع ومعنى الآية فإذا عزم الأمر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به **فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم** يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في إظهار الإيمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم **فهل عسيتم** أي فلعلكم **إن توليتم** يعني أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم أحكامه **أن تفسدوا في الأرض** أي تعودوا إلى ما كنتم عليه من الفساد في الجاهلية في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام **وتقطعوا أرحامكم** قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن ق عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الرحم شجنة من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقوة الرحمن قال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا إن شئتم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الإزار من الإنسان وقد يطلق على الإزار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والأخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الأقارب والإحسان إليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني وليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها ولهذا سمي العقوق قطعا كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله تعالى هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل في الآية في قوله إن توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم إن توليتم الناس أن تفسدوا في الأرض يعني بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد فإن قلت عسى طمع وترجي وتوقع ذلك على الله محال لأنه تعالى عالم بكل شيء فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم معناه كل من ينظر إليهم يتوقع ذلك منهم وقال الزمخشري معناه أنه لما عهد منكم أحقاء بأن يقول

لكم كل من ذاقكم وعرف بعضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس
وتأمرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا أولئك إشارة
إلى من تولى أفسد في الأرض وقطع الأرحام الذين لعنهم الله يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته فأصمهم
يعني عن سماع الحق وأعمى أبصارهم يعني عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن لم يفهموه ولم يؤمنوا
به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وإن كان لهم أسماعا وأبصارا في الظاهر
أفلا يتدبرون القرآن يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره وأصل التدبر التفكر في عاقبة
الشيء وما يؤول إليه أمره وتدبر القرآن إنما يكون عن حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء
من الحلال وخلوص النية أم على قلوب أقفالها يعني بل على قلوب أقفالها وجعل القفل مثالا لكل مانع
للإنسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان مقفل عن كذا يعني ممنوع عنه فإن قلت إذا كان الله تعالى قد أصمهم
وأعمى أبصارهم وقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا
يطاق جائز عندنا لأن الله أمر بالإيمان ثم سبق في علمه أنه لا يؤمن فكذلك هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض
لأحد عليه وقيل إن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد به الناس وقيل إن هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك
إن الله تعالى لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون القرآن كالتهييج
لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة وكالتبكيت لهم على إصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده
روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم
على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس
عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عن عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين وأجلائهم فلم يدرك النبي عليه
السلام لأنه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل إن الذين ارتدوا على أدبارهم يعني رجعوا
القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم
المنافقون وذلك أنهم آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا
وأملى لهم قرئ بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا ومد لهم في العمر وقرئ
وأملى لهم بفتح الألف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان بأن مد لهم في الأمل فإن قلت الإملاء والإمهال لا يكون إلا من الله
لأنه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب أهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت إن المسول والمملي هو الله
تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وإنما أسند إليه ذلك من حيث أن الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان
يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في آجالهم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى آخر العمر ذلك إشارة إلى التسويل
والإملاء بأنهم يعني بأن أهل الكتاب والمنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون
سنطيعكم في بعض الأمر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه
وكانوا يقولون ذلك سرا فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بخبرهم ثم قال والله يعلم أسرارهم يعني
أنه لا يخفى عليه خافية من أمرهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك
يعني بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بما كتموا
من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم التي عملوها من أعمال البر لأنها لم تكن لله ولا بأمره
أم حسب الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق وهم المنافقون أن لن يخرج الله أضغانهم

يعني

يعني كرهوا ما فيه رضوان الله

وكرهوا رضوانه

يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس
حسدهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله
أضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج أضغانهم ويظهرها فأخبر الله تعالى أنه إنما أخر ذلك لمحض المشيئة لا لخوف منهم فقال
تعالى ولو نشاء لأريناكهم أي لا مانع لنا من ذلك ولا راه بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي أن
التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما تقال عرفته لم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم به ففيه إشارة
إلى قوة ذلك التعريف لئلا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال أنس ما خفي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في
لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ فصرف الكلام وإزالته عن التصريح
إلى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم ألحن بحجته من بعض
وإليه قصد بقوله ولتعرفنهم في لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة
الإعراب أو التصحيف ومعنى الآية وإنك يا محمد لتعرف المنافقين فيما يعرضون به من القول في تهجين أمرك وأمر المسلمين
وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه
على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى والله يعلم أعمالكم يعني أعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى
ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين يعني إنا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لأن المراد
من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلو أخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا
يصبر على الجهاد إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما أمرهم به من الجهاد
وغيره من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن
يضروا الله شيئا يعني إنما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك وسيحبط أعمالهم يعني وسيبطل
أعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأنها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول لما ذكر الله تعالى الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله
تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم قال عطاء يعني بالشك والنفاق والمعنى داوموا
على ما أنتم عليه من الإيمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا أعمالكم
بالرياء والسمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي والكبائر
قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل
فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعده أن تحبط الأعمال واستدل بهذه الآية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة
لهم فيها وذلك لأن الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وإن تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر
أنه قال كنا نرى أنه لا شيء من حسناتنا إلا مقبولة حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا
الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول
وكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل حتى لو دخل في صلاة
تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له إبطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الآية ولا حجة لأن السنة مبينة للكتاب

وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعايشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه والصحيح ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربا اليه قال كل فاني صائم قال لست باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل في معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المؤمنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح ابتداء منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر الله عز وجل ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات والله معكم يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو الغالب العالي ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على طلب الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعك الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه اشغاله المهمة فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه فهو اللهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم يعني يؤتكم جزاء اعمالكم في الآخرة ولا يسئلكم اموالكم يعني ان الله لا يسأل من العباد اموالهم لاعطاء الاجر عليهم لم يامرهم بالايمان والتقرب والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم وقيل معناه لا يسئلكم الله ورسوله اموالكم كلها في الصدقات انما يسألانكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهي زكوة اموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكوة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ان يسئلكموها الضمير عائد الى الاموال فيحفكم يعني يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسئلة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح تبخلوا يعني بالاموال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله سبحانه وتعالى ان في الاحفاء بمسئلة الاموال خروج الاضغان ها انتم هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استانف وصفهم فقال عز وجل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل اراد به النفقة في الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكوة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني بما فرض عليه اخراجه الى الزكوة او ندب الى انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه والله الغني يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض وانتم الفقراء يعني اليه والى ما عنده من الخيرات والثواب في الدنيا والآخرة وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيام بما امركم الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يعني يكونون اطوع لله ورسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن

يستبدل بنا

يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح

وهي مدنية خ عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك يا عمر نزرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق عن انس لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا مريئا فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن انس انه فتح مكة وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله تعالى له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه قال تعالى انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن انس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره ولقد كان فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب على المجوس قال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام من قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك واكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير

هو راجع الى قوله في قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن
لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز
كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل
والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد العدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح
وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع ما فرط
منك ما تقدم من ذلك يعني قبل النبوة وما تأخر يعني بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراساني
ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك آدم وحوى ببركتك وما تأخر من ذنب امتك بدعائك لهم وقال سفيان الثوري ما تقدم
من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شيء لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم
تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان
من سهو وغفلة وتأويل لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى ان يكون وقع منه
من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فاعلمه الله
عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح
والنصر والتمكين **ويهديك صراطا مستقيما** يعني ويهديك الى صراط مستقيم ويثبتك عليه والمعنى ليجتمع لك مع الفتح
تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي بك الى صراط مستقيم **وينصرك الله**
نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهورا على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن
بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عز
كقوله عيشة راضية اي ذات رضى وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا كما تقول لهذا كلام صادق
كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف مجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذا التقدير
اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل او العديم النظير فلا يحتاج الى هذه
التقديرات فان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لئلا ينزعج نفوسهم قال ابن عباس
كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها كما قال الله عز وجل وينصرك الله
نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين
ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحرب وغيرها فكان ذلك من اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه
وسلم ثم قال تعالى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** وذلك انه تعالى جعل السكينة في قلوب
المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك ان كل ما ورد عليهم امر او نهي فآمنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك
زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه
زادهم الصلوة ثم زادهم الزكوة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء وصدقوه
ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث
بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وجميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم **ولله جنود**
السموات والارض لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون في قلة من العدد والعدد
فكانه قال قائل كيف ينصر الله فاخبر الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم

بعض

بعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل سكينته في
قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم
العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان جنود السموات الملائكة
وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل
الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك **وكان الله عليما** يعني بجميع جنوده الذين في السموات والارض **حكيما**
يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر على اعدائكم قوله عز وجل **ليدخل**
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار فقوله ليدخل المؤمنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية
ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقد تقدم ما روي عن انس انه لما
نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا فقد بين الله ما يفعل
بك فماذا يفعل بنا فانزل الله الآية التي بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار **خالدين فيها**
ويكفر عنهم سيئاتهم فان قلت تكفير السيئات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم
الجنة قلت الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم
الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة **وكان ذلك عند الله فوزا عظيما** يعني ان ذلك الادخال والتكفير
كان في علم الله فوزا عظيما **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات**
يعني المعنى ان المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة انما قدم المنافقين على المشركين
هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد
لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر وكان تقديم المنافق بالذكر
اولى **الظانين بالله ظن السوء** يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **عليهم دائرة**
السوء يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك **وغضب الله عليهم** زيادة في تعذيبهم واهلاكهم **ولعنهم**
يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته **واعد لهم جهنم** يعني في الآخرة **وساءت مصيرا** يعني ساءت جهنم منقلبا
ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره بقي فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض هنا بعد
تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب
فقدم ذكر السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند
الميزان فاذا ادخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر ذكر جنود
السموات والارض بعد تعذيب المنافقين والكافرين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال في الآية
الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه **وكان الله عزيزا حكيما** فما معناه قلت لما كان في جنود السموات
والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان يكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما
بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله
بعزيز ذي انتقام وقوله اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى **انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا
على اعمال امته ومبشرا يعني لمن آمن به واطاعه بالثواب ونذيرا لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال
فقال تعالى **لتؤمنوا بالله ورسوله** فالضمير فيه للناس المرسل اليهم **وتعزروه** يعني وتقووه وتنصروه

والتعزير نصر مع تعظيم وتوقروه يعني وتعظموه فالتوقير التعظيم والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه
عن جميع النقايص والتسبحة وهي الصلوة قال الزمخشري والضماير لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله
ومن فرق الضماير فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله وتعزروه وتوقروه راجعتان للرسول صلى الله عليه وسلم وعندها
تم الكلام فالوقف على وتوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله وتسبحوه بكرة واصيلا على ان الكناية في وتسبحوه
راجعة الى الله عز وجل يعني وتصلوا لله وتسبحوا لله بالغداة والعشي قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة
العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة لله وللامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة
بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببير هناك وقد جاء في
الحديث ان الحديبية بير قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد
والتخفيف افصح وعامة المحدثين يشددونها ق عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس
وانا رافع غصنا من اغصانها عن راسه ونحن اربع عشر ماية قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال
العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون
بين يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم
رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير
فوق ايديهم وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم كذا نقله البغوي
عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم
يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد
ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان وثانيهما
يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا
انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله بمعنى الحفظ وفي حق المتبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق ايديهم بالحفظ
وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم التي تعلو ايدي المتبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى ان تقرير عقد
الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف السكوت عن التاويل وامرارها كما جاءت
وتفسيرها قراتها والايمان بها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه
يعني من نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه
ولا يضر الا نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الآخرة
وهو الجنة قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني اعراب غفار ومزينة وجهينة
واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من
حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة

وساق الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله فيهم سيقول
لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف
عنك شغلتنا اموالنا واهلونا يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا
عنك فاستغفر لنا انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبي
صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا
او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر او يعجل لهم النفع بالسلامة
لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون
خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون
الى اهاليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن
يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب الانسان الشي ويزينه له حتى يقطع به وظننتم ظن السوء
يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين
تذهبون معهم انظروا ماذا يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بذلك الظن الفاسد قوما بايرين
هالكين ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى
حال المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى الكفر حرضهم على التوبة
والايمان من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا
للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله تعالى
حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء اخبر تعالى ان له ملك السموات والارض
ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل واليه الاشارة
بقوله وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا
انطلقتم يعني اذا سرتم وذهبتم ايها المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنايم خيبر وذلك ان المؤمنين
لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنايم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنايمها
لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنايم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا ذرونا نتبعكم
يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا اموالنا و
اهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع في الغنيمة يريدون ان يبدلوا
كلام الله يعني يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا
قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد
الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاذا استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول الاول اصوب قل
اي قل لهم يا محمد لن تتبعونا يعني الى خيبر كذلكم قال الله من قبل يعني من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة
خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون بل تحسدوننا يعني يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من
الغنايم شيئا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا
منهم وهو من تابعهم وصدق الله ورسوله قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم

قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه فجعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله تعالى اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم الله عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله **ستدعون الى قوم اولي باس شديد** من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي ظاهر او كافر مجاهر واما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلوة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل في قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يكن يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع ابو بكر وعمر من الاذن في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكوة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم اولي باس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو باس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى **تقاتلونهم او يسلمون** فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام واما القتل **فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا** يعني الجنة **وان تتولوا** يعني تعرضوا عن الجهاد **كما توليتم من قبل** يعني عام الحديبية **يعذبكم عذابا اليما** يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال اصحاب الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فانزل الله عز وجل **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** يعني في التخلف عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار اخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد

كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب **ومن يطع الله ورسوله** يعني في امر الجهاد وغيره **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول** يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق **يعذبه عذابا اليما** يعني في الآخرة قوله عز وجل **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك** يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا **تحت الشجرة** وكانت هذه الشجرة سمرة ق عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم اعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال رايت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ها هنا وبعضهم يقول ها هنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة خ عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى م عن ابي الزبير انه سمع جابرا يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فقال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا الفا واربع مائة قال ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكانت سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد تقدم ايضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان احد من المسلمين حضرها

الأحد بن قيس أخو بني سلمة قال جابر لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي ذكر من أمر عثمان باطل م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والإخلاص والوفا كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق فأنزل السكينة يعني الطمأنينة عليهم يعني على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى أن لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة وهي أن هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فإن قلت الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لأنه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في قوله فعلم ما في قلوبهم قلت قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضى لم يكن عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فأنزل السكينة للتعقيب لأنه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم وقوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا منيعا كامل العزة غنيا عن إعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنائم ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وإنما عجل لكم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب ما وعد الله به من الغنائم كالقليل من الكثير وكف أيدي الناس عنكم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل بني أسد وغطفان أن يغيروا على النبي صلى الله عليه وسلم وعيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل إن الله كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم ولتكون آية للمؤمنين هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم المغانم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني وليحصل لمن بعدكم آية تدلهم على أن ما وعدكم الله يحصل مثله لهم وقوله ولتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا إلى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي إحاطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر ذكر غزوة خيبر وذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ق عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا إلى خيبر فلما انتهينا إليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا علينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الأكوع قال خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله

عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون قتل نفسه فأتيت بطل عمل عمي عامر فإذا هو صريع بسيفه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية فخرج مرحب فقال قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب فقال علي رضي الله عنه أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله عليه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فأتى مدينة خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج إليه علي بن أبي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الأموال قال محمد بن إسحاق فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منها فسألها عن ذلك ما هو فأخبرته الخبر وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه

باخيه محمود بن مسلمة ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة
بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة وانا رديف ابي طلحة فاجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر
وان ركبتي لتمس فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى
اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية من السبي
قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اعطيت دحية صفية
بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية
من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها
اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا
فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال واحسبه ذكر السويق
قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد الله ابن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي
خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اكفئوا القدور ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة
ق عن انس ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا قال فما
زلت اعرفها في لهوات محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري من ذلك
السم خ عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى
من ارض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكان الارض لما ظهر عليها لله و
لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم
بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى
اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحق لما سمع اهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان اهل خيبر سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه اهل فدك على
مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب
فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني
مشوية وسالت اي عضو الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم وسمت سائر الشاة
ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك قطعة ولم يسغها
ومعه بشر بن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني ابتلعها
واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك
على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فيخبر فتجاوز عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني
فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به

من النبوة عن عبيد الله ابن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي
فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك
وما ربحت قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلاث مائة اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئك بخير ربح
قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلوة اخرجه ابو داود وقوله تعالى **واخرى لم تقدروا عليها** يعني
وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها **قد احاط الله بها** يعني يحفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى
تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال
فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بالاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى
آخر الزمان **وكان الله على كل شيء قديرا** اي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك **ولو قاتلكم الذين
كفروا** يعني اسد وغطفان واهل خيبر **لولوا الادبار** اي لانهزموا عنكم **ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا** يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد **سنة الله التي قد خلت من قبل** يعني هي سنة
الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه **ولن تجد لسنة الله تبديلا** قوله عز وجل **وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم** سبب نزول هذه الآية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم
سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم انفرد
باخراجه مسلم م ق قال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القرآن
وعلى ظهره غصن من اغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي ابن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلثون شابا
عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية
ان الله ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله وهو الذي
كف ايديهم عنكم يعني ايدي اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة **ببطن مكة** قيل
اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة **من بعد ان اظفركم عليهم** اي امكنكم منهم حتى ظفرتم بهم
وكان الله بما تعملون بصيرا قوله عز وجل **هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام** ذكر صلح الحديبية روى الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم يصدق كل واحد
منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه يريد
زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد
الهدي واشعره واحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان
بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتى عيينة الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وجمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم
فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا يكن عنقا قطعها الله او ترون اني اؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر
يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله
فنفذوا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى
اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت

راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم
اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس ان نزحوه
وشكى الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية ابن عمير وهو
سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينا هم كذلك
اذ جاء بديل ابن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت
كعب ابن لؤي وعامر ابن لؤي نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم
مدة يخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي
نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا
فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا
ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فقام عروة ابن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا
قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا
الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد ارايت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد
من العرب اجتاح اهله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا
ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر قال اما
والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما
كلمه اخذ بلحيته والمغيرة ابن شعبة قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى
عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة ابن شعبة فقال اي غدر ألست اسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب
قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال
فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه
فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رايت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم
اصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا
توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم
خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس
يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد
قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ثم بعثوا الى الحليس ابن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما راه النبي

نصح

الله

صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل اليه من عرض الوادي
في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما راى فقال
يا معشر قريش اني قد رايت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما انت
رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ايصد
عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد
قالوا مه كف عنا يا حليس حتى ناخذ لانفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز ابن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا
ائته فلما اشرف النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء سهيل ابن عمرو وقال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه
وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل ابن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن
فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد ابن عبد الله قال الزهري وذلك قوله والله لا يسألوني
خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو واصطلحا
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل
فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى
المشركين من جاء مسلما وروي عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت
محمد ابن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال والله لا امحوك ابدا قال فارنيه فاراه
اياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب
هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة اشياء على ان من اتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم من المسلمين
لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة ايام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت
عن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه
علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له مخرجا وفرجا
رجعنا الى حديث الزهري قال فبينا هم كذلك اذ جاء ابو جندل ابن سهيل ابن عمرو يرسف في قيوده حتى قد انفلت وخرج
من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول من اقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم
فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال ابو جندل اي معشر
المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وقد كان عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا
بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب عمر يمشي الى جنب ابي جندل ويقول اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون
ودم احدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر رجوت ان ياخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بابيه وقد كان

قريش

عليهم قال

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك
دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزادهم أمر أبي جندل شرا إلى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ قال
الزهري في حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهيل بن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قال قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار
قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي
البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر
أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا قال
أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنه
سيأتي البيت ويطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه وتطوف به قال الزهري قال عمر
فعملت لذلك أعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا
فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس قالت
أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم
أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد
بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن عباس وابن عمر حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين
قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا
قال ابن عمر وذلك أنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهري في حديثه ثم جاء
نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر
امرأتين يومئذ كانتا في الشرك فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان والأخرى صفوان ابن أمية قال فنهاهم أن يردوا
النساء وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة ابن أسيد رجل
من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر ابن عبد عوف والأخنس ابن شريق الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر ابن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العهد الذي
جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر
وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون
من تمر لهم قال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال أجل إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت
به فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويلك ما لك قال قتل والله صاحبي
وإني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله وفى الله
ذمتك قد رددتني إليهم أنجاني الله منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك
عرف أنه يرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير
ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم إليه فانفلت أبو جندل ابن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمع إليه قريب من
سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي

صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم من أتاه فهو آمن فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه
المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه
نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى ألفاظ منه وهي
مستثناة في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه إلى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها
قوله ثم بعثوا الحليس ابن علقمة إلى قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى ومنها قوله هذا ما قاضى
عليه محمد ابن عبد الله إلى قوله وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروي عن البراء قصة الصلح إلى قوله رجعنا إلى حديث
الزهري ومنها قوله وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل إلى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت ألست نبي الله حقا ومنها قوله قال عمر وابن عباس إلى قوله وقال الزهري في حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات
فهذه الألفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه شرح غريب ألفاظ الحديث قوله في بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد
يفتح وهو ما بين الثلاثة إلى التسعة وقيل ما بين الواحد إلى العشرة قوله وبعث عينا له أي جاسوسا قوله وقد جمعوا
لك الأحابيش هم أحياء من القارة وانضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل حلفاء قريش وهم بنو الهون من خزيمة
وبنو الحرث ابن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبشي فسموا بذلك وقيل اسم واد
بأسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والحبش التجمع قوله فإن قعدوا قعدوا موتورين أي منقوصين قوله قعدوا أي
مضوا وتخلصوا قوله إن خالد ابن الوليد بالغميم اسم موضع وفيه كراع الغميم قوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون
بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو قوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذيرا النذير
الذي يعلم القوم بالأمر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصواء يعني أنها لما توقفت عن المشي فهم
ظنوا ذلك خلاء في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت أي ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها
حابس الفيل أي منعها عن المسير الذي منع الفيل عن المسير عن مكة وهو الله تعالى والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم ولم تكن قصوى وهو شق الأذن قوله خطة أي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما
يجب القيام بها يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل بأقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة
سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل قال مالك هي من الحرم
وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لا مادة له والتربض أخذ الشيء قليلا قليلا
وقوله فما زال يجيش بالري يقال جاشت البئر بالماء إذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود
وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان إذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا
أعداد مياه الحديبية أما العد الكثير الذي لا انقطاع له كالعيون وجمعه أعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ
جمع عائذ وهي الناقة إذا وضعت إلى أن تقوى ولدها وقيل هي كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل
وهي الناقة التي معها فصيلها وهذا استعارة استعاره لك للناس وأراد به أن معهم النساء والصبيان قوله
وإن قريشا قد نهكتهم الحرب أي أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة قوله وإلا فقد جموا
أي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق
وقيل السالفة حبل العنق وهو العنق الذي بينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لأنها لا تنفرد عنه إلا بالموت قوله
إني استنفرت يقال استنفر القوم إذا دعاهم إلى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله
بلحوا علي فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبليح الإعياء والفتور والمراد امتناعهم من إجابته وتقاعدهم
به قوله استأصلت قومك واجتاح أصله الاجتياح إيقاع المكروه بالإنسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح

متقاربان في مبالغة الاذى قوله اي لا ادري وجوها واشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال
فلان خليق بذلك اي جدير لا يستبعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات هو اسم صنم كانوا يعبدونه والبظر ما تقطعه
الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المراة وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في السنتهم قوله لولا يد لك
عندي اليد النعمة وما يمتن به الانسان على غيره قوله اي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله وعرض عليكم خطة
رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة
قوله وهم من قوم يعظمون البدن اي الابل تهدى الى البيت في حج او عمرة وتقليدها هو ان تجعل في رقابها شيء كالقلادة
من الشجر او نعل او غيره ليعلم بذلك انه هدي والاشعار هو ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله لما
راى الهدي يسيل عليه اي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي اي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل
عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه اي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في
اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء واتمامه قوله ضغطة وهو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح
بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع
فيه السيف مغمودا او يعلق في اخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها القتاد وهو مشي المقيد قوله فاجزه لي قال ابن
الاثير يجوز ان يكون بالزاي والراء اما الزاي فمن الاجازة اي اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لي وان كان
بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعطي الدنية اي القضية التي
لا نرضى بها ولا نريدها اي لم نرض بالدون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز ركاب الناقة كالركاب لسرج الفرس
والمعنى فاستمسك به لا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب قوله غرز رجله فانه على الحق الذي لا يجوز لاحد تركه
قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اي موقدها يقال سعرت النار واسعرتها اذا
اوقدتها والمسعر الخشب الذي يوقد بها النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله اعلم واما تفسير الاية فقوله
عز وجل هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم اي منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا
الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اي محبوسا ان يبلغ
محله اي منحره وحيث يحل نحره وهو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني المستضعفين بمكة لم
تعلموهم اي تعرفوهم ان تطؤهم اي بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي اثم وقيل
غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل
هو ان المشركين يعيبونكم ويقولوا قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا ان تطؤا رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم
فيلزمكم به كفارة او سبة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب
ليدخل الله في رحمته من يشاء اي في دين الاسلام من يشاء اي من اهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها لو تزيلوا
اي تميزوا المؤمنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لو عذبنا
جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو لا تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته
اي في جنته قال قتادة في الاية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن مشركي مكة كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة قوله
تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية اي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل قال اهل مكة
قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها
علينا وكانت هذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

اي حتى لا يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس واكثر المفسرين
كلمة التقوى لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم
وكانوا احق بها اي من كفار مكة واهلها اي كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شيء عليما يعني من امر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة
وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية
انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه امنين ويحلقون رؤوسهم فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم
فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التي راها فانزل الله هذه الاية ودخلوا في العام المقبل
وروي عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون
الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم
واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده ففيه دليل ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا التي اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق اي الذي راه
حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون بالحق قسما لان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذي هو ضد الباطل وجوابه لتدخلن
المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله
صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء الله امنين قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيدا
لقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول في
عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن
بمشية الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم واني
ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك في الموت محلقين رؤوسكم اي كلها ومقصرين اي تاخذون بعض
شعوركم لا تخافون اي من عدو في رجوعكم لان قوله امنين في حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال
الامن بعد الاحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم تعلموا يعني علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكون
ذلك سبب لوطئ المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة الاولى
فجعل من دون ذلك اي من قبل دخولكم الحرم فتحا قريبا يعني صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر
قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق هذا بيان لصدق الرؤيا وذلك ان الله لا يري رسوله
صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله تعالى امر الرؤيا بقوله
تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول
مكة وهو قوله تعالى ليظهره على الدين كله اي يعليه ويقويه على الاديان كلها فصير الاديان كلها دونه وكفى بالله
شهيدا اي في انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار
لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم قال محمد رسول الله
اي هو محمد رسول الله الذي سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى
والذين معه يعني اصحابه المؤمنين اشداء على الكفار اي غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيه

رأفة رحماء بينهم أي متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون أي يطلبون فضلا من الله يعني الجنة ورضوانا أي أن يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو أن المخلص لعمله لله يطلب أجره من الله والمرائي بعمله لا يبتغي له أجرا وذكر بعضهم في قوله والذين معه يعني أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن أبي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم أي علامتهم في وجوههم من أثر السجود واختلفوا في هذه السيما على قولين أحدهما أن المراد في يوم القيمة قيل هو نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيمة أنهم سجدوا لله في الدنيا وهو رواية عن ابن عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيمة يعرفون بذلك والقول الثاني أن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذي ترون ولكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل في الصلوة ويعرف ذلك في رجلين أحدهما يسهر الليل في الصلوة والعبادة والآخر في اللهو واللعب إذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر في وجه المصلي نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وخبال وقيل هو أثر التراب على الجباه لأنهم كانوا يصلون على التراب لا على الأثواب قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ذلك مثلهم في التورية يعني ذلك الذي ذكر من صفتهم في التورية وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم في الإنجيل فقال تعالى ومثلهم أي صفتهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي أفراخه قيل فراخه هو نبت فما خرج بعده فهو شطأه فآزره أي قواه وأعانه وشد أزره فاستغلظ أي غلظ ذلك الزرع وقوي فاستوى أي تم وتلاحق نباته وقام على سوقه جمع ساق أي على أصوله يعجب الزراع أي يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ أصحابه والمؤمنون وقيل كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل هو قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار قال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم م عن عائشة قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن أهل كل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلي بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء

أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أحدهما إلى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر عن أبي ذر خ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين بعدي من أصحابي أبو بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ق عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وما له من صديق رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابي بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيمة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال وقد روي عن ابن بريدة مرسلا وهو أصح ق عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وعن أبي هريرة نحوه أخرجه مسلم عن عبد الله بن مغفل المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم لفظة من في قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعني من الشطأ الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الإسلام إلى يوم القيمة ورد الهاء والميم على معنى الشطأ لا على لفظه ولذلك لم يقل منه مغفرة وأجرا عظيما يعني الجنة وقيل إن المغفرة جزاء الإيمان فإن لكل مؤمن مغفرة والأجر العظيم جزاء العمل الصالح والله أعلم بمراده

تفسير سورة الحجرات

مدنية وهي ثمانية عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله من التقديم أي لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لأنفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لأوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل أن يفعل وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح ق عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء زاد الترمذي في أوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث

حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امّر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يُسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين لا تقضوا امرا دون الله ورسوله **واتقوا الله** اي في تضييع حقه ومخالفة امره **ان الله** اي لاقوالكم **عليم** اي بافعالكم قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي** اي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول **ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم** امرهم ان يجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقولوا يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله **لبعض ان تحبط اعمالكم** اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم **وانتم لا تشعرون** اي بذلك ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو ما شان ثابت يشتكي فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه فانا من اهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه وروي لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية اتخوف ان تكون انزلت فيّ وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره قال اذهب فادعه لي فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيّت واتخوف ان تكون هذه الآية نزلت فيّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** الآية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم قال اف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجدا الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت

بعد موت

بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدّث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا له وتعظيما **اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** اي اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه **لهم مغفرة واجر عظيم** قوله عز وجل **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات** قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وامّر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات **اكثرهم لا يعقلون** وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية اكثرهم اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حالته وهو الاكثر **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم** فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤوا به من سوء الادب وطلب العجلة في الخروج **لكان خيرا لهم** اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان احسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله لكان خيرا لهم وقيل نزلت هذه الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا لنشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه وقام شاعرهم فذكر ابياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى له تكلم خطيبنا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله **والله غفور رحيم** اي لمن تاب منهم قال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاؤوا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله هذه الآية قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا** الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله عليه الصلاة والسلام

فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم
وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمّ ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه
انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل
على ايمانهم فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم وسمع منهم اذان
المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة وهو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول
الفاسق وهو اولى من حمل الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فاخطأ
فعلى هذا يكون المعنى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقرئ فتثبتوا اي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة
ولا تعتمدوا على كلام الفاسق **ان تصيبوا** اي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي **قوما بجهالة** اي جاهلين حالهم
وحقيقة امرهم **فتصبحوا على ما فعلتم** اي من اصابتكم بالخطأ **نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله**
اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا **لو يطيعكم** اي الرسول **في كثير
من الامر** اي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم **لعنتم** اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه قرأ واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم لو اطاعهم في كثير من الامر
لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن غريب **ولكن الله حبب اليكم الايمان** اي جعله
احب الاديان اليكم **وزينه** اي حسنه وقربه منكم وادخله **في قلوبكم** حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه
قد يسأم منه والايمان في كل يوم قد يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكره اليكم
الكفر والفسوق** قال ابن عباس يريد الكذب **والعصيان** جميع معاصي الله تعالى وفي هذا لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه
الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان
واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق
بالجنان والفسوق وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب اليه الاقرار بشهادة
الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل بالاركان فكره اليه العصيان بالاركان وحبب اليه العمل الصالح
بالاركان ثم قال تعالى **اولئك هم الراشدون** اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم اي اولئك هم المهتدون
الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق **فضلا من الله** اي فعل ذلك بكم فضلا منه **ونعمة** عليكم **والله عليم**
اي بكم وبما في قلوبكم **حكيم** في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم
بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكمة قوله عز وجل **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ق عن انس قال
قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون
يمشون معه وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار
والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما اصحابه
فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت
قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركب على حمار عليه اكاف وتحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد خلفه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج

قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين
والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه
ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن
فقال عبد الله بن ابي ابن سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك
فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود
حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر
الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة
عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم
بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينهما اي بينها
وبين زوجها شيء فرقيها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج **فاصلحوا بينهما** اي بالدعاء
الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما **فان بغت احديهما على الاخرى** اي تعدت وابت الاجابة الى حكم
كتاب الله **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء** اي ترجع **الى امر الله** اي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل
ترجع الى طاعته في الصلح الذي امر به **فان فاءت** اي رجعت الى الحق **فاصلحوا بينهما بالعدل** اي بالذي
يحملها على الانصاف والرضى بحكم الله **واقسطوا** اي اعدلوا **ان الله يحب المقسطين** اي العادلين **انما
المؤمنون اخوة** اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان قد عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق
وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس
او تميم **فاصلحوا بين اخويكم** اي اذا اختلفا واقتتلا **واتقوا الله** اي فلا تعصوه ولا تخالفوا
امره **لعلكم ترحمون** ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر
مسلما ستره الله يوم القيمة **فصل** في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على ان البغي لا يزيل
اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن ابي طالب وهو القدوة في قتال
اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين
لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا
اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم ان يبعث
اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على البغي قاتلهم
حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى مناد في يوم الجمل
الا لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يذفف على جريح وهو بالذال المعجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي
يوم صفين باسير فقال لا اقتلنك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال
من نفس ومال فلا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف
فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم
يجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن لهم تأويل ولم ينصبوا اماما فلا يتعرض
لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول

في ناحية المسجد لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله
ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدأكم بقتال قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم**
الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الأول من أولها إلى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
أنه كان في أذنه وقر فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع
ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه
مجالسهم فظن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ
ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون
له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت
خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له
كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين
ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان
وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ
غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله
خير منه وهو قوله تعالى **عسى أن يكونوا خيرا منهم** السبب الثاني قوله تعالى **ولا نساء من نساء** أي
ولا يستهزئ نساء من نساء **عسى أن يكن خيرا منهن** وروي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية
بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي
تبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى **ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**
عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال فينا نزلت هذه الآية بني سلمة قدم علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون
مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان
أخرجه أبو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره فنزلت هذه الآية
ولا تنابزوا بالألقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم
على بعض والمراد بالأنفس الإخوان ههنا والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسهم فإذا عاب عائب لأحد
بعيب فكأنما عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه
ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يدعو الإنسان بغير ما سمي به قال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات
ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو أن يقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي
والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير
قال العلماء المراد بهذه الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس به إذا لم
يكرهه المدعو به وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر الفاروق
ولعثمان ذي النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** أي

وبينه

بئس

بئس الاسم أن تقولوا يا يهودي ويا نصراني بعد ما أسلم ويا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه إن فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز
والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق **ومن لم يتب**
أي عن ذلك كله **فأولئك هم الظالمون** أي الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل أظلم من الذين
قالوا لهم ذلك قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما
إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم
سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا
له انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عندك فضل طعام
وإدام فليعطيك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان
إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا
لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا
يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
يعني أن يظن بأهل الخير سوءا نهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما
لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا
وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فأما أهل السوء والفسق المجاهرين
بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم **إن بعض الظن إثم** قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما
إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به
وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب إليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور
وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالأخ المسلم **ولا تجسسوا** أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله تعالى
عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره منها **ق** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى
ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله
لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور
وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع إلى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الأخبار قوله
ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها
ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا
تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف
رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال

ولا تجسسوا

فقال

عباد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كمن أحيى موؤدة م عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره
الله يوم القيامة قوله تعالى **ولا يغتب بعضكم بعضا** لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت
إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر
لمزجته قالت وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح قوله لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر
قوله تعالى **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** قال مجاهد لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتا قالوا لا قال قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء
بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك وفيه إشارة أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر
بسوء كما يتألم جسده إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فمن أعراضهم
أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ في الزجر عن أنس
قال قال رسول الله عليه السلام لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سياه
بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله وما أنا بآكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه
خيرا قال لا ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده قوله تعالى **واتقوا الله**
في أمر الغيبة واجتناب نواهيه **إن الله تواب رحيم** قوله عز وجل **يا أيها الناس إنا خلقناكم**
من ذكر وأنثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت
أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يتفسح له يا أيها
الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن
هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان إني لا
أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا
فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء والمعنى أنكم متساوون في النسب فلا يتفاخر بعضكم على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة
واحدة وقيل يحتمل أن يكون المعنى إنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فإن كل واحد منكم خلق كما خلق
الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب **وجعلناكم شعوبا** جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس
القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم **وقبائل** جمع قبيلة وهي دون
الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم
من تميم ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدها فخذ وهم
كبني هاشم وبني أمية من لؤي ودون الأفخاذ الفصائل واحدها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس وبني هاشم

ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبائل من العرب الذين ينتسبون
إلى آبائهم **لتعارفوا** أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر ولا للأنساب ثم بين الخصلة التي
بها يفضل الإنسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** قيل أكرم الكرم التقوى
وألأم اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ق عن أبي هريرة
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال
فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم
قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي كسرها ومعناه إذا تعلموا
أحكام الشرع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج
لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا أيها الناس إنما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم المحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية
يعني كبرها وفخرها **إن الله عليم** أي بظواهركم يعلم أنسابكم **خبير** أي ببواطنكم لا يخفى عليه أسراركم فاجعلوا
التقوى زادكم إلى معادكم قيل المتقي هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب إلى جنابه وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد
المناهي ويأتي بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فإن اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه ويظهر
عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس بمتق لأن المتقي
يأتي بما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فإن التفت لحظة إلى نفسه
وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد توبة جعلنا الله وإياكم من المتقين قوله تعالى **قالت الأعراب**
آمنا الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فأظهروا الإسلام
ولم يكونوا مؤمنين في السر فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال
والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون
الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم
جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى الحديبية
تخلفوا عنه فأنزل الله عز وجل قالت الأعراب آمنا أي صدقنا **قل لم تؤمنوا** أي لم تصدقوا بقلوبكم
ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** أخبر
أن حقيقة الإيمان هو التصديق بالقلب وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيمانا إلا بالتصديق
بالقلب والإخلاص ق عن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم إلي فقمت فقلت ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا فأجابه بمثل ذلك ثم قال إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه
خشية أن يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح لفظ
الحميدي واعلم أن الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة
باللسان والأبدان والجنان لقوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد

باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة
وطمانينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن
والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب
والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا
يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى
وان تطيعوا الله ورسوله اي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا له الايمان لا يلتكم اي
لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي من ثواب اعمالكم ان الله غفور رحيم ثم بين حقيقة الايمان فقال
تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في دينهم وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم مؤمنون صادقون وعرف الله عنهم غير ذلك فانزل الله تعالى قل اتعلمون الله
بدينكم اي اتخبرون الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض اي لا يخفى
عليه خافية والله بكل شيء عليم اي لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا اي هو قولهم اسلمنا
ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا قل لا تمنوا علي اسلامكم
اي لا تعتدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اي لله المنة عليكم ان ارشدكم وامدكم بتوفيقه
حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين اي انكم مؤمنين ان الله يعلم
غيب السموات والارض اي انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم
سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ق

مكية وهي خمس واربعون اية وثلثماية وسبع وخمسون كلمة والف واربعماية واربعة
وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو اسم من اسماء
القران وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر
وقضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضرا متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء
كهيئة القبة وعليه كتفاها وخضرة السما منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى وقيل هو من وراء الحجاب
الذي تغيب الشمس من ورائه مسيرة سنة والقران المجيد اي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا
في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته
وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شيء عجيب اي معجب غريب ائذا متنا وكنا ترابا
اي حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اي يبعد ان نبعث بعد
الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا
يعزب عن علمنا شيء وعندنا اي مع علمنا بذلك كتاب حفيظ يعني محفوظ من التغيير والتبديل وقيل حفيظ
بمعنى حافظ اي حافظ لعددهم واسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون بل كذبوا
بالحق اي القران لما جاءهم قيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم فهم في امر
مريج مريج اي مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر

ومرة

ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في
هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دلهم على عظيم
قدرته فقال تعالى افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها اي بغير عمد وزيناها اي بالكواكب
وما لها من فروج اي شقوق وصدوع والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء والقينا
فيها رواسي اي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن كريم
يبتهج به اي يسر به تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اي تذكرة لكل عبد منيب اي راجع الى الله
تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير الخير والبركة فيه حياة كل شيء
وهو المطر فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين وحب الحصيد يعني البر والشعير وسائر الحبوب
التي تحصد والنخل باسقات اي طوالا وقيل مستويات لها طلع اي ثمر يطلع ويظهر وسمي طلعا
قبل ان يتشقق نضيد اي متراكب بعضه على بعض في اكمامه فاذا تشقق وخرج من اكمامه فليس بنضيد رزقا
اي جعلنا ذلك رزقا للعباد واحيينا به اي بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيها الكلا والعشب
كذلك الخروج اي من القبور احياء بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس
وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة
قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو كرب تبع الحميري وقد تقدم
قصص جميعهم قيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومه فلهذا اخص بالذكر دونهم
كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسولهم فحق وعيدي ووجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد
للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا
بالاعادة ثانيا وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد
وهو البعث قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يحدث به قلبه فلا يخفى
علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه اي نحن اعلم به منه والوريد
العرق الذي فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان
وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا
فيه ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان
به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال قعيد يعني احدهما عن يمينه والاخر عن
شماله فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد اي قاعد لان كل واحد منهما قعيد
فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح به ما يلفظ من قول اي ما يتكلم من كلام
يخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما
يتاخران عنه فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة حتى
يكتبان ما يتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له اجر
وثواب وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك فكان الحسن البصري يعجبه ان ينظف عنفقته
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب
السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب

على عقله بالحق أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول إليه
أمر الإنسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت منه تحيد أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك
الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
أي ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار أن يعذبهم فيه وجاءت أي في ذلك اليوم كل نفس معها سائق
أي يسوقها إلى المحشر وشهيد أي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم
الأيدي والأرجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس لقد كنت في غفلة من هذا أي من هذا اليوم في الدنيا
فكشفنا عنك غطاءك أي الذي كان على سمعك وقلبك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد أي قوي
ثابت نافذ تبصر ما كنت تتكلم به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك إلى لسان ميزانك حتى توزن حسناتك
وسيئاتك وقال قرينه يعني الملك الموكل به هذا ما لدي أي عندي عتيد أي معد محضر وقيل يقول هذا
الملك الذي وكلتني به من ابن آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله ألقيا في جهنم أي يقول الله تعالى للقرينين وقيل
هذا أمر للسائق والشهيد كل كفار أي شديد الكفر عنيد أي عاص معرض عن الحق عاند الله فيما أمره به
مناع للخير أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله معتد أي ظالم لا يقر بتوحيد الله مريب
أي شاك في التوحيد الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد يعني النار
قال قرينه يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما أطغيته قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو
أن الكافر حين يلقى في النار يقول ربنا أطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أي ما أضللته وما أغويته
ولكن كان في ضلال بعيد أي عن الحق فتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك يقول الكافر رب
إن الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ولكن كان
في ضلال بعيد أي طويل لا يرجع عنه إلى الحق فيقول الله تعالى قال لا تختصموا لدي أي لا تعتذروا
وقيل هو خصامهم مع قرنائهم وقد قدمت إليكم بالوعيد أي في القرآن وأنذرتكم على ألسنة الرسل وحذرتكم
عذابي في الآخرة لمن كفر ما يبدل القول لدي أي لا تبديل لقولي وهو قوله لأملأن جهنم وقضيت عليكم ما
أنا قاض فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لأني علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا
وهذا القول هو الأولى لأنه قال ما يبدل القول لدي ولم يقل ما يبدل قولي وما أنا بظلام للعبيد أي فأعاقبهم
بغير جرم وقيل معناه فأزيد على إساءة المسيء وأنقص من إحسان المحسن قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت
بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى إياها أنه يملأها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده
وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول هل امتليت فتقول قد امتليت ولم يبق موضع لم يمتلئ فهو استفهام إنكاري
وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها
فيها وروي عن ابن عباس أن الله تعالى سبقت كلمته لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى
فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط
قط قد امتلأت وليس في مزيد (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول
هل من مزيد حتى يضع رب العزة وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة
فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولأبي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه أحدا (فصل) هذا الحديث
من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه
لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب

الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم
وهو شائع في اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه
إلى ذلك المخلوق المعلوم وقيل إنه يحتمل أن في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضي عياض أظهر التأويل
أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة
على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات إسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة
وقوله ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعني أنه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير ذنب فذلك عدل منه
سبحانه وتعالى قوله تعالى وأزلفت الجنة أي قربت وأدنيت للمتقين أي الذين اتقوا الشرك
غير بعيد يعني أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها هذا ما توعدون
أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الأنبياء لكل أواب أي راجع عن المعصية إلى الطاعة
قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل
هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ
ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل المحافظ على نفسه المتعهد
لها المراقب وقيل المحافظ على الطاعات والأوامر من خشي الرحمن بالغيب أي خاف الرحمن فأطاعه وإن
لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد إذا ألقى الستر وأغلق الباب وجاء بقلب منيب أي مخلص مقبل
على طاعة الله تعالى ادخلوها أي يقال لأهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام أي بسلامة من العذاب والهموم
وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعمة ذلك يوم الخلود أي في الجنة لأنه لا موت
فيها لهم ما يشاؤون فيها وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم
يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد وقيل المزيد هو النظر إلى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب
تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم أهلكنا قبلهم أي من قبل كفار مكة
من قرن هم أشد منهم بطشا يعني سطوة والبطشة الأخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد أي ساروا
وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من محيص أي فلم يجدوا لهم محيصا من أمر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا
من الموت بل يموتون فيصيرون إلى عذاب الله تعالى وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم إن في ذلك لذكرى
أي فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر
مع الله واع عن الله أو ألقى السمع أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد
أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام
وما مسنا من لغوب أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة
أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله هذه
الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الإمام فخر الدين
الرازي في تفسيره والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما وقوله وما
مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو مما حرفوه أو لم يعلموا
تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتداؤه يوم
الأحد لكان الزمان قبل الأجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة
عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل خلق السموات والأرض لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق

وقد يراد به الحين وقد يعبر عنه عن مدة الزمان اى مدة كانت قوله عز وجل **فاصبر على ما يقولون** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اى اصبر يا محمد على ما يقولون اى من كذبهم فان الله تعالى لهم بالمرصاد وهذا قبل قتالهم **وسبح
بحمد ربك** اى صل حمدا لله **قبل طلوع الشمس** اى صلوة الصبح **وقبل الغروب** يعني صلوة المغرب وقال ابن
عباس صلوة الظهر والعصر **ومن الليل فسبحه** يعني صلوة المغرب والعشاء وقيل يعني صلوة الليل اى وقت صلى
وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان
قبل صلوة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا ق عن عائشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل
اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر م عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة
الفجر عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلوة الفجر
بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان
في ادبار الصلوات المكتوبات خ عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله وادبار السجود م
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين
وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر خ عنه ان فقراء المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا
من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا ياتي
احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلوة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى **واستمع
يوم ينادي المنادي** يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيمة والنشور وقال المفسرون
المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى **من مكان قريب** قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب
الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض **يوم يسمعون الصيحة بالحق** اى الصيحة الاخرة **ذلك
يوم الخروج** اى من القبور **انا نحن نحيي** اى في الدنيا **ونميت** يعني عند انقضاء الاجل **والينا المصير**
اى في الاخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث **يوم تشقق الارض عنهم سراعا**
اى يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله **ذلك حشر علينا يسير** اى هين **نحن اعلم بما يقولون** يعني كفار مكة في
تكذيبك **وما انت عليهم بجبار** اى بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم **فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد** اى ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد اى عظ بالقرآن من يخاف وعيدي والله اعلم بمراده

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية وهي ستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **والذاريات ذروا** يعني الرياح التي تذرو التراب **فالحاملات وقرا** يعني السحاب تحمل
ثقلا من الماء **فالجاريات يسرا** يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا **فالمقسمات امرا** يعني الملائكة
يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل
صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة في الرياح
لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتنقله ثم تجري به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب اقسم الله بهذه الاشياء
لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعه وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره

ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى **انما توعدون** اى من الثواب والعقاب يوم القيمة **لصادق** اى حق
وان الدين اى الحساب والجزاء **لواقع** اى لكائن ثم ابتدا قسما اخر فقال تعالى **والسماء ذات الحبك** قال ابن عباس
ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا
ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله **انكم** يعني يا اهل مكة **لفي قول مختلف**
يعني في القرآن وفي محمد صلى الله عليه وسلم يقولون في القرآن سحر وكهانة واساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم
ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفي قول مختلف اى مصدق ومكذب **يؤفك عنه من افك** اى يصرف عن الايمان
به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل
اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به **قتل
الخراصون** يعني الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفوا
الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة **الذين هم في غمرة** اى في غفلة وعمى وجهالة **ساهون** اى لاهون غافلون
عن امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه **يسئلون ايان يوم الدين** اى يقولون يا محمد متى يوم
الجزاء يعني يوم القيمة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى **يوم هم** اى يكون هذا الجزاء في يوم هم **على النار يفتنون**
اى يعذبون ويحرقون بها وتقول لهم خزنة النار **ذوقوا فتنتكم** اى عذابكم **هذا الذي كنتم به تستعجلون**
اى في الدنيا تكذيبا قوله تعالى **ان المتقين في جنات وعيون** يعني في خلال الجنات عيون جارية **اخذين ما
اتيهم** اى ما اعطاهم **ربهم** من الخير والكرامة **انهم كانوا قبل ذلك محسنين** اى قبل دخولهم
الجنة كانوا محسنين في الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون** اى كانوا
ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من اوسطها
وعن انس بن مالك في قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون كانوا قليلا يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه ابو داود
وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا
اى من الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اى لا ينامون من الليل البتة بل يقومون الليل كله في الصلوة والعبادة
وبالاسحار هم يستغفرون اى يمدوا عبادتهم الى وقت السحر ثم اخذوا في الاستغفار وقيل يستغفرون من
تقصيرهم في العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار
لطلب المغفرة ق عن ابي هريرة رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى
ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك
انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد في رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

فصل

هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان احدهما وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تاويل
ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثاني
وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا
يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث
الاخر من الليل لان وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفي ذلك الوقت تكون النية
خالصة والرغبة الى الله متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله اعلم ق عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك
الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق

اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت زاد في رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك زاد
النسائي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خ عن عبادة ابن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من
الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعالى
تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت قوله عز وجل وفي أموالهم حق أي نصيب قيل إنه ما
يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكوة قاله ابن عباس وقيل إنه الزكوة
المفروضة للسائل أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه
من الفيء شيء قال ابن عباس المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطا وقيل المحروم المتعفف الذي
لا يسأل وهو صاحب الحاجة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو
المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الأقوال أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وإنما
يفطن له متيقظ وفي الأرض آيات أي عبر من البحار والجبال والأشجار والأثمار وأنواع النبات للموقنين
أي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه وفي أنفسكم آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما
إلى أن نفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط
والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقديم الأدوات والسمع والبصر والنطق والعقل
إلى غير ذلك من العجائب المودوعة في ابن آدم أفلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السماء
رزقكم قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر
وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال فورب السماء والأرض إنه لحق أي ما ذكره من الرزق
وغيره مثل ما أنكم تنطقون أي بلا إله إلا الله وقيل شبه تحقق ما أخبر به عنه بتحقق نطق الآدمي ومعناه إنه
لحق كما أنت تتكلم وقيل إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان
ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق
غيره قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف إبراهيم يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا إبراهيم بالبشرى
فاستمع قصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم في سورة هود المكرمين قيل سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما
عند الله وقيل لأنهم كانوا أضياف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرم وقيل لأن إبراهيم
عليه أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير
مدعوين ق عن ابن شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم
لا نعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا بغير استيذان وقيل أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض فراغ
أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين أي جيد وكان مشويا قيل كانت عامة مال إبراهيم البقر فجاء بعجل
فقربه إليهم هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام إلى الضيف ولا يحوجهم السعي إليه فلما لم يأكلوا قال ألا
تأكلون يعني أنه حثهم على الأكل وقيل عرض عليهم الأكل من غير أن يأمرهم فأوجس أي فأضمر منهم خيفة
لأنهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وقيل عليم أي نبي فأقبلت امرأته
قيل لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا إذا أخذ فيه في صرة أي

السلام

في صيحة والمعنى أنها أخذت تولول وذلك من عادة النساء إذا سمعن شيئا فصكت وجهها قال ابن عباس
وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا إذا أنكرن شيئا وقالت عجوز عقيم
معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لأن سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك أي كما قلنا لك قال ربك
إنك ستلدين غلاما إنه هو الحكيم العليم ثم إن إبراهيم عليه السلام لما علم حالهم وأنهم من الملائكة قال
فما خطبكم أي فما شأنكم وما طلبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين قيل هو الآجر مسومة أي معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على أنها
ليست من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لأن الشرك أسرف الذنوب وأعظمها فأخرجنا
من كان فيها أي في قرى قوم لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين أي أهل بيت
يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم لأن الإسلام أعم من الإيمان
وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه فإذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهومها وتركنا فيها أي مدينة قوم
لوط آية أي عبرة للذين يخافون العذاب الأليم والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على أن الله مهلكهم فيخافون
مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين
أي بحجة ظاهرة فتولى أي أعرض عن الإيمان بركنه أي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم وقال
ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم أي فأغرقناهم في البحر وهو مليم أي آت بما يلام عليه
من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد أي في إهلاك عاد أيضا آية وعبرة إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم
يعني التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شيء أتت عليه أي من أنفسهم وأموالهم
وأنعامهم إلا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الأرض كالشجر والتبن ونحوه
وأصله من رم العظم إذا بلي وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني إلى وقت انقضاء آجالهم وذكروا أنهم لما
عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام فعتوا عن أمر ربهم أي تكبروا عن طاعة ربهم فأخذتهم الصاعقة
أي بعد مضي ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك
وهم ينظرون أي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام أي فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا
قدروا على نهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين أي ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها
من أمر الله وقوم نوح قرئ بكسر الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح من قبل أي
من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن الطاعة قوله تعالى
والسماء بنيناها بأيد أي بقوة وقدرة وإنا لموسعون قيل هو من السعة أي أوسعنا السماء بحيث صارت
الأرض وما يحيط بها من الماء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقاة في الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون
على بنائها كذلك وعنه لموسعون أي الرزق على خلقنا وقيل معناه إنا ذو السعة والغنى والأرض فرشناها أي بسطناها
ومددناها لكم فنعم الماهدون أي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين أي صنفين ونوعين مختلفين
كالسماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والإنس والذكر والأنثى
والنور والظلمة والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض لعلكم تذكرون
أي فتعلمون أن خالق الأزواج فرد لا نظير له ولا شريك معه ففروا إلى الله أي قل يا محمد ففروا إلى الله أي فاهربوا من
عذابه إلى ثوابه بالإيمان والطاعة قال ابن عباس فروا إليه واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله
إلى الله إني لكم منه نذير أي مخوف مبين أي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع

ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى وحدوه ولا تشركوا به شيئا انى لكم منه نذير مبين قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير
مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز
عند الله الا الجامع بينهما كذلك اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر ومجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اى من قبل
كفار مكة والامم الخالية من رسول يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون قال الله تعالى اتواصوا
به اى اوصى اولهم آخرهم بعضهم بعضا بالتكذيب وتواطئوا عليه وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا
بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول
فتول عنهم اى اعرض عنهم فما انت بملوم اى لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما قصرت فيما امرت
به قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان
العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين الا ليعبدون قيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت
الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى
وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على ابن ابى طالب الا ليعبدون اى الا لآمرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتى
وقيل معناه الا ليعرفون وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الى ويتذللوا
لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك احد
لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده
اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ما اريد منهم من رزق اى ما اريد ان يرزقوا احدا من
خلق الله ولا ان يرزقوا انفسهم لانى انا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما اريد
ان يطعمون اى ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال الله فقد
اطعمه لما صح من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة يا ابن آدم مرضت
فلم تعدنى قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته
لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك
عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف
اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى اخرجه مسلم
ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى ان الله هو الرزاق اى لجميع خلقه ذو القوة المتين يعنى هو القوى
الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا يلحقه فى افعاله مشقة فان للذين ظلموا اى من اهل مكة ذنوبا
اى نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اى مثل نصيب اصحابهم الذين اهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود فلا
يستعجلون اى بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيمة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذى
يوعدون يعنى يوم القيمة وقيل يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب تفسير سورة الطور
مكية وهى تسع واربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والطور اراد به الجبل الذى كلم الله موسى عليه السلام بالارض المقدسة وقيل بمدين وكتاب مسطور
اى مكتوب فى رق يعنى الاديم الذى يكتب فيه المصحف منشور اى مبسوط واختلفوا فى الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده
لموسى من التورية وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم القيمة منشورا

يوم صح
ناظر

فاخذ بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القرآن والبيت المعمور يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة
قدام العرش بحذاء الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة يقال له فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد
مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه وفى رواية اخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه راى
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعنى السماء والبحر المسجور يعنى الموقد
المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا فيزاد بها
فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا
او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملو وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب
فى الارض وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال فى البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع سموات
الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من قبورهم
اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع
يعنى انه حق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة ما له من دافع اى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور
الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا
من نزول العذاب وما كنت اظن انى اقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء
مورا اى تدور كدوران الرحا وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب
وتسير الجبال سيرا اى تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام
بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا
وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة فويل اى شدة
عذاب يومئذ للمكذبين اى يوم القيمة الذين هم فى خوض اى يخوضون فى الباطل يلعبون
اى غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اى يدفعون الى نار جهنم دعا يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة
جهنم يغلون ايدى الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزجا
فى اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى فى الدنيا
أفسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل
لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها اى فاسوا شدتها فاصبروا اى على العذاب او لا تصبروا عليه
سواء عليكم اى الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اى من الكفر والتكذيب فى الدنيا قوله تعالى ان
المتقين فى جنات ونعيم فاكهين اى معجبين بذلك ناعمين بما آتاهم ربهم اى من الخير والكرامة ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم كلوا اى يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اى مأمون العاقبة من التخمة والسقم
بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اى موضوعة بعضها
الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعنى الحقنا
اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا
لاحد ابويه الحقنا بهم ذرياتهم يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة

لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أن معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم
يعني البالغين بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم أخبر الله تعالى أنه يجمع لعبده المؤمن
ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء
من أعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه
في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم إلى آخر الآية عن علي قال سألت
خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما
رأى الكراهة في وجهها قال لو رأيت مكانهما لأبغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذين
آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوي بإسناد الثعلبي **وما ألتناهم**
من عملهم من شيء (أي ما نقصناهم) **كل امرئ بما كسب** أي من عمل الشرك **رهين** أي مرتهن بعمله في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا
بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعم فقال تعالى **وأمددناهم بفاكهة**
يعني زيادة عما كان لهم **ولحم مما يشتهون** أي من أنواع اللحوم **يتنازعون** أي يتعاطون ويتناولون
فيها أي في الجنة **كأسا لا لغو فيها** أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا **ولا تأثيم**
أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو وإثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها **ويطوف عليهم**
أي للخدمة **غلمان لهم كأنهم** أي في الحسن والبياض والصفاء **لؤلؤ مكنون** أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي
قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر
لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
قوله تعالى **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** يعني يسئلون أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون
ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا **قالوا إنا كنا قبل في أهلنا** أي في الدنيا **مشفقين** أي خائفين من العذاب **فمن الله**
علينا بالمغفرة **ووقانا عذاب السموم** يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم **إنا كنا من قبل** أي في الدنيا
ندعوه أي نخلص الدعاء والعبادة له **إنه هو البر** قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر اللطيف
على عباده المحسن إليهم الذي عم بره جميع خلقه **الرحيم** بعبده قوله عز وجل **فذكر** يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة **فما**
أنت بنعمة ربك برحمته وعصمته وقيل بإنعامه عليك بالنبوة **بكاهن ولا مجنون** وهو الذي يوهم أنه
يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى أنك لست كما يقول كفار مكة أنه كاهن ومجنون إنما تنطق بالوحي نزلت في الذين
اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون **أم يقولون** يعني هؤلاء المقتسمين
شاعر أي هو شاعر **نتربص به** أي ننتظر به **ريب المنون** يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك
كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وإن أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه
والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل **قل تربصوا** أي انتظروا بي الموت
فإني معكم من المتربصين أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي **أم تأمرهم**
أحلامهم أي عقولهم **بهذا** وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حتى لم
يتميز لهم معرفة الحق من الباطل **أم هم قوم طاغون** أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر **أم يقولون تقوله**
أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل إلا في الكذب والمعنى ليس الأمر كما زعموا **بل لا يؤمنون**
أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال **فليأتوا بحديث مثله** أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه

إن كانوا صادقين يعني أن محمدا تقوله من قبل نفسه **أم خلقوا من غير شيء** قال ابن عباس من غير رب خالق
والمعنى خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم
فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق **أم هم الخالقون** أي لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن
ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في
معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أي لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر
أم خلقوا السموات والأرض يعني ليس الأمر كذلك **بل لا يوقنون** أي بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته
على البعث وأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض فليؤمنوا به وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم **أم عندهم خزائن**
ربك يعني النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل خزائن المطر والرزق **أم هم المصيطرون**
أي المسلطون الجبارون وقيل أرباب قاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهي يفعلون ما يشاؤون **أم لهم سلم** يعني مرقى
ومصعدا إلى السماء **يستمعون فيه** أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به
مستمسكون **فليأت مستمعهم** أي إن ادعوا ذلك **بسلطان مبين** أي بحجة بينة **أم له البنات ولكم البنون**
هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لأنفسهم **أم تسألهم أجرا** أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة
ودعوتهم إليه من الدين **فهم من مغرم مثقلون** يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم فمنعهم عن الإسلام
أم عندهم الغيب أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل
وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا أن محمدا يموت قبلهم **فهم يكتبون** أي يحكمون قال
ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به **أم يريدون كيدا** أي مكرا
بك ليهلكوك **فالذين كفروا هم المكيدون** أي المجزيون بكيدهم والمعنى أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم
بهم وهو أنهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر **أم لهم إله غير الله** يعني يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون والمعنى أنه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا**
هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء ساقطا يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم
ينتهوا عن كفرهم **يقولوا** لمعاندتهم **سحاب مركوم** أي بعضه على بعض يسقينا **فذرهم حتى يلاقوا**
يومهم الذي فيه يصعقون أي يموتون ويهلكون **يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون** أي لا ينفعهم كيدهم يوم
الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع **وإن للذين ظلموا** أي كفروا **عذابا دون ذلك** أي عذابا في الدنيا قبل عذاب
الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر **ولكن أكثرهم لا يعلمون**
أي أن العذاب نازل بهم قوله تعالى **واصبر لحكم ربك** أي إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا به عليهم **فإنك**
بأعيننا أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه إنا بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك
بمكروه **وسبح بحمد ربك حين تقوم** أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فإن كان المجلس
خيرا ازددت بذلك إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة له عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا
كان كفارة له ما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله
بالليل من حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان إذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى
عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق

المقام يوم القيمة اخرجه ابو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي وابو داود وقال قد تكلم في احد رواته وقوله تعالى **ومن الليل فسبحه** اي فصل يعني صلوة المغرب والعشا **وادبار النجوم** يعني الركعتين قبل صلوة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلوة الصبح ق عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النجم

مكية وهي اثنان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والنجم اذا هوى** قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع اراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وفيه روي عن ابن عباس ان الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيمة وقيل اراد بالنجم القران سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى **ما ضل صاحبكم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى **وما غوى** اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصد مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية **وما ينطق عن الهوى** اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران من تلقاء نفسه **ان هو** اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين **الا وحي** من الله تعالى **يوحى** اليه **علمه شديد القوى** يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء اسرع من رجعة الطرف **ذو مرة** اي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن **فاستوى** يعني جبريل عليه السلام **وهو** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج **بالافق الاعلى** عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ثم دنى فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى** اختلف العلماء في معنى هذه الاية فروي عن مسروق عن ابن الاجدع قال قلت لعايشة فاين قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر ابن حبيش في قوله فكان قاب قوسين او ادنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما راى

وفي قوله

وفي قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال راى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح زاد في رواية راى جبريل في صورته اخرجه مسلم والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى الاية ثم دنى جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى به قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال اخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي تقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد في الصحيحين من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله ابن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال وكذلك الاحاديث التي تقدمت قبل هذا لم يذكر مسلم منها الا طرفا في صحيحه وفي رواية شريك وقدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله ابن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس اذ دنا بل قرب **فاوحى** اي فاوحى الله **الى عبده** محمد **ما اوحى** وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوحى الله الى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد ابن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله عز وجل **ما كذب الفؤاد** قرئ بالتشديد ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم **ما راى** اي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما راى واختلفوا في الذي راه فقيل راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعايشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس وعن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه حقيقة وهو قول انس ابن مالك والحسن وعكرمة قال راى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عايشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ~~ان الله عز وجل~~ ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته مرتين اخرجاه في الصحيحين م عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه قوله عز وجل **افتمارونه على ما يرى** يعني افتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا اصف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما راه وعلمه **ولقد راه نزلة اخرى** يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة

أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى م عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى هو أنه
كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من أعداد الصلوة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه
عز وجل في بعضها وروي عن ابن عباس أنه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رآه بعينه عند سدرة المنتهى م
عن ابن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي
ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب
وفي رواية الترمذي إليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيح ثم صعد بي إلى السماء السابعة
ثم قال رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة قال فلما غشيها من نور الله ما غشي
تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا
حاضر فقال كعب إنها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله
عز وجل وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن
فيها مائة سنة أو قال يستظل بظلها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة
تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان ولو أن ورقة وضعت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض وهي شجرة طوبى التي ذكرها
الله تعالى في سورة الرعد **عندها جنة المأوى** قال ابن عباس جنة المأوى يأوي إليها جبريل والملائكة وقيل
يأوي إليها أرواح الشهداء **إذ يغشى السدرة ما يغشى** قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة
أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال
الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة فاستنارت ويروى في الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما
يسبح الله عز وجل **ما زاغ البصر وما طغى** أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة
المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف
إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أمر به وقيل في معنى الآية إن قلنا إن الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت إليه ولم
يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم إذ لم يقطع نظره عن المقصود وإن قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة
ففيه وجهان أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت يمنة ويسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر
بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل فإنه قطع نظره
وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزول فيه الأقدام وتميل فيه الأبصار
فوصف الله عز وجل جلاله قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة
في مسيره ورجوعه وقيل معناه أن رأى من آيات ربه الكبرى م عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر أعدا أفق السماء ه

فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه
عز وجل ليلة الإسرى قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسرى فأنكرته عائشة
كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي
عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن
حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجميع أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل
واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع

على ربه

على ربه واختلفوا في أن نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه تعالى ليلة الإسرى بغير واسطة أم لا فحكي عن الأشعري وقوم
من المتكلمين أنه كلمه وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنى فتدلى
فالأكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى
وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه أو من الله فعلى هذا القول
يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم
وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو
من الله تعالى له إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة
والإشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى إجابة الرغبة وإبانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض قال
الشيخ محيي الدين وإمام أصحاب التحرير فإنه أجاز إثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وإن كانت كثيرة ولكن لا نتمسك إلا بالأقوى منها
وهو حديث ابن عباس أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة
قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد ورد بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه وكان
الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والأصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الأمة وعالمها والمرجوع إليه
في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وسأله هل رأى محمد ربه عز وجل فأخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة
لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الأبصار والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة وإذا
قد صحت الروايات عن ابن عباس أنه تكلم في هذه المسئلة بإثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما تدرك بالعقل وتؤخذ
بالظن وإنما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد
حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم إن ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي
هذا كلام صاحب التحرير في إثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسرى لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث
لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها أما احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الأبصار فجوابه ظاهر
فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لم يحط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب
في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها
أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الثاني أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة
الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وإن كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد
بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه
غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل
على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام
شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند إنكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نور أنى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى وتشديد النون المفتوحة ومعناه
حجابه نور فكيف أراه قال المازري الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء
الأنوار للأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي والمرئي وفي رواية رأيت نورا معناه النور حسبت ولم أر غيره وفي

روايةٍ ذاتُ نورٍ أنّى أراه معناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال ومن المستحيل أن يكون ذات الله نورًا
إذ النور من جملة الأجسام والله تعالى يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم قوله عز وجل أفرأيتم اللات
والعزى هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز
العزى وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف
بها رب العزة شيء وقيل كان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللاتّ بالتشديد خ عن ابن
عباس قال كان اللات رجلًا يلتّ السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها
السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسًا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات
وقيل كان رجل من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلي السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات
الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعمرتها بالطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفاس ويقول يا عزى كفرانك لا سبحانك
إني رأيت الله قد أهانك فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها ويقال إن خالدًا رجع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال له ما رأيت قال ما رأيت شيئًا فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها
واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد
أبدًا وقيل هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وقيل إنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون
بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لأهل قومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا
قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرًا من الصفا وحجرًا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا وقال هذا الصفا
ثم وضع الذي أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين
الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد
إلى العزى فقطعها وقيل هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله ومناة قيل لخزاعة كانت لقديد وقالت عائشة في الأنصار
كانوا يهلّون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها أهل مكة وقيل
اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها الثالثة الأخرى الثالثة نعت لمناة أي
الثالثة للصنمين في الذكر فإن العرب لا تقول الثالثة أخرى وإنما الأخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل فالها لوفاق رؤوس الآي
كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة وقيل هي صفة ذم كأنه
تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالأصنام تترتب مراتب وذلك لأن اللات كان صنمًا على صورة آدمي
والعزى شجرة فهو نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في آخر المراتب ومعنى الآية فهل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية فإن
رأيتموها علمتم أنها لا تصلح للعبادة لأنها لا تضر ولا تنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله
ألكم الذكر وله الأنثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله كان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك
فقال الله عز وجل منكرًا عليهم ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذًا قسمة ضيزى قال ابن عباس أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم
ما تكرهون لأنفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة إن هي أي ما هذه الأصنام إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
والمعنى أنكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا بمعبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون
لها مسمى حقيقة ما أنزل الله بها من سلطان أي حجة بما تقولون أنها آلهة إن يتبعون إلا الظن أي في
قولهم أنها آلهة وما تهوى الأنفس يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الأصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى
شهواتهم والذي ينبغي أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي البيان

فعبدوه كلها صح

تقدير أفرأيتم صح

بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار قوله تعالى أم
للإنسان ما تمنى معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام أي ليس الأمر كما يظن ويتمنى
فلله الآخرة والأولى أي لا يملك أحد فيهما شيئًا أبدًا إلا بإذنه وقيل معناه أن الإنسان إذا اختار معبودًا على ما تمناه و
اشتهاه فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله ذلك إن شاء في الدنيا أو الآخرة وإن شاء أمهله إلى الآخرة وكم من ملك
في السموات أي ممن يعبد هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئًا يعني أن الملائكة مع علو
منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئًا فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه فقال تعالى
إلا من بعد أن يأذن الله أي في الشفاعة لمن يشاء ويرضى أي من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة
إلا لمن رضي الله عنه وقيل الآية معناه أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء الشفاعة له إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة يعني الكفار الذين أنكروا البعث ليسمون الملائكة تسمية الأنثى أي بتسمية الأنثى حيث أنهم قالوا
بنات الله فإن قلت كيف قال تسمية الأنثى ولم يقل تسمية الإناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق
بهذا الموضع لمناسبة رؤوس الآي وقيل إن كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الأنثى وذلك لأنهم إذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتًا وهي تسمية الأنثى وما لهم به من علم أي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدًا
وقيل ما يستيقنون أن الملائكة إناث إن يتبعون إلا الظن أي في تسمية الملائكة بالإناث وإن الظن لا
يغني من الحق شيئًا أي لا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق وقيل معناه إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء
بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى أن الأوصاف الإلهية لا تستخرج بالظنون فأعرض
عن من تولى عن ذكرنا يعني القرآن وقيل عن الإيمان ولم يرد إلا الحيوة الدنيا يعني أنهم لا يؤمنون بالآخرة حتى
يريدوها ويعملوا لها وفيه إشارة إلى إنكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم أي ذلك نهاية
علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه أنهم لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله
وأنهم يشفعوا لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والإيمان إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بمن اهتدى أي هو عالم بالفريقين ويجازيهم بأعمالهم ولله ما في السموات وما في الأرض
وهذه إشارة إلى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الأولى وبين قوله ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا والمعنى أنه
إذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك ويجزي الذين
أحسنوا أي وحدوا ربهم بالحسنى يعني الجنة وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك كامل
القدرة فلذلك قال ولله ما في السموات وما في الأرض ثم وصف المحسنين فقال الذين يجتنبون كبائر الإثم قيل
الإثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل
وقيل الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متفارقة في كل ذنب يعظم عقوبته وجمعه كبائر
والفواحش جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال وقيل هي ما فحش من الكبائر إلا اللمم أي ما قل وصغر
من الذنوب وقيل هي مقاربة المعصية من قولك ألممت بكذا إذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا في معنى الآية فقيل هذا
استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي
وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن وفي رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال
أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل إلا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال
أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس في قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك لا ألمّا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب قيل أصل

اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين ولا يكون له إعادة ولا إقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم
يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقيل هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله في الإسلام وذلك
أن المشركين قالوا للمسلمين إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم
وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق
والشعبي والرواية الأخرى عن ابن عباس قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس
تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة
العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا
والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه
حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة فذلك الذي يكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش
الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة
من غير عمد فهو مغفور فإن عاد النظرة فليس بلمم **فصل** في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة
قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق وأما ما
سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين
والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام يعرف بها مراتبها ويختلف
أمرها باختلاف الأحوال والمفاسد المترتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من الكبائر بالنسبة إلى ما دونها وقد
جاء عن ابن عباس أنه سئل عن الكبائر أسبع هي قال إلى السبعين أقرب وفي رواية إلى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء
في حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الأستاذ أبو إسحق الإسفرايني
وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة إلى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير
من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر وقد تظاهر على ذلك دلائل الكتاب والسنة
واستعمال سلف الأئمة وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس أنه قال
الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله تعالى عليه بنار في الآخرة
أو حد في الدنيا قال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة أن كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار
خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجري عليها اعتياداً فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو
كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا
يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة
والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن
ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلماً لمن يقتله
فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من أكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين
مع علمه بأنهم يستأصلون بدلالته فإن نسبته إلى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر
وكذلك لو كذب على إنسان كذباً يعلم أنه يأخذ منه غرة بسبب كذبه أن يكون ذلك من الكبائر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في
فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظماً يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيماً على الإطلاق فهذا حد
الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها ومنها ما وصف فاعلها بالفسق وانضاف إليها

اللعن كلعن الله من غير منار الأرض ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى إن ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك
ثم تاب وأناب وروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة في الإسلام أي لا كبيرة مع استغفار والتوبة والصغير
تصير كبيرة بالإصرار عليها وقيل في حد الإصرار هو أن تتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاته بدينه وتم الكلام على
قوله إن ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال هو أعلم بكم أي قبل أن يخلقكم وهو قوله إذ أنشأكم من الأرض
أي خلق أباكم آدم من التراب وإذ أنتم أجنة جمع جنين في بطون أمهاتكم سمي جنيناً لاستتاره في بطن أمه فلا
تزكوا أنفسكم قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم
فلا تبرؤوها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال وقيل في معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم ما لكم من أول خلقكم
إلى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك وأنا أزكى منك أو أتقى منك
فإن العلم عند الله وفيه إشارة إلى وجوب خوف العاقبة فإن الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى
هو أعلم بمن اتقى أي بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل في معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أي لا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة
الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها إلى الزكوة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله المزكي منكم
والتقي أولاً وآخراً قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون أعمالاً
حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فأنزل الله فيهم هذه الآية قوله عز وجل أفرأيت الذي تولى نزلت في
الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال أتركت دين الأشياخ وضللتهم
قال إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه إن أعطاه كذا من ماله ورجع إلى الشرك أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد
إلى الشرك فأعطى الذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فأنزل الله أفرأيت الذي تولى أي أعرض وأدبر عن
الإيمان وأعطى أي لصاحبه الذي عيره قليلاً وأكدى أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلاً أي من الخير بلسانه وأكدى
أي قطعه وأمسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الأمور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك أنه كان قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله وأعطى قليلاً وأكدى
أي لم يؤمن به ومعنى أكدى أي قطع وأصله من الكدية وهو حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر أعنده علم الغيب فهو يرى
أي ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه أم لم ينبأ أي يخبر بما في صحف موسى يعني أسفار التوراة
وإبراهيم أي ويخبر بما صحف إبراهيم الذي وفى أي كمل وتمم ما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه
وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى سهام الإسلام وهو قوله وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن
والتوفية الإتمام وقيل وفى في شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إبراهيم
الذي وفى قال أربع ركعات أول النهار وعن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى
أنه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما
فقال ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤاخذ نفس بإثم غيرها وفي هذا
إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أنه يحمل عنه الإثم وقال ابن عباس كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره
كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان إبراهيم عليه السلام نهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله
تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي عمل وهذا في صحف إبراهيم وموسى أيضاً قال ابن عباس
هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم إبراهيم
وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس أن امرأة رفعت صبياً لها فقالت يا رسول الله
ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه أن رجلاً قال يا رسول الله إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها قال نعم وفي رواية

ان سعد ابن عبادة اخي بني سعد وذكر نحوه اخرجه البخاري وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها ان تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه في الصحيحين
وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلماء ان حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه
عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال ابو حنيفة لا يصح حجه وان يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخيرين دليل على ان الصدقة
عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذا اجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك
ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم
فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القران لا يصله ثوابها وقال جماعة من
اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل واما الصلوات وساير التطوعات فلا تصله عند الشافعي والجمهور وقال احمد
يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له في الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه
في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الاخرة خير وروي عن عبد الله ابن ابي سلول كان اعطى العباس قميصا البسه اياه فلما مات ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب
العدل فاما من باب الفضل فجايز ان يزيده الله من فضله وكرمه وان سعيه سوف يرى اي يراه في ميزانه يوم القيمة
وفيه اشارة للمؤمن وذلك لان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزيه
اي لسعي الجزاء الاوفى اي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى قوله عز وجل وان الى ربك المنتهى
اي اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى
ربك ايها السامع او العاقل كائنا ما كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن
في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن
فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الامال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي ابن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا
في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اي انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى
وانه هو اضحك وابكى اي هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان
فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات
وابكى السماء بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر ابن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم
اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا يعني
النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية سماك ابن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وسيل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من
الجبل ق عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين بالخاء المعجمة اي بكاء مع صوت يخرج من الانف وانه امات واحيا
اي امات في الدنيا واحيا للبعث وقيل امات الاباء واحيا الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيا المؤمن بالمعرفة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شيء
لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم وقيل
تقدر وفي هذا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة شيء واحد يخلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى
وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقد احد

لانك اذا نظرت لساير الموجودات الممكنة علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه صح

ما يشاء صح

يدعي خلق السموات والارض وان عليه النشأة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم القيمة وانه هو اغنى واقنى
اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهو اصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال
وما يدخرونه بعد الكفاية واقنى بالابل والبقر والغنم وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى نفسه
رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغنى ضد الفقر واقنى اي زاد في الغنا وانه هو رب الشعرى اي انه رب معبودهم
وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا و
الشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه
ابن ابي كبشة تشبيها لهم بخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما
شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما واراد بالشعرى
هنا العبور وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا اخرى وقيل الاخرى
ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وثمودا وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احدا
وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى يعني لطول
دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبريل رفعها
الى السماء ثم اهوى بها فغشيها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة فباي الاء ربك تتمارى
اي تتشكك ايها الانسان وقيل اراد الوليد ابن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل
من قبله ازفت الازفة اي قربت القيمة واقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة وقيل مبينة
متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف
كالعاقبة والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدايدها لم يكشفها
ولم يردها عنهم احد قوله تعالى افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون تنكرون وتضحكون اي استهزاء
ولا تبكون اي مما فيه من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغنى بلغة
اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس ماخوذ من سمد البعير اذا رفع راسه
وجد في سيره والسامد اللاهي والمعنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب متبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض
فاسجدوا لله واعبدوا يعني ايها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض في الصلوة
اي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق عن عبد الله ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصباء او تراب
فرفعه الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال اول سورة نزلت فيها سجدة
النجم وذكره وقال في اخره وهو امية ابن خلف خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس ق عن زيد ابن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث
دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر ابن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء
وذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع وهو قول سفيان واصحاب الراي والله اعلم

تفسير سورة القمر

مكية وهي خمسون اية وثلثماية واثنان واربعون كلمة والف واربع ماية وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة اي دنت القيمة
وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من ايات رسول الله صلى الله

عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن انس ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم
انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب ولهما
عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن ابن عمر قال انشق القمر على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد اعيننا
فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم
بانهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسألوا السفارة فقالوا انهم قد راوه فانزل الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه اول
دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين
النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفة الملة وذلك لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل
فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا
واشترك اهل الارض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل
ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر
ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار والطوالع والشهب العظام
ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق
اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتاهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض
المجاري والمنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون
بلد والله اعلم وقيل في معنى الاية ينشق القمر يوم القيمة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله
ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى وان يروا اية
يعرضوا دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله تعالى
وان يروا اية اي تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا اي عن التصديق بها
ويقولوا سحر مستمر اي دائم مطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما راوا تتابع المعجزات وترادف الايات
قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما
قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله تعالى واتبعوا اهواءهم
اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة ما كان منه
في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وكل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار
وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو
كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من اموره مستقر وان امر محمد
صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين انه حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اي من اخبار الامم الماضية
المكذبة في القرآن ما فيه مزدجر اي منتهى وموعظة حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية

فما تغن النذر يعني اي غنى يغني المنذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي اعرض عنهم نسختها اية القتال
يوم يدع الداعي اي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس الى شيء نكر
اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له خاشعا وقرئ خشعا ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية
العذاب يخرجون من الاجداث اي من القبور كانهم جراد منتشر مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض
حيارى فزعين مهطعين مسرعين مادي اعناقهم مقبلين الى الداعي اي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين
اليه لا يقلعون بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه اشارة ان ذلك اليوم شديد على الكافرين
لا على المؤمنين قوله تعالى كذبت قبلهم اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا وقالوا مجنون
وازدجر اي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا
يعني نوحا ربه وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل هو على ظاهره
وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر
ان يكون المطر من السحاب بماء منهمر اي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا
اي وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء فالتقى الماء يعني ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي قضي عليهم
في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون الماءان سواء فكانا على ما قدر وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اي سفينة
ذات الواح واراد بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر اي مسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة
وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها تجري يعني السفينة
باعيننا اي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق
قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد امره وقيل لمن بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين اغرقهم
وقيل جزاء لما صنع بنوح واصحابه ولقد تركناها اية يعني الفعلة التي فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة
قال قتادة ابقاها الله تعالى بباقردى من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي متذكر
معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها علي وفي
رواية اخرى سمعته يقولها مدكر دالا فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القرآن اي سهلنا
القرآن للذكر اي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا
القرآن فهل من مدكر اي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد سهله الله ويسره على من
يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان
عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة الهبوب في يوم نحس
اي في يوم شوم مستمر اي دائم الشوم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم احد الا هلك فيه وقيل كان ذلك
اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر تنزع الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فقيل كانت تنزعهم
من قبورهم كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول النخل منقعر اي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح
تبين رؤوسهم من اجسامهم فتبقى اجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاءهم به صالح فقالوا ابشرا منا واحدا
يعني آدميا واحدا منا نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة انا اذا لفي ضلال اي خطاء وذهاب من الصواب وسعر
قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب بما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق أألقي
الذكر عليه يعني اانزل عليه الوحي من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا

بادعائه النبوة **سيعلمون غدا** اى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيمة وانما ذكر الغد للتقريب **من الكذاب الاشر**
اى صالح ام من كذبه **انا مرسلوا الناقة** اى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سئلوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسئلوه
ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة **فتنة لهم** اى محنة واختبارا لهم **فارتقبهم** اى فانتظر
ما هم صانعون **واصطبر** اى على اذيهم **ونبئهم** اى اخبرهم **ان الماء قسمة بينهم** اى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم
وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء **كل شرب** اى نصيب من الماء **محتضر** اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت
شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن **فنادوا صاحبهم**
يعنى قدار بن سالف **فتعاطى** اى فتناول الناقة بسيفه **فعقر** يعنى الناقة **فكيف كان عذابى ونذر** ثم بين عذابهم
فقال تعالى **انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة** يعنى صيحة جبريل **فكانوا كهشيم المحتظر** قال ابن عباس هو الرجل يجعل
لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه
الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط **ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر** قوله عز وجل **كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا** يعنى الحصباء
وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة
ثم استثنى فقال تعالى **الا ال لوط** يعنى لوطا وابنتيه **نجيناهم** يعنى من العذاب **بسحر نعمة من عندنا** اى جعلناه
نعمة منا عليهم حيث نجيناهم **كذلك نجزى** اى كما انعمنا على ال لوط كذلك نجزى **من شكر** يعنى ان من وحد الله لم يعذب مع المشركين
ولقد انذرهم اى لوط **بطشتنا** يعنى اخذنا اياهم بالعقوبة **فتماروا بالنذر** اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا
ولقد راودوه عن ضيفه اى طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه **فطمسنا اعينهم** وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب
ليدخلوا عليهم فقالت الرسل انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله تعالى يترددون
متحيرين لا يهتدون الى الباب فاخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا اعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم
فلم يروا الرسل فقالوا لقد رايناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم **فذوقوا عذابى ونذر** يعنى ما انذركم به لوط من العذاب
ولقد صبحهم بكرة اى جاءهم وقت الصبح **عذاب مستقر** اى دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الاخرة **فذوقوا عذابى
ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر** قوله عز وجل **ولقد جاء ال فرعون النذر** يعنى موسى وهرون عليهما
السلام وقيل النذر الايات التى انذرهم بها موسى **كذبوا باياتنا كلها** يعنى الايات التسع **فاخذناهم** اى بالعذاب **اخذ
عزيز مقتدر** اى غالب فى انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال **اكفاركم خير من اولئكم**
يعنى اقوى واشد من الذين احللت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وال فرعون وهذا استفهام انكار اى ليسوا باقوى
منهم **ام لكم براءة** يعنى من العذاب **فى الزبر** اى فى الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية **ام يقولون** يعنى كفار مكة
نحن جميع اى امرنا **منتصر** اى من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرين ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس
الاى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى **سيهزم الجمع** يعنى كفار مكة
ويولون الدبر اى الادبار فوحد لاجل رؤس الاى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد
عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم فى ذلك كدبر واحد خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر
اللهم انى انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على
ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر **بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر** فصدق الله
وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان
يوم بدر رايت النبى صلى الله عليه وسلم يثبت فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر علمت تاويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة

ادهى وامر اى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل **ان المجرمين** يعنى المشركين **فى ضلال وسعر**
قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الاخرة وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وعذاب الاخرة
ثم بين عذابهم فقال تعالى **يوم يسحبون** اى يجرون **فى النار على وجوههم** ويقال لهم **ذوقوا مس سقر** اى ذوقوا ايها المكذبون
لمحمد صلى الله عليه وسلم **انا كل شىء خلقناه بقدر** اى مقدر ومكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شىء من خلقه قدره
ينبغى له وقال ابن عباس كل شىء بقدر حتى وضعك يدك على خدك **فصل** فى سبب نزول الاية وما ورد فى القدر وما قيل فيه م
عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء م عن ابى هريرة قال جاءت مشركوا قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت
هذه الاية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شىء خلقناه بقدر م عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون كل شىء بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شىء بقدر حتى العجز والكيس او
الكيس والعجز عن على ابن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله
بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
عبد الله ابن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض
منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم
ولا تفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجية والقدرية
اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر ابن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
جمع الله الخلائق يوم القيمة امر مناديا ينادى نداء يسمعه الاولون والاخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيامر بهم الى النار
يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز ان يقدر المعصية
على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين
الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر قال الشيخ محيى الدين النواوى رحمه الله اعلم
ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع فى اوقات معلومة عنده
سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها
ولم يتقدم علمه بها وانها مستانفة العلم اى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وتقدس عن اقوالهم
الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر وقال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون
بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتاخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير
من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث وابو المعالى امام الحرمين فى كتابه
الارشاد فى اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة
ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم
ومدعى الشىء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن
ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابو داود فى سننه والحاكم ابو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم عن ابن عمر

وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير
من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء
الخير والشر جميعا لا يكون شيء منه الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا
قال الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه
الاخبار عن قدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن
فعل القادر يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن
وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى
وقد قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله اعلم واما معاني الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركوا
قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله تعالى وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر
في الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله ان الله كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء المراد منه
تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ وغيره لا اصل القدر فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الماء اي قبل ان يخلق السموات والارض
وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل
يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والاخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز
قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه قوله تعالى **وما امرنا الا واحدة** اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا بالشيء اذا اردنا تكوينه
الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا اراد الله سبحانه وتعالى شيئا قال له كن فهنا شيئان الارادة والقول فالارادة قدر
والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر **كلمح بالبصر** قال ابن عباس يريد ان
قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر وعن ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر **ولقد اهلكنا اشياعكم**
اي اشباهكم ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة **فهل من مدكر** اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ويعتبر **وكل شيء فعلوه**
يعني الاشياع من خير وشر **في الزبر** اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ **وكل صغير وكبير** اي من الخلق واعمالهم واجالهم
مستطر اي مكتوب قوله عز وجل **ان المتقين في جنات** اي بساتين **ونهر** اي انهار وانما وحده لموافقة رؤس الاي واراد انهار
الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومعناه النهار والمعنى لا ليل عندهم **في مقعد صدق** اي في مجلس
حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل في مجلس حسن وقيل في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق
عند مليك مقتدر اي عند مليك قادر لا يعجزه شيء وقيل مقربين ~~قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا بمعنى المكان~~ امره في الملك
والاقتدار اعظم شيء فاي شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر
الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق والله اعلم بمراده

تفسير سورة الرحمن عز وجل

مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في احدى القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون اية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة و
ثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الرحمن علم القرآن**

قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكروه هو الذي
علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن
يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعلاها نعمة واعظمها رتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم
وحي الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل
على افضل البرية **خلق الانسان** يعني آدم عليه السلام قاله ابن عباس **علمه البيان** يعني اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات
كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان

قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا بمعنى المكان صح

اي النطق

اي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل
قوم بلسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله
عليه وسلم ينبئ عن علم الاولين والاخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام
الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحسبان ومنازل لا يعدونها وقيل يعني بهما بحسب الاوقات والاجال
ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحا وهو ما يدور
عليه الحجر بدورانه **والنجم والشجر يسجدان** قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء
وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر
ولانهما ارضيان في مقابلة سمائيين **والسماء رفعها** اي فوق الارض **ووضع الميزان** قيل اراد بالميزان العدل لانه
آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله **الا تطغوا في الميزان** اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة
التي يوزن بها ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا
الحق في الميزان **واقيموا الوزن بالقسط** اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوا الميزان ولا تطففوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة
وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه
والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء **للانام** اي للخلق الذين بثهم فيها وهي كل ما ظهر عليها من دابة وقيل
للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها **فيها** اي في الارض **فاكهة** اي من انواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون
به من النعم التي لا تحصى **والنخل ذات الاكمام** يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف
وهو الطلع ما لم ينشق وكل شيء ستر شيئا فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانها اعظمها
واكثرها بركة **والحب** يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء
الى الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن **ذو العصف** قال ابن عباس يعني التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر
اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق الزرع وقيل العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو اصلاحه ورقا وهو العصف
ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب **والريحان** يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القرآن
فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس
فقال تعالى **فباي آلاء ربكما تكذبان** يعني ايها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة
في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها
ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا
الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا وقيل هذا الكلام شائع في كلام العرب احسن تقريرا
وذلك ان الله تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء
والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها
منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها
فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان
قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا احسن منكم ردا وفيه
ولا بشيء قوله تعالى **خلق الانسان من صلصال** يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر **كالفخار** يعني الطين
المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ

مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق
وذلك أن الله تعالى خلقه أولاً من تراب ثم جعله طيناً لازباً لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنوناً وهو الطين الأسود المنتن فلما يبس
صار صلصالاً كالفخار **وخلق الجان** وهو أبو الجن وقيل هو إبليس **من مارج من نار** يعني الصافي من لهب النار الذي
لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت **فبأي آلاء
ربكما تكذبان رب المشرقين** يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس
ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مغرب الشمس ومغرب القمر **فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج
البحرين** يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين لأن من شأنهما الاختلاط وهو قوله تعالى
يلتقيان لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما من البرزخ وهو قوله **بينهما برزخ** أي حاجز من قدرة الله **لا يبغيان**
أي لا يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يبغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم
وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان في كل عام
فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما قيل إنما يخرج من البحر الملح دون العذب وهو كقوله وجعل القمر فيهن نوراً وقيل أراد
يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران صارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر
ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل إذا أمطرت السماء تفتح الأصداف أفواهها فحيث
ما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى **اللؤلؤ** قيل هو ما عظم من الدر **والمرجان** صغاره وقيل
بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الأحمر **فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار** يعني السفن الكبار **المنشآت**
أي المرفوعات التي رفع خشبها بعضه على بعض وقيل هو ما رفع قلعها من السفن أما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشآت وقيل معنى
المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات **في البحر كالأعلام** أي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر
بالجبل في البر **فبأي آلاء ربكما تكذبان** قوله عز وجل **كل من عليها فان** أي على الأرض من حيوان وإنما ذكره بلفظة
من تغليباً للعقلاء **فان** أي هالك لأن وجود الإنسان في الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث
على العبادة وصرف الزمن اليسير إلى الطاعة **ويبقى وجه ربك** يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب
وجهان أحدهما أنه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الإنسان السامع والوجه الثاني أنه يحتمل أن يكون الخطاب مع
النبي صلى الله عليه وسلم **ذو الجلال** أي ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه **والإكرام**
أي المكرم لأنبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه وإحسانه إليهم مع جلاله وعظمته **فبأي آلاء ربكما تكذبان**
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام أخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد
ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها **يسأله من في السموات والأرض** يعني من ملك وإنس وجن
ولا يستغني عن فضله أهل السموات والأرض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق و
المغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج إليه في دينه أو دنياه وفيه إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وإن
جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج إليه مفتقر إلى الله تعالى **كل يوم هو في شأن** قيل نزلت رداً على اليهود
حيث قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً قال المفسرون إن من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفي مريضاً ويمرض
صحيحاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطي سائلاً ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه
وتعالى وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال إن مما خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه
نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله
تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذي

هو فيه هو مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء
والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير إلى المواقيت ومعناه أن الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم
وقدر ما هو كائن فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له
في كل يوم هو في شأن إلى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام
الأمهات وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعاً إلى الله تعالى **فبأي آلاء ربكما
تكذبان سنفرغ لكم أيها الثقلان** قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لأن الله
تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وإنما حسن هذا
الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم فهو كقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت
لك وقيل معناه أن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم
ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فيتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الإنس والجن سميا ثقلين لأنهما
ثقل على الأرض أحياء وأمواتاً وقيل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم إني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين إعظاماً وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الإنس والجن ثقلين لأنهما مثقلان
بالذنوب **فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا** أي تخرجوا
من أقطار السموات والأرض أي جوانبها وأطرافها **فانفذوا** أي فاخرجوا والمعنى إن استطعتم أن تهربوا
من الموت والخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا واخرجوا منها حيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم
القيامة والمعنى إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه إن استطعتم
أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وأرضي فافعلوا وقدم الجن على الإنس في هذه الآية لأنهم أقدر على النفوذ والهرب
من الإنس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى **لا تنفذون إلا بسلطان** يعني لا تقدرون على النفوذ إلا بقهر وغلبة وأنى
لكم ذلك لأنكم حيث ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض
فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله تعالى **فبأي آلاء ربكما تكذبان** وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة
وبلسان من نار ثم ينادي يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض الآية فذلك قوله تعالى
يرسل عليكما شواظ من نار قال أكثر المفسرين هو اللهب الذي لا دخان فيه وقيل هو اللهب الأخضر المنقطع من النار **ونحاس**
قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن
يرسلا معاً من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر **فلا تنتصران** أي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه **فبأي آلاء
ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء** أي انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء
وذلك لما قال كل من عليها فان إشارة إلى أهل الأرض ذكر في هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للأمر
لأن فيه إشارة إلى ما هو أعظم من إرسال الشواظ على الإنس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى
فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الأبيض الذي
يضرب إلى الحمرة وقيل إن السماء تتلون يومئذ ألواناً كالفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتد البرد صار
أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان أي كعصير الزيت وقيل لأنه يتلون في الساعة
ألواناً وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان أي كالأديم الأحمر **فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** قيل لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لأن الله تعالى
علمها منهم وكتبت الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم دليله

ما بعده وعن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين قال لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا وقيل
انها مواطن فيسأل عن بعضها ولا يسأل عن بعضها وعن ابن عباس ايضا قال لا يسألون سؤال شفاء ورحمة انما يسألون سؤال
تقريع وتوبيخ وقيل لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني
بسواد وجوههم وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف
ظهره وقيل تجعل رؤوسهم على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون
في النار فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها
يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم آن يعني قد انتهى حرها والمعنى انهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا
استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل
النار فيطاف بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون
في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة
في هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف في هذه الآيات فبأي آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور في هذه
الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها
بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه
يعني مقامه بين يدي ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية
فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه
من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب ان يطلع عليه احد وقيل المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا مع الاخلاص
ودأبوا الليل والنهار جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله
الجنة اخرجه الترمذي قوله ادلج الادلاج مخففا سير اول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد
والاجتهاد في اول الامر فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده عن ابي الدرداء انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال الثانية
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي الدرداء
فبأي آلاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن وهو الغصن
المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفواكه وجمع عطاء
بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احدهما التسنيم والاخرى
السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل
فاكهة زوجان اي صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس ما في الدنيا
ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظلة الا انه حلو فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش
جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي الارض من تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن
مسعود وابو هريرة البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف
البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل

على نهاية هذه الفرش لانه ذكر بطائنها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنى الجنتين
دان يعني ان ثمرها قريب ينا له القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس
تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور
ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الاعين قصرت طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم
قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك
لم يطمثهن اي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق: خرجن
الي لم يطمثن قبل • وهن اصح من بيض النعام • اي لم يمسسهن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن انس قبلهم اي من
ازواجهن من اهل الجنة ولا جان وقيل انما نفى الجن لان لهم ازواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى
الانسي وسئل ضمرة ابن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية
اذا جامع ولم يسم انطوى الجن على احليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن في
الجنة لم يمسسهن احد قبل ازواجهن ~~وقيل لم يطمثهن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن لم يمسسهن احد قبل ازواجهن~~ وقيل انهن
من نساء الدنيا انشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسسهن منذ انشئن خلقا آخر وقال هن الآدميات اللاتي متن ابكارا
ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك قرة اعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم فبأي آلاء ربكما تكذبان
كأنهن الياقوت والمرجان اراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان
البياض المشرب بحمرة والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره
لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة
البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها
من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه
سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه اخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على اشد كوكب
دري في السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم
المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه
ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان
اي ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان
ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي
بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله تعالى هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي
الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية
اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العذاب
على ترك العمل والعقاب على ترك الاحسان اليه فلا تكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان
اي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري جنتان
من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان

وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما افضل من الاوليين فباي آلاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على اولياء الله تعالى وقال انس ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش المطر فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه كلها وانما افضل النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فضلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فضلهما وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمر الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في الآية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال او الدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس لهم عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب وقيل ان نخل اهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما قطعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنى عشر ذراعا فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان الاربع خيرات حسان روي عن ام سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الخيرات الحسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فباي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في الخيام قيل هي في البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام وقال الجوهري الخيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيام منها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف الى القصور في الجنة ق عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل فى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هي المرافق وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف وعبقري حسان قيل هي الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري عنده وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيره فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة وانهم ياتون بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليها كل امر عجيب بليغ فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى التحميد والتمجيد م عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلوته استغفر ثلاثا وقال

اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلوة لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي غير قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم بمراده واسراركتابه

تفسير سورة الواقعة

مكية وهي تسع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف روى البغوي بسنده عن ابي ظبية عن عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو ظبية لا يدعها ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة اذا قامت القيمة وقيل اذا نزلت صيحة القيمة وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيمة كالآزفة ليس لوقعتها كاذبة اي لمجيئها كاذبة اي ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة اي كل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت بوقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعفين وقيل تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت وزلزلت وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتت صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من اصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهبت فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم الى ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حتى اخرجت الذرية من صلبه وقال الله هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين ميامين اي مباركين على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان ما اصحاب الميمنة تعجب من حالهم في السعادة والمعنى اي شيء هم واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة يعني اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية فقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب تسمي اليد اليسرى الشومى والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة هم السابقون في الآخرة الى الجنة السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله تعالى اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيمة فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر في اول السورة من الامور الهايلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين فقال تعالى اولئك المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله في جنات النعيم قوله تعالى ثلة اي جماعة غير محصورة العدد من الاولين اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا وقليل من الآخرين يعني من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين اي ممن جاء بعدهم من الصحابة على سرر موضونة اي منسوجة بالذهب والجوهر وقيل موضونة يعني موصوفة متكئين عليها

أي على السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لأنهم صاروا أرواحا نورانية صافية
ليس لهم أدبار وظهور يطوف عليهم أي للخدمة ولدان أي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من
حالة إلى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق في الأذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين
الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة
بأبي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وقيل هذا القول أقرب من الأول لأنه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة
مذاهب فقال الأكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم في الجنة
ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال لم يموتوا ليس لهم حسنات فيثابوا ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الأقوال
يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وإن لم
يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والأمة وليدة وإن أسنت
بأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرى وأباريق جمع إبريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت
أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لأنها يرى باطنها من ظاهرها كما يرى ظاهرها وكأس من معين أي من خمرة جارية
لا يصدعون عنها أي لا تصدع رؤوسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون أي لا
تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم وفاكهة مما يتخيرون أي يأخذون خيارها
ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وقيل إنه يقع على صحفته فيأكل منه
ما يشتهي ثم يطير فإن قلت هل في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن
بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه إلى اللحم وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه
إلى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة إنما يأكلون لا من جوع بل للتفكه فميلهم إلى الفاكهة
أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه إليه
أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم وحور عين أي ويطوف حور عين وقيل لهم حور عين وجاء في تفسير حور أي
بيض عين أي ضخام العيون كأمثال اللؤلؤ المكنون أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الأيدي ولم تقع عليه
الشمس والهوى فيكون في نهاية الصفاء روي أنه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت وروي أن الحوراء إذا مشت يسمع
تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الأسورة من ساعديها وإن عقد الياقوت يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما
من لؤلؤ يصران بالتسبيح جزاء بما كانوا يعملون أي فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا لا يسمعون
فيها أي في الجنة لغوا قيل اللغو ما يرغب عنه من كلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع
ولا تأثيما قيل معناه أن بعضهم لا يقول لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون
تأثيما إنما هو سبب التأثيم من قول وفعل قبيح إلا قيلا معناه لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا سلاما سلاما يعني يسلم
بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام إليهم وقيل معناه أن قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين
وعجب من شأنهم فقال تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين لما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى في
سدر مخضود أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه فهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها أعظم من القلال
وهو النبق قيل لما نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية وطلح
قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك وله نور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا
بمثل ما يحبون ويعرفون إلا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود أي متراكم قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره
ليست له سوق بارزة بل من عروقه إلى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلافه كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها

عليها صح

مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه وظل ممدود أي دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لأن الجنة ظل كلها لا
شمس فيها ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤوا إن شئتم
وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي
بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب أي مصبوب يجري دائما
في غير أخدود ولا ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد
إذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولا يوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يحظر
عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله عز وجل مكانها وفرش مرفوعة
قال علي مرفوعة على الأسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش
مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي
قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والأرض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين
كل درجتين كما بين السماء والأرض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون
معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والكمال والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه إنا أنشأناهن إنشاء
أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم والكبر خلقا آخر فجعلناهن
أبكارا يعني عذارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أنشأناهن إنشاء قال إن من المنشآت اللاتي كن في
الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعفه بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن قال أتت عجوز
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال أخبروها
أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروي بإسناد الثعلبي عن أنس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله إنا أنشأناهن إنشاء قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا قال المسيب
ابن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل إنهن فضلن على الحور
العين بصلاتهن في الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع
عربا جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها قاله ابن عباس في رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد
عن أبيه عربا قال حسانا الكلام أترابا يعني أمثالا في الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين
عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين
سنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لأصحاب اليمين يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرنا لأصحاب
اليمين ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة وثلة من الآخرين يعني مؤمني هذه الأمة يدل عليه ما روى
البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين
بكى عمر فقال يا نبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الأولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم
إلينا ثلة ومنا إلى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله ق عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي
سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب
ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله

ضعفين صح

ابن صح

صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل إلى الأربعين ق عن عبد الله ابن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحو من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأحمر أو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وذهب جماعة إلى أن الثلتين جميعا من هذه الأمة وهو قول أبي العالية وعطاء ابن أبي رباح ومجاهد والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقي هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة أيضا في آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه فإن قلت كيف قال في الآية الأولى وقليل من الآخرين وقال في هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الأولى في السابقين الأولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الأولين والآخرين وحكي عن بعضهم أن هذه ناسخة للأولى واستدل بحديث عروة ابن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لأن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** قد تقدم أنه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى **في سموم** أي في حر النار وقيل في ريح شديد الحرارة **وحميم** أي ماء حار يغلي **وظل من يحموم** يعني في ظل من دخان شديد السواد وقيل إن النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار **لا بارد ولا كريم** يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لأن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى **إنهم كانوا قبل ذلك** يعني في الدنيا **مترفين** يعني متنعمين **وكانوا يصرون على الحنث العظيم** يعني الذنب العظيم الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى **وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون** يعني الآباء والأبناء فرد الله تعالى عليهم بقوله **قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم** يعني أنهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب **ثم إنكم أيها الضالون** يعني عن الهدى **المكذبون** أي بالبعث والخطاب للكفار بمكة وقيل إنه عام مع كل ضال مكذب **لآكلون من شجر من زقوم** تقدم تفسيره **فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم** يعني الإبل العطاش قيل إن الهيم داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون **هذا نزلهم** يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم **يوم الدين** يعني يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى **نحن خلقناكم** ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك **فلولا** أي فهلا **تصدقون** يعني بالبعث قوله عز وجل **أفرأيتم ما تمنون** أي ما تصبون في الأرحام من النطف **أأنتم تخلقونه** أي أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا **أم نحن الخالقون** أي إنه خلق النطفة وصورها وأحياها فلم تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم بالبعث بالقدرة على ابتداء الخلق **نحن قدرنا بينكم الموت** يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه أنه جعل أهل السماء وأهل الأرض سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا **وما نحن بمسبوقين** يعني لا يفوتني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم

بأمثالكم وهو قوله تعالى **على أن نبدل أمثالكم** أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين **وننشئكم** أي نخلقكم **فيما لا تعلمون** أي من الصور والمعنى نغير حليتكم إلى ما هو أسمج منها من خلق شيئا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم إن أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد ابن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل الطيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيمة وفيه فائدة وهي التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث إذا كان ذلك واقعا في الزمان لا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة **ولقد علمتم النشأة الأولى** أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيمة **فلولا تذكرون** أي ذلك بأني قادر على إعادتكم كما قدرت على ابتدائكم أو العزة قوله تعالى **أفرأيتم ما تحرثون** لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به إصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء وأتبعه المشروب لأن به الاستمراء ثم النار التي بها الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضا هو الأصل وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون أي تثيرون من الأرض وتلقون فيها البذر **أأنتم تزرعونه** أي تنبتونه وتنشئونه حتى يشتد ويقوم على سوقه **أم نحن الزارعون** معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في إيجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وإن كان إلقاء البذر من فعل الناس **لو نشاء لجعلناه** يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر **حطاما** أي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب المعاند بقوله نحن نحرث وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل أنتم تقدرون على حفظه وهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع ليست إلا بإذن الله وحفظه **فظلتم تفكهون** أي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات **إنا لمغرمون** أي وتقولون تحدق القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون يعني أنهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى إنا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض **بل نحن محرومون** أي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع **أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن** أي السحاب **أم نحن المنزلون** ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بإنزال المطر الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل **لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون** قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا أي فهلا تشكرون يعني نعمة الله عليكم **أفرأيتم النار التي تورون** يعني تقدحون من الزناد **أأنتم أنشأتم شجرتها** يعني التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذي يوقد به النار **أم نحن المنشئون نحن جعلناها** يعني نار الدنيا **تذكرة** أي للنار الكبرى إذا رآها الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها **ومتاعا** أي بلغة ومنفعة **للمقوين** يعني للمسافرين والموقي النازل في الأرض القوي وهو القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار فإن منفعتهم أكثر من المقيم فإنهم توقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي بها الضال إلى غير ذلك من المنافع هذا كله قول أكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا به ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعا لا غنى لأحد عنها **فسبح باسم ربك**

العظيم لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على ساير الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا
لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول الكافرون والمشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات
والمعنى فسبح بربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها
وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهى وتقديره ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج
الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف القسم فقال
اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفي فهو كقول القائل لا تسئل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر
لا النهى عن السؤال بمواقع النجوم قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا
وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل على
ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى
لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم اى ان
الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل
الكريم من شانه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن
كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه
ويتقوى به وكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد ينال له ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من
الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسئمه السامعون ويهون في الاعين وتمله الاذان والقرآن كريم عزيز لا يهون لكثرة التلاوة
ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى ابد الدهر كذلك في كتاب مكنون
اى مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشياطين من ان ينالوه بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون
محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح لا يمسه اى ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون وهم الملائكة الموصوفون
بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد ابن جبير وابو العالية وقتادة وابن زيد
وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان
ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون
وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الاية نفى ومعناها نهى قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث
حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي واكثر الفقهاء يدل عليه
ما روى مالك في الموطا عن عبد الله ابن ابى بكر بن محمد ابن عمرو ابن حزم ان في الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو
ابن حزم ان لا تمس القرآن الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابى بكر ابن عمرو ابن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطنى بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف
ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة
ولو كان المراد نفى الحدث لقال الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال
ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمله على التفسير الثاني وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق
الاستنباط قال نفى المس بغير طهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح
انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم قوله تنزيل من رب العالمين صفة للقرآن اى القرآن

منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القرآن شعر او
سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل افبهذا الحديث يعنى القرآن انتم اى يا اهل مكة مدهنون
قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن الكذاب والمنافق وهو الجرى في الباطن على خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب
والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر وتجعلون رزقكم اى حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال الحسن
في هذه الاية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله
عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا امطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل
لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن
والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد ابن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الصبح بالحديبية
في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى
مؤمن بى وكافر بالكواكب فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك
كافر بى ومؤمن بالكواكب رواه مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم
الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون م عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق
من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون بالكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن على ابن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن
غريب قوله على اثر سماء اى اثر مطر والانواء الكواكب يقال ناء النجم ينوء نوءا اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء
في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن
قال ذلك معتقدا ان الكواكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو
الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله
ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى
ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع
حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا خلف فيه واختلفوا في كراهته
هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها
من شعار الجاهلية ومن سلك مسالكهم والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة
الغيث الى الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا التاويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق
بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم قوله تعالى فلولا اى فهلا اذا بلغت الحلقوم وانتم اى النفس او الروح الى الحلقوم
عند الموت وانتم يعنى يا اهل الميت حينئذ تنظرون يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع
ولا تملكون شيئا ونحن اقرب اليه منكم اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم
ولكن لا تبصرون اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اى لا تعلمون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين
اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها ان كنتم صادقين اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب
عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما
تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنهم ذلك فاعلموا
ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين
يعنى السابقين فروح اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان اى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو

الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه فيقبض روحه **وجنة نعيم** اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دار القرار **وأما إن كان** يعني المتوفى **من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين** اي فسلامة لك يا محمد والمعنى فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه انهم من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين **وأما إن كان من المكذبين** اي بالبعث **الضالين** عن الهدى وهم اصحاب الشمال **فنزل من حميم** اي الذي يعد لهم حميم جهنم **وتصلية جحيم** اي وادخال نار عظيمة **إن هذا** يعني ما ذكر من قصة المحتضرين **لهو حق اليقين** اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد الله لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه **فسبح باسم ربك العظيم** اي فنزه ربك العظيم من كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة ابن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود عن حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما اتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال قال لي رسول الله عليه السلام الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه في صحيح البخاري والله اعلم

تفسير سورة الحديد

مدنية وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **سبح لله ما في السموات والأرض** يعني كل ذي روح وغيره يسبح لله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل من كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملائكة ومسبحون الارض هم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى جميع الاشياء تسبح لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في المستقبل **وهو العزيز** اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شيء **الحكيم** اي الذي جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب **له ملك السموات والأرض** اي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه **يحيي ويميت** اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا **وهو على كل شيء قدير** قوله عز وجل **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** يعني هو الاول قبل كل شيء بلا ابتداء كان هو ولم يكن شيء موجود والآخر بعد فناء كل احد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء والباطن العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقيل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وقيل الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول السابق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود

في الماضي وستكون مسبحة ابدا صح

وقال

وقال الامام ابو بكر الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعني اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما تقال آخر من بقي من بني فلان يراد به حياته ولا يراد فناء اجسام موتاهم وذهابهم بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسئل عمر كعب الاحبار عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن **وهو بكل شيء عليم** م عن سهيل ابن ابي صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة ايضا قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءين بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارض مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل **هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** تقدم تفسيره **وهو معكم أين ما كنتم** اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعلق علم الله تعالى وقدرته اينما كان من ارض وسماء برا وبحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله **والله بما تعملون بصير** يدل على صحة القول الاول **له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور** تقدم تفسيره قوله تعالى **آمنوا بالله ورسوله** لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع وجوه البر وهو قوله **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** يعني المال الذي

كان بيد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفاء عمن مضى فالذين آمنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني واي عذر لكم في ترك الايمان بالله و
الرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلوا عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله
ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله الا هو لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب
فيكم العقل ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول ان كنتم مؤمنين اي يوما ما لان احدى
الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم آيات بينات يعني القرآن ليخرجكم يعني الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات
الى النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا
في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يقول اي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله تعالى وانتم ميتون
تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق
في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين
وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة
مع من انفق وقاتل بعد الفتح اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال الكلبي
ان هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم واول من انفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر
قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال
فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي
راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح في افضلها
والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمي هذا
الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون
المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة
ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان
كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة خصال اذا اجتمعت في الصدقة كانت
قرضا حسنا فيضاعفه له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله اجر كريم يعني وذلك الاجر كريم في نفسه
قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعني على الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي عن
ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن اي وصنعا ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه
وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا
من نوره على ابهامه فيطفى مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية يسعى بين ايديهم ويعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قيل يغشى الناس ظلمة شديدة
يوم القيمة فيعطي الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون

فنزل جبريل فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال

اذ بعث ريحا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا
سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم قال ابن عباس
يقول لهم المؤمنون وقيل تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم اي من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله
لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم فالتمسوا اي اطلبوا لانفسكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الى
الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى
فضرب بينهم اي المؤمنين والمنافقين بسور وهو حائط بين الجنة والنار له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة
اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروي
عن عبد الله بن عمر قال السور الذي ذكره في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب
وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم
بسور له باب الآية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا في الظلمة
الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر و
استعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم اي شككتم في نبوته وفيما اوعدكم به وغرتكم الاماني اي الاباطيل وذلك
ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القاؤهم في النار وهو قوله تعالى
وغركم بالله الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية اي عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل لا يؤخذ منكم ايمان ولا توبة ولا من
الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر
والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق مأواكم النار اي مصيركم هي مولاكم اي وليكم
وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شيء
وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له وبئس المصير قوله تعالى الم يأن للذين
آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان
الفارسي ذات يوم حدثنا عن التورية فان فيها العجائب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن
من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزلت هذه الآية الله نزل احسن الحديث فكفوا عن سؤاله
ما شاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم
يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش
ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا
وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على
راس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق قلوبهم وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله
اي لمواعظ الله وما نزل من الحق يعني القرآن ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال
عليهم الامد اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن
مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روي عن
ابي موسى الاشعري انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا التورية فقال انتم اخيار اهل البصرة وقراؤهم

فاتلوه ولا يطيلون عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني الذين تركوا الايمان
بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض اي بالمطر بعد موتها اي يخرج منها النبات
بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس تلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة
والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم الايات اي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة والصدقة في سبيل الله
يضاعف لهم اي ذلك القرض ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
اي الكثير الصدق قال مجاهد كل من امن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الاية فعلى هذا الاية عامة في كل من امن بالله ورسوله
وقيل ان الاية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل اراد بالشهداء المؤمنين
المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الاية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون
ثم ابتدا والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون عند ربهم على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم اي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم يعني على الصراط والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين قوله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا
اي مدة الحيوة في هذه الدنيا وانما اراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحيوته مذمومة ومن صرف حيوته في طاعة الله فحيوته خير
كلها ثم وصفها بقوله لعب اي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة اي منظر
يتزينون به وتفاخر بينكم يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعض على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد
اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته
ثم ضرب لهذه الحيوة مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار اي الزراع انما سمي الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر
نباته اي ما نبت بذلك الغيث ثم يهيج اي ييبس فتريه مصفرا اي بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يتحطم ويتكسر
بعد يبسه ويفنى وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كان حياته بهذه الصفة قال اهل المعاني زهد الله بهذه الاية في العمل
للدنيا وهذه صفة حيوة الكافر وحيوة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للاخرة بقوله ومغفرة من الله ورضوان
اي لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاولياء الله في الاخرة لان الاخرة اما عذاب واما جنة
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن عمل بها ولم يعمل للاخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الاخرة فهي له بلاغ الى ما هو
خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الاخرة قوله عز وجل سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه ليكن
مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين
في المضمار الى مغفرة اي الى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى المغفرة وهو التوبة من الذنوب وقيل سابقوا
الى ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض قيل ان السموات السبع و
الارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها على بعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين
جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض
تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار
السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه اعظم
رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن امن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا اخر يدل عليه قوله في سياق الاية ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله والله ذو الفضل العظيم

أنعم

عن ابي هريرة

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله بفضل منه ورحمة وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
في تفسير سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ولا في انفسكم
يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني في اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها اي من قبل ان نخلق الارض والانفس
وقال ابن عباس من قبل ان نبرا المصيبة ان ذلك على الله يسير اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكيلا
تاسوا اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اي تبطروا بما اتيكم اي اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا يفرح ويحزن
لكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة
ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح
المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر
والله اعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن ادم ما لك تاسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود
لا يتركه في يديك الموت والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور اي بذلك الذي اوتي على الناس الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل قيل هذه الاية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا
وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم بخلوا به حتى
يامرون الناس بالبخل وقيل ان الاية كلام مستانف لا تعلق له بما قبله انها صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وبخلوا ببيان نعته ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي عن عباده الحميد اي الى اوليائه
قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالدلالات الواضحة والايات والحجج وانزلنا معهم الكتاب اي المتضمن
للاحكام وشرائع الدين والميزان يعني العدل وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الالة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل
ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط اي ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل مع ادم
عليه وسلم لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات الى الارض الحديد
والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشانا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته
بوحيه والهامه فيه باس شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهو الة الدفع ومنه السلاح وهو الة الضرب ومنافع للناس
اي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد الة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه و
ليعلم الله اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله من ينصره اي من ينصر
دينه ورسله بالغيب اي الذين لم يروا الله ولا الاخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه ولا يبصرونه ان الله
قوي في امره عزيز اي في ملكه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة و
الكتاب معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما
فمنهم اي من الذرية مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اي اتبعنا على اثارهم برسلنا والمعنى بعثنا
رسولا بعد رسول الى ان انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه رافة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ورهبانية
ابتدعوها ليس هذا عطف على ما قبله والمعنى انهم جاءوا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة
فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع
التقلل من ذلك ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله اي لكنهم ابتدعوها
ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها

من السماء مع

التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم** وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح **وكثير منهم فاسقون** وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلوات الله وسلامه عليه وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك إلا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعوهم إلى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق منهم أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها إلى فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والصلوة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التورية والإنجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرأون التورية والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التورية والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله تعالى ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بعيسى وبالتورية والإنجيل و بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال يجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ألا يقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون الترهيب لأنه لم يأمر به قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله** الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله **وآمنوا برسوله** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم **يؤتكم كفلين من رحمته** أي نصيبين يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى

بإيمانهم بعيسى

وابتغاء رضوان الله

والانجيل

والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ق عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران **ويجعل لكم نورا تمشون به** يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به **ويغفر لكم** أي ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب** قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين ومن لم يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين **ألا يقدرون** يعني أنهم لا يقدرون **على شيء من فضل الله** والمعنى جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به أنهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الأجرين فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله **وأن الفضل بيد الله** يعني الذي خصكم به فإنه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل أن يكون الأجر الواحد أكثر من الأجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة **يؤتيه من يشاء** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو قوله وأن الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لأنه قادر مختار **والله ذو الفضل العظيم** خ عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله عليه السلام وهو قائم على المنبر يقول إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلوة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التورية التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلوة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء وفي رواية إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلوة العصر إلى غروب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلوة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلوة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلوة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فأنتم الذين تعملون من صلوة العصر إلى غروب الشمس ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فإنه فضلي أصيب به من شئت أي أعطيه من شئت خ عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان صلوة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة المجادلة

مدنية وهي اثنتان وعشرون آية وأربع [illegible]

وثلاث وسبعون كلمة والف وسبعماية واثنان وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هي حسنة الجسم فارادها فابت عليه فارادها فابت عليه فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان اوس ابن الصامت تزوجني وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبرسني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل علينا الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه قالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله عليه السلام واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم انزل على لسان نبيك فرجي وكان هذا اول ظهار في الاسلام فقامت عايشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عايشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الاية ق عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الاية واما تفسير الاية فقوله تعالى تجادلك في زوجها اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في امر زوجها وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم اي ما اللواتي تجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتكم ان امهاتهم اي ما امهاتهم الا اللائي ولدنهم يعني المظاهرين وانهم ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما موبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا ~~والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما موبدا~~ فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور عفا الله عنهم وغفرهم بايجاب الكفارة عليهم

فصل في احكام الظهار وفيه مسايل المسئلة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من ظاهر الاعضاء التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تاويله ظهورك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كعلو امي وعلوها علي حرام المسئلة الثانية كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرايع لا في احكام الجاهلية وعاداتهم المسئلة الثالثة في الالفاظ المستعملة بهذا المعنى في الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا قوله انت علي كظهر امي او كراس امي او كيد امي او انت مني او معي او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك او راسك او يدك علي كظهر امي او شبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان

قد سمع الله صح

شبهها

شبهها بعضو من هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح امي واراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي كظهر امي او كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامراة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمومنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمومنين واجيب عنه بان هذا خطاب بيننا ولجميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمومنين قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم يعودون لما قالوا اختلف العلما في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولا بد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفرا لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وان ربك اوحى لها واما لفظة ما في قوله ان يقال يعودوا الى ما قالوا وفيما قالوا ففيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الثاني المراد لما قالوا اي القول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي شيء وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك المقول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثاني يجوز ان يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من انقطاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ابتدائه من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال ينذمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطي والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك لانه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت علي كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على وطيها او هو قريب من قول ابي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطاها قال العلماء والعود المذكور هنا انه صالح للجماع او للعزم عليه او الاستباحة الا ان الذي قاله الشافعي هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي يتحقق مسمى العود واما الباقي فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال في قوله ثم يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال في الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثوري العود هو الاتيان بالظهار في الاسلام ويجب الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود هو العود لما كانوا عليه في الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام على خلاف حكمه عندهم ومعنى ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام فيقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولون في الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان الظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا

يعودون الى صح

الاولى صح

كفارة عليه وقوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطي امرأته التي
ظاهر منها ما لم يكفر ذلكم توعظون به يعني ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه والله بما
تعملون اي من التكفير وتركه خبير ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى فمن لم يجد اي الرقبة فصيام
شهرين اي فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع اي الصيام فكفارته
اطعام ستين مسكينا اي الفرض الذي وضعناه ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا
الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عن الله تعالى وتلك حدود الله يعني ما وصف الله من الكفارة في الظهار وللكافرين
اي لمن جحد هذا وكذب به عذاب اليم اي في نار جهنم يوم القيمة فصل في احكام الظهار وما يتعلق بالظهار
وفيه مسائل المسئلة الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثاني
وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابي حنيفة المسئلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي
وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكونا في مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك
من ظاهر من امرأته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة المسئلة الثالثة الاية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة
سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله
لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل في الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين
الاطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول
اكثر العلماء كمالك وابي حنيفة والشافعي واحمد وسفيان وقال بعضهم اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو
قول عبد الرحمن ابن مهدي المسئلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة
هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب
دليلنا على انا اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسئلة
الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية فعليه
استيناف الشهرين فان شرع في الصوم ثم جامع في خلال الشهرين بالليل عصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة
لكن لا يجب عليه استيناف الشهرين وعن ابي حنيفة يجب عليه استيناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن
الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام
الذي يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطي لكل مسكين
نصف صاع من بر او دقيق او سويق وصاعا من شعير فلو اطعم مسكينا واحدا ستين جزوا لا يجوز عند الشافعي
وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعي ظاهر الاية هو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية
وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل عنه واجيب عنه بانه ادخال السرور على قلب ستين مسكينا
اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد المسئلة السابعة اذا كانت له رقبة الا انه يحتاج الى الخدمة او له
ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق اذا كان
واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة اذا كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا
اليها وان كان موجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة قال صاحب اصحاب الشافعي الشبق
المفرط والغلمة الهايجة عذر في الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روي عن سلمة ابن صخر البياضي
قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتي شيئا تتابع بي حتى اصبح
فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فما لبثت ان نزوت عليها فلما

اصبحت خرجت الى قومي فاخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك يا سلمة قلت بذلك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله
به قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل
اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين
لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت
وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة
وحسن الرأي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق اخرجه ابو داود قوله نزوت عليها اي وثبت عليها
واراد به الجماع وقوله تتابع التتابع الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحشي
اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت
حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت
يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني ساعينه
بعرق من تمر قلت يا رسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك
اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا ظاهر مني وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك نبيا بالحق ما جئتك
الا رحمة له في منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا
وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر
في تلك الحالة لم يلزمه شيء بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم قوله عز وجل
ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما كبتوا اي ذلوا
واخذوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي من كان قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا آيات
بينات يعني فرائض واحكاما وللكافرين اي الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا
والله على كل شيء شهيد قوله تعالى الم تر اي الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه سبحانه
وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة
اي من سرار ثلاثة وهي المسارة والمساورة والمعنى ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه وقيل ما تكون من متناجي ثلاثة
يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم اي بالعلم يعني يعلم نجويهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجويهم
معلومة عند الرابع الذي يكون معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت
اقل ما يكفي في المشاورة الثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط
الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون بينهم
حكما مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الثلاثة فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة قال تعالى ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من ثلاثة وخمسة ولا اكثر من العدد الا هو معهم اينما كانوا اي بالعلم و
القدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ويتغامزون باعينهم و
يوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوؤهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا

في السرايا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكويهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اى المناجات فيما بينهم **ثم يعودون لما نهوا عنه** اى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها **ويتناجون بالاثم والعدوان** يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان **ومعصية الرسول** وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول **واذا جاؤك** يعنى اليهود **حيوك بما لم يحيك به الله** وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت ويوهمونه بانهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم **ويقولون فى انفسهم** يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا **لولا يعذبنا الله بما نقول** يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف قال الله تعالى **حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة اذا لم تقتض المشيئة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم ق عن عايشة قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عايشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عايشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول الله لم تسمع ما قالوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى ان اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عايشة عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان سفيان ابن عيينة يرويه بغير واو وقال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوا مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردى من القول قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول** فى المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم ويفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم وقيل امنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول **وتناجوا بالبر والتقوى** اى بالطاعة وترك المعصية **واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان** اى من تزيين الشيطان وهو ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول **ليحزن الذين امنوا** اى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجا اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة لابى داود **وليس بضارهم شيئا** يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان بضارهم شيئا **الا باذن الله** اى الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اى فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا** الاية قيل فى سبب نزولها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم سلموا عليه فردوا عليهم ثم سلموا على القوم

فردوا

فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت فى ثابت ابن قيس ابن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا ضيقوا بمجالسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضاممون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجلس لمن اراد الجلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم ليساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا اى فاوسعوا فى المجالس امروا بان يوسعوا فى المجالس لغيرهم **يفسح الله لكم** اى يوسع الله لكم فى الجنة والمجالس فيها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم م عن جابر ابن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدى فى افراد مسلم موقوفا عن جابر ورفعه غير الحميدى وقال فى معنى الاية ان هذا مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل ياتى القوم وهو فى الصف فيقول توسعوا فيابون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة فامروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متاخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك ساير المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيرى الدنيا والاخرة **واذا قيل انشزوا فانشزوا** اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلوة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودى الى الصلوة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلوة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه والى كل خير ولا تقصروا عنه **يرفع الله الذين امنوا منكم** اى بطاعتهم الله ولرسوله وامتثال اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم **والذين اوتوا العلم** اى ويرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم **درجات** اى على من سواهم فى الجنة وقيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع فى الناس فاخبر الله تعالى عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ايتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام **والله بما تعملون خبير** قال ابن مسعود قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية ولتر غبنكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم لم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وافعاله كلها عن قيس ابن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخى قال حديث بلغنى انك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة قال لا قال ما جئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه ق عن معوية ابن ابى

سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين
في مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما
افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل
وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجويكم صدقة قدموا امام ذلك صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا
امام ذلك صدقة فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك
الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شق عليه فاراد الله
تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويعظهم عن ذلك فامرهم ان يقدموا صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره
رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة
فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة
قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجيه الا علي ابن ابي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول
اية في كتاب الله لم يعمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه قال
فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات
الاية قال بي خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حسن قوله قلت شعيرة اي وزن شعيرة من ذهب وقوله
انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل
بها احد من غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع
الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها ~~وفقد مر اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك~~ وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة
لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا شيئا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذا لم يجدوا
ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات
المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك فلم يعملوا بها
وليس فيها طعن على احد منهم وقوله ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله ورسوله
واطهر اي لذنوبكم فان لم تجدوا يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني
انه تعالى عفى عنهم ذلك ءاشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ان تقدموا
بين يدي نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم
ونسخ الصدقة قال مقاتل ابن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا
الصلوة اي المفروضة واتوا الزكوة اي الواجبة واطيعوا الله ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون
اي انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله عز وجل الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم
نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود
ما هم يعني المنافقين منكم اي من المؤمنين ولا منهم يعني ولا من اليهود ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
اي انهم كذبة نزلت في عبد الله ابن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله
ابن نبتل وكان ازرق العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما فعلوا وما سبوه فانزل الله هذه الاية اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون
اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة اي يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن
سبيل الله يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن
دين الله الذي هو الاسلام فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم يعني في الاخرة اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله يوم القيمة
جميعا فيحلفون له يعني كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل كان
الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء يعني مع ايمانهم الا انهم
هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم
فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين يعني في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان ذل احد الخصمين على حسب
عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية كتب الله لاغلبن انا ورسلي
اي قضى الله قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو
غالب بالحجة ان الله قوي اي على نصر رسله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا
لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجتمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم
ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دنيا ودينا مع كفرهم
فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او عشيرتهم
يعني ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا يجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب الدين قيل
نزلت هذه الاية في حاطب ابن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد الله
ابن مسعود في هذه الاية قال لو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة ابن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق
دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك
يا ابا بكر او اخوانهم يعني ابا مصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد الله ابن عمير او عشيرتهم يعني عمر ابن الخطاب قتل خاله العاص ابن
هشام ابن المغيرة يوم بدر وعلي ابن ابي طالب وحمزة وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة
يوم بدر اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم
لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم
روحا لان به يحيى امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل برحمته ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
ورضوا عنه اولئك حزب الله انما ذكر رضوانه بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب
ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال الا ان حزب الله
هم المفلحون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحشر

قال سعيد ابن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية وهي اربع وعشرون اية واربعمائة وخمس
واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طايفة من اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التورية لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين الذين قتلهما عمرو ابن امية الضمري في منصرفه من بير معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المايدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ايتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله ابن ابي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وامنوا بك امنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علماينا فيسمعون منك فان امنوا بك امنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امراة ناصحة الى بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتايب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وساير اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاية ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طايفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب

وبينهما

وبينهما سنتان لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرا هذه الاية فكان هذا اول الحشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيمة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى اخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل هذا كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب ثم الى اذرعات واريحا من ارض الشام في ايام عمر وقيل هذا كان اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيمة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنون ان يخرجوا اي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب ابن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ليلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا اي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم يا اولي الابصار اي ذوي العقول والبصاير ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعني الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله الاية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الاية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان ابن ثابت رضي الله عنه

وهان على سراة بني لوي ... حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهي شديد ويرى نواها من ظاهرها يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعون شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قايما هو لمن غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الاية على ان حصون الكفار وديارهم لا باس ان تحرق وتهدم وترمى بالمناجيق وكذلك قطع

أشجارهم ونحوها قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله أي ما رد الله على رسوله منهم أي من يهود بني النضير
فما أوجفتم عليه يعني أوضعتم وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الإبل التي تحمل القوم وذلك أن بني النضير
لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم
خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية أنها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة
وإنما كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا ولم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على
جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء من أعدائه والله على كل شيء قدير أي فهي له خاصة يضعها
كيف يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم
حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ق عن مالك بن أوس بن الحدثان
النضري أن عمر دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون
فقال نعم فأدخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس وعلي يستأذنان قال نعم فأذن لهما فلما دخلا قال العباس يا
أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال مالك بن أوس يخيل
إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك قال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلي فقال أنشدكما بالله أنشد
بالله الذي تقوم السماء والأرض بإذنه أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر
إن الله خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب فقال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم
ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة
سنة ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء
والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم أنشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنتم حينئذ وأقبل على علي وعباس وقال تذكران أن أبا بكر كما فيه يقولان والله يعلم أنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم
توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم أني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما
جميع فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه
إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء
غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنه
فادفعاه إلي فإني أكفيكماه قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى يعني من أموال الكفار أهل القرى
قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني
المطلب واليتامى والمساكين وابن السبيل قد تقدم تفسير في سورة الأنفال حكم الغنيمة وقسمتها وأما
حكم الفيء فإنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما
بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة

ثم

ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب قوم إلى أنه يخمس فخمسه لأهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة
وللمصالح وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب وما أفاء
الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين إلى قوله والذين جاءوا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت
المسلمين عامة قال وما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم كي لا يكون الفيء دولة
والدولة اسم الشيء الذي يتداوله القوم بينهم بين الأغنياء منكم يعني بين الرؤساء والأغنياء والأقوياء
فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع
ثم يصطفي منها بعد الفراغ منه ما شاء الله فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما أمره به وما آتاكم الرسول
فخذوه أي من مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه أي من الغلول وغيره فانتهوا وهذا نازل في أموال الفيء
وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول أو عمل من واجب أو مندوب أو مستحب أو نهى عن محرم
فيدخل فيه الفيء وغيره ق عن عبد الله بن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث
بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة
هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج
ما بين أسنانها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك منهي عنه ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد عن أبي رافع
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن الأريكة كلما اتكئ عليه من سرير أو
فراش أو منصة أو نحو ذلك واتقوا الله أي في أمر الفيء إن الله شديد العقاب أي على ترككم ما أمركم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يعني ألجأ كفار مكة إلى الخروج يبتغون فضلا من الله أي رزقا
وقيل ثوابا من الله ورضوانا أي خرجوا من ديارهم طلبا لرضى الله عز وجل وينصرون الله ورسوله أي بأنفسهم و
أموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه وإعلاء كلمته أولئك هم الصادقون في إيمانهم قال قتادة هم المهاجرون
الذين تركوا الدنيا والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى
ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فقراء المهاجرين
يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا عن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة
أخرجه أبو داود قوله عز وجل والذين تبوءوا الدار والإيمان يعني الأنصار توطنوا الدار وهي المدينة
واتخذوها سكنا من قبلهم يعني أنهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي
صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان
يتبوأ يحبون من هاجر إليهم وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم ولا يجدون

في صدورهم حاجة أي حرارة وغيظا وحسدا مما أوتوا أي أعطوا المهاجرين من الفيء دونهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة فطابت أنفس الأنصار بذلك ويؤثرون على أنفسهم أي ويؤثر الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون به ق عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما عندي إلا الماء ثم أرسل به إلى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن أبي هريرة قال قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا قال تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا وأطعنا خ عن أنس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال إما لا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فإنهم سيصيبكم أثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء والأول أشهر ومعناه الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل عليكم غيركم ولا يجعل لكم في الأمر نصيب وقيل هو من أثر إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الأثرة الشدة والأول أظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دياركم وأموالكم وتشاركوهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت دياركم لكم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين الشح والبخل فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أي الفائزون بما أرادوا وروي أن رجلا قال لابن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله ليس ذاك بالشح الذي ذكره الله في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله بإعطائه فقد وقاه الله شح نفسه م عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه أن الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شيء يفوته أو يخرج عن يده والخالع الذي خلع فؤاده بشدة خوفه وفزعه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا أخرجه النسائي قوله والذين جاؤوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والأنصار وهم التابعون لهم إلى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان أخبر أنهم يدعون

لأنفسهم بالمغفرة ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا أي غشا وحسدا وبغضا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم فكل من كان في قلبه غل أو بغض لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل المهاجرين ثم من بعدهم الأنصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن أقسام المؤمنين وليس له في المؤمنين المسلمين نصيب وقال ابن أبي ليلى الناس على ثلاث منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤوا الدار والإيمان والذين جاؤوا من بعدهم فاجتهدوا أن لا تكونوا خارجا من هذه الثلاث منازل ق عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال مالك بن أنس من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه غل عليهم فليس له حق في المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى إلى والذين جاؤوا من بعدهم إلى رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى فقالوا حواريو عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة وروي عن جابر قال قيل لعائشة إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل وأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر وروي أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الأولين أنت قال لا قال فمن الأنصار أنت قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان قوله عز وجل ألم تر إلى الذين نافقوا يعني أظهروا خلاف ما أضمروا وهو عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى من بني قريظة والنضير وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم لئن أخرجتم أي من المدينة لنخرجن معكم أي منها ولا نطيع فيكم أحدا أبدا يعني إن سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وإن قوتلتم لننصرنكم أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم والله يشهد إنهم يعني المنافقين لكاذبون أي فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الأمر كذلك فإنهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار يعني لو قدروا أو وجد نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين ثم لا ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم لأنتم يعني يا معشر المسلمين أشد رهبة في صدورهم من الله أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله ذلك أي الخوف منكم بأنهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى أو من وراء جدر وقرئ جدار بأسهم بينهم شديد أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء

الحيطان والحصون شديد فاذا اخرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اى متفرقة مختلفة
قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة ايمانهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة اهل الحق وقيل اراد
ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى
كمثل الذين من قبلهم قريبا يعنى مشركى مكة ذاقوا وبال امرهم يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة
بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان
ولهم عذاب اليم اى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال
تعالى كمثل الشيطان اى مثل المنافقين فى غزوة بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين
سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه فى امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفينا
امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس
اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق
فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينتقل عن صلوته الا فى كل
عشرة ايام مرة فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة فى اصل الصومعة فلما انتقل برصيصا من صلوته
اطلع من صومعته فراى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم من نفسه اى
لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت ان اكون
معك فاتأدب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك
فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلوته وترك الابيض واقبل الابيض
يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انتقل بعدها راه قائما يصلى فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض
قال له ما حاجتك قال ان تاذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل اربعين
يوما مرة ولا ينتقل عن صلوته الا لذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان
الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رايت وكان يبلغنا
عنك غير الذى رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما راى من كثرة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له
ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا
انا اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق
حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله
ان بصاحبكم جنونا افاعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم انى لا اقوى على جنيته ولكن سارشدكم الى من يدعو الله
فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعى به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض
لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك
بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى
عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى ما تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها
قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شانا من ذلك قال
فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك

فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية
فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انتقل برصيصا عن صلوته حتى عاين
الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات
فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلوته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا
فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها
فلم يزل كذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب
فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقو عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها
بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلوته اذ جاء اخوتها يتعاهدون
اختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت باختنا قال جاء شيطانها
فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك
ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان برصيصا خير من
ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال يكرر فانطلق الى الاخ الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به
احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رايت
مثله فقال الاكبر انا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت باختنا قال أليس قد
اعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتمونى بها فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان
وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما
راوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه
ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ولم تكابر يجتمع عليك
امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا
اتعرفنى قال لا قال انا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت دعوت بهن فيستجيب لك ويحك ما اتقيت الله فى امانتك
خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك الم يكفك
فيما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا
ولن يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ باعينهم
واخرجك من مكانك قال وما هى قال تسجد لى قال افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذى اردت منك
صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين
قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعنى الشيطان وذلك الانسان انهما فى النار خالدين فيها وذلك
جزاء الظالمين قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله
تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا اذا دعاكم الى
ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا
فى ديارهم وجاء بعض المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار
قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسق والفجور فى الاحبار
ورموهم بالبهتان حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا
للناس وكانت قصة جريج على ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة

قال حاجتى صح

الملك صح

عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلاً صالحاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا جريج
فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلوته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على
صلوته فانصرفت فلما كان من الغد اتته فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلوته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر
في وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجاً وعبادته وكانت امراة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه قال
فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعياً كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو
من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال
اين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان
الراعي قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا
وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك
الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فيه قال ومروا بجارية وهم يضربونها وهم يقولون زنيت وسرقت فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثلها فقال اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه
يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري
متفرقاً حديث جريج تعليقاً وحديث المراة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة والبغي
الزانية ايضاً وقوله يتمثل بحسنها اي يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة اي صاحب جمال ظاهر في
الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر القاهر للناس قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله**
ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال عملاً صالحاً ينجيه ام
سيئاً يوبقه والغد يوم القيمة ياتي غداً وكل ما هو آت فهو قريب **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
قيل كرر الامر بالتقوى تاكيداً وقيل معنى الاول واتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله فلا تاتوا
المنهيات **ولا تكونوا كالذين نسوا الله** اي تركوا امر الله **فانسيهم انفسهم** اي انساهم حظوظ انفسهم
حتى لم يقدموا لها خيراً ينفعها عنده **اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب**
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المومنين الى ما يصلحهم
بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله
لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله
اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من حصل له النعيم المقيم فقد فاز فوزاً عظيماً قوله تعالى **لو انزلنا**
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله قيل معناه انه لو جعل في الجبل تمييز او عقل كما جعل
فيكم وانزل عليه القرآن لخشع وتطاطا اي وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع رزانته
وصلابته مشفق من خشية الله وحذر من ان لا يودي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستحق بحقه معرض عما
فيه من العبر والحكم كانه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما تضمنه القرآن من المواعظ والامثال
والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا
وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييز
وعقلاً يدل على انه تمثيل قوله **وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** اي الغرض وهذا
التمثيل التنبيه على فساد قلوب هولاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته

فقال تعالى **هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة** يعني انه تعالى عالم ما غاب عن العباد مما لم
يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم
حال الدنيا والاخرة **هو الرحمن الرحيم** اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما
ذو الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل
رحمن الدنيا ورحيم الاخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المومن والكافر وفي الاخرة يختص احسانه وانعامه بالمومنين
هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المتصرف بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه
وقهره وارادته **القدوس** اي الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته **السلام** اي الذي
سلم من النقايص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون
كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوساً فهو اشارة الى براءته من جميع العيوب
والنقايص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرا عليه شيء من العيوب والنقايص في المستقبل فان الذي
يطرا عليه شيء من ذلك فانه تزول سلامته ولا يبقى سليماً وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه **المومن** قال ابن عباس
هو الذي امن الناس من ظلمه وامن من امن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق
للمومنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب **المهيمن** قال ابن عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم
الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد في معناه الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه
التاليه في العرف والنكر اي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي
وقيل هو بمعنى الامين والموتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياً تحتها النطق وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى وهو اعلم
بتاويله وانشد جل المهيمن عن صفات عبيده ولقد تعالى عن عقول اولي النهى راموا بزعمهم صفات
مليكهم والوصف يعجز عن مليك لا يرى **العزيز** اي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر **الجبار**
قال ابن عباس وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير
فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم
على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا اراد امراً فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل
الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك
المتكبر في صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له
كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كاذباً في فعله فكان مذموماً في حق الناس واما
المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الاية
سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصاً في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة
والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء
مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم
عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اي في ادعاء
الكبر لانفسهم **هو الله الخالق** اي المقدر لما يوجده ومعناه انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع
الى الارادة وقيل معناه المقدر المقلب للشيء بالتدبير الى غيره **البارئ** اي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود
المصور الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق

المبدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فلا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات **له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم** عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب والله اعلم بالصواب

تفسير سورة الممتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء** الآية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ منهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا الفاسق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل وروضة خاخ روضة بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج والعقاص من الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في حاطب ابن ابي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف اتت الى المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله عليه الصلوة والسلام عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب فقال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شان حاطب بن ابي بلتعة يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا **تلقون اليهم بالمودة** اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينه **وقد كفروا** اي وحالهم انهم كفروا **بما جاءكم من الحق** يعني القرآن **يخرجون الرسول واياكم** يعني من مكة **ان تؤمنوا** اي لان آمنتم كانه قال يفعلون ذلك لايمانكم **بالله ربكم ان كنتم خرجتم** هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم **جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي** فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قوله تعالى **تسرون اليهم بالمودة** اي بالنصيحة **وانا اعلم بما اخفيتم** اي من المودة للكفار **وما اعلنتم** اي اظهرتم بالسنتكم منها **ومن يفعله منكم** اي الاسرار والقاء المودة اليهم **فقد ضل سواء السبيل** اي اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى **ان يثقفوكم** اي يظفروا بكم ويروكم **يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** اي بالضرب والقتل والشتم والسب **وودوا** اي تمنوا **لو تكفرون** اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم **لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم** اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم ولا اولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم **يوم القيمة يفصل بينكم** اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار **والله بما تعملون بصير** قوله تعالى **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم** يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلوة والسلام **والذين معه** اي من اهل الايمان **اذ قالوا لقومهم** يعني المشركين **انا برآء منكم** جمع بريء **ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم** اي جحدناكم وانكرنا دينكم **وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده** والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبرؤوا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم **الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك** يعني لكم ان تتأسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه **وما املك لك من الله من شيء** هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين **ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا** اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك **واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم** يعني في ابراهيم ومن معه **اسوة حسنة** اي اقتداء حسن **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة **ومن يتول** اي يعرض عن الايمان ويوالي الكفار **فان الله هو الغني** اي عن خلقه **الحميد** اي الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون

اقربائهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء
واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت ابي سفيان فلان لهم ابو سفيان والله قدير
اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم
فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
اي لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وتبروهم
ان الله يحب المقسطين اي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم قال عبد الله ابن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان
قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهي مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية
ولا تدخلي علي بيتا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئلته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم
فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم
صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهى الله
تعالى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية خ عن عروة ابن الزبير
انه سمع مروان والمسور ابن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل ابن عمرو
يومئذ وكان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا ياتيك احد وان كان على دينك
الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك
فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل ابن عمرو ولم يأته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات
مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء
اهلها يسئلون النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يمتحنهن بهذه الآية يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقر بهذا
الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امراة قط في المبايعة
ولا يبايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركوا
مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه
فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي ابن
الراهب في طلبها فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف
بعد فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس
امتحانهن ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس دنيا وما خرجت
الا محبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة

فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر ابن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا ايها الذين امنوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاء من النساء بعد الامتحان ويعطي
ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال ثم اختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قد كان
شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد
وقيل لم يشترط ردهن لفظا صريحا وانما اطلق اللفظ فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين
الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله
اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
اي اذا اقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر واتوهم يعني ازواجهن ما انفقوا عليهن
من المهر الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن
اباح الله تعالى للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام
فرق بينهن وبين ازواجهن ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي زوجته وبه قال
الاوزاعي والليث ابن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا
بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات
يقول الله تعالى وان كانت امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت
هذه الآية طلق عمر ابن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت امية ابن المغيرة فتزوجها معوية ابن ابي سفيان
وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم
ابن حذافة ابن غانم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة ابن عبيد الله
فهاجر طلحة وبقيت هي على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد ابن سعيد بن العاصي
ابن امية قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص ابن الربيع فاسلمت وهاجرت
ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة واسلم وردها عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واسئلوا ايها المؤمنون ما انفقتم يعني ان لحقت امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما
انفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم وليسئلوا يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا
اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة
والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد اليهم الصداق وكذلك كان يصنع
بمن جاء من المؤمنات المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما امروا به من اداء
نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من نفقات المسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم
ايها المؤمنون شيء من ازواجكم الى الكفار اي فلحقن بهم مرتدة فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من
الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
اي الى الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهب ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل ما انفقوا عليها
من الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست
نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض ابن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية ابن المغيرة اخت ام سلمة
وكانت تحت عمر ابن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس ابن عثمان
وعزة بنت عبد العزى ابن فضلة وتزوجها عمرو ابن ود وهند بنت ابي جهل ابن هشام وكانت تحت هشام ابن العاصي

ابن وايل وام كلثوم وكانت تحت عمر فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن
مهور نسايهم من الغنيمة واختلف القول في ان رد مهور من اسلمت من النسا هل كان واجبا او مندوبا واصل هذه المسئلة
ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه واقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى
انه لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى
هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على رد النسا لانه روى عن علي انه قال لا ياتيك منا
رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة
المشرك اياها وانه لا يومن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج منه
باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته
وهدايته فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار
فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة وهو عطا ومجاهد وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم
ما انفقوا قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النسا يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه
يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله عليه السلام ان
يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعكن على ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها
وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد
فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات
فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفى الله عنك فقال ولا يزنين فقالت
هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان
ابنها حنظلة ابن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ياتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم
الاخلاق ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة
بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امراة ولم يصافح
في البيعة وانما بايعهن بالكلام ق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء
بالكلام بهذه الاية ان لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة ولم يصافحها الا بالكلام
لا يملكها واما تفسير الاية قوله تعالى ولا يقتلن اولادهن اراد به البنات الذي كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام
في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني لا يلحق المراة بزوجها غير ولده وذلك
ان المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا
لان النهي قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك
في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح
والدعا بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلوا برجل غير
ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النسا اخرجه
البخاري ق عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة

واتقوا الله الذي انتم به مومنون صح

فقبضت

فقبضت امراة يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا
فانطلقت ثم رجعت فبايعها ق عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من
ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية عن اسيد ابن ابي اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو بويل
ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النسا
حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء اسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اسعاد في الاسلام اخرجه النساءي م عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة
ما لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النايحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله تعالى فبايعهن يعني اذا بايعنك
على هذه الشروط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطعتن قلت الله ورسوله ارحم بنا منا
بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان تعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امراة كقولي
لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتوصلون
اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله
عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب وخير في الاخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة
وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا
اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومنوا به قد يئسوا من ثواب الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الصف

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومايتان واحدى
وعشرون كلمة وتسعماية حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا
لم تقولون ما لا تفعلون قيل سبب نزولها ما روي عن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله ابن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الترمذي قال المفسرون ان المومنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملنا ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا
فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة الاية فابتلوا بذلك
يوم احد فتولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحيوة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله
بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب
فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمومنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله
اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون معناه ان يعدوا من انفسهم شيئا ثم لم يفوا به ان الله يحب

الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزالون عن اماكنهم كانهم
بنيان مرصوص اي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث
تراصوا في الصف والمعنى ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالى
واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني قيل انهم كانوا
يؤذونه بانواع الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر
ويحترم ولا يؤذى فلما زاغوا اي عدلوا ومالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره والله
لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته على عظم ايذاء الرسل
حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول
الله اليكم اي اني رسول ارسلت اليكم بالوصف الذي وصف به التورية مصدقا لما بين يدي من التورية
اي اني مقر ومعترف باحكام التورية وكتب الله وانبيائه جميعا ممن قد تقدم ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اي يصدق بالتورية على مثل تصديقي وكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى قال امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه
الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود
وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التورية صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدني قد بقي
في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا
من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم في الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله
عنهم باليسير من العمل ق عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيمة وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء
كلهم حمادون لله عز وجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم
محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق الحميدة التي يحمد بها من غيره
فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر
ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اكثر ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه
من نعمة فمن الله ثم كفروا به وهو يدعى الى الاسلام معنى الاية ان الناس اشد ظلما من يدعوه ربه على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر
مبين والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم حالهم عقوبة لهم يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر والله متم نوره يعني متم للحق ومظهره ومبلغه
غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله اي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب
ومقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم نزلت هذه الاية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا وانما سماه تجارة لانهم يربحون
فيها رضى الله تعالى ونيل جنته والتجارة النجاة من النار ثم بين ذلك التجارة فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله

وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي امرتكم به من الايمان والجهاد
في سبيله ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر
المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله اي اذا فعلتم يغفر لكم ذلك ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار و
مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم
واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة
نصر من الله وفتح قريب قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر المؤمنين اي يا محمد
بالنصر في الدنيا والجنة في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي مع الله والمعنى انصروا
دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
وكانوا اثني عشر رجلا وقيل لمن امن بعيسى عليه السلام حواري والحواري الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
حواري الزبير فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس في زمن عيسى عليه السلام و
ذلك لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله
ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله فايدنا الذين امنوا على
عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم
ان عيسى عليه السلام روح الله وكلمته والله اعلم بمراده

تفسير سورة الجمعة

مدنية وهي احدى عشر
اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي
بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي على ما خلق
عليه كانه منسوب الى امه رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم
وانما كان اميا لان نعته في كتب الانبياء النبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من
الوحي والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذي بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه يتلو عليهم اياته اي
التي تبين رسالته وقيل اياته التي يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك
ويعلمهم الكتاب اي القرآن وقيل الفرائض والحكمة وقيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل
ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم
لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد
ابن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم
اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله هؤلاء الذين لم يلحقوا
بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان
وقال والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل
هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة لما يلحقوا بهم لم يدركوهم ولكنهم جاؤوا
بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأن الصحابة وهو العزيز اي الغالب الذي
قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني الاسلام

وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم والله ذو الفضل العظيم اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها
ليس هو الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اى لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها
كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه يسفر عن ما فيه من المعنى وهذا مثل
ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتورية وبالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبه اليهود اذ لم ينتفعوا
بما فى التورية الدالة على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى يحمل الكتب ولا يدرى ما فيها ولا ينتفع بها كذلك
اليهود الذين يقرؤن التورية ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه
واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلى هذه الآية
ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى بئس مثل القوم اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التورية لانهم كذبوا بها حين تركوا
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل
يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وانبيائه قل اى يا محمد يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس اى ادعوا على انفسكم بالموت فتمنوا الموت ان كنتم صادقين يعنى فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه
فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
اى بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم
اى لا ينفعكم الفرار منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعيد
وتهديد قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة اى لوقت الصلوة من يوم الجمعة اى فى يوم الجمعة
واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان
اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام
على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء زاد
فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى داود قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على
باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريبا من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا فى تسمية
هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات
وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلوة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤى قال ابو سلمة اول من قال اما بعد
كعب بن لؤى وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم
النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام
وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى فى ذلك يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة الآية عن كعب بن مالك انه كان
اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة
قال لانه اول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون
اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اصحاب اهل السير ان النبى
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع
الاول حين اشتد الضحى فاقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم

يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلوة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ فى ذلك الموضع مسجدا
فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اى فامضوا اليه واعملوا له
وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن
اما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولكن نهوا ان يأتوا الى الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب
والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان
يتاول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلوة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما
فاتكم فاتموا وفى رواية فاذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم
فان كان احدكم يعمد الى الصلوة فهو فى الصلوة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلوة وقال سعيد بن المسيب
هو موعظة الامام وذروا البيع يعنى البيع والشراء لان البيع يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم
البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء
ذلكم اى الذى ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع خير لكم اى من المبايعة فى ذلك الوقت ان كنتم تعلمون
اى مصالح انفسكم فصل فى فضل الجمعة واحكامها واثم تاركها وفيه مسائل المسئلة الاولى فى فضلها
م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل
الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسئل الله فيها شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده
يقللها ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة
ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح
فى الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت
الملائكة يستمعون الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول
فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا
كغسل الجنابة م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع و
انصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغى قوله ومن مس الحصى فقد لغى
معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو خ عن عباية قال ادركنى ابو عبس وانا
ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار م
عن ابى هريرة قال خرجت الى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التورية وحدثته عن رسول الله عليه
الصلوة والسلام وكان فيما حدثته ان قلت له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة
يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم
وهو يصلى يسئل الله شيئا الا اعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التورية فقال
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته
فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اى ساعة هى قال ابو هريرة فقلت اخبرنى بها ولا تضن على وفى رواية تضن
على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال ابو هريرة وكيف تكون آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جلس مجلسا ينتظر الصلوة فهو في صلوة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي
(خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور
ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم خرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له
ما بين الجمعة وبين الجمعة الأخرى عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها
وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود وسئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده
المسئلة الثانية في إثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمر وبن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين
عن أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على
قلبه أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت أن آمر رجلا أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم
المسئلة الثالثة في تأكيد وجوبها قال العلماء صلوة الجمعة هي من فروض الأعيان فيجب على كل مسلم حر بالغ
عاقل ذكر مقيم إذا لم يكن له عذر في تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما
لأنهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روي عن طارق بن شهاب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة عبد مملوك وامرأة وصبي ومريض أخرجه
أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال
رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل
إلى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب على العبيد وقال الحسن وقتادة والأوزاعي ولا على العبد المكاتب وعن أحمد
في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم
الحضور وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وقال به الشافعي وأحمد وإسحق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري
الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات هادية والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا
القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من
كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة
على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس
قال إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين
ولأبي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين المسئلة الرابعة في تركها بالعذر وكل من له عذر من مرض أو
تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر كالمطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس
أنه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي على الصلوة قال قل الصلوة في الرحال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم
أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وإنها عزمة وإني كرهت
أن أخرجكم زاد في رواية فتمشون على الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا يجب عليه الجمعة
فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين ينعقد بهم الجمعة إلا صاحب

العذر

العذر فإنه إذا حضر كمل به العدد المسئلة الخامسة في العدد الذي ينعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد
الذي تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحرارا بالغين
عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا إلا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم
الوالي والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي
حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط عنده وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن
تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد
والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال الشافعي ومالك وأبو يوسف وقال أحمد
تصح في موضعين إذا كثر الناس وضاق الجامع المسئلة السادسة لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد
الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت
أما إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو
وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن
عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه
وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال
فلما أن رآه قال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت
ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروي أن عمر رأى رجلا عليه أهبة السفر سمعه
يقول لولا أن اليوم يوم جمعة لخرجت فقال له عمر أخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن
وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم قوله عز وجل فإذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الأرض أي إذا فرغ من صلوة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من
فضل الله يعني الرزق وهذا أمر إباحة قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى
العصر وقيل فانتشروا في الأرض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقيل وابتغوا
من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال
اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين
واذكروا الله كثيرا أي إذا فرغتم من الصلوة ورجعتم إلى التجارة والبيع والشرى فاذكروا الله كثيرا
قيل باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا تكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا
لعلكم تفلحون قوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما
عن جابر قال بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها
حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا
إليها وتركوك قائما وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه
وفيه إلا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة
قال فخرج الناس إليها فلم يبق إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وذكر في الحديث حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر
رجلا وأجيب عنه بأنه ليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد
قال في رواية لابن عباس عنه لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع
وغلاء سعر فقدم دحية ابن خليفة الكلبي بتجارة زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم

يخطب فلما رآه بالبقيع قاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان إذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة إلا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فأنزل الله هذه الآية وأراد باللهو الطبل وكانت العير إذا أقبلت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في إليها راجع إلى التجارة لأنها أهم إليهم وتركوك قائما أي اتفقوا على أن هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما قال العلماء الخطبة فريضة في صلوة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الإمام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لا تتم جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للإمام إذا صعد المنبر أن يستقبل الناس وأن يسلم عليهم خلافا لأبي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والأصح أنه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب أن يصلي تحية المسجد إذا دخل والإمام يخطب خلافا لأبي حنيفة ومالك ذكر الأحاديث الواردة الدالة على هذه الأحكام

ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم قال كما يفعلون الآن م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما م عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة فكانت صلوته قصدا وخطبته قصدا زاد أبو داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه أبو داود وللترمذي ولأبي داود عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا وفي رواية أن يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه إنما نحن به وله أخرجه أبو داود م عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله

ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي ق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه رأى رجلين والإمام يخطب يوم الجمعة فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الإمام يقطع الصلوة وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلوة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقرآن ولجواز الجمعة خمس شرائط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر والعدد والإمام والخطبة ودار الإقامة فإن فقد شرط من هذه الشرائط الخمس يجب أن يصلي ظهرا ولا يجوز للإمام أن يبتدي الخطبة قبل تمام العدد وهو عدد أربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلوة أو انفض واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلوة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلوة كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلوة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو أن بقي معه اثنان أتمها جمعة وإن بقي وحده وإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعا وإن نقص من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق إذا أدرك أقل من ركعة أتمها خ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبيد الله بن أبي رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية قال فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له إنك قرأت سورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما م عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وقال وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلوتين عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود وللنسائي قوله تعالى قل ما عند الله أي ما عند الله من الثواب والأجر على الصلوة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة الذي جاء بهما دحية والله خير الرازقين يعني الله تعالى موجد الأرزاق وأصلها منه فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم بمراده وأحكم

تفسير سورة المنافقين

مدنية وهي إحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل إذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه قالوا نشهد إنك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى والله يعلم إنك لرسوله أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك والله يشهد إن المنافقين لكاذبون يعني في قولهم نشهد إنك لرسول الله لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لأن حقيقة الإيمان أن يواطئ اللسان بالقلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه كذبا لأن قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا أيمانهم جنة أي سترا يستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم إنهم لمنكم وقوله نشهد إنك لرسول الله فصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث آثروا الكفر على الإيمان ذلك بأنهم آمنوا أي في الظاهر وذلك إذا رأوا المؤمنين أقروا بالإيمان ثم كفروا أي في السر وذلك إذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد إنهم لكاذبون فطبع على

قلوبهم أي بالكفر فهم لا يفقهون أي الإيمان وقيل لا يتدبرون القرآن وإذا رأيتهم يعني المنافقين مثل عبد الله ابن أبي ابن سلول تعجبك أجسامهم يعني أن لهم أجساما ومناظر حسنة وإن يقولوا تسمع لقولهم أي فتحسب أنه صدق قال ابن عباس كان عبد الله ابن أبي ابن سلول فصيحا ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله كأنهم خشب مسندة أي أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام وشبههم بالخشب المسندة إلى الجدر وليست بأشجار مثمرة ينتفع بها يحسبون كل صيحة عليهم يعني أنهم لا يسمعون صياتا في العسكر بأن ينادي مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل أنهم على خوف ووجل من أن ينزل فيهم أمر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام على قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى هم العدو فاحذرهم ولا تأمنهم يعني أنهم وإن كانوا معك ويظهرون تصديقك أعداء لك فاحذرهم أي لا تأمنهم على سرك لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ينقلون إليهم أسرارك قاتلهم الله أي لعنهم الله أنى يؤفكون أي يصرفون عن الحق قوله تعالى وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم أي أمالوها وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ورأيتهم يصدون أي يعرضون عما دعوا إليه وهم مستكبرون أي عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم أستغفرت لهم أي يا محمد أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ذكروا القصة في سبب نزول هذه الآية قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت الماء واردة الناس ومع عمر ابن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال له عبد الله ابن أبي جعال وإنك لهناك فقال جعال وما يمنعني أن أفعل ذلك فغضب عبد الله ابن أبي وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم وهو غلام حديث السن فقال له عبد الله بن أبي أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المنتقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبي اسكت فإنما كنت ألعب فمشى زيد ابن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر ابن الخطاب فقال دعني أضرب عنقه يا رسول الله قال كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا الكاذب وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد في الأنصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت إلا أن كذبك

رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله ابن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل فقال أسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله ابن عبد الله ابن أبي ما كان من أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله ابن أبي لما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشي على الأرض فأقتله فأقتل مسلما بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالأمس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة بن زيد ابن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره بقول المنافقين وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما أزعم أني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافقين وبمكان ناقتي بالشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها فآمن ذلك المنافق وأحسن إيمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة ابن زيد ابن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد ابن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد ابن أرقم وتكذيب عبد الله ابن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد وقال يا زيد إن الله قد صدقك وأوفى بأذنك

ق عن زيد ابن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله ابن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله ابن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقي إذا جاءك المنافقون ثم قال دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال قيل كانوا رجالا من أجمل شيء

ق عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا آل المهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري فقال دعوها فإنها خبيثة وقال عبد الله ابن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإن له نصر وإن كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله ابن عبد الله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم العزيز ففعل فقال اصحاب السير وكان عبد الله ابن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه وراك
قال ويلك مالك قال لا والله لا تدخلها ابدا الا ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلم اليوم من الاعز من الاذل
فشكى عبد الله ابن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وبان
كذب عبد الله ابن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى
راسه وقال امرتموني اذا ان اومن فامنت وامرتموني ان اعطي زكوة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه
وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية ونزل **هم الذين يقولون لا تنفقوا على**
من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه **ولله خزائن السموات والارض** يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي احد احدا
شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيته **ولكن المنافقين لا يفقهون** يعني ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة يعني في غزوة بني المصطلق **ليخرجن الاعز منها الاذل** فرد الله
عليهم بقوله **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله
عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على عدوهم واعدائهم **ولكن المنافقين لا يعلمون**
اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الاية في عبد الله ابن ابي بن سلول فلم يلبث
الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تلهكم** اي لا تشغلكم **اموالكم**
ولا اولادكم عن ذكر الله يعني عن الصلوات الخمس والمعنى لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن
ذكر الله **ومن يفعل ذلك** اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله **فاولئك هم الخاسرون** اي في تجارتهم حيث
اثروا الفاني على الباقي **وانفقوا مما رزقناكم** قال ابن عباس يريد زكوة الاموال **من قبل ان ياتي احدكم الموت**
اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسئل الرجعة **فيقول رب لولا اخرتني** اي هلا امهلتني وقيل
لو اخرت اجلي **الى اجل قريب فاصدق** اي فازكي مالي **واكن** وقرئ واكون **من الصالحين** اي المؤمنين وقيل هذه
الاية نزلت في المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسئل الرجعة وقيل الاية نزلت في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا
الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكوته او اطاق الحج ولم يحج الا سئل الرجعة عند الموت وقرا
هذه الاية واكن من الصالحين اي احج وازكي **ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها** يعني انه تعالى لا يؤخر من حضر
اجله وانقضت مدته **والله خبير بما تعملون** اي انه لو رد الى الدنيا واجيب الى ما سئل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب
شائع لكل عامل عملا من خير او شر والله اعلم بمراده **تفسير سورة التغابن** مدنية في قول الاكثرين وقيل
هي مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم الى اخر ثلاث ايات وهي ثمان عشرة
اية ومائتان واحدى واربعون كلمة والف وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد** يعني انه تعالى متصرف
في ملكه كيف يشاء تصرفا واختصاصا لا شريك له فيه وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء لان اصول النعم
كلها منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو **وهو على كل شيء قدير** يعني انه سبحانه وتعالى يفعل
ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** قال ابن عباس ان الله تعالى خلق
بني ادم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيمة كما خلقهم مؤمنا وكافرا عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم ق
عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا

اراد ان يقضي خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى
الاية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا
في تاويلها فروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقال عطا ابن
ابي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اي بان الله خلقه وهم الدهرية
واصحاب الطبايع ومنكم من يؤمن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق
المؤمن وايمانه فعلا وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار واختياره بتقدير الله وبمشيته فالمؤمن بعد خلق الله اياه
يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر
ذلك عليه وعلمه منه طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبر والقدر **والله بما تعملون**
بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن **خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن**
صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضاء
وقد علم ان صورة الانسان احسن صورة واكملها **واليه المصير** اي المرجع في القيمة **يعلم ما في السموات والارض**
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم قوله تعالى **الم ياتكم** يخاطب كفار مكة **نبؤا الذين كفروا من قبل** يعني خبر
الامم الخالية **فذاقوا وبال امرهم** اي جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا **ولهم عذاب اليم** في الاخرة
ذلك اي الذي نزل بهم من العذاب **بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا** معناه انهم انكروا
ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا **فكفروا** اي جحدوا
وانكروا **وتولوا** اي اعرضوا **واستغنى الله** اي عن ايمانهم وعبادتهم **والله غني** اي عن خلقه **حميد** اي في افعاله
ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل** اي قل لهم يا محمد **بلى وربي**
لتبعثن يوم القيمة **ثم لتنبؤن** اي لتخبرن **بما عملتم وذلك على الله يسير** اي في امر البعث والحساب
يوم القيمة **فامنوا بالله ورسوله** لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فامنوا انتم بالله
ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة **والنور الذي انزلنا** يعني القران سماه نورا لانه يهتدى به في ظلمات
الضلال كما يهتدى بالنور في الظلمة **والله بما تعملون خبير** يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا
فراقبوه وخافوه قوله عز وجل **يوم يجمعكم ليوم الجمع** يعني يوم القيمة يجمع الله فيه الاولين والاخرين واهل السموات
واهل الارضين **ذلك يوم التغابن** من الغبن وهو فوت الحظ المراد في المجاناة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشيء
بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله في الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر
يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما في الجنة
ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا فصار في الاخرة غابنا لظالمه
واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكره في حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا في شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين **ومن يؤمن بالله** اي على ما جاءت به الرسل
من الايمان بالبعث والجنة والنار **ويعمل صالحا** اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك **يكفر عنه سيئاته ويدخله**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا
اي بوحدانية الله وقدرته **وكذبوا باياتنا** اي الدالة على البعث **اولئك اصحاب النار**

خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اى بقضاء الله وقدره
وارادته ومن يؤمن بالله اى يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله
وقدره واذنه يهد قلبه اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
فيسلم لقضاء الله وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والله بكل شيء عليم واطيعوا الله
اى فيما امر واطيعوا الرسول اى فيما جاء به من عند الله وما امركم به فان توليتم اى عن اجابة الرسول فيما
دعاكم اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو اى لا معبود ولا مقصود الا هو
وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم عن ابن عباس قال هؤلاء رجال من اهل مكة اسلموا وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا
على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فراى الذين قد سبقوا بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم
ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فامره الله
بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء ابن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو
بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
بحملكم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فلا تعاقبوهم على
خلافكم فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة
وقد يقع الانسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر
عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب اولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم قال بعضهم
لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم لا يخلوا عن الفتنة
واشتغال القلب بهم وكان عبد الله ابن مسعود يقول لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس
يرجع احد منكم الى اهل ومال وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن
عن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران
يمشيان ويعثران فنزل رسول الله عليه السلام عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم
واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وقوله فاتقوا الله ما استطعتم اى ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله اتقوا الله حق
تقاته واسمعوا واطيعوا اى لله ولرسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه وانفقوا اى من حق الله الذي امركم به
خيرا لانفسكم اى ما انفقتم في طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره
ان تقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا اى تنفقوا في طاعة الله
متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة ويغفر لكم والله شكور
يعني يحب المتقربين اليه حليم اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم
والله اعلم بمراده واحكم

تفسير سورة الطلاق

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومائتان وتسع واربعون

كلمة

كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب
الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اردتم تطليقهن
فطلقوهن لعدتهن اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق
فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن وطلقوهن من قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لان غير
المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امراته في حال الحيض ق عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها
فتلك العدة التي امر الله بها ان يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها
وراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة
يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حائضا فقال طلق ابن عمر امراته وهي حائض على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرا
النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن من قبل عدتهن

فصل

اعلم ان الطلاق
في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل
ان يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقراء واما اذا
طلق غير المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض او الايسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها
او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها
طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت
ابن قيس في مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعرف الحال ولو طلق امراته
في حال الحيض او في طهر جامعها قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة
فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك
الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس وابن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب
استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة
في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم كما لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي
واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله تعالى واحصوا العدة اى عدوا اقراءها
فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة
ومراعاة النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم اى واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من
بيوتهن يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لزوجة بملك او كرا وان كان عارية فارتجعت كان على
الزوج ان يكري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا
يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة ان خافت
هدما او غرقا جاز ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج
نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله

[Marginal note:] ليشعر ان العداوة ولم يدخل من في قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم كلهم

صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند أحدهن فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لخالة جابر طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها فإذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة والبدوية
تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم وقوله تعالى إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة
أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه إلا أن يطلقها على نشوزها
فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة وتلك حدود الله
يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الأحكام ومن يتعد حدود الله أي يطلق لغير السنة أو يتجاوز
هذه الأحكام فقد ظلم نفسه أي ضر نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا أي يوقع في قلب الزوج
مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة
حتى إذا ندم أمكن المراجعة عن محارب بن دثار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيئا أبغض إليه من
الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال إلى الله
الطلاق وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فيه
حرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي قوله تعالى فإذا بلغن أجلهن أي إذا قربن من انقضاء
عدتهن فأمسكوهن أي راجعوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن
فتبين منكم وأشهدوا ذوي عدل منكم أي على الرجعة والفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق وعن عمران
ابن حصين أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير
سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود وهذا الإشهاد مندوب إليه
عند أبي حنيفة كما في قوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وفائدة
هذا الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها وأن لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية
ليرث وقيل أمر بالإشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا غيره وأقيموا
الشهادة لله يعني أيها الشهود لله أي طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وأدوها على الصحة
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا
قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك أسر ابن له
يسمى مالكا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم اتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل
عنه العدو فأصاب منهم إبلا وجاء بها إلى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه
وهي أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم
وقيل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل
ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء
هو أن يعلم أنه من قبل الله فإن الله رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من
كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني من يثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا إن الله بالغ أمره أي منفذ أمره وممض في خلقه ما أقضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا أي جعل لكل

شيء من شدة أو رخاء أجلا ينتهي إليه وقال مسروق في هذه الآية إن الله بالغ أمره توكل عليه أو لم يتوكل عليه غير أن
المتوكل يكفر له سيئاته ويعظم له أجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري يا رسول الله فما عدة من تحيض
والتي لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللائي قعدن عن
الحيض فلا يرجون أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض إن ارتبتم أي شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن
فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن يعني الصغائر اللائي لم يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما
الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي
حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت
وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر أنها تتربص تسعة أشهر فإن لم
تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فإن لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة
الطلاق وأما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما الحامل فعدتها
بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن
(ق) عن سبيعة الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة
الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل
ابن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك متجملة للخطاب ترجين النكاح وإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر
عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي لفظ البخاري ولمسلم
نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وإن كانت في دمها غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ذلك أي ذلك الذي ذكر من الأحكام
أمر الله أنزله إليكم أي لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا قوله تعالى أسكنوهن يعني مطلقات
نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم أي من سعتكم وطاقتكم فإن كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وإن كان
فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن أي لا تؤذوهن لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن
وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن أي فيخرجن من حملهن أو من عدتهن

(فصل)

في حكم الآية اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى
مؤنة السكنى فإن كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملكا للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها
مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها دارا تسكنها وأما
المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم
وروي عن ابن عباس أنه قال لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا وعن الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه
لا نفقة لها إلا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس والحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل
حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق
إلا أن تكون حاملا لقوله تعالى وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة
فما روي عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال
والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة فأمرها

ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي فاعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك فاذا
حللت فاذنيني قال فلما حللت ذكرت له ان معاوية ابن ابي سفيان وابا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة ابن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة
بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر ان تعتد في بيت ام عمرو ابن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كانت
فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد ابن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها
ذرابة واما المعتدة عن وطي الشبهة والمفسوخة بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما
المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى
تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث
تشاء وهو قول علي وابن عباس وعايشة وبه قال عطا والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى بما روي عن الفريعة
بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسئله ان ترجع الى اهلها
في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت
حتى كنت في الحجرة ناداني فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شان زوجي فقال امكثي
في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسئلني
عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه للفريعة اولا بالرجوع
حتى صار منسوخا بقوله اخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث في بيتها
امر استحباب لا وجوبا قوله عز وجل **فان ارضعن لكم** يعني اولادكم **فاتوهن اجورهن** يعني على رضاعهن
وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لامكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تاخذ عليه اجرا وفيه دليل على
ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد **واتمروا بينكم بمعروف** اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امر
بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان ياتوا بالمعروف وما هو الاحسن
ولا يقصدا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا المراة في حق الولد ورضاعه **و**
ان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي المراة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه
فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستاجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله **فسترضع له اخرى لينفق ذو**
سعة من سعته اي على قدر غناه **ومن قدر** اي ضيق **عليه رزقه** فكان بمقدار القوت **فلينفق مما اتاه الله**
اي قدر ما اتاه الله من المال **لا يكلف الله نفسا** اي في النفقة **الا ما اتاها** يعني من المال والمغني لا يكلف الفقير
مثل ما يكلف الغني في النفقة **سيجعل الله بعد عسر يسرا** اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة وقوله تعالى **وكاين من**
قرية عتت اي عصت وطغت والمراد اهل القرية **عن امر ربها ورسله** اي وامر رسله **فحاسبناها حسابا**
شديدا اي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها في الكفر فجزاها النار وهو قوله **وعذبناها عذابا**
نكرا اي منكرا فظيعا وقوله فظيعا بالفاء والظاء المشالة اي شنيعا وفيه تقديم وتاخير مجازها فعذبناها في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف وساير انواع البلاء وحاسبناها في الاخرة حسابا شديدا **فذاقت وبال امرها** اي شدة
امرها وجزاء كفرها **وكان عاقبة امرها خسرا** اي خسرانا في الدنيا والاخرة **اعد الله لهم عذابا شديدا** يخوف
كفار مكة ان ينزل بهم ما نزل بالامم الماضية **فاتقوا الله يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال **الذين**
امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا يعني القران **رسولا** اي وارسل اليكم رسولا **يتلوا عليكم ايات الله مبينات**

دليل

قوى

قال احسن الله اوله رزقه

قرئ مبينات بالخفض اي يتبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات **ليخرج الذين**
امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة
الجهل الى نور العلم **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا**
يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة **الله الذي خلق سبع سموات**
يعني بعضها فوق بعض **ومن الارض مثلهن** اي في العدد **يتنزل الامر بينهن** اي الوحي الذي
خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات وياتي
بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال الى حال فيحكم بحيوة
بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمائه وارض من ارضه خلق من خلقه وامر
من امره وقضاء من قضائه **لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما**
يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات تحت قدرته
داخلة في علمه والله اعلم

تفسير سورة التحريم

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومايتان وسبع واربعون
كلمة والف وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم**
ذكر سبب نزولها ق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى وكان اذا
انصرف من العصر دخل على نسايه فيدنو من احديهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فعرفت
فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة فيها عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة
فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة فقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت
مغافير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه
الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وساقول ذلك وقولي انت يا صفية
ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت ابادره بالذي قلت وانه لعلى الباب
فرقا منك فلما دنى منها قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال
سقتني حفصة شربة عسل قال جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت
له يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قال لها اسكتي
ق عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا
فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم ان تقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت
مغافير فدخل على احديهما فقالت ذلك له اكلت مغافير فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له
فنزل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
لقوله بل شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا زاد في رواية تبتغي مرضات ازواجك
شرح غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل
الحلوى بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوى تنبيها على شرفه ومزيته وهو
من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع في الرواية واصله
فتواطات بالهمز اي اتفقت انا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح مغافير وهو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو
صمغ حلو كالناطف وله رايحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل

رسول الله صلى

العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمرة خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه و
هو كل شجر له شوك وقيل رايحته كرايحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رايحة كريهة قولها
جرست نحلة العرفط هو بالضم هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه اكلت نحلة العرفط فصار منه العسل قوله
في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب
وان عايشة وسودة وحفصة هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث
حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فايدة يريد قوله تعالى
وان تظاهرا عليه فهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسياتي الحديث قال وقد
انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه الشرب وكان عند حفصة قال القاضي عياض
والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي ايضا وقال
المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسايه فلما كان يوم حفصة استاذنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها
بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه
يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي
اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي احلها الله لي
اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة
الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله
منها واخبرت عايشة بما رات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عايشة فلم يزل
نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له
امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي
الاية اخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول هذه الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في غير الصحيحين
ولم تات قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عايشة في العسل جيد صحيح غاية واما التفسير فقوله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم امتناع عن
الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعدما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع
بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضات ازواجك اي تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اي
غفر لك التحريم **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم** اي بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة
المايدة فامر الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة **والله موليكم** اي وليكم وناصركم **وهو العليم**
اي بخلقه **الحكيم** اي فيما فرض من حكمه **فصل** اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال
لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او
اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه
كفارة اليمين وان قال ذلك لطعام وحرمته على نفسي فلا شي عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين
واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيا ففيه قولان للشافعي احدهما انه يلزمه كفارة يمين والثاني لا شي عليه وانه لغو
لا يترتب عليه شي من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا يجب عليه الكفارة
ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطاها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكله واليه

ذهب

وفي رواية اذا حرم امرأته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة صح

ذهب ابو حنيفة واصحابه **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى **واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا** يعني ما اسر الى حفصة من
تحريم مارية على نفسه واستكتمها بذلك وهو قوله لا تخبري بذلك احدا وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به
حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة
اراد ان يتراضاها فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر **فلما نبات به**
اي اخبرت بذلك حفصة عايشة **واظهره الله عليه** اي اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة
لعايشة **عرف بعضه** قري بتخفيف الراء اي عرف بعض الذي فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها
فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وامره
بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها
صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة وقري عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما
كان منها **واعرض عن بعض** اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى
عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة وهو تحريم
الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس **فلما نباها به** اي اخبر
حفصة بما اظهره الله عليه **قالت** يعني حفصة **من انباك هذا** اي من اخبرك باني افشيت السر
قال نباني العليم اي بما تكنه الضماير **الخبير** بخفيات الامور قوله عز وجل **ان تتوبا الى الله** يخاطب
عايشة وحفصة اي في التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له **فقد صغت قلوبكما** اي زاغت
ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بانه سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية
ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق
عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري
كره الله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما
قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساوهم فطفق نساونا يتعلمن من نسايهم قال وكان منزلي في بني امية بن زيد بالعوالي
فغضبت يوما على امراتي فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت افتامن احداكن
ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تسأليه شيا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد
عايشة وكان لي جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وياتيني بخبر الوحي وآتيه
بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني
فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا اجاءت غسان قال لا بل اعظم منه واهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت
فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله قالت لا ادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له

وغيره

اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس
يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت
فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فولّيت
مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على
رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع راسه الي فقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا يا رسول الله
وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي
يوما فاذا هي تراجعني فانكرت ان تراجعني فقالت ما تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه
وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداكن ان يغضب الله لغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة
فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس
يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت
يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا افي شك
انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان قد اقسم ان لا يدخل
عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري
فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله
انك اقسمت انك لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت في تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون زاد في رواية
وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري ابويك
ثم قال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار
الاخرة زاد في رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلني مبلغا
ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن
النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت
واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه
انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى
باعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه ۞ شرح بعض الفاظه قوله فعدلت منه بالاداوة فمكثت معه بالركوة فتبرز اي
اتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي اماكن باعلى اراضي المدينة قوله ولا يغرنك
ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة اوسم منك اي اكثر حسنا وجمالا منك قوله وكنا نتناوب النزول
هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الاخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير
يقال رملت الحصير اذا ظفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر
الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى
وان تظاهرا عليه اي تتعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم فان الله هو مولاه اي وليه وناصره
وجبريل اي وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها

على علو منزلته ومكانته وصالح المؤمنين روي عن ابن مسعود وابي بن كعب صالح المؤمنين ابو بكر
وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء والملائكة بعد ذلك
اي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير اي اعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى ربه
اي واجب من الله ان طلقكن يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبدله ازواجا خيرا منكن ثم وصف
الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال مسلمات اي خاضعات لله بالطاعة مؤمنات اي مصدقات
بتوحيد الله تعالى قانتات اي تاركات للذنوب لقبحها تائبات اي كثيرات التوبة عابدات اي كثيرات العبادة
سائحات اي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوجت
ثم بانت بوجه من الوجوه وابكارا اي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان
طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته واهليكم يعني مروهم
بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك نارا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لانه اشد
الاشياء حرا واسرع ايقادا عليها ملائكة يعني خزنة النار يعني الزبانية غلاظ اي فظاظ على النار شداد
يعني اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما امرهم اي لا
يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون اي لا تأخذهم رأفة في تنفيذ اوامره والانتقام
من اعداء الله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم اي يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار
وشدتها لانها قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار انما تجزون
ما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
ذات نصح اي تنصح صاحبها بترك العود من الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح
ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على
ان لا يعود اليه وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة
تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان
واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان **فصل** قالت العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور
ولا يجوز تاخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي
فلها ثلاث شروط ان يقلع عن الذنب اي المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها فاذا اجتمعت
هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة
هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد
قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب
من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب و
السنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا
الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة الحديث م عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل

حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده
في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
يعني على الصراط يقولون ربنا يعني اذا اطفئ نور المنافقين اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير
تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبهها وحالا للذين كفروا امرات نوح واسمها واعلة
وامرات لوط واسمها واهلة وقيل اسمها واعلة ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط
عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما كانت
خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها
واما امراة لوط كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها انه نزل به ضيف بالنهار
واذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
اي لم يدفعا عن امراتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى
للصالحين والصالحات من النساء وانه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة
متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل به الكافر نبيا كامراة نوح وامراة لوط
لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امراتيهما شيئا فقطع بهذه الاية طمع من يرتكب المعصية وانه ينفعه صلاح غيره
وفي هذا المثل تعريض بامي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا
آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المؤمن بالكافر لا تضر فقال تعالى وضرب الله مثلا
للذين امنوا امرات فرعون يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به فلما تبين
لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها
اظلتها الملائكة اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر
بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء
وانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب
فيها ونجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين
يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفواحش المحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب
درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها
يعني الشرايع التي شرعها الله تعالى لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه وكتبه يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى
وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين اي المطيعين وهم رهطها
وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح والله اعلم بمراد احكامه

تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك

وهي مكية وهي ثلثون اية وثلثماية وثلثون كلمة والف وثلثماية وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث

حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا
يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه
من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل تبارك الذي بيده الملك اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على
كل شيء قدير اي من الممكنات الذي خلق الموت والحيوة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله
الدنيا دار حيوة وفناء وجعل الاخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه
اقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموت كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم اعترضت عليها الحيوة
وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلقت الحيوة على صورة فرس بلقاء
وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها
فالقيها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية متضادة للحيوة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة
الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضد الحيوة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان
حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحيوة
ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد بالدنيا ولم يصل اليه الثواب في الاخرة ليبلوكم اي ليختبركم فيما بين الحيوة
الى الموت ايكم احسن عملا روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى
واسرع في طاعته وقال الفضيل ابن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا
صوابا فالخالص اذا كان لله تعالى والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا وهو العزيز اي الغالب
المنتقم ممن عصاه الغفور اي لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا
يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار
سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر وقال نحاس والخامسة
فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء الى الحجب السبعة صحارى من نور ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة
مستوية فارجع البصر اي كرر النظر هل ترى من فطور اي من شقوق وصدوع ثم ارجع البصر كرتين
قال ابن عباس مرة بعد مرة ينقلب اي ينصرف اليك البصر خاسئا اي صاغرا ذليلا مبعدا
لم تر ما تهوى وهو حسير اي كليل منقطع لم يدرك ما طلب ولقد زينا السماء الدنيا اي الادنى من الارض
وهي التي يراها الناس بمصابيح اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم
لها نور وقيل خلق الله تعالى النجوم لثلث زينة السماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين
وهو قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت
جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين
الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعل نور يرمى
بها الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ منه النار وهي على حالها واعتدنا لهم اي واعتدنا
للشياطين بعد الاحتراق في الدنيا عذاب السعير اي في الاخرة وهي النار الموقدة وللذين كفروا بربهم
اي ما هذا العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس او جن عذاب جهنم وبئس المصير ثم وصف
جهنم فقال تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا هو اول صوت الحمار وذلك اقبح الاصوات

وهي تفور أي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء بالحب القليل تكاد تميز أي تنقطع من
الغيظ أي من غيظها عليهم كلما ألقي فيها فوج أي جماعة سألهم خزنتها سؤال التوبيخ والتقريع ألم يأتكم
نذير أي رسول ينذركم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا يعني للرسل ما نزل الله من شيء وهذا اعتراف
منهم بأن أزاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير فيه وجهان
أحدهما وهو الأظهر أنه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم
في الدنيا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أي من الرسل ما جاءوا به أو نعقل أي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا
نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ما كنا في أصحاب السعير وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ويعقل عقل من يميز وينظر
ويتفكر ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم هو في معنى الجمع أي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شيء
فسحقا أي بعدا لأصحاب السعير قوله عز وجل إن الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا
من عذابه لهم مغفرة أي لذنوبهم وأجر كبير يعني جزاء أعمالهم الصالحة وأسروا قولكم أو اجهروا به قال ابن عباس
نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم
كي لا يسمع إله محمد فأخبر الله تعالى أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى إنه عليم بذات الصدور ثم أكد ذلك بقوله تعالى
ألا يعلم من خلق يعني ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما في صدور من خلق وهو اللطيف
أي باستخراج ما في الصدور الخبير بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا الذلول
المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا تمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها فامشوا في مناكبها أمر إباحة وكذا
قوله وكلوا من رزقه ومناكبها جوانبها وأطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي
سهل لكم السلوك في جبالها وهو أبلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله تعالى في الأرض وإليه النشور أي وإليه تبعثون
من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى أأمنتم من في السماء قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء إن عصيتموه
أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أي تتحرك بأهلها وقيل تهوي بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم
إلى أسفل وتعلو الأرض عليهم وتمور فوقهم أي تجيء وتذهب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي ريحا ذات
حجارة كما فعل بقوم لوط فستعلمون أي عند الموت في الآخرة كيف نذير أي إنذاري إذا عاينتم العذاب ولقد كذب الذين
من قبلهم أي من قبل كفار مكة وهم الأمم الخالية فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم أليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل
أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات أي باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن أي ويضممن أجنحتهن إذا ضربن بها
جنوبهن بعد البسط ما يمسكهن أي في حال القبض والبسط إلا الرحمن والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها
وثبوتها في الجو إلا بإمساك الله تعالى إياها وحفظه لها إنه بكل شيء بصير يعني أنه تعالى لا يخفى عليه خافية أمن هذا
الذي هو جند لكم استفهام إنكاري أي لا جند لكم ينصركم أي يمنعكم من دون الرحمن أي من عذاب الله تعالى قال ابن عباس أي ينصركم
مني إن أردت عذابكم إن الكافرون إلا في غرور أي من الشيطان فيغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم أمن هذا الذي
يرزقكم إن أمسك رزقه يعني من ذا الذي يرزقكم المطر إذا أمسك الله عنكم بل لجوا أي تمادوا في عتو أي تكبر ونفور
أي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال أفمن يمشي مكبا على وجهه أي كانا بأرأسه في الضلالة والجهالة
أعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر أكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة أهدى
أي هو أهدى أمن يمشي سويا أي قائما معتدلا يبصر الطريق على صراط مستقيم يعني المؤمن يمشي يوم القيامة سويا قل هو الذي
أنشأكم أي خلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة يعني أنه تعالى ركب فيكم هذه القوى ضيعتموها فلم تقبلوا
ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقت له فلهذا

قال قليلا ما تشكرون وذلك لأن شكر نعم الله تعالى صرفها في وجه مرضاته فلما صرفتموها في غير مرضاته فكأنكم ما شكرتم
رب هذه النعم الواهب لها قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم وبثكم في الأرض وإليه تحشرون أي يوم القيامة
والمعنى أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين هذا السؤال
يحتمل وجهين أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه سؤال عن القيامة فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله قل إنما العلم
عند الله وإنما أنا نذير مبين أمره بإضافة العلم إلى الله تعالى وتبليغ ما أوحي إليه فلما رأوه يعني العذاب في الآخرة على قول
أكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة أي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا أي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى
قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم أي وقالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون أي من الدعاء أي تتمنون
وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك أرأيتم إن
أهلكني الله ومن معي أي من المؤمنين أو رحمنا أي بإبقائنا وأخر في آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم
أي أنه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم إن أهلكني الله أي فعذبني ومن معي أو رحمنا أي فغفر لنا فنحن مع إيماننا
خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل
أي قل لهم في إنكاره عليهم وتوبيخا لهم هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا أي نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم
فستعلمون أي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين أي نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على
طريق الاحتجاج فقال تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا قيل يريد زمزم وغيرها من المياه غورا أي غائرا
ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء فمن يأتيكم بماء معين أي ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء
وقال ابن عباس أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني
إن صار ماؤكم غورا ذاهبا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم فلم تجعلون معه
من لا يقدر على شيء أصلا شريكا في العبودية فهذا محال والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة ن والقلم

وهي اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الأرض وعنه أن أول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم
القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس
ن والقلم وما يسطرون قيل إن اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل ليوثيا وعن علي بليوث قال أصحاب السير والأخبار لما خلق الله
تعالى الأرض ومعها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن
لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك
على سنامه فلم يستقر قدمه فأخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام
الثور إلى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم
نفسا فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع
أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى
نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة
ثقل الدنيا بما عليها حرفا فقال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت
التي على ظهره الأرض فوسوس إليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا لوثا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لألقيتهم عن
ظهرك فهم لوثا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الأحبار
فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا أن نون هو الدواة

ومنه قول الشاعر • اذا ما الشوق برح بي اليهم • الفت النون بالدمع السجام • قال المولف اراد بالنون الدواة وعن ابن
عباس ايضا ان نون حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة **والقلم**
هو القلم الذي كتب الله تعالى به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق
نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على امر قد فرغ منه **وما يسطرون**
اى وما تكتب الحفظة من اعمال بنى ادم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون
اى به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع **ما انت** يا محمد **بنعمة ربك بمجنون** هذا جواب القسم
اقسم بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى
انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما
يقال ما انت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية
والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافى
حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الاية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون **وان لك لاجرا غير ممنون** اى غير
منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد • عبس كواسب ما يمن طعامها • اى ما يقطع بذلك الكلام باضافته وقيل في معنى
الاية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح
وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى
والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي
قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى **وانك لعلى خلق عظيم** وهو كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك
بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية
تسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز
من الشح والبخل والتشديد في المعاملات وتستعمل في حسن الخلق التحبب للناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة
بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزمه من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر
واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال
ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه
على دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القرآن سئلت عايشة عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله تعالى وينتهى عنه من نهى الله تعالى
والمعنى وانك على الخلق الذي امرك الله به في القرآن وقيل سمى الله تعالى خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله
تعالى خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين **فصل** في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك ما روى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى بعثني لتمام مكارم الاخلاق
وتمام محاسن الافعال م عن النواس بن سمعان قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال صلى الله عليه
وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس عن عايشة رضى الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم والقايم اخرجه ابو داود وعنها انها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل في ميزان المومن يوم القيمة من حسن الخلق

وان الله

وان الله تعالى يبغض الفاحش البذي اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
من احبكم الى واقربكم منى مجلسا يوم القيمة احسنكم خلقا ق عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احسنكم اخلاقا ق عن انس رضى الله
عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط وما قال لشيء لم فعلت كذا زاد الترمذي
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان الين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عنه قال
ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا دعى وعنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف
وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له اخرجه الترمذي ق عن عايشة رضى الله عنها
قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
عنه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله ق عن انس قال كنت امشى
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة
عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء ق عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طاير
صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار م عن الاسود قال سالت عايشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في
بيته قالت كان يكون في مهنة اهله فاذا حضرت الصلوة يتوضأ ويخرج الى الصلوة المهنة الخدمة عن عبد الله بن الحرث
بن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى **فستبصر** يا محمد
ويبصرون يعنى اهل مكة اذا انزل بهم العذاب **بايكم المفتون** قال ابن عباس معناه بايكم المجنون وقيل الباء بمعنى
في معناه فستبصر ويبصرون في اى الفريقين المجنون في فريقك ام في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا
انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل **فلا تطع المكذبين**
يعنى مشركى مكة انهم دعوه الى دين ابائه فنهاه الله تعالى ان يطيعهم **ودوا لو تدهن فيدهنون** اصل الادهان اللين
والمصانعة والمقاربة في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الاية
انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون
لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم ويعبدون الله مدة **ولا تطع كل حلاف** اى كثير الحلف بالباطل
مهين اى ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان
انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق **هماز** اى
مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس **مشاء بنميم** اى قتات يسعى بالنميمة ليفسد
بين الناس **مناع للخير** اى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم
في دين محمد صلى الله عليه وسلم لا انفعه بشيء ابدا **معتد** اى ظلوم يتعدى **اثيم** اى فاجر يتعاطى الاثم **عتل** اى

عليظ جاف وقيل هو الفاحش الخلق السيء الخلق وقيل هو الشديد في الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد في كفره وقيل العتل الاكول
الشروب القوى الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة **بعد ذلك**
اى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة **زنيم** وهو المدعي الملصق في القوم وليس منهم وقال ابن عباس يريد مع هذا هو دعي
قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية
نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن
قتيبة لا نعلم ان الله عز وجل وصف احدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق بها عارا لا يفارقه في الدنيا
ولا في الآخرة **ان كان ذا مال وبنين** قرئ على الخبر معناه فلا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اى لا تطعه
لماله وبنيه وقرئ ان كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ا لئن كان ذا مال وبنين **اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير**
الاولين اى جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لئن كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده
فقال تعالى **سنسمه على الخرطوم** اى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه
فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اى سنسمه
ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه
قوله تعالى **انا بلوناهم** اى اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع **كما بلونا اصحاب الجنة** روى عن ابن عباس في قوله تعالى
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطأه اهل الطريق وكان غرسه قوم
من اهل الصلاح فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح
من فوق النخل الى البساط فكل شيء يخرج عن البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين
واذا داسوه كان لهم كل شيء ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان
العيال لكثير وانما هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع ان نفعل
فتحالفوا بينهم يوما ليغدن غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى **اذ اقسموا** اى تحالفوا **ليصرمنها**
اى ليقطعن ثمرها **مصبحين** اى اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين **ولا يستثنون** اى ولم
يقولوا ان شاء الله وقيل ولا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم **فطاف عليها طائف من ربك** اى عذاب من ربك ولا
يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى **وهم نائمون** وكان ذلك الطائف نارا انزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى
فاصبحت اى الجنة **كالصريم** اى كالليل الاسود المظلم وقيل اي صرم منها الخير فليس فيها شيء ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد
الاسود وهو بلغة خزيمة **فتنادوا** اى فنادى بعضهم بعضا **مصبحين** يعني فلما اصبحوا **ان اغدوا على حرثكم** يعني
على الثمار والزروع والاعناب **ان كنتم صارمين** اى قاطعين ثماركم **فانطلقوا** اى مشوا اليها **وهم يتخافتون**
اى يتشاورون يقول بعضهم لبعض سرا **ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** اى على قصد ومنع وغضب وقيل معناه
على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة **قادرين** اى عند
انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد **فلما راوها** اى راوا الجنة محترقة **قالوا انا لضالون** اى اخطأنا
الطريق اضللنا مكان جنتنا فليس هذه مكان جنتنا **بل نحن محرومون** اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا
المساكين وتركنا الاستثناء **قال اوسطهم** اى اعدلهم واعقلهم وافضلهم **الم اقل لكم لولا تسبحون** اى هلا تستثنون
انكر عليهم ترك الاستثناء في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون سماه تسبيحا لانه تعظيم لله تعالى واقرار بانه لا يقدر احد
على شيء الا بمشيئته وعلى التفسير الثاني ان الاستثناء بمعنى لا يتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون تنوون
وتستغفرون الله تعالى من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون

الله تعالى وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه **قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين** اى معناه انهم نزهوه عن
الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اى بمنعنا حق الفقراء والمساكين حقوقهم **فاقبل**
بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا **قالوا يا ويلنا** نادوا على انفسهم بالويل
انا كنا طاغين اى في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا نعم الله تعالى فلم نشكرها ولم نصنع ما كان
يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا **عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون**
قال ابن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله عز وجل منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب
يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى **كذلك العذاب** اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا
يخوف بذلك كفار مكة ثم قال الله تعالى **ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون** ثم اخبر بما اعد الله تعالى
للمتقين فقال تعالى **ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم** اى عند ربهم في الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا
نعطى في الآخرة افضل مما يعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين **افنجعل المسلمين كالمجرمين** يعني ان التسوية بين المسلم
والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم
على طريق الالتفات **ما لكم كيف تحكمون** يعني هذا الحكم المعوج **ام لكم كتاب** اى نزل من عند الله **فيه** اى في ذلك الكتاب
تدرسون اى تقرؤون **ان لكم فيه** اى في ذلك الكتاب **لما تخيرون** اى تختارون وتشتهون **ام لكم ايمان**
علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا **الى يوم القيامة** اى لا
تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة **ان لكم** اى في ذلك العهد **لما تحكمون** اى لانفسكم من الخير والكرامة
عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم **سلهم ايهم بذلك زعيم** اى ايهم كفيل لهم في الآخرة
ما للمسلمين **ام لهم شركاء** اى بل شركاء يعني ما كانوا يجعلون لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها
شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون ويصدقون ما اعدوه **فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين** اى في دعواهم
يوم اى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم **يكشف عن ساق** اى عن امر فظيع شديد
قال ابن عباس هو اشد ساعة في القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع في امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة
شمر عن ساقه اذا اقام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب ساقها وسئل ابن عباس عن هذه الآية
فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر • من لنا قومك ضرب الاعناق
وقامت الحرب بنا على ساق • ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشده
ابو عبيدة لقيس بن زهير • فاذا شمرت لك عن ساقها • فرنها ربيع فلا تسام • ومنها قول جرير • اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن ابي سعيد الخدري ان ناسا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية
الشمس بالظهيرة صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون
في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام و
الانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله عز وجل من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود
فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا
يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا
من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله تعالى في ادنى صورة من التي راوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد
قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله

شيئا مرتين او ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا
يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله تعالى ظهره طبقة واحدة
كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي راوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا
ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف
وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد
الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد
باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا
ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا حتى اخذت النار الى نصف ساقه
والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقال ارجعوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول
اذا لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار
ليخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر الكوثر نهر في افواه الجنة يقال له الحيوة فيخرجون كما تخرج
الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون
ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن الذي ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه
ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم
عندي ما هو افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخاري
نحوه بمعناه **فصل** في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرؤية وما يتعلق بها فسياتي الكلام عليها في موضعها
ان شاء الله تعالى قوله اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة راوه فيها وفي رواية فياتيهم الله
تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاءنا عرفناه
فياتيهم الله في صورته التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين النواوي وغيره اعلم
ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو مذهب معظم السلف او كلهم
انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا الجازم ان الله
تعالى ليس كمثله شيء وانه تعالى منزه عن التجسيم والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق وهذا القول هو مذهب جماعة من
المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم
يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني مذهب معظم
المتكلمين انها تؤول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تاويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله
صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله اذ الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان
فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل ياتيهم الله اي بعض ملائكته قال
القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات الحدث
الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه ياتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه

صفات الله

صفات الله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه من علامات المخلوق ما
ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فياتيهم الله في الصورة التي يعرفونها
فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يعرفونها ويعلمونها وانما عرفوه بصفته
وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم يرونه لا يشبه شيئا من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت
ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد
اتاهم الله في ادنى صورة من التي راوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي انه لا يشبهه شيء وقوله نعوذ بالله
منك اي لا نشرك بالله انما استعاذوا بالله لما قدمناه من كونهم راوا سمات المخلوق وقوله فيكشف عن ساق وفي رواية
البخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابي فيحتمل ان يكون
المعنى وقوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير
كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح ابن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي ياتي باحاديث
منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون وفي اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد
للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين
من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن الساق
المعتادة وقيل معناه كشف الخوف وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند
ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذه الرواية في هذا المقام يوم القيمة غير الرؤية التي هي في
الجنة لكرامة اولياء الله تعالى وانما هذه الرؤية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله
ظهره طبقة واحدة كالصفيحة اي فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد زال
المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط
وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من يحل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلة اي تزلق فيه الاقدام
ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها
اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في
نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شيء اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اي
يلقى ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر ممدود على متن جهنم وهو ارق
من الشعر واحد من السيف فيمر الناس عليه كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في
جهنم اعاذنا الله تعالى منها ومعنى مناشدة المؤمنين لله يوم القيمة في الشفاعة لاخوانهم الذين في النار وقوله فمن وجد
في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال
والصحيح ان معناه شيء زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل
صالح وذكر خفي وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثلا لاقل
الخير لان ذلك اقل المقادير وقوله المؤمنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء
وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده
الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اي جمع جماعة قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة جمع فوه

وهو اول النهي فيخرجون كاللؤلؤ اي في الصفا في رقابهم الخواتيم قيل معناه انه يعلق في رقابهم اساور من ذهب
او غير ذلك مما يعرفون بها والله تعالى اعلم قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون السجود يعني الكفار
والمنافقين تصير اصلابهم كصياصي البقر او كصحيفة نحاس فلا يستطيعون السجود خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبها وتسود
وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وحسرة وندامة وقد كانوا يدعون الى السجود يعني كانوا يدعون
الى الصلوة المكتوبة بالاذان وذلك انهم كانوا يسمعون حي على الصلوة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون
يعني انهم كانوا يدعون الى الصلوة وهم اصحا فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون
عن الجماعة قوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي دعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم ولا
تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك اياهم سنستدرجهم اي سناخذهم بالعذاب من حيث لا يعلمون
فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل في معنى الاية كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة او انسيناهم الاستغفار والتوبة
وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم
اذا تجددت عنده نعمة ان يقابلها بالشكر واذا اذنب ذنبا ان يعالجه بالتوبة واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة
وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم ان كيدي متين اي عذابي شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون
بمعنى الاستدراج المؤدي للعذاب ام تسألهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة
والمعنى اتطلب منهم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب
فهم يكتبون اي عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار فاصبر لحكم
ربك اي اصبر على اذيتهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن في الضجر كصاحب الحوت يعني يونس
ابن متى اذ نادى اي في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملوء غما لولا ان تداركه نعمة من ربه اي حين
رحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء اي لطرح في الفضاء من بطن الحوت على الارض وهو مذموم اي يذم ويلام
بالذنب وقيل في معنى الاية لولا نعمة ربه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بالعرا يوم القيمة اي بارضها وفضائها فان
قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاث اوجه احدها ان كلمة لولا تدل
على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه
الوقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله فاجتباه ربه والفاء للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه
فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وذلك ان الكفار ارادوا
ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين
في بني اسد حتى اذا كانت الناقة والبقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا من لحم هذه
فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل
فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فيفعل به مثل ذلك فعصم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس ينفذونك وقيل يصيبونك باعينهم كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك
وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة
والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن هذا النظر
بسماع القرآن وهو قوله لما سمعوا الذكر لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة يحدون النظر اليه بالبغضاء

في دار الدنيا بسهم

ويقولون

ويقولون انه لمجنون اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم وما هو يعني القرآن الا
ذكر للعالمين قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابة العين ان يقرأ الانسان هذه الاية عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عبيد الله
ابن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق
القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف
من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات
العقول واذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة انما تفسد عند مقابلة هذا الشخص
الذي هو العاين لشخص اخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر
وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدرة الله تعالى ولا يقع الا على حسب ما قدره الله تعالى وسبق به علمه ولا يقع ضر بالعين ولا
غيره من الخير والشر الا بقدرة الله تعالى وفيه صحة اثبات العين وانها قوة الضرر اذا وافقت القدر والله سبحانه وتعالى
اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تفسير سورة الحاقة

وهي ثنتان وخمسون اية ومائتان وست وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحاقة يعني القيمة سميت حاقة من الحق الثابت يعني انها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقيق الامور
فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هي التي
تحق على القوم اي تقع بهم ما الحاقة استفهام ومعناه التفخيم لشأنها وتهويل لها والمعنى اي شيء هي الحاقة وما ادريك
ما الحاقة اي انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال على انه من العظم والشدة امر لا يبلغه دراية احد
ولا فكره وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك كذبت ثمود وعاد بالقارعة قال ابن عباس بالقيمة سميت قارعة
لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالميعاد الذي وعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية اي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا
الناقة فاهلكت ثمود بسببهم واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل
هي الباردة من الصرصر التي هي البرد وكأنها تحرق لشدة بردها عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لها
عليهم سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بحيل ولا
قوة سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان ذلك كان بسبب اتصال الكواكب
فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله ان ذلك كان بقضائه وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب
سبع ليال وثمانية ايام قال وهي الايام التي تسميها العرب ايام العجوز لانها ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا
لانها تاتي في عجز الشتاء من قوم عاد دخلت سربا فتتبعها الريح حتى قتلتها حسوما اي دائمة ليس فيها فتور وذلك
ان الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شوما وقيل لهذه
الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهله وقيل الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستيصال فلم يبق منهم احد
فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي والايام صرعى اي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت
كأنهم اعجاز نخل خاوية اي ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس فهل
ترى لهم من باقية اي من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى في اليوم الثاني كما وصفهم الله تعالى بانهم اعجاز نخل
خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر ولم يبق منهم احد قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف

اي العين حق

وفتح الباء اى ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة **والموتفكات**
يعنى قرى قوم لوط وقيل يريد اهل الموتفكات وقيل يريد الامم الذين يأتفكون بخطيئتهم وهو قوله تعالى **بالخاطئة** اى بالخطيئة
والمعصية وهى الشرك **فعصوا رسول ربهم** قيل هى موسى ابن عمران وقيل لوطا وقيل الاولى ان يقال المراد بالرسول
كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الامتين جميعا **فاخذهم اخذة رابية** يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة
على عذاب الامم **انا لما طغى الماء** اى طغى وعتى وجاوز حده حتى على كل شئ وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه السلام وهو
الطوفان **حملناكم فى الجارية** يعنى حملنا اياكم وانتم فى اصلاب آبائكم فصح خطاب الحاضرين **لنجعلها** اى السفينة
التى تجرى فى الماء **لكم** اى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه **تذكرة** اى عبرة
وموعظة **وتعيها** اى تحفظها **اذن واعية** اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت واوعت
وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عبرة وعظة لمن يأتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى لتعتبر وتعمل بالموعظة قوله عز وجل
فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة يعنى النفخة الاولى **وحملت الارض والجبال فدكتا** اى وقعت من اماكنها **دكة
واحدة** اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منثورا والضمير عائد الى الارض والجبال عبر عنهما بلفظ الاثنين **فيومئذ وقعت
الواقعة** اى قامت القيمة **وانشقت السماء فهى يومئذ واهية** اى لتشققها **والملك** يعنى الملائكة **على ارجائها** يعنى نواحيها
واقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض
ومن عليها **ويحمل عرش ربك فوقهم** اى فوق رؤسهم يعنى الحملة **يومئذ** اى يوم القيمة **ثمانية** يعنى ثمانية املاك
جاء فى الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة امدهم باربعة اخر فكانوا ثمانية على صورة الاوعال ما بين اظلافهم الى
ركبهم من سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدى عن ابى مالك قال ان الصخرة التى تحت الارض السابعة ومنتهى
علم الخلائق على ارجائها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر
فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارضين رؤسهم تحت العرش وعن عروة ابن الزبير قال الحملة العرش منهم من صوته
على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد
وعن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امية ابن ابى الصلت فى شئ من الشعر فقال رجل وثور تحت رجل يمينه
والنسر للاخرى وليث يرصد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعماية عام اخرجه
ابو داود باسناد صحيح غريب عن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا فى البطحا
فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظر اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون
ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان
ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا والله ما ندرى قال فان بعد ما بينهما
اما قال واحدة واما اثنتان واما ثلث وسبعون سنة وبعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك
ثم فوق السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء
الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش ما بين اعلاه واسفله مثل ما بين سماء الى سماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذى
وابو داود وفى رواية وليس يخفى عليه من اعمال بنى آدم شئ عن ابن مسعود ما بين السماء الى الارض خمسماية عام وما بين كل
سماء وسماء خمسماية عام وبين كل سماء وارض مسيرة خمسماية عام وما بين السماء السابعة والكرسى خمسماية
عام وما بين الكرسى خمسماية عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شئ من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارى وابن
خزيمة وغيرهما موقوفا وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف فى سير الدواب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الحملة العرش

ضعيفة نسخه

كم نسخه

والمراد مسيرة نسخه

قرون

قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسماية عام ومن كعبه الى ركبته خمسماية عام ومن ترقوته الى موضع القرط
مسيرة خمسماية عام وعن عبد الله بن عمير قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينه خمسماية عام وعن
شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك واربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس فى قوله فوقهم يومئذ ثمانية
قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل **يومئذ تعرضون** اى على الله سبحانه وتعالى للحساب
لا تخفى منكم خافية اى فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيمة
ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيمة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق فالمحسنون
يسرون باعمالهم والمسيئون يحزنون باساءتهم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم
القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه
الترمذى وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى
عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **فاما من اوتى** اى اعطى **كتابه بيمينه فيقول هاؤم** اى تعالوا
اقرؤا كتابيه والمعنى انه لما بلغ الغاية من السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر
لغيره حتى يفرحوا به وقيل يقول ذلك لاهله واقاربه **انى ظننت** اى علمت وايقنت واجرى الظن مجرى العلم لان
الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام **انى ملاق حسابيه** اى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا
استيقن انى احاسب فى الآخرة **فهو فى عيشة راضية** اى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب
وامن من العذاب **فى جنة عالية** اى رفيعة **قطوفها دانية** اى ثمارها قريبة لمن يتناولها قائما وقاعدا
ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا **كلوا** اى يقال لهم كلوا **واشربوا هنيئا بما اسلفتم** اى بما قدمتم لآخرتكم
من الاعمال الصالحة **فى الايام الخالية** اى فى الايام الماضية من ايام الدنيا **واما من اوتى كتابه بشماله** قيل
تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها **فيقول يا ليتنى
لم اوت كتابيه** وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يعط كتابه لما حصل له من الخجل
والافتضاح **ولم ادر ما حسابيه** ولم ادر اى شئ حسابيه لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له **يا ليتها
كانت القاضية** تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها
والقاطعة للحيوة التى ما احيى بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن عنده شئ اكره اليه من الموت فى الدنيا لانه رأى
تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت **ما اغنى عنى ماليه** اى يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيئا
هلك عنى سلطانيه اى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح
بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وسلطانى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا **خذوه** اى يقول الله تعالى لخزنة
جهنم خذوه **فغلوه** اى اجمعوا يديه الى عنقه **ثم الجحيم صلوه** اى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى
الدنيا **ثم فى سلسلة** وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة **ذرعها** اى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من
اليد او غيرها **سبعون ذراعا** قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون
باعا كل باع ابعد ما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم
اى ذراع هو وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل
الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى خمسماية عام بلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت فى راس السلسلة لسارت
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها واصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرصاص من الحصا الصغار

وقوله مثل هذه واشار الى الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة ام الرأس وهو اشرف الاعضاء قال كعب لو جمع حديد الدنيا
ما وزن حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل في فيه وتخرج من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم
اي لا يصدق بوحدانيته وعظمته ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحض نفسه على طعام المسكين ولا يأمر اهله بذلك
وفيه دليل على تعظيم الجرم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن في هذه الآية ادركت
قوما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر امرأته بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا
نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثاني بالاطعام فليس له اليوم ههنا حميم اي ليس له في الآخرة
قريب ينفعه ويشفع له ولا طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل
هو شجر يأكله اهل النار اي ليس له في الآخرة قريب ينفعه ولا يشفع له لا يأكله الا الخاطئون اي الآثمون قوله عز وجل
فلا اقسم قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كأنه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى
اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كأنه قال لا اقسم على ان القرآن قول رسول كريم
لوضوحه المغني عن القسم بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون وبما لا ترون ولا تشاهدون اقسم
بالاشياء كلها فدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض
وما لا تبصرون اي ما في بطنها وقيل ما تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون يعني الانس
وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة وقيل بما
تبصرون هو ما اظهر الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر بعلمه
فلم يطلع عليه احدا من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني تلاوة رسول كريم
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاصح
لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو
ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف صح اضافته الى الرسول قلت اما اضافته الى الله
فلانه تكلم به وهو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب
العالمين لتزول هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول الرسول المبلغ عن الله وفي الرسول ما يدل
على ذلك فاكتفى من ان يقول عن الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر يعني القرآن ليس بقول شاعر ولا هو من ضروب الشعر
ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون اراد بالقليل نفي ايمانهم اي اصلا والمعنى انهم لا يصدقون بان القرآن من عند الله ولا
بقول كاهن اي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تتذكرون البتة تنزيل
اي هو تنزيل يعني القرآن من رب العالمين وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين
ليزول هذا الاشكال قوله تعالى ولو تقول علينا اي اختلق علينا محمد بعض الاقاويل يعني واتى بشيء من عند نفسه لم نقله
نحن ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اي لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اي بالحق وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة
وقال الشماخ يمدح عرابة • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • فعبر عن القوة باليمين لان قوة
كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اي سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل المعنى اذللناه واهناه كفعل
السلطان بمن اراد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانها اشرف الاعضاء ثم لقطعنا
منه الوتين قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر يتصل بالقلب فاذا انقطع مات
صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه انه لو كذب علينا لامتناه
فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة

عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول
الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه حاجزين اي ما فيكم يحجز ويمنع عقوبتنا
والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يتكلم بالكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلم به لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا
عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو نعت واحد ردا على معناه وانه يعني القرآن وذلك لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين
بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى لتذكرة اي عظة للمتقين اي لمن اتقى عقاب الله تعالى
وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقرآن وانه يعني القرآن لحسرة على الكافرين يعني يوم القيمة والمعنى
انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب الله لمن آمن به وانه لحق اليقين معناه انه حق لا باطل فيه ويقين
لا شك فيه ولا ريب فسبح باسم ربك العظيم اي نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايجابه عنك والله اعلم

تفسير سورة المعارج

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل سائل قرئ
بغير همز وفيه وجهان الاول انه لغة في السؤال والثاني انه من السيل ومعناه انه اندفع عليهم وادي عذاب وقيل سال واد من
اودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال بعذاب قيل الباء بمعنى عن اي عن عذاب واقع اي نازل وكائن وعلى
من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال تعالى مجيبا لذلك السائل للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله عز وجل سأل سائل بعذاب
واقع للكافرين اي هو للكافرين وقيل الباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين اي على الكافرين
وهذا السائل هو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل
به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اي ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه
ام لم يطلبوه اما في الدنيا فبالقتل واما في الآخرة فان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع من الله
اي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ذي المعارج قال ابن عباس
ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات يعني المصاعد التي تعرج الملائكة فيها وقيل
ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملائكة
والروح يعني جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لفضله وشرف منزلته وقيل لان الله
تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملائكة اليه
اي الى الله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي من سنين الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني آدم
لما صعد من منتهى امر الله من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله الى فوق السماء السابعة لما صعد في اقل من خمسين
الف سنة والملك يقطع ذلك كله في اقل من ساعة او ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكروا ان مقدار الارض السابعة
السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة من سنين الدنيا وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيمة واراد ان موقفهم للحساب
حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين الف سنة من سنين الدنيا وليس يعني ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة
دون غيره من الايام لان يوم القيمة له اول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا وهذا الطول
في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيمة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوي بسنده
عن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال
ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف

مابين صح
قال الحسن هو يوم القيمة صح

يوم من ايام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم
يفرغوا منه في خمسين الف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون موقفا كل موقف الف سنة
فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتأخير فاصبر اي يا محمد على
تكذيبهم اياك صبرا جميلا يعني لا جزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه يعني العذاب
بعيدا اي غير كائن ونريه قريبا اي كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم
كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نريه قريبا في قدرتنا غير بعيد
علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السماء كالمهل اي كعكر الزيت وقيل كالفضة المذابة وتكون الجبال
كالعهن اي كالصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذوات الوان احمر وابيض وغرابيب سود
ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف
واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسئل حميم حميما اي لا يسئل
قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسئل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسئله الشفاعة
اي لا يسئله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسئله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيمة يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيمة من جن او انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يبصر ويسئل
حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف
الحميم حميمه ومع ذلك لا يسئله عن حاله وقيل يبصرونهم اي يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر
فيعرف بسواد وجهه يود المجرم اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ اي عذاب يوم القيمة ببنيه
وصاحبته اي زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين التي تؤويه اي تضمه ويأوي
اليها ومن في الارض جميعا يعني انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه اي ذلك
الفداء من عذاب الله تعالى كلا اي لا ينجيه من عذاب الله تعالى شيء ثم ابتدأ فقال انها لظى يعني النار ولظى اسم من اسمائها
وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى اي لانها تتلظى اي تلتهب نزاعة للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين
مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع
اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم تعود كما كان ثم تأكله فذلك دابها وقيل المكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه
تدعو يعني النار الى نفسها من ادبر اي عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول الي يا مشرك الي يا منافق الي قال ابن عباس
تدعوا الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله
اي عذبك الله وجمع فاوعى يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال
ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب وقيل الهلوع شدة الحرص
وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه
الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكرهه ثم تعبده بانفاق
ما يحب والصبر على ما يكره قيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين
وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع الذين هم على صلوتهم دائمون يعني يقيمونها في اوقاتها
وهي الفرائض فان قلت كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلوتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها
اي يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها في شيء من الوقت وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمواظبة عليها ترجع الى
الاهتمام بحالها وهو ان يأتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلوة لاشتغاله بالوضوء

لشغله بنفسه

وستر

وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلوة وقصد الجمع وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه من الوسواس والالتفات
الى ما سوى الله عز وجل واما المقارنة للصلوة فهو ان لا يلتفت في الصلوة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها
بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلوة فهو ان يحترز عن الريا والسمعة وخوف
ان لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبوله وطلب الثواب فالمداومة على الصلوة ترجع الى نفسها والمواظبة
عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير قال سألت عقبة بن عامر عن قوله تعالى الذين هم على صلوتهم
دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في
اموالهم حق معلوم يعني الزكوة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هو صدقة التطوع وذلك بان
يواظب الرجل على نفسه من الصدقة يخرجها على سبيل الندب في اوقات معلومة للسائل يعني الذي يسئل الناس
والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث
بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيمة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ثم اكد
ذلك الخوف فقال تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون يعني الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب
المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله
تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة
المؤمنين والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من
جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة
بان الله واحد لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم على صلوتهم يحافظون ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى اولئك
يعني من هذه صفتهم في جنات مكرمون قوله تعالى فمال الذين كفروا اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين
مقبلين اليك مادي اعناقهم ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي
صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم
لا ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا
وفرقا والعزين جماعة في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم
ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعمون فيها وقد كذبوا نبيي كلا اي لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا خلقناهم مما
يعلمون اي من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فنبه الله تعالى الناس على انهم خلقوا من اصل
واحد وشيء واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي باسناد الثعلبي
عن بسر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل
يا ابن آدم اني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد
جمعت ومنعت حتى اذا بلغت الروح التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة اخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا اسناد
وقيل في معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون
ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب
يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل هي مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم معناه
انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم
وابدالهم بمن هو خير منهم فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون

تسخها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى **يوم يخرجون من الأجداث** يعني القبور **سراعا** اي الى اجابة الداعي **كأنهم الى نصب** يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ نصب بضم النون والصاد وهم الانصاب التي يعبدونها **يوفضون** اي يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى انصابهم ليستلموها **خاشعة أبصارهم** اي ذليلة خاضعة **ترهقهم ذلة** اي يغشاهم هوان **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون** يعني يوم القيمة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة نوح عليه السلام مكية

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك** اي بان خوف قومك وحذرهم **من قبل ان يأتيهم عذاب أليم** يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا **قال يا قوم اني لكم نذير مبين** اي انذركم وابين لكم **ان اعبدوا الله** ربي اي وحدوه ولا تشركوا به شيئا **واتقوه** اي خافوه بان تحفظوا انفسكم مما يؤثمكم **وأطيعون** اي فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه **يغفر لكم من ذنوبكم** اي يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب **ويؤخركم الى أجل مسمى** اي منتهى آجالكم فلا يعاقبكم **ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر عنكم ولا يمكنكم الايمان **قال** يعني نوح عليه السلام **رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا** اي نفارا وادبارا عن الايمان **واني كلما دعوتهم لتغفر لهم** اي ليؤمنوا بك فتغفر لهم **جعلوا أصابعهم في آذانهم** لئلا يسمعوا دعوتي **واستغشوا ثيابهم** اي غطوا وجوههم لئلا يروني **وأصروا** اي على كفرهم **واستكبروا** اي عن الايمان بك **استكبارا** اي تكبرا عظيما **ثم اني دعوتهم جهارا** اي معلنا قال ابن عباس باعلى صوتي **ثم اني أعلنت لهم** اي كررت الدعاء معلنا **وأسررت لهم اسرارا** قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا** وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اي من الشرك وطلب المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سبب لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبا لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شانها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا اشتكى الجدب فقال استغفروا الله وشكى آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع ابن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل ماء السماء وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم ◦ رعيناه وان كانوا غضابا ◦

يعني المطر مدرارا اي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا فحالا وقيل مدرارا متتابعا **ويمددكم بأموال وبنين** اي يكثر اموالكم واولادكم **ويجعل لكم جنات** يعني بساتين **ويجعل لكم أنهارا** وهذا كله مما تميل طبائع طبع البشرية اليه **ما لكم لا ترجون لله وقارا** قال ابن عباس اي لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجاء بمعنى الخوف والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا

تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا **وقد خلقكم أطوارا** يعني تارة حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله تعالى وسعة قدرته **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا** يعني بعضها فوق بعض **وجعل القمر فيهن نورا** يعني في السماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم **وجعل الشمس سراجا** اي مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوءهما اي الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا **والله أنبتكم من الأرض نباتا** يعني اراد مبتدأ خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اي اسم فعل في موضع المصدر اي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو كان انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احياء الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر العظيم اللطيف **ثم يعيدكم فيها** اي في الارض بعد الموت **ويخرجكم** اي منها بعد البعث **اخراجا** يعني اخراجا حقا لا محالة **والله جعل لكم الأرض بساطا** اي فرشها مبسوطة يتقلبون عليها كما يتقلبون على الارض اي كما يتقلب الرجل على بساطه **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** اي طرقا واسعة قوله تعالى **قال نوح رب انهم عصوني** اي لم يجيبوا دعوتي **واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزدهم بكثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة **ومكروا مكرا كبارا** يعني كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتشديد اشد واعظم والمبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم اي احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفهاء على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله **وقالوا** يعني القادة للاتباع **لا تذرن آلهتكم** اي لا تتركن عبادتها **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قولهم ولا تذرن آلهتكم لانها كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام فلما ماتوا كان لهم اتباع هؤلاء يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت هذه الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور اولئك القوم الصالحين **خ** عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجرف عند سبأ واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائها ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم عبدت الاوثان وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وود ومناة كانت لخزاعة وعبد مناف ونائلة وهبل لاهل مكة ولذلك سميت العرب بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء **وقد أضلوا كثيرا** اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** يعني تزد المشركين

بعبادتهم الأصنام إلا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك أن نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا
عليهم فدعا عليهم فإن قلت كيف يليق بمنصب النبوة أن يدعوا بمزيد الضلال وإنما بعث ليصرفهم عنه قلت
إنما دعا عليهم بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقيل المراد
بالضلال أمر الدنيا وما يتعلق بها **مما خطيئاتهم أغرقوا** أي بالطوفان **فأدخلوا نارا** أي في حالة واحدة
وذلك في الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك
لأن الفاء تقتضي التعقيب في قوله أغرقوا فأدخلوا نارا هذا إنما يدل على أنه إنما حصل دخول النار عقب الإغراق ولا يمكن
حمله على عذاب الآخرة لأنه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه أنهم سيدخلون نارا في الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ
الماضي لصدق الوعد في ذلك والأول أصح **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا** يعني تمنعهم وتمنعهم
من عذاب الله الذي نزل بهم **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا** يعني أحدا يدور في الأرض فيذهب
ويجيء من الدوران وقيل أصله من الدار أي نازل دار **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك** قال ابن عباس
وغيره كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر من هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ
الصغير على ذلك **ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم
وأعقم بعد ذلك أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل سبعين سنة وأخبر الله
تعالى نوحا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله تعالى دعوته فأهلكهم جميعا ولم يكن معه
صبي وقت العذاب لأن الله تعالى أعقمهم قبل العذاب **رب اغفر لي** وذلك أنه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي
يعني ما صدر مني من ترك الأفضل وقيل يحتمل أنه لما دعا على الكفار وإنما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء
عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ولأنه ترك الاحتمال **ولوالدي** وكان اسم أبيه
لمك بن متوشلخ واسم أمه سمحا بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر
وكان بينه وبين آدم عشرة آباء **ولمن دخل بيتي مؤمنا** أي داري وقيل مسجدي وقيل سفينتي **وللمؤمنين والمؤمنات** وهذا عام
في كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وإنما بدأ بنفسه لأنه أولى بالتقديم والتخصيص ثم ثنى بالمتصلين به لأنهم أحق بدعائه
ثم عم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ في الدعاء **ولا تزد الظالمين إلا تبارا** أي هلاكا
ودمارا استجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم

تفسير سورة الجن

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** واختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فأنكر وجودهم
معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالأرواح السفلية وزعموا أنهم أسرع إجابة من
الأرواح الملكية إلا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل فهو أي يتشكل بأشكال مختلفة وقيل إنها جواهر
وليست بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات
وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم إلا الله تعالى وقيل إنهم أجسام
مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي نوعهم وهي كونهم حاصلة في الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق
وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة
لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن يكون لها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز
البشر عن ذلك وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك وقيل إن الأجسام متساوية
في تمام الماهية أي وليست البنية شرطا للحياة وأنه لا بد عن صلابة البنية وهذا قول الأشعري وجمهور أتباعه

وشذ قليل من المعتزلة من هذه الأمة فأنكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وأنه لا بد من صلابة البنية حتى
يكون قادرا على الأفعال الشاقة وهذا القول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادة ورد ما أثبت وجوده بنص الكتاب
والسنة **فصل** واختلفت الرواية هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه
مسلم عنه في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الأحقاف عند قوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن وأنكرها
ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت
عليهم الشهب قالوا وما ذاك إلا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي
قد حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي
صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا
وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد
فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن زاد في رواية
وإنما أوحي إليه قول الجن أخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه أنه لم يقصد
بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي بأصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وإنما أعلمه الله عز وجل
بما أوحي إليه من قوله قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وقوم آخرون والحاصل
من الكتاب والسنة العلم القطعي بأن الجن والشياطين موجودون مقصودون بالأحكام الشرعية على النحو الذي
يليق بخلقهم وحالهم وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الجن والإنس فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين
ومعهم في الدنيا والآخرة والجنة ومن كذبه فهو شيطان ليس من المؤمنين ومستقره النار وهذا الحديث يقتضي أن
الرجم بالنجوم لم يكن قبل البعث وذهب قوم إلى أنه كان قبل مبعثه وآخرون إلى أنه كان لكن زاد بهذا البعث وبهذا
القول يرتفع التعارض بين الحديث هذا آخر كلام القرطبي والله أعلم وعكاظ سويقة معروفة بقرب مكة لأن العرب
يقصدونها في كل سنة مرة في الجاهلية وأول الإسلام وتهامة كلما نزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها
ومكة من تهامة معدودة ونخلة واد من أودية مكة قريب منها وأما التفسير فقوله تعالى قل أوحي إلي أمر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم أن يظهر لأصحابه واقعة الجن وكما أنه مبعوث إلى الإنس فهو أيضا مبعوث إلى الجن وتعلم قريش أن الجن
مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا به أنه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة إلى العشرة قيل كانوا
تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم **فقالوا** أي لما رجعوا إلى قومهم **إنا سمعنا قرآنا
عجبا** قال ابن عباس بليغا أي ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته **يهدي إلى الرشد** أي يدعو إلى الصواب يعني التوحيد
والإيمان **فآمنا به** أي بالقرآن **ولن نشرك بربنا أحدا** أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على
أن أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل نصارى وقيل مجوسا ومشركين **وأنه تعالى جد ربنا** أي جلال ربنا و
عظمته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقيل الجد الغنى
ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفع الغني غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل أمر ربنا وقيل فعله
وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** أي أنه تعالى جل جلال ربنا أن يتخذ
صاحبة ولا ولدا لأن الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستيناس والله تعالى منزه عن كل نقص **وأنه كان يقول
سفيهنا** يعني جاهلنا قيل هو إبليس **على الله شططا** أي كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد والشطط

هو مجاوزة الحد في كل شيء **وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا** اي كنا نظن ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم كذبوا على الله تعالى قوله عز وجل **وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن** وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وامان منه حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال خرجت مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله عز وجل على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن **فزادوهم رهقا** وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم تعاظما قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا ازدادوا بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون نحن عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم **وانهم ظنوا** يعني الجن **كما ظننتم** يا معشر الكفار من الانس **ان لن يبعث الله احدا** يعني بعد الموت **وانا** يعني تقول الجن **وانا لمسنا السماء** اي طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها **فوجدناها ملئت حرسا** يعني ملائكة **شديدا وشهبا** اي من النجوم **وانا كنا نقعد منها** اي من السماء **مقاعد للسمع** يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها **فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء فيستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي قال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم من الاستراق بالكلية **وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض** اي برمي الشهب **ام اراد بهم ربهم رشدا** ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير **وانا منا الصالحون** اي المؤمنون المخلصون **ومنا دون ذلك** اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره **كنا طرائق قددا** اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشيء قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفين وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا استطير قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة قيل معناه وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة **وانا ظننا** الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا **ان لن نعجز الله في الارض** اي لن نفوته ان اراد بنا امرا **ولن نعجزه هربا** اي طلبا فلن نعجزه اين ما كنا **وانا لما سمعنا الهدى آمنا به** اي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم **فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا** اي نقصانا من عمله وثوابه **ولا رهقا** يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه **وانا منا المسلمون** **ومنا القاسطون** اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله ندا **فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا** اي قصدوا طريق الحق وتوخوه **واما القاسطون** يعني الذين كفروا **فكانوا لجهنم حطبا** يعني وقود النار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية

ومنا القاسطون ع

من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين قلت ليس فيها متمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واحكم واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل **وان لو استقاموا على الطريقة** اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا **لاسقيناهم ماء غدقا** اي لوسعنا الرزق **لنفتنهم فيه** وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا كفار مكة على طريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا او عيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا اي ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الآية في الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر **ومن يعرض عن ذكر ربه** اي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه **يسلكه** اي ندخله **عذابا صعدا** قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله تعالى **وان المساجد لله** يعني المواضع التي بنيت للصلوة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى **فلا تدعوا مع الله احدا** قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلوة ونحن ناءون عنك فنزلت وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله عز وجل فلا تسجدوا عليها لغيره ق عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه والآراب الاعضاء عن ابن عباس قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كفت الشعر عقصه وغرز طرفه في اعلاه الظفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل **وانه لما قام عبد الله** يعني النبي صلى الله عليه وسلم **يدعوه** يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة **كادوا** يعني الجن **يكونون عليه لبدا** يعني يركب بعضهم بعضا ويزدحمون عليه حرصا على سماع القرآن قال ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلوة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض **قال** يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر **انما ادعوا ربي** وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه

وسلم انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا
ولا اسوق لكم رشدا انما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد
اي لن يمنعني من الله احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل
مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه
وذلك الذي يجيرني من الله يعني التبليغ وذلك وقيل انه بلاغا وذلك التبليغ من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه
وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله تعالى فانما انا مرسل لكم لا املك الا ما ملكت
ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون
يعني العذاب يوم القيمة فسيعلمون اي عند نزول العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام
المؤمنون قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيمة ام يجعل له ربي امدا
اي اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله تعالى عز وجل عالم الغيب اي هو عالم
ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي الغيب الذي يعلمه وانفرد به احدا اي من الناس ثم
استثنى فقال تعالى الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على من يشاء من الغيب حتى يستدل
على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين
يضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا بانبياء رسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين
بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الرضا وادخله في السخط قال الواحدي
وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حيوة او موت او نحو ذلك فقد كفر بما في القرآن فاما الزمخشري
فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين في ابطال الكهانة والتنجيم
قال الامام فخر الدين ونسبة الاية الى الصورتين واحدة فان جعل الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون
دالة على المنع من الكرامات قال وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه
ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فيحمله على وقوع القيمة فيكون
المراد من الاية انه تعالى لا يظهر على هذا الغيب احدا ولا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز
ان يطلع الله تعالى على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهان وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل
السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله تعالى بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر
وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان
فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب
تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول لقد كان يكون في الامم قبلكم محدثون
فان يكن في امتي احد فان عمر ابن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت
معجزة النبي وكرامة الولي عن غيرها ولانه طريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي
ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي ولو ادعاه
الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يده امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا يدل
على ثبوت نبوة النبي لان الكرامة انما تظهر على يد من هو مقتد ومعتقد للرسول متابعا له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر
الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم فمن ادعى
منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه

اي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملائكة يحفظونه
من الجن والشياطين اي يسترقون السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن ان يستمعوا الوحي فيلقوه الى الكهان
فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبر فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه
رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره
واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان اي ان جبريل قد بلغ النبي رسالة
ربه وقيل معناه ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الذي ارسلوا قبله قد بلغوا رسالات ربهم وان الله تعالى قد حفظهم
ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيجب فيه الثواب
واحاط بما لديهم اي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا قال ابن عباس
احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله اعلم

تفسير سورة المزمل مكية

قيل غير ايتين منها وهما قوله تعالى واصبر على ما يقولون وقيل غير اية وهي ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية
ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل بثيابه اي تلفف
قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملوني زملوني
حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اي حاملها
والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي صلى الله عليه وسلم والرسول لانه كان
في اول الامر ومبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في
ثوبه فنودي يا ايها المزمل قم الليل اي للصلوة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلوة والعبودية
وكان قيام الليل فريضة في ابتداء الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر
القيام فقال تعالى نصفه اي نصف الليل او انقص منه قليلا اي الى الثلث او زد عليه اي على النصف الى الثلثين
خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى
ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك
عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقرؤا ما تيسر منه ليس في القرآن سورة نسخ اخرها
اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ
بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فرضيته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة رضي الله عنها فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في اول السورة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله
تعالى التخفيف في اخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا قال
ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل
والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره في اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تاكيد في الامر وانه لا بد للقارئ
منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراءة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتامل والتفكر في حقائق
الايات ومعانيها ففيها الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل
الرجا والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع بالقراءة لا يحصل

تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله كان القرآن قالت فهممت ... رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت الست صح

فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حصول القلب عند القراءة **فصل** عن قتادة قال سئل انس كيف
كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم
عن ام سلمة وقد سألها يعلى ابن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا
هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي والترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله
رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين وفي رواية ابي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية ق
عن عبد الله ابن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على راحلته اي ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته
ق عن ابي وائل شقيق ابن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود فقال اني لأقرأ المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما
يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع ان افضل الصلوة الركوع والسجود اني لأعرف النظائر التي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة
القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة
النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهي الشبه والمثل عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قام
النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن اخرجه الترمذي وللنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل ابن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقترئ فقال
الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤه قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم
يتعجل اجره ولا يتأجله اخرجه ابو داود زاد غيره في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرؤا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه
ولا يتأجلونه اخرجه ابو داود عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا
به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة قوله عز وجل **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** قال ابن عباس شديدا
وقيل ثقيلا يعني كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شيء له خطر ومقدار فهو عظيم ثقيل
والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان
فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل لما فيه من الوعيد والوعد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل
ثقيل على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل في الميزان بالثواب
يوم القيمة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا بالسفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين
في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام مبين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان
وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا بالوحي وذلك انه كان صلى الله عليه
وسلم اذا انزل عليه القرآن والوحي يجد له مشقة ق عن عائشة ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده
علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا م عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله
صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه وفي رواية كان اذا انزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه وغمض عينيه
وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب لما بس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه قوله
فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت اي حفظت ما قال وقولها ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد

قوله

قوله تربد وجهه التربد في الالوان غبرة مع سواد وقوله عز وجل **ان ناشئة الليل** اي ساعاته كلها وكل ساعة
منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقال الليل كله ناشئة وهي
عبارة عن الامور التي تحدث وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام آخر الليل وقيل اوله
وقيل اي ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ وروي عن زين العابدين ابن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء
ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلوة بعد عشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه **هي اشد وطأ**
قرئ بكسر الواو ومع المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع والبصر يكون بالليل
اكثر مما يكون بالنهار وقرئ بفتح الواو وطأ وسكون الطاء اشد على المصلي واثقل من صلوة النهار لان الليل
جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلوتهم اول الليل هي اشد وطأ
يقول هي اجدر ان تحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ وقيل اثبت
في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطأ للقيام واسهل على المصلي من ساعات النهار لانه خلق للتصرف
العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولا يعرض له في الليل حوائج
وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله تعالى **واقوم قيلا** اي اصوب قراءة واصح قولا
من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا
واتم اخلاصا وابعد عن الرياء واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل في القبول **ان لك في النهار سبحا طويلا**
اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك
افضل من الليل **واذكر اسم ربك** اي بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح **وتبتل اليه تبتيلا**
قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل اليه بنفسك
واقطعها عن كل شيء سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى وقيل معناه وتوكل
عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة قد تبتل اي انقطع عن كل شيء
الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على
تبتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع مقاربه في معنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا
وهو كقوله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل
في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وبتلت تبتيلا وتبتيلا محمولا على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة
لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما هو التبتل فهو تصرف والتشغل بالتصرف لا يكون مقبلا متبتلا الى الله تعالى
لان المشتغل بغير الله تعالى لا يكون منقطعا اليه الا انه لا بد من التبتيل اليه حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل
لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه **رب المشرق والمغرب** يعني ان التبتل والانقطاع
لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب **لا اله الا هو فاتخذه وكيلا** اي فوض امرك اليه
وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء **واصبر على ما يقولون** اي
من التكذيب لك والاذى **واهجرهم هجرا جميلا** اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة
بآية القتال **وذرني والمكذبين** اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني اكفيك هو **اولي النعمة** اي اصحاب التنعم
والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر **ومهلهم قليلا** يعني الى يوم بدر
فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى وهو اصدق القائلين
ان لدينا اي عندنا في الآخرة **انكالا** يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد

وجحيما وطعاما ذا غصة اى غير سايغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا اليما اى وجيعا
يوم ترجف الارض والجبال اى تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيمة وكانت الجبال كثيبا مهيلا يعنى رملا سايلا
وهو الذى اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده انا ارسلنا اليكم يعنى يا اهل مكة رسولا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
شاهدا عليكم اى بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعنى موسى بن عمران
عليه الصلوة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين ساير الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم
اذوه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرا بموسى واذاه لانه رباه فعصى فرعون الرسول
فاخذناه يعنى فرعون اخذا وبيلا اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة يخوف بذلك كفار مكة بيوم
القيمة فقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم اى كيف لكم بالتقوى يوم القيمة اذ كفرتم اى في الدنيا والمعنى لا سبيل
لكم الى التقوى اذا وافيتم القيمة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيمة وباى شئ تتحصنون من عذاب الله
ذلك اليوم وكيف تنجون منه اذا كفرتم في الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يعنى شيوخا شمطا من هول
ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لادم قم فابعث بعث النار من ذريتك عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله عليه
السلام يقول الله عز وجل يوم القيمة يا آدم فيقول آدم لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى
بصوت ان الله تعالى يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة
وتسعين فحينئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق
ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج
وماجوج تسعماية وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم قال انتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض او كالشعرة
البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال
ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال ~~ثلث اهل الجنة~~ شطر اهل الجنة فكبرنا اما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله ان تخرج من
ذريتك بعثا الى النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثر في باطن عضد
الحمار وقوله انى لارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة ففيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم
ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر فلفايدة حسنة وهى ان ذلك اوقع في نفوسهم وابلغ في اكرامهم فان اعطاء
الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم
على تجديد شكر الله تعالى وحمله على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة اللطيفة وسرورهم بها واما ما يتعلق
بمعنى الاية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم
ويشيب الوليد ففيه الوجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى
انه في القيمة فعلى هذا يكون الشيب مجازا لان القيمة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهو له يقال في اليوم الشديد
يوم يشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبى
والهم يخترم الجسيم مخافة ۔ ويشيب ناصية الصبى ويهرم فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان
جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز
له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب السماء منفطر به
وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع عظمها تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلايق وقيل تنشق لنزول
الملائكة وقيل به اى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اى بامره وهيبته كان وعده مفعولا
اى كائنا لا محالة فيه ولا خلف ان هذه اى آيات القرآن تذكرة اى مواعظ يتذكر بها فمن شاء اتخذ الى ربه

ثم خوف كفار مكة بيوم

ذكره

سبيلا

سبيلا بالايمان والطاعة قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل اى اقل من ثلثى الليل ونصفه
وثلثه اى وتقوم نصفه وثلثه وطايفة من الذين معك يعنى المؤمنين وكانوا يقومون الليل والله يقدر الليل والنهار
يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما تفعلون فيعلم القدر الذى يقومون
من الليل والقدر الذى ينامون منه علم ان لن تحصوه يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم
فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من القيام فقال تعالى
علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم اى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفى عنكم ما لم
تحيطوا بعلمه ورفع المشقة فاقرؤا ما تيسر من القرآن فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة في الصلوة
وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلوة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن
يعنى في صلوة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول اية
من البقرة ثم قام في الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا فقال ان الله تعالى
يقول فاقرؤا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك في حق
الامة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى
ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان فقيل يقرا مائة اية ونحوها
بل قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن انس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
قرا خمسين اية في يوم وليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرا ماية اية كتب من القانتين ومن قرا مايتى اية لم
يحاجه القرآن يوم القيمة ومن قرا خمسماية اية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيى الدين في كتابه الاذكار
ولم يضعفه وقال في رواية من قرا اربعين اية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا عشر آيات لم يكن من الغافلين ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرا القرآن كله ليلة قلت بلى يا نبى الله ولم ارد بذلك
الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرا القرآن في كل شهر قال قلت بلى يا نبى الله انى اطيق افضل
من ذلك قال فاقراه في عشر قال قلت يا نبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله
تعالى حكمة النسخ والتخفيف فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعنى المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله
تعالى عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه واخرون يضربون في الارض يعنى المسافرين للتجارة يبتغون من فضل الله
اى يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة واخرون يقاتلون في سبيل الله يعنى الغزاة والمجاهدين ونحو ذلك
لان المسافر والمجاهد مشتغل بالنهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف الله
تعالى عنهم ذلك وروى عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه
بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون
في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه اى من القرآن وانما اعاده للتاكيد واقيموا الصلوة يعنى المفروضة
واتوا الزكوة اى الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكوة من صلة الرحم وقرى
الضيف وقيل يريد ساير الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة
النية والاخلاص وابتغاء مرضات الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله اى ثوابه واجره هو خيرا واعظم اجرا يعنى الذى قدمتم لانفسكم خيرا من الذى اخرتموه ولم
تقدموه روى البغوى بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يا

رسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يا رسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر **واستغفروا الله** اي لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل **ان الله غفور رحيم** اي لجميع الذنوب والله اعلم

تفسير سورة المدثر

مكية قيل غير اية من اخرها وهي ست وخمسون اية ومايتان وخمس وخمسون كلمة والف وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها المدثر** عن يحيى ابن كثير قال سألت ابا سلمة ابن عبد الرحمن عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ما حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت عن خلفي فلم ار شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلوة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهوى يعني جبريل فاخذتني رجفة شديدة ق عن جابر من رواية الزهري عن ابي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت فجئت الى اهلي وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين ايضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن فضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فيحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله تعالى اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثائين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله فصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع ان يصب عليه الماء حتى يسكن فزعه والله اعلم واما تفسير الاية قوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه متدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا **قم فانذر** اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته **وربك فكبر** اي عظم ربك مما تقوله عبدة الاوثان **وثيابك فطهر** فيه اربعة اوجه احدها ان تنزل لفظ الثياب والتطهير

وقد ثروني

على حقيقته والثاني ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصونها من النجاسة وغيرها خلافا للمشركين الوجه الثاني معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسة وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه . ليس الكريم على القنا بمحرم .

يريد نفسه والمعنى فنفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر . لبست ولا من غدرة اتقنع .

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول للغادر انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره وهو قوله تعالى **والرجز فاهجر** يعني اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المأثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال **ولا تمنن تستكثر** يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيئا لغيره منه الزيادة يطلب عليه لا بد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود في حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما ربا ان حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اعط الله واردد به وجه الله وقيل معناه لا تعط شيئا تمن على الله بعملك فتستكثره ولا تكثرن عملك في عينيك فانه فيما انعم الله تعالى به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امور الدين والوحي كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه معناه لا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل **ولربك فاصبر** اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله عز وجل وقيل معناه فاصبر لله عز وجل على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله عز وجل **فاذا نقر في الناقور** اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح **فذلك يومئذ** يعني يوم النفخة وهو يوم القيمة **يوم عسير** اي شديد **على الكافرين** يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم **غير يسير** اي هين فان قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار للتاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين قوله عز وجل **ذرني ومن خلقت وحيدا** اي خلقته في بطن امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فانا اكفيكه هو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه **وجعلت له مالا ممدودا** اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل الف دينار وقيل

أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف إبل وخيل
ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر
﴿وبنين شهودا﴾ أي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لأنهم كانوا أغنياء غير محتاجين إلى الغيبة لطلب الكسب وقيل
معنى شهودا أي رجالا يشهدون معه المحافل والمجالس والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة وهو خالد وهشام وعمارة ﴿ومهدت له تمهيدا﴾
أي بسطت له في العيش وطول العمر مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من أكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ﴿ثم
يطمع﴾ أي يرجو ﴿أن أزيد﴾ أي يرجو أن أزيده مالا وولدا وتمهيدا ﴿كلا﴾ أي لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول
هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك ﴿إنه كان لآياتنا عنيدا﴾ أي معاندا والمعنى أنه كان معاندا في جميع دلائل
التوحيد والقدرة والبعث والنبوة وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو أنه كان يعرف هذا بقلبه
وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأفحشه ﴿سأرهقه صعودا﴾ يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها وعن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا
فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت
وإذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من
أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فإذا بلغ ذروتها أحدر إلى أسفلها
ثم يكلف أن يصعدها يجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا قوله عز وجل ﴿إنه فكر وقدر﴾ أي فكر في الأمر
الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الأمر وهو المراد بقوله وقدر أي قدر ذلك الكلام في قلبه وذلك
أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه
وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم استماعه أعاد قراءة الآية
فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام
الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى ثم انصرف إلى منزله
فقالت قريش صبأ والله أبو الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس إلى جنب الوليد حزينا
فقال له الوليد ما لي أراك حزينا يا ابن أخي فقال وما يمنعني أن أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون
أنك زينت كلام محمد وأنك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني
من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم
تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا
قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا
لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال
ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل
﴿إنه فكر﴾ أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن ﴿فقتل كيف قدر﴾
أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ كرره للتأكيد وقيل معناه لعن
أي حال قدر من الكلام ﴿ثم نظر﴾ أي في طلب ما يدفع من القرآن ويرده ﴿ثم عبس وبسر﴾ أي كلح وكره وجهه كالمهتم
المتفكر في شيء يريده ﴿ثم أدبر﴾ أي عن الإيمان ﴿واستكبر﴾ أي حين دعي إليه ﴿فقال إن هذا﴾ أي الذي يقوله محمد ويقرأه

﴿إلا سحر يؤثر﴾ أي يروى ويحكى عن السحرة ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما
قال الله تعالى ﴿سأصليه﴾ أي سأدخله ﴿سقر﴾ وهو اسم من أسماء جهنم وقيل اسم دركاتها ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي
وما أعلمك أي شيء هو سقر وإنما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لأمرها ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ قيل هما بمعنى كما تقول صد عني
وأعرض عني وقيل لا بد من الفرق وإلا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقي أحدا من المستحقين للعذاب إلا أخذته ثم لا تذر من لحوم
أولئك شيئا إلا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى أي لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا
وأعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما وقيل لكل شيء ملال وفترة إلا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي عليهم
ولا تذرهم ﴿لواحة للبشر﴾ جمع بشرة أي مغيرة للجلد حتى تجعله أسود وقال قتادة تلفح الجلد حتى تجعله أشد سوادا من الليل
وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي على النار تسعة عشر ملكا
من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر أي على النار جاء في الأثر أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي
يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم
حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار إن أحدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس
لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم
يعني الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال أبو الأسد بن الأسود وكلدة بن خلف الجمحي
أنا أكفيكم منهم عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين ويروى عنه أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على
الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله عز وجل ﴿وما جعلنا
أصحاب النار إلا ملائكة﴾ يعني لا رجالا آدميين فمن ذا الذي يغلب الملائكة وإنما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير
جنس المعذبين وأشد لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ أي عددهم في القلة ﴿إلا
فتنة للذين كفروا﴾ أي ضلالة لهم وقيل فتنتهم هو قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكم في تخصيص
هذا العدد وقيل فتنتهم هو قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار وأجيب عن قولهم
لم لم يكونوا عشرين بأن أفعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لأمر اقتضته الحكمة
وقيل وجه الحكمة في كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك أن الآحاد
أقل الأعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل بهذه الحكمة
وما سوى ذلك من الأعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب
جميع أهل النار وذلك بأن الله تعالى يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف
بكمال قدرة الله تعالى وأنه على كل شيء قدير وأن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد
بالكلية ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني هذا العدد مكتوب في التوراة والإنجيل أنه تسعة عشر ﴿ويزداد
الذين آمنوا إيمانا﴾ يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن هذا
العدد وإن كان موجودا في كتابهم وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم
علم أنما حصل له ذلك إلا بالوحي السماوي فازدادوا بذلك إيمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم
﴿ولا يرتاب﴾ أي ولا يشك ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ يعني في عددهم وإنما قال ولا يرتاب وإن كان الاستيقان
يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفي الشك وذلك أبلغ وآكد لأن فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال
وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق
﴿والكافرون﴾ أي مشركي مكة فإن قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه

السورة مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون وهو كساير الاخبار بالغيوب
فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار من غيب سيقع وقد وقع الخبر وقيل يحتمل ان يراد
بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك ومن هو قاطع بالكذب **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يعني
اى شيء اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام و
بدع استغرابا منهم هذا المثل العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم
بذلك انكارهم هذا من اصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا **كذلك** اى كما اضل من انكر عدد الخزنة وصدق من
صدق به **يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال **وما يعلم جنود ربك الا هو**
قيل هذا جواب لابي جهل حين قال ما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة
ما يعلم عدتهم الا الله تعالى خلقوا للتعذيب اهل النار وقيل ان مقدورات الله تعالى غير متناهية **وما هي** يعني النار
الا ذكرى للبشر اى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل وما هي يعني ايات القران ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها
كلا اى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما تقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا
بمعنى حقا **والقمر والليل اذ ادبر** ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اى جاء خلفي فالليل ياتي خلف النهار
والصبح اذا اسفر اى اضاء وتبين وهذا قسم جوابه **انها لاحدى الكبر** يعني ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل
وقيل اراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية **نذيرا للبشر**
قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى من النار وقيل يجوز ان
يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر
قم نذيرا للبشر فانذر **لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر** اى يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنها فيقع الشر والمعصية
والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن وكفر وقد تمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن
من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضاف المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد
كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى **كل نفس
بما كسبت رهينة** اى مرتهنة في النار بكسبها وماخوذة بعملها **الا اصحاب اليمين** فانهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار
ولكن يغفرها الله تعالى لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه
واختلفوا في اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا
على يمين ادم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقيل هم الذين كانوا ميامين مباركين على انفسهم
وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا
اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة **في جنات يتساءلون عن المجرمين** اى في جنات يتساءلون
المجرمين وعن صلة فيقولون لهم **ما سلككم في سقر** قيل وهذا يقوي قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب
التي توجب النار وقيل معناه يسال بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسؤلون للسائلين
قلنا للمجرمين ما سلككم اى ادخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع **قالوا** مجيبين لهم **لم نك
من المصلين** اى لله عز وجل في الدنيا **ولم نك نطعم المسكين** اى نتصدق عليه **وكنا نخوض مع الخائضين** اى
في الباطل **وكنا نكذب بيوم الدين** اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيمة **حتى اتانا اليقين** يعني الموت
قال الله عز وجل **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء و
الصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الاية وقال عمران بن حصين الشفاعة

نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار
فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا
فيقول فانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول
اما تذكر رجلا وهب لك وضوءا كذا وكذا فيقول نعم وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه **فما لهم عن التذكرة معرضين**
اى عن مواعظ القران **كانهم حمر** جمع حمار **مستنفرة** قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة محمولة على
النفار **فرت من قسورة** قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص
وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وقيل القسورة لفظ
القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هي الاسد وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد
هربت فكذلك هؤلاء المشركين اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله
وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شيء **بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة** قال
المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند راس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسوله
نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند راسه ذنبه وكفارته
فاتنا بمثل ذلك **كلا** اى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات **بل لا يخافون الاخرة** اى لا يخافون
عذاب الاخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الايات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة
كفت في الدلالة على صحة النبوة وطلب الزيادة يكون من باب التعنت **كلا** اى حقا **انه** يعني القران **تذكرة** يعني
انه عظة عظيمة **فمن شاء ذكره** اى اتعظ به وانما يعود نفع ذلك عليه **وما يذكرون الا ان يشاء الله** اى الا ان
يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا **هو اهل التقوى واهل المغفرة** اى هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه
فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن
اتقاه عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة
قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وفي اسناده سهيل بن عبد الله القطيعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به عن ثابت عن انس والله اعلم بمراده

تفسير سورة القيمة

مكية وهي اربعون اية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **لا اقسم بيوم القيمة**
اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض في كلام العرب
واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر قالوا وفايدتها تاكيد القسم
كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ في الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقوله لئلا
يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا في وسط الكلام لا في اوله واجيب عنه بان القران في حكم السورة الواحدة
بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة اخرى كقوله يا ايها الذي نزل عليه
الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط
وفيه ضعف ايضا لان القران في حكم السورة في عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لا
رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدا فقال اقسم بيوم القيمة واقسم بالنفس اللوامة
وقيل الوجه فيه ان يقال ان لا هي للنفي والمعنى في ذلك كانه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما له
فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شانه وقيل معناه لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته

اظهر من ان يقسم عليه وروى فى تفسير القيمة عن المغيرة ابن شعبة قال يقولون القيمة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة
فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيمة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك وقوله
ولا اقسم بالنفس اللوامة قيل هى التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على ما فات
فتقول لو فعلت ولو لم افعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت
شرا تقول يا ليتنى لم افعل وقال الحسن هى نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه [illegible] الا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت
باكلى واما الكافر فيمضى قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى
الطاعة وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال القيمة فتقول يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فان قلت اى مناسبة
بين يوم القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما فى القسم قلت وجه المناسبة ان فى يوم القيمة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة
والسعادة فلهذا احسن الجمع بينهما فى القسم وانما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر
فعلها واجتهادها فى طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيمة تعظيما
لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة والفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيمة والمقسم
عليه هو يوم القيمة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيمة على وقوع يوم القيمة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء
قسم بربها فى الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيمة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف وتقديره لتبعثن
ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وقيل جواب القسم قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى
بنانه ومعنى ايحسب الانسان ايظن الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما سفتها
الريح وطيرتها فى اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لا يمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخطر الفاسد وما علم ان
القادر على الابتدا يقدر على الاعادة نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس ابن شريق الثقفى وكان النبى
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة
لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن به او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعنى هذا الكافر ان لن نجمع عظامه
يعنى بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعا لان العظام قالب النفس ولا يستوى الخلق
الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى على جمع عظامه وتاليفها واعادتها
الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوى بنانه يعنى انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه
شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها
وقيل معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى مكانها ونؤلف بينهما حتى نسوى
البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر
لانه اخر ما يتم به الخلق قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان
ما عاش لا ينزع عن المعاصى ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى ياتيه الموت
وهو على اسوء حاله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس
يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسئل ايان
يوم القيمة اى متى يكون يوم القيمة والمعنى ان الكافر يسئل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى
فاذا برق البصر اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار
عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وبرق اى شق عينه وفتحها من البرق وهو التلألؤ وخسف القمر
اى اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر يعنى اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب

الضوء

العاصية
يوم القيمة بسبب ترك التقوى وقيل هى
النفس الشريفة التى لا تزال تلوم نفسها
وان اجتهدت فى الطاعة وقيل هى
النفس الشقية صح صح

الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يعنى الكافر المكذب يومئذ اين المفر
اى المهرب وهو موضع الفرار كلا اى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله لا وزر اى لا حرز ولا ملجا ولا حيل وكانوا اذا فزعوا
لجؤا الى الجبل فيتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجأت اليه فهو وزر ومنه
قول كعب بن مالك الناس الب علينا فيك ليس لنا الا السيوف واطراف القنا وزر ومعنى الآية انه لا شئ يعصمهم من
امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيمة يستندون اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعنى مستقر الخلق وقال
عبد الله بن مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة او نار و
ذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر
قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيئ وما اخر بعد موته من سنة سيئة او حسنة يعمل بها وقال
ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله عز وجل واخر من حق الله فضيعه
وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله فى اول عمره وفى اخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته
بل الانسان على نفسه بصيرة اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه
وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة
وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعنى ولو اعتذر بكل
عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره
وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفى
ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيمة فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا قوله عز
وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ق عن ابن عباس فى قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به كان النبى
صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير وقال ابن عباس انا احركهما كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا بيانه ان تقرأه قال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قراه النبى صلى الله عليه وسلم كما
قراه وفى رواية كما وعده الله لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية فى لا اقسم
بيوم القيمة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قراناه فاذا
انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده الله
وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك ان علينا ان نجمعه فى صدرك وقرانه
ان تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به
اى باخذه ان علينا جمعه اى جمعه فى صدرك وحفظك اياه وقرانه اى وقراءته عليك والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث
لا تصير تنساه فاذا قراناه فاتبع قرانه اى لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى
اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل الوحى ونظيره من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لانه ليس هذا موضع الامر باتباع حلاله وحرامه
وانما هو موضع امر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحى
اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته دعاه النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه ثم ان علينا بيانه اى نبينه بلسانك

وتقرأه كما أقرأه جبريل عليه السلام وقيل إذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الأحكام من الحلال والحرام وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أشكل عليه شيء يسأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى **كلا** أي حقا **بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة** أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة **وجوه يومئذ** يعني يوم القيمة **ناضرة** من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نورها وقيل مسفرة بالنعيم **إلى ربها ناظرة** قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها عز وجل ما أمر لها به وقال أبو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الأزهري ومن قال إن معنى قوله إلى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة وقد نظرتكم إيناء صادرة للورد طال بها حوزي وتنساسي فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب هذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا أن النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بإلى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون إلا تأويله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والوجه إذا وصف بالنظر وعدي بإلى لم يحتمل غير الرؤية وأما قوله انظر إلى الله ثم إليك على معنى أتوقع فضل الله عز وجل ثم فضلك ويكون النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب فيما يجوز هذا إذا لم يسند إلى الوجه وإذا أسند النظر إلى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار وإذا بطل المعنيان لم يبق إلا بقاء الرؤية كلامهم وإن شق ذلك عليهم والأحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها إن شاء الله تعالى

فصل في إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة

قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وأجوبتها مستقصاة في كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك وأما الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله عز وجل من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإذا استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر إليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي بالمرئي عن أبي هريرة أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في القمر

النظر بمعنى

فإذا استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب

ليلة

ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال الترمذي وقد روي هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد عن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيمة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله تعالى يعني القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود (م) عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى والأحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله تعالى أعلم قوله عز وجل **ووجوه يومئذ باسرة** أي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين تميز بين أهل الجنة والنار **تظن** أي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين **أن يفعل بها فاقرة** أي يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والأمر الشديد الذي يكسر فقار الظهر وقصمه قيل الفاقرة دخول النار وقيل هي أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى **كلا** أي حقا **إذا بلغت** يعني النفس كناية عن غير مذكور **التراقي** جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت ومنه قول دريد بن الصمة • ورب عظيمة دافعت عنها • وقد بلغت نفوسهم التراقي **وقيل** يعني وقال من حضره **من راق** أي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل قضاء الله عز وجل به من أمر الله ما نزل التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيئا وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه إذا خرجت فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب **وظن** أي أيقن الذي بلغت روحه التراقي **أنه الفراق** يعني الخروج من الدنيا وفراق الأهل والمال والولد **والتفت** أي اجتمعت **الساق بالساق** أي الشدة بالشدة يعني مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت إذا التفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى عند النزع وقيل إذا مات يبست ساقاه والتفت إحداهما بالأخرى **إلى ربك يومئذ المساق** أي مرجع العباد إلى الله تعالى يوم القيمة ليفصل بينهم قوله تعالى **فلا صدق ولا صلى** يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى **ولكن كذب وتولى** أي أعرض عن الإيمان والتصديق **ثم ذهب إلى أهله يتمطى** أي يتبختر ويختال في مشيته وقيل أصله يتمطط أي يتمدد من المطي **أولى لك فأولى** هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لأبي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه وقيل معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى **ثم أولى لك فأولى** قال فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله عز وجل شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل نبي أمة فرعونا وفرعون هذه الأمة أبو جهل **أيحسب الإنسان أن يترك سدى** أي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة **ألم يك نطفة** أي ماء قليلا **من مني يمنى** أي تصب

ما هو

يساق العبد

في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة **ثم كان علقة** أي صار الإنسان علقة بعد النطفة **فخلق فسوى** أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه **فجعل منه** من الإنسان **الزوجين** أي الصنفين ثم فسرهما فقال **الذكر والأنثى** أي خلق من مائه أولادا ذكورا وإناثا **أليس ذلك** أي الذي فعل هذا وأنشأ الأشياء أول مرة **بقادر على أن يحيي الموتى** أي بقادر على إعادته بعد الموت عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيمة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود وله عن أبي موسى عن أبي عن عائشة قالت كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

تفسير سورة هل أتى وتسمى الإنسان

مكية قال مجاهد وقتادة والجمهور وهي مكية حكى ذلك عن ابن عباس وعطاء ابن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي فيها ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل إن المدني من أولها إلى قوله تعالى إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية إلى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي إحدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **هل أتى** أي قد أتى **على الإنسان** يعني آدم **حين من الدهر** يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى م عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله عز وجل آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر إليه فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك قوله يطيف به أي يدور حوله فلما رآه أجوف أي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف أنه خلق لا يتمالك أي لا يتمالك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب ويروى في تفسير الآية أن آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين حمأ مسنونا وأربعين صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة **لم يكن شيئا مذكورا** أي لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن شيئا يذكر روي عن ابن عمر أنه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالإنسان جميع الإنسان وهم بنو آدم بدليل قوله تعالى **إنا خلقنا الإنسان** فالإنسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيئا مذكورا يعني أنهم كانوا نطفا في الأصلاب ثم علقا ومضغا في الأرحام لم يذكروا بشيء إنا خلقنا الإنسان يعني ولد آدم **من نطفة** أي من مني الرجل ومني المرأة **أمشاج** أي أخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن المرأة وقيل الأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو أمشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشيجة أي خلطت بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الأمشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم نكسوها لحما ثم ننشئه خلقا آخر وقيل إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج **نبتليه** أي نختبره بالأمر والنهي **فجعلناه سميعا بصيرا** قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل معناه إنا خلقنا الإنسان من هذه الأمشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه

ما يصح منه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها **إنا هديناه السبيل** بينا له سبيل الحق والباطل والضلالة والهدى وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدناه إلى الهدى لأنه لا يطلق اسم السبيل إلا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وإنزال الكتب **إما شاكرا وإما كفورا** يعني إما موحدا طائعا لله عز وجل وإما مشركا بالله في علم الله تعالى وذلك أن الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الإنسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين مآل الفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى **إنا أعتدنا للكافرين سلاسل** أي يشدون بها **وأغلالا** أي في أيديهم تغل بها إلى أعناقهم **وسعيرا** يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموعودين فقال تعالى **إن الأبرار** يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى البر التوسع في الطاعة **يشربون من كأس** يعني فيه شراب **كان مزاجها كافورا** قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فإن قلت الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه شرابهم به قلت قال أهل المعاني أراد بالكافور في بياضه وطيب ريحه لأن الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم ضر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل **عينا** بدلا من الكافور وقيل أعني عينا ~~بدلا من الكافور وقيل أعني عينا~~ **يشرب بها** أي يشرب منها **عباد الله** قال ابن عباس أولياء الله **يفجرونها تفجيرا** أي يقودونها إلى حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا يسيع عليهم قوله تعالى **يوفون بالنذر** لما وصف الله تعالى ثواب الأبرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا التي يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر النذر الإيجاب والمعنى يوفون بما فرض الله تعالى عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الإيمان والصلوة والزكوة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة أن يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك بأن يقول لله علي كذا وكذا من صلوة أو صدقة أو صوم أو حج أو عمرة ويعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله تعالى وذلك بأن يقول إن شفى الله مريضي أو قدم غائبي كان لله علي كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به خ عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله تعالى فليف بنذره ومن نذر أن يعصيه فلا يف به وفي رواية ولا يعصه وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فأمره أن يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في وصفهم على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى **ويخافون يوما كان شره مستطيرا** أي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في أهل السموات وفي أهل الأرض وفي أولياء الله تعالى وأعدائه وقيل فشى في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الأرض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء والمعنى أنهم يوفون وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل **ويطعمون الطعام على حبه** أي حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة إليه فوصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لأن أشرف أنواع ~~الإحسان~~ الإحسان إطعام الطعام لأن فيه قوام الأبدان وقيل على حب الله عز وجل أي لحب الله **مسكينا** يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب **ويتيما** أي صغيرا وهو الذي لا أب له يكسب له وينفق عليه **وأسيرا**

قيل هو المسجون من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله سبحانه وتعالى بالاسرآ ان يحسن
اليهم وان اسراهم يومئذ من اهل الشرك فعلى هذا يجوز اطعام الاسرآ وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطو
من الصدقة الواجبة كالزكوة والكفارات وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في
النسآء فانهن عندكم عوان يعني اسرآ وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول الاية فقيل نزلت في رجل
من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له
ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الاية فيه وروي عن ابن عباس انها نزلت في علي ابن ابي طالب وذلك انه عمل ليهودي بشيء من
شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيئا ياكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسأل فاعطوا ذلك الطعام اليه ثم
عمل الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسأل فاطعموه ذلك وطووا يومهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين
واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه **انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزآء ولا شكورا** قيل انهم لم يتكلموا به ولكن
علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك
وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله عز وجل لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة او
لطلب الحمد من الناس اولهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله لان فيهما شركا وريآء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزآء ولا شكورا **انا نخاف من ربنا يوما** يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك
اليوم لا لطلب مكافاتكم **عبوسا** وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس
فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس الذي لا انبساط فيه لما فيه من الشدة **قمطريرا** يعني شديدا كريها
يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله
في البلاء **فوقيهم الله شر ذلك اليوم** اي الذي يخافونه **ولقيهم نضرة** اي حسنا في وجوههم **وسرورا** اي في قلوبهم
وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتنابه معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار **جنة وحريرا**
اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير **متكئين فيها** اي في الجنة **على الارائك** جمع اريكة وهي السرر في الحجال ولا
تسمى اريكة الا اذا اجتمعا **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في
الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد وليلة ظلامها
قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها**
اي قريبت منهم ظلال اشجارها **وذللت** اي سخرت وقربت **قطوفها** اي ثمارها **تذليلا** اي ياكلون من ثمارها
قياما وقعودا او مضطجعين ويتناولونها كيف شاءوا وعلى اي حال ارادوا **ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب**
قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه **كانت قواريرا قواريرا من فضة** قال اهل التفسير اراد بياض الفضة
في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى آنية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها
وقال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون
فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج **قدروها تقديرا**
اي قدروا الكؤوس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدام الذين يطوفون عليهم يقدرونها
لهم ثم يسقونهم **ويسقون فيها** اي في الجنة **كأسا كان مزاجها زنجبيلا** قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين
التي يشرب منها الابرار يوجد فيها طعم الزنجبيل يشربها المقربون صرفا وتمزج لاهل الجنة جميعهم وقيل هو النبت المعروف
والعرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل به ضرب من اللذع قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها
واريا مشارا اما ترى العسل والمشار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب في معناه فكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته

ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسأله فاعطوه ذلك الادمي صح
ولبثهم صح

وشابه الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب الجنة على برد
الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كلما ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك
لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا **عينا فيها تسمى سلسبيلا** اي سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا وقيل
حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان
وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى اي توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا
صفة لا اسم **ويطوف عليهم ولدان مخلدون** اي في الجنة وقيل مخلدون مسورون ومقرطون **اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا** يعني في بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان احسن منه
منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله عز وجل **واذا رايت** قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به **ثم** يعني الجنة **رايت نعيما** اي لا يوصف
عظمه **وملكا كبيرا** قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان
رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استيذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال
له ولا انتقال **عاليهم** اي فوقهم **ثياب سندس خضر** وهو ما رق من الديباج **واستبرق** وهو ما غلظ منه وكلاهما
داخل في اسم الحرير **وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** يعني طاهرا من الاقذار لم تمسه الايدي ولم
تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل لانه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام
ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك
الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان في قلبه
من غل وغش وحسد **ان هذا كان لكم جزاء** اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم
جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده الله
لهم في الآخرة **وكان سعيكم مشكورا** اي شكرتكم عليه واثبتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده
هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاه اياهم الكثير من الحسنات قوله عز وجل **انا نحن نزلنا عليك**
يا محمد **القرآن تنزيلا** قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا والحكمة
البالغة تقتضي كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي
انزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة **فاصبر
لحكم ربك** اي الصادر عن حكمة محضة قيل معناه فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع
التكاليف اي فاصبر في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير
كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك **ولا تطع منهم آثما او كفورا** يعني وكفورا وقيل اراد به ابا جهل
وذلك انه لما فرضت الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه
وقيل اراد بالآثم عتبة ابن ربيعة وبالكفور الوليد ابن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان
كنت صنعت ما صنعت لاجل النسآء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك
بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت
هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد
فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد
نعمه عليه **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** قيل المراد من الذكر الصلوة والمعنى وصل لربك

تخصيص

بكرة يعني بها صلوة الصبح واصيلا يعني صلوة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلوة المغرب والعشاء
فيكون على هذا الاية جامعة لمواقيت الصلوات الخمس وسبحه ليلا طويلا يعني صلوة التطوع بعد المكتوبة وهو
التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل
والنهار بقلبه ولسانه قوله تعالى ان هؤلاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا
ويذرون وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا يعني شديدا وهو يوم القيمة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا
يعملون له نحن خلقناهم وشددنا اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضهم
الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انهم اذا خرج الاذى انقبضتا واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ان هذه اي السورة
تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه في الدنيا الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب
اليه وهذا مما يتمسك به القدرية ويقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار
العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله تعالى في سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
اي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله تعالى مستلزمة بفعل العبد فجميع ما يصدر
عن العبد بمشيئة الله تعالى ان الله كان عليما باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع
علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى
وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله تعالى وفضله واحسانه بسبب الاستحقاق والظالمين
يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم بمراده

تفسير سورة المرسلات مكية

وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة وثمانماية وستة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اعلم ان المفسرين ذكروا في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد الرياح باسرها ومعنى المرسلات عرفا الرياح
ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشديدة الهبوب والناشرات
نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي ارسلت بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتاتي
بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعني ان الرياح اذا ارسلت
عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف في قلوب العباد فيلجاوا الى الله
تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثاني
ان المراد باسرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى والمرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا
بالمعروف من امر الله تعالى ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف
في طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم
وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيمة والفارقات فرقا قال ابن عباس يعني الملائكة تلقي
الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر القران خاصة فعلى هذا يكون الملقي هو جبريل وحده وانما
ذكر بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث ان المراد باسرها ايات القران والمعنى والمرسلات عرفا
ايات القران المتتابعة في النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعني ايات
القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المنكسر والناشرات نشرا يعني ايات
القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني ان ايات القران هي الذكر الحكيم يلقي الايمان والنور

الملائكة تاتي بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعني

في قلوب المؤمنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيئا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله
تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما في القسم قلت الملائكة روحانيون
فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم في القسم
عذرا او نذرا اي للاعذار والانذار وقيل عذرا من الله او نذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم
قوله تعالى انما توعدون اي من امر الساعة ومجيئها لواقع اي لكائن نازل لا محالة وقيل معناه انما توعدون به
من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى فاذا النجوم طمست اي محي نورها وقيل محقت واذا السماء
فرجت اي شقت وقيل فتحت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اماكنها واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت
بالواو ومعناهما واحد اي جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة يشهدوا على الامم لاي يوم اجلت اي اخرت
وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل في ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم
وتعظيم من امن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلايق ثم اتبع
ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى وما ادريك ما يوم الفصل يعني ما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته
ويل يومئذ للمكذبين اي بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب قوله تعالى الم نهلك الاولين
يعني الامم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم ثم نتبعهم الاخرين يعني السالكين سبيلهم
في الكفر والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم كذلك نفعل بالمجرمين اي انما
نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين يعني النطفة فجعلناه في قرار
مكين يعني الرحم الى قدر معلوم يعني وقت الولادة وهو معلوم الله تعالى لا يعلم ذلك غيره فقدرنا
قرئ بالتشديد من التقدير اي قدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون اي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدر
اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن صورة وهيئة ويل يومئذ
للمكذبين اي المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا يعني وعاء واصله
الضم والجمع احياء وامواتا يعني تكفتهم على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا في بطنها
في قبورهم ولهذا تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها وجعلنا فيها اي في الارض رواسي شامخات
يعني جبالا عاليات واسقيناكم ماء فراتا يعني عذبا ويل يومئذ للمكذبين يعني ان هذا كله اعجب من
البعث والقادر عليه قادر على البعث قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون يعني يقال يوم القيمة
للمكذبين في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان
يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل اي ذلك الظل لا يظل من حر ولا يغني من اللهب اي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى
انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب انها يعني جهنم ترمي بشرر جمع شررة وهي ما تطاير
من النار كالقصر اي كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي اصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس
عن قوله تعالى ترمي بشرر كالقصر قيل هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك
ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر كانه يعني الشرر جمالات جمع الجمال قال ابن عباس هي حبال السفن
يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال صفر جمع صفر يعني ان لون تلك الشرر اصفر وانشد بعضهم

دعتهم باعلا صوتها ودمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى * وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جا في الحديث
ان شرر جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سواد الابل صفرا لانه يشرب سوادها بشيء من الصفرة وقيل هي النحاس والمعنى
ان هذا الشرار يرتفع كانه شيء مجموع غليظ اصفر ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
يعنى بحجة تنفعهم وقيل هذا في بعض مواطن القيمة ومواقفها وذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون
وفي بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون عطف على يوذن واختير ذلك لان
روس الايات بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تستحب وفاق القوافي كما تستحب وفاق الفواصل والقران
نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه
وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم
الانذار والاعذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يوذن لهم في ذلك
العذر الفاسد ويل يومئذ للمكذبين يعنى انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة
ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل يعنى بين اهل الجنة
واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات جمعناكم والاولين يعنى مكذبي هذه الامة والذين
كذبوا انبياءهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اى ان كانت لكم حيلة تحتالونها لانفسكم
فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع ولهذا اعقبه بقوله ويل
يومئذ للمكذبين قوله تعالى ان المتقين اى الذين اتقوا الشرك في ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون
اى انهار في ظلهم عيون ماء وفواكه مما يشتهون اى يتلذذون بها كلوا واشربوا اى ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا
القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لا بواسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام
هنيئا اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اى في الدنيا من الطاعات انا كذلك نجزي المحسنين
قيل المقصود منه تذكير الكفار بما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك
الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا
اى يقول للكفار بمكة كلوا وتمتعوا في الدنيا قليلا اى الى منتهى اجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ امرا الا انه
في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اى مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم اتبعه بقوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اى واذا قيل لهم صلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
لا يصلون فعبر عن الصلوة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيمة حين يدعون
الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده اى بعد نزول القران يومنون اى اذا لم
يومنوا به فباي شيء يومنون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النبا وتسمى عم والتساول مكية

وهي اربعون اية ومائة وثلثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اى عن اى شيء يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم
كقولك اى شيء زيد اذا اعظمت شانه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث
بعد الموت وتلا عليهم القران جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد ثم ذكر عن ماذا تساءلهم
فقال تعالى عن النبا العظيم اى عن الخبر العظيم الشان فقال الاكثرون هو القران وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد عليه
السلام وما جاء به الذي هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم بالقران قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر
او شعر او كهانة ونحو ذلك مما قالوه في القران ومن فسر النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمنهم مصدق به ومنهم

المومنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القران
كلا هي ردع وزجر وقيل هي نفي لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا سيعلمون اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف
الامر يعنى في القيمة ثم كلا سيعلمون وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم
ثم كلا سيعلمون يعنى المومنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر شيئا من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده
ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده مرة بعد اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى
الم نجعل الارض مهادا اى فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعنى للارض حتى لا تميل
وخلقناكم ازواجا يعنى اصنافا ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات
للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان
النوم يقطع عن الحركة والتصرف في الاعمال وجعلنا الليل لباسا اى غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته وهذا
سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة في ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا
من عدو او من لص ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا اى سببا للمعاش والتصرف في المصالح وقال ابن عباس
يبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعنى سبع سموات محكمة
ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الازمان الى ان ياتي امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعنى الشمس
مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فيه في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا
من المعصرات يعنى الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى
تكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر وقيل هي السحاب وهي الرواية الاخرى عن ابن
عباس قيل ان المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو المغيث وقيل المعصرات
السموات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه
بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى لنخرج به اى بذلك الماء
حبا يعنى ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اى ما ينبت في الارض من الحشيش مما ياكله الانعام وجنات
الفافا اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ان يوم
الفصل اى الحساب كان ميقاتا اى لما وعده الله تعالى من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلايق
ليقضى بينهم يوم ينفخ في الصور يعنى النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب
وفتحت السماء فكانت ابوابا يعنى فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير لها ابواب وطرق
وسيرت الجبال اى عن وجه الارض فكانت سرابا اى هباء منثورا كالسراب في عين الناظر ان جهنم كانت
مرصادا اى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس
يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوة فان جاء بها
تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكوة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى
الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن
المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا
اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى
ان جهنم ترصد الكفار اى تنتظرهم للطاغين اى للكافرين مآبا اى مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها
اى في جهنم احقابا جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة فان قلت

أضداها صح

الحقب وان طالت فهي متناهية وعذاب الكافر في جهنم غير متناهي فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها ما روي
عن الحسن قال ان الله تبارك وتعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب
دخل حقب آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروي عن عبد الله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون
في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه الثاني ان لفظ
الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا **لا يذوقون فيها** اي في تلك الاحقاب
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث
ان الاية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العذاب قد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس
البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اي يغنيهم من عطش الا حميما وغساقا
اي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل الماء الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم
ببرده وقيل هو صديد اهل النار **جزاء وفاقا** اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب
اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار **انهم كانوا لا يرجون حسابا** اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا
لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون **وكذبوا بآياتنا** اي التي جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة
والبعث والحساب **كذابا** اي تكذيبا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعالا وقد سال اعرابي
منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير **وكل شيء** اي من الاعمال **احصيناه** اي بيناه واثبتناه
كتابا اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شيء علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يبدل والمعنى انا عالم
بجميع ما فعلوه من خير او شر وانا اجازيهم على قدر افعالهم جزاء وفاقا **فذوقوا** اي يقال لهم ذوقوا **فلن نزيدكم الا
عذابا** قيل هذه الاية اشد آية في القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه قوله تعالى
ان للمتقين مفازا اي فوزا ونجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين
جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال **حدائق** جمع حديقة وهي البستان
المحوط فيه نخل **واعنابا** يدل على تعظيم ذلك العنب **وكواعب** جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن **اترابا**
يعني متساويات في السن **وكاسا دهاقا** قال ابن عباس مملوة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية **لا يسمعون فيها**
اي في الجنة وقيل في حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم **لغوا** يعني باطلا من الكلام **ولا
كذابا** اي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به **جزاء من ربك عطاء حسابا** اي جزاهم جزاء
واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم **رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا** اي لا يقدر الخلق ان يكلموا الرب تبارك وتعالى الا باذنه وقيل لا
يملكون شفاعة الا باذنه **يوم** اي في ذلك اليوم **يقوم الروح والملائكة صفا** قيل هو جبريل عليه السلام
وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله عز وجل مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقام
الملائكة صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من السموات والارض والجبال وهو في
السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيمة صفا وحده وقيل
الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس
الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا و
الملائكة صفا وقيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة **لا يتكلمون** يعني الخلق كلهم اجلالا
لهيبة الله عز وجل ومن هول ذلك اليوم **الا من اذن له الرحمن** اي في الكلام **وقال صوابا** اي حقا في الدنيا

كلما يشتهون صح

وعمل

أي سبيلا صح

بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من
الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من
القصاص صح صح

وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الاية لا يشفعون الا في شخص اذن الرحمن
في الشفاعة له وذلك الشخص من كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله **ذلك اليوم الحق** اي الكائن الواقع
لا محالة وهو يوم القيمة **فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا** اي مرجعا اليه وهو طاعة الله تعالى وما يتقرب به اليه **انا
انذرناكم** اي خوفناكم في الدنيا **عذابا قريبا** اي في الآخرة وكل ما هو آت قريب **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**
اي من خير وشر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيمة **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا**
قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم جعل القصاص
بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص
قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم
وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك
تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا في الدنيا في صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله تعالى بين الناس
وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس ومؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما انعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة
قال يا ليتني كنت ترابا متواضعا في طاعة الله تعالى في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر هاهنا هو ابليس
وذلك انه عاب آدم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون
من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة
لك من جعلك مثلي والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النازعات مكية

وهي ست وقيل خمس واربعون
آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وتسعمائة وثلاث وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا**
اختلفت عبارة المفسرين في هذه الكلمات هل هي صفات لشيء واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد
بقوله تعالى **فالمدبرات امرا** وصف لشيء واحد وهم الملائكة الوجه الاول في قوله والنازعات غرقا يعني الملائكة
تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي والنازعات
اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج
نفس الكافر كالغريق في الماء والناشطات نشطا هم الملائكة تنشط نفس المؤمن اي تسلها سلا رفيقا فتقبضها
كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب
بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعني الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا
ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء
مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل
الصالح وقيل هم الملائكة فتسبق بارواح المؤمنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله والنازعات غرقا يعني النفس حين
تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هي نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت
لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هي ارواح الكفار
تنشط من بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المؤمنين حين
تسبح في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة القدسية الوجه الثالث في قوله والنازعات
غرقا يعني النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب
والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم تسبق بعضها

بعضاً في السير الوجه الرابع في قوله والنازعات غرقاً يعني خيل الغزاة تنزع من اعنتها وتغرق في غرقها وهي الناشطات
نشطاً لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهي السابحات سبحاً في جريها وهي السابقات سبقاً لاستباقها الى الغاية الوجه
الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي والسابحات سبحاً والسابقات سبقاً يعني الخيل
والابل حين يخرجونها اصحابها الى الغزو والوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيئاً واحداً فقوله والنازعات يعني
ملك الموت ينزع النفوس غرقاً حين يبلغ بها الغاية والناشطات نشطاً يعني النفوس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات
سبحاً يعني السفن والسابقات سبقاً يعني مسابقة نفوس المؤمنين الى الخير والطاعات واما قوله فالمدبرات فاجمعوا
على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن ابن باسط يدبر
الامر في الدنيا اربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل
فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله عز وجل وهذه
اقسام اقسم الله تعالى بهذه الاشيا لشرفها ولله عز وجل ان يقسم بما شاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء
وجواب القسم محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ
واجفة **يوم ترجف الراجفة** يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق **تتبعها الرادفة**
يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء
باذن الله تعالى وقيل الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تشقق السماء وقيل الراجفة القيمة والرادفة
البعث يوم القيمة روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي ابن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل
قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه قوله عز وجل **قلوب يومئذ
واجفة** اي خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة وقيل زائلة من اماكنها **ابصارها خاشعة** اي ابصار
اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى **يقولون** يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون
بعد الموت **ائنا لمردودون في الحافرة** يعني نرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير احياء بعد الموت كما كنا اول مرة
والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء واول الشيء وقيل
يقال رجع فلان في حافرته اي طريقه الذي جاء فيها يحفرها بمشيه فحصل باثر قدميه حفر فهي محفورة في الحقيقة وقيل
الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى ائنا لمردودون الى الارض
فنبعث خلقاً جديداً نمشي عليها وقيل الحافرة النار **ائذا كنا عظاماً نخرة** اي بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى
وقيل الناخرة المجوفة التي تمر بها فتنخر اي تصوت **قالوا** يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا هول القيمة **تلك اذاً كرة
خاسرة** اي رجعة غابنة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت **فانما هي** يعني النفخة الاخيرة
زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها جميعاً **هل اتاك حديث موسى** يعني وجه الارض سميت ساهرة لان
عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي عليها كانها سهرت فالمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة
صاروا على وجهها وهي ارض الشام وقيل ارض القيمة وقيل هي ارض جهنم قوله تعالى **اذ ناديه ربه بالواد المقدس**
يعني قد اتاك يا محمد حديث موسى وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذب فذكر له قصة موسى عليه السلام
وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناديه ربه بالواد المقدس اي المطهر **طوى** هو اسم واد بالشام عند
الطور **اذهب الى فرعون انه طغى** اي علا وتكبر وكفر بالله **فقل هل لك الى ان تزكى** اي تطهر من الشرك
والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله **واهديك الى ربك فتخشى** اي ادعوك الى
عبادة ربك وتوحيده **فتخشى** يعني قيامه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان

فاذا هم بالساهرة

فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه **فاريه** يعني فارى موسى لفرعون **الاية الكبرى** يعني اليد
البيضا والعصى **فكذب** يعني فرعون بانهما من الله **وعصى** اي تمرد واظهر التجبر **ثم ادبر** اي اعرض عن الايمان **يسعى**
يعني فرعون لقومه بعمل الفساد في الارض **فحشر** اي فجمع قومه وجنوده **فنادى** اي لما اجتمعوا **فقال** يعني فرعون لقومه
انا ربكم الاعلى اي لا رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى**
اي عاقبه فجعله عبرة بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي فرعون وهي قوله
ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة **ان في ذلك** اي الذي فعل فرعون
حين كذب وعصى **لعبرة** اي عظة **لمن يخشى** اي يخاف الله تعالى ثم خاطب منكري البعث فقال تعالى **انتم اشد
خلقاً ام السماء بناها** معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم في تقديركم فان كان الامران بالنسبة
الى قدرة الله تعالى واحداً لان خلقه الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها
كان يسيراً فبين الله تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف
تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السماء فقال
تعالى **رفع سمكها** يعني علو سقفها وقيل رفعها بغير عمد **فسويها** اي اتقن بناها فليس فيها شقوق ولا
فطور **واغطش ليلها** اي اظلم ليلها والغطش الظلمة **واخرج** اي واظهر وابرز **ضحيها** اي نهارها وانما
عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار في النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما
يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى **والارض بعد ذلك
دحيها** اي بسطها ومدها قال امية ابن ابي الصلت
دحوت البلاد فسويتها ۝ وانت على طيها قادر
فان قلت ظاهر هذه الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله بعد ذلك وقد قال تعالى في حم
السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت خلق الله تعالى الارض اولاً مجتمعة ثم
سمك السماء ثانياً ثم دحى الارض يعني مدها وبسطها ثانياً فحصل بهذا التفسير الجمع بين الايتين وزال الاشكال
قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات
ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحيها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك **اخرج منها
ماءها** اي فجر من الارض عيوناً **ومرعيها** اي رعيها وهي ما ياكله الناس والانعام واستعير المرعى
للانسان على سبيل التجوز **والجبال ارسيها** اي اثبتها **متاعاً لكم ولانعامكم** اي الذي اخرج
من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم **فاذا جاءت الطامة الكبرى** يعني النفخة الثانية التي فيها البعث
وقيل الطامة القيمة سميت بذلك لانها تطم كل شيء فتعلوا عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا
تستطاع **يوم يتذكر الانسان ما سعى** اي ما عمل في الدنيا من خير او شر **وبرزت الجحيم لمن يرى**
يعني انه يكشف عنها الغطاء وينظر اليها الخلق **فاما من طغى** اي كفر **واثر الحيوة الدنيا** اي على الاخرة **فان
الجحيم هي الماوى** اي لمن هذه صفته **واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** اي المحارم
التي تشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله تعالى للحساب فيتركها لذلك **فان الجنة
هي الماوى** اي لمن هذه صفته قوله عز وجل **يسئلونك** اي يا محمد **عن الساعة ايان مرسيها**
اي عن ظهورها وقيامها **فيم انت من ذكريها** اي لست في شيء من علمها وذكراها حتى تهتم فتذكرها
الى ربك منتهيها اي منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم
اي فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اي من علامتها لانك اخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم

ذلك دليل على دنوها ووجوب الاستعداد لها إنما أنت منذر من يخشاها أي إنما يقع إنذارك ممن يخافها
كأنهم يعني الكفار يوم يرونها أي يعاينون يوم القيمة لم يلبثوا أي في الدنيا وقيل في قبورهم إلا عشية
أو ضحاها فإن قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله أو ضحاها قلت قيل إن الهاء والألف صلة والمعنى لم يلبثوا
إلا عشية أو ضحى وقيل إضافة الضحى إلى العشية إضافة إلى اليوم كأنه قال إلا عشية أو ضحى يومها والله أعلم بمراده

تفسير سورة عبس مكية

وهي إحدى وأربعون آية ومائة وثلثون كلمة وخمسمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس أي كلح وقطب وجهه
وتولى أي أعرض بوجهه أن جاءه الأعمى يعني ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل
عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن زهرة بن رواحة القرشي الضمري من بني عامر بن لؤي واسم أمه عاتكة بنت عبد الله
المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة
بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية بن خلف وهو يدعوهم إلى الله تعالى
يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدري أنه مقبل
على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد
من أتباعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم فأنزل الله تعالى
هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه إذا رآه ويقول
مرحبا بمن عاتبني ربي فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته وكان من المهاجرين
الأولين وقتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضي الله
عنها قالت أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول
أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي هذا أنزلت أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وما يدريك أي أي شيء يجعلك داريا لعله
يزكى أي يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك أو يذكر أي يتعظ فتنفعه الذكرى أي الموعظة
أما من استغنى قال ابن عباس عن الإيمان وعن الله تعالى بما له من المال فأنت له تصدى أي تتعرض له وتقبل عليه وتصغي
إلى كلامه وما عليك ألا يزكى أي لا يؤمن ولا يهتدي إنما عليك البلاغ وأما من جاءك يسعى يعني يمشي يعني
ابن أم مكتوم وهو يخشى يعني الله عز وجل فأنت عنه تلهى أي تتشاغل وتعرض عنه كلا أي لا تفعل بعدها مثلها إنها
يعني الموعظة وقيل آيات القرآن تذكرة أي موعظة للخلق فمن شاء أي من عباد الله ذكره أي اتعظ به يعني القرآن ثم
وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل في صحف مكرمة يعني القرآن في اللوح المحفوظ مرفوعة أي رفيعة القدر
عند الله وقيل مرفوعة في السماء السابعة مطهرة يعني الصحف لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة بأيدي سفرة
قال ابن عباس يعني كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة
إلى الأنبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله كرام يعني على الله بررة أي مطيعة له جمع بار قوله تعالى قتل الإنسان
ما أكفره أي لعن الكافر وطرد ما أكفره أي ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب
أي اعجبوا من كفره وقيل معناه أي شيء حمله على الكفر نزلت هذه الآية في عتبة بن أبي لهب وقيل في ابن أمية بن خلف وقيل
كافر أبو مربد وقيل الآية عامة في كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله تعالى خالقه من أي شيء
خلقه لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعني خلقه أطوارا
نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه وقيل قدره يعني خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده

ثم السبيل يسره أي سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل
أحد ما خلق له وقدر عليه ثم أماته فأقبره أي جعل له قبرا يواريه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع
والوحوش والطيور وأقبره معناه صيره الله تعالى بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبني آدم على سائر
الحيوان ثم إذا شاء أنشره أحياه بعد موته للبعث والحساب وإنما قال الله تعالى إذا شاء أنشره لأن وقت البعث
غير معلوم لأحد فهو إلى مشيئة الله تعالى فمتى شاء أن يحيي الخلق أحياهم كلا ردع وزجر للإنسان عن تكبره وترفعه
وعن كفره وإصراره على إنكار التوحيد وإنكار البعث والحساب لما يقض ما أمره أي لم يفعل ما أمره به ربه
ولم يؤد ما فرضه عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر به فإنه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الإنسان
إلى طعامه أي كيف قدره ربه ويسره له وجعله سببا لحيوته وقيل مدخل طعامه ومخرجه فقال تعالى أنا صببنا
الماء صبا يعني المطر ثم شققنا الأرض شقا أي بالنبات فأنبتنا فيها أي في الأرض بذلك الماء حبا
يعني الحبوب التي يتغذى بها الإنسان وعنبا يعني أنه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا أتبعه الحب
وقضبا يعني القت وهو الرطبة سمي بذلك لأنه يقضب أي يقطع في كل الأيام وقيل القضب هو العلف كله الذي
يعلف به الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة غلبا يعني غلاظ الأشجار
وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعني جميع ألوان الفاكهة وأبا يعني
الكلأ والمرعى والذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والأنعام وقيل الفاكهة مما يأكله الناس والأنعام
وروى إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله فاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت
في كتاب الله ما لا أعلم خ عن أنس أن عمر قرأ وفاكهة وأبا فما الأب ثم قال ما كلفنا أو قال ما أمرنا بهذا لفظ
البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب
والعشب منفعة لكم ولأنعامكم ثم ذكر أحوال القيمة فقال تعالى فإذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيمة سميت
صاخة لأنها تصخ أسماع الخلق أي تبالغ في أسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه أي أنه لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك
الاحتياط عن المطالبة بالحقوق فالأخ يقول ما واسيتني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول
لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل وإبراهيم عليه السلام
من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المرء من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى أن هؤلاء الذين
كانوا يتقوون بهم في الدنيا ويتقوى بهم ويتعززون فإنه يفر منهم في الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه قيل يوم يفر المرء
من أخيه بل من أبويه لأنهما أقرب من الأخوة بل من الصاحبة والولد لأن تعلق القلب بهم أشد من تعلقه بالأبوين لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه أي يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيمة وأهوالها بين حال المكلفين وأنهم
على قسمين منهم السعداء والأشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة أي مشرقة مضيئة من
أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من آثار الوضوء وقيل من آثار الغبار في سبيل الله ضاحكة
أي عند الفراغ من الحساب مستبشرة أي بالسرور فرحة بما نال من كرامة الله تعالى ورضوانه ثم وصف الأشقياء
بقوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة أي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة أي تعلوها
وتغشيها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشيها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة أن الغبرة ما كان أسفل في الأرض

والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء اولئك الذي صنع بهم هذا هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة
وثلثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيمة كانه راى عين فليقرأ اذا
الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل غورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل
التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله
الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا عن ابي هريرة عن النبي عليه
السلام قال الشمس والقمر يكوران يوم القيمة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد
الحر في جهنم واذا النجوم انكدرت اي تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء يومئذ
نجوما فلا يبقى نجم الا وقع واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هباء منبثا واذا العشار عطلت
يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك حتى تضع لتمام سنة وهي انفس
مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب
اليهم منها لما جاءهم من اهوال القيمة واذا الوحوش حشرت يعني دواب البر حشرت اي جمعت يوم القيمة ليقتص بعضها
من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال لو حشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة واذا البحار
سجرت قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحور كلها
بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم لاهل النار وقيل سجرت اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال ابي
ابن كعب ست ايات قبل يوم القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم
كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير
والوحوش وبلغ بعضهم في بعض فذلك قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا
العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت فحينئذ تقول الجن للانس نحن
ناتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة
السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم ق عن ابن عباس قال هي اثنا عشر
خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وهي ما ذكر الله تعالى بعد هذه وهي قوله تعالى واذا النفوس زوجت روى
النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل
السوء في النار وقيل يلحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله
وقيل زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل
معنى زوجت ردت الارواح في الاجساد واذا الموءودة سئلت يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك
لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية
مخافة العار او الحاجة وروي عن ابن عباس قال كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت
حفرة وقعدت على راس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل
في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية البسها جبة من صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية
واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في
الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها وهيل التراب عليها حتى يستوي بالارض عن ابن

يوم القيمة صح

مع الرجل السوء صح

مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية
ممن منع الوائدات ولم يئد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال ومنا الذي منع الوائدات واحيى الوئيد فلم يوأد باي ذنب قتلت
معناه تسال الموءودة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها تقول قتلت بغير ذنب واذا الصحف نشرت
يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب واذا السماء كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت
وازيلت عما فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله واذا الجنة ازلفت اي قربت لاولياء الله تعالى علمت
نفس ما احضرت يعني عندئذ لان تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله
تعالى فلا اقسم لا زائدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيمة بالخنس الجوار الكنس
يعني النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روي عن علي ابن ابي طالب وقيل
هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وتخنس في مجاريها اي ترجع وراءها في الفلك
وتكنس اي تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام تتاخر بتاخرها عن تعجيل الطلوع
تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظباء وهي رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء
والكنوس هو ان تاوي الى كناسها وهو الموضع الذي تاوي اليه الوحوش والليل اذا عسعس اي اقبل بظلامه
وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون في طرفي الليل والصبح اذا تنفس اي اقبل وتبلج لا وبدا اوله وقيل
اسفر وفي تنفسه قولان احدهما ان في اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثاني انه شبه الليل بالمكروب
المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهما استعارة لطيفة ولما ذكر
المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى
ان جبريل نزل به عن الله تعالى لا انه تكلم به ابتداء ذي قوة وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء
الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض
المقدسة فنفخه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء
ثم يصعد في اسرع من الطرف عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم اي في السموات
تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله امين يعني على وحي الله تعالى الى انبيائه وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون ~~كما يقوله اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون~~ اقسم على ان القرآن نزل به جبريل
وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من
عند نفسه فنفى الله عنه الجنون ولقد رآه يعني راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق
فيها بالافق المبين يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب ان اراك على صورتك التي تكون فيها في السماء قال
لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك
بالحري ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة
قد ملأ ما بين المشرق والمغرب وراسه في السماء ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه
فتحول جبريل في صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في
تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالصعو يعني العصفور
حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب اي الوحي وخبر السماء وما اطلع

وهذا ايضا نسخة جواب القسم صح

عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء بضنين قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراة الظاء لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله تعالى عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القرآن بقول شيطان رجيم يعني القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه في لسانه فنفى الله تعالى ذلك فاين تذهبون اى فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ان هو يعني ما في القرآن الا ذكر للعالمين اى موعظة للخلق اجمعين لمن شاء منكم ان يستقيم اى يتبع الى الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العباد موقوفة بمشيئته فقال وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين علمهم الله تعالى ان المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله تعالى وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله اعلم تفسير سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثمائة وتسعة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل اذا السماء انفطرت اى انشقت واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت واذا البحار فجرت اى فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت واذا القبور بعثرت اى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء علمت نفس ما قدمت واخرت يعني علمت في ذلك الوقت ما قدمت من عمل صالح او سيئ واخرت بعدها من سنة حسنة او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات وهو اعمال واحوال القيمة قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اى ما خدعك وسول لك بالباطل حتى صنعت ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا آمنك من عقابه قيل نزلت في الوليد ابن المغيرة وقيل في ابي الاشد واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة ابن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه وانزل الله تعالى هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص يقول لما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك الكريم اى المتجاوز عنك فهو يكرمه لما يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة رجاء التوبة قال ابن مسعود وما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة فيقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل ابن عياض لو اقامك الله تعالى يوم القيمة فقال لك ما غرك بربك الكريم ما كنت تقول قال اقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامني بين يديه وقال لي ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وآنفا وقال ابو بكر الوراق ولو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اى اوجدك من العدم الى الوجود فسواك اى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر فعدلك اى عدل خلقك في مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا لاحسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اى صورة ما شاء ركبك اى في اى شبه من اب وام او خال او عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرت كل عرق بينه وبين آدم ثم قرا في اى صورة ما شاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان وقيل في اى صورة ما شاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اى بيوم الحساب والجزاء وان عليكم لحافظين يعني رقباء من الملائكة

يحفظون

يحفظون عليكم اعمالكم كراما اى على الله تعالى كاتبين اى يكتبون اقوالكم وافعالكم يعلمون ما تفعلون يعني من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله تعالى عليهم واجتناب معاصيه لفي نعيم يعني نعيم الجنة وان الفجار لفي جحيم روى ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري ما لنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك عند الله فقال اين اجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين يصلونها يوم الدين يعني يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما هم عنها بغائبين اى عن النار ثم عظم شان ذلك اليوم فقال وما ادريك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هم الكافرون وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اى شيء علمك به لو لم نعرفك احواله ثم ما ادريك ما يوم الدين التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اى لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله يعني انه لم يملك الله احدا في ذلك اليوم شيئا كما ملكهم في الدنيا والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة المطففين مدنية في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها اية مكية وهي قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة في الهجرة وهي ست وثلثون اية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ويل اى قبح به وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم للمطففين يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشيء اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعني انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيئا استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن واذا كالوهم او وزنوهم يعني واذا كالوهم او وزنوهم يعني للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك يخسرون اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من ياخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع فيقول اتق الله في الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيمة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة يا ابن آدم اوف كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيمة الا يظن اى الا يعلم ويستيقن اولئك الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعني يوم القيمة يوم يقوم الناس يعني من قبورهم لرب العالمين اى لامره وجزائه وحسابه ق عن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وروى مرفوعا م عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من الخلق يوم القيمة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي او اثنين قال سليم بن عامر والله ما ادري ما يعني بالميل مسافة الارض او الميل الذي يكحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله تعالى كلا

قيل إنه ردع وتنبيه أي ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل
كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا إن كتاب الفجار أي الذي كتب فيه أعمالهم لفي سجين قال ابن عمر هي الأرض السابعة
السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل
سبع أرضين وعليين في السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول
الله تعالى إن كتاب الفجار لفي سجين قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السموات أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض
فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم
ويختم ويوضع تحت جند إبليس ليعرفها الهلاك لحساب يوم القيمة وقيل هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء خضرة
السماء منها تقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هي آخر سلطان إبليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين
جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسارة وضلال وقيل إنه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد
وما أدريك ما سجين أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل إنما قال ذلك تعظيما لأمر سجين كتاب مرقوم
ليس في هذا تفسير للسجين وإنما هو بيان للكتاب المذكور في قوله إن كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم
في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل ~~مرقوم أو مختوم~~ مرقوم رقم عليهم بشر كأنه أعلم بعلامة يعرف
بها أنه كافر وقيل مرقوم أي مختوم وهي بلغة حمير ويل يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم على الشقاوة
ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أي في ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليه فيه بالشقاوة الذين يكذبون بيوم
الدين أي بيوم القيمة لأنه يوم الجزاء وما يكذب به أي بيوم القيمة إلا كل معتد أي متجاوز عن منهج الحق أثيم
هو مبالغة في الإثم وهو المرتكب للإثم والمعاصي إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي أكاذيب الأولين
قوله تعالى كلا أي لا يؤمنون ثم استأنفه فقال تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو
قلبه وهو الران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
وأصل الران الغلبة ومعنى الآية إن الذنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب
قال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من
الرين والأقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى أن يغشى القلب شيء كالصدأ فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا
قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الأمر كما يقولون إن لهم في الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل إن الله تعالى لا ينظر إليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف
إذا حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فإن من حجب عن الله تعالى فإن الله لا ينظر
إليه نظر رحمة ولا يزكيهم والذي ذهب إليه أكثر المفسرين أنهم محجوبون عن رؤيته وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت
الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو أنه تعالى ذكر الحجاب في معرض الوعيد والتهديد
للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله للمؤمنين فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون
والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته
وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقال الشافعي في قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله تعالى وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضى ثم أخبر
أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله تعالى يدخلون النار فقال تعالى ثم إنهم لصالوا الجحيم أي لداخلون النار
ثم يقال أي تقول لهم الخزنة هذا أي هذا العذاب الذي كنتم به تكذبون يعني في الدنيا كلا أي ليس الأمر كما توهمه

والفجار إن كتاب الفجار صح

وقيل إنه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى صح

الفجار من إنكار البعث وقيل كلا أي لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الأبرار فقال تعالى إن كتاب الأبرار
لفي عليين جمع علي من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم في حديث البراء المرفوع عليين
في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة
العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي
مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله تعالى وأعلاها وما أدريك ما عليون تنبيها له على عظم شأنه كتاب
مرقوم ليس بتفسير لعليين والمعنى أن كتاب الأبرار لفي كتاب مرقوم في عليين قيل لهم فيه بخير وهو ما أعد لهم من الكرامة
وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليين محل الملائكة وضده سجين وهي محل إبليس وجنوده يشهده المقربون يعني الملائكة
الذين هن في عليين يشهدون يعني يحضرون ذلك المكتوب ومن قال إنه كتاب الأعمال قال يشهد ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين
المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قوله تعالى إن الأبرار يعني المطيعين لله لفي نعيم يعني نعيم الجنة على
الأرائك جمع أريكة وهي الأسرة في الحجال ينظرون أي ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون إلى أعدائهم كيف
يعذبون في النار وقيل ينظرون إلى ربهم تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم يعني أنك إذا رأيتهم تعرف أنهم
من أهل النعمة لما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب يسقون
من رحيق يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء مختوم يعني ختم على ذلك الشراب ومنع من أن يمسه يد إلى أن يفك ختمه
الأبرار فإن قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين
قلت يحتمل أن تكون هذه المذكورة في الآية في أوان مختوم عليها وهي غير تلك الخمر التي في الأنهار وإنما ختم عليها
لشرفها ونفاستها ختامه مسك أي طينه الذي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فإن ختامها طين وقال ابن مسعود
مختوم أي ممزوج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ليجعل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك
وقيل أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس وتريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضن ويبخل ومزاجه
من تسنيم أي من شراب ينصب عليه من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء متسنما فينصب في أواني أهل الجنة
على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لأنه أعلاه وقيل هو شراب
اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر أهل
الجنة وسئل ابن عباس عن قوله عز وجل من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين
عينا يشرب بها أي منها وقيل يشربها المقربون صرفا قوله عز وجل إن الذين أجرموا أي أشركوا يعني كفار قريش
أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي أهل مكة كانوا من الذين آمنوا أي عمار وخباب
وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين يضحكون أي منهم ويستهزؤون بهم وإذا مروا بهم يعني مر
المؤمنون الفقراء بالكفار الأغنياء يتغامزون يعني يتغامز الكفار والغمز الإشارة بالجفن والحاجب أي يشيرون إليهم
بالأعين استهزاء بهم وإذا انقلبوا إلى أهلهم يعني الكفار انقلبوا فكهين أي معجبين بما هم فيه وقيل
يتفكهون بذكرهم كأنهم يتفكهون بحديثهم وإذا رأوهم يعني رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا إن هؤلاء لضالون
أي هم في ضلال باتباعهم محمدا ويرون أنهم على شيء قال الله تعالى وما أرسلوا يعني المشركين عليهم يعني على المؤمنين
حافظين أي لأعمالهم والمعنى أنهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم قوله تعالى فاليوم يعني في الآخرة الذين آمنوا من الكفار
يضحكون وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا
إلى الآخرة انعكس ذلك الأمر فصار المؤمنون في السرور وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المؤمنون على الكفار

لما رأوا من حالهم وقال أبو صالح يفتح للكفار أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فإذا انتهوا إليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى إذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب يضحك منه فذلك قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون **على الأرائك** جمع أريكة وهو السرير يتخذ في الحجلة وهي أريكة يزينها البيت وأريكة الجنة من الدر والياقوت **ينظرون** يعني إليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى **هل ثوب الكفار** أي جوزي الكفار **ما كانوا يفعلون** أي من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثاب وأثيب بمعنى قال أوس سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن يثنى عليك وتحمد والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **إذا السماء انشقت** يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها **وأذنت لربها** أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وطاعته من الأذن وهو الاستماع **وحقت** أي حق لها أن تطيع ربها **وإذا الأرض مدت** يعني من الأديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل **وألقت ما فيها** أي أخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز **وتخلت** أي من ذلك الذي كان في بطنها **يا أيها الإنسان إنك كادح** واختلفوا في جواب إذا فقيل جوابه محذوف تقديره إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا أيها الإنسان إنك كادح والمعنى إذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة يا أيها الإنسان إنك كادح أي ساع إليه في عملك سعيا والكدح عمل الإنسان وجهده في الأمرين من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه إنك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى أن هذا الكدح يستمر بك إلى الموت وقيل معناه إنك كدوح في دنياك كدحا تصير به **إلى ربك كدحا فملاقيه** أي فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك **فأما من أوتي كتابه بيمينه** يعني ديوان عمله **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ق عن ابن أبي مليكة أن عائشة لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب **وينقلب إلى أهله** يعني في الجنة من الحور العين والآدميات **مسرورا** أي بما أوتي من الخير والكرامة **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره** يعني تغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى بها كتابه **فسوف يدعو ثبورا** يعني عند إعطاء كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم أنه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول واويلاه واثبوراه **ويصلى سعيرا** أي فيقاسي حرها بالنار ودخولها **إنه كان في أهله** يعني في الدنيا **مسرورا** يعني باتباع هواه وركوب شهواته **إنه ظن أن لن يحور** أي لن يرجع إلينا ولن يبعث والحور الرجوع **بلى** أي ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ويحاسب **إن ربه كان به بصيرا** أي من يوم خلقه إلى أن يبعث قوله تعالى **فلا أقسم بالشفق** تقدم الكلام في تفسير لا أقسم في سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك أنه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبي حنيفة **والليل وما وسق** أي جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به **والقمر إذا اتسق** أي اجتمع وتم نوره وذلك في الأيام البيض وقيل

استداره واستوى ولما ذكر المقسم به أتبعه المقسم عليه فقال تعالى **لتركبن** قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد **طبقا عن طبق** يعني سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا أن يكون الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم على كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك في موقف القيامة فتنقلب بهم الأحوال فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد والأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الإنسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم ق عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الآية إنه أراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى أخرى **فما لهم لا يؤمنون** يعني بالبعث والحساب وهو استفهام إنكار **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** أي لا يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لأنه جزء منها وقيل المراد به سجود التلاوة وهذه السجدة إحدى سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه عن رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه فقال سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت **بل الذين كفروا يكذبون** يعني بالقرآن والبعث **والله أعلم بما يوعون** يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب **فبشرهم بعذاب أليم** يعني على تكذيبهم وكفرهم **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمس وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والسماء ذات البروج** يعني البروج الاثني عشر وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري سبحانه وتعالى وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها **واليوم الموعود** يعني يوم القيامة **وشاهد ومشهود** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم وقيل هو الملك والمشهود عليهم هو ابن آدم وقيل الشاهد هي الأعضاء والمشهود عليه هو ابن آدم وقيل الشاهد هذه الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الأمم المتقدمة وقيل الشاهد الأنبياء والمشهود له محمد صلى الله عليه وسلم لأن الأنبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل أصحاب الأخدود وقيل جوابه إن بطش ربك لشديد قوله عز وجل **قتل أصحاب الأخدود** أي لعن والأخدود الشق المستطيل في الأرض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه السحر وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه فشكى ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر

فقل حسبي فبينا هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا
ثم قال اللهم ان كان الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب
فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي
وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة ما هاهنا لك
اجمع ان كنت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فامن بالله
فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري
قال الله ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ
الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له
ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع
عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف
بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك انك لست
بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي ثم
تضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد
واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه
فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس امنا برب الغلام ثلاثا فاتي الملك
فقيل له ارايت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك واضرم
النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قال فاقحموه فيها وقيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة معها صبي
فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبري فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وفي هذا الحديث
اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفي انقاذ النفس من الهلاك والاكمه الذي خلق
اعمى والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور
بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفات انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق وافواهها
والاخدود الشق العظيم في الارض واقحموه ارموه فيها وتقاعست اي تاخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن عباس
كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين
سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا
من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب
وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى عليه السلام فوقع الى نجران فاخبره فسار اليه ذو نواس اليهودي
بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثني عشر الفا ثم غلبت على اليمن فخرج ذو نواس
هاربا واقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا
عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في راسه اذا ابسطت يده عنها انبعثت دما وان تركت ارتدت مكانها وفي
يده خاتم من حديد فيه مكتوب ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى
لما انهزم اهل اسفنديار قال عمر بن الخطاب اي شيء يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب
بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه
السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل

نكاح

نكاح الاخوات فاذا ذهب الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال
الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به وما جاءنا به من نبي ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط
فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخد لهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن
ابى قذفه في النار ومن اجاب سبيله وروي عن علي قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه
ثم قرا علي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الاية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل
اصحابه واخذوا من انفلت منهم فاوثقوه ثم اخذوا لهم اخدودا فملؤها نارا فمن اتبع ذلك النبي رمي به في النار
ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامراة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا اماه قعي ولا تقاعسي وقيل كانت الاخدود
ثلاثة فواحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو قطيانوس
الرومي واما التي بفارس فبخت نصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو نواس يوسف فاما التي
بالشام وفارس فلم ينزل الله تعالى فيها قرانا وانزل تعالى في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهودة
عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وحمل المكاره
في الدين قوله تعالى **النار ذات الوقود** هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين
القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم
اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود **وهم** يعني الملك الذي خد الاخدود واصحابه **على ما يفعلون بالمؤمنين**
اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم **شهود** اي حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال
حين تركوا عبادة الصنم **وما نقموا منهم** قال ابن عباس ما كرهوا منهم **الا ان يؤمنوا بالله** وقيل ما عابوا ولا
علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله تعالى **العزيز** يعني الذي يستحق العبادة هو العزيز الغالب القاهر الذي
لا يغالب ولا يدافع **الحميد** الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله تعالى **الذي له ملك**
السموات والارض اي هو المستحق للعبادة **والله على كل شيء** من افعالهم بالمؤمنين **شهيد** وفيه وعد عظيم
للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين قوله تعالى **ان الذين فتنوا** اي عذبوا وحرقوا **المؤمنين والمؤمنات** بالنار
ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وامنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا
الوعيد وان الله يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم لو لم يتوبوا **فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب**
الحريق يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل ولهم عذاب الحريق في الدنيا
وذلك ان الله تعالى احرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم
في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمؤمنين فقال تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من**
تحتها ذلك الفوز الكبير قوله تعالى **ان بطش ربك لشديد** قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة
لشديد **انه هو يبدئ ويعيد** اي يخلقهم اولا في الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم يوم القيمة **و**
هو الغفور اي لذنوب جميع المؤمنين **الودود** اي المحب لهم وقيل المحبوب اي يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر
ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة **ذو العرش** اي خالقه ومالكه **المجيد** قرئ بالرفع على انه
صفة لله تعالى لان المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش
اي السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجد فقد قيل ان العرش
احسن الاجسام **فعال لما يريد** يعني لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه
ولا يغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر **هل اتاك**

أي قد أتاك حديث الجنود أي خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال تعالى فرعون يعني وقومه وثمود وكانت قصتهم مع أهل مكة مشهورة بل الذين كفروا يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الأمم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم والله من ورائهم محيط أي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم بل هو قرآن مجيد أي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على أنه نعت للقرآن يعني أن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب وسمي محفوظا لأنه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل واتبع رسوله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الطارق مكية

وهي سبعة عشرة آية وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والسماء والطارق قيل نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل فانحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فتعجب أبو طالب فأنزل الله تعالى والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لأنه يطرق بالليل قالت هند: نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * تريد أن أباها نجم في علوه وشرفه وما أدراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه بقوله النجم الثاقب أي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل الذي يرمى به الشياطين لأنه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بهذه الأشيا وقيل تقديره ورب هذه الأشياء وجواب القسم قوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ يعني أن كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب إلا ما قدر لها قوله تعالى فلينظر الإنسان نظر تفكر واعتبار مم خلق أي من أي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى خلق من ماء دافق أي من مني مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما وإنما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء وهو المني من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هو موضع القلادة من الصدر وعنه أنه بين ثديي المرأة قيل إن المني يخرج من جميع أعضاء الإنسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فيصب في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر إنه على رجعه لقادر يعني إن الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الإحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على رد الإنسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا إلى النطفة وقيل إنه على حبس ذلك حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وإن الذي على خلق الإنسان ابتداء قادر على أن يعيده حيا وهو أهون عليه وهذا القول هو الأصح والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعد هذه يوم تبلى السرائر وذلك هو يوم القيمة وقيل معناه تظهر الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السرائر هي فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك أن العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فإذا كان يوم القيمة يختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله تعالى كل سر فيكون زينا في وجوه يعني من أدى

الفرائض

الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيمة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر فما له أي لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة أي يمتنع بها من عذاب الله تعالى ولا ناصر أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات المطر سمي به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والأرض ذات الصدع أي تتصدع وتتشقق عن النبات والشجر والأنهار وجواب القسم قوله تعالى إنه يعني القرآن لقول فصل يعني أنه حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل أي باللعب والباطل إنهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وأكيد كيدا يعني أجازيهم على كيدهم بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار فمهل الكافرين أي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال قليل فقال تعالى أمهلهم رويدا يعني قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف والله أعلم

تفسير سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح اسم ربك الأعلى أي قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربي الأعلى ذكره البغوي بإسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الأعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم أخرجه أبو داود الذي خلق فسوى أي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الإنسان مستويا معتدل القامة والذي قدر فهدى قيل قدر الأرزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شيء شكله فهدى أي عرف كيف يأتي الذكر والأنثى وقيل قدر مدة الجنين في الرحم وهداه في الخروج منه وقيل قدر السعادة لأقوام والشقاوة لأقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى إليهما وقيل قدر أي أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه وهدى الأنعام وسائر الحيوان لمراعيها وهو قوله تعالى والذي أخرج المرعى أي أنبت العشب وما ترعاه الأنعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك فجعله يعني المرعى بعد الخضرة غثاء أي هشيما يابسا باليا كالغثاء الذي تراه فوق السيل أحوى أي أسود بعد الخضرة وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود وقوله تعالى سنقرئك أي نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك فلا تنسى يعني ما تقرؤه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك إلا ما شاء الله يعني أن ينساه وهو ما نسخ الله تلاوته من القرآن ورفعه من الصدر وقيل معناه إلا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا أخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيئا إنه يعلم الجهر يعني من القول والفعل وما يخفى يعني منهما والمعنى أنه تعالى يعلم السر والعلانية ونيسرك لليسرى أي نهون عليك لأن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الأول والمعنى أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقرؤه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه ولا تنساه فذكر أي عظ بالقرآن إن نفعت الذكرى

أي إن انتفعت الموعظة والتذكرة والمعنى عظ أنت وذكّر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع إنما عليك البلاغ **سيذكّر من يخشى** أي سيتعظ من يخشى الله تعالى **ويتجنبها** أي الذكرى ويتباعد عنها **الأشقى** أي في علم الله تعالى **الذي يصلى النار الكبرى** أي النار العظيمة القطيعة وقيل النار الكبرى هي نار الآخرة والصغرى هي نار الدنيا **ثم لا يموت فيها** أي في النار فيستريح **ولا يحيى** أي حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل **قد أفلح من تزكّى** أي تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال خرج إلى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعني من يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلى وإن قلت لا قال فالآن فأخرج فإنما هذه الآية في هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون فإن قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا أنزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان في علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فأخبر عنه **وذكر اسم ربه فصلى** أي ذكر اسم ربه فصلى يعني الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلوة صلوة العيد قوله تعالى **بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى** يعني أن الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفاني وأنتم تؤثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الأشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا هذه الحيوة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وأن الآخرة تغيبت وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل أن أريد بذلك الكفار فالمعنى أنهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذي يحصل في الآخرة وهو خير وأبقى **إن هذا** الذي ذكر من قوله قد أفلح من تزكى إلى هنا وهو أربع آيات **لفي الصحف الأولى** أي الكتب المتقدمة التي نزلت قبل القرآن ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلي وإيثار الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك فقال **صحف إبراهيم وموسى** يعني أن هذا القدر المذكور في هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه عن أبي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الأثير في كتابه جامع الأصول ولم يعلّم عليه شيئا عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر سبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة ركعة أخرجه الترمذي والنسائي عن ابن عبد العزيز بن جريج قال سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة وإحدى وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **هل أتاك** أي قد أتاك يا محمد

حديث

حديث الغاشية يعني القيمة سميت غاشية لأنها تغشى كل شيء بأهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لأنها تغشى وجوه الكفار **وجوه يومئذ** يعني يوم القيمة **خاشعة** يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان فعبر به عنه **عاملة ناصبة** قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالته كما يدخلون النار يوم القيمة ومعنى النصب الدؤوب في العمل بالتعب ق عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس فيه أمرنا فهو رد أما الرواية الأولى فإنها تختص بمن أحدث في دين الإسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه وأما الرواية الثانية فإنها تشمل كل عامل في دين الإسلام أو غير دين الإسلام فإنه مردود عليه إذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في الآية عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لأنها لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وهو رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار وهو قوله تعالى **تصلى نارا حامية** قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله تعالى **تسقى من عين آنية** أي متناهية في الحرارة قد أوقد عليها جهنم مذ خلقت لو وقع منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعوا إليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال **ليس لهم طعام إلا من ضريع** قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأشنعه وهي رواية عن ابن عباس فإذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار وقال أبو الدرداء إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله تعالى ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن الإبل إنما ترعاه رطبا فإذا يبس لا تأكله فأنزل الله تعالى **لا يسمن ولا يغني من جوع** يعني أن هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الإنسان على أكله فهو إذا لا يسمن ولا يغني من جوع فإن قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه لا طعام لهم إلا من ضريع وذكر في موضع آخر لا طعام لهم إلا من غسلين فكيف الجمع قلت إن النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه غسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة **لسعيها راضية** أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حتى أعطيت الجنة بعملها **في جنة عالية** قيل من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والأرض **لا تسمع فيها لاغية** أي ليس فيها لغو ولا باطل **فيها عين جارية** على وجه الأرض في غير أخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم **فيها سرر مرفوعة** قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها فإذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها **وأكواب** يعني الكيزان التي لا عرى لها **موضوعة** يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة **ونمارق مصفوفة** يعني وسائد

ونمارق مصفوفة بعضها إلى بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند بالأخرى **وزرابي** يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها زربية **مبثوثة** أي مبسوطة وقيل متفرقة في المجلس قوله تعالى **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** قال أهل التفسير ولما نعت الله تعالى ما في هذه السورة مما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم تعالى صنعه فقال تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإنما بدأ بالإبل لأنها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى أن الذي صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لأهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير من وجه تخصيص الإبل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ وقال الكلبي لأنها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله عز وجل هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الأعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والإبل أعز مال العرب وأنفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ومن منافع الإبل مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى أن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات وذلك أن جميع الحيوانات إنما تقتنى إما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لأجل اللحم ولا يوجد جميع هذه الخصال إلا في الإبل فإنها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويؤكل من لحمها اللحم الغفير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها أنه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها أنها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوان وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت فإن قلت كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الإبل قبل السماء والأرض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعها وكانت الإبل من أعظم شيء عند العرب ينظرون إليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا وأسفارا ذكرهم عظم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولأنها أعجب الحيوانات عندهم **وإلى السماء كيف رفعت** يعني فوق الأرض بغير عمد ولا ينالها شيء **وإلى الجبال كيف نصبت** على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا تزول **وإلى الأرض كيف سطحت** أي بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غير الله القادر على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا أو لم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى **فذكر إنما أنت مذكر** أي فعظ إنما أنت واعظ **لست عليهم بمصيطر** أي بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال **إلا من تولى وكفر** استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير **فيعذبه الله العذاب الأكبر** وهو أن يدخلهم النار وإنما قال الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والأسر فكانت النار أكبر من هذا كله **إن إلينا إيابهم** أي رجوعهم بعد الموت **ثم إن علينا حسابهم** يعني جزاءهم بعد الرجوع إلى الله تعالى والله أعلم بمراده

تفسير سورة الفجر مكية

وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبع وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والفجر** أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها دلائل باهرة ودلائل وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية أنها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الألفاظ فروي عن ابن عباس أنه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الأرزاق وقيل يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا أنه صلاة الفجر والمعنى أنه أقسم بصلاة الفجر لأنها مفتتح النهار ولأنها مشهودة تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل إنه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من محرم لأنه منه تنفجر

السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات **وليال عشر** وقيل إنما ذكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس أنها العشر الأول من ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج وأخرج الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الأواخر من رمضان لأن فيها ليلة القدر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد المئزر وأيقظ أهله للعبادة وقيل هي العشر الأول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولأن فيه يوم عاشوراء **والشفع والوتر** قيل هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبي سعيد الخدري وقيل الشفع هو الخلق كله كالإيمان والكفر والهدى والضلال والشقاوة والسعادة والليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والإنس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كلهم فيه شفع وفيه وتر وقيل هي الصلوات فيها شفع وفيها وتر وعن عمران ابن الحصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الأول والوتر النفر الأخير وروي أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة وقيل الشفع هي الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات النار لأنها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التي انفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت **والليل إذا يسر** إذا سار وذهب وقيل إذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات إلى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل إذا سار فيه **هل في ذلك** أي فيما ذكرت **قسم** أي مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد **لذي حجر** أي لذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يجمل لأنه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي به لأنه ينهى عما لا يحل ولا ينبغي وأصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر إلا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى أن من كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه وقيل جواب القسم قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل **ألم تر كيف فعل ربك بعاد** وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الأشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد إلى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله تعالى ألم تر كيف أي ألم تعلم وإنما أطلق لفظ الرؤية على العلم لأن أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله ألم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد كيف فعل ربك بعاد **إرم ذات العماد** يعني أن المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فأما عاد فابن عوص بن إرم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله وأنه أهلك عادا الأولى إرم هو جد عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل إن المتقدمين من قوم عاد يسمون إرم باسم جدهم وقيل إرم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة باسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا إليه وهو إرم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح وقال الكلبي إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة

وقال سعيد بن المسيب إرم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لأن منازل عاد كانت من عمان إلى حضرموت
وهي بلاد الرمال والأحقاف وقيل إن عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فإذا هاج العود ويبس
رجعوا إلى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى **التي لم يخلق مثلها
في البلاد** وسموا ذات العماد لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عباس
وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا
وقوله لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا
قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا
بعده وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب
القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله
ابن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن
وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته
وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر فلما رأى
ذلك دهش ففتح الباب ودخل فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة
يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم يجد أحدا هاله ذلك ثم نظر
إلى الأزقة فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة وإذا تحت تلك الأشجار أنهار مطردة تجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل
في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما
رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار
فلما أتاه قال يا أبا إسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها
فقال لما أراد شداد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوه
بما في بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال وإذا
فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن يبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها
ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة فلما أتوه وقد فرغوا من بنائها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا منيعا سورا واجعلوا
حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر ~~ألف~~ وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه أن يتهيؤوا للنقلة
إلى إرم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنة ثم ساروا إليها فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله
عز وجل عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء ~~من الربانية~~ فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من
المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هو
والله هذا ذلك الرجل قوله عز وجل **وثمود** أي وفعل بثمود ما فعل بعاد **الذين جابوا** أي قطعوا **الصخر بالواد** أي الحجر بالوادي
يعني بوادي القرى فكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال بيوتا **وفرعون ذي الأوتاد** سمي
بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك راسخ
الأوتاد وقيل سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد
لأنه كان له امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط
رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبي فقالت إلهي

نسخة صح

وهم ألف وزير صح

وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة
امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت
فقال ويحك اكفري بإلهك وأقري بأني إلهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها
اكفري بالله وإلا أعذبك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها
الكبرى فذبحها على فيها فقال اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الأرض على فمي ما كفرت
بالله عز وجل فأتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة
الذين تكلموا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته
فذبحت فلم تلبث الأم إلى أن ماتت فأسكنها الله عز وجل الجنة قال وبعث في طلب زوجها فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون
أنه قد روي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فأتيا إليه وهو يصلي وهو ثالثه صفوف من الوحش خلفه
يصلون فلما رأيا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين
كتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤاله وأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة
إلى النار فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملإ فقال له
فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعي به فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما قال شيئا فأعطاه فرعون فأجزى
وأما الآخر فقتله وصلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت فرعون
ما صنع بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها
إذ دخل عليها فرعون وجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها فقال لها فلعل بك
الجنون الذي كان بها قالت ما بي جنون وإن إلهي وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له فمزق عليها ثيابها وضربها
وأرسل إلى أبويها فدعاهما وقال لهما إن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربي وربك
ورب السموات والأرض واحد لا شريك له فقال لها أبوها يا آسية ألست من خير نساء العالمين وزوجك إله العالمين قالت
أعوذ بالله من ذلك إن كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا يكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما
فرعون أخرجاها عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله عز وجل بابا إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع فرعون فعند ذلك
قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأسكنها الجنة قوله عز وجل **الذين طغوا
في البلاد** يعني عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله **فأكثروا فيها الفساد**
يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكان الصلاح يتناول جميع البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الإثم **فصب
عليهم ربك سوط عذاب** يعني لونا من العذاب يصب عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل
هو إشارة إلى ما خلط لهم من العذاب لأن أصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لأن السوط
غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال إن
عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها **إن ربك لبالمرصاد** قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه
طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لأن الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه
مصيرهم وقيل إنه يرصد أعمال بني آدم والمعنى أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقيل أرصد النار
على طريقهم حتى يهلكهم قوله عز وجل **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه** أي امتحنه **ربه** بالنعمة **فأكرمه** أي بالمال
ونعمه أي بما وسع عليه **فيقول ربي أكرمن** أي بما أعطاني من المال والنعمة **وأما إذا ما ابتلاه** يعني بالفقر
فقدر أي ضيق وقيل قتر **عليه رزقه** أي وقد أعطاه ما يكفيه **فيقول ربي أهانن** أي أذلني بالفقر قيل نزلت

أقسام صح

في أمية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس المراد به واحداً بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي يكون الكرامة والهوان عنده بكثرة
المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال تعالى **كلا** أي ليس الأمر
كذلك لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق
وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله تعالى وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن
الأمر اقتضت حكمة الله تعالى وإنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الإنسان من أصناف المال ليختبره
أيشكر أم يكفر ويضيق عليه أيصبر أو يضجر ويقلق **بل لا يكرمون اليتيم** أي لا يعطونه حقه الثابت له من الميراث
قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه **ولا يحضون على طعام المسكين**
أي لا يطعمون مسكيناً ولا يأمرون بإطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضاً على ذلك **وتأكلون التراث**
أي الميراث **أكلاً لماً** أي شديداً والمعنى أنه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل أحلال أم حرام ويأكل الذي له
ولغيره **وتحبون المال حباً جماً** أي كثيراً والمعنى تحبون جمع المال وتولعون به **كلا** أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا
من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم
على ما سلف منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى **إذا دكت الأرض دكاً دكاً** أي دقت وكسرت مرة بعد مرة
وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء وغيره حتى لم يبق على ظهرها شيء **وجاء ربك** اعلم أن هذه الآية من آيات الصفات التي
سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وأمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا
تأويل وقالوا يلزمنا الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين وقالوا قد ثبت بالدليل
العقلي أن الحركة على الله تعالى محال فلا بد من تأويل الآية فقيل في تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل وجاء
أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لتلك الآيات **والملك صفاً صفاً** أي تنزل
ملائكة كل سماء صفاً صفاً على حدة فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالإنس والجن فيكونون سبع صفوف **وجيء يومئذ
بجهنم** يعني يوم القيامة قال ابن مسعود في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك
لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش **يومئذ** يعني يوم يجاء بجهنم **يتذكر الإنسان** أي يتعظ الكافر ويتوب
وأنى له الذكرى يعني أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة **يقول يا ليتني قدمت لحياتي** أي قدمت الخير والعمل
الصالح لحياتي في الآخرة التي لا موت فيها **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد** أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر
يومئذ **ولا يوثق وثاقه أحد** يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العقاب والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال
وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف
وذلك لشدة كفره وعتوه قوله تعالى **يا أيتها النفس المطمئنة** أي الثابتة على الإيمان والإيقان بما قال الله تعالى الموقنة
التي أيقنت أن الله ربها وخضعت لأمره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله تعالى
وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله تعالى قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد بأحد وقيل
في خبيب بن عدي الأنصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل في أبي بكر الصديق والأصح أن الآية عامة
في كل نفس مؤمنة مطمئنة لأن هذه السورة مكية **ارجعي إلى ربك** أي إلى وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها
ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر إذا توفي عبد المؤمن أرسل الله عز وجل إليه ملكين وأرسل الله إليه بتحفة
من الجنة فقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه
والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها

حتى

حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع
عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ فيه الروح والريحان فإن كان معه شيء من القرآن
كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه أحد إلا أحب أهله إليه
وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها
النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي إلى ربك أي إلى صاحبك وهو
الجسد وإنما يقال لها عند البعث يأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية
عن ابن عباس وقيل ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته **راضية** أي عن الله بما أعد الله لك **مرضية** أي رضي عنها ربها وقيل
يقال لها في الدنيا ارجعي إلى ربك راضية مرضية فإذا كان يوم القيامة قيل لها **فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**
وقيل في معنى عبادي أي في جملة عبادي أي الصالحين المصطفين وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف
فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه ولم ير خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى
من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى ربك بتركها والرجوع إليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

تفسير سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفاً

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **لا أقسم بهذا البلد** تقدم الكلام
على قوله فلا أقسم في أول سورة القيمة والبلد هو مكة في قول جميع المفسرين **وأنت حل** أي حلال **بهذا البلد**
أي مقيم به وقيل حل أي حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس من الإثم في استحلالها
أحل الله عز وجل مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة
وغيرهما فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل
المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك إن مكة حرام يوم خلق السموات والأرض ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما
أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها
وشرفها وحرمتها ومع ذلك توعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده فهذا وعد من
الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليهم في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في
معنى قوله وأنت حل بهذا البلد قال يحرمون أن يقتلوا بها صيداً أو يستحلون قتلك فيه وإخراجك منه **ووالد
وما ولد** يعني آدم وذريته أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالأنبياء والصالحين من ذريته لأن الكافر
وإن كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الإنسان في كبد** قال ابن عباس
في نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ابن عباس أيضاً قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه
وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة قيل لم يخلق الله تعالى خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق
وعن ابن عباس أيضاً قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الإنسان منتصباً معتدل القامة وكل شيء
من الحيوان يمشي منكباً وقيل منتصباً رأسه في بطن أمه فإذا أذن الله تعالى في خروجه انقلب رأسه إلى أسفل وقيل في كبد
أي في قوة نزلت في أبي الأشد بن كلدة بن جمح وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله
كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعاً ويبقى من ذلك الأديم بقدر موضع قدميه **أيحسب** يعني أبا
الأشد من قوته **أن لن يقدر عليه أحد** يعني أيظن لشدته في نفسه أن لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة
المخزومي **يقول** يعني هذا الكافر **أهلكت مالاً لبداً** أي أنفقت كثيراً من التلبيد الذي يكون بعضه فوق
بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم **أيحسب أن لم يره أحد** يعني أيظن أن الله عز وجل لم يره ولم

يسئله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ماله والمعنى ايظن ان الله لم يرَ ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى **الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**
يعني ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها لكيما يشكره وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول ابن ادم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق **وهديناه النجدين** قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلال وقال ابن عباس الثديين قوله تعالى **فلا اقتحم العقبة** يعني فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان فيكون ذلك خيرا له من انفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر بجهنم فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانه شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يمر زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الاية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هي فقال عز من قائل **وما ادريك ما العقبة** اي وما ادريك ما اقتحام العقبة **فك رقبة** يعني عتق الرقبة وهو ايجاد الحرية وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده عن البراء ابن عازب قال جاء اعرابي الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فاذا لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الاية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلف من العبادات والطاعات التي يصير بها الى رضوان الله تعالى والجنة وهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار **او اطعام في يوم ذي مسغبة** اي يوم ذي مجاعة والسغب الجوع **يتيما ذا مقربة** اي قرابة يريد تطعم يتيما بينك وبينه قرابة **او مسكينا ذا متربة** يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله **ثم كان من الذين امنوا** والمعنى انه ان كان مؤمنا نفعته هذه القرب وكان مقتحما للعقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة **وتواصوا بالصبر** يعني اوصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله تعالى ونواهيه **وتواصوا بالمرحمة** يعني برحمة الناس وفيه اشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله **اولئك** يعني اهل هذه الخصال **اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة** يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومايتان وسبعة وادبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **والشمس وضحيها** اي اذا بدا ضوؤها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا اضعف الاقوال **والقمر اذا تليها**

اي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها **والنهار اذا جلاها** يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا **والليل اذا يغشيها** اي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الافاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر **والسماء وما بنيها** اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كانه اقسم بنفسه وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء وبنائها **والارض وما طحيها** اي بسطها وسطحها على الماء **ونفس وما سويها** اي عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم وعيد خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن **فالهمها فجورها وتقويها** قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقويها وقيل جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور
م عن ابي الاسود الديلمي قال قال لي عمران بن الحصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله تعالى وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال يرحمك الله اني لم ارد بما سئلتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها م عن جابر رضي الله عنه قال جاء سراقة ابن مالك بن خثعم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحيها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على القول انه قد دخل في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير السماء ورب من بناها وهذا خطا لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال فيه وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى **قد افلح من زكيها** المعنى لقد افلح من زكاها اي فازت وسعدت نفس زكاها الله تعالى اي اصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة **وقد خاب من دسيها** اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشيء اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشياء مخلوقة على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن انه يتولى تطهير نفسه او هلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق م عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي تقويها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله **كذبت ثمود** وهم قوم صالح عليه السلام **بطغويها** اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا **اذ انبعث اشقيها** اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم قدار

ابن سالف وقد كان رجلا أشقر أزرق العين قصيرا قام يعقر الناقة ق عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع قوله عز وجل فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه الصلوة والسلام ناقة الله أي ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما قد عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله وسقياها وشربها أي ذروا شربها ولا تعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها يعني الناقة فدمدم عليهم ربهم أي فدمر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك باستيصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم أحد بذنبهم أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه السلام وعقرهم الناقة فسويها أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الأمة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقبيها أي لا يخاف الله تبعة من أحد في إهلاكهم قاله ابن عباس وقيل هو راجع إلى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما أقدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع إلى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من العذاب أن يعذبه أحد بسبب ذلك والله تعالى أعلم

تفسير سورة والليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية وإحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والليل إذا يغشى يعني يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم بالنهار بقوله تعالى والنهار إذا تجلى أي بان وظهر بعد الظلمة لأن فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والأنثى أي ومن خلق فعلى هذا يكون أقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد أريد به جنس الذكر والأنثى وقيل هما آدم وحوى وإنما أقسم بهما لأنه تعالى ابتدع خلق آدم من طين وخلق منه حوى من غير أم وجواب القسم قوله تعالى إن سعيكم لشتى أي إن أعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها قوله تعالى فأما من أعطى أي أنفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى أي ربه وفيه إشارة إلى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بلا إله إلا الله وعنه صدق بالخلف أن الله تعالى سيخلف عليه ما أنفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعود الله عز وجل الذي وعده أنه يثيبه فسنيسره أي فسنهيئه في الدنيا لليسرى أي للخلة والفعلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل وأما من بخل أي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عز وجل من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لأهل السنة وصحة قولهم في القدر وأن التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل مع ما سبق له في الأزل ق عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصى ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الأرض

بذلك أو غير ذلك مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله عز وجل والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الأنصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة إذا صعد نخلته ليأخذ منها الثمر فربما سقطت فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال تعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل إن لي نخلا وما فيه أعجب إلي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الأنصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فأتى أبو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الأنصاري صاحب النخلة فقال خذها لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فإن كانت القصة صحيحة فتكون هذه السورة نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لأن سياق الآيات يقتضي ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله يعني الذي بخل به إذا تردى أي إذا مات وقيل هوى في جهنم إن علينا للهدى أي علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الإرشاد والهداية وعليه تبيين طرقها وقيل معناه إن علينا للهدى والإضلال واكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائي إلى العمل بطاعتي وأصرف أعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله وإن لنا للآخرة والأولى أي لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق فأنذرتكم أي يا أهل مكة نارا تلظى أي تتوقد وتتوهج لا يصليها إلا الأشقى يعني الشقي الذي كذب يعني الرسل وتولى أي عن الإيمان وسيجنبها الأتقى يعني التقي الذي يؤتي ماله أي يعطي ماله يتزكى أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يطلب بما أنفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قول المفسرين قال ابن الزبير وكان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهري أريد فنزل فيه وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة وذكر محمد بن إسحق قال كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه وكان قد أعتق ست رقاب قبل أن يهاجر بلال سابعهم وهو عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قال بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وإعتاق أبي بكر إياهم وكان اسم أبي بكر عتيقا فقال في ذلك شعر

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلوني تقتلوني ولم أكن لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب إبراهيم والعبد يونس

وموسى وعيسى ويحيى ثم لا على لمن ظل يهوى الغي من آل غالب على غير حق كان منه ولا عدل فقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامه نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عز وجل **وما لأحد عنده** أي عند أبي بكر **من نعمة تجزى** أي من يد يكافيه عليها **إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى** يعني لم يفعل ذلك لمجازاة لأحد بيد كانت له عنده ولكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب مرضاته **ولسوف يرضى** أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

تفسير سورة الضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والضحى** اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الأول ق عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت إصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فأبطأ عليه جبريل عليه السلام فقال المشركون قد ودع محمد فأنزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل إن المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي أم جميل امرأة أبي لهب الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عليه الوحي القول الثالث قال زيد بن أسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه أن جروا كان في بيته فلما نزل عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطائه فقال إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما قالوا فلما نزل جبريل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت إليك أشد شوقا ولكني عبد مأمور ونزل وما نتنزل إلا بأمر ربك وأنزل الله عز وجل هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل أراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل كله في قوله **والليل إذا سجى** وقيل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء والليل إذا سجى قال ابن عباس أقبل بظلامه وعنه إذا ذهب وقيل معناه غطى كل شيء بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى وجواب القسم قوله تعالى **ما ودعك ربك وما قلى** أي ما تركك ربك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك وإنما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الآي وقيل معنى وما قلى أحدا من أصحابك ومن هو على دينك إلى يوم القيامة **وللآخرة خير لك من الأولى** أي الذي أعطاك ربك في الآخرة خير لك وأعظم من الذي أعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا **ولسوف يعطيك ربك فترضى** قال ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد صلى الله عليه وسلم وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك ق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا أخرجه الترمذي

قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن محمد بن علي يقول إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الآية ولسوف يعطيك ربك فترضى ~~وقيل في معنى الآية~~ ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وقيل حمل الآية على خيري الدنيا والآخرة معا أولى وذلك أن الله تعالى أعطاه في الدنيا من النصر والظفر على الأعداء وكثرة الأتباع والفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وإعلاء دينه وأن أمته خير الأمم وأعطاه في الدنيا والآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما أعطاه في الدنيا والآخرة ثم أخبر عن حالة صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه عليه وإحسانه إليه فقال عز وجل **ألم يجدك يتيما فآوى** أي ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذي هو بمعنى العلم والمعنى ألم أجدك صغيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى تأوي إليه وضممتك إلى عمك أبي طالب حين أحسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب إلى أن قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته **ووجدك ضالا** أي عما أنت عليه اليوم **فهدى** أي فهداك إلى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها وقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القافلة فمن الله تعالى بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل وجدك بين أهل الضلالة فعصمك من ذلك وهداك إلى الإيمان وإلى إرشادهم وقيل الضلال هاهنا بمعنى الحيرة وذلك لأنه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه تبارك وتعالى حين هداه الله تعالى إلى دينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل في هذه الآية ولا يلتفت إلى قول من قال إنه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله عز وجل إلى الإسلام لأن نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشؤوا على التوحيد والإيمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة وبعدها من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك أن قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فإنهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه ويؤكد هذا ما روي في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فأخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ويؤكده أيضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقال جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وإيمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على دين قومه فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء والله أعلم قوله عز وجل **ووجدك عائلا** يعني فقيرا **فأغنى** أي فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذا حقيقة الغنى ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألت ربي عز وجل مسئلة وددت اني لم اكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا
عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى اي رب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى
اي رب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى اي يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم
في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه تعالى قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده
بدوام نعمته عليه وظهر الفرق بين امتنان الله الممدوح وبين امتنان المخلوق وهو المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة
في انعامه كأنه قال ما لك تقطع رجاءك عني الست الذي ربيتك وآويتك وانت يتيم صغيرا اتظنني تاركك ومضيعك
كبيرا بل لا بد وان اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين
والفقراء فقال تعالى **فاما اليتيم فلا تقهر** اي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه
وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوي بسنده عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم
يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين هكذا ويشير باصبعيه خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا وكافل اليتيم هكذا واشار باصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما **واما السائل فلا تنهر** يعني
السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولا تنهره بوجهك
في وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم السائل بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم
فيقول هل توجهون الى اهليكم بشيء وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا
ينهر ولا يلقى بمكروه **واما بنعمة ربك فحدث** قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي
آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن امره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكر لما ذكره من نعمه عليه في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى
بعد الضلالة والاغناء بعد الفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اعطي عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره
ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس
لا يشكر الله وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوي
باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراءة مكة ان يكبر
من اول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي لما احتبس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحا بنزول الوحي فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الم نشرح مكية

وهي ثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الم نشرح لك صدرك** استفهام بمعنى التقرير اي فعلنا ذلك ومعنى الم نشرح الفتح بما يصد عن الادراك
والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصده عن ادراك الحق وقيل في معناه الم
نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره م عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق صدره عن قلبه فاستخرج منه علقة
فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون

الى امه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره **ووضعنا
عنك وزرك** اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فاضفنا اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من
اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها بوزن الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض
ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمي المعصية وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى
في سورة طه عند قوله وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر **الذي انقض ظهرك**
اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل او الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما
قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت
عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله تعالى عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما
بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيئات المقربين وقوله تعالى **ورفعنا لك ذكرك** روى البغوي
باسناد الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ورفعنا لك
ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وقال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو ان
عبدا عبد الله تعالى وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره
في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك
لا تقبل صلوة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت الشاعر رضي الله تعالى عنه
اغر عليه للنبوة خاتم ۞ من الله مشهود يلوح ويشهد ۞ وضم الاله اسم النبي مع اسمه ۞ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد ۞ وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان
والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان
قرن الله اسمه محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله ونحو
ذلك مما في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال
تعالى **فان مع العسر يسرا** اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا
للحق الذي جئتهم به ان مع العسر يسرا كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل
عليه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة
وذكر اليسر بلفظ النكرة ومن عادات العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت
اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر
بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك
العسر يسرا آخر وزيف ابو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقد تكلم الناس في قوله انه لن يغلب عسر يسرين
فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال ان مع الفارس
سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل
بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون
كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله عز وجل نعمه عليه في هذه السورة
ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى **ان مع العسر يسرا** اي لا يحزنك الذي يقولون فان مع

العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى البعيدة ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المومنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اي لن يغلب عسر الدنيا الذي وعده الله للمومنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم الله في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زائل اي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال العتبي كنت يوما في البادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر • ان الموت لمن اصبح مغموما له اروح • فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى ويقول • الا يا ايها المرء الذي الهم به برح • وقد انشد بيتا لم يزل في فكره يفسح • اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح • فعسر بين يسرين • اذا ابصرته تفرح • قال فحفظت الابيات وفرج الله عني • وقال اسحق ابن بهلول القاضي فلا تياس وان اعسرت يوما • فقد ايسرت في الزمن الطويل • فلا تظنن بربك ظن سوء • فان الله اولى بالجميل • فان العسر يتبعه يسار • وقول الله اصدق كل قيل • وقال سليمان ابن احمد الرقي في المعنى شعر • توقع صنع ربك الخطر سرور يشردها عنك يسرا • ترى الله لا يخلف ميعاده • وقد قال ان مع العسر يسرا قوله عز وجل **فاذا فرغت فانصب** لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر وعلى الاجتهاد في العبادة والنصب وان لا يخلي وقتا منها وقاية منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة وقال ابن مسعود واذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك واخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب في الاستغفار لك وللمومنين قال عمر ابن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل اخرته السهلل الذي لا شئ معه وقيل السهلل الباطل **والى ربك فارغب** اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى في جميع احوالك لا الى احد سواه والله سبحانه تعالى اعلم

تفسير سورة والتين مكية

وهي ثمان ايات واربعة وثلثون كلمة ومائة وخمسة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **والتين والزيتون** قال ابن عباس هو تينكم هذا الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة ويخرج بطريق الترشح ويلين الطبع ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة فيه ادم ودهن يوكل ويستصبح به وشجرته في اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال التي ليست فيها دهنية ويمكث في الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقها لا جرم اقسم الله تعالى بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس **وطور سينين** يعني الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسينا لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار واشجار مثمرة يسمى سينين وسينا **وهذا البلد الامين** يعني الامن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذي يامن الناس فيه في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله تعالى بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** يعني في اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه

فافرح صح

يا كل

ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ماكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق **ثم رددناه اسفل سافلين** يعني الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هولاء جميعا انه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني فانهم لا يردون الى النار والى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذ ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال الا الذين قروا القران ومن قرا القران لا يرد الى ارذل العمر **فلهم اجر غير ممنون** يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة **فما يكذبك** يعني ايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات **بعد** اي بعد هذه الحجة والبرهان **بالدين** اي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر في صورتك وشبابها ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين **اليس الله باحكم الحاكمين** يعني باقضى القاضين يحكم بينك وبين اهل التكذيب يوم القيمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذي عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الاخرة فقرا في احدى الركعتين والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله اعلم

تفسير سورة اقرا مكية

وهي تسع عشرة اية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا قال المفسرون هذه السورة اول اية نزلت من القران واول ما نزل خمس ايات من اولها الى قوله ما لم يعلم ق عن عائشة ام المومنين رضي الله عنها انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت خديجة حتى اتت به ورقة ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا موزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل

فقال له مثل ذلك **فصل** في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من يقول
ان المدثر اول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة
لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم او من غيره من الصحابة ومراسيل الصحابي حجة عند جميع العلماء
الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة
بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ باوائل علامات النبوة توطئة للوحي واما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير
صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجئه الوحي اي جاءه الوحي بغتة قوله
فغطني بالغين المعجمة والطاء المهملة اي عصرني وضمني شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله
عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه
غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اي الفزع قولها كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله يروى بضم الياء والخاء المعجمة من الخزي
اي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء والحاء والنون لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها
وتحمل الكل اي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه
لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الافعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل العربية ما شاء الله تعالى ومعناهما صحيح
وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد او بالعربية ان
اراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى وهو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلوة والسلام ومعنى
الناموس صاحب خبر الخير انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام قوله يا ليتني فيها اي ايام
النبوة واظهار الرسالة جذعا اي شابا قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا
بالغا قولها فلم ينشب ورقة ان توفي اي فلم يلبث انه مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى اي يتردى او يقع من علو
وذروة الجبل اعلاه تبدى له اي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم وقيل الجاش
هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **اقرأ باسم ربك** قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امره ان يبتدئ القراءة باسم الله
تأديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الاية دلالة على
استحباب البداية بالتسمية في اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة
الذي خلق يعني جميع الخلائق وقيل هو حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل هو الذي خلق كل شيء **خلق الانسان**
يعني آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة **من علق** جمع علقة ولما كان الانسان
اسم جنس في معنى الجمع مع العلق ولمشاكلة رؤس الاي ايضا **اقرأ** كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ في نفسك والثاني اقرأ للتبليغ
وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى **وربك الاكرم** يعني هو الذي لا يوازنه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقيل يكون الاكرم
بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشيء من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون
العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وتعالى وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك
في وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلا يعجل عليهم
بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا احتثاثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزي بكل حرف عشرا **الذي علم بالقلم** يعني
اي الخط والكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت
الامور من العلوم وغيرها ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام

فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك صح

امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال
ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه **علم الانسان ما لم يعلم**
قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية
والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل **كلا**
اي حقا **ان الانسان ليطغى** اي يتجاوز الحد ويستكبر على ربه **ان** اي لان **رآه استغنى** اي رأى نفسه غنيا
وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى من اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه
ومركبه وطعامه فذلك طغيانه **ان الى ربك الرجعى** اي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان
ثم هو عام لكل طاغ متكبر **أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى** نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن الصلوة (م) عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك
لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم
منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله
لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله لا ندري في حديث ابي هريرة او شيء بلغه **كلا ان الانسان ليطغى** الى
قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت
محمدا يصلي عند البيت لأطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذي
عيانا ومعنى أرأيت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية
والمعنى أرأيت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلوة
وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه المنع من الصلوة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك
في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك
استيفاء مصلحة الا ان يأذن فيه المولى او الزوج **أرأيت ان كان على الهدى** يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله
عليه وسلم **او امر بالتقوى** يعني بالاخلاص والتوحيد **أرأيت ان كذب** يعني ابا جهل **وتولى** اي عن الايمان وتقدير نظم الاية
أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان اي اعجب من هذا **الم يعلم**
يعني ابا جهل **بان الله يرى** يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم **كلا** اي لا يعلم ذلك ابو جهل
لئن لم ينته يعني عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه **لنسفعا بالناصية** اي لنأخذن بناصيته
فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشيء اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب
اي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل **ناصية كاذبة خاطئة** اي صاحبها كاذب
خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلوة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل
أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا (و) عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال ألم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ان ما بها
ناد اكثر مني فانزل الله تعالى **فليدع ناديه سندع الزبانية** قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح معنى فليدع ناديه اي عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجتمع الناس
ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا
بذلك لانهم يدفعون النار بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع **كلا** ليس الامر ما عليه ابو جهل **لا تطعه** اي في ترك الصلوة
واسجد اي صل لله **واقترب** اي من الله (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه

وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقاري والمستمع
ان يسجد عند قراتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السماء
انشقت اخرجه مسلم والله اعلم **تفسير سورة القدر مدنية** وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل
انها اول ما نزل في المدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثني عشر حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **انا انزلناه** يعني القرآن كناية عن غير مذكور **في ليلة القدر** وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم
جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
نجوما متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقايع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا لشرف الملايكة
بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملايكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور
والاحكام والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده
وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملايكة ويامرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة
ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين
ابن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير
الى المواقيت وتنفيذ المقادير للقضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان
قدر عند الامير اي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت
بذلك لان الارض تضيق بالملايكة فيها **فصل** في فضل ليلة القدر وما ورد فيها (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر
فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله
عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يامر
بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء ممن بعدهم على انها باقية الى يوم القيمة روي عن عبد الله بن حنيس مولى معوية قال قلت لابي هريرة
زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقايها ووجودها ومحلها
اختلفوا في محلها فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث
الواردة في اوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل
تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنة او السنين ولا يفارقها وعلى هذا هي في ليلة
من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابو حنيفة وصاحبيه وروي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ عبد الله ابن عمر
فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلما انها في شهر رمضان واختلفوا
في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي في اول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها
وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان
ذكر الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان
ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر
ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان ذهب الشافعي الى انها الليلة احدى وعشرين (ق)
عن ابي هريرة ان سعيدا قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني اريت هذه الليلة ورايتني اسجد في ماء وطين

فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد
رايت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج
من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن انيس
قال كنت في مجلس بني سلمة واني اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى
وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر
فقال كم الليلة فقلت اثنان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابو داود وذهب
جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا (ق) عن الصنابحي انه سال بلالا هل
سمعت في ليلة القدر شيا قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر من رمضان
وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها
الى هذا المسجد فقال انزل ليلة القدر ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا
يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية اخرجه ابو داود ولمسلم
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا
ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال
وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين فدليله
قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة
من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله ابن
مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني ووالله
اني لاعلم اي ليلة هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس
من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة القدر سبع وعشرين اخرجه
ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود وقال ويروى موقوفا عليه ذكر ليالي مشتركة
عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة احدى وعشرين
وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال
ما انا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع بقين او سبع
بقين او في خمس بقين او في ثلاث بقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في ساير السنة
فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي (خ) عن عبادة بن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحا
رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون
خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحا رجلان اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد
رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة
قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وسبع وعشرين
وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان وفي رواية خمس وعشرين قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يجيب على نحو ما يسال عنه فقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا واقوى الروايات عندي فيها ليلة

احدى وعشرين قال البغوى وفى الجملة ابهم الله هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى الصلوة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى اسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علامتها ما روى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس من صبيحتها بيضاء لا شعاع لها ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره ق عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف بعده ازواجه ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عايشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائى وابن ماجه قوله عز وجل **وما ادريك ما ليلة القدر** اى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيمة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته اى لا يبلغون من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك فى الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة الوجه الثانى من فضلها قوله عز وجل **تنزل الملائكة** يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا بما قالوه ويعتذرون ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع فى بعضهم **والروح** يعنى جبريل عليه السلام قال اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة **فيها** اى فى ليلة القدر **باذن ربهم** اى بامر ربهم **من كل امر** اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امره وقضاه من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى **سلام** اى سلام على اولياء الله تعالى واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة يسلموا عليه من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال سلام **هى** يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله تعالى فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى **حتى مطلع الفجر** اى ذلك السلام والسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله اعلم

تفسير سورة لم يكن وتسمى البينة مدنية

قاله الجمهور وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب** يعنى اليهود والنصارى **والمشركين منفكين** اى ومن

المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة ونحو ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين **حتى تاتيهم** لفظه مضارع ومعناه الماضى **البينة** الحجة الواضحة يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن يبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فامنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم بالاية من امن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الاية من اصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التى هى الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الاية تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذه تقتضى ان كفرهم قد ازداد عند مجئ الرسول فحينئذ يحصل بين الاية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى فيهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم على الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجئ الرسول ونظيره فى الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذى وقع كان خلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شئ وذكر وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى **رسول من الله** اى تلك البينة رسول من الله **يتلوا** اى يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم **صحفا** اى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلب لا عن كتاب **مطهرة** اى من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل مطهرة معظمة اى لا ينبغى ان يمسها الا المطهرون **فيها** اى فى الصحف **كتب** اى الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم **قيمة** اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** يعنى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاءتهم البينة** يعنى جاءهم البيان فى كتبهم انه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى امره واختلفوا فيه فامن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما امروا به فى كتبهم فقال تعالى **وما امروا** يعنى هؤلاء الكفار **الا ليعبدوا الله** اى وما امروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس امروا فى التورية والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له **مخلصين له الدين** الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الريا وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص فى ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى ياتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة

فقد دلت الآية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع المامورات قال اصحاب الشافعي
الوضوء مامور به وقد دلت هذه الآية على ان كل مامور يجب ان يكون منويا فيجب النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب
وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا في ذلك لا يجعل طلب
الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض الله تعالى واعترافا لربه
عز وجل بالربوبية وقيل في معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضى الله تعالى بالعبادة
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى
قلوبكم **حنفاء** اي مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفاء اي حجاجا
وانما قدمه على الصلوة والزكوة لان فيه صلوة وانفاق مال وقيل حنفاء مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف
الذي آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف
ويقيموا الصلوة اي المكتوبة في اوقاتها **ويؤتوا الزكوة** اي المفروضة عند محلها **وذلك** اي الذي امروا به
دين القيمة اي الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة هو نعته لاختلاف اللفظين وانث
القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين اصحاب
الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيمة والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد واستدل
بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة
والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ثم ذكر مآل الفريقين فقال تعالى **ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين** فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين
قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته
فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين
اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيمة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما اراد ان يرفعه
في الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين في الآخرة ولا يمنع من دخولهم
النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في العذاب **في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية**
اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل قال بل تبقون خالدين فيها فكانهم
قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية** يعني انهم
بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك يستحقوا هذا الاسم **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه**
قيل الرضى ينقسم قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ان يكون ربا ومدبرا والرضى عنه بما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت
لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة **ذلك** اي هذا
الخير والرضى عنه **لمن خشي ربه** اي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم لابي ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرئك القرآن قال الله تعالى سماني لك قال نعم فبكى وفي رواية البخاري
او ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكاؤه فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهله
لهذه النعمة العظيمة واعطائه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي

اهل الكتاب هم

صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة
واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار
واما الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي فهي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وصيغة
اسلوب الوزن المشروع وقدره بحار وما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم هو من
ابي وقيل انما قرأ على ابي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن
ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم راسا
واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم والله اعلم بمراده

تفسير سورة الزلزلة مكية

وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وله عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن
ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **اذا زلزلت الارض زلزالها** اي تحركت حركة
شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة قيل تزلزلت من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة
ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا
وهي من اشراط الساعة والثاني انها زلزلة يوم القيمة **واخرجت الارض اثقالها** قال اثقالها كنوزها وما في بطنها
من الدفائن والاموات فتلقيه على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقيء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول
في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا اخرجه مسلم والافلاذ جمع
فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور في الجوف
وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القيء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم
القيمة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها
وفيه سمي الانس والجن بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا **وقال الانسان مالها** اي ما لها زلزلت
هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من
جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك
والثاني انه اسم الكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيمة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد
لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية **يومئذ تحدث اخبارها** فيقول الانسان والمعنى ان الارض
تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من خير او شر فتشكو العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن
ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله
ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه اخبارها
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **بان ربك اوحى لها** اي امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها
قال ابن عباس اوحى اليها وقيل ان الله تعالى يخلق في الارض الحيوة والعقل والنطق حتى تخبر بما امرها الله به وهذا
مذهب اهل السنة قوله تعالى **يومئذ يصدر الناس اشتاتا** اي عن موقف الحساب بعد العرض اشتاتا اي متفرقين
فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار **ليروا اعمالهم** قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم وقيل معناه

ما لها

ليروا صحايف اعمالهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة اى وزن نملة صغيرة وقيل هي ما لصق
من التراب باليد خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا في الدنيا الا اراه
اياه يوم القيمة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته
ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وولده واهله
وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه
وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الاية في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون
الطعام على حبه وكان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس
بشيء يوجر عليه انما يوجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذب والنظرة والنميمة و
اشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكباير وليس في هذا اثم فانزل الله هذه الاية يرغبهم في القليل من الخير يعطوه فانه
يوشك ان يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر والاثم الصغير في عين صاحبه فانه يصير مثل الجبل
العظيم يوم القيمة قال ابن مسعود احكم اية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وتصدق عمر بن الخطاب وعايشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا
فهما من كرماء الصحابة رضي الله عنهم وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرا هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي الله
قد انتهت الموعظة والله اعلم بمراده

تفسير سورة والعاديات

مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس
وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة وماية وثلاثة وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل والعاديات ضبحا فيه قولان احدهما انه الابل في الحج قاله علي كرم الله وجهه هي الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة
ومن المزدلفة الى منى قال لان اول غزاة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف
تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحا ضبعا وهو مد اعناقها في السير واصله من حركة النار في العود فالموريات
قدحا يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجر الحجر الآخر فيوري النار وقيل هي نيران نحج فالمغيرات
صبحا يعني الابل ترفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا تدفع حتى تصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم
اشرق ثبير كيما نغير فاثرن به نقعا اي هيجن بمكان سيرها غبارا فوسطن به جمعا اي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة
فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض بمن لم يحج بعد القدرة
عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد هذا الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة
هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شيء من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب
والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب او فزع ومن قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا
يعني انها تورى النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل
تغزو في سبيل الله ثم تاوي في الليل فيوقدون اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب يقول اذا اراد
الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان
الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا فوسطن به جمعا اي دخلنا به اي بذلك النقع
وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الايات اولى بالصحة واثبت
بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع
الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ولما ذكر الله تعالى المقسم به

وابن مسعود قال عطا صح

ذكر

ذكر المقسم عليه فقال تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكفور والكنود
الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصايب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ماخوذ من الارض
الكنود وهي التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة
من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة وانه على ذلك
لشهيد قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه
بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه
وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم يعني هذا الانسان اذا بعثر اي اثير واخرج ما
في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من خير او شر ان ربهم بهم انما جمع الكناية
لان الانسان اسم جنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم
في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة
لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة القارعة

مكية وهي ثمان ايات وست وثلاثون كلمة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل القارعة اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اي شدايده والقارعة من اسماء القيمة سميت
بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدايد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلايق
من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت في الهول والشدة وما ادريك ما القارعة
معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد وكيفما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها
وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى
فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعون فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد
فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث
بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن المنفوش وذلك
انه تتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه
تعالى نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان
الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيمة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه
يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي
له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له
ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فتخف في ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت موازينه
حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل
الجنة او يعفو عنه الله بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا روي عن ابي بكر الصديق انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في دار الدنيا
وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل
في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى فهو في عيشة راضية اي
مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على حسناته

اي كالصوف المندوف صح

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ أي مسكنه النار سمّي المسكن أمًّا لأن الأصل في السكنى الأمهات وقيل معناه فأمّ رأسه هاوية في النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل إذا وقع في أمر شديد فقال هوت أمّه أي هلكت خوفًا وثقلًا وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ يعني الهاوية ثم فسّرها فقال نَارٌ حَامِيَةٌ أي حارّة قد انتهى حرّها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفًا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ أي أشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم أن من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه وشغله في تقديم الأهم وهو ما يقرّبه من ربّه عزّ وجلّ فالتفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء تفاخر بأخسّ المراتب والاشتغال به يمنع الإنسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الأخروية التي هي سعادة الأبد ويدلّ على أن المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدّقت فأبقيت وما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ أي حتى متّم ودفنتم في المقابر فقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك وقيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلّالًا وقيل نزلت في حيّين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو فكان بينهم تفاخر فتعادّوا السادة والأشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيّدًا وأعزّ عزيزًا وأعظم نفرًا وأكثر عددًا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعدّ موتانا فعدّوا الموتى حتى زاروا القبور فعدّوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عددًا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن قوله حتى زرتم المقابر يدلّ على أمر مضى فكأنه تعجّبهم في أنفسهم ويقول محتجًّا إنكم أكثر منهم عددًا فما ذا ينفع ثم ردّ الله تعالى عليهم فقال كَلَّا أي ليس الأمر كما يتوهّمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقًّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ وعيد لهم ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كرّره تأكيدًا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت وهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول كان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أي علمًا يقينًا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علمًا يقينًا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدّث أن علم اليقين أن نعلم أن الله باعثه بعد الموت لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ اللام تدلّ على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وإنما أوعدوا به لا يدخله شكّ ولا ريب والمعنى أنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ يعني مشاهدة وقيل إنما كرّر الرؤية لتأكيد الوعيد ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ يعني كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لأنهم لم يشكروا ربّ النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذّبون على ترك الشكر وذلك لأن الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فيسألهم عن ذلك وقيل إن هذا السؤال يعمّ الكافر والمؤمن وهو الأولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لأنه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لأنه شكر ما أنعم به عليه وأطاع ربّه فيكون السؤال في حقّه تذكيره بنعم الله عليه يدلّ على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله

وأي نعيم نسأل عنه وإنما هي الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسأل العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسألنّ يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم نصحّ لك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلًا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبًا وأهلًا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي بأطول من هذا وفيه ظلّ بارد ورطب طيّب وماء بارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذي يسأل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج فإنه لا بدّ لكلّ أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسأل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الإسلام فإنه أكبر النعم وقيل يسأل عن ما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم أنقذكم به من الضلال إلى الهدى والنور وامتنّ به عليكم والله أعلم

تفسير سورة العصر مكية

قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفًا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ وَالْعَصْرِ قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر وذلك لأنهم يضيفون النوائب والنوازل إلى الدهر فأقسم به تنبيهًا على شرفه وأن الله هو المؤثّر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره وربّ العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لأنهما يقال لهما العصران فنبّه على شرف الليل والنهار لأنهما خزانتان لأعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي هو في مصحف عائشة رضي الله تعالى عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد تنبيه بذلك على أن زمانه أفضل الأزمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ أي لفي خسران ونقصان وقيل أراد بالإنسان جنس الإنسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لأن الإنسان لا ينفكّ عن خسران لأن الخسران هو تضييع عمره وذلك لأن كل ساعة تمرّ على عمر الإنسان إما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فإن كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وإن كانت في طاعة فلعلّ غيرها أفضل وهو قادر على الإتيان بها فكان فعل غير الأفضل تضييعًا وخسرانًا فبان بذلك أنه لا ينفكّ أحد من خسران وقيل إن سعادة الإنسان في طلب الآخرة وحبّها والإعراض عن الدنيا ثم إن الأسباب الداعية إلى حبّ الآخرة

حقيقة والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها
فكانوا في خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى ان كل ما كان من عمر الانسان في طاعة الله تعالى فهو
في صلاح وخير وما كان بضده فهو في خسر وفساد وهلاك وتواصوا اي اوصى بعض المؤمنين بعضا بالحق يعني
بالقران والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد وتواصوا بالصبر اي على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده
وقيل اراد ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا الذين امنوا فانه يكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم
التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله تعالى اعلم

تفسير سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات وثلثون كلمة ومائة وثلثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ويل اي قبح وقيل هو اسم واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس في بعضهم قال الشاعر
اذا لقيتك من كره تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب
واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه
ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينيه وقيل اللمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينيه
ويشير براسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع
الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد منه هنا الكسر من
اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم وهما
نعتان للفاعل نحو سخرة وضحكة كالذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في الاخنس
بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية
ابن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت
في العاصي ابن وائل السهمي وقيل هي عامة في كل شخص هذه صفته كائنا ما كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام
بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى الذي جمع مالا وعدده وانما وصفه
بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز يعني وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر
منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى ما هو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل
ان يفتخر بالشيء الحقير وعدده اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة وغنا له يحسب
ان ماله اخلده اي يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك
لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت
كلا اي رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلد ذكره العلم والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء
باقون ما بقي الدهر وقيل معناه لينبذن واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على معنى حصول القسم ومعنى
ليطرحن في الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة
لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى انها الهمزة اللمزة الذي ياكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة
التي تاكل اللحوم وتكسر العظام وما ادريك ما الحطمة اي نار لا كسائر النيران نار الله الموقدة انما اضافها

اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها الموقدة اي التي لا تخمد ابدا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال ويروى عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح التي تطلع على الافئدة اي يبلغ
المها ووجعها على القلوب والمعنى انها تاكل كل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شيء
في بدن الانسان وانه يتالم بادنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه واستولت به ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق
لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقايد والنيات الفاسدة
انها عليهم موصدة اي مطبقة مغلقة في عمد ممددة قال ابن عباس ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد
وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق
التي تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم ثم سدت باوتاد
من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها كما ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد
اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحق
عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي ملك الحبشة كان بعث
ارياط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح ابن يكسوم فساخط ارياط في امر الحبشة
حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارياط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارياط واجتمعت
الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة
لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست
منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخلها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها
فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترى علي فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك
ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسئله ان يبعث اليه بفيله وكان فيل يقال له محمود وكان
فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث اليه به فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب
بذلك فعظموه وراوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة
واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني فان بقاي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار
حتى اذا دنى من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبايل اليمن فهزمهم واخذ نفيلا
فقال نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى
اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف وانما تريد
البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابو رغال
وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم
الناس فجمع الاسود اليه اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة ارسل حناط الحميري الى اهل
مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلت به اليه اخبره اني لم ات لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق
حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هشام فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يات لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء
لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا يد ان نخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا

وتغوط فيها نسخة

فقاتلوهم فهزمهم نسخة

بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخلي بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة قال
فانطلق معي الى الملك وزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا
لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة وعشية
ولكن سابعث الى انيس سايس الفيل فانه لي صديق فاسئله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك
عنده قال فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال
وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على
ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستاذن
عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف لك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما
فلما راه ابرهة عظمه واكرمه وامره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه
فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك
ان يرد الي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الان فيك قال لم
قال جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها
لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فانت وذلك فامر بابله
فردت عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال
خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول • يا رب لا ارجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا • ان عدو البيت من عاداكا • امنعهم ان يخربوا قراكا • وقال ايضا • لاهم ان العبد يمنع رحله
وحلاله فامنع حلالك • لا يغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك • جروا جميع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلا وما رقبوا جلالك • ان كنت تاركهم و• بيتك فامر ما بدا لك • ثم ترك عبد المطلب
الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيا للدخول وهيا جيشه وهيا فيله وكان فيلا لم
ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت اثني عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود
وارجع رشيدا • فانك ببلد الله الحرام • فبرك فبعثوه فابى فضربوه بالمعول في راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه
فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق
ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الى الجبل وارسل الله عز وجل طيرا
من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم
ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون في الطريق الذي جاؤا
منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل •
الا ردي ركابنا ردينا • نعمناكم على الهجر ان عينا • فانك لن رايت ولن تريه • لدى جنب المحصب ما راينا • حمدت الله اذ ابصرت طيرا
وحصب حجارة تلقى علينا • وكلهم يسئل عن نفيل • كان علي للحبشان دينا • وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون
بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة
من قيح فانتهى الى صنعا وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي
واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل الاخر شجع فحصب اي رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم
وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا
بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية ابن الصلت • ان ايات ربنا ساطعات • ما يماري فيهن الا الكفور • حبس الفيل بالمغمس حتى

ظل يعوي كانه معقور • روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة يستطعمان الناس وزعم
مقاتل ابن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فدنوا من ساحل
البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف
فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه
ان كان بمكة يومئذ ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم
الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود
اصعد بنا الى حرا فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها
في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم تلك الابل
فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن
هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك فكساه القباطي البيض وعظمه
ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها
قال اراها قد دارت على رؤسنا ثم قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية
قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب في مناقيرها حصا كانها حصى الحذف قد اقبلت كالليل تكسع بعضها بعضا امام كل
فرقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما
توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة
من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا احدا منا ثم دنيا فلم يسمعا حسا
فقالا بات القوم ساهدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم
فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من
فؤسهم فحفر حتى عمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر
ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك قال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني لم ارد
اجعل اجود المتاع في حفرتي فهو لك فجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا واصابوا من
فضلها حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما
في غنا من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا في تاريخ الفيل فقيل كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم باربعين
سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان في العام
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم
واما التفسير فقوله عز وجل الم تر اي الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها
كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده
يقينا فلهذا قال تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا افيلة ثمانية وقيل اثني عشر
وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الاي وفي قصة اصحاب الفيل دلالة
عظيمة على قدرته تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل في العقل ان طيرا تاتي من قبل البحر تحمل حجارة ترمي بها اناسا مخصوصين وفيها
دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو
محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم
والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال انا الذي فعلت ما فعلت

بأصحاب الفيل تعظيما لك ولقومك وتشريفا لقدومك وإني قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك بعد ظهورك ٥

ألم يجعل كيدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل أي تضييع وخسار وإبطال لما أرادوا وأضل كيدهم فلم يصلوا إلى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل يعني طيرا كثيرا متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظه وقيل واحدها إبالة وقيل إبيل وقيل إبول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا إلا هشمه ووجه الجمع بين هذه الأقاويل في اختلاف أجناس هذه الطير أنه كان في هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم قوله تعالى ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم وقع على الديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب على المدون مما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل كلمة فارسية معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف مأكول يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب إذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله أعلم

تفسير سورة قريش مكية

وقيل مدنية والأول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل لإيلاف قريش اختلفوا في هذه اللام فقيل متعلقة بما قبلها وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور أن هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وأنه لا تعلق بينهما وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا بإطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وأنهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة اللام في قوله تعالى لإيلاف فقيل هي لام التعجب أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والإيلاف من ألفت الشيء ألفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لإيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وألفنيه الله ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي

م عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر

ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب

والمشقة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لأن قريشا كانوا قوما تجارا أو على جمع المال والإفضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشد سعد الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر ۰ بها سميت قريش قريشا ۰
سلطت بالعلو في لجة البحر ۰ على سائر البحور جيوشا ۰
تأكل الغث والسمين ولا ۰ تترك فيه لذي الجناحين ريشا ۰
هكذا في الكتاب حي قريش ۰ يأكلون البلاد أكلا كميشا ۰
ولهم آخر الزمان نبي ۰ يكثر القتل فيهم والخموشا ۰
يملأ الأرض خيله ورجاله ۰ يحشرون المطي حشرا كميشا ۰

وقيل إن قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم إذا اجتمعوا وسمي قصي مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ۰ به جمع الله القبائل من فهر ۰

وقوله تعالى إيلافهم هو بدل من الأول تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه رحلة الشتاء والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الأكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ ورحلة في الصيف إلى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن إلى مكة وأهل البر حملوا على الإبل والحمير فألقى أهل الساحل إلى جدة وأهل البر بالمحصب وأخصب أهل الشام فحملوا الطعام إلى مكة وألقوا بالأبطح فامتار أهل مكة من قريش وكفاهم الله تعالى مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي وكان أول من حمل السمراء يعني القمح إلى الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندا ۰ هلا مررت بآل عبد مناف ۰
هلا مررت بهم تريد قراهم ۰ منعوك من ضر ومن إكفاف ۰
الرائشين وليس يوجد رائش ۰ والقائلين هلم للأضياف ۰
والخالطين غنيهم بفقيرهم ۰ حتى يكون فقيرهم كالكافي ۰
والقائلين بكل وعد صادق ۰ والراحلين برحلة الإيلاف ۰
عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ۰ ورجال مكة مسنتون عجاف ۰
سفرين سنهما له ولقومه ۰ سفر الشتاء ورحلة الأصياف ۰

وقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك أن الإنعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل إنه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فإنه هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومعنى الذي أطعمهم من جوع أي من بعد جوع بحمل الميرة إليهم من البلاد في البر والبحر وقيل في الآية إنهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد قالوا يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام والله أعلم

تفسير سورة أرأيت الذي مكية

وقيل نزل بعضها بمكة في العاصي بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **أرأيت الذي يكذب بالدين** قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في عمرو بن عائذ
المخزومي وفي رواية عن ابن عباس أنها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذي يكذب بيوم الجزاء والحساب فإن لم تعرفه
ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب في حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب **فذلك الذي يدع اليتيم**
للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت أيها الإنسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور
دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع اليتيم أي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة
والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وإن لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف
به وقرئ ويدع بالتخفيف أي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة **ولا يحض على طعام المسكين** أي لا يطعمه ولا
يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل إذ يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالإطعام قوله تعالى **فويل
للمصلين** يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى **الذين هم عن صلاتهم ساهون** روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال إضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة
إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا معهم لقوله تعالى **الذين هم يراؤون** وقال تعالى في وصف المنافقين
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس وقيل ساه عنها لا يبالي صلى أو لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا
إن صلوا ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا وقيل غافلون عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون
ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم أنها في المنافقين والمؤمن قد يسهو في صلاته
والفرق بين الفريقين أن سهو المنافق هو أن لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن إذا سها عن صلاته تدارك في الحال
وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو أن يبقى ناسيا لذكر الله في جميع أجزاء الصلاة وهذا
لا يصدر إلا من المنافق الذي يعتقد أنه لا فائدة في الصلاة فأما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وأنها عليه واجبة ويرجو
الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني أنه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد
يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عليه فثبت بهذا الفرق
أن السهو عن الصلاة من أفعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن الذين هم يراؤون يتركون الصلاة في السر ويصلونها
في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائي يظهر الأعمال مع زيادة
الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه الرياء فلا بأس
بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى **ويمنعون الماعون** روي عن علي أنه قال هي الزكوة وهو قول ابن عمر والحسن
وقتادة والضحاك ووجه ذلك أن الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم عليه بترك الصلاة ومنع الزكوة وقال ابن عباس الماعون
الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه
الزكوة المفروضة وأدناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل
أصل الماعون من القلة فسمي الزكوة والصدقة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل
الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع به ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء
القليلة الحقيرة فإن البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم
ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم بالصواب وبأسرار كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تفسير سورة الكوثر

مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل أنها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات
وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل

إنا أعطيناك الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب
والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة قال سعيد النهر في الجنة
من الخير الذي أعطاه الله إياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل
الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضله بها على سائر الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطي
النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والإسلام وإظهاره على الأديان
كلها والنصر على الأعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيمة وأولى الأقاويل في الكوثر والذي عليه جمهور العلماء أنه
نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث ق عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة
ثم رفع رأسه متبسما فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي
عز وجل هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيمة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول
ما تدري ما أحدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي إلى السماء أتيت على نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر وطينته
شك الراوي عن أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن
وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزور قال عمر إن هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
خ عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سألت عائشة عن قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه
وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لا يظمأ بعدها أبدا زاد في رواية وزواياه
سواء ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح ثم قال بعض الرواة هما
قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا
ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين
المدينة وعمان وفي رواية قال إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء م عن أبي ذر قال قلت
يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة
من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن
وأحلى من العسل م عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا
دوني فلأقولن رب أصحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من أمتي الحديث وفي آخره فأقول
سحقا لمن بدل بعدي ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني عند عقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي
حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه
ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم
على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا
بعدك ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيمة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول

يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما
ليست لأحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أمتي
من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض م عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي
لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لأذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يا رسول الله وتعرفنا
قال نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا
منزلا فقلنا يا رسول الله ما نحن قال ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة
أخرجه أبو داود **فصل** في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض
رحمه الله تعالى أحاديث الحوض صحيحة والإيمان بها فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول
ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهيل بن سعد وجندب
ابن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة ابن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة ابن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان
وأنس وجابر ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله بن
الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضا
من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي
في كتاب البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على إخراج أحاديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة
على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق
وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له من الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره
فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح وفي رواية كما بين أيلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه
مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة وفي رواية إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس هو
موجبا للاضطراب فيها لأنه لم يأت في حديث واحد بل الأحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله
عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على أذهان السامعين
لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة على التقدير الموضوع للتحديد بل لإعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر
القليل من هذه المسافة منع من الكثير فإن الكثير ثابت على ظاهره وصحة الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة
بينهما وكذلك القول في آنية الحوض أن العدد المذكور في الأحاديث على ظاهره وأنها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك إذ قد وردت
الأحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين إلى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم جزء
من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وإنما ضربه مثلا لأكثر العدد والمرور للسامعين ويدل على هذا
قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب فهذا صريح في أن جميع الواردين يشربون وإنما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود
لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك
وفي رواية وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك
ونحو هذا من الروايات المذكورة في الأحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه والمراد به منهم فقيل المراد بهم المنافقون
والمرتدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنهم إذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيناديهم
فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم إنهم قد بدلوا بعدك أي لم يكونوا على ما ظهر من إسلامهم وقيل المراد بهم من أسلم في زمن النبي

صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن أبي بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم
النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يعرف من إيمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا
ببدعتهم عن الإسلام وأصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم فعلى هذا القول
لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب
وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك
الظلمة المسرفون في الجور والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف أن يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا
قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة
وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لأن ظاهر الحديث أن جميع الأمة تشرب منه إلا من ارتد
وصار كافرا وقيل إن جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل إنما يأخذ بيمينه الناجون
منهم خاصة والشرب من الحوض مثله • شرح غريب ألفاظ الحديث قوله فيختلج العبد منهم أي ينتزع ويجذب منه قوله ما بين
جنبيه كما بين جربا وأذرح أما جربا فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها
بالمد والقصر أولى وهي قرية من الشام وأما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب من الشوبك
وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بلدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام
مدينة معروفة في طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة وبينها وبين المدينة خمسة عشر مرحلة وبينها
وبين مصر ثمان مراحل وإلى دمشق اثنا عشر مرحلة وهي آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهي قاعدة اليمن وأكبر مدنه وإنما قيده
باليمن في الحديث لأن بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها
قوله يشخب منه ميزابان وهو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أي يسيل فيه وفي الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين
المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أي يدفق منه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله إني لبعقر حوضي وهو بضم العين
المهملة وإسكان القاف وهو موقف الإبل من الحوض إذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس أي أطرد الناس
لأهل اليمن بعصاي حتى يرفض عليهم معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أي يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة
لأهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من الاستقاء
والمعنى أنا سابقكم على الحوض كالمهيئ له قوله فأقول سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال إنهم أهل الردة إذ لا يقال للمؤمن سحقا
بل يشفع قلت في حديث أنس الأول دليل لمن يقول إن سورة الكوثر مدنية وهو الأظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم قوله تعالى **فصل لربك وانحر** معناه أن ناسا
كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له وينحر له متقربا إلى ربه بذلك وقيل معناه
فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس
فصل لربك وانحر أي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير إلى النحر حكاه ابن الجوزي
ومعنى الآية قد أعطيناك ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصناك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك الذي أعطاك
هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك فوقهم فصل له واشكره على إنعامه عليك
وانحر البدن متقربا إليه **إن شانئك** يعني عدوك ومبغضك **هو الأبتر** يعني هو الأذل الأقل المنقطع
دابره نزلت في العاصي بن وائل السهمي وذلك أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب
بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا له من الذي كنت تحدث معه فقال ذاك الأبتر
يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل إن العاصي بن وائل كان إذا

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا اهلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اي المنقطع من كل خير قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المفردة يدق اسفلها ويسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابير سعفات تنبت من جذع النخلة تضرها ودواها ان تقطع الصنابير منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور تنبت في جذع نخل فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الاعظم والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة قل يا ايها الكافرون مكية

وهي ست آيات وست وعشرون كلمة واربع وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت نصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت ربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت ثلث القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي من عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل يا ايها الكافرون** الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله نعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كلنا شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل الله علي وكان فيما انزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظراء ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل الله قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون **لا اعبد ما تعبدون** في معنى الآية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم **ولا انتم عابدون ما اعبد** ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال **ولا انا عابد ما عبدتم** اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال وللاستقبال ولكن نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه

اخبر

اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال **ولا انتم عابدون ما اعبد** في الاستقبال وما بمعنى من اي من تعبدون ويحتمل ان تكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الآية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد في هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم **لكم دينكم ولي دين** اي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة باية القتال والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

تفسير سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **اذا جاء نصر الله والفتح** يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معوية الديلي في بني الديلي من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجالا وتحاوروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة ابن ابي جهل وسهيل ابن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم فلا تصيبون ثاركم قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا ۞ حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ۞ ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ۞ وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ۞ ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ۞ ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ۞ وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا ۞ وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا ۞

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان قد جاء يشدد في العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيها النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان

حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي
شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول
صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله
لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن
ابن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع
لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن
نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر
قالت والله ما بلغ بنيي أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا الحسن إني أرى الأمور
قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك
قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس إني
قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا صلى الله عليه وسلم فكلمته
فوالله ما رد شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب
فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا أم لا قالوا وماذا أمرك قال أمرني
أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا والله ما زاد على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت
قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر
على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه
قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدري ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبي
بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا إلى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبي صلى الله عليه
وسلم وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين
ولم يتخلف من الأنصار والمهاجرين عنه أحد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش ولا يأتيهم خبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون
الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح
قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر
قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أجد حطابا أو صاحب لبن
أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة
قال العباس إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان

يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط قال يقول بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فيقول أبو سفيان خزاعة أذل وأقل
من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبا الفضل فقلت نعم قال فداك أبي وأمي
ما لك قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين
قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأستأمنه لك فردفني ورجع صاحباه فحركت به أركض على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت
بنار من نيران المسلمين ينظروا ويقولوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا
وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج
يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال
فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا عدو الله
أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر
فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس
فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب من إسلام الخطاب لو أسلم وما ذاك إلا أني أعلم أن إسلامك كان أحب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس اذهب به
إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به قال فذهبت إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك
وأكرمك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني
رسول الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا فقال العباس ويحك
أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس فقلت
يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه
بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي
عند خطم الجبل حتى يرى حين تمر به جنوده قال فخرجت به حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه قال ومرت
به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء فأقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة
إلا سألني عنها فإذا أخبرته فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وإنما قيل لها
الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء
يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا
الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك إنها النبوة قال فنعم إذن قلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج
سريعا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه
فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين يديه إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين
إلى مكة بعث في إثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون
وقال لا تبرح حتى آمرك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته

معتجرًا بسيفه عليه بردٌ حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعًا لله عز وجل حين ما اكرمه به من الفتح حتى
ان راسه لتكاد تمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلا مكة وامر خالد بن
الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف
ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل مكة وان صفوان ابن امية وعكرمة ابن ابي جهل وسهيل ابن عمرو كانوا
قد اجتمعوا مع اناس بالخندمة ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم
وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدا فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها
رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلا مكة من قبل الزبير قتال
واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل
من المشركين اثني عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة ابن الميلاء من خيل
خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد فتشذذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم امر بقتلهم وان وجدوا
تحت استار الكعبة عبد الله ابن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه
من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامنه له وعبد الله بن خطل
رجل من بني تيم ابن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه
وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدى عليه فقتله
ثم ارتد مشركا وقد كان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث ابن نفيل ابن وهب
وكان ممن يؤذيه ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة
مولاة لبني عبد المطلب وكانت ممن تؤذيه بمكة وعكرمة ابن ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم
بنت الحرث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة
ابن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطاها رجل من الناس فرسا
له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نفيل فقتله علي ابن ابي طالب قالت ام هاني بنت ابي طالب لما نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بنت ابي وهب المخزومي قالت فدخل
علي علي ابن ابي طالب اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلا مكة
فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات
الضحى ثم انصرف الي فقال مرحبا واهلا يا ام هاني ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي ابن ابي طالب فقال قد اجرنا من اجرت
وامنا من امنت فلا يقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على
راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة
من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية
الحاج الا وقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل واربعون منها في بطونها اولادها يا معشر

قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل
مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه علي ابن ابي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع
لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان ابن طلحة فدعا له فقال هاك مفتاحك يا عثمان
اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه
ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة ابن الزبير
خرج صفوان يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير ابن وهب الجمحي يا رسول الله ان صفوان ابن امية سيد قومي قد خرج هاربا
منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو امن قال يا رسول الله اعطني شيئا يعرف به امانك
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر
فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها هذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال
ويلك اعزب عني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واعلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك
وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار
اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به
الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح مكة ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه
قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم
والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين
من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة يقصر الصلوة ثم
خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا ق عن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم
في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه السلام في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله تعالى حبس عن مكة الفيل و
سلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار الا
وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين
اما ان يفتدي واما ان يقتل فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر
فقام ابو شاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه قال الاوزاعي
يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك
يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها
عن وقتها او تاخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح
يعني فتح مكة في قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين
النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابتدا بذكر
النصر وعطف عليه بالفتح وقيل النصر هو كمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذي هو تمام النعمة **ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا** يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال
قال الحسن لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذ ظفر الله تعالى محمدا باهل الحرم

في المسجد صح
ابن امية صح
فلا تكلمني صح

وكان قد اجادهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين
اثنين وقيل اذا دبا لناس اهل اليمن ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد اتاكم اهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله
قوله **فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** يعني فانك حينئذ لاحق به خ عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع اشياخ
بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال
وما رايته دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال
بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصر الله وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي كذلك تقول يا ابن عباس
قال قلت لا قال فما هو قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم ق عن عايشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوة بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وفي رواية
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول
القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
وقال اخبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله العظيم واتوب اليه
فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله
فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل
في معنى سورة اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار
فان اشتغالك بهذه الطاعات يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق
بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلوة ثم قيل عنى به صلوة الشكر وهو ما صلاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هو صلوة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد
حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر قلت انه تعالى الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه
على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من هو دونه وقيل هو من
ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغاير على الانبياء يكون المعنى واستغفره
لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك
في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله اعلم **تفسير سورة تبت مكية** وهي خمس ايات وعشرون كلمة
وسبعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **تبت يدا ابي لهب** ق
عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي
لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم
لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب **وتب ما اغنى عنه
ماله وما كسب** وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث
وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك

على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه وقيل ادمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد
وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب
ابن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت
فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل
عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا
بان يذكر بها وتب قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا
ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد اهلك نفسه ما اغنى عنه
ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما تقول يا ابن
اخي حقا فاني افتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله اي شيء يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله
ما جمع من المال وما كسب وكان صاحب مواش وما كسب من المال اي ربح بعد راس ماله وقيل وما كسب يعني ولده
لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي
ثم اوعده بالنار فقال تعالى **سيصلى نارا ذات لهب** اي نارا تلتهب عليه **وامراته** يعني ام جميل بنت حرب
ابن امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية ابن ابي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حمالة الحطب قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاة بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت
يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت
تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى انها تستعين في ذلك باحد بل تفعله هي بنفسها وقيل
كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان
اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام التي حملتها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب في
مصيرها الى النار **في جيدها** اي عنقها **حبل من مسد** قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا
تدخل من فيها وتخرج من دبرها فتكون سايرها في عنقها قلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل
الذي كانت تحتطب به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة فاعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها
وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة
فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم **تفسير سورة الاخلاص مكية** وقيل مدنية
وهي اربع ايات وخمس عشر كلمة وسبعة واربعون حرفا **فصل** في فضلها خ عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع
رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله
الصمد ثلث القرآن م عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى جزا القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله
احد جزءا من القرآن م عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرا عليكم ثلث القرآن فقرا
قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل ثلث القرآن سورة الاخلاص
اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديس اوصافه
واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس

وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لانه منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا ولا فرعا من هو له ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قوله لا اله الا الله فهذا سر من اسرار الله تعالى من اسرار القرآن المجيد الذي لا يتناهى اسراره ولا تنقضي عجايبه وقال الامام فخر الدين لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرايع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة اشياء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته اي عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته او لان قاريها قد اخلص لله التوحيد ومن فوايد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مايتي مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد ماية مرة فاذا كان يوم القيمة يقول له الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قيل وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل هو الله احد** عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء اخرجه الترمذي وقال قد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي عليه السلام فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته في التورية فاخبرنا من اي شيء هو وهل ياكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سالتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استاثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا وفي النفي ما رايت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد **الله الصمد** قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشيء المصمت الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان

من صفات الاجسام ويتعالى جل الله عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا ياكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه انه تعالى بخلاف ما اثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف وهو شيئان احدهما دون الانسان وهو ساير الجمادات الصلبة والثاني اشرف من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعز وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وفي رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوايج المرغوب اليه في الرغايب المستعان به عند المصايب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدايم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الافات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والاخر الذي ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله العظيم القادر على كل شيء وانه اسم خاص لله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العلى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قوله تعالى **لم يلد ولم يولد** وذلك ان مشركي العرب قالوا الملايكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة الولد من جميع الجهات فهو الاول الذي لا يتقدمه والد كان عنه وهو الاخر الذي لم يتاخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذي لم يكن له كفوا احد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله **ولم يكن له كفوا احد** العديل والنظير والصاحبة والولد **خ** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني اول الخلق وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله اعلم

تفسير سورة الفلق مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي خمس ايات وثلاث وعشرون كلمة واربع وسبعون حرفا **م** عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن ايضا وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه **خ** عن زر بن حبيش قال سالت ابي بن كعب عن المعوذتين قال قلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن خبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطش والطشيش المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ ليصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شيء وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما اخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعناه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **قل اعوذ برب الفلق** قال ابن عباس وعايشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه

فيها وتولى ذلك لبيد ابن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عايشة ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذلك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند راسي والآخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن عاصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بير ذروان ومن الرواة من قال في بير بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البير فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخفت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري كان يرى انه ياتي النساء ولم ياتهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فحللها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط اخرجه النسائي وروي انه كان تحت صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان م عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

فصل

وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وجواز الرقى قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه قال الامام المازني مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقايق لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله تعالى شيئا قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وقول عمر نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى

فصل

وقد انكر بعض المبتدعة حديث عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل ولان الدلايل القطعية العقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا وهو ما يعرض للبشر غير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه كان يخيل اليه انه وطي زوجاته وليس بواطي وهذا مثل ما يتخيل الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فيكون اعتقاده على السداد قال القاضي عياض وقد جاءت بعض

رواة

رواة هذا الحديث فبينته ان السحر انما سلط على بدنه وجوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور وقوله وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بايات من القران او اذا كانت واردة في الحديث ويدل على صحة هذه الاحاديث الواردة في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليه العين افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك وما لا يعرف معناه مما ليس بعربي لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما ان الانسان ينتظر لطلوع الصباح كذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد في جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب والقادر عليه من شر عذابه وغيره وروي عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التاويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات **من شر ما خلق** قيل يريد ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس **ومن شر غاسق اذا وقب** عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف فاسود ومعنى وقب دخل في الخسوف واخذ في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل فيه الغوث وقيل يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها **ومن شر النفاثات في العقد** يعني السواحر التي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد ابن الاعصم التي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يدل عليه حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه **ومن شر حاسد اذا حسد** الحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد ابن الاعصم وحده والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الناس مدنية

وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿قل اعوذ برب الناس﴾ انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ﴿ملك الناس اله الناس﴾ انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك انه ربهم وملكهم ثم ان الملك قد لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس لان الالهية خاصة له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب في تكرير لفظة الناس يقتضي مزيد شرفهم على غيرهم ﴿من شر الوسواس﴾ يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة الهمس والصوت الخفي ﴿الخناس﴾ يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتاخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع راسه على القلب فذلك قوله تعالى ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ يعني بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب ﴿من الجنة والناس﴾ يعني الجن والناس وفي معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الانس والجن ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس الجن كما يوسوس الانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس كما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتهما اخرجه مالك في الموطا وهما بمعناه ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل واطراف النهار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي والله اعلم

تم [illegible] الرابع في معالم التنزيل على يد افقر العباد [illegible] احمد افندي خليفة [illegible] [illegible] شهر ذي الحجة ختام سنة [illegible] سابقا ٢٢ [illegible] والف غفر الله له ولمن نظر اليه ودعى [illegible] ولصاحبه ولقاريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

اللهم اغفر لكاتبه [illegible]

قد بلغ مقابلة هذا التفسير العظيم من اوله الى آخره بالنسخ المقروءة المصححة على يد افقر العباد مصطفى بن احمد افندي السيواسي مولدا المصري موطنا غفر الله له ولآبائه ولصاحب هذا الكتاب ولناظره وللمؤمنين اجمعين برحمتك يا ارحم الراحمين